



ديبوان

علاء الدين



مراجعة وتقديم

فادوق شوشة

المجلس الأعلى للثقافة

ديوان

عبد الرحمن شكرى

(١٢ أكتوبر ١٨٨٦ - ١٥ ديسمبر ١٩٥٨)

جمعه وحققه : نقولا يوسف

شارك فى جمعه : محمد رجب البيومى

مراجعة وتقديم : فاروق شوشة



٢٠٠٠

عبد الرحمن شكرى

شاعر النفس الإنسانية

بقلم

فائق شوشة

لم يتح لعبد الرحمن شكرى ما أتيح لزميليه فى جماعة الديوان : عباس محمود العقاد وإبراهيم عبد القادر المازنى من شهرة وذيوع صيت ، بالرغم من سبقه لهما فى الظهور على الساحة الأدبية والثقافية بنشر ديوانه الأول « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، بينما نشر المازنى ديوانه عام ١٩١٢ والعقاد ديوانه الأول عام ١٩١٣ ، بالإضافة إلى أن شكرى - فى معظم شعره - يقترب من طبيعة الفهم للشعر الذى أشاعته جماعة الديوان - منذ صدور كتاب الديوان عام ١٩٢١ - وهو أن الشعر فى جوهره تعبير عن الوجدان ، وكشف لحالات النفس الإنسانية ، وهو الفهم الذى فى ضوءه وضع عبد الرحمن شكرى فى مستهل ديوانه الأول « ضوء الفجر » بيته المشهور الذى سيصبح من بعد شعاراً للجماعة وهو :

ألا ياطر الفردو من إن الشعر وجدان

والغريب أن شكرى لم يشارك فى تأليف كتاب الديوان ، بل إن الجزء الثانى من الكتاب يتضمن فصلين كاملين فى الهجوم على شكرى كتبهما المازنى حين ساءت العلاقة بينهما ، بسبب نقد وجهه شكرى لشعر المازنى ، عندما رأى فيه سرقة واضحة لقصائد معروفة لعدد من الشعراء الإنجليز والألمان والأمريكيين : وقد بدأت القصة عندما نشر شكرى فى مقدمة ديوانه الخامس « الخطرات » عام ١٩١٦ قائمة بقصائد للمازنى يرجعها شكرى إلى مؤلفيها الأصليين ، مبيناً الفرق بين التأثر والسرقة ، ذاكراً صعوبة النقل من لغة إلى أخرى تختلف عنها جوهرياً فى خصائصها . وفى آخر فقرات هذه المقدمة يقول شكرى وهو يتحدث عن المازنى : « وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الشاعر المحتضر » الياثية التى نشرت فى « عكاظ » ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شيللى الإنجليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « قبر الشعر » وهى منقولة عن « هينى » الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى « فتى فى سباق الموت » وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها « الراعى المعبود » وهى منقولة عن الشاعر

لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها « الوردة الرسول » وهى للشاعر ولر الإنكليزى . وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة « البيان » مقالة « تناسخ الأرواح » وهى من أولها إلى آخرها من مجلة « السبكتاتور » لأديسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان قطع طويلة عن العظماء . وهى مأخوذة من كتاب « شكسبير والعظماء » تأليف فيكتور هيجو ومن مقالات كارلايل الأدبية .

وقد ذاعت هذه الأشياء ، ولو كنت أعرف أن المازنى تعتمد أخذها لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعتمد أخذها . ولو أنى رأيت عفریتا لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء . ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروجى الإشاعات والتُّهم . ولا أظن أن أحداً يجعل مدحى المازنى وإيثارى إياه وإهدائى الجزء الثالث من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعاتبته فى عمله . لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله . وليس الاطلاع قاصراً على رجل نون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء ، ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى » . وكان رد المازنى على صديقه شكرى عنيقا ومفزعا . فقد اتهمه بالجنون ، وبأنه صنم الألاعيب ، وكتب يقول : « ولقد سبق لنا أن نبهنا شكرى إلى ما فى شعره من دلائل الاضطراب فى جهازه العصبى ، وأشرنا عليه بالانصراف عن كل تأليف أو نظم ليفوز بالراحة اللازمة له أولاً ، ولأن جهوده عقيمة وتعبه ضائع ثانياً » .

ويبدو أن خطأ شكرى كان يتمثل فى إثارة الحق والحقيقة على مراعاة الصداقة والزمالة والأخوة ، فلم يشأ أن يغفر للمازنى سقطته التى رآها موجبة للنقد العلنى والتصريح الفاضح ، لكن رد الفعل الهائل عند المازنى جعل شكرى يكفر بكل شىء ، ويفضل الانطواء والانزواء والعكوف بعيداً عن المشاركة فى الحياة الأدبية والنقدية .

وتكفلت نفسه الشديدة الحساسية - حتى المرض - وطبعه المتوجس السىء الظن بالحياة والأحياء ، بإغلاق الدائرة على نفسه ، والتوقف عن الكتابة والنشر ، حتى إن ما جمع له من شعر فى مناسبات متفرقة بعد عام ١٩١٩ - وهو عام الخصومة بينه وبين المازنى - حتى وفاته فى ديسمبر عام ١٩٥٨ لم يزد عن قصائد معدودة هى مجموعة ديوانه الثامن الذى نشر بعد وفاته بعامين ، والذى لا يجاوز حجمه حجم ديوانه الأول .

وسىظل شكرى - نتيجة للعزلة والاعتكاف ، وإهمال رفاقه له سنوات طويلة بعد هذا التاريخ - مغموراً ، بعيد عن الشهرة والأضواء ، لا يكاد يذكره أحد ، والكثيرون يعتقدون أنه رحل عن الدنيا نون أن يدروا برحيله ، وآخرون يبحثون عنه ويطمعون فى مراسلته أو زيارته ، حتى إذا طير بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم فى القاهرة نبأ العثور على الشاعر هرع عدد من المحررين والمصورين لمقابلته وإجراء حوارات معه ، لكن آلام الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة كانت حائلة بينه وبينهم ، وما هى إلا أيام قليلة حتى رحل شكرى فى الخامس عشر من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

أسهم شكرى بنفسه إذن ، بحساسيته المفرطة وتوجسه الدائم فى صنع هذا المصير الفاجع ، كما أسهم رفيقاه العقاد والمازنى - عندما تجاهلاه وأسقطاه من حسابهما سنوات طويلة - فى الإسراع بهذا المصير . بالرغم من اعترافهما معا بأستاذية شكرى ، وريادته ، وسبقه لهما فى الإبداع والمعرفة والاطلاع وتبنى الفكر الجديد فى الشعر والنقد ، ومتابعة التيارات العالمية الشعرية والأدبية .

يقول عنه العقاد - بعد رحيله - فى مقالة نشرت بمجلة الهلال - فبراير ١٩٥٩ - : عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى ، ولا أذكر أننى حيثته عن كتاب قرأته إلا وجدت منه علماً به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحياناً عن كتب لم نقرأها ولم نلتفت إليها ولا

سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعة صادق الملاحظة ، نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة النقد على أوفائها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما ياباه ، فلا يكلفه نقد الأدب غير نظرة في الصفحة والصفحات يلقي بعدها الكتاب وقد وزنه وزنا لا يتأتى لغيره في الجلسات الطوال .

ويعترف المازني بدوره بأستاذية شكرى وسبقه في مقالة نشرها في جريدة السياسة عام ١٩٣٠ يقول فيها : « كنا يومئذ طالبين في مدرسة المعلمين العليا ، وكانت صلتى به وثيقة . كان كل منا يخطط صاحبه بنفسه ، ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين في الأدب ، ورأى حاسم فيما ينبغي أن يكون عليه . ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي ، وسدد خطاى ، ودانى على المحجة الواضحة . وأئننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أتخبط أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى » .

وفى موضع آخر ، ومناسبة أخرى - فى مقالة له بجريدة أخبار اليوم : أكتوبر ١٩٤٧ - يقول المازني عن شكرى قبيل وفاته بعامين : « وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار أستاذاً وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . وبفضل شكرى عرفت عبد الحميد بنوى والسباعى رحمة الله ، ثم عرفت العقاد عن طريق آخر وعرفته بشكرى . فصرنا ثالثاً : العقاد وشكرى والعبد لله . وهكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

بل المدهش والغريب أن يكون المازني - وهو الأديب والناقد والكاتب - أعرف الناس بشعر شكرى ، وعمق تمثيله للمذهب الجديد الذى تدعو إليه جماعة الديوان فى الشعر . عندما كتب عدداً من المقالات فى جريدة عكاظ الأسبوعية يقارن فيها بين شعر شكرى باعتباره مثالا للجديد وشعر حافظ إبراهيم باعتباره مثالا للقديم . وكان رأى

المازنى أن شكرى شاعر لا يصعد طرفه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه إلى أعماق من قلبها ، وذلك دأبه ووكده ، وهو لا يبالغ - كحافظ - فى تحبير شعره وتبليجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد . وأن يفضى إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، وميض الابتسامات فى ظلام الصدور ، وأن ينشقك نسيم الرياح وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفقة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك فى لجج الفكر ليكشف لك عن معانٍ لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معانى الطبيعة والعقل وأشبهها بالحياة واتصالا بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعرا نقيّ المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن . وهو يختتم رؤية النقدي بأن حافظا إذا قيس بشكرى كالبركة الآجلة إلى جانب البحر العميق الزاخر .

وهى رؤية تؤكد ما قلناه فى بداية هذه السطور ، من أن شعر شكرى كان أصدق تمثيلا لفهوم الشعر الجديد والدعوة الجديدة التى تبنتها جماعة الديوان من شعر رفيقيه العقاد والمازنى . أما المازنى فقد أجاد وتفوق فى المقالة والقصة والرواية والترجمة ، وتراجع شعره إلى المحل الثانى فى تقدير عبقرية الأدبية والإبداعية . وأما العقاد فإن شعره - على كثرته - لم ينبج من تأثير معاركه القلمية ومواقفه السياسية - تأكيدا لزعامته وشخصيته القوية المسيطرة - فاتسم بعضه بالنبرة العالية والخطابية والمحفلية والاستجابة للمناسبات الخارجية - التى عابها على شوقى وأضرابه - وابتعد عن فورة الوجدان وأشواق النفس الإنسانية . وأية مقارنة عابرة بين عناوين قصائد شكرى والعقاد تكشف على الفور عن نوعية العالم الشعري عند شكرى وتفرد وخصوصيته . وهو الأمر الذى التفتت إلى جوهره الدكتورة / سهير القلماوى فى دراستها النقدية عن شكرى فى الكتاب الثالث من سلسلة « أعلام الأدب المعاصر فى مصر » التى تصدر عن مركز الدراسات العربية بالجامعة الأمريكية ، والتى كان يشرف عليها الدكتور / حمدي السكوت والدكتور / مارسدن جونز الأستاذان بالجامعة ثم انفرد بالإشراف عليها الدكتور / السكوت بعد رحيل الدكتور / جونز . فهى ترى « أن شعر الخيال والوجدان

شعر المدرسة الجديدة - كما مثله شكري - الذي أنزل العقل من على عرشه في إلهام الشعراء المعاني والأفكار ، شعر ليس له حدود . إنه خيال متحرر يرفض حدود الزمان والمكان ، كما يرفض أضعف سمات القصيدة التقليدية وهي الطول أو الاتصال والاستمرار ، حتى عندما تنتهي الفكرة أو يبرد الوجدان . إن مدرسة الخيال ، مدرسة رواد الرومانسية ، والرومانسيين أنفسهم ، يركزون على الوحدة العضوية أي على وحدة الموقف الانفعالي . ولذلك لابد أن تندمج الأبيات بعضها في البعض ، ومن ثم كانت وحدة القصيدة من أهم ما ضغطوا عليه شرطاً من شروط الشعر التجديدي الذي يدعون إليه ، وكان ألدع نقدهم ، وربما أكبر سلاح لهم ، هو نقد تفرق الأبيات في قصائد شوقي وحافظ وعدم المساس بقيمة القصيدة مهما خالفنا ترتيب الأبيات وغيرنا نظام تتابعها .

ثم تقول الدكتورة / سهير القلماوي في تحليلها لشعر الجماعة الجديدة - جماعة الديوان - : « هذه النقلة الضخمة من شعر العقل إلى شعر الخيال - وأهم روادها شاعرنا شكري - كانت تجتاز مرحلة المخاض ، وكانت ترتاد ميادين جديدة تبرز فيها الخيال بالفكر للتعبير عن الوجدان . إن الفكرة لابد لها من صدى في الوجدان ، وكل فكرة لها رد فعل في وجدان الشاعر . وإذا كان سهلاً أن نعدد الأوصاف وأن نتناول مفردات الواقع بالذكر والشرح والوصف فليس سهلاً أبداً أن نسبر غور هذا الوجدان للتعبير عن رد الفعل العاطفي الذي يمتزج فيه الخيال بالفكر والوجدان بالعقل . لهذا كثرت الأفكار وتناثرت الموضوعات التي لا يمكن أن يفى التشبيه بوصفها أو الإلمام بالأجزاء للتعبير عما أثارت في نفس الشاعر من خواطر وأحاسيس » .

وتترك الدكتورة / سهير القلماوي ببصيرتها النقدية وقدرتها على التذوق والتحليل أن شكري لم يقدم نظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره أي موضوع الشعر ، وهو أكثر موضوع شغل فكره ، والأمر كذلك في سائر الموضوعات التي وقف عندها في شعره . فقد تحدث عن الموت والحياة والحب والثورة والتغير والناس من حوله والمجتمع ككل ، وغير ذلك من موضوعات ، في أنحاء نواوينه المختلفة . وفي رأيها أننا لو جمعنا أقواله في الحب مثلاً فإننا لن نظفر بموقف موحد . هو في كل مرة في حال ، وفي كل مرة هو

أمين على وجدان ، لذلك فهو يعبر عنه بون مراجعة ما قال أو تخيل ما سيقول . إنه - فى رأيها - شاعر قلق فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا .

والمرء أن يتساءل بعد قراءة ما قالتة الدكتورة / سهير القلماوى : وهل كان شكرى مطالباً بنظرية متكاملة لطبيعته وطبيعة شعره ؟ ألا يتنافى هذا مع كونه شاعرا رومانسي الوجدان والنزوع ، قلقا - فى مرحلة تغيير مضطرب وأشد قلقا - كما تقول هى فى عباراتها السابقة ؟ لقد كان شكرى صادقا مع وجدانه ، واهتزازات نفسه وجيشان مشاعره ، بأكثر مما كان منضبط الوتر والاستجابة لنظرية ثابتة أو فكرة مستقرة أو وجهة نظر مكتملة . وكان قلقه عنوان حريته وتمرده ومغامرته الإبداعية ، وانتقاله من حال إلى حال ، ومن رؤية إلى رؤية ، ومن أفق إلى أفق بون قيد إلا قيد الشاعرية وفورة الوجدان .

وفى قصيدته « إلى المجهول » التى يضمها ديوانه الخامس « الخطرات » نجد نموذجا لعالم شكرى الشعرى ، وقصيدته ذات الأفق اللامحدود ، ونفسه الرومانسى المقترن بجدلية الحوار مع الذات والحياة والكون . وهو يقدم لقصيدته بسطور نثرية شاعرية ، يتحدث فيها عن الولوع بالمجهول وكيف أنه من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون ، وأن الشغف باستطلاعهم وكشفهم هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة فأخذ يبحث تلك المظاهر . وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسما ، وعلمه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأقلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه عن المجهول من أمور الحياة والكون .

ثم يقول شكرى :

يحوطنى منك بحر لست أعرفه
 أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
 ياليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى
 أخال أنى غريب وهو لى وطن
 أوليت لى خطوة تدحو مجاهله
 كأن روحى عود أنت تحكمه
 والروح كالكون لا تبدو أسافله
 وأكبر الظن أنى هلك أبدا
 ومهمه لست أدرى ما أقاصيه
 وحولى الكون لم تُدرك مجاليه
 لعلّ فسيه ضسياء الحق يسديه
 خاب الغريب الذى يرجو مقاصيه
 وتكشف الستر عن خافى مساعيه
 فابسط يديك وأطلق من أغانيه
 عند اللبيب ولا يبدو أعاليه
 شوقا إليك ، وقلبي فيه ما فيه !

هذا الانخلاع فى مواجهة المجهول ، وهذا الظمأ الحاد إلى الكشف والمعرفة والنفاذ
 إلى سرّ الأسرار ، ملمح رومانسى أصيل فى شعر شكرى ، الذى عندما نضعه فى إطار
 زمانه بدءاً من العقد الأول من عقود هذا القرن ، مقارنا بما كان يكتبه غيره من الشعراء ،
 وجدنا هوة شاسعة ، ومذاقاً مغايراً ، ونفساً شعرياً مختلفاً ، وقصيدة تضجّ بالخواطر
 الكبرى وتجيش بزلزال الوقت وبركان الشعور ، تاركة للآخرين أن يجربوا حظوظهم مع
 شعر المناسبات الخارجية والموضوعات التقليدية والتناول القاتر البارد .

يقول شكرى فى إحدى قصائده التى تتفجر منها روح التجديد والمغايرة :

أقلّب طرفى فى وجوه كثيرة
 وأبغى بديلا من هواك يتاح لى
 وكيف ! وعندى من خيالك حارس
 فيهمس فى أذنى ، ويسرى بخاطرى
 ويشغلنى عما سواه ، فإن أرد
 كأنى أسير وهو فى السجن
 وأكثر من تلحاضها وأطيل
 وهيئات ، مالى من هواك بديل !
 تجسّم حتى مايكاد يزول
 ويسمع ما أشدو به وأقول
 سلوا تصدّى دونه فيحول
 فما لى إلى طعم الخلاص سبيل

وأعجب من أمرى ، وكيف عشقتكم
وأرخصنى حُبِّيك من طول هجرة
فأبكى على نفسى ، وليس بنافعى
وأبكى على العزم الذى أنا ناشدُ
فيا جنة العشاق ظلك وارف
وكيف يفرُّ المرء من ظلِّ جسمه ؟

وقد كنت لا يقوى على غليلُ
فإن عزيز العاشقين ذليلُ
إذا تلفت نفسى لديك عويلُ
فعزى شريد فى هواك ضئيلُ
وإنى فى حرّ الغرام أقيـلُ
فطيفك لى ظلُّ لى ظليلُ

يبقى أمران لابدَّ من الإشارة إليهما ضمن أى حديث عن عبد الرحمن شكرى .

لقد نجح فى أن يضمن مقدمته لديوانه الخامس « الخطرات » ما يمكن أن يعتبر مشروع نظرية أو وجهة نظر فى الشعر ومذاهبه . ولقد اعتبرتھا الدكتور / سهير القلماوى أهم وثيقة فى شرح مذهب مدرسة الديوان ، وأقرب محاولة للخروج بنظرية جديدة ورأى جديد فى الشعر والشاعر وعملية الإبداع نفسها ، ولولا أنه لم يكتبها فى أسلوب علمى لخرجت فعلا نظرية متكاملة جديدة .

فى هذه المقدمة يهاجم شكرى الشعراء الذين يملأون شعرهم بالكلمات الغريبة ، حتى تجيز لهم ادعاء الغرابة ، كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهنا واطلاعا . وهو يرى أن العبارة المألوفة بالكلمات الغريبة قد تكون أخس أسلوبا وديباجة وأقل متانة من العبارة السهلة التى ليس بها غير المؤلف من الكلمات . فينبغى للشاعر المبتدئ أن يتطلب المتانة وألا يخلط بينها وبين الغرابة ، كى لا تضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها .

وبالرغم من هذه الدعوة الواضحة لتجنب الغريب فى الشعر ، فإن قارئ شعر شكرى تستوقفه مئات الكلمات الغريبة التى يولع شكرى بتكرارها مرة ومرة ، حتى فى القصيدة الواحدة . فهو يكثر من استخدام كلمة الوزيلة بمعنى المرأة ، والإقليد بمعنى ما يفتح به الباب ، واللاواء بمعنى الشدة ، والدقعاء بمعنى الأرض ، والعباديد بمعنى المتفرقة ، والمصمئات بمعنى المصائب والكوارث ، والضريك بمعنى الأحق أو الفقير ،

والشخصان بمعنى القوى الشجاع ، والرعبلة بمعنى الثوب البالى ، والخضرم بمعنى الكثير الواسع والسَّيراء بمعنى المخططة ، والثَّوباء بمعنى التثاؤب ، والعزْهاة بمعنى الزاهد ، والغطريف بمعنى الماجد السخى ، والضماء بمعنى الضمام ، إلى آخر هذه المفردات الشديدة الغرابة والحوشية ، وهى كما قلت كثيرة فى شعره ، بالرغم من قوله الصريح المعلن : « إن الشاعر الكبير يأتى بالأسلوب رائعا جليلا من غير تكلف للغريب ، أما المبتدئ فهو الذى يتكلف الغريب كى يخفى به ركاكة عبارته ، وكذلك الوزان يتكلف الغريب كى يخفى به جمود طبعه وقلة معانيه ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد ، وإنما الصعوبة فى الجمع بين المتانة والسهولة . »

الأمر الثانى هو تعرض عبدالرحمن شكرى لموضوع السرقة فى الشعر فى سياق حديثه عن دلائل هلاك الأمم ، وكيف أن من بينها نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذائهم فيها احتذاء لا روح فيه ولا قوة ولا نكاء ولا فطنة . ويتحدث شكرى عن النقل والأخذ والسرقة ويحثكم للقراء فى أن يميزوا ما يقال ، فالجهل لا يمنع من السرقة كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة ، وفى شعر شكرى - على امتداد نواوينه الثمانية - أبيات كثيرة تستحضر بصياغتها وتركيبها ومعناها أبياتا قديمة مشهورة على الفور ، ويعجب القارئ لهذا الاستدعاء الذى قد يحدث أحيانا بمعظم صورة الأبيات القديمة ، ويتساعل عن الهدف منه إذا كان شكرى واعيا به ، وهل هى رغبة فى المعارضة الشعرية أو الفكرية أو استنبات للبيت الشعرى فى تربة مختلفة وبيئة مغايرة ، أو هى ذاكرة شكرى تنساب من خلال إبداعه الشعرى نون أن يتنبه إلى أن هذه الأبيات ليست له وإنما هى لشعراء سابقين معروفين . وهو يلجأ فى مواضع أخرى إلى تضمن أبيات تراثية مشهورة بين ثنايا قصائده وكأنه يستشهد بها ويؤكد توجهها أو فكرة أو موقفاً ، من بينها :

فقل للشامتين بنا أفيقوا
وسمن بينهما :
أترثي للعبياد وأنت منهم
سيلقى الشامتون كما لقينا
من الرب الذى خلق العبيادا

وهو يذكرنا بقول مهيار الديلمي في الفخر بقومه الفرس :

عَمَّمُوا بِالشَّمْسِ هَامَاتَهُمْ وَبَنُوا أَيْيَاتَهُمْ بِالشَّهَبِ

ويقول :

فَلَيْسَتْكَ تَحْلُو وَالْحَوَادِثُ مَرَّةً وَلَيْسَتْكَ وَافٍ وَالْأَنَامُ غَوَادِرُ

وهو يذكرنا بقول أبي فراس الحمداني :

فَلَيْسَتْكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ وَلَيْتَ تَرْضَى وَالْأَنَامُ غَضَابُ

ويقول :

كَسَفَى بِنَفْسِي دَاءَ أَنْتَى رَجُلٍ أَخْشَى الْحَيَاةَ وَأَقْلَى سَطْوَةَ الْأَجَلِ

وهو يذكرنا بقول الشاعر القديم :

كَفَى بِجَسَمِي نَحُولًا أَنْتَى رَجُلٌ لَوْلَا مَخْطِئَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي

ويقول :

إِنَّا لَفِي زَمَنِ عَاشِ الْأَدِيبِ بِهِ عِيشَ الْخَبَالِ سَقِيمِ الْوَجْهِ وَالْحَالِ

وهو يذكرنا بالبیت المعروف :

إِنَّا لَفِي زَمَنِ تَرَكَ الْقَبِيحُ بِهِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ إِحْسَانُ وَإِفْضَالُ

ويقول :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ لُئَامًا فَلَمَّاذَا تَقَسَّرَ فِي الْأَجْسَادِ

وهو يذكرنا بقول المتنبي :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفْسُ كِبَارًا تَعَبْتُ فِي مَرَادِهَا الْأَجْسَامُ

ويقول شكرى :

لنّاس فى العيش من بدو وحاضرة طبع العقور وإما طبع معقور

فيذكرنا بيت أبى العلاء المعرى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وإن لم يشعروا خدماً

ويقول شكرى :

وإنى لتعرونى - إذا لحت - هزة
كما ارتعش المصروع حيناً وجمجماً

فيذكرنا بالبيت المشهور لأبى صخر الهذلى :

وإنى لتعرونى لذكراك هزة
كما انتفض العصفور بلّله القطر

أكتفى بهذه النماذج التى تشير إلى ظاهرة واضحة فى العديد من قصائد شكرى :

اتكاء دائم على الموروث الشعرى ، واستدعاء لأبيات مختارة من عيون قصائده ، تأكيداً لحضورها الحى ، ورغبة فى استعادة جمرها أو جلوتها داخل سياق الإبداع الشعرى الجديد ، أو لعله لون من الولع بامتطاء المألوف من التراكيب والتعابير رغبة فى الوصول إلى أفق شعرى جديد ولغة شعرية جديدة ؟؟

يبقى أن أشير إلى الجهد الكبير الذى يقوم به المجلس الأعلى للثقافة من أجل إعادة

نشر ديوان شكرى وتيسيره لقراء هذا الزمان ودارسيه ، من خلال طبعة جديدة تعنى بتحقيق القصائد ومراجعتها وضبطها ضبطاً محكماً ، بعد أن امتلأت الطبعة السابقة الصادرة عام ١٩٦٠ بأخطاء لا حصر لها ، لغوية وعروضية وإملائية ، فكان لابد من تصويب القديم وصولاً إلى صحة الجديد وسلامته ، من خلال جهد شاقٍ مضمّن ، تطلّب وقتاً وصبراً كبيرين .

لكن إعادة قراءة ديوان شكرى ، والتجول فى أبهاء عالمه الشعرى ومنعطفاته ، متعة
كفيلة بإزالة أى عناء ، والقضاء على أية شكوى ... وهى المتعة التى نرجوها لكل من يقبل
على قراءة شكرى الذى ظل طويلا مظلوماً حياً وميتاً ، وأن أوان إنصافه حتى يعتدل
الميزان ، فى النظر إلى شعراء جماعة الديوان .

تقديم

بقلم الأستاذ عبد العزيز مخيون

كان واجباً على ، ووفاءً لأستاذنا الشاعر الكبير ، المغفور له عبد الرحمن شكرى ، وتقديراً لفضله وعلمه وأدبه ، أن أتكفل بطبع ديوانه ، وتقديمه لأبناء هذا العهد الجديد الناهض ، ليتناولوه بالبحث والدرس .

وما أعز تلك الذكرى - ذكرى أيام الدراسة بالمدرسة العباسية الثانوية بالإسكندرية - وكنت بين تلاميذ هذا المربي العظيم ، يوم كان أستاذاً بتلك المدرسة ، كنا نلمس فيه العطف ، والرعاية ، والسماحة ، والتواضع ، والخلق الكريم .

ومع ما امتاز به من اطلاع واسع على شتى العلوم والآداب ، مع ما بلغه منذ شبابه الباكر من مجد أدبى ، وتقدير فى ميادين الشعر والنثر ، وحصوله على الدرجات العلمية العالية ، ما كان ليأنف أن يجلس معنا بعد انتهاء الدروس ساعات كل يوم ، ليزودنا بعلمه ومعرفته ، ويجيبنا على أسئلتنا التى نوجهها إليه فى كل علم وفن .

ثم فرق بيننا الدهر مدة طويلة ، إلى أن قرأت فى إحدى الصحف فى صيف ١٩٥٧ أنه مريض يسكن مع أبناء أخيه بسيدى بشر برملى الإسكندرية ، فذهبت لزيارته ومعى أخى - الأستاذ عبد الله مخيون المحامى ، وهو من تلاميذه أيضاً . كان ، رحمه الله ، يعانى يومذاك مرض الشلل ، وقد ساءت حاله ، وبدأ عليه الضعف والعجز عن المشى والكلام ، وفارقناه فى ذلك اليوم والألم يعتصر قلوبنا ، وتركنا له عنواننا ورجونا أن يتصل بنا متى شاء .

وراحت الصحف قبيل وفاته تكتب عنه وعن مرضه واعتكافه ، فأبدي الأستاذ الكبير السيد / ثروت عكاشة - وزير الثقافة والإرشاد - اهتماماً بالغاً بصحة الفقيد وأثارة ، وقرر أن ترعاه الدولة بالعناية والعلاج . غير أن القدر كان السابق ، وانتقل أستاذنا إلى رحمة الله فى ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ .

واليوم إذ تغمرنى السعادة لما وفقنى الله لإحياء ذكرى هذا الرائد العظيم ، بطبع ديوانه الجليل ، تخليداً لذكراه واعترافاً بفضله ، لا يفوتنى أن أسجل عميق شكرى لصديقى الكاتب الكبير الأستاذ نقولا يوسف - ناظر مدرسة أبو حمص الإعدادية بوزارة التربية سابقاً - على ما قام به من جمع هذا الديوان وتصحيحه ، والإشراف على طبعه وتحقيقه ، وهو عمل شاق دقيق ، نهض به هذا الرجل الوفى لأستاذه على أكمل وجه مستطاع ، وللأستاذ الأديب محمد رجب البيومى ، المدرس بمدرسة المنصورة الثانوية ، على معاونته فى البحث عن القصائد المتفرقة فى الصحف والمجلات ، جزاهما الله خير الجزاء على هذا التطوع المشكور .

والله نسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير الأمة العربية فى ظل ورعاية رئيسنا الظافر ، وقائد نهضتنا المباركة ، جمال عبد الناصر ، وفقه الله ونصره .

الإسكندرية فى ٢٢ يوليه ١٩٦٠

عبد الرحمن شكرى

حياته وآثاره

بقلم : نقولا يوسف

ولد الشاعر عبد الرحمن شكرى بمدينة بورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وتوفى بالإسكندرية فى ١٥ من ديسمبر ١٩٥٨ . وبين هذين المكانين ، وبين هذين الزمنين ، تدور قصة حياته التى دامت اثنين وسبعين عاماً .

وكان أسلافه من عرب المغرب ، نزحوا منذ جيلين إلى وادى النيل ، واندمجوا فى فلاحيه ، وأصبحوا منهم ، وإلى هذه العروبة الأصيلة والموروثة ، يعزى ما عرف عنه من رصانة الأسلوب ، وبلاغة اللفظ ، والصراحة ، والأنفة ، وحب الحرية .

فقد جاءت أسرة « عياد » المغربية إلى أطراف بنى سويف المتاخمة للصحراء ، واستوطنتها ، واختلطت بالفلاحين ، وزرعت النخيل ، وأصبح حسن عياد بن حسن عياد عربياً مصرياً ، ورزق غلاماً سماه أحمد شكرى عياد ، وألحقه بالمدارس وتعلم الفرنسية ، فلما شب ، وظف فى « الضبطية » بالإسكندرية ، ثم صار رئيساً بقلم المرور بالميناء ، ثم تزوج ابنة السيد / محمد المغربى ، وقد عمرت هذه السيدة طويلاً ، وكانت مولعة بالحكايات والأساطير ، تقصها على أحفادها الأطفال ، ومنهم شاعرنا ، فتثير خيالهم وشاعريتهم .

وكان نجله محمد شكرى عياد - والد الشاعر - يحتذى أباه ، فلما كبر التحق بوظيفة فى « الضبطية » أيضاً ، ثم تزوج من ابنة سعد المغربى ، ورأس أسرة مغربية ، كان مهندساً وأثرياً وأسرف ، وخلف نسلأ كثيراً تشّتت واندثر .

وبينما كان محمد شكرى عياد مستقراً فى وظيفته بالضبطية فى عهد الخديو توفيق بدأت الحوادث التى أدت إلى الثورة العربية . كانت الأحداث تجرى سراعاً ؛ فالجيش والشعب فى جانب ، والخديو وأعوانه من الجراكسة وعمال الاستعمار فى جانب آخر .

ويتظاهر الجيش فى ٩ سبتمبر ١٨٨١ أمام عابدين مقدماً مطالبه القومية ، ويضرب الأسطول الإنجليزى الإسكندرية فى ١١ يولية ١٨٨٢ ، ثم تحدث موقعة القل الكبير ، ويحتل الجيش الإنجليزى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ، ويسلم عربى نفسه ، ويحاكم ، ويقبض الإنجليز على زعماء الثورة وعلى الكثيرين من أبناء الشعب .

ويلقى القبض على محمد شكرى عياد - والد الشاعر - متهماً بمناصرة العربيين ، وبصداقته لفريق منهم ، وخاصة لعبد الله النديم - خطيب الثورة - ويحكم عليه بالسجن ، ويظل فى الحبس زمناً ؛ ولما كان أبوه يُدرّس اللغة الفرنسية لبعض الكبراء فقد استشفع لابنه المعتقل حتى أطلق سراحه ، ولكنه ظل متعطلاً يطارده غضب المحتلين ، وما زال أبوه يواليه بشفاعته حتى عين معاوناً للإدارة بمحافظة بورسعيد .

ونجم عن هذا السجن وهذا التعطل ، وعما كابده من الضيق والإرهاق ، أن مات بعض أبنائه ، ثم ولد له أبناء غير أشداء العود ، منهم الشاعر عبد الرحمن شكرى الذى ولد ببورسعيد فى ١٢ من أكتوبر عام ١٨٨٦ ، وقد أسقط منه لقب « عياد » عندما التحق بالمدارس .

ويحدثنا الشاعر عن طريقة تلقيه العلم فى ذلك العهد . ففى المدرسة الابتدائية كان الشيخ مصطفى يعلم تلاميذه الإعراب قبل تعلم النحو والصرف ، ويعلمهم النحو والصرف عن طريق الإعراب . وكان الشيخ مصطفى شاعراً يجيد حفظ الشعر ، ويلقى على التلميذ بيتاً فى الغزل ، ثم يطلب منه إعرابه ويساعده ، فإذا نسى التلميذ أوسها عما يلحن ، ضربه بالعصا ضرباً مبرحاً . فكان تلاميذه - ومنهم شاعرنا - يحفظون الشعر ، وكذلك الإعراب والنحو والصرف ، هكذا بالعصا .

وفى مكتبة أبيه وجد الصبى عبد الرحمن ، بعض دواوين الشعر ومنها : ديوان ابن الفارض ، وديوان البهاء زهير ، وهما من أوائل الدواوين التى درسها ، ثم ديوان

المتنبى ، وكتاب « الوسيلة الأدبية » التى اختار فيها الشيخ المرصفى شيئاً من شعر العرب ، وبعض قصائد محمود سامى البارودى . ومن هنا قرأ شكرى شعر البارودى ووصله بشعراء العرب كالشريف الرضى ، وأبى تمام ، وأبى نواس ، وغيرهم .

وكان السيد عبد الله النديم - الشاعر والصحفى وخطيب الثورة العراقية - يزور والد الشاعر فى بيته وينزل فى ضيافته ، وكانت الحكومة الخديوية تناوئه وتطارده . وكان الصبى يستمع إلى ما يدور من حديث ويعيه . ويقول شكرى : « إنه كان يرى النديم دائماً فى حيرة وقلق ، ولكنه كان ينظر بعين الصقر أو النسر . فكان كالصقر الحائر . وكان هذا بيناً ظاهراً حتى للغلام ، فلا بد أن همومه كانت كثيرة » . وكان الشاعر صبياً فى العاشرة حين بلغه موت النديم عام ١٨٩٦ .

قضى الشاعر أيام صباه ببورسعيد مع أبيه حتى عام ١٩٠٠ ، وكان فى الرابعة عشرة من العمر حين حصل على الشهادة الابتدائية عامذاك .. وعلى شاطئ البحر فى مسقط رأسه ، كان يلهو ويمرح ويقراً .. وتراه فى كتابه « الاعترافات » - الذى طبعه فى شبابه عام ١٩١٦ - يعود فى بعض فصوله إلى أيام الطفولة والصبا : فيتحدث عنها بأسلوب فلسفى ساحر .

ينتقل الشاعر إلى الإسكندرية ليلتحق بمدرسة رأس التين الثانوية المطلة على الميناء ، وعلى شاطئ البحر كان يطوف مع الشعراء فى دواوينهم ، ويتمرس بنظم الشعر ، وظل بهذه المدرسة السنوات الأربع المقررة ، ثم نال الشهادة الثانوية (البكالوريا) فى شهر مايو ١٩٠٤ - وترك مدرسة رأس التين ليعود إليها بعد ثمانى سنوات مدرساً .

ثم ارتحل الشاعر إلى القاهرة ، والتحق « بمدرسة الحقوق » ، وظل بها عامين (١٩٠٤ - ١٩٠٦) ، وكانت الحركة الوطنية التى تزعمها مصطفى كامل فى أشدها . فاندمج فيها الشاعر ، وحدث أن نظم شكرى قصيدة وطنية مطلعها :

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً . من الذل لا يفضى بنا الذل للعار

(وهى القصيدة التى نشر بعض أبياتها بالجزء الأول من ديوانه بعنوان « الثبات » بعد أن صادرتها السلطات) .. وألقاها بحديقة الأزبكية على الجماهير زميل الشاعر بمدرسة الحقوق عبد الحميد بدوى - (القاضى فيما بعد بمحكمة العدل الدولية بلاهاى) - واتصل الخبر برجال الاحتلال ، فاتهموا الشاعر بالتحريض على الثورة ، وفصلوه من مدرسة الحقوق .

وعند ذلك قابل الشاعر الزعيم مصطفى كامل ، وطلب أن يشتغل محرراً بجريدة اللواء ليدفع بقلمه عن حقوق البلاد ، ولكن الزعيم رأى أن يتابع دراسته العالية أولاً بمدرسة أخرى ، ثم يعمل بعد ذلك ، إذا شاء فى ميدان الصحافة . وقال له إن البلاد فى حاجة إلى المثقفين ثقافة عالية ؛ فعمل الشاعر بنصيحته ، والتحق بمدرسة المعلمين العليا بالقاهرة ، وظل بها من عام ١٩٠٦ إلى ١٩٠٩ حين حاز دبلومها بتفوق .

وقد وجد الشاعر بمدرسة المعلمين مجالا لإشباع ميوله الأدبية ، إذ كانت تدرس بها الآداب العربية والإنجليزية والفرنسية ، إلى جانب المواد الأخرى : كالتاريخ والتربية وعلم النفس وغيرها ، كما كان يدرس بها كتاب « الذخيرة الذهبية » وهو مجموعة مختارة من أحسن الشعر الإنجليزى ، فوجد فيه شاعرا ألواناً جديدة من الشعر ، ودفعه ذلك إلى قراءة شكسبير وبيرون وشلى وكيثس وتنيسون ووردسورث وغيرهم .

كان فى أثناء دراسته بمدرسة المعلمين قد عاد إلى كتاب الأغاني ، وحماسة أبى تمام ، وديوان الشريف الرضى ، وغيرهم . ووجد فيها كثيراً من شعر الزخرف والاستعارات والتشبيهات ، والشعر الوجدانى ، فتأثر بهذا كله ، وظهر هذا الأثر فى نواوينه الباكرة ؛ فكان فى أول الأمر - كما يقول - ينظر إلى الشعر كأدب ترف وزخرف وتشبيهات ، ثم راح ينظر إليه كأدب وجدان وإيمان - « فن إيمان فى الموضوع الوطنى ، وفن إيمان ووجدان فى العقيدة والنسب » . وقلّت فى شعره بعد ذلك الزخارف والاستعارات القديمة ، وامتزجت فيه الرومانسية بالواقعية .

كما كان فى تلك الفترة ينظم القصائد ، ويكتب المقالات ، وينشرها فى صحف ذلك العهد ، ومن ذلك مراثيه فى مصطفى كامل وقاسم أمين (حين انتقلا إلى رحمة الله عام ١٩٠٨) والشيخ محمد عبده (١٩٠٥) - وقصائد : فى سبيل الجامعة ، والثبات ، وغيرها .

وقبل أن تنصرم هذه الأعوام الثلاثة بمدرسة المعلمين ، كان الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » فى أيدي القراء . ظهر عام ١٩٠٩ ، وكان الشاعر فى الثالثة والعشرين ، يقف على عتبة الحياة ، ولم يقتحم بعد ساحات مشاكلها ومتاهات تجاربيها ، ومع ذلك فإن روح الشاعر المجدد ، الذى سطع فى تلك الباكورة ، كان باهراً ؛ فانبرى

المازنى يقرظه فى الصحف ، وأرسل الشاعر حافظ إبراهيم إلى شكرى يقول :

أفى العشرين تعجز كل طوق وترقصنا بإحكام القوافى ؟

شهدت بأن شعرك لا يجارى وزكيت الشهادة باعترافى !

لقد بايعت قبل الناس شكرى فمن هذا يكابر بالخلاف ؟

وبمدرسة المعلمين توطدت الصلة بين شكرى وإبراهيم عبد القادر المازنى ، فقد كان كلاهما شغوفاً بالشعر ونظمه . ويحدثنا المازنى عن تلك الصلة فى مقالة نشرها بجريدة السياسة فى ٥ أبريل ١٩٣٠ ، ومما قال :

« .. كنا يومئذ طالبين فى مدرسة المعلمين العليا . وكانت صلتى به وثيقة . وكان كل منا يخطط صاحبه بنفسه . ولكنى لم أكن يومئذ إلا مبتدئاً ، على حين كان هو قد انتهى إلى مذهب معين فى الأدب ورأى حاسم فيما ينبغى أن يكون عليه ، ومن اللؤم الذى أتجافى بنفسى عنه ، أن أنكر أنه أول من أخذ بيدي ، وسدد خطاى ، ودلنى على الحجة الواضحة . وأئننى لولا عونه المستمر لكان الأرجح أن أظل أخطب أعواماً أخرى ، ولكان من المحتمل جداً أن أضل طريق الهدى ...) وعاد المازنى - رحمه الله - يتحدث مرة أخرى عن هذه الذكريات (فى مقالة له بجريدة « أخبار اليوم » ٢٥ - ١٠ - ١٩٤٧) أى قبل وفاته بعامين) :

« ... وشاعت الأقدار - أو المصادفة - أيضاً أن أشتغل بالأدب لا بالطب ولا بالقانون ، فقد كان من زملائي في مدرسة المعلمين : الأستاذ عبد الرحمن شكرى وكان كاتباً شاعراً ، واسع الاطلاع على الأدب العربى ، والآداب الغربية ، وقد أخرج أول جزء من ديوان شعره ، وهو فى السنة الأولى بمدرسة المعلمين ؛ فكانت له ضجة . وكان هذا الديوان - كما كانت يوميات الأستاذ العقاد - بداية اقتحام المذهب الجديد فى الأدب للميدان ، وفاتحة الصراع بينه وبين المذهب القديم - مذهب شوقى وحافظ وأضرابهما - وتوثقت الصلة بينى وبين شكرى ، فصار أستاذاً وهو زميلى . وكان لى قدر يسير من الاطلاع على الأدب العربى ، ولكنه كان ينقصنى التوجيه . فتولاه شكرى فعكفت على الدرس . ومن الإنصاف أن أقول إن أساتذتنا فى اللغة الإنجليزية وآدابها كانوا رجالاً مخلصين أكفاء ، فأحسنوا توجيهنا وتشجيعنا . وبفضل شكرى عرفت عبد المجيد بنوى (باشا الآن) والسباعى رحمه الله . ثم عرفت العقاد من طريق آخر ، وعرفته بشكرى . فصرنا « ثالثاً » العقاد وشكرى والعبد لله . هكذا صرت أديباً وقررت أن أكون شاعراً وناقداً ... » .

وما أن تخرج شكرى من مدرسة المعلمين عام ١٩٠٩ حتى أرسل ، لتفوقه ، فى بعثة إلى جامعة شيفيلد بإنجلترا . وهناك مكث ثلاث سنوات (١٩٠٩ - ١٩١٢) قضاها فى الدرس والتحصيل ، والاطلاع والتثقف . ودرس فى الجامعة : التاريخ القديم والحديث ، والتاريخ الدستورى ، والعلوم السياسية والاقتصادية ، والجغرافيا ، والأدب الإنجليزى . وفى نهاية الأعوام الثلاثة حاز من جامعة شيفيلد درجة B . A . فى الآداب ، وذلك فى ٣١ أكتوبر ١٩١٢ .

وكانت هذه الإقامة بإنجلترا ، وزيارته لبعض أقطار أخرى ، ما وسع آفاق ثقافته وتجاربه ، وما أوحى إليه بقصائد ذات صور جديدة ، ومن ذلك قصائد عن الغابة ، والبحر ، والجبل ، والشلال ، والشتاء فى إنجلترا ... وفى ليالى الشتاء الطويلة كان ينكب على مطالعة المئات من الكتب الإنجليزية والمترجمة إليها ، وخاصة فى التاريخ والقصص والأدب وبواوين الشعر .. « وتذكى نار المواقد فى البيوت ، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية فى جنة الربيع ، وتذكى نار المواقد وجنات الوجوه ، فكأن فى

المواقد جمرأً وفي الوجوه جمرأ . وتبحث في القلوب فتري نار الحياة وشرتها ، وتري
الحب والآمال لم يغض منها برد الشتاء وتلجج « ، ولكنه يعود بخياله إلى وطنه ، ويحن
إلى سمائه وشمسه ونيله ، وينظم « حنين غريب » و « شاعر في الغربة » :

أنشقوني نسائم النيل إنى لعليل والنيل حاجة نفسى !

وتتقضى أعوام الغربة ، ويعود الغريب إلى وطنه ، وفي قلبه آمال عراض : فلسوف
يعلم ويكتب وينظم ، ولن يلقي القلم حتى يتحقق لبلاده ما تصبو إليه من حرية ورفعة ،
وتربية صحيحة .

وعاد من إنجلترا في خريف عام ١٩١٢ ، وكان في السادسة والعشرين ، واستقبله صديقه
المازنى لدى وصوله بقصيدة يقول فيها : - (ديوان المازنى ج١ - استقبال صديق) :

قد قل من يصدق الوداد فما	أحس من ودهم سوى كذبه
أما فتى صادق الهوى كأخى	« شكرى » يرد الزمان عن نويه
أوثق من تصطفى وأكرم من	تأخذ من عقله ومن أدبه

وعين الشاعر في ذلك العام مدرساً للتاريخ واللغة الإنجليزية بمدرسة رأس التين
بالإسكندرية ، وبدأ يومذاك جهاده التربوى الذى دام نحو ربع قرن .

ولم يمض عام على عودته هذه إلى وطنه ، حتى ظهر الجزء الثانى من ديوانه (عام
١٩١٣) مصدراً بمقدمة للأستاذ العقاد يقول فيها عن شعر شكرى إنه « ينبسط
انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون .. » « فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء
الثانى من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ، قد سمح بها
قلم سخي وقريحة خصبة .. » وفى هذا الجزء الثانى نرى نماذج من الشعر المرسل ومن
الرباعيات والمطولات فى شتى المعانى والصور ، وما برح الشاعر الشاب يوقع أناشيده
إلى الليل والفجر والطير والزهر ، ولكن هذا كله لا ينسيه وطنه الراسف فى

أغلال الاحتلال والجمود والرجعية ، فتتوالى قصائده : « حياة الأمم أو التجدد والتغير » و « الحياة والعبادة » و « الحياة والعمل » و « الحرية » و « الحجاب » و « الإيمان بالحياة » و « نحن إخوة » و « مصر مهد العلوم » و « الشام في عصر الاستبداد » .. منادياً بالنهوض ، والعمل ، والتحرر من الخرافات ، والسير في موكب الحضار والعلم ، نحو الحرية والاستقلال والمجد .

وفي خلال عام ١٩١٤ أخذ المازني ينشر في جريدة « عكاظ » الأسبوعية ، نقداً لشعر حافظ إبراهيم ، ويعقد الموازنة بين شاعرية شكري وشاعرية حافظ . ويقول :

« لا نجد أبلغ في إظهار فضل شكري والدلالة عليه ، وبيان ما للمذهب الجديد على القديم من المزية والحسن ، من الموازنة بين شاعر مطبوع مثل شكري ، وآخر ممن ينظمون بالصنعة مثل حافظ إبراهيم . فإن الله لم يخلق اثنين هما أشد تناقضاً في المذهب وتبايناً في المنزع ، من هذين . والضد - كما قيل - يظهر حسن الضد » .

وبعد أن ينقد شعر حافظ يعود إلى شكري فيقول :

« أما شكري فشاعر لا يصعد طريقه إلى أرفع من آمال النفس البشرية ، ولا يصوبه إلى أعماق من قلبها . ذلك دأبه ووكده . وهو لا يبالغ كحافظ في تحبير شعره وتديبجه ، بل حسبه من الوشى والتطريز أن يسمعك صوت تدفق الدماء من جراح الفؤاد ، وأن يفضي إليك بنجوى القلوب والضمائر ، وأن يريك عيون الندى على خدود الزهر ، وافترار ضوء القمر على مكفهر القبور ، وميض الابتسامات في ظلام الصدور ، وأن ينفشك نسيم الرياح وأنفاس السحر ، وأن يشعرك هزة الحنين ودفعة اليأس والأمل ، وأن يغوص بك في لجج الفكر ليكشف لك عن معان لا يدركها التعبير ، ويتناول أبسط معاني الطبيعة والعقل ، وأشدّها ارتباطاً بالحياة واتصالاً بالنفس ، ثم يصوغ لك منها شعراً نقي المستشف ، كثير الماء ، جم المحاسن .. » .

ويختتم المازنى موازنته بين الشعاعين بقوله : إن حافظاً إذا قيس إلى شكرى
لكالبركة الآجلة إلى جانب البحر العميق الزاخر .

وفى عام ١٩١٤ أعاد شكرى طبع الجزء الأول من ديوانه لنفاد طبعته . وفى ١٩١٥
طبع الجزء الثالث ، وكان قد سطع نجمه فى أفق الأدب ، وسعى الأبناء إلى مجالسه ،
وسجل بعضهم فيما بعد شيئاً من ذكريات تلك المجالس . ويقص الأستاذ العقاد بعضاً
من تلك الذكريات (وذلك فى مقالته بمجلة « الهلال » ١٩٥٩/٢/١) - فيقول :

« .. عرفت عبد الرحمن شكرى قبل خمس وأربعين سنة ، فلم أعرف قبله ولا بعده
أحداً من شعرائنا وكتابنا أوسع منه اطلاعاً على أدب اللغة العربية وأدب اللغة
الإنجليزية ، وما يترجم إليها من اللغات الأخرى . ولا أذكر أنتى حديثه عن كتاب قرأته
إلا وجدت منه علماً به وإحاطة بخير ما فيه . وكان يحدثنا أحياناً عن كتب لم نقرأها ولم
نلتفت إليها ، ولا سيما كتب القصة والتاريخ . وقد كان مع سعة اطلاعه صادق الملاحظة ،
نافذ الفطنة ، حسن التخيل ، سريع التمييز بين ألوان الكلام . فلا جرم أن تهيأت له ملكة
النقد على أوفاهها ؛ لأنه يطلع على الكثير ويميز منه ما يستحسنه وما ياباه ، فلا يكلفه نقد
الأدب غير نظرة فى الصفحة والصفحات يلقي بعدها الكتاب وقد وزنه وزناً لا يتأتى لغيره
فى الجلسات الطوال ! » .

ويقول :

« .. ولم يسبقه أحد ، فيما أذكر ، إلى تطبيق البلاغة النفسية - السيكولوجية -
المستمدة من أدب الغرب ، على ما يقرؤه من شعر الفحول فى اللغة العربية . ولعله أول
من كتب فى لغتنا عن الفرق بين تصوير الخيال وتصوير الوهم . وهما ملتبسان حتى فى
موزاين بعض النقاد الغربيين .. » .

ويقول : « ولم يكن أمتع من الاستماع إلى شكرى وهو يقرأ القصيدة العربية أو
الأوربية ، ويلقى عليها بيتاً بيتاً . أمثال هذه التعليقات ، وما كتبه من النقد فى مؤلفاته
قطرة من بحر تلك الآراء النفسية التى كان يرسلها عفو الساعة - ولا يعنى بتقييدها » .

ثم يقول الأستاذ العقاد فى مقالة أخرى نشرها بمجلة « الشهر » (عدد مارس ١٩٥٩) :

« .. إن ما قاله شكرى لصحبه وتلاميذه فى توضيح رأيه لأضعاف ما كتبه أو نشره فى دعوته الأدبية ؛ لأنه كان مطبوعا على التعقيب الجامع الناقد على مطالعته ومطالعات غيره . يتناول الديوان أو الكتاب أو المقال ، فيجلى فيه بصره لحظة بعد لحظة ، ثم يلقيه وقد فرغ من وزنه وتقديره كما يفرغ الصيرفى البصير من تقويم الجوهرة بعد لمحة من بصره ، ولمسة من يديه . فإذا اطلع سامعه بعد ذلك على الكتابة ، وعاود الاطلاع عليه مرة بعد مرة ، لم يكن ينتهى فيه إلى رأى أصدق من ذلك الرأى الذى فاه به شكرى فى جلسة واحدة ، وخيل إلى سامعه أنه من آراء البديهة والارتجال ، وإنما هو فى الواقع رأى الأناة المحفوظة لساعتها ، يظهر مع المناسبة الحاضرة كلما تحركت بواعيه .. » .

ويتحدث الأستاذ على أدهم (وكان من تلاميذ الشاعر بمدرسة رأس التين الثانوية فيما بين عامى ١٩١٣ - ١٩١٤) عن زكريات تلك الأيام - وذلك فى مقالة نشرها « بالمجلة » فى فبراير ١٩٥٩ :

« .. وكان الأستاذ شكرى ، فى مجالسه الخاصة ، محدثاً لبقاً ، شائق الحديث ، واسع المعرفة ، نافذ النظرات . وكان يزيد حديثه متعة أنه كان دائم الاطلاع ، سريع القراءة ، قوى الاستيعاب ، حسن الهضم لما يقرأ . وكان له على جميع ما يقرأ تعليقات رائعة ، وتعقيبات نافعة ، وإذا اطمأن إلى جليسه واستراح له ، مضى ينثر ذخائر معرفته ، ونفائس علمه فى تواضع محبب ، وسخاء جميل . وإن أنس من الأشياء فإننى لا أنسى تلك المجالس الرائعة التى كان ينظم شملنا فيها الود الصادق ، والتقدير المتسامى فوق الأغراض الدنيوية والمآرب الأرضية .. » .

* * *

كانت الفترة بين عامى ١٩١٣ و ١٩١٩ فترة خصيبة فى إنتاج الشاعر . وفى ١٩١٣ ظهر الجزء الثانى من ديوانه . وفى ١٩١٥ ظهر الجزء الثالث . وفى ١٩١٦ طبع له كل من

الجزء الرابع ، والجزء الخامس من الديوان ، كما نشر له ثلاثة كتب نثرية : « الثمرات » و « حديث إبليس » و « الاعترافات » - (وقد نشر أكثر فصول الكتاب الأخير فى (الجريدة) بين عامى ١٩٠٩ و ١٩١٣ . وفى ١٩١٨ ظهر كل من الجزء السادس من الديوان ، وكتاب « الصحائف » . وفى ١٩١٩ ظهر الجزء السابع ، وقصة « الحلاق المجنون » وهى قصة سيكولوجية نشرها بتوقيع ع . ش .

وفى تلك الفترة فيما بين ١٩١٨ - ١٩٢٠ بدأ تعرفى بعبد الرحمن شكرى ، كان ذلك فى يوم من أكتوبر ١٩١٨ - وكنت بين تلاميذ مدرسة رأس التين الثانوية بالإسكندرية ، كنا صبية صغاراً نستهل العام الدراسى الجديد جلوساً فى الفصل المطل على ميناء الإسكندرية ؛ حيث كان الشاعر يجلس مثلنا منذ أربعة عشر عاماً ، وكنا ننتظر أستاذنا فى حصته الأولى ذلك العام . وكان بعضنا قد سمع به وعرفه ، والبعض الآخر لم يره بعد ، حين دلف إلى الغرفة ، بخطا ثابتة بطيئة ، شاب نيف على الثلاثين ، متوسط القامة ، ممتلئ الجسم ، مع ميل إلى القصر وإلى السمرة ، وقور ، عصبى المزاج قليلاً ، حسن البرزة فى غير تأثق ، نو شارب أسود صغير ، وعلى عينيه الواسعتين النافذتين منظر سميك مستدير ، وفى يده كتب ودفاتر وأضابير ؛ فحيناه وقوفاً كالعادة ، ثم جلسنا ، وراح البعض يهمس : عبد الرحمن شكرى الشاعر الكبير ! .

ولم تمض الدروس الأولى حينذاك - وكان يدرس لنا التاريخ واللغة الإنجليزية - حتى ثبت لدينا أنه رجل جد وعمل ، يميل إلى الهدوء والنظام ، واسع الاطلاع ، غزير المادة ، مثقل بالتجارب والذكريات ، متمكن من اللغتين العربية والإنجليزية على وجه خاص ؛ هذا إلى أنه شاب رصين، قوى الشخصية ، عطوف ، طيب القلب ، مهذب اللفظ ، لا تخرج من فمه كلمة نابية أو لفظة جارحة .. فإذا ما انتهى الدرس رحب بأية مسألة يعرضها عليه تلاميذه ، وناقشهم فيها بصدر رحب ، لا يطعن فى أديب أو غير أديب ، أو صحبهم إلى مكتبة المدرسة ليحبب إليهم المطالعة والبحث .

لم تقنع بهذه الصورة الجملة ، وقد علمنا أنه شاعر وكاتب وناقد .. له خارج النطاق المدرسى جولات وصولات ، فرحنا ننقب عن آثاره المطبوعة فى مكاتب الأنفوشى ورأس

التين ، وهناك عثرنا على ما نشر له حتى ذلك العهد من كتب وداوين ، وكانت لحسن الحظ ، رخيصة الثمن ، ووجدنا فيها من الأدب والأفكار والإنشاء ما لم نعهده في جل ما لدينا من كتب ومطبوعات .

كانت أيام العام الدراسي تمر على هذا المنوال ، وإذا بثورة عام ١٩١٩ تشب فتضطرب معها الدراسة ، ويخرج التلاميذ إلى المظاهرات ، وتغلق المدراس ويتشتت الشمل ، ثم نعود لنرى أستاذنا فترة أخرى ، ثم نقلت إلى مدرسة أخرى بالقاهرة ، ولم أعد أرى شاعرنا إلا لماما ، وشاعت الظروف أن ألتحق مثله بمدرسة المعلمين العليا ، وأتلقى ما تلقاه هناك من علوم ، ثم أشتغل معلما مثله ، فكانت تجمعنا فيما بعد وفي بلاد شتى ، لجان الامتحان حين كان يعهد إليه أحيانا برئاستها ، فأراه لم يتبدل .. الرجل الفاضل ، المحب للهوى والعمل والنظام ، ثم الاعتكاف في صومعته ليلاً ليقرأ الكتاب تلو الكتاب .

كان يقف بيننا في خلال ثورة ١٩١٩ والدنيا تغلى وتفور .. صامتاً متأملاً حزينا ، والشرر يتطاير خلال منظاره السميكة ، كانت عيناه تهتفان معنا .. وقصائده الوطنية الصارخة تتحرك أمامنا في دواوينه وتلتهب .. ها هم تلاميذه يفصلون ، ويعتقلون في السجن ، ويضربون في الشوارع بالرصاص ، كما اعتقل والده وسجن من قبل في الثورة العرابية وتعطل .. وكما فصل هو من المدرسة في عهد مصطفى كامل وتشرد . وما هو يواجه ثورة ثالثة في حياته .. أما كان ينبغي أن تحرر بلاده منذ زمن بعيد ؟ ويروح ليتابع جهاده بالقلم نظماً ونثراً ، ولكن الصحف تعطل أيضاً ، والأقلام تشرد ، والسجون تبتلع الجميع .

كانت الفترة منذ عام ١٨٨٠ فترة ثورية متصلة . يناضل فيها الشعب في معركة دائمة متأرجحا بين النصر والهزيمة . وكانت الطبقة المتوسطة بالبلاد ، قد جمعت تحت شعاراتها التقدمية كل الطبقات الصاعدة . فمما لا شك فيه أن التحرر الوطني ، وإلغاء الامتيازات الإقطاعية ، وتسليم المصريين دفة الحكم ، كانت مطالب ضرورية للطبقة المتوسطة في تلك المرحلة من تاريخها ، ضرورتها لسواها من الطبقات الجديدة ، وإن لم

تكن أشد ضرورة . ولكن لم يقدر لتلك الثورة أن تنجح لأسباب تاريخية . فوجود عامل طفيلي كالاستعمارية العالمية ، كان عائقاً للتطور الطبيعي في مصر . كما أن الطبقة الجديدة نفسها كانت ما تزال أضعف من أن تقود كل هذه الجماهير وتنظمها في معركتها مع الإقطاع الراسخ وحليفه الاستعمار ، وكانت - إذن - أول هزيمة للطبقة المتوسطة المصرية أفضت إلى تحالف دائم بين الاستعمار والإقطاع ؛ ولذلك كان رد الفعل تنكيلاً بكل من كانت له بالثورة أدنى صلة نفيًا أو قتلاً أو سجنًا أو تشريدًا .

وقد رأينا ما أصاب أسرة عبد الرحمن شكرى من أهوال نتيجة لفصل والده من عمله لاشتراكه في الثورة ، ولاعتقاله ، وكيف مات بعض أبنائه من الضيق والإرهاق ، وكيف شب البعض الآخر - والشاعر منهم - غير أشداء العود ، وكيف كان يرى عبد الله النديم كالصقر الحائر تثقله الهموم .. في هذا الجو ولد شاعرنا وسط الهزيمة والفشل والقرود ، عقب ضرب الإسكندرية وهزيمة العربيين ، وشاهد بعينه قادة الثورة أنفسهم يعانون المرارة ويحملون الهم ، ووعى ما وعى من تشرد والده وسجنه ، فكانت صدمة لم تغب عن ذاكرته .

وشب عبد الرحمن شكرى وترعرع في فترة الجزر الثورى التى اقترنت بالاحتلال البريطانى ولورد كرومر وما سمي بسياسة الوفاق . ثم فتح عينيه فجأة على شئ جديد غريب : محاولات لشراء الطبقة المتوسطة نفسها ، وهى التى كان يحمل لها شكرى حتى ذلك الوقت كل احترام ، والتى كانت تتمثل فى عرابى والنديم والبارودى ووالده ، وكل الذين أسهموا فى ثورتها تلك . وهنا بدأت خيانات الأصدقاء وترددهم ، ولأسباب تاريخية جديدة راحت البرجوازية المصرية تؤثر التسليم لأعدائها ، متتكة بذلك طريقها الذى قدر لها أن تسلكه . فشلت ثورة ١٩١٩ لتحالف البرجوازية المصرية مع نقيضها الإقطاع . وكانت قد ارتبطت - عن طريق هذا التحالف - بالبرجوازية العالمية الرجعية . مما أدى إلى تحطيم جميع الأجهزة الديمقراطية فى البلاد ، وكانت الضربة التى أصابت الكتاب

العرب المصريين . وكانت خط تقسيم حدد لكل منهم غايته وطريقه ، وكذا تعددت مدارس الفكر فى الإقليم المصرى وتبلورت ، وظهر مكان كل كاتب من كتابنا وشعرائنا . وفهمت بواقع الهجوم المجحف غير الموضوعى الذى قام به عدد من الكتاب على شاعرنا شكرى .

ومن هنا انبثقت مأساة شكرى ؛ فتمة آمال عريضة فى كفة ، ونأى تلك الآمال فى الكفة الأخرى ، والرجل لم يولد ميتا كما كتب أحدهم ، وهو الذى يقول :

« كنت أتمنى أن أقطف أزهار الحياة كلها ، وأن أخرج من الحياة عطرها . فإن للحياة عطراً كما للزهر عطرا . كنت أتمنى أن أمتع نفسى بكل شئ فى هذا الوجود ، وفى كل وجود تتصوره وتتوق إليه النفس . كنت أتمنى أن أعانق الوجود ، وأن أقبله قبلة أسقى بها كل ما فى روحه من الجمال والجلال ... » .

فسوداوية شكرى التى تنبرى أحيانا فى شعره ، ليست إذن مرضية ، بل هى بالأحرى وليدة ظروفه الاجتماعية ؛ فهو لم يرفض الحياة قط ، كما أن إيمانه بمسرات الحياة لم ينهزم ، وإنما المسألة أن الآمال بلغت غايتها فى تلك النفس الكبيرة ، الطموح ، ولكن شاعت الأحداث ، وشاعت الأقدار إلا أن تبدل من الأمل يأساً ، وتدفع الشاعر الشاب إلى أن يخلق حوله عالماً من الأحلام والأمانى .. « خلقت كثيراً من الأمانى والأطماع . كنت أطلب كل شئ ، وصارت هذه الأطماع تعظم كلما كبرت ، فصرت أقضى الساعات فى أحلام الأمانى .. » .

إن شكرى لم يرفض النجاح بين قومه ، بل كان النجاح غايته ، ولكنه رأى فئة ممن حوله تصطنع صفات ووسائل معينة للوصول إلى هذا النجاح . وهو لا يرتضى لنفسه هذه الصفات ، بل يؤمن بالوصول السوى إلى غايته . فإذا حاول أن يصطنع مثل هذه السبل لبلوغ غايته فشل فى مسعاه ، وهنا يلجأ الشاعر إلى نقد هذه العادات ويلوم مصطنعيها ، واتخاذهم العلم كقناع ، وهنا نجد حملاته على الرياء والخبث والكذب ،

والحقد والحسد ، والشر عامة .. ومع ذلك فهم فرائس لقوى قاهرة تعيث بهم .. وهذا ما يستدعى العطف عليهم والرتاء لهم .. ويقول لهم إنما نحن إخوة ، ورحمةً للناس ، صرنا القدر بما بذره فى نفوسنا من قيود لا فكاك لنا منها لسوء الحظ ! .

وفى تلك الأيام حدثت جفوة بين الصديقين شكرى والمازنى .. بالغ بعض الكتاب فى وصفها ، ووقعها فى نفس الشاعر ، وإن كانت لا تعدو كونها مناقشة قلمية فى الصحف ، ما لبثت أن ذهب مع الريح ، ومع ذلك فلا مفر لمن يؤرخ لشكرى من أن يشير إليها وقد باتت فى ذمة التاريخ .

فقد ظل الأديبان - رحمهما الله - صديقين منذ عهدهما بمدرسة المعلمين ، ثم نقل إلى شكرى أن صديقه يتنقص من شعره وينسب بعضه إلى شعراء الغرب . فكان رد شكرى على ذلك تلك الصفحة التى ختم بها مقدمة الجزء الخامس من ديوانه المطبوع عام ١٩١٦ . وفيها يعد للمازنى ما نقل من شعر ونثر عن الأدباء الغربيين . وقال إن صداقته للمازنى لا تمنع من معاتبته فى عمله هذا ، « لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه ، حتى يداوى ما فعل ويرد كل شئ إلى أصله » ، وكان جواب المازنى أن شرع فى نقد شعر شكرى فى إحدى الجرائد اليومية ، ولعلها جريدة « النظام » ، ورد شكرى على نقد المازنى فى الجريدة نفسها .. ولما طبع المازنى الجزء الثانى من ديوانه عام ١٩١٧ دافع فى مقدمته عن نفسه ، وختم مقالته بقوله : « هذا لا يسعنا إلا أن نشكر لصديقنا شكرى أن نبهنا إلى مأخذ شعرنا والسلام » . ولكن لم يصف الجوابين الصديقين ، وظهر بجريدة « عكاظ » خلال سنتى ١٩١٩ و ١٩٢٠ فصول فى نقد شعر المازنى والعقاد بقلم « ناقد » ، وظن البعض أن « ناقدًا » هو شكرى نفسه .

وفى عام ١٩٢١ ظهر الجزء الأول والثانى من كتاب « الديوان » الذى اشترك فى تأليفه العقاد والمازنى ، وفيهما فصلان كتبهما المازنى فى نقد شكرى وشعره ، فى لهجة عنيفة يتخللها السب واتهام شكرى بالجنون ، وانتهز بعض الكتاب هذه الجفوة بين

الشاعرين فراحوا يزيديون النار ضراما ، وظهرت بعكاظ ثم بمجلة أبولو مقالات فى هذا الموضوع .

وكان الأستاذ مختار الوكيل قد أصدر كتاباً نقدياً بعنوان « الشعراء المجددون » شاد فيه بفضل شكرى وأبيه ، كما أصدر الدكتور رمزى مفتاح كتاباً بعنوان : « رسائل فى النقد » يناصر فيه شكرى على خصومه .. وأخيراً كتب المازنى مقالة فى « البلاغ » - فى أول سبتمبر ١٩٣٤ - يعتذر فيها عما بدر منه ، ويعلن فضل شكرى وتوجيهه له ، وكتب العقاد بجريدة « الجهاد » فى ٤ سبتمبر ١٩٣٤ يعلن أنه لم يتأثر بأحد ، وعلق شكرى على هاتين المقالتين فى البلاغ (١٩٣٤/٩/٦) فقال إنه ليس أستاذاً لأحد ، ثم عاد شكرى فكتب فى « المقطم » فى ١٢/٩/١٩٣٤ كلمة تحت عنوان : « الشهرة والخلود » يكرر ما قاله ، كما نظم قصيدة بعنوان « بعد الإخاء والعداء » ، وقد ذكر العقاد بجريدة « الأخبار » أن هذه القصيدة قيلت فى الأستاذ المازنى ، وزاد فقال إنها من أروع قصائد الأدب العربى .

تلك خلاصة ذلك النقاش الذى دام بضع سنوات ، وبالع بضع الناس فى نتائجه حتى قال ذلك البعض إنه أرغم شكرى على الانزواء وتحطيم القلم !! .

ولقد زار شكرى القاهرة عام ١٩٤٤ ، وانتهاز تلك الفرصة فزار صديقه القديم المازنى فى دار جريد البلاغ ، كما زار العقاد ، ولم يعد يذكر هذا الموضوع أو يتحدث عنه .

وكانت الفترة - كما سلف - فيما بين عامى ١٩١٢ و ١٩٣٨ هى المدة التى قضاها الشاعر مشغلاً بالتعليم بمدارس وزارة التربية ، وبدأ حياته التعليمية مدرساً بالمدارس الثانوية كما سلف ، وأولها مدرستا رأس التين والعباسية الثانويتان بالإسكندرية ، ثم رقى ناظراً بالمدارس الثانوية الكبرى ، ومنها مدارس الزقازيق والفيوم وحلوان ، والعباسية الثانوية (١٩٣٤ - ١٩٣٥) ، فمفتشاً بالتعليم الثانوى من عام ١٩٣٥ حتى عام ١٩٣٨ حين اعتزل الخدمة ولم يعد لأية وظيفة بقية حياته .. فقد بلغ برمه بالوظائف

أقصاه ، وقد ظل بها نحو ٢٦ عاماً ، كان يشتغل خلالها بالتفرغ للأدب والبحث وحدهما ، فلم يلق من حكومات ذلك العهد البائد التقدير الجدير بأنيب كبير مثله ، أو العمل الذي يتفق مع مواهبه ، بل لقد كان يرى التجاهل والتخلف في الحقوق ، وقد انخر الشاعر من مهنة التعليم كثيراً من الذكريات والتجارب . وكان ينوي في شبابه أن ينشر كتاباً بعنوان « المدارس » - آراء في التعليم والقائمين به وفي المدارس ونظائرها - ونرى إعلاناً عنه عام ١٩١٨ على غلاف ديوانه الجزء السادس وعلى كتابه « الصحائف » . ولكنه عدل عن ذلك ، واكتفى ببعض الفصول التي نشرها فيما بعد كمقالاته عن « ذكريات سني التعليم » (بمجلة الرسالة عام ١٩٣٩) .

وكان الشاعر في أثناء طوافه بالمدن التي قام بها بمهام وظيفته ، يقضي جل فراغه في القراءة والكتابة ونظم الشعر ، وكان قد كف عن النشر طويلاً ، وإن كان لم يتقطع عن الكتابة والنظم . ثم عاد فنشر بمجلة الهلال في أغسطس ١٩٣٢ قصيدة عن « الطفل » بتوقيع ع . أ ش ، كما نشر بمجلة أبولو في يونيو ١٩٣٢ مقالة عن « نقد الطريقة الرمزية » ، نشرتها هذه المجلة التي كانت تناصره ومعها صورة بديعة له ، ثم عاد فكف عن النشر ، وفي عام ١٩٣٥ نشط إلى إذاعة قصائده ومقالاته وقد تراكم منها الكثير . فنشر في ذلك العام نحو عشرين قصيدة جديدة بالرسالة والمقتطف والمجلة الجديدة وتابع النشر ، في العام التالي ١٩٣٦ ، فظهر له بالمجلات نحو عشرين قصيدة ، ونحو عشر مقالات ، كما أعاد نشر بعض قصائده القديمة لتوضيح أغراضها . ولم يذع عام ١٩٣٧ غير مقالة بالرسالة بعنوان : « بين تولستوى وماكس نوربو » .

وما كاد الشاعر يعتزل وظيفته بوزارة التعليم حتى رحل إلى مسقط رأسه ومسرح صباه بورسعيد . وسكن مع عائلة أخيه بشارع أفريقية في إحدى شقق منزل متواضع قريب من البحر تملكه الأسرة هناك ، قانعاً بالمعاش الضئيل الذي كان يتقاضاه كل شهر وعاش نباتياً ، مستقيماً ، مفكراً ، مشغولاً بمطالعاته وكتاباته ، متريضاً أحياناً على شاطئ البحر ، ومصطحباً أحياناً أخرى أبناء أخيه يلعبهم ويدربهم على السباحة

والرياضة ، وظل عزباً لم يتزوج طوال حياته ، ولم يمارس الرذائل ، شغوفاً بالأطفال والأزهار والبحر والكتب . فإذا ما انفرد في مكتبته العامرة بشتى صنوف المؤلفات نسي نفسه أحياناً ، وراح يقرأ حتى اليوم التالي ، وهكذا قضى الشاعر سبعة عشر عاماً في بورسعيد ، قلما كان يبرحها إلى القاهرة أو غيرها ، وفي خلال تلك الأعوام ، نشر كثيراً من القصائد والأبحاث في الصحف والمجلات .

ففي عام ١٩٢٨ نشر أكثر من عشر مقالات وثمانى قصائد جديدة ، وزاد اهتمامه عام ١٩٢٩ بكتابة الفصول النقدية والأدبية والنفسية ، فنشر منها في ذلك العام أكثر من ثلاثين مقالة ، منها دراسات قيمة في نقد الشعر العباسى ، وقصيدتين جديدتين ، ثم انقطع ثانية عن مراسلة الصحف والمجلات ، وإن كان لم ينقطع عن مطالعته وكتاباته الخاصة .. وبغته عاد إلى الميدان عام ١٩٤٧ ، فنشر بعضاً من المقالات في المقتطف ، وتبعها بفصول كتابه : « نظرات في النفس والحياة » .. ظهرت في سلسلة رائعة من ٢٢ مقالة بمجلة المقتطف أيضاً ، وذلك فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ ، وكلها بتوقيع ع . ش . ويعد هذا الكتاب من خير ما كتب في النقد والتحليل والتعليق على آراء كبار المؤلفين ، ومنهم جوته وبيكون وأناطول فرانس وشوينهور ومارسيل بروسست وابن المقفع ، وغيرهم .

وفي يوم من يناير ١٩٥٢ كان الشاعر يسير في أحد شوارع بورسعيد ، حاملاً رزمة من الكتب ، اشتراها كعادته وعاد بها فرحاً إلى بيته ، وإذا بالشلل الذى أفلج نصفه الأيمن يباغته فيترنح ويسنده بعضهم إلى المنزل ، وظل مشلولاً بقية حياته ، وبذلك أرغمته العلة على ترك القراءة والنظم والكتابة ، وانصرف إلى الراحة والعلاج ، وكان الشلل قد أضعف ذاكرته قليلاً وعطل ذراعه اليمنى التى كان يكتب بها ، ومع ذلك فقد ظل إلى آخر نسمة من حياته محتفظاً بقواه العقلية ، ومتحلياً بالصبر والتجلى والإباء . ولما كان من عادته أن يرد على كل من يكتب إليه ، فقد اضطر إلى الكتابة بيده اليسرى حتى لا يكلف غيره عناء الكتابة بدلاً منه ؛ وبذلك أرسل إلى أهله وأصحابه عشرات البطاقات والرسائل في تلك الفترة العصيبة من حياته !

وفى أكتوبر ١٩٥٥ انتقل إلى الإسكندرية نزولاً على رغبة أهله ، وكان يحب الإسكندرية ؛ حيث قضى أعواماً كثيرة طالباً ومدرساً وناظراً ، وحيث طبع كل ما نشر له فى حياته من كتب وخواوين .. واستأجر شقة على مسافة قريبة من البحر بناحية سيدى بشر برملى الإسكندرية ، ونقل معه نصف مكتبته ، ونسق كتبه فى خزائنها ، ولو لم يستطع العودة إلى مطالعتها .

وفى مكتبه بتلك الشقة الصغيرة كان يستقبل القليل من مريديه وتلاميذه ، ويجلس معهم مرحباً مصغياً ، وقضى هناك الأعوام الثلاثة الأخيرة من حياته ملازماً بيته لا يبرحه إلا فيما ندر ؛ وذلك حينما يصفو الجو فيخرج متوكئاً على عصاه ليشتري شيئاً من الحوانيت المجاورة ، ليتسلى ثم يعود إلى صومعته .

وكان لا يهتم بالشهرة والدعاية قدر اهتمامه بالهدوء والسلام ، ولطالما نشر فى القديم المقالات والقصائد بتوقيع ع . ش . أو بإمضاءات أخرى ، وحدث أننا أردنا عام ١٩٥٦ تكريمه لبلوغه السبعين فرفض كل نوع من التكريم أو النشر ، وأثر السكينة والسلام . ثم وافق أخيراً على رغبة مجلة « العالم العربى » بالقاهرة - والتي يرأس تحريرها الأستاذ أسعد حسنى - فى إصدار عدد خاص عنه فى هذه الذكرى ، وصدر العدد فى ١٥ سبتمبر ١٩٥٦ ، وبه بعض الدراسات والذكريات عن الشاعر ، فلفت صدوره أنظار الكثيرين ، وكان منهم من نسيه ، ومنهم من الشباب من لم يكن يعرف عنه غير القليل ، لعزوفه عن الدعاية والضجيج . وراح بعض الأدباء والصحفيين يبحث عن بيته أو يكاتبه ، والرجل بطبيعته السمحة يستقبل كل زائر ، ويرد على كل رسالة أو بطاقة ، يكتبها بيده اليسرى ، ثم تكالب عليه الشلل والمرض السكرى ووهن الشيخوخة ، فهدت قواه ، واستجدت ألام أخرى فى نفسه ، وقت الاعتداء الثلاثى الغاشم على بورسعيد ، فقد هدمت قنابل الأسطول الإنجليزى فيما هدمت وهى تضرب بورسعيد ، منزل الشاعر الذى كان لا يملك غيره هو وأسرته ، وأسر ابنا أخيه الضابطان فى البحرية ، ولم يسمع عنهما طويلاً .

وفى عام ١٩٥٨ - قبيل وفاته - طير بعض مراسلى الصحف بالإسكندرية إلى صحفهم بالقاهرة « نبأ العثور على الشاعر » ! فحضر نفر من المحررين والمصورين

لمقابلته وهو يحتضر ، ثم نسبوا إليه الأحاديث المختلفة والطرائف العجيبة ، كما نسبوا إليه كلمات لم يقلها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة !

وفى الساعة الثانية بعد ظهر الإثنين ١٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ انتقل الشاعر إلى عالم الخلود ، بمنزله بسيدى بشر برمل الإسكندرية ، وتحققت أمنيته فى الراحة والهدوء والسلام . كما تحققت آماله فلم يمت حتى شهد بلاده تنعم بالحرية والعزة والاستقلال .

وشيعت جنازته عصر الثلاثاء ١٦ من ديسمبر ١٩٥٨ بالإسكندرية ، وكان على رأس المشيعين نائب الرئيس جمال عبد الناصر ، ونائب السيد وزير الثقافة والإرشاد ، ودفن فى مقبرة متواضعة بمدفن « العمود » بالإسكندرية طبقاً لوصيته ، فلقد ترك الشاعر مظروفاً وحيداً كتب عليه : « لا يفتح إلا بعد وفاتى » . وبه ورقة صغيرة مكتوبة بيده اليسرى جاء بها : « لا تدفنونى فى حجرة تقفل على كالسجن . ولكن فى قبر يهال عليه التراب » !

ولقد كتب الكثير من الأدباء عن شكرى - شاعراً وكاتباً وناقداً ومعلماً ومصلحاً - كتبوا عنه شتى الفصول النقدية والتحليلية ، منذ أن أخرج ديوانه الأول عام ١٩٠٩ وما برحوا يكتبون عنه إلى الساعة ، ولو جمعت ما كتب عنه فى هذه الأعوام الخمسين ، وما كتبه هو فى الرد على ناقديه ومناقشة آرائهم ، لخرجت بكتاب كبير يزدحم بالمتناقضات ، وكثيراً ما كان يناقض ناقد نفسه .. ولا عجب فى هذا ، فهو ككل عظيم من الناس تتضارب فيه الأقوال ، وتختلف وجهات النظر ، وتمدحه فئة وتقذح فيه أخرى ، ويطيب للبعض أن يحوك حوله الطرائف والأساطير .

وأراد شكرى أن يوفر على النقاد بعض الجهد ، فأخذ منذ الشباب الباكر ينشر فصول « الاعترافات » فى الصحف ، ثم طبعها عام ١٩١٦ فى كتاب ، كما راح يصحح بعض الآراء فى عدة مقالات لم تزل مبعثرة فى الصحف والمجلات ، إلى جانب الفصول التى تضمها كتبه الخمسة المطبوعة ، ثم كانت مقدماته النثرية التى صدر بها أجزاء نواوينه الخمسة الأخيرة : شرح فيها رأيه فى الشعر ومذاهبه ، والشعراء وحقيقتهم ،

كما عرف الشعر والشاعر نظماً في بعض قصائده ، كما في قصيدته « الشعر » (ج ٤ ص ٢٢٤) و « أغاريد شاعر » (ج ٤ ص ٢٤٧) وفي أبيات من قصائد أخرى ، ومن ذلك قوله :

والشعر مرآة الحياة تطل في مرآتها

فتراه في آلامها وتراه في لذاتها

والكون آية شاعر يأتى بمبتكراتها

ويقول في إحدى تلك المقدمات الموضحة : « لو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . وكل شيء في الوجود قصيدة من قصائد الله ، والشاعر أبلغ قصائده ، والشاعر هو الذي لا يعيش مثل أكثر الناس مقبوراً في الأحوال التي تحوطه ، هو الذي يحلق فوق ذلك اليوم الذي يعيش فيه ، ثم ينظر في أعماق الزمن أخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل ، فيجئ شعره أبدياً مثل نظرتة ، وهو الذي يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاءها . لقد كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية في بيوت الأمراء ، ولكنه اليوم رسول الطبيعة ، ترسله مزوداً بالنعيمات العذاب ، كي يصقل بها النفوس ويحركها ويزيدها نوراً وناراً » .

والحق ، إن نفس شاعرنا كانت مرآة عظيمة صافية ، تنعكس عليها صورة الحياة ومناظر الوجود .. فهنا ترى صور الحياة الدنيا في مداها وجزرها ، وسعادتها وشقائها ، وتفاؤلها وتشاؤمها ، وحلوها ومرها .. وهنا تعرض أمامك صور الطبيعة في كافة أشكالها وألوانها ، فتري سماءها وأفلاكها ، وبحرها وبرها ، وجبالها ووديانها ، وصحراها وخضرتها ، وغابها وشلالها ، واختلاف فصولها وأجوائها .. « فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة مثل النجم أو السماء أو البحر فاعلم أنه خير الشعر ، وأما إذا رأيته وأكثره صنعة كاذبة فاعلم أنه شر الشعر ! » .

وها هنا ترى صور النفوس البشرية في سموها وضعفها ، خيرها وشرها ، فإذا ما أطربك من مرآى جنات الخير والفضائل ، وكشف لك عن محاسن المحبة ، والجود ، والرحمة ، والأمانة ، والعفة ، والسلام .. عرج بك إلى الجحيم الرذيلة والشر ، فكشف لك

عن قبحها وضراوتها ونفرك من بشاعتها ، فترى قبح الظلم والحقد ، والحسد واللؤم ،
والخداع والرياء ، والبغض والعداء ، وهو فى هذا كله لا يعنى إنساناً بالذات فيمدحه أو
يهجوه ، بل هو يمدح الفضائل أينما كانت ، ويذم الرذائل حيثما وجدت .

وكما يصور لك النفوس فى كمالها ونقصها ، يصور لك أيضاً الأجساد فى فتنها
وقبحها ، وما تلده تلك الفتنة فى النفس من حب وهجر ، وصد وعتاب ، وأمل ويأس ،
وشوق وحنين ، وابتسامات ودموع .

فأنت أمام دنيا سحرية زاخرة بألوان الجمال ، وأزاهير الحب ، ورياحين الحكم ،
وأنوار الفلسفات ، وأنت أمام دنيا من الأنغام والموسيقا والترانيم ، تأخذك أول وهلة تلك
« السمفونية » الرائعة الصادرة عن قلب يحكى « الأركستر » الكثير الآلات ، والمتعدد
النغمات ، فإذا زدت تمعناً وجدت وسط ذلك المحيط من العاطفة المتوقدة ، والخيال
المطلق ، والألحان المتنوعة ، والصور الشاملة للنفس والحياة والطبيعة ، فكراً قوياً
مسيطرأ ، أشبه « بالمايسترو » القدير ، الذى لا تقلت الآلات والأنغام من رقابته .

والحب عند شكرى هو الحياة ومحور الوجود .. الحب الصوفى النبيل ..
والعشق الأسمى العفيف ، الخالى من المجون والميول الوضيعة ، الدافع إلى الخير
والفضيلة :

لا يجتلى الحسن والأرزاء فى أن
ما ظل حجبى مكلوءاً بإيمانى

يا من به قد نسيت الشر أجمعه
ولن يضيع رجاء فى الحياة إذا

إن لم تنل من عسفة ورشاد
إن الدنيا جـمـة الورد
ومودة الأمثال والأنداد

لست الخلق بأن تنال محبتى
إنى أريدك كعبة لا حانة
خير الهوى حب الفضائل والنهى

فتفرد فى الغزل والنسيب ، فى رقة وعفة ورجولة ، واقتترنت ترانيم الحب عنده
بصور الجمال البشرى والطبيعى فى شتى أجزائه ، وبموسيقى النظم ، ومحاسن
التشبيهات ، وتعد ترانيم الحب المتفرقة فى جميع نواوينه ، فى جملتها ، من أعذب وأعظم
أشعار الحب والغزل فى الأدب العالمى بأسره ، وكان ينبغى أن يلحن منها الكثير ،
ويتغنى بها المطربون ..

وتراه يتاجى « المحبوب » بلفظة الذكر ولو كان أنثى ، بالأسلوب الصوفى التقليدى ،
وهو المحبوب المثالى الذى يعيش فى خيال الشاعر أكثر مما يعيش فى الحقيقة والواقع ..
« وما يدرينا - على حد قوله - لعل قيساً بن الملوح كان يشجب بليلى التى فى الدنيا ،
التى فى نفسه ، لا بليلى العامرية ! » .

ويوضح لنا الشاعر (فى مقدمة ديوانه الرابع) منزلة الغزل فى الشعر : « وإن مزية
الغزل سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ،
كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية
التى تترجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء ... » .

وشكرى يحب الله ، ويحب الوطن ، ويحب الحياة ، ويحب الجمال ، ويحب الناس ،
ويحب الحب ، ولكنه ينفر من الشر والرذيلة والانحراف والقبح .. ويخطئ من يزعم أنه
كان يرفض الحياة ، ويزهّد فيها ، ويهرب منها ، ويعيش دائماً فى عزلة واعتكاف وتشاؤم
ويأس . وحتى فى سنيه الأخيرة ، وقد حطمه الشلل ، وقف مرة فى نافذة بيته يسرح
البصر فى جمال البحر ، فطرب من روق الجو ، فأخذ قلماً وكتب بيده اليسرى : فى
فبراير ١٩٥٦ » .. فالיום الجو صحو فى الإسكندرية . أقول اليوم والواجب أن أقول
الساعة : الجو بلورى ! » .

والعالم عنده عالمان - (مقدمة الجزء السادس) - « عالم الجمال ، وعالم القبح ،
وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه ، والشاعر رسول الجمال ، يسعى فى تحقيق عالمه .
وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر

محتوم ، ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً ، سواء أعرف أم لم يعرف ... » .

وشكرى رجل مؤمن بالله وخيره وجماله ، وله صوفيته الدينية السامية . ولقد دافع عن إيمانه في مقدمة الجزء السابع حين قال : « ولي كلمة أريد ذكرها في العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء ، وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتنعاض من مظاهر الشر ، قلة في الإيمان ، بل إن ذلك غاية الإيمان .. » .

أليس هو القائل :

إنما الدين قوة وجمال وحياة وعدة وعديد

كيف يدري جلالة الله غير حركته ضغائن وحقوق ؟

والقائل في قصيدة : « صوت الله ونجوى المؤمن » :

أنصت ففي الإنصات نجوى النفوس فإن صوت الله دان كلیم

والنفس بيت الله إن طهرت والنفس إن لم تصف مثل الجحیم

وهو يدعو إلى الرحمة بالناس ، وإلى الأخوة العامة :

تعلمنى الأقدار أن أرحم الورى فقلبي لكل العالمين رحيم

وإن جميع الناس أهلى وإخوتى وإن كان منهم جارم وذميم

وقد تكون هناك حيرة وتساؤل وشك ، ولكن :

والشك مشغال الحكيم وربما أضحي حريقاً للجهول الوانى !

وهو يعود لينبه قارئه إلى « سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد

التي تشرح أمثال هذه الخواطر ، والعواطف النفسية التي لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة ، الذي لا يستخلص من أبيات مفردة من القصائد ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية ، وما تقتضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأي فيها ، واختلاف حالات النفس التي ضمتها القصيدة .. » .

وكما أنه ينبغي على القارئ ألا يتسرع في الحكم على الشاعر من بيت أو أبيات مفردة ، لا من وحدة القصيدة أو جملة الديوان ، فينسب إليه المروق والإلحاد وهو المؤمن المحب لله ولخليقته ، أو يصفه بالتشاؤم وهو المتفائل المرئم بجمال الحياة ومباهج الوجود في أكثر شعره ، أو يلصق به الهروب من المجتمع وهو من قضى جل حياته يكتب لهم وينظم ، ويعلم ويربى ، كذلك لا يجب الخلط بين الحقائق التي يؤمن بها الشاعر وبين السخرية اللابسة ثوب الحقيقة أحيانا ، أو الخلط بين التخيل والتوهم (وهو من شرح لنا هذا الفرق في مقدمة ديوانه الخامس) .. إن الحكم في كل ذلك للديوان ككل لا يتجزأ ، كما أن النفس لا تتجزأ ، وإن كانت تلبس لكل ظرف ليوسه ، كالسنة تتغير فصولها وتتشكل أجواؤها ، ولكنها سنة واحدة .

هذا الديوان تتشكل فصوله أيضا ، ولكنه يجتمع في النهاية في ديوان واحد لشاعر واحد ؛ فبعض قصائده مطولات تجتمع فيها العاطفة والفكر والإرادة ، وبعضها ترانيم وأناشيد وأغان « ليريكية » نظمت للموسيقى والغناء ، وبعضها شعر قصصي للغة والعبرة ، والبعض شعر مرسل مليء بالحكم والتجارب ، وغيره رباعيات بها رائع الأمثال .. وهنا وهناك تفنن في المعاني وابتكار في القوافي ، وتحرر من القافية أحيانا ومن قواعد العروض قليلا .. روح شعري منطلق متحرر ، لا يترسم خطا غيره من الشعراء ، ولا يتقيد بنهج معين مرسوم ، وقد يذكرك بشكسبير في إحاطته بصور النفوس خيرا وشرها ، وحينما يبديرون في رعدة وبرقه ، أو بشلي في مثالياته ، أو ببليليك في رمزياته ، أو بالمعري في بعد غوره وفرط ذكائه ، وتوقد خاطره ، وتعمقه في التصورات الفلسفية ، وفي زهده وشكه وحيرته ، أو بأبي تمام في لطافة حسه وميله إلى الحكم

والعظات ، أو بالبحترى فى بداعة الخيال الشعري ، وصقل اللفظ ، وبداعة المعنى ، أو بابن الرومى فى المعانى المخترعة والتوليد النادر ، أو بابن المعتز فى براعة الوصف والتشبيهات ، أو بالمتنبى فى ثروة الحكم والأمثال ، أو بابن الفارض فى صوفيته وروحانيته ، أو بابن هانىء الأندلسى فى فخامة اللفظ وروعة التراكيب وإجادة التشبيه .. قد يذكر بك بهذا أو بذاك ، ولكنه فى النهاية نسيج وحده ، لا يحتذى ولا يسطو ، ولا ينسب لنفسه ما ليس له .

وكما يقول الدكتور محمد مندور فى مقاله عن شكرى : « .. وبذلك جاء شعره أصيلاً متميزاً بطابعه الخاص . فهو لا يمكن أن يوصف بأنه شعر عاطفى ، ولا بأنه شعر عقلى ، ولكنه شعر ذو طابع خاص يمكن أن نصفه بأنه شعر التأملات النفسية أو الاستبطان الذاتى ؛ أى تأمل العقل فى النفس البشرية وتحليل عناصرها كوسيلة لمعرفة تلك النفس .. » .

لقد كان شكرى رائداً أهلاً على القصيدة العربية فوجدها ترسفاً فى أغلال من الشكل والموضوع التقليديين . فكان فى طليعة المبادرين إلى تحرير الشعر من الأغراض القديمة التى كانت تستنفد طاقة الشاعر الإبداعية ؛ فعمد إلى تجاربه الذاتية ، وانفعالاته الخاصة ، ينظمها شعراً رائعاً عكس موقفه من الحياة والناس . كما أنه لم يخضع للصياغة الكلاسيكية الموروثة ، فافتن فى أوزانه ؛ مما أضفى على شعره مرونة وموسيقية ، كما كان له الفضل فى أن يكون أول من يثور على القافية ، ويرى فيها عائقاً عن الوحدة العضوية للقصيدة . فأدخل الشعر المرسل . وبذلك أسهم فى وضع أساس القصيدة العربية الجديدة .

أما عن الأسلوب اللغوى ، فلشكرى طريقته الخاصة فى النظم والتعبير .. شعر عربى قوى رصين ، وأسلوب لغوى مكين متين .. يدل على تبحر الشاعر فى اللغة وأساليبها ، وألفاظها ، واشتقاقات الألفاظ ومترادفاتها .. والذين لا ينظرون إلى هذا

الديوان إلا بمنظار اللغة وحدها ، نحوها وصرفها ، فلهم ألا يتسرعوا فى الحكم على
هقوة هنا أو قلته - غير مطبعية - هناك ، قبل القليل من التحقق والبحث . فإن لغتنا
العربية أرحب صدرأ ، وأكثر مرونة ، وأوسع ترادفا واشتقاقا مما نظن أول وهلة ..
وأمامنا المعاجم الكبرى تؤيد هذا وتزيد عليه .. ونحن لا نحاسب الشعراء المجنحين ، كما
نحاسب علماء النحو والصرف والعروض . بقدر ما نحاسب الطيور المنطلقة فى رحب
الفضاء على طريقة حطها وطيرانها .. ومع هذا كله ، فأين هو الشاعر الذى لم يهفُ
قط ؟ !

* * *

هذا هو ديوان الشاعر العبقري عبد الرحمن شكرى ، فى واقعه وفى طبيعته الأولى
الشاملة الجامعة .. بعد أن نفذت طبعات أجزاءه الأولى منذ أربعين عاما ، ولم يجمع
جزؤه الثامن والأخير قبل اليوم .. نخرجه وفاء لأستاذنا ، وعملا بتفويضه ، - وإن كنا لم
نحذف منه شيئا - عالين بأن سنة التطور سوف تخرجه فيما بعد أكثر كمالا ودقة ،
وشكلاً وشرحاً . فقد كان همنا هنا أن نجمع - بقدر المستطاع - شمله ونضعه فى أيدي
أدباء الجيل الجديد الذين كانوا يبحثون عنه ، ويطالبوننا بجمعه وإخراجه .

ولقد تركنا دواوين الشاعر متتابعة طبقاً لتاريخها القديم كما أصدرها الشاعر فى
حياته ، دون تبديل ولا تعديل ، وبترتيب القصائد كما كان فى الأصل .. فقد أصبحت فى
ذمة التاريخ وهو يقتضيها الدقة والأمانة .

وما كان فى مقدور من يخرج مثل هذا الديوان فى مجلد واحد ، أن يعتمد إلى شرح
كل بيت وكل لفظ .. وإلا احتاج الأمر إلى مجلد آخر .. فهنا مئات الألفاظ والأبيات التى
فسرت فى الهوامش ، ولكن هناك أيضا ألفاظ كثيرة قد يصعب على القارئ المبتدئ
تفهمها . كما أن هناك كلمات شرحت مرة ثم تركت لتكرارها فى قصائد أخرى ، وكذلك

لم يكن من السهل شكل هذا الديوان شكلا كاملا كما يحدث فى كتب المطالعة المدرسية ..
وأخيراً لم يكن من المستطاع خروجه خلواً من كل هفوة مطبعية لاسيماً فى الشكل
والهمزات وما أشبه .. ففى الطبعات المثالية القادمة نرجو الكمال .. والله تعالى الحمد على
توفيقه ، ولكل من أيدنا وعاوننا وشد عزيمتنا ، عميق الشكر والوفاء .

عبد الرحمن شكرى

رائد الشعر الحديث وأحد أساطين الأدب العربى

بقلم محمد رجب البيومى

ما ذكرتُ فقيد الأدب العربى المغفور له الشاعر الكبير الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، إلا طاف بذهنى قول أبى الطيب : « نو العقل يشقى فى النعيم بعقله » . فقد كان ذهنه الجبار سر مأساته ، إذ أتعب نفسه فى التعليل والتفسير لأوضاع متناقضة تتعدد فى دنيا مليئة بالفرائب والفجاءات ، وقد رزق من رهافة إحساسه ، وشبوب عاطفته ما عمق أغوار المأساة فى فؤاده المتاع .. وبعقله الحصيف ، وإحساسه الرقيق ، ناء تحت عبء ثقل من المحن ، فضاق بالأحياء والحياة ، وانزوى فى ركنه الهادئ البعيد ، حتى لقى ربه ، فاستراح من شجنه الثائر ووجده المقيم .

ولقد نشأ الشاعر فى أسرة مثقفة مستنيرة ، فقد كان جده أستاذاً للغة الفرنسية ، ووالده رجلاً وطنياً ناصر الثورة العرابية ، وتعرف بزعمائها وأبطالها ، حتى إذا بلغت نهايتها الأليمة ، ترصده الاعتقال والفصل والتعذيب ! وقد ولد فى هذا الجو العابس نجله عبد الرحمن ، فتفتحت عيناه على مظاهر الأسف والحسرة فى أسرته ، والحزن واللهف فى أمته ، ثم نما عوده فتخرج فى مدرسة المعلمين العليا ، وسافر إلى إنجلترا فى بعثة تعليمية ، ورجع إلى وطنه ، وقد ألم بثقافات متسعة محيطية ، وعرف الجديد عن رسالات الخيال والفكر والشعر فى الحياة ، وعقد العزم على التبشير بمثل رفيعة فى عوالم الفن والفكر والتربية ، ثم والى أبحاثه الأدبية وقصائده الشعرية فى قوة وإيمان ، فكان رائداً كبيراً فى المضممار الأدبى شعراً ونقداً وتصويراً ، ولكن نوازعه الصريحة قد ألّبت عليه كثيراً ممن أشربوا أدبه ونهلوا من حياته ، فتأبر وجالد حتى أدركته العلة الوبيئة ، فلجأ إلى الاستسلام بعد إنتاج حافل ، ويقظة ذات توجيه وتسديد .

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى تحليل مأساته - نقلاً عن جريدة الأخبار ١٩٥٨/١٢/٢٢ : « كان شكرى رجلاً مرهف الحس ، عزيز النفس ، كبير الأمل ، كانت

له آمال فى النهضة الأدبية ، وآمال فى وظائف التعليم ، وآمال فى حياته الوجدانية ، فلم يظفر من جميع هذه الآمال بغير الصدمات تلو الصدمات ، ولم يكن له جلد على العراق والجدال ، ولم تكن له تلك الأعصاب التى تثيرها الصدمة بعد الصدمة إلى الحركة . فاعتزل الصحب والناس ، وسكن إلى مأواه الأمين .

وقول العقاد صادق فى أكثره ، فقد حصر الجهات الثلاث التى اتجه إليها الشاعر ، وسيطرت رديحاً على آفاقه ، فقدم لنا فى محيطها الشاسع خير ما أنتج من أفكار وأقوى ما أسس من البناء ، وإذا كان الرجل قد قوبل بالصدمات تلو الصدمات ، كما ذكر الأستاذ العقاد ، فقد كانت هذه الصدمات تجد مكانها فى شعوره وحده ، ولكنها لم تصب ما أذاع على الناس من روائع خالدة فى البحث النفسى ، والتحليل الأدبى ، أو ما تغنى به من قصائد قوية رنانة كانت فاتحة نهضة حية فى الشعر العربى ، وطلائع صباح مؤتلق وضئ .

لقد كانت رسالة الشعر فى مطلع هذا القرن مجهولة أو كالمجهولة لدى كثير من الشعراء والقراء معاً ؛ فالكثرة الكاثرة من أولئك وهؤلاء يرون جودة الصياغة ، وجزالة التركيب ، وكثرة التشبيه هى كل ما يطلب من الشاعر ، ولا ينتظرون منه غير الحديث عن الأغراض التقليدية فى قوالب محفوظة تمدها الذاكرة الدارسة لا الإحساس المتوقد ، وقصارى المجيد منهم أن يتحدث عما يشعرون به من العواطف السطحية ، أو يآلفونه من حوادث الحياة اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو تهنئة بميلاد ، أو مرثية لفقيد . فجاء مطران لينتقل بالشعر إلى الموضوعية الرحبة ، وليتحرر من القوالب المكررة ، وجاء شكرى عقبه ليعلن وحدة القصيدة ، ويوضح رسالة الشاعر فى الحياة ، وليعمق نظرات مطران - رحمه الله - إلى الفن تعميقاً يصل به إلى الأغوار الدفينة والمسارب الملتوية فى ظلمات الهواجس ، واختلاج النوازع ، ثم ليحل به أسرار الوجود ؛ فيعلل ظواهره ، ويفسر تياراته ، فوظيفة الشاعر كما يقول شكرى : « هى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره ، وكل شاعر عبقرى خليق بأن يدعى متنبئاً ،

أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس فتغرى به أهل القساوة والجهل ؟ » .

وقد أغرى أهل القساوة والجهل بشكرى رحمه الله ، فتعرض لحملات جاهلة من نظامى القريض ، ومحترفى الصناعة ، إذ عجزت قرائحهم الكليّة عن إدراك مناحيه ، فإذا أخذتهم قوة فكرته ، واضطراد منطقته ، ظنوا بشعره جفافاً موهوماً ، وجموداً مزعوماً ، ونأوا به عن العاطفة المترققة ، والوجدان المشبوب ، واهمين أن العاطفة قرينة السطحية والسذاجة والبداهة ! جاهلين أن الوجدان فى عمقه وسعته وانيساطة ، يمنح الشاعر خصوبة حية ونماء مثمراً ، وشكرى يضطر إلى الرد عليهم فيقول : « إن الشعر مهما اختلفت أبوابه لا بد أن يكون ذا عاطفة ، ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع ، فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصيب وخيال واسع لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، وقلب الشاعر مرآة الكون ، فيه يبصر كل عاطفة جليلة شريفة ، أو قبيحة مرئولة » .

وإذا كان توماس كارليل قد جعل الشاعر فى كتاب الأبطال بطلا يلي النبى منزلة ومكانة ، فما نحسبه يختلف عن شكرى فى فهم رسالة الشاعر المجيد ، تلك الرسالة التى تلوح فى استشفاف الروح الإلهى المتدفق فى الأحياء والأشياء ! فعليه أن يؤدى مهمته السامية فى إخلاص ووفاء سواء لقى الإقبال أو الإعراض ، فهو - مشتهراً أو غير مشتهر - يقوم بدوره الحى فى الوجود الإنسانى ، فإذا مات كانت الشهرة كما يقول شكرى - فى كتاب الاعترافات - زهرة على قبرة ، فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره تظله بجناحها ، وتفرخ فوقه أبنائها الشعراء ، تلك الأرواح التى تستمد الوحي من عظامه ، وتسقيه من دموع الرحمة والحب والحنان ... » .

وشكرى إذ يقول ذلك ، إنما يسطر الوحي الملهم فى سياق نثرى لا يدع من الشعر غير القافية والوزن ، وكثيراً ما كانت تأملاته الفكرية ميداناً رائعاً للخيال والإلهام

البصير ، على أن القدر الساخر قد شاء لشكري أن يحاربه أنصاره وتلاميذه من دعاة التجديد والانطلاق ، فيكابد من حرب الرجعية والتقدمية معاً نارين مستعرتين ، وتضطرب أعصابه في مجالين متناقضين فيميل إلى الانطواء . ولعل مما يعزينا في ذلك أن الرجل قد قاوم فترة طويلة حتى استطاع أن يكتب مئات القصائد ، وأن يخرج أيضاً مئات الفصول والأبحاث في مختلف فنون الثقافة ! وبذلك احتل مكان الريادة في الأدب العربي عن جدارة أكيدة وجهد سباق .

أما الحقل التربوي فقد جابهه بأشواك وصخور ، فقد قرأ الشاعر كثيراً عن أساليب التربية الحديثة ، ولس التقدم التعليمي في أوروبا لمس المتأمل البصير ، ثم عاد إلى مصر ، فوجد المدارس لعهد ، تمهد للوظيفة لا للتربية . وتعطى الدروس للاستظهار لا للتمثيل ، وهي قبل كل شئ بعيدة كل البعد عما ينبغي له من دراسة المجتمع وتفهم نفسيات التلاميذ على ضوء الأبحاث السيكولوجية والاجتماعية ! وتلك حال تصيب المربي الملهم بعقاييل مؤلة تؤرقه وتضنيه . أضف إليها ما أحاط به من كيد الوصولية ، وتناطح الزمالة ووثوب الأنانية ، وكان شكري بطبيعته منكمشاً يألف الوحدة ، فحسب هذا عليه ، وعد تكبراً وصلفاً ، ولعل أخرج ما قاساه من ذلك قد كان في نظارته للمدارس الثانوية ، وإنه ليقول في مذكرته عن سنى التعليم التي نشرها سنة ١٩٣٩ بمجلة الرسالة الغراء : « ومنصب ناظر المدرسة الثانوية منصب تحوطه العداوات ، فإذا أراد أن يهيئ أسباب النظام قيل إنه متشدد مرهق مجرم ، وإذا تسهل وترك الأمور تجري في مجاريها قيل إنه ضعيف كسول ، وإذا كان بين بين اتهم تارة بالإرهاق والإجرام ، وتارة بالضعف والكسل ، واتهم فوق ذلك بالتذبذب والاضطراب » ... وإذا كان الرجل قد ولى النظارة في عهود مترنحة تعصف بها زعازع السياسة الحزبية ، فإنه باعتداله ونزاهته قد كسب خصومات أليمة ، وأذكر أن بعض كبار الرسميين قد رجاه أن يزيد درجة ابنه في اللغة الإنجليزية لينتقل من فرقة إلى فرقة فوقها ، فأفهمه شكري أن الناظر لا يملك شيئاً من ذلك ، فاضطغن عليه وشهر به لدى الرؤساء ، فظنوا به الظنون ، ثم أثر الاستقالة حين

تقدمه فى الترقية من بونه بون سبب معقول يذكر ! فأراح الشاعر نفسه ، وترك شئون التعليم لمن يجيدون التحايل والانتهاز . وهكذا خرج من ميدان العمل صفر اليدين قانعاً بمعاش ضئيل لا يفى ببعض ما تطلبه العلة المرهقة من بواء ! فضلاً عن الطعام والسكنى والكساء .

أما إخفاقه الوجدانى فلا نعرف بواعيه الأصلية ، إذ إن شكرى فى غزله وحنينه وشكواه لم يكن شاعراً جزئياً يرسم الصورة القرية من علاقاته الشخصية ، ولكنه كان يربط الحب بالوجود ، فيتحدث عن فلسفة الألم وطغيان الحسن ، ويرى فى جمال حبيبته مثلاً رائعاً لجمال مثالى يتدفق فى النهر والزهر والبدر والأفق والشجر وشتى مجالى السحر فى الطبيعة الناطقة والصامتة ! ومثل هذا العاشق لا تدرك قصته العاطفية من قصائده ، إنما تستشف نوازعه استشفافاً يشعل الإحساس ، ويدفع الفكر إلى الاستبصار ، ولن نلمس فى الشعر حقيقة الحوادث العاطفية إلا عند شاعر حسى يدون قصائده الغزلية على طريقة المذكرات اليومية ، ولن يكون ذلك عبد الرحمن شكرى بحال !

على أن اعترافات الشاعر ، وهى قريبة جداً من المذكرات اليومية ، تؤكد لنا أن الرجل قد أحس الحب إحساساً عميقاً تغلغل فى أغواره ، وتسرب فى أعماقه ، وهى وإن لم تصف نهاية حبه التى لا نعرف عنها غير الإخفاق ، فإنها تصور شكرى العاشق تصويراً رائعاً ، وتجلو لك صورة حلوة من عاطفة الشاعر ، وأخيلته الحاملة المفردة ، فهو يقول : « إن طيش الحب مثل طيش العصافير فى حركاتها ، وإنه ليخيل إليه أن الحب قد أنبت فى كتفيه أجنحة يطير بها إلى حيث يشاء ، فيحسب أنه لو رمى بنفسه من نافذة منزله لم يسقط ، ولم يصبه أذى ، بل يطير به الحب ، ويخيل إليه أنه قادر على أن يقفز من شارع إلى شارع فوق المنازل من غير أن يلمسها ، ويسمع الحب أحياناً وأنغاماً غريبة لا يسمعها غيره ، ويحسب أنه مركز هذا الوجود ، وأن حبه موجود منذ الأزل خالداً إلى الأبد مثل جمال حبيبته ، ويحسب أن هذا الوجود لو أصابه العدم لبقى حبه مستقلاً عن الوجود » .

وقد كان فشل شكرى الوجدانى أمراً محتوماً لمن له سبحاته ونوازعه ، فالعاشق إذا كان مفكراً محللاً من ناحية وعاطفياً ثائراً من ناحية ثانية فإن أمواج الهواجس ، وتيارات الظنون لابد أن تقيمه وتقعده ، وقد يتحدى القدر بعض العمالقة فيغريهم بدمية حسناء ليس لها رصيد غير الجمال ، فهي لا تفهم صاحبها ، ولا تستطيع أن تسبح معه فى عوالمه ، فتتسع الفجوة بين القلبين ، وتأتى الجفوة الظالمة فتسحق القلب وتذيب الضلوع !! ولعل هذا ما كان .

إن مأساة شكرى هى مأساة العقل الحصيف والإحساس المتوقد ! ذلك العقل الذى يحلل كل شئ ويعلل كل شئ ! وذلك الإحساس الذى يستشف أدق السرائر ، وألطف الخواطر ! ولئن رماه الداء بكارثته الأليمة فما بلغ به غير جسمه ، وبقيت روحه عالية شماء تكلف صاحبها ما تقتضيه الرجولة والإخاء ، فكان لا يهمل الرد على أقل بطاقة صغيرة ترد إليه ، بل يكتب بيده اليسرى ما عجزت عنه يمينه الشلاء ! وظل صابراً على فراش مرضه البطئ حتى لقي ربه ، فعرف الناس مكانته ، وشرفته الدولة أعز تشريف ، وفاضت أنهار المجلات بتحليل أدبه ، والاعتراف بزعامته ، ولن نخلى هذه المقدمة المتواضعة من بعض ما قيل ، ولكننا نختمها بقول الأستاذ عباس محمود العقاد نقلاً عن مجلة الهلال فبراير سنة ١٩٥٩ : « .. وله فى ميدان القريض فضل الرائد الذى سبق زمانه فى عدة صفات ماثورات ؛ فهو من أسبق المتقدمين إلى توحيد بنية القصيدة وإلى التصرف فى القافية على أنواع من التصرف المقبول ، فنظم القصيدة من وزن واحد ومقطوعات متعددة القوافى ، ونظمها مزدوجات وأبياتاً من بحر واحد بغير قافية ملتزمة ، وأثر فى تجاربه الأخيرة أن تلتزم القافية مع تعديدها فى مقطوعات القصيدة الواحدة ! وتسنى له فى جميع هذه المناهج أن ينظم الكثير من القصص العاطفية والاجتماعية قبل أن يشيع نظم القصص فى أدبنا الحديث .. » .

هذا رأى العقاد ، وإنه لشهادة رائعة بزعامه الشاعر وريادته ، وما أجدرها أن تكون مسك الختام لمقدمة سريعة تعتمد على الإيجاز .

الطبعة الأولى للديوان جميعه

فى مجلد واحد

عام ١٩٦٠

بتفويض من الشاعر

ويشمل أجزاء الديوان السبعة التى طبعها

الشاعر فى حياته من ١٩٠٩ - ١٩١٩

والجزء الثامن ، ويتضمن القصائد

التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات

بعد عام ١٩١٩ ، والتى لم تنشر

ولم تجمع من قبل فى ديوان .

مؤلفات

عبد الرحمن شكرى

(أ) - شعر :

ديوان عبد الرحمن شكرى (فى ثمانية أجزاء) :

١ - الجزء الأول :	ضوء الفجر	١٩٠٩ و ١٩١٤
٢ - ٥ : الثانى	لآلىء الأفكار	١٩١٣
٣ - ٥ : الثالث	أناشيد الصبا	١٩١٥
٤ - ٥ : الرابع	زهر الربيع	١٩١٦
٥ - ٥ : الخامس	الخطرات	١٩١٦
٦ - ٥ : السادس	الأفنان	١٩١٨
٧ - ٥ : السابع	أزهار الخريف	١٩١٩
٨ - ٥ : الثامن :	(ويشمل القصائد التى نشرها الشاعر فى الصحف والمجلات ، والتي لم تنشر، ولم تجمع بعد فى ديوان ١٩٦٠) .	

(ب) - نثر :

١ - كتاب الثمرات	١٩١٦
٢ - ٥ : حديث إبليس	١٩١٦
٣ - ٥ : الاعترافات	١٩١٦
٤ - ٥ : الصحائف	١٩١٨
٥ - قصة الخلاق المجنون	١٩١٩ (بقلم ع . ش)
٦ - فى الشعر العباسى	- (نشرت فصوله متفرقة بمجلات : الرسالة ، والثقافة ، والهلال ، والمقتطف ، فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ولم تجمع بعد فى كتاب) .
٧ - دراسات نفسية	- (نشرت فصوله بمجلات الرسالة ، والثقافة ، والمقتطف ، والهلال فيما بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ولم تجمع بعد) .
٨ - بين القديم والجديد	- (سلسلة مقالات فى إيضاح حقيقة القديم والجديد فى الأدب . نشرت بمجلة الرسالة ١٩٣٨ - ١٩٣٩ بإمضاء مستعار ، ومصدرة بهذه العبارة : ٥ بقلم أحد أساطين الأدب الحديث) .
٩ - كتاب ٥ نظرات فى النفس والحياة »	- (نشرت فصوله بمجلة المقتطف بالقاهرة فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١) بتوقيع ع . ش .
١٠ - مقالات وبحوث مختلفة فى النقد والأدب	- (نشرت فى الصحف والمجلات فيما بين ١٩٣٣ - ١٩٤٧) .

الجزء الأول

ضوء الفجر

ألا يا طائرَ الفجرِ ردو سِ إنَّ الشـعرَ وجدان

(من قصيدة « عصفور الجنة » في الجزء الثالث لصاحب الديوان)

الطبعة الأولى للجزء الأول

عام ١٩٠٩

والطبعة الثانية ١٩١٤

كسرى والأنسيرة

قصة

يا فتاة الحى قومي فاسمعى
قصة ذات اعتبار آخذ
غضب الجبار كسرى غضبة
غضبة ذات وعيد رائع
ترك العرب على عزتها
أرسل الغارة فى ذى مرة
يفقد الطرف لديه لحظه
رام أمراً لم يرمه غيره
فرمى العرب بعزم ناظم
فغزا من أرضهم ما قد غزا
إن فى السبى لخوداً علمت
جال ماء الحسن فى أعضائها

قصة تقتل أطماع الهوى
بصميم اللب يقريه الهدى^(١)
فنما من شره ما قد نما^(٢)
ترك العرب كأطيار العرا
تبتغى المنعة ما بين الربى
ينزع الغل بتقطير الدما^(٣)
ويضل السيف فيه والقنا^(٤)
رب باغ نال أطراف المنى
ذى اغتيال لم يمانعه حمى
وسبى من أهلهم ما قد سبى
سنة البدر ملاشاة الدجى
فإذا ناجيته مع الضحى

* * *

رأت الإيوان فى أبهى بهة
تطبى النفس لأوطار الهوى^(٥)

(١) ذات اعتبار : أى فيها ما يعتبر به - يقريه هنا معناها يمتحه .

(٢) نما : ذاع وانتشر . المنعة : التحصن - الربى : جمع ربوة وهى أعالى الجبال والأماكن المرتفعة .

(٣) المرة بكسر الميم : الشدة والقوة أى جيش عظيم . وتقطير الدماء : إراقتها .

(٤) أى لعظم هذا الجيش تفقد العين لحظها فيه ويضل السيف .

(٥) اطبى على وزن افتعل : بمعنى استمال .

لو بغيسر الطهر عينٌ نظرت
رام كسرى من هواها بغية
وأذلت شهوة مقبوحة
أكلت أحشاءه والجنة
جاء كسرى شاهراً أطماعه
سامها كلٌ خسيس كارثٍ
ورماها بوعيدٍ حاسر
سواء أن قد تأبت فأتت
فاحتمت عنها بصبرٍ دارعٍ
إيه لله عفاف مخلص
ثم قالت قسولة في أسرها
« قيدوني ، غلّوني ، ضربوا
فأتاها نبأ من قومها
أو تجول الحرب في ميدانها
أو يكون السيف في أعدائهم

لرأت ذاك مقاماً للعسلى
فحسا من حسنها حتى انتشى ^(١)
منه حتى رام ما فوق الرضى
كولوج النار في عود الغضا ^(٢)
فنضا من حلمه ما قد نضا ^(٣)
قاتل اللذات يزرى بالنهى ^(٤)
شرس الإرهاب مجلوب الأذى ^(٥)
نقمة في طي ذياك الإبا
كاحتماء الحر عن ضيم عرا ^(٦)
لك ما سيم الخنى إلا أبى
تبعث الغلّ وتهفو بالوغى
لمس العفة منى بالعصا
أنهم عافوا لذات الكرى ^(٧)
كمجال الطيش في عهد الصبا
معملاً يودى بهام وطلا ^(٨)

(١) حسا الخمر : شربها . انتشى بمعنى : سكر . (٢) الغضا : نوع من الشجر .

(٣) نضا بمعنى : خلع . (٤) كارث : جالب للحزن . (٥) جاسر : عار .

(٦) دارع : أى لابس الدرع ، والمراد هنا صبر ذى احتمال . (٧) عاف : كره .

(٨) أعمل السيف في الهام : أى جعله عاملاً فيها . أودى بالشئ إذا ذهب به . والهام : جمع هامة . وهى الرؤوس . والطللى : جمع طلية ، وهى العنق .

خطراتٌ في المساء

مناجاة يوم مضى

نحن نبكى كلُّ مـيـتٍ راحلٍ	كيف لا نأسى على يومٍ مضى ^(١)
أشباب لك مرجو الضحى	أم مشيب لك معذول المساء ^(٢)
أنت في حالـيك كاس من بهاءٍ	خالب الأنحاء محمود الروا
رحم أنت لما تأتى به	أم ضريح للذى سرر بنا
يا حليفَ الحدثِ المقدور ما	فـسـعـل الحظ بمخلف المنى
يا سليلَ الدهر كم من حادثٍ	يجعل البائسَ محلول العزا ^(٣)
أنت مأواه فهل من عطفةٍ	تدع الناقمَ مجلوب الرضى
قد عهدناك ملاذاً من شقاءٍ	وعهدناك ملاذاً للشقا
تبعث الأحداث من مسكنها	بعثة الفارسِ أطراف القنا ^(٤)
تطلق الأحوال فينا مثلما	يطلق الساحر أقوال الرقى ^(٥)

(١) نأسى : أـى نحزن .

(٢) اليوم مرجو الضحى : لأن الإنسان إذا استيقظ استيقظت آماله ، وانفتحت أبواب حيله ، وانبعثت مساعيه ، فإذا أمسى كان قد صادف من الحوادث ما ينيم آماله .

(٣) العزا : هو العزاء مقصوداً .

(٥) الرقى : جمع رقية .

(٤) الأحداث : هى الحوادث .

عاشق المال

خداع الغواني

نسماتُ الربيع تخفق كالعتـ
فهي تغدو ما بين غصن نضير
كالرسولِ الأديبِ بين محب
يعقد الصلح في أناةٍ كما يعـ
وضياءُ الشمسِ المنيرة كالبدن
والندى عاشقٌ يدل عليه الـ
وهناك الطير المغرد كالشـا
نغمات لم يحوها المطرب البـا
هي برد على القلوب وعقد
تستميل الأغصانَ بالنغم العذ
لك شأو لم تلتمسه مياه
منظرٌ يجعل المهذب يبغى
منظر يبعث الشجونَ ويحبو

بِ برفقٍ فعل اللبيب الخبير
فاتن حسنه وغصن نضير
وحبيبٍ أو كالحكيم السفير
قد ربُّ النهى قضاء الأمور^(١)
بر إذا ما احتواه وجه البشير
ورد إدلال فائنات الثغور^(٢)
عر يتلو حمدَ الزمان النضير
رع إلا دعوى نفاقٍ وزور
للأماني ومدخل للسرور
ب فتتهتز هزة الخمر^(٣)
ما أعدت سوى غناء الخسرير
لبُّ ذاك الأمر الجليل الستير
فائنات المنى ببردٍ نضير^(٤)

* * *

(١) الأناة : التؤدة . (٢) معنى إدلال الورد على الندى : أنه إذا تمايل سقط عنه الندى .

(٣) المخمر : هو الذي عملت فيه الخمر . (٤) برد بمعنى : ثوب .

وأنت تخطر المعشقة الحسن
بقوام ينقد من دونه القل
خلفها العاشق المتيم يمشى
هو يتلو آيات حب كريح الـ
وهى ملذوذة به كتـملى
كلمات كأنها الحلم العذ
وموائق جملة تدع الحر
لم تذر للفتاة ما يبعث الشك
بينما كان جاثياً يرسل البث
جاءت الخادم العجوز لأمر
أرسلت دمعها الغزير وقالت
أكل الدهر ماله وقواه
وحليف القمار يدركه الذل
أثقل الدين ظهره وعدا الده
فغدا يائساً تكاءده الهـ
ثم أهوى إلى الحسام وكان الـ

اء تزهى بوجهها المستنير^(١)
ب وطرف يسطو بحسن الفتور^(٢)
مشية الظافر الأمير الخطير
زهر فى طيبه ونشر العبير
ذى عناء للظل وقت الهجير^(٣)
بُ ورد يحكى صفاء الطهور^(٤)
على حكمها قرين الأسير
ويزرى بعهدته فى الضمير
بشجر يلين صم الصخور
مستجد من طارقات الأمور
أنشب اليأس ظفـره فى الأمير
فغدا حظـه كحظ الفقير
ولو كان فى ذمام القصور^(٥)
ر عليه بقسمة المقمور^(٦)
ثم ببال جو وجد عثور^(٧)
موت منه بموعـد مقدور

(١) المعشقة بتشديد الشين : هى المعشوقة تزهى أى يدخلها العجب . والمستنير : المضيء .

(٢) ينقد : أى ينقطع . (٣) تملى بالشئ : نعم به .

(٤) الطهور بفتح الطاء : الطاهر . (٥) أى فى جمى القصور .

(٦) عدا معناها : سطا ، والمقمور : المغلوب فى القمار . (٧) تكاءده : أثقله ، جو : أى كسيف .

فاندبى حظك الضئيل وعيشى بعد هذا عيش الذليل الحقيقير !

* * *

مَنْ معينى على الحياة وقد ما
حين لم يبق لى سوى الأمل المرُّ
جزع القلبُ يوم مات وما القد
هكذا قالت الفتاة ومالت
فرمها بنظرة لو رمى اللي
نظرة ملؤها الخيانة والحق
نظرة تبعث الغضاضة فى النف
ثم قال اذهبى فقد ذهب الما
فات عمرُ الخداع وانكشف الغي
كنتُ أهواك حين مجدك عال
كنتُ أهواك حين جاهك عذب
كنتُ أهواك حين أنت من الإق
كنتُ أهواك والزمان مؤاتى
فإذا شئت فالفراق قريب
قال ما قال ثم مال إلى البـا

ت معينى وراح عنى نصيرى
وذكر رثٌ وحظٌ نزور^(١)
ب على كل نكبة بصبور
فى التجاء إلى الحبيب الظهير^(٢)
ث بها لاغتدى بقلب كسير
د تصيب الأحشاء قبل الصدور
س وتصمى بمثل وقع الذكور^(٣)
لُ جميعاً بأنتى وزفيرى
هبُ منى عن الرجاء القصير^(٤)
يأسر الدهر بالدور المطير^(٥)
وذراك الأغر غير حقيقير^(٦)
جال والعز بالمكان الأثير
لك وريب الزمان غير مغير
غير مُبك ولا مهيب قدير
ب كميل الظمآن نحو الغدير !

(١) النزور بفتح النون : المقل .

(٢) الظهير : هو النصير .

(٣) تصمى : أى تصيب ، والذكور : هى السيوف .

(٤) الغيب : الظلام .

(٥) الدور بفتح الدال : كناية عن الثروة .

(٦) الذرى بالفتح : الكنف .

هكذا تخدع الرجال الغوانى والغوانى قنيسة للغرور
باحتيال أدق من خدع الدهر روزى غص ودمع غـزير !

حنين الغريب

عند غروب الشمس

أيُّ هذا الغريب ذو البلد النـا زح ماذا دهاك عند الغروب ؟ (١)
قد عهدناك مستكيناً لربِّ الـ دهر مستلثماً بعزم صليب (٢)
وعهدناك لست تعرف ما الحـ بٌ ولا لوعة الفؤاد الطروب
وعهدناك ليس يكرثك الضـيـ مٌ ولا سطوة الزمان العصيب (٣)
وعهدناك خاشعاً مستقـاداً ذاكراً نعمة الأغر النجيب (٤)
وعهدناك إن زللت فـأدليـ ت بعذر سللت غل القطوب (٥)
وعهدناك لا حسوداً ولا غـراً طموحاً إلى المكان الخصب
وعهدناك لا بكياً قطوعاً لرجاء المستصرخ المستثيب (٦)
أنت واسيتنا وقد أجلب الدهـ ر علينا بالمستذل الجديب (٧)
أنت علمتنا الرجاء بأن كنـ ت غريباً مباسلاً للخطوب (٨)

(١) أي هذا أصلها أيها ذا ، وذا هنا اسم إشارة ، هكذا استعملتها العرب .

(٢) المستلثم : الذى ليس اللامة وهى الدرع .

(٣) يكرث : يجلب الحزن القاتل . والعصيب : الصعب الشديد .

(٤) أى إذا أولاك أحد منة كنت ذاكرأ لها .

(٥) أدلى بعذره إذا اعتذر . والفل : الحقد . والقطوب : الذى يقطب حاجبيه كثيراً .

(٦) الناقة البكى بتشديد الياء : القليلة اللبن . والمستصرخ : المستنجد . المستثيب : العافى .

(٧) أجلب فلان على فلان : أعان عليه ، أى عاداه وأذاه .

(٨) مباسلا : من البسالة ، أى مدافعاً ومباعداً .

فسسقى الله غربةً ألحقتنا
 أنت أعطيتنا الطلاقَةَ والبش
 فخليق بنا وقد ظهرت في
 أن نغديك بالنفوس اللواتي
 برجاءٍ عذبٍ وصبرٍ لبيب
 ر وأرقدتنا برأى مصيب^(١)
 وجهك السمع ظلمةُ التقطيب
 هن من جودك الغزير الصبيب^(٢)

* * *

أيها النافثون في قلبه الحز
 قد ذكرتم حالاً يروح لها مش
 إنما العـزُّ أن يكون بأرضٍ
 حيث لا يعرف المداراة والضمير
 مما به قلة الولاء ولكن
 ن ولا تعلمون داءَ القلوب
 تملا بالشقاء والتعذيب
 أنبتت نبعَ شمله المشعوب
 هم وذلُّ السؤال والتثريب
 وده أن يكون غير غريب

* * *

مستعير من السماء شعاع ال
 فأخوك الأديب في الأهل والدأ
 ليس في ثوبه سوى طلل با
 ليس في وجهه من البشر إلا
 ليس في قلبه سوى الحب والحز
 حزن أم مرتدٍ بعيش الأديب^(٣)
 ر له عيشة الغريب الكثيب
 ل وداء صعب وجرح رغيب
 مدمع مشرقٌ كلمع الضريب^(٤)
 ن وغليظ على الزمان المريب

(١) أرقد ورفد : أى أعطى .

(٢) القطعة الأولى التى تنتهى هنا قيلت على لسان أصحاب البلد التى نزلها هذا الغريب .

والقطعة التى بعدها على لسان أناس يلومون أصحاب هذه البلد .

(٣) أى هل ظلمة التقطيب مستعارة من ظلمة السماء عند الغروب ، أم لأنك ارتديت بعيش الأديب وهو

أسود اللون . (٤) الضريد الثلج .

فأتدب النادبات والمرأة الحم	قواء ممن يعددن شق الجيوب ^(١)
فتنتنا الحسناء بالزبرج المح	ض وغابت في مستقر غريب ^(٢)
أضمر الغرب وجهها فقتعنا	بذؤاباتهما قنوع السليب
منظر يبعث الشجون ويحبو	فاتنات المنى ببرد قشيب ^(٣)
مستمد من الجلال جلال ال	له والمظهر العظيم المهيب
أذكرتنى العيش اللذيذ الذى فا	ت بغصن كاس وعود رطيب
ثم لم يبق لى سوى الذكر الغر	فسحقاً لصرفه من غصوب ^(٤)
يا حنيناً إلى الحبيب ترفق	بفؤاد أجهدته بالوجيب ^(٥)
يا حنيناً إلى الأغر الذى كا	ن خبيراً طبا بداء القلوب
هل يطيب الزمان والأمل المع	سول ناء والصبر غير قريب !

حمام الكازينو

بالإسكندرية

مناذا دهى القلب من ال	أشسججان يوم الأحد
حيث الغواني فتنة	آخذة بالجلد
حالية كاتنها	آتية عن موعود ^(٦)
خاطرة فى مهل	كمشية المقيد
تهتز فى مشيتها	كهزة المسود ^(٧)

(١) ندب : أى دعا . (٢) المراد بالحسناء : الشمس ، والزبرج : الذهب .

(٣) القشيب : الجديد . (٤) سحقاً : أى بعدا .

(٥) الوجيب : الخفقان . (٦) حالية : أى لابسة حليها .

(٧) المسود بتشديد الواو : الذى يسود ويشرف .

باسممة ضساحكة	كاليليل المغررد
خصورها خافية	كأنها لم توجد
ضعيفة ناحلة	كالزاهد المقتصد ^(١)
ثيابها خافقة	كالنفس المردد
والبحر لا تحده	إلا بطول الأبد
كسأنه ذو دولة	مكلل بالزبد
كأنه ذو مهجة	موسومة بالحسد
أمواجه سائرة	كالثلج المطرد
مسياهه ممتدة	مثل امتداد الأمد
منبسطة منقبضة	كالعاذل المفند ^(٢)
ظلالها واقعة	في مائه المرتعد
كأنما أطرافها	دراهم المنتقد
عابثة بمائه	مائلة على اليد
كأنما أعضاؤها	مخلوقة من غيد ^(٣)
فقدتها معتدل	مقوم من أود ^(٤)
وخصرها مختبىء	في قسدها المنعقد
وشعرها منتثر	كالذهب المبدد!

(١) الزاهد : المقتصد الذي لا يريد من الدنيا غير الكفاف . (٢) المفند : المكذب .
(٢) الغيد بفتحين : النعومة . (٤) الأود : هو العوج .

الحبُّ نائمٌ ويقظان

نبئتُ أن الحورَ جئن حديقةً بكراً كحاشية الرداءِ الأجدد
حيث الندى فتق الزهور بحيلةٍ أزرت بوقع الصارم المتعمد
والطير مفتونٌ بحسن بيانه فمغرد يشجو وغير مغرد
والأرض كالحسناءِ يوم زفافها رود النواحي بالمحاسن ترتدى
حيث الهوى وهو العظيم قضاؤه شرك الأبي وعقلة المتعبد^(١)
أرعى لواظظه وأطبق جفنه فعل اللبيب القانص المترصد
فأمنَّ منه صولة عربية تدع العزيز من الفناء بموعده
يحسبن ذاك وما أمنَّ وإنما هى حيلة ذهبت بحزم الأرشد
فمبشى إليهن الهوى بترقبٍ مشى الشجاعة فى فؤاد القعد^(٢)
فعثرن فى أذيالهن تخوفاً منه وسوين المطارف باليد^(٣)
وعدون عدوة خائف متظالعٍ إن لم يكن متزايلاً فكأن قد^(٤)

* * *

فكأنهن أزاهر منثورةٌ نشر المبشر غرة الخبر الندى^(٥)

(١) العقلة : ما يربط ويقيد به .

(٢) القعد : الجبان ، والشجاعة تمشى ببطء فى قلب الجبان ، فكأن الهوى أراد أن يأسر الحسان فى غفلتهن فمبشى إليهن ببطء كى لا ينتبهن .

(٣) المطارف : جمع مطرف وهو نوع من الثياب . وتسوية المطارف : كناية عن الاستعداد للجري .

(٤) التظالع فى المشى : الخروج عن الطريق المستقيم . والتزاييل : التفكك . والمتزاييل الذى تتفكك أعضاؤه .

(٥) غرة الشئ : أوله . والخبر الندى : كناية عن الخبر السار .

وكانهن صوادفاً وشوارداً
 وكانهن نسائم الصيف التي
 وكانهن كواكب السعد التي
 وكانهن عزائم النحس الذي
 حبات عقد اللؤلؤ المتبدد^(١)
 تحيي رجاء العاشق المتهد
 سكنت فؤاد الحندس المتجسد^(٢)
 لعب القضاء بسعيه المتجدد

* * *

إلا فتاة علّها ماء الصبا
 أخاف هذا الحب في يقظاته
 وأنا التي شقى السعيد بهجرها
 وأنا التي لعبت بلُب الأصيد^(٤)
 فتمهلت كبيراً بحسن تاود^(٣)
 وقضى الجليد بدلها المتوعد^(٥) ؟

* * *

قال الغرام وربّ قولة ناصح
 يارب غانية طرقت فناءها
 كانت تظنّ فؤادها متائباً
 فتركتها والنار بين ضلوعها
 أحسبت أن الحسن يأنف أن يرى
 فوصمتها بضراعة المستعبد^(٧)
 أبدت لها وجه السبيل الأقصـد^(٦)
 عني ولم تعلم بسهمي المقصد^(٨)
 تدعو على بلهفة وتلدد^(٩)
 بحنين مفتون وجفن مسهد

* * *

-
- (١) صدف : أى نفروصد . والمتبدد : المتفرق .
 (٢) علها : أى سقاها . والتاود : التثنى .
 (٣) قضى : أى مات .
 (٤) الأصيد : السيد الشريف .
 (٥) قضى : أى مات .
 (٦) الأقصـد : أى الأكثر استقامة .
 (٧) الضراعة : الذل .
 (٨) المقصد : المصيب .
 (٩) تلدد : أى تحرق .

مناجاة الحبيب

لو أن أشجانَ الفؤادِ تطيعنِي
أو ما علمت بأننِي لك عاشقٌ
يا بؤس من سكنت إليك لحاظه
أرنبو إليك فتحتويني هيبةً
ما حيلة الطرفِ الذليل إذا كبا
يا نظرة تهدي الشجون وتنتضي
ويعيدك القلب الذي عانى القلى
وإذا وضعتك فى الجفونِ صيانة
وإذا رغبت لك الضلوع فإِننِي
وإذا وضعتك فى الفؤاد فإِننِي
إن كنت تأبى أننِي بك هائم
أو كنت تبعد بالوصال مضنة
هل بعد أن أفنى الغرامُ حشاشتى
حب كماءِ المزن حين وقوعه
يأليت حظى منك أنى نفحة
وأود لو ركد النسيمُ وقد رمى
فأكونُ منك بحيث يطمع عاشقٌ
لنظمتها لك فى القريض نسيباً
أفنى الزمانَ صبايةً ونحيباً
أن كنت أنت على المحب رقيباً
فأرد طرفى خاشعاً مغلوباً
أن كان شخصك فى الفؤاد مهيباً^(١)
سيفاً من الطرف الكحيل مصيباً^(٢)
من أن تكونَ على الجفاء معيباً
أذرت عليك لدى البكاء صبيباً
أخشى عليك لهيبها المشبوباً
أخشى عليك من الفؤاد وجيباً
فأردد إلى فؤادى المسلوباً
فأبعث إلى خيالك المحجوباً
يأبى دلالك أن تكون طيباً ؟
فوق الزهور مرقراً مسكوباً
تسعى إليك مع النسيم هبوباً
بى دون قيد الرمح منك قريباً^(٣)
لا أتقى هجراً ولا تأنيباً

(١) كبا : أى عثر . (٢) انتضى : سل .

(٣) ركد : أى وقف . وقيد الرمح : مقدار طوله .

لو ذاق طعمَ الحب كلُّ مؤنب
هل نافعى أنى أكتّم لوعتى
عجباً لطرفى يستريح إلى البكا
ما أخلق الدنف المشوق بسلوّة

قلبى لصار العاذلون قلوبا
عمن يظل بما أسر لعوبا ؟
من بعد ما كان البكاء غريبا
إن كان لا يرجو المحب حبيبا

شكوى الزمان

كفى حزنًا أن التطلب بالصبر
لقد لفظتنى رحمةُ الله يافعا
رضيتُ بهذا العيش بعد أبوة
وحاول منى الهم صبراً فلم أزل
وإنى لأدرى أن فى الموت راحة
ولولا تقى لا يملك اليأسُ صرفه
فما أسرع الأحداث إن قلت أبطئى
فإن كان ذنبى من تناقض خطئى
وربّ ليالٍ بت أدحو ظلامها
وزاولتُ صرف الدهر حتى عرفتّه
دعانى إليه الفضل لما دعوته
فما ساءنى ما بت أخفيه جاهداً
هل العيش إلا أن تنال بعزّة

وأن مآقى العين أدمعها تجرى
فصرت كائى فى الثمانين من عمرى
لأبلغ شأواً أو أغيب فى قبرى
أدافعه حتى أبحت له صدرى
وأجنبه حتى كائى لا أدرى^(١)
لأوردنى يأسى على المسلك الوعر
وما أبطأ الآمال إن سمتها نصرى
فعذرى إلى الأيام أن ضاق بى عذرى
بطرفى وذيل الليل يعثر بالفجر^(٢)
فسيان ما لاقيت فى العسر واليسر
فما زال بى حتى التقينا على قدر^(٣)
ولا سرنى ما يعلم الناس من أمرى
مقاماً كان النجم من تحته يسرى

(١) أجنبه : أى أتجنبه .

(٢) أدحو : أى أبسط .

(٣) أى موعد مقدر .

فَمَا الْعَزْمُ إِلَّا مَا يَبْلُغُكَ الْمَنَى وَمَا الْعَجْزُ إِلَّا أَنْ تُنْهَنَهُ بِالزَّجْرِ ^(١)
إِذَا كُنْتَ ذَا عَسْرٍ فَكُنْ ذَا قَنَاعَةٍ فَإِنْ أَحْتِمَالَ الْعَسْرَ يَذْهَبِ بِالْعَسْرِ

شكوى الصديق

وَمَطْلَبٌ بِالْعَتَبِ هَجَرِي لَمْ أَزَلْ أَدَارِيهِ حَتَّى عَارِضْتَهُ مَذَاهِبُهُ
يَعَالِجُ مِنِّي بِاسْمِ الشَّغْرِ رَاضِيًا وَأَخْبِرُ غَرًّا أَنْكَرْتَهُ مَعَايِبُهُ ^(٢)
أَجُودُ بِنَفْسِي فِي هَوَاهُ سَمَاحَةً وَيَبْخُلُ بِالنَّذْرِ الَّذِي أَنَا طَالِبُهُ ^(٣)
وَمَا كُلُّ أَمْرٍ تَسْتَقِيمُ صَدُورُهُ لِمَنْ لَمْ يَرْضُهُ تَسْتَقِيمُ عَوَاقِبُهُ ^(٤)
لَقَدْ سَأَمْنِي أَنْ أَقْبَلَ الذَّلْ ضَلَةً هَلِ الْغَيْنُ إِلَّا مَا تَقِلُّ مَطَالِبُهُ ^(٥)
وَوَكُلُّ بِي الْأَعْرَاضِ حَتَّى أَلْفَتْهُ وَمَا كُلُّ صَافِي الْوَجْهِ تَصِفُو مِشَارِبُهُ ^(٦)
سَأَنْدُبُ عَهْدًا كُنْتُ فِيهِ بَغْبَطَةً وَهَلْ يَرْجِعُ الْعَهْدُ الَّذِي أَنَا نَادِبُهُ
وَلَيْلٌ كَأَغْضَاءِ الْحَلِيمِ دَرَعَتُهُ لِأَقْضَى أَوْ تَنْجَابٍ عَنِّي غِيَاهِبُهُ
وَصَلْتُ بِهِ الْأَوْهَامَ حَتَّى كَأَنَّمَا يِرَاقِبُهَا فِي مَكْشَهَا وَتِرَاقِبُهُ

تحية للشمس

عند شروقها

أَشْرِقِي يَا طَلْعَةُ الشَّمْسِ سِ عَلَيْنَا وَأُنِيرِي
أَنْتَ لِلْفَرَسِ حَيَاةٌ وَحَلِي الرُّوْضِ النُّضِيرِ
كَسِيفٍ لَا تَرْتَاحُ نَفْسٌ لِلْبَهَاءِ الْمُسْتَنِيرِ

(١) تنهته : أى تدفع .

(٢) أخبر : أختبر .

(٣) النذر : القليل .

(٤) راض الأمر : ذلله .

(٥) أقل : أى حمل .

(٦) مشاربه : كناية عن مودته .

ما رأى ضوءك غرُّ	يسوى الطرف الحسير ^(١)
غازلى الغصن برفق	وامسحى وجه الغدير
وسلى الغيد ابتساما	من أقاحى الثغور
واذمى وجهه مريب	واحمدى وجه بشير
وسلى المقلّة أن تشـ	رق بالدمع الغزير
إن فى الدمع إذا استغـ	زر إعلان السرور
وتمشى فى فضاء الـ	له مشى المستغير
مشية الحسّر المرجى	لعظيمات الأمور

* * *

وابعثى أبناءك الغر	إلى بيت العليل ^(٢)
سهر الليل ولا مسـ	عد فى الليل الطويل
نظرة منك إليـه	خلست بشر الرسول
نظرة غسراء تودى	بجوى الداء الدخيل
وكان الليل لما	خانه وقت الرحيل
ضامن قلب مسحـ	راعه قول عذول

* * *

وكان الشمس تجلى	فى خمار من لهيب
أقبلت فى الأفق تسعى	مثل إقبال الحبيب
منظر يفعل فعل الـ	معود بالقلب الطروب

(١) الحسير : الكليل والضعيف . (٢) أبناء الشمس : كناية عن أشعتها .

بأحاديثِ القلوب	غَـيـرَ أنَّ اللَّـيـلَ أدرى
رقِ والعادى المهيب ^(١)	شـمـلـة العاشق والسـا
بدلَ الجـنـح المـرـيـب	لبس الأفق ضـيـاءً
قـبـه غـيـرُ المـشـيـب	وشباب المرء لا يعـ

الحبُّ واللـيـل

فى ليلةٍ كـسـريرة الدهرِ	عمى الدجى عن مطلع الفجرِ
ولع الندى ببـدائع الزهر	ولع البكاء بـناظرى كـمـا
نمت عليه مـواقـع القطر	والروض ممتنع الرقادِ وقـد
باح السحاب بطلعة البدر	والليل مشقوق الجيوب وقد
والقلب مؤتمن على السر	والطرف بالإفشاء متهمٌ
فكأنما خلس الدجى صبرى	وأكد أن لا أستقر جوى
عند الصبا فمـنيت بالهجر	وأملت أن أجد الوسيلة لى
إن الشباب مطية العذر ^(٢)	لا تلح مشتاقاً على شجنٍ
والهجر يأكل جـدة العمر	والسعى رزقٌ والهوى أمل
فكما يدب الشرُ فى الخير	والحب إن دبَّ السلوب به
واليسر قد يفضى إلى عسر	والصفو قد يفضى إلى كدرٍ
فقد استثار الموت بالسحر	من ناوشت نظراته حسناً

(١) الشملة : كساء .

(٢) الشطر الثانى من هذا البيت مأخوذ من قول أبى نواس : إن الشباب مطية الجهل .

النغمات

إذا ترنَّم والآذان ظامئــة
لج من النغمات الغرَّ يحمدها
لو صورت فأقامت غير خافية
كأن شيئاً من الحب الذى غريت

خلنا الروى على آذاننا اندفقا
إن النفوس تعاني بينها الفرقا
كانت أجل الذى يستعبد الحدقا
به الخليفة فى أثنائها انبثقا

* * *

إذا ابتدأها عظيم فى مهارته
تظل تفعل بالأحزان ما فعلت
تذوب فيها هموم النفس خافية
ينزو الهيام بقلبي حين أسمعها
كعصفها حين لجت فى تأوبها
تشير من نزعات القلب مرحمة
وتبعث الذكر العهد الذى ضمنت

حسبت كل ضجيج لج فى الخرس
أشعة القمر الوضاح بالغلس^(١)
كما يذوب الندى فى موقع النفس
لعب الرياح بثوب البائس التعس^(٢)
كلجة البحر تطفى شعله القبس^(٣)
ترد عادية المستأسد الشرس
فتودع القلب وجداً غير ملتبس

* * *

كأنها ذات حول ليس يعجزها
كأنها شاعرٌ جادت مخيلته الـ
لا شيء من حسن الألحان يفضلها
وأنة النسمة المعطار جاذبة

إحياء منعفر فى القبر منفرد
غراء بالكلم المسعود بالسدد
إلا الخرير وصوت الطائر الفرد
جيد الغصون بجبل ليس من مسد

(١) الغلس : الظلام . (٢) ينزو : أى يشب .

(٣) الهاء فى كعصفها تعود على الرياح ، كذلك الضمير المستتر فى تطفى .

الفونوغراف

هل علم الغريد في وكره
وهل درى المطرب ماذا الذى
يا عجيباً من ناطق أبكم
يستخرج اللحن بمسونة
تخط في أعطافه أحرفاً
يروى أحاديث أناس مضوا
شأن الذى خفض من قدره ؟
يستحضر الملحود من قبره ؟
تألف الأخوان فى صدره
تزيل ذاك اللبس عن أمره
كأنها تبحث عن سره
كأنها مرت على فكره

حديقة

فيحاء زان شبابها
حيث الفرائد جمّة
من كل محسود البها
والورد يقطر بالسندى
والنهر يرفل عندها
فكأنه وكأنها
تجلى بصفحة مائه
فكأن فوق الماء ما
وكان صورة درهم
وكان طلعة فاتن
لون الربيع الأزهر
تزهو بأروع منظر
مكلل ومنور
كالعاشق المستعبر
فى ثوبه المتكسر
أحوى استكن بمئزر
صور الربيع الأخضر
صنعتة كف مصور
سكنت بخاطر معسر
أخذت بلب محير

ق غصصونها بتسخطر	تتردد الأطياف فـ
خلد الطمـوح المـتـرى	كـتـردّ الآمال في
مـسـرح الخـليـع المـوسـر	مـسـرح الطـيـور أجـل من
ء وذاك غـيـر مـكـدر	هـذا يـدبُّ به الشـقـقا

مغالبة الهوى

أم ضمنوك مصارع العشاق !	هل قلدوك مدامع الآماق
وسطت بنقمة هجرة وفراق	يا فتنة أخذت على مـذاهـبـي
مرّ الوقـيعة صادق الإبراق	إن كنت لا تخشين صولة ظالم
ذل الهوى وصـبابة المشتاق	فدعى مغالبة الضعيف وناجزى

مطال الهوى

باتصال الرقاد نضوا صريعا	حاذر الطيف أن يلم فيشفي
سجـرته حتـى استـحال دـمـوعـا	أودع القلب حبه زفـرات
ب على مسمعى حجاباً منوعا	أيها العاذلون قد وضع الحـ
ل فما اسطعت بعد ذاك نزوعا	قد تبعت الهوى إلى آخر المطـ
ف فطالبت بالوفاء تبـوعـا	وتخوفت أن يدبُّ به الخـلـد
مطل أن أجعل البكاء شفيعا	ما يـضـيرُ الذى يعلـلـنى بالـ
خلف حتى فقدت منه صنيعا	طالما قد ذمت مـطـلك قـبـل الـ
مدار يؤسى ونازعتنى الهـجـوعـا	وتنبهت حين أعلنت الأقـ

نظرة

نظرت إلى بعين مستبصر
يا نظرة في طيها نعم
جمع الدلال وحيرة الساهي
فكأنها من رحمة الله

في سبيل الجامعة

برأى شديد واعتزام مصمم
فلا قول يغني عنك غير مؤيد
ألا عصابة غراء يصدق سعيها
ألا قائل أو باذل أو مسؤاظر
فنبصر إما أسعدت عزماتهم
هنالك آمال كأن بطونها
فيا حسن ذكر للذين تملكوا
أيدعي غنى القوم سيد قومه
إذا لم يكن طبع فجودوا تطبعوا
وأنتم عماد للبلاد مشيد
ألم يكفكم فخراً وعزاً وسؤداً
فجودوا فقد جاد البهاليل قبلكم
وإن شنيع العار أعظم سببة
إذا لم تناصركم حمية ماجد
يقوم ميل الحادث المتجهتم
بفعل حميد الوقع غير مذم
تنادى لأمر مدبر غير مبرم
برأى يقوى عزيمة المتبرم
محاسن تزرى بالجمان المنظم
تفتح عن عيش رقيق منعم
لباب الغنى فاستمسكوا بالتكرم
إذا غاب عنه فضل فعل معظم
فرباً جميل جاء من متندم
فلا تتركوها كالبناء المهدم
رجاء محلى بالثناء المفعم
وحظهم الموفور غير المثلّم
من الفقر إما عادكم من توهّم
فياضيعة الآمال في الزمن العمى !

مصري عربى

يخطاب أخاه القبطى

بنى البهاتيل من علياء شاهقة
إذا تناءى بكم عن مجدنا نسبُ
إن التآلف لم يترك لنا نسباً
أما وقومى وقومى خير ما حلف
إذا الأواصر لم تجعل لنا سبباً
إذا هفوتم رميناكم بمعتبة
يدان إن تقطعوننا تقطعوا يداكم
إنى على شغفى بالأهل يطربنى
فإن فخرت فبالصيد الأولى أسروا
كانت لكم دولة غراء ثابتة
كنتم تطلون فوق النجم من أنف
ومحتد الصيد لا تمشى له الريبُ
فأنتم فى مراقى مجدكم عرب
يلوى بكم دوننا من دونه نسب
إذا حلفت تدانى المجد والحسب
فحرمة الود فيما بيننا سبب
فإن هفونا فلا يملككم الغضب
كذاك نحن لنا فى عزكم أرب
أنى إليكم إذا فاخرت أنتسب
حوادث الدهر لم يخذلهم الغلب
فى مرتقى العز تبغى شأوها الشهب
حتى تركتم سهيلاً قلبه يجب

ضرر اليأس

أخذ القنوط عليك كل وسيلةٍ
واليأس إن يعرض لعزيمة عازمٍ
لولا مزاولة التجهم ما رأت
فإذا نهجت من التفكر منهجاً
كم طالب وجد التجهم مغنماً
من حيث لم يترك لرأيك منزلاً
بلغ الصميم وحال من أن يعمل
هذى الرذيلة فى فؤادك مدخلا
فاجعل فؤادك للطلاقة موئلاً
حتى ثناه اليأس عن طلب العلا

ذكرى

محبُّ حماه الهجر أن يتصبراً
وفى الذكر الغرُّ التذاذُ بما مضى
ذكرت به ليلاً كأن نجومه
يبيت الندى فوق الزهور مرقراً
وفى ساعدى ريان من نهلة الصبا
يبيت يناجيني بسحر لحاظه
فما إن طلبتُ الوصل إلا تخرجاً
والتمس العذر الخفى لصدده
فأغضيتُ عن بعض الذى كان فى الهوى
ومن حاجة المهجور أن يتذكراً
ورجعة عيش جلُّ عن أن يكدرأ
ثقوبٌ نرى منها الصباح المسترا
كما انبعث الطلُّ الرقيق ليقطراً
كما فتح الشؤبوب زهراً منوراً
ويسمعنى ذاك الحديث المغرراً
وما إن شكوت الهجر إلا تحسراً
ولست أريد العذر إلا تعذراً
وما عشق الفتان إلا ليعذراً

أعمى يرثى بصره

قال الرغيبُ المواسى لا تكن جزعاً
وفى الظلام عبارات منمقة
لو أن كل فتون مثل ما زعموا
إذا سمعت حبيباً ليس فى نظرى
كسان الأمين المرجى يوم كارثةٍ
أبكى عليه بعينٍ كان يعمرها
ففتنة العين داءٌ غير مأمون
تكن فى لبها ما ليس بالدون^(١)
وددت أن لنفسي حال مفتون
علمت أنى بين العز والهون
فأصبح الدهر فيه غير مأمون
كأنها نحر دامى النحر مطعون

(١) يقال إن الخيال يقوى إذا فقد البصر ، وقد قال بشار : « عميت جنيناً والذكاء من العمى » .

لى بعد فقدك سمع كله حذر يظل يسعدنى من حيث يعينى^(١)

البخيل

يرعى البخيلُ ماله لولده يحرسه فى نومه وسهده يلصقه فى نومه بخده
كانه يحسبه من جلده يجمعه بكده أو جده كأنه يجمعه لعهده
وبخله داعية لفقده فعيشه مستعيد لزهده مجديه مستجلب من رغده
إن البخيل معدم فى سعده كأنما يطلبه بسرده

الومه فى التجنى

ألومه فى التجنى ثم أعذره والدمع يفصح عما كنت أستره
يبيت ممتلىء الأجفان من وسنٍ منعماً وحليف الليل يسهره
ياليتـه كان يدرى كيف يرحمنى أو ليتنى كنت أدرى كيف أهجره
لكل صبٍ شفيع من صبايته ودمعه وشفيع الحسن منظره
إذا نظرت إليه حرتُ من ولهٍ ياليت قلبى يقسو حين أنظره
أبيت أعذل قلبى فى محبته والعين فى عبرات الدمع تحدره
فهل تعاون قلبى فى حوائجه يأبها الأمل الممنوع مصدره
بالله يا نسيمات الريح سائرة نحو الحبيب الذى قد طاب عنصره
استودعيه سلاماً كله شجن من المحب الذى قد مات أكثره !

(١) يعنيه لأنه لا يقوم مقام النظر ، وقد قال ابن الرومى :

هل العين بعد السمع تكفى مكانه أم السمع بعد العين يهدى كما تهدى

الْخُمُولُ

كم وردة ليس لها ناشقٌ	يحفها الروضُ بوادٍ سحيق
تَنبت في زهرٍ كريم الثرى	مستوثق الأصلِ عزير العروق
طيبة النكهة لم تبتذل	يخلص رياها التسميم الرقيق
كللها القطر وماء الندى	بلؤلؤٍ من دمعته ذى بريق
وجردول ينساب بين الرُبى	يحسبه الذائقُ كأس الرحيق
ويلبلل يعرب عن شجوه	من حيث لا يأخذ سمع المشوق
وخامل والفضل من حظّه	قد أخرجوه بالأذى والعفوق

اليسرُ بعد العسرِ

إن الشتاءَ إذا تطاول أمرُهُ	دخل الربيع بطيبه وروائه
والليلُ إذا لجّ في غلوائه	جاء الصباح بضوئه وبهائه
والسحبُ إذا أسقمت وجه السما	برز الهلال يزيناها بضياءه
وكذا الشقاء إذا تمادى عهده	جاء النعيم يذل من غلوائه

حسنا ما أتت في صباها

أى مهدي أهدى المنون إليها	واستعار الربيعُ من وجنتيها
وهي حسناء مثل لؤلؤة الحا	لى إذا قامت اللحاظ عليها
وسقاها ماء الحياء مريئاً	واستبدّ الفتونُ في مقلتيها
عظة تبعث الشجونَ وتجلي	خادعات الصروف في حالتها

عتابٌ واعتابٌ

ألا مبلغ عني الصديق رسالة
حمدتك لا أنى أردت مشوبةً
لقد أعلمتك الحادثات مكانها
وما كنت إلا الدهر في حال سلمه
وما أخذتك النفس إلا فضائلاً
أظل ولم أكحل بمرآك ناظري
ودون التراضى معتب وغضوب
على الحمد لكن كى يقال مصيب
فصار على المقدار منك رقيب
سوى أنه في الحالين مريب
كأنك معنى في الضمير عجيب
كأنى بين الأقربين غريب

المشقوق

ضاقت الأرض عن مآثمه فاعد
حملته على الرياح وأعلت
يعظ الناس بالممات كأن الـ
جمعت حوله الورى فله حا
وأقالتنه من مآثمه فر
منظر ما أقسام بالعين إلا
وله في النفوس وقع أليم
ذاك من مله الشقاء وكل الـ
كان في عيشه من الخبث كالأجـ
رباً صحو من سكرة ورخاء
تناض عنها برقة الملحود
ه عن الناس زاجراً بالوعيد
رشد مستجلب من التباعد
ل حسود ووقففة المحسود
قة عيش معجل التنكيد
راعها بالبكاء والتسهيد
ينزع الغل من فؤاد الحقود
جؤس منه فصار صنو الشريد
رب يغدو في أهله كالوحيـ
من عناء ويقظة في رقود

حسناء تغنى

ربُّ الحنِّ كأنه المنظر الغض
وغناء عذب يدبُّ إلى حـ
وفم لا يكاد ينطق من دقِّ
وكانَّ السكونَ أصغى إليها
بيتُ الآمال والأوطارا
تُ الأمانى فيخرج الأسرار
تسسه بالغناء إلا اضطارا
فأفاضت على السكون وقارا

نصيبي من الحياة

هل ألومُ المنى وهن ثقاتى
يا غريمَ البكا رويدك لاتم
إن يكن حظُّك القليل فهل تق
إنَّ عشرين حجةً تركتني
إنَّ من أخطأ الرجاء يرى الده
من دهاه الشقاء فى يقظة الده
كلُّ يومٍ يفنى من المرء شىءٌ
كيف أثنى على الزمان إذا كا
إن تراخى الرجاء عني قليلا
يا لهدى الحياة مَنْ لأناسٍ
فأناسٌ تسرُّهم سيئاتى
وأسيغ الأسى بغير شكاة ؟
حى دواعى الهموم بالعبرات
ضى عليه بهذه الحسرات
لا أرجى سوى الذى هو آت
رربعين تقذى بغير قذاة
رجزاه النعيم فى الغفلات
ما سمعنا عليه صوت النعاة
ن ارتقابُ الآمال من عزماتى
فوداعاً لما بقى من حياتى
يدفعون الحقوق بالشبهات
وأناسٌ تسوؤهم حسناتى !

الصغير والكبير

رأيتُ الكبيرَ ضئيلَ الطمَاحِ	يتبَعُ خِطَاطَـهُ مَا تَوَلَّى
وفى الذِّكْرَ الغرَ ذخرَ جليلٍ	لَمَنْ جَعَلَتْـهُ العِوَادَى مَقْلَـاً
وإنَّ الصَّغِيرَ أبى الطمَاحِ	يَـرْجى مِنَ الغِنْدِ عِزًّا وَنِـبَـلاً
وفى الحقِّ إنَّ غنىَّ الأَمَانِى	يَعْجِزُ أنْ يَتَّبِعَ القُـوْلَ فَعِـلَا
وفى السَّعى شىءٌ يَعُوقُ الطَّمُوحَ	فَيَخْطِى الأَجَلَ وَيَصْمِى الأَفْـلَا

الطموح

بكاءُ العينِ علَّمَهَا السُّهَادَا	وهِمُّ النَفْسِ جَشَّـمَهَا الجِلَادَا
وبى ظمًّا لو أنَّ المَاءَ رَى	لَهُ مَابِتٌ أَفْتَقَدَ الرِّقَادَا
ولو أنَّ الظَّلَامَ بِقَدَرِ مَابِى	لَمَا عَرَفَ الصَّبَاحُ لَهُ نَفَادَا
وقد كَانَ الزَّمَانُ إِذَا رَمَانِى	تَطْرُقَنِى فَعَلِمَنِى السَّدَادَا
ونَاشَتَنِى الهمومُ ولمْ أَرعَهَا	كَأَنَّ لَهَا عَلَى حِلْمِ اعْتِمَادَا
أَهِمُّ إِلَى العِـلَا وَتَعَافُ نَفْسِى	لَغَيْرِ قَلْبِى مَخَافَةً أَنْ تَكَادَا
ورَوْضَهَا طَمُوحِى لِلتَّمَنَى	فَصَيَّرَتِ الطَّلَابَ لَهَا اعْتِقَادَا
وزَاوَلْتُ السَّبَاقَ بِهَا فَلَمَّا	سَبَقْتُ البَرْقَ جَارِيتِ المَرَادَا
بَلَغْتَ بِهَا المَدَى فَلَوْ اسْتَزَادَتْ	عَلَوًّا مَا وَجَدْتَ المَسْتَزَادَا

رثاء مصطفى كامل^(١)

نفد العمر على طول الليالي
ومجال الدهر في أحواله
ياضلوها دونها حر الجوى
فاجزعى يانفس أولا تجزعى
وانقمعى الحزن بآماقى إذا
قد يفيد الحزن فى مرزئة
وإذا المقسدار لم ينج امراً
قد مضى من كان فينا رحمة
ولقد عاش على غير قلى
باشر الآمال مبدول اللهى
ولقد دك المعالى أنه
أوحش الموت به أنفسنا
وهب الدهر نفيساً للعلا
ولئن أودى فقد أبقى لنا
إنما العيش طريق للردى

واستباح الموتُ ذكراً غير بالى
ألحق التسالين منا بالأوالى
أصبح السلوان بعد الدمع غالى
ما بقاء المرء إلا للزوال
وجد الظمآن رياء عند آل
لو يعود المرء بعد الانتقال
جزع الدرع على ذكر النصال
لليتامى واعتصاماً للعيال
فرماه الدهرُ بالداء العضال
واستقاد الدهر محمود الجلال
فارق الأحوال مفقود المثال
والمنى دانية والمجد عالى
واستباح الرد ضناً بالنوال
سيراً فى مجده غير بوالى
وخلود المرء فى حسن الفعل

موقف

وليلة كشعار الحزن داجية
جاءت بأغيد يفرى الليل عن وضوح
لا أستعيد بها إلا من الأرق
من وجهه كطلوع البدر فى الغسق

(١) كانت وفاة الزعيم مصطفى كامل فى ١١ من فبراير عام ١٩٠٨ .

بى الصبابةُ فعلُ النوم بالحدق
نحوى الدموع فعطفه على قلق
أن لا ألد سوى مرأى ومعتنق
على الجفون تصادى عادى الغرق
ما بال قلبك مطوياً على حرق ؟

فبت أودعه النجوى وقد فعلت
ينأى به الدلُّ عنى ثم تعطفه
وبات أدنى من الأشواق يحرسه
يدٌ على القلب تستجدى الهوى ويد
يقول والحرف فى الأنفاس يؤلمه

التأليف

أسبابها أن تقطعوا اليد باليد
غير الوفاق غدت يشمل مشرد
ودُ تنأى فرقد عن فرقد
ندنى على الأحقادِ عادية الغد ؟
لولا مدهانة الزمان الأنكد
رصدت لكل محزبٍ وموحد
متقسمٌ والشامتون بمرصد
أرث الأماجد سيداً عن سيد
يمشى عليها الدهر مشى مقيد
فتلق فيه رقة المتوود

أبنى أبينا والأمور ضعيفة
إن الثريا لو تسر نجومها
والفرقدين إذا تخلقى عنهما
هل سرَّكم يوم اللجاجة أننا
كنا وكنتم فى الصميم من العلا
لولا اللجاجة والمرء وعصبة
ومن البلية أن نكون وجمعنا
يا ابن الفراعنة الأولى ورثوا العلى
قم نرجع الفضل الصريح ودولة
هذا مقالى شيتته بنصيحةٍ

الشاعر وحييته

حبيبة مشبوب الفؤاد معذب
ضياء فآمالى خديعة خلب

دعيني وحظى لست أهلاً لأن ترى
إذا ما رأيت البشر يملأ صفحتى

وما بعث الله الأديبَ ليمتطى	على سروات العزِّ أطيّبَ مركب
تريه مكانَ الهمِّ عينٌ بصيرةٌ	فيحويه منه كالخباءِ المطنب
يفرُّ الرجاءُ العذبُ من خطراته	فرار الصحيح الجسم من لمس أجرب
مهيجة أشجانه لا يمسخها	سوى كل فوارِ الصبابةِ أغلب
فهن كاعضاء اللديع إذا دنت	لشيءٍ تأذت من حكاك المقرب

ليلة من ليالى الحب

ياربُّ ليلٍ بتُّ في جنحـه	أستنصرُ البدرَ على ندّه
فزارنى زورةٌ ذى رقـبـة	يرى التـدانى منتهى جدّه
فرحت أحكى الدهرَ فى سلمه	وراح يحكى السيف فى جهده
وانتزع الرقـة من قلبه	وأسكن الرقـة فى قدّه
ثم ائتلفنا عند حكم الهوى	مثل ائتلاف الدرِّ فى عقده

عين اليقظة وعين الحلم

ما لعيني دمعها قد نفدا	ولجنبي لا يمسُّ المرقـدا
آفة العاشق من حيث يرى	كشقاءٍ من نعيمٍ وردا
بعثت عيني منها نظرة	قربتني منه حتى بعدا
قد عرفتُ الصبر حتى راعنى	بالتنائى فعرفتُ الكمدا
إنَّ عيني ولها الحمد لقد	أنجزت بالنوم ما قد وعدا
فأسألنى الهمُّ عني بالمنى	ويبيع العتب منه موعدا

قد أحلّ اليأس قلبي أننى
قد سجرتُ الشوقَ حتى خمدًا
إنما الآمالُ أزكى متَجَرِّ
لا تخف من حبسها أن تكسدا

النصيحة

وربُّ خليلٍ لا أجود بودِّه
أناصحهُ جهدى فيحسب أننى
فصرتُ أداريه وإننى لمشفق
مخافة أن يقضى الأمورَ بضدها
إذا اعترضتك الحادثاتُ فلا تكن
فإنَّ التماسَ الحق ليس بعائبٍ
أراه على العلّات وهو حميدٌ
أريدُ به شرًّا ولستُ أريدُ
إذا ما طويت الرأى وهو سديد
فيدركه من دونهن قعود
عيوفاً لما يلقي عليك مرید
مجداً إذا غاب العنيد جحود

الحزم والحدثان

أهاب بحزمى طارقُ الحدثان
فلو حاولت منى الخطوبُ استكانةً
ولو أوطأتنى الحادثاتُ مهانةً
ولكنَّ مثلى ليس تكبو به المنى
ولم يبق منى الدهرُ غير لسانى
لباشرتْها مستلثماً ببيانى
أبى لى طبعى أن تكون مكانى
ولو كان فى أيدى الخطوبِ عنانى

عتاب ومحبة

أيمنعنى الأعتابُ أنك جارم
وإنى ضنين أن تمسك وحشةً
فما أنا بالراجى عن الحبِّ نبوة
فتنسب لى الهجران وهو توهّم
إذا ما دنا من مسمعك المعلوم
ولا أنا بالمستطيع صبراً فأكتم

ولكن إذا ما الداءُ دبَّ بمعصم
وما كنتُ أدري قبلَ هجرِكَ ما الهوى
وما أنكر العتبَ الذى يبعث الرضى
ولست أبيعُ السرَّ للجفنِ ضلَّةً
فأوشكُ بأن لا يحمل الكفَّ معصمُ
ولكنَّ مَنْ يَبْلُ الأُحِبَّةَ يعلم
فإن كان فى لا شىءَ فهو تيرم
ولكنَّه بين الضلوعِ مكتم

آمال النفس

مالى أراقبُ نفسى فى تمنّيتها
نزعتها عن رجاءٍ لست آمنه
إن الحياةَ إذا ما شأبها ضرعُ
لو أن لى حيلةً فى الذل أجنبها
أحسب القومُ أن أرضى بمنزلةٍ
سأرقبُ النجعَ والآمال داجيةً
إن الحميئة لو دبّت إلى رممٍ
ولو سرت بوضيع صار ذا شرفٍ
ولو سرت بأسير عاده جلد
إن اللثيم يريك الحزم مهلكة
وحالة العجز لا تبقى على أملٍ
وحالة اليأس ترضينى وأرضيها
حتى كأتى بالتنزيه أغنيها
عادت كأن المنايا فى حواشيها
خوفاً فلا بلغت نفسى أمانها
العجز أولها والذل ثانيها
حتى يجاب إلى العلياء داعيها
ريعت قلوب الأعادى من عواديها
حتى كأن المعالى من معانيها
كأنما أسره أغرى به تيها
ويخلط النصيح بالتضليل تمويها
من النهوض فإن العزم ينفيها

ذكرى ليلة

كلفتنى فى هواك أمرا
فأبلى الهوى واستعر ضلوعى
يدعوه أهلُ الوفاء غدرا
لكى ترى هل نطبق صبرا

وربَّ هجرٍ يعودُ وصلاً
وربَّ ليلٍ أرخى علينا
وشى بى البدرُ عند ليلى
بات يمجّ الظلامَ طرفى
وحين وافى الحبيبُ ليلاً
أخبره الطرفُ ما أعانى
أضنى اصطبارى ونوم عينى
يحفظ سمعى عنه حديثاً
بتُّ وعينى بالحزنِ عبرى
جعلت قلبى للحبِّ وكراً
ملأت صدرى من الليالى

وربَّ وصلٍ يعودُ ذكرى
لما احتوانا الظلامُ ستراً
فخلته من دجاء يعرى
كأنه بالسهادِ مغرى
كاد يكون المساءُ فجراً
فهل رأى فى الجفاءِ عذراً
كلاهما خاف منه هجراً
أيام كان الزمانُ نضراً
لأعين بالذبولِ سكرى
فصار طرفى للطيفِ وكراً
فصار مابى فى الصدرِ صدراً

أمانى الحب

لواعجُ الحبِّ تلويهم وتغرينى
وفى الجفون دموعٌ ضلَّ رائدها
نجبى من اليأسِ أن الحبُّ ذو غير
ما أبعد الصبر من قلبى على جلدى
رجعتُ بالخسرِ والآمالِ تخذعنى
من لى به وعيون الليلِ تنظرنا
يكفى من الدهرِ أن الدهرَ يطلنى

وسطوةُ الهجرِ تبقيهم وتفنينى
قول العذول عليها غيرُ مأمون
وهل يعودُ بما قد كان يلوينى
وأقربَ الوجد من قلبى على دينى
حتى ظننتُ بأنى غير مغبون
بعد التصافى فأدنيه ويدنينى
فإن وعدَ الليالى غيرُ مضمون

يكفى من القرب أن النوم يجمعنا
إنى لأهوى الردى والعيش مقتبل
كن كيف شئت مدلاً أو على صلة
فإن ذلك وصل غير مطنون
لعله بعد موتى فيه يبكىنى
فكل شىء من الأحباب يرضينى

دليل الشوق

أتنكر أشواقى وأنت دليلها
وهل عائبى عند العيون إذا رنت
هل الوجد إلا أن ترانى باكياً
بسطت لكم بين الضلوع مكانة
ولكن آمالى يرجين عطفة
شقيت بنفسى والحسود عذيرها
وتطفىء أشجانى وأنت غليلها
سوى أنها تدرى بأنى قتيلها
إذا لوعة زادت وضرّ قليلها
على القلب لا يأبى الوفاء نزيلها
لديك ولو أن الجفاء رسولها
فكيف شقائى والحبيب عذولها !

مرثية فقيد الوطن والعلم

قاسم أمين^(١)

أودى البكاء بمعوز السلوان
طوراً تكأثرنى الهموم وتارة
يا دمع رفقا بالمحاجر واتعد
ولقد علمت وإن عرتنى وحشة
إن الفجیعة بالرجال أجلها
لهفى على الفضل الصريح إذا ثوى
ليت الزمان وقد أراذك بالذى
وبقيت بين طوارق الأحزان
آوى إلى صبر الضعيف العانى
فالمرء رهن قطيعة وليان
أن المنايا آفة الإنسان
فقد الكفاة لطارق الحدثان
فى حفرة القرم العظيم الشأن
يأبى أحسن بمقتلى فرمائى

(١) توفى قاسم أمين عام ١٩٠٨ .

ميل الغصون مع النسيم الوانى
موكولة بمجامع الأشجان
فرد رماه مقطر الفرسان
تثنى عليه نفحة الريحان
غدر الزمان بعوده الفينان
يدنى الرجاء بهمة المعوان
صدق الجهاد وصحة الإيمان

مال الرجال أمام نعشك حسرة
وضعوا الشمال على الجفون وأختها
وبكى الجليد بكاء ثكلى واحد
فاذهب كما ذهب السحاب محبياً
يا سعد ما فعل الزمان بما جد
قد كنت تدعو للعظيم مغلباً
قد كان يدنى من فؤادك حبه

رثاء قاسم أمين

والرزء مكن فى الضلوع غليلاً
صعبٌ أمرٌ رجاءنا المعسولاً
لحظُ العيون بهاءها المطلولاً
جذباً ضئيلنا بالشمس وبيلاً
يقرى السلام جنابه المامولاً
رب الكفاية بكرة وأصيللاً
أن لا تميل إلى العزاء قليلاً
تخذ الأمان على النفوس دليلاً
إني حسبت فؤاده مدخولاً
ولقد عهدتك صارماً مسلولاً
وعجمتهم حتى أقمت مميلاً

الدمع بعدك قد أصاب مسيلاً
وعدا على الآمال بعدك عاصفٌ
كانت تفتح كالزهور فيجتنى
فقدت كوجه الترب أعوزه الحيا
هل عند رهن القبر أن زفيرنا
هل عنده أنى افتقدت بفقده
أخذ الفؤاد على الجفون وثيقة
ولقد رأيت الدهر فى أحواله
قل للذى لم يصم رزؤك قلبه
كيف احتواك القبر فى أحشائه
يارب أقوام نفست ضلالهم

أخذوك بالطرفِ الحسير وربما بعث العليلُ إلى الضياءِ عليلاً

زورة حبيب

جعلتُ فيك على العَلَّاتِ آمالي
ورحتُ أدأبُ والآمالُ تُسعدني
وفساتني الحظُّ منبـوداً بمنزلةٍ
حسبتُ دمعى قرى والشوقُ منتجعاً
جريتُ فى الحبِّ مدفوعاً بلاعبث
يسعى أناسٌ إلى وردٍ لينقذهم
يا أيها الزائر المدلى بمعدرةٍ
لو أننى مودع فى طيِّ مقبرة

لما انتزعتُ حديثَ اليأسِ من بالى
حتى سئمتُ على الآمالِ أحوالى
ينمُ فيها الهوى عن راحةِ السالى
وخلتُ قلبى لهيباً والجوى صالى
فما اعتذارى إذا ما فاتنى التالى
من الغليلِ وهذا الوردُ يسعى لى
وفى تمهله لو شاءَ إبلاى
تسعى على تربها أحييت أوصالى

الحبُّ والرقّة

شكوتُ إليه ذلتى فتحكّما
وقال له الواشون أنت وصلتته
وخبير أنى قد تخيلت أننى
وخبير أنى سوف أخلص نظرةً
وإنى لأهوى أن أمسوت لعله

وأرسلتُ دمعى شافعاً فتبرّما
ببعثك طيفاً فى الكرى فتظلمّا
تزودتُ منه قبلةً فتألمّا
إليه فأضحى بالحياءِ ملثماً
إذا مرّ ذكرى فى الحديث ترحمّا

فى الفخر والحكم

نقم الحقودُ جنايةَ الرجحان
ما زاد ذو جدٍّ ليحتاز العلى

ومحا النعيمُ فضيلةَ الحرمان
لكنّه قد زادَ للنقصان

ولقد علمتُ وإن شكوتُ خصاصةً
عَجَمَ الزمانُ عزيمتى وعجمته
ولئن سفلتُ كما عليتُ تواضعاً
صاحبتهُم بالشك حتى ذقتهم
وإذا كريتُ عن الحوادث غرةً
روضتُ نفسى للطماح فراعها
أربى بنفسى أن أبين سريرتى
وملمة تنسى الجبان حياته
ولربما أدع المناظر أبكمها
وإذا الحوادثُ نوهت بملمةٍ

أن المنية غاية الإنسان
فكأننا علمان يصطدمان
حيث الأسافل ما جهلت مكانى
فعلمتُ أنى قد أبحثُ عنانى
راعيتها بلواحظ اليقظان
أنَّ الأمانى آفة الإنسان
لمضلل قد غره إعلانى
كشفتها بحفيظتى وبيانى
فى موقفٍ ما حار فيه لسانى
لتروعنى لا يستطارُ جنانى

إلى صديق

دافع الآمال بالتُّهم
فيبيتُ الليل يسهره
وإذا ناجى مسامره
فاجتباه السهد يؤنسه
وشبابُ الليل متهمٌ
دبُّ فيه البدر مهتكمًا
واستباح الصبحُ دولته
لم يدع منه الصباحُ سوى

لو قسراه النومُ لم ينم
وهو يرجو الوصل فى الحلم
لم يجبه النجمُ من صمم
واجتباه الحبُّ للالم
يقرع الأفلاك بالظلم
(كدبيب النار فى الفحم)
إذ رماه الفجرُ بالهرم
رمى فى شخص منعدم

أصله من عنصر الكرم	يقتفيه وجهُ ذى خلق
فهو فى التعبّيسِ يبتسم	قد أنار البشرُ صورته
كحلولِ الصفوِ فى الشيم	حلّ بين الناسِ منزلةً
موقعِ الآمالِ فى الهمم	واقعٌ فى حيث لا دنس
واقفٌ إلا على ندم	سائرٌ إلا إلى عيب
فهواه غيرُ متّهم	نفسه للفضل تدفعه
كمجالِ الحمدِ فى النعم	جالَ فيه المدحُ ملتئماً
مشيةِ الآرامِ فى الحرم	ومشت فيه فضائله
كوجودِ الدينِ فى الذمم	وجدت فينا محبته

ضيقة حال

وأعذلُ حالى والدموعُ تسيبُه	أعاتبُ دهرى أو تهون خطوبُه
وأحسنُ شىءٍ فى الزمانِ عيوبه	وكيف ألومُ الدهرَ فيما يربىنى
كأنى سقيمٌ قد جفاه طبيبُه	سأندبُ حظى والأمانى شواردُ
فحسب نصيبى أنْ مثلى نصيبه	إذا عبثَ الدهرُ اللئيمُ ببائسِ
يعاتبنى قلبى كأنى رقيبُه	وصرتُ كما شاء الزمانُ مخيباً
وأخلفنى صبرى كأنى أريبه	ودافعتُ آمالى كأنى سئمتُها
فؤاد محبٌ غاب عنه حبيبُه	وضاقتُ بى الأحوالُ حتى كأنّها
على الخطبِ إلا أن يضيقَ رحيبه	أضن بصدرى أن يلمّ به الأسى
لعلّ الذى يعدو المراد يصيبُه	ولا أرقبُ الآمالَ إلا تعللاً

ساذكرُ أياماً نعمت بلبسها
وما أنا ممن لا يعزى فؤاده
وللمرء أحوالٌ تريد عزيمةً
إذا كان دون الشيب للمرء مانعٌ

إذا ما شدا عند النضير خطيبه
إذا خان جدّ أو تناءى قريبه
يذود بها عن قلبه ما ينوبه
من الموت لم يجرؤ عليه مشيبه

رثاء الشيخ محمد عبده^(١)

سجرت فؤادك حتى خمد
وحق على العين أن لا تنى
أردت الوفاء فهان البكاء
وأسمعك الموت حتى أصم
ولو أقصد الموت غير الإما
فكم من مفضلٍ له قد عنا
ترقب منه الردى غيرة
أبى ذخره أن يهاب الردى
وإنّ الفتى ليخاف المما
يقسيم على أملٍ خادع
يرجى سفاهاً متاب الغدا
وما أخطأ الموت في حكمه
وقد نال من فضله الحاسدو
فيا آية الله لم تقصرى

وأرخصت دمعك حتى نفذ
تشرّد من دمعها ما جمّد
ورمت التعزى فخان الجلد
فهل للذى فات من مسترد
مٍ لهان على مصرٍ من تفتقد
وكم من شقيٍّ به قد سعد
فقد صار يمزح حتى عمد
وقد عرف العيش حتى زهد
تَ وما جنب الورد حتى ورد
ومن غره العيش لا يقتصد
ة فهل أمن الموت من دون غد
ولكن لكل بقاءٍ أمد
ن حتى الزمان عليه وجد
فقد عرف الحق من قد جحد

(١) كانت وفاته يوم ١١ من يوليو عام ١٩٠٥ .

وكم رام شأوك من حاقـدٍ
وهل يجهلُ الضوءَ إلا العمى
وهل يُنكر العيبَ إلا الرضى
فما ذمّ فضلك حتى حمد
وينتقصُ الشمسَ إلا الرمد !
وهل يجحد الفضلَ إلا الحسد !

عقيدة الحب

زارنى والطرفُ مسلوب الكرى
حالة لم ينعم الطرف بها
لم يدر فى خلدى السلوان حد
إنما يوحش فى القرب التجافى
إنَّ يَجُودَ بالوصل يُحى رمقاً
خطه الهجران ما أنكرتها
وعيون ناطقات بالكرى
وانثنى والجسمُ مسلوب الفؤاد
فأباح الطيفُ لى طعم الرقاد
تى كأن الحبَّ فى قلبى اعتقاد
مثلما يوحش فى البعد افتقاد
هالكاً من مطله هلك اقتصاد
هكذا الآرام لا تعطى قياد
ألهمتنى كل معنى مستفاد

وصف راقصة

آنسةٌ تمرحُ فى جلبابها
وشعرها كأمة تعنى بها
كأنها تدور فى إهابها
كأنها تعجب من شبابها
راقصة كالصلِّ فى انسيابها
تكاد أن تخرج من ثيابها

وثوبها يكاد أن يزهى بها !

حالات الحب

ما لعيني خانها الدمعُ ولا
نفد الدمع على طول البكى
أنا والآلام تستهدفني
قد كرهت النومَ حتى إنني
ما أبالي والهوى يبرئني
هانث الأتفسُ في الحبِّ فلا
إن أعنت الصبَّ في حمل الهوى
قد منعت الوصلَ من غير قلبي
عسذر للعين إذا لم تسجِم
فاستعار الحب لحمي ودمي
نادم لو كان يغني ندمي
لو أتاني طيفُكم لم أتم
إن رماني حاسدٌ بالتُّهم
ترحم العاشقَ إن لم يسقم
هزئت أعـضـاؤه بالألم
فارض لي الصـدِّ إذا لم يحرم

طلعة وشجون

يا طلعةً طلعت بكلِ شجوني
ومن العجائب أن تصد حبيبة
أنا في هواك بمنزل لم يعد
رضى الفؤادُ بذلتى وخصاصتى
طوراً تكاثرنى الشجونُ وتارةً
أجهدت قلباً متيم مفتون
وثقت بحب الصادق المأمون
أسف الحزين وحالة المجنون
أرثيت أنتِ لذلك المسكين ؟
آوى إلى صـبـرٍ عليك أمين !

الحظ القليل الكثير

حسبى من الدر أنى كلما نظرت
وإن ترصدَ للأسعار جاهلها
عيني إلى الأفق جادتني بلالاء
ما ضرني حالُ إرخاصٍ وإغلاء

وإن ترفع بالأسرار كاتمها ناجيت صوت التقاء الماء بالماء
وإن تمادى غنى في غوايته علمت أنى كفيت الداء بالداء
إنى لأنظر بالعين التي نظرت ما بين ذلك من حالات آلاء

حساد على الصبر

نقم الحساد أنى صسابر ربُّ صبر في فؤاد البائس
قصد رأوني ذا سلام صارم ربّ تلم في سلاح الفارس

الحزن والسرور

إنما الحزن والسرور غداءً لفؤاد الإنسان طول الحياة
فإذا طاح بالسرور قضاءً فارض بالحزن قبل أن لا يؤاتى

مواطن الأشياء

تعرض الأشياء في أوطانها آفة الجوهر أن لا يعرفها
كم جهول عزبت عنه النهى نبذ الدر ونال الصدفى

إلى صديق

بعد إبلاله من مرض

رضينا بالبعد وأنت داني فصرت على بعادك كالأماني
وكلفنا احتجاجك عنك صبراً وهل يغنى السماع عن العيان
وكيف تنالك الدنيا بشيء وأنت البرء من حداث الزمان
وما هزئت بصعدتك العوادي ولكن غرّها سلس الليان

ولما جاءك الأملُ المرجى
ببشرٍ مثل ما نقم الأعداى
أرأنى يوم أغبطُ فيك نفسى
طعلت طلوع يوم أضحيان
ووجهٍ مثل ما عشق الغوانى
كأنى لستُ أمتحك التهانى !

شاهد الدمع

أحبيبُ لو دبت إليك صبايتى
لا تحسبنَ الدمعَ ليس بخلقه
وهل ابتغيتَ على وفائى شاهداً
لعلمت أن الحبَّ ليس بمنكر
إن البكاءَ موكلٌ بالمحجر
أم هل دلتَ على الصباح بنير ؟ !

رثاء الحب

ولا تدفنوه بأرضٍ خـلاء
ولا تنزلوه صميمَ الفؤادِ
ولكن بحسبِ غناء الطيسِ
وإنى لأخشى عليه الأذى
وإن خلبسَ بطيناً بطيبِ المقاسِ
فلا تشمتوا بعظيمِ مضى
ومن عجبٍ أن أراه الحميد
يصول بحالين هجر ووصل
تعالوا نُظِّلْهُ بالغاديات
وننهله من قطرات الندى
فقد كان يأبى المكانَ الجديبا
فإنى أخافُ عليه الوجيبا
ر يقريه لحناً لذيذاً رطيبا
كما كنتُ أخشى عليه الرقيبا
م من كان يهدى إلى الحبيبا
فقد كان فينا قديراً مهيبا
وقد كان يدمى الكلى والقلوبا
يشبُّ لهيباً ويطفى لهيبا
من السحب لو أسعدت مستثيبا
هنيئاً ونزلهُ روضاً قشيبا

استهداء رَسْم جميل

يا أبيعاً يعافُ مدرجةَ الجا
قد عهدناكَ منعةً لضئيل الـ
وعهدناكَ أعظم الناسِ قلباً
ترسل اللفظَ فى مناجزة البطـ
أنت خلو من المداجاة واللؤ
فسقى الله عزيمةً لك شما
إن لى حرمةً لديك على مد
كان هارون يمنح الخلع الغـ
ولديك الشفاء من سقم القـ
طلعة ضمنت مصارع قتلا
من مجيرى من الذى تبل القـ
شرع اللحظَ ثم قال لطرفى
فأنا اليوم إن رماني بلحظـ

ه إذا ما رأى عليها الهوانا
حظ إن لده الشقاء طعانا
وجماحاً وهمةً وبياناً
ل فىهوى سيفاً وينحى سنانا
م إذا استعبد النفاقُ الجباناً
ء ونفساً لا تستطار جناناً
حيك لا تجزنى عليها امتهاناً
راءَ براً بأختها وامتناناً
ب إذا كنتَ تحمد الإحساناً
ها اعتداءً وأودعت أشجاناً
ب وليس المواصل المعوانا
فى وعيدٍ : هن يا عزيز فهانا
قال طرفى يا مقلتيه أمانا !

عبادة الحسن

عجبتُ لأشجانٍ مجوسية اللظى
وراض لى الأعذار أنى شاعر
حنائك يا هذا الحبيب على فتى
يبيت سميّر الليل يخفق قلبه

أصارتك معشوقاً فصرتَ معبداً
وأنتك قد أصبحت فى الحسنِ أوحداً
يحبك حباً حيث ما نقد ابتدا
فيسعده القلبُ الذى ضمن الصدى

نشدتك لو جاء النعي مخبراً بموتى فلا تحبس بكاءً مردداً
وقل رحم الله الوفي الذي قضى ولم يلق منى فى المحبة مسعداً

الود الرخيص

أيها الناقم الذى أطلق الكيد لى ولم تشنه هواده حلمي
قد حلت الوداد من غير أجر فقبلت الجفاء فى غير جرم

إلى صديق

وقفتُ عليك القلب عند منازل أوائلها معقودة بطموعه
فكنت أخافى النائبات وساعداً قديراً يرد الخطب قبل وقوعه
تكثرت بالأنصار حتى عرفت فغابت غيابة الشك عند طلوعه
وحسبى من الحظ المدل بنفسه إذا قيل هذا القرم ملء ضلوعه

لجاجة الحب

همو قيدوا قلبى بها وتواقفوا طويلاً مع الأهواء يدفعها العتب
يريدون أن لا يجمعونا سفاهةً وما نحن إلا الخمر والبارد العذب
يقولون لا تعط الغرام مقادةً فما هو إلا الخطب أو دونه الخطب
لك الخير لا تجزع فما لك حاجة إليها وما يدرون ما فعل الحب
ألا لى غير الخير لى كل لاعج قدير من الأشجان يضمه القلب
هوى نازع الأحشاء فى مستقرها وأحدث ما لا يستحث له اللب
لقد أضمر الغيب المضلل وصلها فيا ليت هذا الهجر أضمره الغيب

غلالة الصهباء

زارنى زورةً أتيةً بهما ما تاهَ بالعزُّ صاحبُ الخيلاءِ
قلتُ يا ظالمِ القلوبِ ترفق بحنينى ولوعتى وبكائى
فتمشَى الحياءُ فى الخدِّ حتى حجبته غلالةُ الصهباءِ !

مخادعة الهم

نحن قومٌ إذا تطرقنا الهمُّ خدعناه بالرحيقِ المشبوبِ
ثم نتفئيه بالأزاهرِ والشعرِ بروصلِ المنى وعطفِ الحبيبِ !

العذر فى الكأس

أيُّها العاذلون فى الكأس مهلاً قد جهلتم غلالةَ العشاقِ
هى تبرِ يحيى الطلاقةَ فى النفـ سٍ ويمحو غضاضةَ الإملاقِ !

خطرات فى الحياة

قنوع اليأسِ يجسِّدنى رجائى وهمُّ النفسِ داعيةُ الرخاءِ
وقد غلَّبت صروفُ الدهرِ حزمى فجالدتُ المصائبَ بالنجاءِ
وقد سلبت صروفُ الدهرِ منى كما سلب البقاءُ من البهاءِ
وقد يُغنى العزاءُ عن التمنى وقد يُغنى الطلابُ عن العزاءِ
أَجْزَعُ من مجالدى الرزايا كَأَنى لستُ فى طلبِ العلاءِ !

مجلس

أسفر وجه الأفق بالصباح
وكلُّنا من منتشٍ وصباحي
ونخلطُ الوقسارَ بالمراح
فعرضنا ليس بمستباح
ولم نطع في تركها اللواحي
كأنه يبسمُ عن أقساحي
قمنا نحیی الفجرَ باصطباح
لا نؤثرُ الجسدَ على المزاح
ثارت بنا إلى كسؤوس الراح
شبيبة تدعو إلى الجماح

سبيل الحب

إذا كان لا يرضيك أنى هالك
وأجهلُ أسباب الهوى غير أننى
محبُّك لو تدعوه والنارُ بينه
وبينك فابعث فى المنام خيالكا
أسائلُ عنها مقلتى وجمالكا
وبينك تبغى موته لسعى لكا

عناء الليل والحب

ما لحدادِ الليلِ لم يخلع
لعله يفرق من هيبتى
وربُّ ليل ملنى جنحه
قريته من زفرات الحشا
لم يدم قلبى طول هجرانه
أبدلنى بالوعد من وصله
إن لم أكن عن حبه مقلعاً
وما لعين الأفق لم تهسجع
أن يخلص الأنداء من أدمعى
لو مرَّ بالخطيئ لم يجزع
فما لهذا الليل لم يشبع
لكن سهمَ اللحظ لم ينزع
لكننى بالوعد لم أقنع
فما لهذا الصدد لم يقلع

فما لجنح الليل لم يشفع
أقول هل خانهمو مدمعى ؟
فإن صرف الدهر لم يزعم
ظمان لا يسلو ولم يطمع !

إن لم يكن حبيبى له شافعى
إن أشفق الغيث على تربهم
هل حيلة تصرفنى عنكم
دلوا على عطفكم مولعاً

خطرات الحب

فإننى عوقبت فى ظالم
فرحمة الله على حاتم
فإننى أشبه بالنائم
حتى كأنى لست بالعالم
من مدمعى باللؤلؤ الساجم
لا تستحثوا خدعة الراغم
كيف استجزتم زلة النادم
ما حيلتى فى لفظ الحالم
ما أنت فى حبك بالغام
فخداع أشبه بالباسم
فمعتب أشبه بالناقم
لأسكرتنى نظرة الواجم
لاشتبه المظلوم بالآثم
عند المنى كان الهوى خاصمى

حبيب هل عوتبت فى مغرم
إن يك منك البخل مستحسناً
لئن أرانى عتبكم عطفة
أعلم أنى فسيكم هالك
أثريت لما أن تجافيتمو
إن تك قد غرتكم صبوتى
أو ألك فى معتبتى آثماً
أو ألك بالكتمان عاهدتكم
وبالمنى أفدى الذى قال لى
إذا الرضى أعلن فى ثغره
وإن تبنى السخط فى وجهه
وإن أرم إرضاءه جاهداً
لو أثم العاشق فى حبه
لئن يخاصمنى الهوى فيكم

كيف أرجى رحمةً منكم
من كان من أسقامه واثقاً
من يجعل الحب شفيعاً له
إن كان قلبى ليس بالراحم ؟
لم تستمله قاله اللائم
خاصمه الحب لدى الحاكم !

زهرة ووعد

وما زهرة صان الربيع بهاءها
بأحسن من وعد الحبيب وفرحة الـ
وكللها الإصباح باللؤلؤ الندى
محب وقول العاذر المتودد

اليأس من الحب

وكيف يكون الحب عنى راضياً
أشايعه حيناً على ما يريده
ولا راحة فى العيش ما دمت هكذا
إذا كان طرفى خاننى فى دموعه
وقلبى عنه بالحوادث مشغول
وأتى لأدرى أن ذلك تعليل
يبغضنى فى العيش يأس وتأميل
فإن فؤادى لا محالة مدخول !
كأنى معنى بالإعادة مملول !
وضيعنى القوم الذين حفظتهم

طول الليل

يا ليل هل وقف الفلك
ووقفت تلتطمس الطريق
ولقد ثقلت على المحب
بمنى وبينك يا ظلا
أم هل دليلك قد هلك ؟
ق فسساء ظن الصب بك
فهل ثقلت على الحبيب ؟
م وبين طرفى معترك
وأحل فى صسدرى الضنك
يا من أباح مفسساتلى

لولاك ما عدل الحسـو	دُ على هواك ولا مـحـك
لو كنت محـتـكـمـاً عليـ	نا لانتـصـرتـُ عليك بك
لو كنت تقـضـى بيننا	لشكوتُ عـذـالى إليك !

عفة الطرف

لو أن طرفي فـاسـقُ	لعلمت أنى عـشـاقُ
أغضى لحاظي عفةً	لكن دمعى ناطق
إنَّ المحبَّ مـشـشـردُ	فكأن نومي عـشـاقُ !

لحن يتمشى بالألم

مطربى الحى تعالوا أيقظوا	ربة الدل على وقع النغم
واحذروا من رقة السامع أن	يتمشى اللحن فيه بالألم !

الأمانى حـدق

يذكرنيك ضياءُ الهلال	إذا ما الهلال بدا فى الغسق
فإن تك قد غبت عن ناظرى	فإنى تخذت الأمانى حـدق !

الخمود والجمود

قد أداروا من الخمود عقارا	واستباحوا من الذهول وقارا
واستكانوا فأنفذ الدهر فيهم	حكمه واسترد ما قد أعارا
سلك العجز فيهم مسلك العز	م فظلوا يرون فى المجد عارا
ليتنى مت قبل أن أنكر العيب	ش ولكننى فقدت الخيارا

أنا فى ذمة الزمان ولكن لا أسيغُ الحياةَ إلا اضطرارا
يا بنى مصرَ والمذلة عار إنما يُنكر المفسقُ الخمارا

الروض والهجير

بعثَ الهجير إلى الزهور نسيمه بتنفس كستنفس الولهان
خلص الهجير إلى الزهور حياتها فغدّت كطرف الناعسِ الفتان
ودّت ذواتُ الحسن أن لبوسها من نسج ذاك الرائع الألوان

معانى النظر

لها نظرٌ جمُّ المعانى إذا رنت سألت فؤادى أى معنى تريده
إذا نظرت طاحت بقلبي نشوة فينحل معقود العزاء جليده

شفق الغروب

وكأنما شفق الغروب ب إذا استقرَّ على الغدير
خجل المليحة يوم يجـ لموها الزفافُ إلى السرير

الحياة قمار

إنى رأيتُ المساعى فى مصَادِرها والناس ما بين مهمومٍ ومسرور
مقامرٌ ظافر راضٍ بقسمته وآخر ناقمٌ فـعلُ المقادير

الخاطر والزمن الخالى

يمرُّ بى الخاطرُ فى شجوه على هوى فاتٍ وعهدٍ قديم
كما تجول الريحُ فى مرّها بدارسٍ رثٌ ذليل الأديم

الثبات

ثباتاً فإن العار أصعب محملاً
وإن تحسبوها خطّة الطيش إننا
فإن روعونا كي يقودوا أشدة
فما زادنا الترويع إلا حميّة
سيهزمهم منا أبوة ماجد
فيا قوم لا حققتمو قول عازب
أقيموا بنا نهج الطريق لغيرنا
من الذل لا يفضى بنا الذل للعار
ذوى العزم لا نغضى لصولة جبار
ثبتنا على الترويع نلهو بأخطار
وهل حسبوا أن يطفئوا النار بالنار
وهمة خطار وعزيمة مقدار
عن الحق يستخبي الرياء بأعذار
فإننا بنى الأوطان كالجار للجار

الحب أعمى

يا رثم هل للوفاء مرتجع
وإن رأيت المحبّ ذا ضرع
وليلة بالنجوم حالية
ضنّ بها الدهر أن يزوجهها
فالحب أعمى يقوده الطمع
ففى الصبا لا يشينه الضرع
رعيتهما والفؤاد منصدع
فجاء نور الصباح يفترع

لغز الحياة

إذا كان فى موت الفتى راحة له
عجبت لهذا الدهر إمّا يغرنا
وإمّا شقاء ليس يرجى نفاذه
أنضحك أم نبكى وهذا زماننا
فأى رجاء فى الحياة يريدُه
ببعض المنى حتى يرجى حميده
تمر علينا خـيـلُه وجنوده
عجيبٌ لدينا وعده ووعيدُه

دواء الملل

مللتُ فكان العتبُ مني سفاهاً كـلانا له ممن يملُ بديلُ
ولولا خداعُ شابٍ طبعك لم يكن إليك لمن يبغى الوفاء سبيلُ

الروض بالليل

نزلنا ليلةً بالروضِ نسـمى كسـمى العامدين إلى يسارِ
إذا لاحت أوائله ابتـهـجنا كأننا قد نـجـونا من إـسـارِ
أمننا صـولة الأيام لـمّا رأينا الروضَ محمـود الجـوارِ
إذا ظمىء الفـؤادُ إلى بهاءِ فإنّ الروضَ يذهب بالأوارِ
شربنا باللواحظِ ما رأينا من الحسنات والطرف الكـثـارِ
بهاء آخذ بالنفسِ يسطو بمثل الخمرِ مأمون الخـمارِ
يميلُ الغصنُ من طربِ إلينا كأنّ الغصنَ مخلوع العذارِ
ومرأى النجم من خلل الغصونِ كمرأى الحسن من خلل الستارِ

البرق

شَبَّ برقٌ في فحمة الليلِ ماضٍ شَبَّ في أضلعي لهيبَ الغرامِ
أنت لحظٌ من الحبـيبِ إلينا أم مغير من طائشات السهامِ !

أمنية

ولقد قلتُ إذ رأيتُ حبيبى يتغنى بطرفة من شعري
ليتنى في خلل بيتِ رقيقِ لاثماً ثغره باطرافِ ثغرى !

جسم وقبر

ليس جسمى الذى ترون ولكن ذاك قبرٌ لما تكن الضلوعُ
من شجونٍ ولوعةٍ وادكارٍ وهمومٍ تنمُّ عنها الدموع !

النجوم

لعمرك ما أدري أتلك أزاهر مفتحة أم قد رأيتُ أمانيًا ؟
ويبعثن نحوى باللحاظِ كأنما يردن ليعرفن الذى فى فؤاديا !

الخمول

إنى وإن كنتُ منبـوداً بمنزلةٍ ينمُ فيها الرضى عن موضع العجبِ
لذو فؤادٍ ذكى الطبعِ مخـتـبـىءٍ بين الضلوعِ اختباء البرقِ فى السحب !

نصيب قليل

اجعل الدمعَ والسهادَ نصيبى واجعل الطيفَ عاذلى ورقيبى
حسب الصدِّ أن يميل بقلبٍ ذى شجون عن أن يراك حبيبى
لست أصبر إلى الملالة والهـجـ سرِّ ولو قلَّ فى هواك نصيبى

الروض والحب

زارنا والليلُ منبسطٌ فرأينا طلعةَ الشمسِ
قمتُ أسعى نحوه جذلاً وأفدى النفسَ بالنفسِ
ثم عجنا نحو حالية ببديع طيب الغرسِ
وغناء الطيرِ يطربنا كالغواني ليلة العرسِ

صديق عدو

تناوشنى الوشاة فأدريها ولكن أنت مغفرها المتين
وكيف أصيب أعدائي رماء وهم يحميهم الدرع الحصين ؟

كلمة فى الشاعر بيرون

تقول قولاً فتذرى الدمع من شجن
ألبسته من سواد الحزن ضافية
فكر كأن ملاك الوحي يسعده
إذا ظفرت بمعنى كان موقعه
قد اجتبيت من الآراء أشرفها
كأن قلبك مدلول على العبر
فخلتها من سواد القلب والبصر
موكل بصروف الدهر والغير
ألذ من وقعات النجع والظفر
حتى كأنك معنى الصديق فى الخبر !

إلى صديق^(١)

سامر الليل بآبنة العنقود
خلدت فى الدنان حتى لقد أر
وئدت كى تعيش حتى لقد حا
وتعدت مدى الصفاء فكادت
مستحيل النديد منقطع القر
متقصى البيان يعضده الحق
أنت قد قمت بالنشير ولكن
وأدرها ترح فؤاد العميد
بت سنوها على مدى التخليد
لت وجلت عن هيئة الموجدود
أن توازى من خلق عبد الحميد
ن لدى ماقط البيان الشديد
برأى فى النائبات سيد
لك أزریت فيه بابن العميد

(١) هو الصديق الجليل والأستاذ المفكر عبد الحميد بك بدوى (والقاضى بمحكمة العدل الدولية
بلاهاي فيما بعد) .

واطمأنت بك البلاغة حتى نسيت عهداً بعبد الحميد
وفضلت الورى فلو نظم الكو ن قصيداً لكنت بيت القصيد !

موعِد

موعِدٌ يجذب الفؤادَ إليه ساذم الزمانَ حتى يحينا
ووصالٌ أشهى لدى من النجـ ح سافنى الرجاءَ حتى يكونا
يا حبيبى لقد أقام بنا الهجـ رُ على حكمه فكيف رَضينا ؟

عذير الحب

غال قلبى بالصدِّ حين تخلى أتراه يضمن بالوصلِ بخـلا
إن يكن للعذول فيه عذيرٌ فالعميد الشجى بالعذرِ أولى !

عذاب ونعمة

من استعمار النوم من ناظرى ومن أبان العذر للعاذرِ
إن فندوا الساحر فى فعله فإن سقمى حجة الساحر
وردت ظمآن فلم أرتو ما أشبه الوارد بالصادر
إن يعقب الصبر رجاءً فمن يؤمننى من ميسرة الصابر
إن لم يجد لى عاقل حيلةً ما حيلة الخسب الحائر
إن يجعل الحب شفيعاً له فالحب طوعُ الحاكم الجائر
إن عذاب الحب لى نعمة وجاحد النعمة كالكافر !

فى التبسط

أدر الكأس فقد طاب الصبح
وافترعها نصطبح موؤدة
عاطها أغيد معسول اللمى
جاءنا يمشى بعطفه الصبا
قهوة مشمولة تبدى لنا
لا تطع فى تركها قول النصيح
خلدت فى دنّها من عهد نوح
ناعم الأطراف كالرئم السنيح
جيئة النوم إلى الجفن القريح
مثل ما يلفظه الطبى الذبيح !

إلى عالم جليل

إن المقرّ بما أوتيت مسجّهود
قد قمت بالبشر حتى قيل بارقة
وألبس الله منك الدين حلتسه
من ينكر الضوء والإصباح مشهود ؟
وقمت بالحلم حتى قيل جلمود
كأنما هو سرّ فيك مسوءود

إلى صديق

لا بد لى منك مهجوراً ومودودا
وإن تكن لست تدرى كيف تحفظنا
فاكفف ولست بما تجنيه مجهوداً
على الوفاء فقد سمناك تقليدا

لقاء على صد

سائل بليلى هل ألوى بآخره
كم خفت صبرى على من ليس ينصفنى
أبيت منبعث الآمال يحرسنى
خوف اغتماضى لما ملنى السهد ؟
والآن إن رمت صبراً خاتنى الجلد
من السلو فؤاد ملؤه كمد

ونمّ بالحبّ لما زارني هطلُ
من الدموع ونمّت بالسلام يد
نبيت يلهو بنا صد وعاذلنا
يبيت من وهمه يلهو به الحسد

حبّ من لوازم الحياة

شكوتُ إليه هجره فتعللا
ووافقه لين فأرخى لحاظه
وإنّي ليغفريني بحبيبه أننى
ولستُ أبالى أن يضحّ عواذلى
وما رغبتى فى العيش إلا لأننى
إذا ما خلا قلبى من الحب طرفة
وإن هجر الحبّ الضلوع زهادة
فما جاء داء الحب إلا مخادعا
يرجى المحبون الخلاص من الهوى
وحق لمن أهواه أن يتدللا
لأطلق طرفاً راجياً متدللا
لثمتُ بشغرى ثغره فتهللا
إذا كان وصل منه يشمت عذلا
أؤمل أن أهوى حبيباً مؤملا
تقبل داء اليأس فيما تقبلا
ترحل قلب الصب فيما ترحلا
وما راح داء الحب إلا ليقتلا
وأرغب أن أبقى المحبّ تلا

الهوى

راحسة الهوى تعبُ
لم يدع بنا رمقا
وأعزّ مطلبه
الحبيب مسحتكم
باعتاب منعطف
واحتماله عجبُ
إن صدقه كذب
أن جسدّه لعب
فبالقلوب تضطرب
بالدلال منسحب

للعيونِ مختطف	للقلوبِ مختلبُ
غاضبٌ ومن عجبٍ	يستحشني الغضب
إن بكيتُ متحجباً	يستميله الطرب !

في التبسط

ربُّ ليلى ليست منه شعاعُ الـ	حزنٍ حتى أبحثُ فيه السرور
قد لهونا فيه بطيبةِ الأند	فأس ملء الكؤوس ناراً ونورا
روضتها السقاة بالماء حتى	خلت فيها السكون شيئاً ستيرا
ثم صار الزجاجُ من عنصر النور	رِ وصار المزيجُ فيه ضميراً !

مغنى أم مغرم

لو أن الهوى مغنى	لأثريت مما أعانى
ويا ليت أن العسذل	شجاء الذى قد شجانى
فيعلم أن الهوى	كفيلٌ بما قد دهانى
تحملت فيه الجوى	وأفريتُ فيه الأمانى
فما كان إلا الرضى	بما جرَّ صرف الزمان !

الحياة

ما أشبه الحزن بالسرور	وأشبه المكث بالمرور
وما أخال الحياة إلا	كجولة الفكر فى الضمير

العزیز تعلہ

كلُّ ما كان عزيزاً فهو للنفس تعلہ
ومماتُ المرءِ رزءُ وحسبُ ساعة المرءِ ذلہ

كان الخداع وكنت الحذار

محبٌ يخادع فيك الوقارا ويسألُ عن قلبه أين سارا
ولولا الوثوق بفضلِ الوفا لما كان يحسبُ في الهجر عارا
وبادرة ذهبيت بالعمى زرا لا يعرف القلبُ فيها قرارا
لقد جلت في غفلات الزما فما أعقب السعى إلا عثارا
وخِلُّ أعان على الهموم فكان الخداع وكنت الحذارا

رثاء عزيز

أمنيةٌ صارت له أملا والسن قد هجته عدلا
وأعين أزرى بها سهدا فأرسلت من دمعيها هطلا
وآمل بالجسم هل ممتنعُ لو يعلم المأمول ما أملا
والمرءُ إن يعرض له قدر يضلُ فيما يبتغي الحила
أرجو إياباً بعد مرزئةٍ من ساكنٍ يهتاج لي خبلا

ليلة نحس وليلة سعد

هل آثار الخيال داءٌ دخيلا فاستحال العزاءُ إلا قليلا
واستعار السهادُ عيني وقد أظ لفق نجمُ السماء طرفاً كليلا

وكأنَّ الأوهامَ من عنصر الحبِّ
 طال عهدى بذلك الليلِ يا صبِّ
 خبرونى أين القبيح إذا كا
 يا عميد الهوى إذا ما تخرج
 وإذا كنتَ لست تعلم ما الحبَّ
 قد بثتُ النسيمَ ما بى وقد هبَّ
 سئمتنى الأحوالِ إني قد صر
 غفل الدهرُ يا حبيبى فقم نند
 ونكتم عن الحواسد سرّاً
 ونبادر قبل الحوادثِ أما
 احتوانا الدجى فقم يا حبيبى
 فليست تزولُ حستى يزولا
 ح فكن لى من الظلامِ بديلا
 ن اصطبارى عن الحبيبِ جميلا
 ت فكن واصلاً شقيقاً منيلا
 تخذنى على الوفاءِ دليلا
 فصار النسيمُ مثلى عليلا
 ت على الحادثاتِ حملاً ثقيلا
 ففض زماناً دون الوصالِ طويلا
 جلّ عن أن ندعوه شيئاً جليلا
 لا ونشفى صباةً وغليلا
 نتخذهُ إلى الوصالِ سبيلا !

استعطاف

تعرف عقيد الفضلِ ما أنت صانعُ
 ضمننت لكم فى القلبِ منى مودةً
 ولو لم تكن ذاك الذى قد عرفته
 ولى عزمةً غراء يصدق سعيها
 فإني إذا لم تحتفظ بى نازعُ
 وإنَّ مـودات القلوبِ ودائع
 لأبعدنى عن منهلِ الذلِ وازع
 وليس بوغدٍ ما تكن الاضالع

إلى صديق^(١)

ما كلُّ ناءٍ عن الأحبابِ بالنائى
 ففى التذكر خطُّ الناعمِ الرائى

(١) هو الأستاذ المفكر عبد الحميد بدوى .

إن كان يعوزكم ما ترحمون به
 يا حبذا العيش والأحوال مسعدة
 وكنت كالأمل الممدود جانبه
 ضمنت كل جليل يستعز به
 وكم بغيض تردى من معايبه
 فلست أغمض عيني بعد نايكم
 هلا استعرتم من الأضلاع أحشائي ؟
 كأنما جرعت من كأس صهباء
 في ليلة للعسوادى ذات أنواء
 من الفضائل إلا النطق بالراء !
 ضمنت في العين منه بعض أقذاء
 ولست أفستحها إلا على داء

فى معلم جاهل

لا تلوموا الشيخ الجليل على ما
 إنما همُّه التكسب بالآ
 عمة فوق رأسه تشبه الور
 كان منه فى مجلس التدريس
 ي وخطفُ الرغفان يوم الخميس
 دة فوق الترب الذليل الخميس !

ذكرى زورة

ألم تر أن الحب غيّر حاليا
 لئن بقيت نفسى ولم يأن يومها
 وكيف أرجى فى الأمانى علالة
 ولم أنس يوماً زارنى بعد هجعة
 لمست بكفى خده فحسبته
 يعاتب ذا شجو فيبسم سالم
 أذل وينأى بالدلال وبالجفنا
 وأوردنى الإدلال ما كنت خاشيا
 فما هو إلا أن تمل الأمانيا
 وقد منع الهجران ما كنت راجيا
 فجاء بإبلالى وطول بلائيا
 يفتح فيه الزهر غضاً وزاهيا
 فهل كان يستمرى لذيد عتابيا ؟
 فقلت له يا ليت ما بك ما بيا !

رثاء عزيز

ما لعيني ترى الضياءَ ظلاما	ولجنبي يرى الرقادَ حراما ؟
ولقلبي كأنه مستنزار	لا يحلّ الضلوعَ إلا لماما
يا جديراً بأن أكون شجياً الـ	قلب فيه هل اتقيت الحماما
أنزلتك الأحداثُ قلبي وقد كند	ت لسمعي وناظري قواما
كنت في العيشِ منظرًا يبعث البشـ	ر وللنفس بهجة واعتصاما

المحب الهالك

سترى الناسَ حول قبـ	برى يكون هالكاً
وغداً يستريحُ من	خنتسه في خيسالكاً
كلُّ شيءٍ سوى الهوى	لا تدعسه ببـالكاً
واذكر العاشقَ الذى	مات صبراً بذلكاً
نسبوا شقوتي إلى	حسنٍ من دلالكا
ظلموني لو أنصفوا	زعموا غير ذلكا !

فى شاب يدعى سعة الاطلاع كذبا

قل للذى حسب العلومَ رغبةً	لا يجتنبها المرءُ إن لم يكذب
ما زلت تقرأ كلَّ سفرٍ وارم	حتى قرأت اليوم ما لم يكتب !

الحب يدعم بالحب

رعى الله محبوباً أعان محبته	على ما به والود يدعم بالود
حبيبي سل العذال في غير عطفة	إذا عابني العذال هل وجدوا وجدى
فيا فاتناً لولاه قامت هواجس	بنا لا نقيم القلب في منزل الصد
عهدتك نعمى للإله وتحفة	لمن بات مخدول الفؤاد على جهد
وما أنت إلا السعد في السخط والرضى	وما أنا إلا الشوق في القرب والبعد !

المجادلة

وعاوى عوى والحق بينى وبينه	فألقمته البطل الذى هو قائله
أعود بحزمنى أن أنازل مثله	ويأبى رقيب الحق أن لا أنازله !

حنين واشتياق

أتنكر ما بى وأنت الحبيب	وتجهل دائى وأنت الطبيب ؟
حننت إليك فلو لا الضلوع	ع لطار إليك الفؤاد الطروب
دهتنى حوادث هذا الزمان	ن فما بال قلبك لا يستريب ؟

داء أم دواء

أبحث فؤادى للهوى وسبقته	إليه ولم يعلم بذاك رقيبى
وليس نصيبى أن تكون مواصلى	ولكن نصيبى أن تكون حبيبى
شقيت ولكن فى الشقاء سعادة	وليس شقائى فى الهوى بعجيب

وقلبي إلى ما لا يريب مجيبي
وإن كنت معلولاً فانت طيبي !
على فأخفي والدموع تشي بي !

قدمي على حق الصباية مسعدي
فإن كنت مسحوراً فانت تيمتي
أبيت كأن الليل صب سواده

إسعاد الهوى

دأ فماذا يرجو العواذل منا ؟
ومقال العذول فيك معني !

يا حبيبي إن لم أكن بك مسعو
اغتنمني فإني بين قلبي

إلى أديب

وقبل اليوم برأك الضمير
على مكروهة شمت الحقيير
كأن الحق ليس له نصير
لدى الأحداث أخطأك العثور
فإن البدر يلزمه السفسور
فإن المرء يطغيه الغرور
إذا كان العذول هو العذير
فلا يزري بك النظر الحسير !

حمدنا فيك ما قال البشير
ولكن العظيم إذا تلظى
وبادرة إليك أقمت فيها
ولولا عزيمة لك وانسباط
فلا تخش مراغمة الليالي
ولا تحمل يراعك عن دعي
وأنكى ما يكون المرء يوماً
إذا أخذ البعيد عليك أمراً

كلمات العواطف

وهي

قصيدة من الشعر المرسل

فيها يشرح الشاعرُ ما يحزنه من أمور الحياة ، ومواقع
هذه الأمور من عواطفه ؛ ويطمح إلى حياة أكمل
من هذه الحياة ، وأسعد حالاً ،
وأكثر إنصافاً .

الإهداء

خليلى والإخاء إلى جفاءٍ إذا لم يغذه الشوقُ الصحيح
يقولون أصحاب ثمار صدقٍ وقد نبلو المرارة في الثمار^(١)
شكوت إلى الزمانِ بنى إخائي فجاء بك الزمانُ كما أريد
أراني قد ظفرتُ بذي وفاءٍ له خلق يضيق عن الرياء
أظُلُّ إذا رأيتك مستفزاً كأني قد جرعت من العقار^(٢)
يؤم بى العلاء أخو وجيف وتنبت في أجنحة النسور^(٣)
تقبل طرفة لك من خليلٍ وقد يهدى الصديق إلى الصديق
فإن أكلُ محسناً فربَّ غرٍّ أصاب الفضل في المحض اللباب
وإن أكلُ مخطئاً فالفضلُ يؤتى من الخطأ المبين عن الصواب
لعلك واجدٌ عذراً صريحاً إذا عجز تعرض للتهدى^(٤)

(١) العرب تقول : الأصحاب ثمار صدق . ويقولون فتیان صدق ، كما قال الشاعر وهو مسكين الدارمي :

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض غير أنى جماعها

قال عبد يغوث :

ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لايسار صدق أعظموا ضوء ناريا

(٢) استفزه الشوق إذا لم يجعل له قراراً - جرعت أى شريت ، العقار : الخمر .

(٣) يؤم : أى يقصد - أخو وجيف : أى جواد ذو وجيف . والوجيف : نوع من السير فيه إسراع ، النسور : أبعد الطير صعوداً في السماء .

(٤) التهدى تلمس الإصابة والاهتداء . قال الحميدوني في طيلسانه :

طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعثناه وحده لتهدى

وإن تهـد الزهور إلى ربيع
بلونا سهمة الأيام حتى
تقيم السخل فى سبل الضواري
وتغفر زلة المثرى المفدى
وتسعد ذا الدهاء بما جناه
وتقصد صاحب التقوى بأمر
تليح لمصحح بالآل حتى
وتودع فى نفوس الصاحب شكاً
وتشقى أنفساً بالحب حتى
فيا لك من شقاء فى نعيم
تمد لآمل أملاً عريضاً
وما صرف الزمان وإن تمادى
ومنزلة الرجاء من المساعى
لعمرك ما النعيم ولا أخوه
وكم فى العز مفسدة لقوم
وكم غرس كريم ليس ينمو
وكم من جرعة كانت شفاءً
وإن العود بالإحراق يذكو
وأيام تناءى الوصل عنها
أضاعت عزتى الدنيا وأمسى

فقد يهدى النظيم إلى الحبيب
رأينا الشك يشبت فى اليقين
وتقضى للقوى على الضعيف !
وترحم كل جبار عنيف !
على صافى السريرة من دهاء
تحامق من عواقب به الحليم
يفيض النفس فى الوادى البعيد
يميل به الودود عن الودود
كأن الحسن من عدد البلاء
ويا لك من نعيم فى شقاء !
يذيق العز فى خطرات بال
بمقص بعض آمال الطموح
كمنزلة البشائر فى الربيع
بقساتل همتى ومميت شائى
وفى الأرزاء إعسلاء لناس
على علل تعهده بماء
فعمادت غصنة تأتى بداء
فياسر طيبة أنف المشوق
تمر كأنها ورق الخريف
جناح الذل مأمون الحفيف

أَيْحَسَدْنِي عَلَى صَبْرِي أَنَا
وَكَمْ مِنْ كَرْبَةٍ هَجَمَتْ عَلَيْنَا
وَإِنَّ الْقَرْءَ يَتَّبِعُهُ حَرُورٌ
وَإِنَّ الْعَوْدَ بَعْدَ الْعَرَى يَكْسَى
وَكَانَتْ ضَيْقَةً فَأَقَمْتُ فِيهَا
(فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا
رَعَاكَ اللَّهُ يَا وَقَعَ الرِّزَايَا
تَعَاهَدْتُ الْمَنَى بِالشُّكِّ حَتَّى
وَعَلِمْتُ الْعَظِيمَ وَإِنْ تَأْبَى
وَلَمْ تَنْتَرْقِ الْمَسْكِينَ حَتَّى
وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ يَبْلُغْ رَشَادَا
لَحَاكَ اللَّهُ يَا حَدَثَا دَهَانَا
أَطْرَبَكَ الشَّهِيْقُ إِذَا تَعَالَى
لَقَدْ عَلِمْتَنَا ذِمَّ الْعَوَادَى
كَأَنَّكَ يَا جَلِيْسَ الْقَلْبِ آتٍ
تَطَامِنُ لِلنَّوَائِبِ إِنْ تَمَادَتْ
وَلَوْ لَا الْمَجْدُ الْمُنْحَوَسُ يَعْدُو
لَقَدْ قَالَ السَّلَامِيُّ بَيْتَ شَعْرٍ
(تَبَسَّطْنَا عَلَى الْآثَامِ لَمَّا
وَإِنَّ الْعَفْوَ مَوْقَعُهُ عَزِيزٌ

وَلَيْسَ الصَّبْرُ مَحْمُودَ الْمَذَاقِ
فَلَمَّا اسْتَحْكَمْتَ جَعَلْتَ تَزُولُ
وَجَنَحُ اللَّيْلِ يَفْرِيه الْهَلَالُ
وَمَحَلُّ الْأَرْضِ يَسْعَدُهُ السَّحَابُ
مَقَامُ الْبَدْرِ أَضْمَرَهُ السَّرَارُ
سِيلَقِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا)
فَرَبُّ فَضِيلَةٍ لَكَ لَا تَذَالُ
أَقَمْتَ الْغَافِلِينَ عَلَى انْتِبَاهِ
مَعَانَاةِ الطَّوَارِقِ بِالدَّوَاهِي
أَفْضَى عَلَيْكَ مِنْ نُورِ الْإِلَهِ
غَوَى بَاتٍ يَكْفُرُ وَهُوَ لَاهُ
وَكَتْنَا قَبْلَ ذَلِكَ غَافِلِينَ
وَأَصْوَاتُ الْكَوَاعِبِ وَالْبَنِينَا ؟
وَأَدْرَارُ الرَّجَالِ الْبَاخِلِينَ
لَتَوْقِظَ رَحْمَةً هَجَمَتْ سَنِينَا
فَلَوْلَا الْحُزْنُ مَا عُرِفَ السَّرُورُ
عَلَيْنَا مَا اسْتَقَامَ لَنَا التَّضْمِيرُ
يَرُدُّهُ الْخَلِيعُ مِنَ الرَّجَالِ :
رَأَيْنَا الْعَفْوَ مِنْ ثَمَرِ الذَّنُوبِ)
وَقُوعُ الْقَطْرِ فِي الرُّوْضِ الْأَتِيقِ

فلا تثلم ضميرك بالدنايا
نقمت من الزمان دنو صرف
ولم أقر الحياة سوى انتقاص
ألم تر بئسَ ساءَ لاقى المنايا
فلو أن الحياة على انتظام
جهين أنتِ مخبرتي أهدي
وهل ضمن البقاء من المعاني
نسائله فيخدعنا مراراً
نرى في اليوم ما هو في أخيه
ولولا عصب أعينها لكانت
ولولا خدعة الأمل المرجى
وليس العيش إلا ما نعمنا
إذا سقط العجز على نعيم
بكائي أن أرى رجلاً لثيماً
فإن حركته للعرف يوماً
(أترثي للعباد وأنت منهم
بكائي إننى أغدو غريباً
بكائي إن لى طبعاً أبيّاً
بكائي إن فى الدنيا أموراً
وكم وغد رفيع الجاه يغدو

وهل شىء أرق من الضمير
له جذب يقعقع بالشنان
فهل يثنى الزمان على بيانى
ولم يذق المرء من الحياة
لأخصب محله ورعى الأمانى
أريد من المعيشة أم ضلال ؟
سوى لمعات خداع خلوب ؟
كما يتمنع المعنى البعيد
كذاك حياة أبقار السواقى !
تعانى اليأس والسأم الدخيلاً
لأسلمنا النفوس إلى الحمام
به أيام نمرح فى الشباب
فقد سقط الهشيم على الزهور
يقدمه الرياء على الكريم
تبدى منشداً قولاً رخيصاً :
من الرب الذى خلق العبادا)
وحولى معشرى وبنو ودادى
ورأياً مثل حدّ السيف ماضى
يضيق بمثلها الصدر الرحيب
كأن الكون ليس به سواه

تعاف الرحمة الغراء نزلا
فإنَّ الزهرَ في القيَمانِ ينمو
أرى قوماً تسوسهم الأعادي
أرى زغبَ الحواصلِ فوق قبرٍ
وكم موتٍ ألد من الأمانى
وكم من طالبٍ للموتِ يأساً
أخوك النوم أليّن منك مساً
ولكن فيك آياتٌ كثر
تذلُّ الثائر العادي وتلهي
وخوفُ الناس من حكم المنايا
وإشفاقُ السليم من العوادي
وما مستمسك بالعيش إلا
وإنَّ الموتَ مــــرآةُ أبنائنا
وكم من أيمٍ فججعت بإلفٍ
تمد يداً لو أن الحقَ فيها
أرى الحسناءَ في طمرٍ ذليلٍ
أرى الدنيا تضيق بكل حرٍ
أرى خدعاً تقاد بها الغواني
أرى الثكلي تكاد تسيل دمعاً
هواجس تعتريني لست أدري

قلوباً قد أضربها التعالي
وإنَّ الثلجَ في قمم الجبال
كسوق الخيل في يوم الطراد
تضمن ما تضمن من رجاءٍ
وكم موتٍ أشد من الهزيمة
تعمّد أن يساعده الحمامُ
وأوطأ مسلماً وأجل شأننا
ومعجزةٌ وذكرى للغفول
أسير العز عن ظلم العباد
كخوف الطفل من وجه الظلام
كإشفاق المريض من الرجاء
كموقوفٍ على خوف الحمام
حياة المرء كالنفس الرقيق
وقد كان النصير على الحياة
لأذوته الخصاصة والسؤال
وفي الديباج ، داجية الجبين
فتلفظه كما لفظ البصاق
وفي أعقابها الذلُّ الكمين
وفي أحشائها النارُ الأكل
أقتلها وأقنع بالجهالة ؟

أم التمسأل خير من سكوت

وإن رأى ينضججه الزمان ؟

* * *

ألم يبلغك أن الموت أودى
صفوف الجيش نزقها الحفاظ
ويعم « مقدن » جيش الأعادى
لقد جلبوا السوابق مقربات
تشير على جوانبها غباراً
وقد سكبت جلود الخيل دمعاً
وأصوات المدافع إذ تعالت
لقد ضاق المجال فلا قرار
فوجه الجو يعبس من شحوب
كأن المدبرين غداة ولّوا
وضاجعت المقائب قائديها
وإن الحرب مرزئة وبلوى
وإن لكل هائجة سكونا
كأن الحرب فى الميدان رسم
فأين الحق قد تنفثه اللحاظ
وإن الحرب آخرها خراب
وكان اليتم ما غنم الصفار

بمن علقتهم الحرب الزبون ؟
وعدو الخيل أعجله المغار
فحل بأرضها الفلك المدار
يضم بقصيدها النقع المثار
كأن الأرض ليس لها قرار
فبان على جوانبها شعار
كصوت الحمق أغضبها اعتذار
وقد عز النجاء فلا قرار
وعين الشمس يكحلها القبار
رؤوس الشرب غازلها الخمار
بأرض لا ينم بها النهار
وبعض السلم مرزئة وعار !
(وإن لكل سائلة قرارا)
أجاد صنيعه الحذق اللبيق
وأين البغض يضرب فى الصدور
كذلك النار آخرها خمود
وكان الثكل ما غنم الكبار !

* * *

ألم يكف الحوادثُ أنْ عيني
فحسبى أن أعدائى كثيرٌ
يعيبونى وما عابوا بغيضاً
إذا ما سبني سفهاء قومٍ
وإن يكُ قد تقدمنى أناسٌ
حياتى بين أعدائى مماتٌ
سألزم كسر بيتى فى احتجاز
وكم من وحدةٍ منعت عذاباً
أأخت اليأس هل حلف قديم ؟
وربَّ مصاحبٍ حلوا اللقاء
كبعضِ الزرع تحسبه مريضاً
وجلدُ الحية الرقطاء يزهو
صبرت له ويحسبني عمياً
ولكنى رأيت العفو أبقى

* * *

هوينا الذكر من حب الغوانى
كفأتى من نبيه الذكر أنى
أرى دمعى يرنقه احمرار
حنين يترك الأشجان جمرأ
تغنى الحب فى فجر الحياة

تريق القلب فى ماء البكاء
وأن السعد يزلق عن مكائى
ولكن ذلك الخلق الحميدا
فما يغنى اهتمامى بالعواء
فإن السبق من بعد الجراء
وموتى بين أحبابى حياة
وأهجر كل ممنوع الوداد
وكم من وحدة جلبت عذاباً
فإن اليأس فى لك لذو طروق
سقيم الصدر مسموم اللحاظ
وتحت بهائه السم المميت
ولكن لا يغسر به اللديغ
ولا والله ما أنا بالعمى
وهل فى القلب للشكوى مجال ؟

كأن الذكر من حيل الرسول
تمر بى الحسان فترتضىمنى
كأن الشوق قد ذبح المناما
وشوق يترك الزفرات نارا
غناء الطير فى فلق الصباح

نَجَلْهُ فَيَخْفِضُنَا سَفَاهَا
تَطَالِبُنَا الْحَسَنَانُ بِهِ دَلَالاً
فَإِنْ دَنَا لَهُ لَمْ نَلْقَ مِنْهُ
وَبَطَشَ الْغَدْرَ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ
أَيَا هَذَا الْغَرَامَ لَطَفْتَ حَتَّى
أَرَى عَيْنًا يَصَافِحُهَا الْفَتُورُ
أَرَى عَيْنًا يَجُولُ السَّحَرُ فِيهَا
وَحَوْلَكَ مِنْ دَمَاءِ النَّاسِ بَحْرُ
وَفَوْقَكَ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ طَيْرُ
أَتَخَذَلْنَا وَنَحْنُ مَنَاصِرُونَ
وَتَقْصَصِينَا وَنَحْنُ مَقْرِبُونَ
أَبُوكَ الْوَهْمَ مَسْتَسْعُ الْفَنَاءِ
رَجَوْتُ بِكَ الْخَلَاصَ مِنَ الْعَوَادَى
وَكَمْ مِنْ لَحْظَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْنَا

* * *

أَيَغْلِبُنِي عَلَى أَمْرِی التَّصَابَى
لَعَمْرُكَ مَا الْخَمُولُ بِمَسْتَذَلَى
وَإِنْ يَكُ فِي مَسَاقِي الْعَيْنِ مَاءٌ
أَمَا لِلشَّاعِرِ الْفَيَاضِ دَهْرُ
وَلَوْ أَنِّي أَرَدْتُ لَرَعْتُ قُومِيساً

كَسَأَنَّ الْحَبَّ مَيِيزَانُ ظُلُومِ
كَسَأَنَّ الْحَبَّ دَيْنُ فِي الرِّقَابِ
سَوَى الْمُقْبِیُوحِ مِنْ غَدْرِ الْمَلُولِ
كَأَنَّ الْغَدْرَ مَسْغُورٌ سَلِيبِ
كَأَنَّكَ قَدْ خَلَقْتَ مِنَ النَّفُوسِ
وَقَلْبِيلاً لَا يَصَافِحُهُ الْحَنَانِ
مَجَالُ الْمَاءِ فِي الْعُودِ الرُّطِيبِ
مَهْيِبِ اللَّجِّ مَهْجُورِ النُّوَاحِي
يَظِلُّ الْجُـو مَمْلُوءُ الْفَنَاءِ
وَتَخَذَعْنَا وَنَحْنُ مَنَاصِحُونَ ؟
مِنَ التَّبَسُّيمَانِ وَالْأَدَبِ الْغَزِيرِ
وَأَنْتَ تَضْمِيقُ بِالرَّجْلِ الْأَدِيبِ
فَكُنْتَ عَلَيَّ عَوْنًا لِلْعَوَادَى
نَزُولَ الْقَطَرِ مِنْ خِلَلِ السَّحَابِ

* * *

وَلَمْ تَخْنَعْ لَرِيبِ الدَّهْرِ نَفْسِي
فَإِنَّ الْبَرْقَ فِي طَيِّ الْغَمَامِ
فَكَمْ مِنْ عِبْرَةٍ فِيهَا اعْتِبَارُ
فَيَنْفُثُ بَعْضَ مَا ضَمِنَ الضُّلُوعُ
(أَضَاعُونِي وَأَيُّ فِتْنَى أَضَاعُوا)

ولو أنى لفحتُ بغلٌ صدرى
سأحدثُ فى غدٍ حدثاً عظيماً
فإن أعمر فويل للأعداى
حناناً أيها الوطن المfidى
سنهديك النصيحة ما استطعنا
له فى نفس قارئه فعـالٌ
وكم من ناعقٍ يدعو لأمـرٍ
وآخر لا يقيم على قرارٍ
ويحكى فى تنقله سفاهاً
يعيثُ الجهلُ فى أبناء قـومى
أبى القلب بينهم ذليلٌ
يفرقنا التبـاغضُ والتـعادى
متى تدعو الحمية للمعالى
وكم من عبـرة هبطت علينا
إذا عاث القـوى فلا تُراعوا
ضئيلُ الأمر يتبعه عظيمٌ

لغاض الماء واحترق الهواءُ
تظل له البوارق تستطار
وإن أهلك فويل للصديق
ولا تسمع مقال السوء فينا
ونشدو فيك بالقول العجيب
كفعل الغيث فى المرعى الجديب
نعيق البوم فى الظلل الخراب
يحساكى وثبه وثب الجراد
خيام العرب بالأرض الخلاء
كعيث الذئب فى الغنم النيام
ووغد القلب مرفوع العماد
كنثر الريح أوراق الغصـون
فتُصفى فى العروق لها الدماء
هبوط الوحي من عند الإله
فإن الظلم نعش للظـلوم
كذلك النار تقدح من شرار

الجزء الثانى

لآلئُ الأفكار

وإنَّما الشعرُ مرآةٌ لغانيةٍ هيَ الحياةُ فمنَ سوءٍ وإحسانِ
وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكُّرةٌ ومتعةٌ وخيالٌ غيرُ خوانِ
وإنَّما الشعرُ إحساسٌ بما خفقت له القلوبُ كأقصادٍ وحِداثِ
من كل معنى يروعُ الفهمَ طائله معنى من الجانِ فى لفظٍ من الجانِ

صاحب المبروان

عن الطبعة الأولى للجزء الثانى

عام ١٩١٣

مقدمة

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

الشعر ومزاياه^(١)

ليس الشعر لغواً تهذى به القرائح ، فنتلقاه العقول فى ساع كلالها وفتورها .
فلو كان كذلك لما كان له هذا الشأن فى حياة الناس .

لا بل الشعر حقيقة الحقائق ، ولبُّ اللباب ، والجوهر الصميم من كل ما له
ظاهر فى متناول الحواس والعقول . وهو ترجمان النفس ، والناقل الأمين عن
لسانها . فإن كانت النفس تكذب فيما تحس به أو تداجى بينها وبين ضميرها ،
فالشعر كاذب ، وكل شىء فى هذا الوجود كاذب ، والدنيا كلها رياء ، ولا موضع
للحقيقة فى شىء من الأشياء .

وقد يخالف الشعر الحقيقة فى صورته . ولكن الحر الأصيل منه لا يتعدها ، ولا
يمكن أن يشذ عنها ؛ لأنه لا حقيقة إلا بما ثبت فى النفس واحتواه الحس . والشعر
إذا عبر عن الوجدان لا ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى .

وما هذه الاستعارات والتشبيهات إلا أشياء تختلف فى ظاهرها ، ولكنها فى
كنهاها واحدة لا خلاف بينها . فليس الجميل قمرأً ، ولا الزئير رعداً ، ولا الكريم
غماماً ، والشمس لا تتكرر لغياب الحبيب ، ولا الليل ينجاب لحضوره . ولكن
الغبطة بالصورة الحسناء ، كالغبطة بالليلة القمراء . والرغبة من زمجرة الأسود فى
غابها ، كالرغبة من جلجلة الرعود فى سحابها . وتجدد الروض بعد انهمال المطر
كتجدد الأمل بعد نوال المطر . وإن الشمس إن كانت تشرق بعد نأى الحبيب ،
فكأنها لا تشرق لأن عين المحب لا تنظر إلى ما يجلوه نورها ، وإن تكشف لها فكأنما

(١) نشرت هذه المقدمة فى أول الجزء الثانى من هذا الديوان - عام ١٩١٢

هو بادٍ لغيرها - والليل إذا عسعس فما هو بساثر عن عين المحب ، منظرأ يشتاق
رؤيته بعد أن يمتعه بوجه حبيبه . فإنما هو من الدنيا حسبه ، وهو الضياء الذي
يبصر به قلبه .

فهذه معانٍ مترادفة في لغة النفس ، وإن اختلف نطقها في الشفاه ؛ إذ أنه
لا محل في معجم النفوس إلا للمعاني ، فأما الألفاظ فهي رموز بين الألسنة والأذان .

وهل تبصر العين أو تسمع الأذن إلا بالنفس ؟ أو تبلغ الحواس خبراً إذا كانت
النفس ساهية والمدارك غير واعية ؟

والشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة . بل إن السعادة ما لم تعقها
حوائل الحياة لا تدخل إلى القلوب إلا من بابه ، فإنه ما من شيء في هذه الدنيا يسر
لذاته أو يحزن لذاته ؛ وإنما تسر الأشياء أو تحزن بما تكسوها الخواطر من
الهيئات ؛ وتكيفها الأذهان من الصور . وآية ذلك أن الشيء الواحد بينما يكون
مدعاة البهجة والرضى ؛ إذ يكون في غير ذلك الوقت مجلبة للأسف والأسى وطريقاً
إلى الشجن والجوى ؛ والشعر وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء في الزمن الذي
ترضاه خواطرنا ، وتأنس به أرواحنا ؛ لأنه سلطان متربع في عرش النفس ، يخلع
الحلل على كل سائحة تمثل بين يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه .
والشعر أيضاً مسلاة لمن شاء السلوى ، وصدى تسمعه النفس في وحشة الوحدة ،
فتطمئن إليه كما يطمئن الصبي التائه إلى النداء في الوادي ، ليأنس برجع صوته ،
أو يسمع من عساه يقبل لنجدته .

فقد سبقت مشيئة الفطرة بأن يعيش أبناء آدم جماهير وأماً مجتمعة ، وأن
يكونوا نوعاً له غرائز كامنة في طبائع أفرادهم يقتضيها بقاءه ودوامه . فوجب أن
يُجبل أبناءه على الألفة ويذروا على التعاطف ودواعي الاجتماع . وقد درج
نوع الإنسان على هذه الفطرة . فصرنا وليس يهنا امرؤ منا بأن ينعم منقرداً ،
ولن يطيق أحد أن يبتنس وحده . وما كان المعري يمدح نفسه ، ولكنه قال قولاً في
شرار الناس ، كما يصدق في خيارهم ، إذ يقول :

ولو أننى حببت الخلد فرداً لما أحببت بالخلد انفراداً

فذلك ما لا فخر فيه لإنسان على إنسان . وأحسب لو أن الناس كلهم كانوا فجرة خسرة ، وكان لا يجوز منهم إلى فردوس الأبرار إلا رجل واحد ، لكان هذا الرجل التقى أشد عذاباً بتقواه وأسوأ جزاء من كل جنة الجحيم وعصاته . وكأنى بذلك الرجل ، وقد طاف فى الجنة حتى بليت نعلاه ، ثم نظر إلى ما حوله نظرة الكاره الزاهد ، فطرح بنفسه فى الكوثر هرباً من هذا النعيم الأعجم . أو صاح بهم ليحملوه إلى جهنم فيصلى النار فيها وهو واجد من يقول له إن عذاب النار أليم ، خير من أن يبقى فى جنة لا يرى فيها من يقول له ما أرغد هذا النعيم !!

ويقينى أنه لو نزع الحسد من الناس يوماً ما ، لاشتراه أولو النعمة ، وفرقوه على الناس مجاناً ليحسدوهم على ما بهم من نعمة . فإن السعادة أنتى لا يكمل سرورها حتى تستجلى مثالها فى المرأة ، وسواء لديها أكان رافع تلك المرأة لها شائناً حسوداً أو صديقاً مخلصاً ؛ ومن أجل ذلك يرتاح العاشق إلى من يناجيه بأسرار حبيبه ونكايات عذوله . ويحيط الغنى مجلسه بحاشية ينفق عليها لتقول له إنه ربُّ عيشة راضية ، وهناءة محسودة .

ولا تصدق أن أحداً يصل به احتقار الناس أن لا يبالي بهم قاطبة . ولكنه ربما احتقر جيلاً منهم وهو ينتظر النصفة من جيل سواه . أو يهزأ بالفئة التى يعاشرها ، ولكنه يعتقد أن هناك فئة لو لقيته ولقيها لأرضته وأرضها . وإلا فلو احتقر المرء ما مضى من الناس وما سيجىء منهم ، لما كلف نفسه مشقة أن يقول ذلك بلسانه .

كذلك خلق الإنسان عضواً من جسم تدب حياته فى عروقه ، فلا سبيل له إلى الانفصال عنه ، والتخلى عن عاطفته النوعية ما دام داخل فى اسم الجنس الذى يشمل الإنسان بأجمعه .

فإذا كان هذا شأن التعاطف فاعلم أن الشعور شىء لا غنى عنه ، وأنه باقى ما بقيت الحياة ، وإن تغيرت أساليبه ، وتناسخت أوزانه وأعاريضه .

وإذا كان الناس فى عهد من عهودهم الماضية فى حاجة إلى الشعر ، فهم الآن أحوج ما يكونون إليه . فقد باتت النفوس خواء من جلال العقائد وجمالها ، وخلا جانب من القلوب كانت عمره فإن لم تخلفها عليه خيالات الشعر وأحلامه ، كسر اليأس القلوب ، وحطمتها رجة الشك واضطراب الحيلة . وها هو القرطاس القديم بين أيدي الشعراء . فليخطوا فيه رسم الفريوس الجديد ، وليجعلوه فى الأرض أو فى السماء ، وليكن معاده المثل الأعلى ، أو خلود الذكر ، أو وحدة الإخاء . فإنَّ الإنسانية لا تعيش بغير رجاء .

هذا ولو أنَّ ما أُلحنا إليه من تعاطف الأرواح وتآلف المشارب ، كان أول ما يستفاد من الشعر وآخره ، لما كان الشعر جديراً بالعناية من عصر المادة الذى نحن فيه ، ولكنَّ ثمرة الشعر على ما بها من النعومة والجزالة ، وما لها من ذكاء المشم وحلاوة الطعم تشبع المعدة وتملأ الفم . ولو أمكن إرجاع كل حركة إلى مصدرها الأول من النفس ، لما عسر علينا حساب فضل الشعر بالدرهم والدينار ، وإحصاء قواه المعنوية بما تحصى به قوة الكهرباء والبخار .

فمما لا مشاحة فيه أنَّ كل نهضة من النهضات التى تشحذ عزائم الأمم وتحدها فى نهج النماء والثراء ، لا تكون إلا بعد فترة يتيقظ فيها الشعور ، وتتحرك العواطف ، وتعتلج نوايا النفوس ومنازعها . وفى هذه الفترة ينبع أعظم الشعراء وتظهر أنفس مبتكرات الأدب . وما الشعر من تلك العواطف إلا مناطها الذى تتعلق به . بل هو ناقوسها المنبه لها ، وحاديها الذى يأخذ بزمام ركبتها .

وهذه إنكلترا نهضت فى تاريخها نهضتين بلغت فى كليهما أسمى ما تحلم به أمة من العظمة والمجد . كانت أولاهما فى القرن السابع عشر ؛ أى عقب ازدهار الأدب الإنكليزى فى عهد شكسبير ، فتحركت فى ذلك القرن عوامل الحياة فى الأمة الإنكليزية . ووضع عهدئذ أساس إنكلترا الجديدة . وها هى الآن فى إبان نهضتها

الثانية تقبض على صولجان الدنيا وتطالب كل فئة منها بقسطها من الحياة والعمل .
وما جاءت نهضتها هذه إلا مسبوقة بنهضة أدبية كبرى ظهرت في أثنائها أكبر
الأسماء المعروفة في الأدب الإنكليزي ، وأعنى بهم أمثال : شلى وببيرون وسكوت
وكيتس ووردزورث وكولوردج وسوذى وماكولى ، وغيرهم ممن لم يقرضوا الشعر ،
ولكنهم كتبوا فى النقد والأدب .

وهذا شبيه بما حدث فى فرنسا فإن جمهوريتها ليست إلا نفحة من نفحات تلك
النهضة الأدبية التى كان يشرف عليها لويس الرابع عشر . وما كان يدرك ذلك الملك
المتجبر وهو يمد يديه بالحباء إلى زعماء تلك النهضة أنه يزلزل بيديه قوائم العرش
الذى يجلس عليه ، ومن حقق تاريخ القرن الثامن عشر فى فرنسا ولم ير فى ثورته
يداً لكورنيل وراسين وموليير وبوالو وشينيه وأمثالهم فهو قاصر النظر . ومثله فى
ذلك كمثل من تقول له إنَّ المد والجزر من فعل القمر فيقول لك أين السماء من الماء ؟
ثم تتابع بعد ذلك ثورات كان يقوم على رأس كل ثورة منها رجال من أهل الخيال
الذين يظن بعض كتاب التاريخ أنهم أبعد الناس عن التأثير فى عالم الجد . وقد
جهلوا أن الأمم تدأب فى حياتها بين عاملى الحاجة والأمل . فإن كانت المادة تحكم
حيز الحاجة من نفوسها ، فالخيال صاحب السلطان على حيز الأمل ، وهو أشد
العاملين حثاً وأعذبهما نداء .

وجاء بسمارك فى ألمانيا فأنتم تأليف وحدتها بعد أن شاعت فى ولاياتها
مصنفات ليسنغ وهردر وجيتى وشيلر وهينى ورفقائهم ؛ فكان الألمانىون أمة ذات
أدب واحد قبل أن يكونوا أمة ذات دستور واحد .

وأقرب من ذلك شاهد إلينا ، الدولتان الأموية والعباسية . بل أقرب منهما
هذا الذى نشاهده من إقبال ناشئة مصر على الأدب واشتغالها بصوغ الشعر
وحفظه . فإنه - ولا شك - عنوان النهضة المرجوة لمصر ، ودليل على تفتح الأذهان وسريان
النبض فى مركز الشعور . وفى الأمة نفر ممن يتعاطون صناعة الطب الاجتماعى

يزعمون أن البلد فى غنى عن الأدب ، وأنه ليس بحاجة إلى غير مباحث الاقتصاد وما شاكلها . قالوا ذلك ؛ لأن الثروة قوت الأمة ومصر لا تنتفع إلا بقوتها ولا يمرأها الدم فى شرايينها . وهو قول كما يرى القارئ فى حديث الطب يقضى بأن لايجوز الكلام مع المعود فى غير الأطعمة الدسمة والكينا وسلفات الصودا ... ولا غرابة فالطب تجارب !!

على أن كثرة الكلام فى المال ليست هى التى توجد المال متى كانت الهمم راكدة والنفوس باردة .

فالشعر لا تنحصر مزيته فى الفكاهة العاجلة والترفيه عن الخواطر ، لا بل ولا فى تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات ، ولكنه يعين الأمة أيضاً فى حياتها المادية والسياسية وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد والاجتماع . فإنما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهرٌ من مظاهر الشعور النفسانى ، ولن تذهب حركة فى النفس بغير أثر ظاهر فى العالم الخارجى .

خدع بعض الباحثين ولا سيما من كان منهم من علماء الطبيعيات ، فقالوا إن الناس اليوم فى دور العلم والتحقيق . وإن أباغنا كانوا ينظرون إلى العالم بعين الشعر أيام الجاهليات الأولى . وكان يحيرهم فى تلك الأزمان المظلمة ما يدركونه الآن من أسرار الطبيعة وخفايا نواميسها ، فيذهبون فى تأويلها مذاهب الحدس والتخيل . وإنما غشيت أصحابنا العلماء مادية العصر فرأوا ذلك الرأى ولست أدرى كيف يخطر لأولئك العلماء الجهلاء أنه يجىء يوم على الإنسان يقف فيه جامداً بين يدى هذا الوجود مهما حصل من العلم وأحاط بأسراره . وهل يؤثر علم النباتى العارف بأجزاء الأشجار على خيشومه وبصره فلا يدعه يتنشق رائحتها ويبتهج بألوانها ؟ وهل علمى بنواميس الطبيعة يعصمنى من الانفعال بمؤثراتها ويزود عنى الخوف مما يدعو فيها إلى الخوف أو الطرب إلى ما يطرب من بدائع مشاهدتها ؟

اللهم إنه علم يفقد الإنسان حواسه . ويا لله ما أضعف الإنسانية فإن الفرد منها لتملكه العاطفة فلا يكاد يبصر إلا بنورها أو يسمع إلا بصوتها . وإن الإنسانية بأسرها لتغلب عليها حالة من الأحوال الطارئة فى بعض الأجيال ، فلا تكاد تتوهم أنها تنتقل من تلك الحالة إلى سواها . . ظهرت أميركا بمناجمها واخترعت الآلات التى تصنع الواحدة منها صنع الألوف من العمال ، وأعلنت الحرية فألقى حمل كل طبقة على عاتقها ، وتوجهت الطبقات المختلفة إلى العمل لنفسها والسعى فى طلب رزقها . فحدث من جراء ذلك جميعه تهافت غير مألوف على الذهب . فما هى إلا سنوات مضت فى مقدمات هذه الزويعه قد ملأت الدنيا غباراً ، ثم أصبحنا لا نسمع إلا سياسة المال وعلم المال وقوة المال وعصر المال ، نسى الناس كل شئ إلا أنهم فى عصر المال . ونسوا أيضاً أن الإنسان لم ينقض عنه فى عصر المال عنصره القديم . وأنه إن كان قد انتقل من فترة إلى فترة فإنه لا يزال فى مكانه من الطبيعة ، ولا يزال يهتز بنبراتها ويجرى مع طياراتها . ولسوف يمضى عصر المال هذا فلا تسمع عنه الأجيال القادمة إلا كما نسمع نحن عن أخبار العصور الخالية . وكذلك لا يبقى إلى الأبد إلا الأبد نفسه .

أقول ذلك ولا أعنى بما قلت كل الشعر ، ولكنى عنيت منه المطبوع الأصيل . إذ ليس لشعر التقليد فائدة قط ، وقل أن يتجاوز أثره القرطاس الذى يكتب فيه ، أو المنبر الذى يلقي عليه . وشتان بين كلام هو قطعة من نفس ، وكلام هو رقعة من طرس .

فالشاعر العبقرى معانيه بناته ، فهن من لحمه ودمه . وأما الشاعر المقلد فمعانيه ربيياته ، فهن غريبات عنه وإن دعاهن باسمه . ولا يثمر شعر هذا الشاعر مهما أتقن التقليد ، كالوردة المصنوعة يبالغ الصانع فى تنميقها ، ويصبغها أحسن صبغة ، ثم يرشها بعطر الورد فيشتم منها عبق الورد ويرى لها لونها ورواؤها ولكنها عقيمة لا تنبت شجراً ولا تخرج شهداً . وتبقى بعد هذا الإتقان فى المحاجر زخرفاً باطلاً .

ألا وإنَّ خير الشعر المطبوع ما ناجى العواطف على اختلافها ، وبث الحياة في أجزاء النفس بأجمعها كشعر هذا الديوان .

* * *

فإذا تلقى قراء العربية اليوم هذا الجزء الثانى من ديوان شكرى ، فإنما يتلقون صفحات جمعت من الشعر أفانين ؛ قد سمح بها قلم سخي وقريحة خصبة .

فى هذه الصفحات نظرة المتدبر ، وسجدة العابد ، ولمحة العاشق ، وزفرة المتوجع ، وصيحة الغاضب ، ودمعة الحزين ، وابتسامة السخر ، وبشاشة الرضى ، وعبوسة السخط ، وفتور اليأس ، وحرارة الرجاء . وفيها إلى جانب ذلك من روح الرجولة ما يكظم تلك الأهواء ، ويكفكف من غلوائها . فلا تنطلق إلا بما ينبغى من التجميل والثبات .

إن شعر شكرى لا ينحدر انحدار السيل فى شدة وصخب وانصباب ، ولكنه ينبسط انبساط البحر فى عمق وسعة وسكون .

قد يعسر على بعض القراء فهم شىء من شعر شكرى ، فهؤلاء هم الذين يريد أكثرهم من الشاعر أن يخلق فيهم العاطفة التى بها يفهمونه . وليس ذلك مما يطلب منه . ولو حاوله لأفسد شعره بالعمل والزيادة . ومن دأب المبتدئين من الشعراء أن يتوخوا فى كلامهم الشرح والإسهاب والتفصيل ، ظناً منهم أن ذلك يزيد معانيهم جلاء ويقربها من إحساس قرائهم . وليس أبعد من هذا الظن عن الصواب فإن العواطف لا تتأثر بالإطناب وإنما هو مما يتوسل به إلى إفهام العقول ، وإدخال المعانى إلى الأفكار .

ومن النفوس من لا يصلح لتوقيع جميع أدوار الشعر عليه ، كما لا توقع أدوار (الأوركستر) على القيثار أو المزهري . فإن هذه الآلات الصغيرة لا تسع تلك الأنغام المتنوعة الكثيرة . فإذا سمعت إحدى هذه النفوس أنشودة الشاعر فسبيلها أن تستغرب رنة اللحن الذى ليس فى معزفها وتر يهتز به .

* * *

قال لى بعض المتأدين إن شعر شكرى مشرب بالأسلوب الإفرنجى ! وأنا لا أعلم ماذا يعنى هؤلاء بقولهم الأسلوب الإفرنجى والأسلوب العربى ؟ فإن المسألة على ما أعتقد ليست مسألة تباين فى الأساليب والتراكيب ، ولكنها مسألة تفاوت فى جوهر الطباع ، واختلاف بين شعراء الإفرنج وشعراء العرب فى المزاج كاختلاف الأمتين فى الملامح والسحناء .

وأشبهه بالحقيقة عندى أن يقال الأسلوب الآرى والأسلوب السامى ، فإنه أدل على جهة الاختلاف بين شعر الإفرنج وشعر العرب .

الآريون أقوام خيال نشأوا فى أقطار طبيعتها هائلة ، وحيواناتها مخوفة ، ومناظرها فخمة رهيبة . فأتسع لهم مجال الوهم وكبر فى أذهانهم جلال القوى الطبيعية . ومن عادة الذعر أنه يثير الخيالات فى الذهن ويجسم له الوهم . فيصبح شديد التصور ، قوى التشخيص لما هو مجرد عن الشخصوص والأشباح .

والساميون أقوام نشأوا فى بلاد صاحبة ضاحية ، وليس فيما حولهم ما يخيفهم ويذعرهم . فقويت حواسهم وضعف خيالهم .

ومن ثم كان الآريون أقدر فى شعرهم على وصف سرائر النفوس . وكان الساميون أقدر على تشبيه ظواهر الأشياء ، وذلك لأن مرجع الأول إلى الإحساس الباطن ، ومرجع هذا إلى الحس الظاهر .

السامى يشبه الإنسان بالبدر . ولكن الآرى يزيد أنه يمثل للبدر حياة كحياة الإنسان ، ويروى عنه نوادر الحب والمغازلة والانتقام كآته بعض الأحياء . وهذا ولا مرأء أجمع لمعانى الشعر لأنه يمد فى وشائج التعاطف ، ويولد بين الإنسان وبين ظواهر الطبيعة ودأ وانتناساً يجعلهما الشعر السامى وقفاً على الأحياء ، بل على الناس دون سواهم من سائر الأحياء .

وهذا الفرق بين الآرى والسامى فى تصور الأشياء ، وهو السبب فى اتساع الميثولوجى عند الآريين ، وضيقها عند الساميين . فليست الميثولوجى إلا إلباس قوى الطبيعة وظواهرها ثوب الحياة ، ونسبة أعمال إليها تشبه أعمال الأحياء . وتلك طبيعة الآريين فإنهم - كما قلنا - قد امتازوا بقوة التشخيص والخيال على الساميين .

وهذا أيضا هو السبب فى افتقار الأدب السامى إلى الشعر القصصى ، ووفرة أساليب هذا النوع من الشعر فى الأدب الآرى . فإننا إذا راجعنا أكبر قصص الهنود والفرس ، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها ، وجدنا أنها تدور كلها على روايات الميثولوجى ، وتستمد منها أصولها . وقد وسعت القصص منطقة الشعر الغربى فكانت له ينبوعا تفرعت منه أساليبه وتشعبت أغراضه ومقاصده . وحرم الشعر العربى منها فوقف به التدرج عند أبواب لا يتعداها .

أما تقسيم الشعر إلى قديم وعصرى ، فليس المراد به تقسيمه إلى عربى وإفرنجى ، ولا يراد بالعصرى مقابلته بالقديم . فإننى أعتقد أن الشعر العصرى يشبه الشعر القديم فى أن كليهما يعبر عن الوجدان الصميم . ولكن المراد منه التفريق بين الشعر المطبوع وشعر التقليد الذى تدلى إليه الشعر العربى فى القرون الأخيرة .

فالشاعر قد يكون عصرياً بريئاً من التقليد ، إلا أنه لا يلزم من ذلك أن يكون إفرنجياً فى مسلكه .

وأىما شاعر كان واسع الخيال قوى التشخيص ، فهو أقرب إلى الإفرنج فى بيانه وأشبه بالآريين فى مزاجه وإن كان عربياً أو مصرياً . ولا سيما إذا كان مثل شكرى ، جامعاً بين سعة الخيال وسعة الاطلاع على آداب الغربيين .

حياة الأهم

أو

التجدد والتغير

حياةُ الناس إمّا ماءُ نهرٍ فيصلحه التدفُّقُ والمسيرُ
وإمّا ماءُ آجنةٍ كثيرٍ قذاه ، ويأجن الماءُ الطهورُ^(١)
وليست هذه العادات إلا رداءُ العيشِ تبليبه الدهورِ
رداءُ العيشِ تبليبه الليالي ويبكى عهدَ جدّته الغرورِ^(٢)
وأبكارُ المعاني حائكات رداءً عهدَ جدّته نضيرُ

* * *

نظامات وعادات تقضى وبعضُ الأمرِ يصلح إذ يحولُ^(٣)
وأسبابُ البقاء لها صيالُ صيال السيل يهلك إذ يصل
وأحكامُ الوجود لها مسيلُ مسيلُ السيل يهلك إذ يسيل
فإن تسدد طريقَ السيل تهلك ولا يُغنى البكاءُ ولا العويل
ويحيا بالتغيّر كلُّ حيٍّ ويردى الفاسدُ القدرُ العجولُ
فلا تكُ جازعاً في إثرِ أمرٍ جليلُ الأمرِ يعقبه الجليل
وآمالُ وآراءُ وعاداتٍ سواء في تغيّرها شكولُ^(٤)

* * *

(١) أجن الماء : وقف وركد وعطن . (٢) الجدة (بكسر الجيم وتشديد الدال) : كون الشيء جديداً .
(٣) يحول : أي يتغير . (٤) عاد : أي عادات ، وشكول : متشابهة .

وكم من أمةٍ تخشى زوالاً
تحاذر أن تغيرها الليالي
وبين الدهر والدول استباقٌ
فقل للفافلين إذا أصاخوا
ستنفذ فيكم الأقدارُ حكماً
وهل يخشى الجديد سوى جبانٍ
على الأيام أدركها الزوالُ
فيودى حالها ويجئُ حالٌ^(١)
وبعضُ الناس يُعوزهُ المجال^(٢)
حياتُكم هي الداءُ العضالُ
ويرجىكم بأنكده المآل
له من حبٍّ أقدمه عقال

الإيمان والقضاء

ليس يدري مضاضةُ القدرِ الغا
تفتق الذهن مثلاً يفتق الأز
غير أن الشقاء قد يخز النف
فهو طوراً يكون برءاً لداءٍ
هو سيف القضاء في يد عدل
خفيت حكمةُ الحوادث عنا
لو رأينا منابتَ العدل فيها
لو رأينا مطالعَ العدل منها
وخداغُ الحياة أروعُ جلباً
سكناتُ الإيمان برءٌ من الحز
لب إلا معالج اليأساء^(٣)
هار وهنا مرققُ الأنداء
س ويصمى مجامع الأهواء^(٤)
وهو طوراً يُعدُّ في الأدواء
رُبُّ عدل في وقع ذاك البلاء
فشقينا شقاوةَ الجهلاء
لنعمن بالعيشة الخشاء
ما شكونا مضاضةَ الأرزاء
لأسى المرء من خداع النساء
ن ومأوى لهاربٍ من قضاء

(١) أودى : ذهب .

(٢) يعوزه المجال : أى لا يمكنه .

(٣) المضاضة : الألم ، واليأساء : البؤس .

(٤) يصمى : أى يصيب ، ومجامع الأهواء أى القلب .

هو حصنٌ من الشقاءِ حصينٌ
 كنفٌ مسانِعٌ وظلٌّ ظليلٌ
 يلج النفسَ بالثبات وبالحرز
 هو روضُ جمُ الفروع أنيقٌ
 يدخل الأمنَ والسلامَ على قلبه
 ووقساءٌ أنعمَ به من وقساءِ
 وشرابٌ يشفى أوامَ الظمأِ^(١)
 مِ يطوى جوانبَ الضراءِ
 ونعيمٌ موطأُ الأفناءِ^(٢)
 بـ خفوق الضلوع والأحشاءِ

الحياة والعبادة

أكذبُ الدينِ ما ينيمُ قوى المر
 إنما الدينُ أن تفكَّ عن النفس
 إنما الدينُ أن يجدَّ مجدُّ
 إنما الدينُ قوةٌ وجمالُ
 كيف يدرى جلالَةُ النفسِ غيرُ
 كيف يدرى جلالَةُ اللهِ غيرُ
 أعبد اللهَ بالجهادِ وبالتف
 إنما هذه الحياةُ جهادُ
 خلق المرءُ كي يناهضَ أمراً
 كُتبَ الصبرُ في الحياةِ علينا
 كما يُخرسُ الرياحَ الركودُ^(٣)
 س من اليأسِ والخمولِ قيودُ
 أعمل السعى أو يجدَّ مُجيدُ^(٤)
 وحياةٌ وعدةٌ وعديد
 أزعجته بوارقُ ورعود
 حرَّ كتته ضغائنُ وحقود
 كبر ، والعقل عابدٌ معبود
 والجبانُ الموهونُ فيها جحود^(٥)
 فهو في الموتِ والحياةِ شهيد
 فالبس الصبرَ فالعظيمُ جليد

(١) الأوام : العطش والظما .

(٢) الركود للرياح : سكونها .

(٥) الموهون : الضعيف .

(٢) جم أى كثير ، وموطأ أى ممهد .

(٤) أعمل السعى أى جد فيه .

عش شهيداً تناجز الهم والدا
فحنين الشكلى ووخز ضمير
هى ما يعبد الأنام به الله
كما يعبد القضاء الوجود^(٢)
ء إذا أم حنقه الرعيد^(١)
ودموع يريقها المكدود^(٣)

القلق والغفلة

يا أسيراً قيوده آمال
تبغى الخير فى مجاهل مايا
لك صدر جم الحنو على النا
أنت عبد البقاء لو كره العبد
أنت تقرى الأنام من دمك الغم
أنت تبكى مما يعالجه النا
إن عتياً على القضاء سفاه
ينعم الغافل الغيبى ويشقى
أيها اللائمون فى الحزن مهلاً
مشكلات لاتستبين لرائى^(٤)
تى من الدهر والقضاء النائى^(٥)
س ولكن يضيق بالأرزاء
مد إباقاً من رق ذاك البقاء^(٦)
ر شآبيب عاجزات السخاء^(٧)
س وتأسى لبادرات البلاء^(٨)
غاب عنه مطالع النعماء
عائب ساءه وقوع القضاء
غافل القلب ميت الأحياء

-
- (١) أم : أى سار نحو حنقه والرعيد : الجبان .
(٢) التكلى : هى التى أصيبت بفقد بنيتها .
(٣) أى أن الناس تعبد الله يتحمل الشقاء والامه .
(٤) مشكلات : من أشكل الأمر إذا التبس واختلط .
(٥) يقال للأرض المجهولة مجهل ، والجمع مجاهل . وهنا أطلقت على العصور المجهولة القادمة .
والنائى أى : البعيد .
(٦) إباق العبد : هروبه من سيده .
(٧) شآبيب جمع شؤبوب . وشؤبوب الدمع : ماؤه ، وعاجزات السخاء : لأن هذه الدموع لا تفيد .
(٨) تأسى أى : تحزن . وبادرات البلاء : ما يبادر المرء منه .

ما بكينا من الشقاء ولك
 ضُربَ الأمن والسلام عليكم
 لو منينا بعيشكم ما رضينا
 لا يصيب السلام إلا غبي
 كم عظيم قضى ولم يبلغ النجـ
 كم جليل مرجم بسباب
 نّا بكينا من ذلنا للقضاء
 وعلينا عرفانُ وقع البلاء^(١)
 ضاحك القلب جاهل بالبقاء^(٢)
 كيف نرضى بعيش أهل الغباء ؟
 حَ وغرّ أصابه برياء^(٣) !
 وضئيل مزين بالثناء !

اليتيم

يتيمٌ تقاضاه الهموم حياته
 وما اليتيم إلا غربة ومهانة
 يمرُّ به الغلمانُ مثنى وموحداً
 يرى كلُّ أمٍّ بابنها مستعزةً
 يسأله الغلمانُ عن شأن أهله
 إذا جاءه عيدٌ من الحول عاده
 كأنَّ سرورَ الناسِ بالعيد قسوةٌ
 يظل حسوداً للذين أظلمهم
 وتظميه من طيب الحياة خطوب^(٤)
 وأى قريبٍ لليتيم قريبٌ
 وكلُّ امرئٍ يلقي اليتيم غريبٌ
 وهيهات أن يحنو عليه حبيب
 فيحزنه أن لا يجيب مجيب
 من الوجد دمعٌ هاطلٌ ووجيب^(٥)
 عليه تريق الدمع وهو صبيب^(٦)
 من العيش ، فينانُ النعيم رطيب^(٧)

(١) ضرب أى جعل عليكم كالخيمة المنصوبة .
 (٢) قضى أى مات .
 (٣) صبيب : غزير .
 (٤) تقاضاه أى تتقاضاه .
 (٥) الحول : العام .
 (٦) صبيب : غزير .
 (٧) الفينان : المورق من الأغصان .

وما علم الغلُّ الفتى كمصيبةٍ
 فيا ويله قد مزَّق الغلُّ قلبه
 عزاءك لا يلعم بك الضيمُ إننا
 فهذا يتيمٌ تاكل صفو عيشه
 وكلُّ امرئٍ فى الناس باكٍ وضاحكٍ
 فإن شئتَ فاعدد من رزئت أمانيا
 وما الرزءُ إلا فقد من لو حرمة
 ألا إن بين الناسِ قُربى ولو طغى
 فإن جهلوا أن القلوب أواصرُ
 دهنه فلم يعطف عليه ضريب^(١)
 وأنشَبَ فيه للشقاءِ نيوب
 يتامى ولكن الشقاءَ ضرُوب^(٢)
 وذاك من الصَّحبِ الكرامِ سليب
 وكلُّ يتيمٍ لليتيمِ نسيب
 وإنك منها ما حييتَ سليب^(٣)
 حييت ولم يعنف عليك وجيب
 جفاءً وأودت بالحنانِ شُعب^(٤)
 فما جهلوا أن القلوب قلوب^(٥)

الجمال والعبادة

عند قدماء اليونان

كم أمةٍ أحكمت بالحسنِ دولتها
 حبُّ الجمالِ حياةٌ لا نفاذَ لها
 تلك التماثيلُ أم هذى المعابدُ أم
 ياربُّ مرأى لنا منها وربُّ منى
 فخلفته وأودى مجدها الفانى
 لانهبَ دهرٍ ولا أسلابِ حدثان^(٦)
 تلك الفنون عليه خيرُ عنوان
 فيها وحسن قديم العهدِ يونانى !

(١) الغل : الحقد . والضريب : هو الند والمثيل . (٢) لا يلعم أى لا يحل .

(٣) من رزئت أى من أصبت بفقدهم . (٤) شُعب أى الموت وهى بفتح الشين .

(٥) أواصر أى صلوات نسب . والقلوب قلوب أى من معيذاتها ولوازمها الرأفة .

(٦) لا نهب دهر أى لا تفنى على الأيام .

لهفى على زمنٍ كان الجمالُ به
لم يحبس المرء عن آماله فَرَقُ
الحبِّ والحسنُ والأشعارُ دينُهُمُ
لم يزر بالحقُّ حبُّ الحسنِ بينهم
كأنما عيشهم من طيبٍ مخبره
يرون فى كلِّ شىءٍ حولهم نفساً
لكلِّ شىءٍ إلهٌ ملؤه جـذل
وللجمالِ إلهٌ غير ذى بخلٍ
لقد أضاءت وجوه العيش عندهم
لا تحسب الحبُّ بين الناس منقصة

ما يعبد الناسُ فى دينٍ وإيمانٍ
منها ولم يثنه عن عزمه ثانى^(١)
أنعم بذلك ديناً بين أديان
فالحقُّ والحسنُ إن فكَّرتَ سيَّان
بيتٌ من الشعر فى حسنٍ وتبيان
حيّاً وروحاً نماه طيب جثمان
معبَّدٌ بين أزهارٍ وأغصان^(٢)
مكللٌ بوريق العودِ فينان
محاسنُ الحبِّ من صدقٍ وإحسان
فالحبُّ سلوةٌ هذا العالمِ الفانى !

الحياة والعمل

المرءُ ليس بمالكٍ يده
والمرءُ يقمر جسمه كسل
والعيشُ سرٌّ أنتَ باحثه
والعيشُ سجعٌ أنتَ رافعه
والعيشُ تجربةٌ لسالكه

حتى تكون وسيلة الأمل
والعمرُ بعضُ غنيمة الكسل^(٣)
فعسى تجوب مجاهلَ السبل^(٤)
عما جهلت بجدِّ ذى حيل^(٥)
والياسُ أخطرُ فيه من خطر^(٦)

(٢) معبَّد بتشديد الباء أى معبود .

(١) فرق أى خوف .

(٣) يقمر أى يكسب فى القمار ، كأنما الكسل يقامر المرء عن جسمه وعمره .

(٤) المجاهل : الأماكن المجهولة . (٥) سجع أى ستر .

(٦) الخطل : الخطأ .

فحذار أن تعتده غرضاً
لو كان هذا العيشُ غايَتنا
لا تزدهيك منازل ووطئت
والنجاحُ ليس بخير مكتسب
كم ظافـر باقلٍ مطلب
فالطيشُ ليس بعائب الأمل
إن الذى يسعى على وجلٍ
إن الحياةَ وسيلةَ الرجل^(١)
لم تطرق الأقدار بالأجل
فالسعىُ خيرُ منازلِ النزل^(٢)
كم نجحةٌ شر من الفشل
خذلت يدها بمطلب جلل^(٣)
والعجزُ ليس بعائب العمل
غير الذى يسعى على جذل !

ضحكات الاطفال

ضحكةٌ منك صوتها صوت تغريـ
ضحكةٌ ردت المشيبَ شباباً
ضحكاتٌ كأنها كلمات الـ
ضحكات كأنها نغمات
ضحكات لا تعرف الخير والشر
تفزع الهمَّ من ضلوع ذوى الهم
كم أنامت دون الفؤادِ وجيباً
بدِ العصافير تستفزُّ القلوبا
وأمائت من الوجوه الشحوبا
لله تمحو مآثماً وذنوبا
تترك الغافل الغيبى طروباً
ولا تضممر الجوى واللغوبا^(٤)
وتحنى على القلوبِ القلوبا^(٥)
وأغاضت من الدموع غروباً^(٦)

(١) تعده : أى تعدده وتحسب .

(٢) لا تزدهيك أى لا تفرك . ووطئت أى لانت وطابت . والنزل بضمّتين جمع : نازل .

(٣) جلل أى عظيم .

(٤) لأن الطفل يفعل الشر والخير وهو لا يعرف أنه شر أو خير . واللغوب : هو التعب .

(٥) تحنى أى تعيل
(٦) غروب الدمع : شأبيب مائه .

رُبُّ ضُحُكٍ قَدْ يَضْحَكُ الْغَدْرُ فِيهِ
أَبْيَضُ النَّفْسِ صَادِقُ الضَّحْكِ وَالْغَا
وَلَقَدْ يَضْحَكُ اللَّئِيمُ رِيَاءً
يَا رَعَى اللَّهُ لِلطَّفْوَلَةِ حَالاً
يَا رَعَى اللَّهُ لِلطَّفْوَلَةِ حَالاً
كَمْ صَحَبْنَا فِيهَا الزَّمَانَ أَمِيناً
وَيُغْطَى عَنْ خُبِّهِ أَنْ يَرِيْبَا ^(١)
دُرٌّ يَعْطِيكَ ضُحْكُهُ الْمَكْذُوبَا
فَتَرَاهُ وَهُوَ الضَّحْكَوْكَ قَطُوبَا ^(٢)
تَرَكْتَ بَعْدَهَا الْعِزَّاءَ سَلِيمَا
مَا عَهْدْنَا الزَّمَانَ فِيهَا مَرِيْبَا
وَلَبَسْنَا فِيهَا النِّعِيمَ قَشِيْبَا ^(٣)

الجمال والموت ^(٤)

بَاعِدَ الْهَمَّ عَنْ فِرَاشِي الْمَنَامَا
وَجَعَلْتُ الْفِرَاشَ مَأْوَى هُمُومِي
هُوَ مَوْرِي الْأَشْوَاقَ بَعْدَ خَمُودِ
وَهُوَ أَحْنَى عَلَيَّ مِنْ وَضَحِ الصَّبْحِ
غَيْرَ أَنَّ الْفَنَاءَ يَخْطُرُ فِي شَمْسِ
طَرَقْتَنِي فِي جَنَاحِهِ خَطَرَاتِ
نَضَّدْتُ فَوْقِي الرِّجَامُ ضَرْيَحاً
فَرَعَيْتُ الْأَشْجَانَ نَهْباً سَوَامَا ^(٥)
فَاسْتَزَادَتْ مِنَ الظَّلَامِ ظِلَامَا
وَهُوَ دَاءٌ مَرٌّ يَهِيْضُ السَّقَامَا ^(٦)
وَأَنْدَى يَدَاً وَأَهْدَا مَقَامَا ^(٧)
سَلَتْهُ غَايِنَا جَسُوماً نِيَامَا ^(٨)
أَنَا مَحْيَى الدَّجَى وَهْنُ النَّدَامَى ^(٩)
وَسَقَتْنِي مِنَ الْحَمَامِ مَدَامَا ^(١٠)

-
- (١) الخب : الخداع . (٢) قطوب أى عابس . (٣) الثوب القشيب : هو الجديد .
(٤) يتخيل الشاعر أنه رأى خيال حبيبته التي ماتت فهم أن يعانق ذلك الخيال فرأى جماله يذهب ولم يبق من الخيال غير هيكل عظمي .
(٥) نهبا أى تتناهبها المسالك ، وسواما : أى غفل عنها راعيتها . (٦) موري أى مشعل .
(٧) أحنى أى أكثر حنواً ، وأندى أكثر ندى ، وأهدأ أكثر هدوءاً .
(٨) شملة الليل أى كساؤه أى الظلام . (٩) أحيا الدجى أى سهر .
(١٠) الرجاء : الأحجار فوق القبور .

فرأيتُ الثيابَ فوقى أكفا
ورميتُ الظلامَ بالنظر الآ
إن هذا الظلام بابٌ إلى المو
ياسمير الموتى ابن لى حبيباً
غبنتنى المنونُ فيه ولو شا

* * *

ناً وحولى جماجماً وعظاما
مل أبغى من الظلام مراما
ت نراه وراءنا وأماما
كان فى مقلتى بدرأ تماماً^(١)
أت لسامت به الأنام مساما

أى زور يفرى الدجى عن ضياء
أنت أنت التى هجرت لحاظى
أنت فى الموت والحياة تقودين
عانقتنى فربَّ صدرٍ خفوقٍ
واجعلى ساعديك عقداً لجيدى
عانقتنى فعانق الداء جسمى
ورأيت العظامَ تعمرى من اللحم
أبعدى عن مشمى النفس المر
أبعدى فاك ذاك عن شفتى الظمأى
بينما أنت كالضياء بهاء

أى زور يسمى إلى لماما
وتركت الفؤاد يشكو أواماً
فؤاداً متيماً مستهما
ظلَّ يحنو عليك عاماً فعاماً
واجعلى معصميك فيه زماماً
وكأن الخيال صار رماماً
وقد فارق البهاء العظاما
فقدماً شممتُ منه البشاماً^(٢)
فقد أبدل الرضاب لغاماً^(٣)
إذ تعودين رمةً تتحامى^(٤)

(١) سمير الموتى : الخطاب لليل .

(٢) مشم مكان الشم أى الأنف . والبشام : زهر له رائحة طيبة .

(٣) اللغام : ما يخرج من فم الإبل من الماء .

(٤) تتحامى أى يتحاماها ويبتعد عنها الناس .

عبادة الشمس

(اسم زهرة معروفة)

تديرين نحو الشمس وجهًا كأنما
فما حسرت عيناك من طول رقبة
أتبغين من تلحاظها شكرَ نعمةٍ
تسقيك من أضوائها بلوا حظٍ
إذا غربت أرخيت أجفانَ عاشقٍ
تضيئين وجهَ الروض من فرط صفرةٍ
وفي اللون آيات من النور غضةً
كأنك بين الزهر في ليل أربع
وصفراء من نسل المجوس كأنها
تهمُّ إلى وجه السماء كأنما
كما يشرب النسر هيض جناحه
جحدنا مغاليق الطبيعة ضلة
ترين بوجه الشمس ما كتب الدهرُ
وياربُ ترصاد ينوء به الصبر^(١)
هي النور لم يحسب عليك له أجر ؟
وللشمس لحظٌ لا بطئٌ ولا شزر
يناجي حبيبًا دونه للدجى ستر
فأنت له شمسٌ وأنت له بدر
وياربُ لون قد يضيء له جمر
وعشر هلال حوله الأنجم الزهر
تعالج أمرًا لا يعالجه الزهر
لها في صميم الأرض من جذرها أسر
مقيم على الدهماء الحاظه طير^(٢)
فكانت حياة المرء أكثرها سر^(٣)

(١) حسر أى تعب .

(٢) اشرب : تطلع ومد عنقه . وهيض أى كسر وجرح . والدهماء : الأرض .

(٣) مغاليق الطبيعة : أسرارها العامضة .

صوت الليل^(١)

ملأت الكون من نفس عميق
وأجريت الجلال على سكون
وأخرست الحياة وراغبيها
كأنك شدو ظئر للوليد
كأن النوم صنوك حين تجرى
وأنت علالة الروح الكبيرة
فصوت الليل من صوت الضمير
يثن صداه في صم الضلوع
فيا مأوى من عنت الحياة
فكم ناجيت سرّك في الظلام
خلصنا منك أسرار البيان
فأسمع كل ذى قلب مفيق
يفيض على ظلامك كالأنين
وريح الموت تخفق منك فيها
إذا طردت به صحر العنيد^(٢)
على سمع سرارك ليس يدري^(٣)
إذا أصغت ولجت إلى السريرة
مهيب القول كالهادي النذير
ويكسو النفس ثوباً من خشوع
إذا أنا مت لا تهجر رفاتي
وداء النوم يسرى في الأنام
فأنت اليمّ تعمره المعاني^(٤)

وصف البحر

ألا ليتني لجّ كلجك زاخر
فكم عبّت النفس اللجوج وحاولت
فاخفت من الدرّ النفوس ومن حلى
كأن بها أفقاً كافقك نائياً
أتطرب من لحن الخرير كأنه
أعب كما تهوى النهى والبصائر^(٥)
كبعض سطاك الآبيات النوافر^(٦)
كما اختبات فيك اللهى والذخائر
ومن دونه كل المدى يتقاصر
خواطر تتلوها عليك السرائر

(١) إذا هدأ الكون بالليل سمعت صوتاً مثل خرير المياه فكأنه صوت سكون الليل وهبوطه .

(٢) الظئر : الموضع . (٣) السرار : المسارة . (٤) خلّسنا أى سرقنا .

(٥) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة (عدد ١٠ أغسطس ١٩٣٦) وأضاف إليها

الخمس والعشرين بيتاً الأولى ... أى لج من الحياة والنهى . (٦) أى النفوس الأبيات .

كما طرب النشوانُ من لحن صوته
 وإلا فما للموج في اليمِّ راقصاً
 خريك يحكى صدحة الدهر صامتاً
 هو الدهر لا يخشى المنايا ولا يهـي
 وأنت شبيه الدهر لا أنت هارم
 ويصطخب الآذَى فيك كأنما صد
 أخفق وإعصار ودفع وهبة
 فريحك أنفاس وموجك نابض
 خلوت من السمار كالبيد وامحت
 سوى شلو فلک قد حدرت إلى الردى
 وكم جزرٍ مثل الجنان مضيئة
 لتحيلت نجوم السعد والحب والمنى
 كما حنُّ لآل الخلوب قوافل
 تخلفت في قلب المخاطر همة
 يحنُّ إلى ما خلف أفقك ناظر
 كأن منى للنفس من خلف أفقه
 أو أن مجال السعد درٌّ منظم
 بلى كل نفس للغريب مشوقة
 ويصغر في مرآك عيش ابن يومه

فجاشت لديك الراقصات الزواجرُ
 دعاه عذارى البحر شاد وشاعر^(١)
 كأنك دهر بالحوادث مائر^(٢)
 صباه ولا تقضى عليه المقادر
 ولا أنت منقوص ولا أنت خاسر
 طخابك من حكم المنية ساخر^(٣)
 كأنك حى نابض القلب شاعر !
 كنبت قلوب أعجلته البوادر
 معالم لا تبقى عليها الأعاصر
 يلوح كما لاحت رسوم غوائر
 كأن جهلتها الصائلات الدوائر
 فحنَّ إليها الشخصخان المخاطر^(٤)
 تخب بها في البيد إبل ضوامر^(٥)
 على الدهر لا تبلى وتبلى العمائر
 كما تنشد الغيب النهى والبصائر
 تلوح كما لاح السراب المبادر
 على الأفق ينحوه الطلوب المغامر
 وإن خوفتها من سطاه المخاذر
 ويكبر رأى ذاهب فيك سائر

(١) عذارى البحر (أو عرائس البحر) : إشارة إلى الأسطورة الإغريقية .

(٢) مائر : أى مانع . (٣) الآذَى : الموج .

(٤) الشخصخان : القوى الشجاع . (٥) الخبيب : العدو .

خواطر مثل الفلك فيك شوارد
تناءت بك الأمواج وهي نوافر
كان بها عجز المشيب إذا انثنت
فتم نومة الظل البطيء مسيره
فيأرب حلم خامل البطش هادي
كان لنا من لج مائك واعظا
رايتك والأمواج في وثباتها
فبيننا يريق الضوء فوقك ماءه
ويتلو عليك الصائدون غناءهم
ويسمعك الملاح من شجو قلبه
إذ الجو جهم والرياح كتائب
ورب سفين يقرع النجم مجدها
يروعها في كل هوجاء موعده
فليس الغمام الغمر إلا رياحها
وما ذلك اللج الذي في سمائها
إذا ذكر الملاح زوجاً وصبيّة
وتذهل عن مهد الوليد رءومه
وما هي إلا صولة ثمت انجلت
كما غرقت في لجة الدهر دولة

يضل عليها عازب اللب حائر
وجاءت بك الأمواج وهي ثوائر^(١)
وعزم الشباب الغر وهي بوادر^(٢)
وثب وثبة الغضبان حين يساور
ضمنت وجهل شره متطائر
بليغاله مما أثرت زواجر
عساكر حرب قد تلتها عساكر
وتجرى عليك الريح وهي خواطر
يرجعه لحن من الماء مائر^(٣)
أحاديث قد تافت لهن الحرائر^(٤)
وإذ أنت مقبوح السريرة غادر^(٥)
تقاذفها مستوفز اللج هامر^(٦)
ويسعى لها قبر من الماء مائر
وما المرسلات الهوج إلا الهوامر
بأهدأ من لج نمته الزواخر^(٧)
طغى شجن في مرجل الصدر فائر^(٨)
إذا ما رمتها بالوعيد الزماجر^(٩)
وأكبر غرقاها المساعي البوائر^(١٠)
زهت ما زهت والدهر للناس غامر

-
- (١) تناءت : بعدت . (٢) أي أن الأمواج إذا ابتدرت الشاطئ، كان لها بطش الشباب وعزمه ،
وإذا رجعت عنه كان بها عجز المشيب وضعفه . (٣) مائر أي سائل .
(٤) تاق : اشتاق . والحرائر : النساء المحجبات . (٥) كتائب : جيوش .
(٦) أي أن الغمام في صولته مثل الريح . والرياح مثل الأمواج .
(٧) نمته : نسبته إلى نفسها . (٨) المرجل : القدر وضع على النار .
(٩) الزماجر : جمع زمجرة أي صوت الرياح والأمواج . (١٠) البوائر من بار بيور : إذا تلف .

معان لا يذركها التعبير

كم معانٍ يودّ لو صاغها المر
هى ملء الضمير لم يبلغ اللف
كلما رام أن يعبر عنها
فهى عذراء لا تحن لناء
نزلت فى النفوس منزل صدق
وتأبت عن قانص الحق باللف
هى جزء من النفوس وهل تب
لن تراها بالرأى حتى تراها
طالما نالها أخو الصمت والصم
إنما تنطق النفوس لدى كل
ونجى النفوس ليس الذى الـ
إن وأد الأبناء أهون خطباً
ذل من خاف لومة الناس فى قو
ء وحلى بها وجوه البيان
ظ مداها ولم تذللها المباني^(١)
أنفت أن تُنال بالآذان
وهى عذراء لا تلين لدانى
كنزول النفوس فى الأبدان
ظ ولو كان واسع التبيان
عدو نفوس مدرك بالعيان
بفؤاد موفى يقظان
ت كريم البيان جم الأمان
مصيخ إصاخة المذعان^(٢)
جسم فاه من رهبة أو هوان
وأثاماً من وأد تلك المعانى^(٣)
لة حق فليج فى الكتمان !

(١) أزال : أرخص وحقر .

(٢) المذعان : الذى يذعن للحجة .

(٣) الأثام : اسم مصدر من أثم .

غلامٌ مريضٌ

يكلم أمه

خبريني أمي أئن متٌ ماتت
والحنانُ الذي أضْمُ به كـ
والضياءُ الذي ترين بعيني
وهل المرءُ في المماتِ غيبٌ
عاهديني أن لا تعاني لموتي
وإذا شئتِ فاجعليه رشاشاً
في قليلٍ من البكاءِ بلاغٌ
لستُ أرضى لحرٍّ وجهك أن يز
لستُ أرضى لأضلعٍ حملتني
ولصدرٍ قد كان يحنو على جسـ
العصافيرُ في الرياضِ تغنى
كنتُ في العيشِ مثل هذى العصافيرِ
فألاحت لي المنون بوجهه
ليس ما بى خوف الجبان ولكن
كالملكِ الخرابِ يبعث في النفـ
فهو يخشى وليس يعرف ما يخـ

نزعاتي إليكم وحنيني ؟
لَّ قَريبَ معانقٍ أو قرينِ
أمضئُ سواد تلك المنون^(١)
أم هو المرءُ فيه غيرُ غيبِ
حرقات تفيض ماء الجفون
ذلك الدمع واحبسى من أنين^(٢)
وكثيرُ البكاءِ داء العيون
رى به من شحوب وجه الحزين
أن تعاني حملَ الأسى المكنون
مى في المهد لوعة من شجون
لا كجسمي تحت الترابِ الدفين
مر أغنى في وكري المأمون
أى راءٍ يرضيه وجه المنون ؟
خوف جهلٍ لا خوف جبن وهون^(٣)
سِ خشوعاً ورعدةً للظنين^(٤)
شئى ووجه الفناء غير أمين

(١) ضياء العين : لمعانها .

(٢) الهون : الهوان والذل .

(٣) الرشاش : القليل من الماء أو الدمع .

(٤) الظنين : المتهم ويبعث له رعدة : لأنه يذكره بجناية .

التنويم المغنطيسي

أوعزيمة المجرم

« قصة »

بلحفاظ رامسيات	مصميات ساكنات ^(١)
كلحفاظ الحية الرقـ	عطاء عند الوثبيات
واعتزام ليس يشنى	بدعاء أو شكاة
قادها كرهاً وكسنت	قبل خير الآبيات ^(٢)
جعلت تغضى لتمحى	فعمل تلك النظرات ^(٣)
فهى كالطير قنيص	فى الشباك القانصات
ولها قلبٌ خفوق	كجناح الطائرات
خيفة الرجس ولا خو	ف كخوف الغانيات
صار يدعوها إليه	بحديث اللحظات
لحظات آمـرات	فهى طوع الأمرات ^(٤)
تاخذ المرء اقتساراً	باقترار العزمات
رحمات الله ترعا	ها بخير الرحمات
كم يضحى الشر بالطهر	لحكم الشهوات
رُبَّ جانٍ علم العا	جز وجهه العزمات
رُبَّ جانٍ علم الغـر	جذاب الفرصات ^(٥)

(١) مصميات : مصيبات . هذه قصة جنائية استخدم مجرم شهوان التنويم المغنطيسى لكى ينال شهوته من فتاة كان يحبها .

(٢) يصح فى محا أن يقال : محا يمحو ومحى يمحى ومحا يمحا .

(٤) أمرات ؛ لأنها لحظات المنوم بالمغنطيس . (٥) الفرصات : الفرص .

كلُّ خبٍ ودهاءٍ واعْتَزَّامٌ لِلْجَنَّةِ
هو محسوب علينا في أساليب الحياة !

ليتني كنت إلهاً^(١)

ليتني كنتُ في السماءِ إلهاً
فسأضمُّ الوجودَ بين جناحي
ثم أحنو على الأنامِ كما يحب
ليس شرى عليهم بهتون
إنَّ وعدى لديهم خير وعدٍ
ليس حكى عليهم بشديدٍ
وندامى في الملائكة الغرَّ
مجدوني حتى عطفتم عليهم
هم أجادوا المديحَ والنعَمَ العذ
هم أضاءوا كواكبى بضياءى
وهم في الظلامِ حولى قيامٌ
كم عناقٍ لى بينهم والتزام
لو ترانى وعزتى وجلالى
نافذَ الأمرِ فى شؤونِ الوجودِ
سِىَّ وأسطو على الشقاءِ بجودى
خو شفيقٌ على الرضيع الوليدِ
إنَّما العدلُ آيةُ المعبودِ^(٢)
ووعيدى بالشرِّ غير وعيدِ
وقيودى لديهم بقيودِ
حسان من الظباء الغيدِ
فاستراحوا من ضجة التمجدِ
بِ فأعفوا من ركعةٍ أو سجودِ
وأثاروا بوارقى ورعىودى
لم يهيجوا لواعجى بالصدودِ
وارتشاف من الرضاب البرودِ
وجنودى وعدتى وعديدي

(١) المقصود من هذه القصيدة تحذير الناس من نسبة الصفات الإنسانية إلى ذات الله أو أن يقيسوا قدرة الله بقدرة الناس ، ويقصد أيضاً السخر بالذين ينتقدون نظام الكون ، ويزعمون أنهم لو وكل إليهم أمره لأصلحوه .
(٢) هتون : متدفق هائل .

لو ترانى وعزتى غير عزها
وهم يبسمون عن جذل جم
فتنوني بمبسم وقوام
ليس فيهم من خائن أو خبيث
ولهم فى أوائل الفجر لحن^(١)
وسقانى من الملائكة الغر
رب ساق متوج الرأس بالزهر
ولنا من سمائنا فوق هذا الـ
كم بعثنا اللحاظ فى غسق الليل
فإذا الناس بين باك وضحا
ورأينا فى مرقد الغادة الرو
فضحكنا حتى أفقنا من الضح
كم رفعنا قناني الخمر للسا
فأضاءت له الطريق سويًا
فسارقنا عليه ديمة مزن
وضحكنا ضحكاً يضح له المو

ة وقولى : أحبكم يا عبيدى !
وعيش هناك غير عميد
وبجيد وأعين وخدود
أو لئيم أوحاقد أو حسود
يوقظون الطيور بالتغريد^(٢)
وصيف شراب أهل الخلود
صقيل اللحاظ غير عنيد
نأس إشراف سيد معبود^(٣)
ولحظ الإله غير شرير
ك ومضنى من لوعة أو حقود
د نساء حلين بالتجريد^(٤)
ك وحتى حسبه من رعودى
رى إذا ضل فى الليالى السود^(٥)
وهده هدى اللبيب الرشيد
سلبت منه جدة فى البرود^(٦)
تى ويشكو منه حبيس اللحد^(٧)

(١) لحن : أى غناء ، أى أن الملائكة تغنى فى الفجر لتوقظ الأطياف . (٢) أشرف : أى أطل .

(٣) الغادة الرود : الناعمة ، والتجريد : العرى ، أى أن النساء أحسن ما تكون عند العرى .

(٤) قناني الخمر : بناتها . (٥) البرود : الشباب . (٦) اللحد : القبور .

هكذا تمزح الملائكة الغرر
 ربُّ مزح سهل المساغ ومزح
 مزحنا مزح خالص النفس والك
 بسط العرش فاستويتُ عليه
 أنا بالخير قائمٌ ، وأخى إب
 كم سخرنا من خائفٍ غير ندب
 وطربنا من عابد العمل الجم
 أنا والحب خالدان ، كلانا
 هو تربي والكون طفلٌ وليدٌ
 يا جمال الحياة من علّم الع
 يا جمال الحياة من علّم الشا
 يا ضياء الحياة من علّم الرا
 يا حياة الحياة من علّم الصا
 يا حياة الحياة من علّم المط
 يا حياة الحياة من علّم الع
 قد أرتهم ملائكي طرف العي
 أنا شيخٌ وهم تلاميذ صدق

ومزح الكرام غير شديد
 مستطيل العداء غير حميد
 ف برئ من سوءة أو حقود^(١)
 مستعزاً بملكى الممدود
 ليس بالشمر قائم والوعيد
 إنما الجبن آفة الرعديد^(٢)
 عظيم الفؤاد غير قعيد
 ذو صيال ونشوة وجنود !
 وسميرى ومسعدى وعقيدى
 شاق رشف اللمى ولثم النهود ؟
 عر وصف الهوى ونسج القصيد ؟
 سم رسم الضحى وورد الخدود ؟
 نع صنع الدمى الحسان الغيد^(٣) ؟
 رب حسن الغناء والتغريد
 واد إفصاح عوده الغريد ؟
 ش فأوروا ذكاءهم بزودى^(٤)
 شايعونى بالنصر والتأييد

(١) السوءة : الشئ الذى يشين .

(٢) الندب : الشجاع النشط . والرعيد : الجبان .

(٣) الدمى : التماثيل

(٤) طرف العيش : ما يستحب منه . وأوروا : أى أشعلوا .

سُستُ هذا الأنامَ بالحلم حتى
وهجاني من البُغاثِ كثيرٌ
هكذا سنة الورى ، وقسديماً
وأنتنى قسوارصٌ عن أخ الجهم
ذهنه خاذل فلو كان رياء
كيف أخشى هجو البغاثِ وقد نا
فاعتزامُ الجهولِ غيرُ جليلٍ
ما رعودى لهم وعيداً ، ولكن
طارق اليأس لا تلحُ لى بأمنٍ
أنا أقوى من أن أذلَّ ليأسٍ
ودم للحياةِ حاج بقلبي
نبضاتٌ فى القلبِ تحيى طموحى
كلُّ عيش سهلُ المساغ وإن مرَّ
لهفٌ نفسى على مراتب عزِّ
لهف نفسى على مراتب قد يب
رُبَّ عيش لى فى السموات رغد

صار رأبى فى الحلم غيرَ سديدٍ
ليس فيهم من عاقل أو رشيد
هلك الليثُ فى زمانِ القروء
لِ فويح لثله من قصيدى
لذبابِ لمات من تصريد^(١)
هضتُ إبليسَ فى زبونِ كؤود^(٢)
وأمانى الحسودِ غيرُ ولود^(٣)
ضحك سخر بالشانىءِ المجهود^(٤)
واعفنى من حديثك المقنود^(٥)
مستعيداً بأمره المعقود
موقظاً بعضَ همتى بالوئيد^(٦)
وتزيحُ الهباءَ عن مجلودى
سوى عيشِ يائسٍ مصفود^(٧)
تطبيننا بالسؤددِ المعقود^(٨)
بلغها المرءُ فى الخيالِ البعيد
ليس عيشٌ من بعده بحميد

(١) التصريد : قلة الماء أو المأكول .

(٢) الحرب الزبون : الشديدة البطش . الكؤود : التى تهد وتنقل .

(٣) غير ولود : أى لا تلد

(٤) الشانىء : الميغض . (٥) الذى به حلاوة السكر .

(٦) وئيد القلب : ضرباته .

(٧) مصفود : أى مقيد . (٨) تطبى : أى تستميل .

كان يقضى القضاء أمرى فما حك
عزلونى عن حكمها فكأننى
غير أنى قد كنت أحسن عهداً
ولو أنى بقيت فى الدست حيناً
فكأننى قردٌ يقلد فيها
أبها الغافلون قوموا جميعاً
لم تدع لى نوائب الدهر منها
ولسانٍ مثل الحسام رهيف

مى لدى الحادثات بالمردود
يوم ذاك السلطان عبد الحميد !
وعهود البغاة غير عهودى
هلك الناس من زمان بعيد^(١)
ربّه بئس ذاك من تقليد !
واسألونى عن عدتى وعديدى
غير قلب على الحياة جليد
وبيان كاللؤلؤ المنضود !

لسان الغيب

يا لسان الغيب ناجى شاعراً
عسرف الهم فلم يخنع له
إنما العيش عزم لا ينى
ودحا الكون بلحظ صادق
يبتغى الخبوء فى مكمنه
ويرد الناس عن غفلتهم

كشف الغيب له طول الأنين
ورمى الدهر بصبر لا يخون^(٢)
يتقاضاه الأسى وهو ديون^(٣)
فرأى ما لا يراه الناظرون^(٤)
ويناجى الله فى تلك الظنون
ما علا يوماً على الشك اليقين

(١) الدست : كرسى الرئاسة (فارسي معرب) .

(٢) يخنع : أى يخضع .

(٣) لاينى : لا يتباطأ .

(٤) دحا : أى بسط .

يا رسول الغيب لا تعنف به	ویری فی بعض ذاك العز هون ^(١)
إنما الشاعر فيما يبتغي	أطرق الشاعر في رفي ولین ^(٢)
بائع باع رخيصاً عمره	باحث برُّ على الغيب أمين
ودهته في العوادي حكم	بعلالات المنى وهو غيبین ^(٣)
قد أحب العيش لأحب امرئ	جنّ منها لبه أي جنون ^(٤)
وقلاه لا قلى مستضعف	واجد يخشى على العيش المنون ^(٥)
واستقاد العيش لا تكره	يبتغي الآمال أو حز الوتين ^(٦)
فإذا شاء رأى في الجذب خصباً	صوله العادات بالداء الدفين ^(٧)
	ورأى في الراكب الماء المعين

نعمى الزواج

إنما عقدة الزواج عقال	وإسار أنعم به من إسار
هو ذاك النعيم لو أسلس الحظ	وباب الجحيم عند العثار
وهو مأوى المظلوم من حدث الدهر	ربشؤبوب ديمة مدار ^(٨)
جاعل بيننا هضاباً منيعاً	ت وبين الأهواء والأوطار

(١) أى فى بعض ما يراه الناس عزاً يرى ذلاً . (٢) رسول الغيب : يقصد به الخيال الصادق .
(٣) العلالات : ما يتعلل به الإنسان . (٤) العوادي : المصائب . (٥) واجد : أى له مال وغناء .
أى أن الشاعر لا يحب العيش كما يحب الأغنياء العيش .
(٦) الشاعر لا يفيض الحياة بغض الضعيف لها .
(٧) استقاد : ذلل وروض . (٨) المظلوم : أى وقع عليه الطل .

غير أن الحلاب أعذب ورداً
 إنما المورد الحرام كسمِّ الـ
 أحكم الله عقدةً هي كالعضـ
 جاعلاً ذلك الزواج كريماً
 إنما الزوج موئلاً حيث لا موـ
 وهي كالنجمة المنيرة في جند
 ولجت في الصميم من حبة القلـ
 وهو أنأى عن ذلة وصغار
 صلّ في طرف مؤخر غدار
 سب لدى عقدة الخطوب الكبار^(١)
 كـزواج الأنداء للأزهار
 ثل يُنجى من صولة الأقدار
 سجّ دجى الخطب للشريد السارى^(٢)
 سب وحلت بموطن الأسرار

الشاعر وصورة الكمال^(٣)

« قصة »

قد حدثوا عن شاعرٍ نابغ
 لم يعشق الفريد ولكنه
 صورةً حسنٍ صاغها لبّه
 فصار كالطفل رأى بارقاً
 يمدُّ نحو النجم كفّاً له
 فأيّ نمارٍ تراءت له
 خيالها دان به حسائمٌ
 وربما ألبسها وهمّة
 مجود الشعر شريف المقال
 هام ببكرٍ من بنات الخيال
 وحدها في الحسن حدّ الكمال
 هاج له أطماعه في المحال
 ويحسب النجم قريب المنال
 كما تراءى خادعاً لمع آل^(٤)
 كأنه غير عزيز النوال
 جسماً وكم وهم غريب الصيال^(٥)

(١) العضب : السيف . (٢) الشريد : الهائم على وجهه . (٣) قصة شاعر فتنته صورة
 الكمال في الحسن ، حتى عشق صورة من بنات الخيال كانت سبب موته .
 (٤) الآل : السراب . (٥) الصيال : من صال يصول .

قد هجر الأتراب من وحشة
يحدث النفس بأمر الهوى
فبينما يسعى على قمة
رأى التى صورتها لبنة
قالت له : إن كنت لى عاشقاً
فسار يقفوا إثرها هائماً
وهم أن يمسكها جأهداً
مازال يعدو جهده نحوها
فرحمة الله على شاعره

وصار يمشى فوق هام الجبال^(١)
ويسأل الأرواح رجع السؤال^(٢)
تروع النفس بمراى الجلال^(٣)
تصوير صب عابد للجمال
فاتبع خطاى واستضى بالخيال
والهتدى بالوهم جم الضلال
بين ذراعيه بأيد عجال
حتى هوى من فوق تلك القلال
مات قتيلاً للأمانى الطوال !!

ربما

أو

المزهُو بحميد خلقه

يا سعيداً يتيه بالخلق الفأ
خفّض اللحظ قد يتيح لك العيد
ربما شب بين جنبيك للشر
كل نفس فيها إلى الخير والشر

ضل فينا كتيه أهل الثراء
شُ أموراً من حادثات القضاء
ضراماً ما إن له من فناء
دواع طويلة الإغفاء

(١) الأتراب : أى الأصحاب والأنداد ، وهام الجبال : رؤوسها . (٢) الأرواح : هى الرياح .
(٣) روع بتشديد الواو : أزعج وأخاف . (٤) هناك أناس يتيهون بفضائلهم كما يتيه الغنى
بفناء وماله . (٥) أتاح له : أى سبب له . (٦) شب : أشعل . (٧) الإغفاء : النوم .

أنت في اليوم واسعُ الجاهِ غضُّ الـ
خالصُ الكفِّ من دماءِ قتيلِ
ربما كنتَ في غدٍ أشعثَ الطبعِ
خاضبَ الكفِّ من دماءِ عدوِ
أو طريداً يرميه بالنظرِ الشَّرُّ
كم وجوهٍ مشبوبةٍ من حياءِ
كلُّ نفسٍ فيها عزائمٌ وسنى
ليس تبدو حتى يمزق عنها
أكثرُ النفسِ ساكنٌ غيرُ يقظا
ربما أضرمت حوادث في النفـ

خيرٍ لدن الرخاءِ رطبُ الرجاءِ
أبيضُ الطبعِ لم يشب برياء^(١)
مع لثيمِ الخصالِ جمُّ الشقاء^(٢)
طائرُ الضغنِ ثائرُ الشحناء^(٣)
رِ عظيمِ الرياءِ جمُّ الحياءِ^(٤)
وقلوبٍ لئيمـةٍ الأهواءِ
فهى كالغيبِ لا تبينُ لرائى^(٥)
قدر واقعٍ ستور الخفاءِ
ن خفىُّ خفاءٍ غير عفاء^(٦)
س ولوعاً بالخيرِ جمُّ السناء^(٧)

النساء في الحياة والموت

قُمنَ يرفلُنَ في الليالى السودِ
بعد أن كنَّ للمعيون جلاءُ
مالماتٍ وجهَ الحياة ضياءُ
هزَّ منها الهوى ثمارَ صباها

بعد أن صيرن طعمةً للودود^(٨)
فاتناتٍ بأعينٍ وخدودِ
عابثاتٍ بمسعدات الجدود^(٩)
هزة الريح زهرة الأملود^(١٠)

-
- (١) لم يشب : لم يمزج . (٢) أشعث أغبر أى أن الرجل من أهل الخير قد يكون في غدٍ من أهل الشر .
(٣) ثائر الشحناء : مهيج البغض . (٤) كما كان هو يرمى غيره بالنظر الشر .
(٥) وسنى : نائمة . (٦) العفاء : الفناء .
(٧) السناء : الضياء . (٨) يرفل : يميل في الثوب .
(٩) هذه حالة النساء في الحياة . (١٠) الأملود : الغصن الناعم .

يتسواقعن كالنسيم ويجنين
صرن يخطرُن في الظلام ويرميـ
ويرجّعن في الظلام صراخ الـ
لابسات أكفانهنّ حياءً
هنّ في الموت والحياة يخبئـ
ربما أضمر الرياء حياءً
لحافظي بثني تلك القـدود
من عيون الرائيين منها بداء
جوم حتى يسقمن وجه الهواء
إن ترى قبـحهن عين الرائي^(١)
من عيوباً تـزرى بذاك الحياء
وبدا في الحياء بعض الرياء^(٢) !

الحلال والحرام

إذا لم يَعدْ بالشر ما أنت ناعمٌ
فكم لذة للمرءٍ كان اغتصابها
وما كلُّ ما يأتيك عفواً محلاً
ولكنها اللذات ما غاب ضرُّها
قَرُبٌ حلالٍ حرّموه وحرمة
متى يعرف الأقوامُ حلاً محرماً
به فانتـهـزه ليس فيه حرامٌ
حراماً أحلت والصروفُ كرام
ولا كلُّ ما لا ينتحيه ملام
حلالٌ وإن هاب الحلال لئام
أحلوا وألباب الأنام نيام
فيروى من الحل الحرام أوام ؟

(١) حالتهم في الموت كما يـصورها الخيال .

(٢) أي من أهل الرياء من يستحي من ريبه ، ومن أهل الحياء من هو متافق في حياته .

العقاب بالقتل

أطيلوا حياة الجارمين فإِنَّهَا
أتبغون أن تنفوا بجرم جريمة
فلو أنهم عاشوا وفي السجن معهد
لقد أخلفتهم بلغة العيش برّها
لبئس حياة المرء والفقر عاكف
فقل للألى أذوى النعيم قلوبهم
كانكم بالضامرين تعارفوا
هنالك إننى للفقير لعاذل
حياة إذا سدّ المطامع عاقر^(١) !
هى القتلُ يأتيها مقيد وعائر^(٢)
لتهذيبهم عاشوا وفي العلم زاجر
زماناً وحاجات الحياة غوادر^(٣)
عليه وأسباب الحياة جرائم^(٤)
أعينوا ألى الحاجات فالفقر كافر^(٥)
على نية سوء والجوع أمر^(٦)
وإنى له مما يعانيه عاذر !

عيون الندى^(٧)

عيون الندى كوني على الزهر إنّه
فليس عيون الغيد أشعلها الصبا
ولا أطفأت منك الغزاة رونقاً
يطلّ على العشاق منك ويشرف
بأروع فى لائها حين تعطف
على الروض جذلان المدامع يذرف

(١) أى أن حياة المجرمين لا تلد الشر إذا سد بينه وبينهم .

(٢) المقيد الذى يصدر العقوبة . أى كيف تنهى الحكومات الناس عن القتل وهى تأتيه .

(٣) البلغة من العيش : الكفاف ، أى القليل من الرزق .

(٤) جرائم : أى جرائم . (٥) أذوى : جفف وأتلف .

(٦) ضمير : أى صار نحيفاً . وسوء : سيئة ، أى تثار حرب اقتصادية بين الفقراء المعدمين والأغنياء

يقسو فيها الفقراء على الأغنياء انتقاماً .

(٧) عيون الندى : أى قطراته .

ولا زال مكسلاً النسيم إذا سرى على روضةٍ يحنو عليك ويرؤف
يهزك هز الظئر مهداً وليدها فلا المهدُ يشكوها ولا هي تعنف^(١)
ولا زال غريدُ العصافير واقعاً على الزهر يحسو منك رياً ويرشف^(٢)

الحاجة المكتومة^(٣)

« قصة »

زعموا أن فتاةً جمعت طيب النساءِ
شهرت بالبر والتف سوى وحسن وحياءِ
ما رآها عارفوها ضحكت ضحك الضياءِ
ما رآها عارفوها رددت رجع الغناءِ
هي عاشت في جلال كجلال للمساء^(٤)
حين ترنو الشمسُ حزناً وهدوءاً في السماءِ
لم تجد وجداً فتمحو ه بإحسياء البكاءِ
فلها عيش رقيق كغدير في الصفاءِ
وهي لم تُمن بهم وهي لم تُمن بداء^(٥)
غير داء خفيت أس بـابه عن كل رائى
وافتقار النفس للحب عنيف لا يرائى

(١) الظئر : المرضع . (٢) غريد بتشديد الراء : المفرد ، ويحسو : أى يشرب .

(٣) فتاة أحبت فأخفت حبها وماتت من ظمئها إلى لذاته . (٤) رب فتاة هي في سكونها ووقارها

مثل المساء في سكونه ووقاره وجلاله . (٥) منى بالشئ : أصيب به .

هزلت فى كل يوم	فى صباح ومساء
ولها لحظٌ ضعيف	مثل ضعف للفناء
أتراها سترت حيا	جثتها ستر رياء
أم تراها جهلتها	جهل طهر أو غباء ^(١) ؟
عمرت حيناً وماتت	من عفاف وحياء !

الإنسان والزمن^(٢)

حيوانٌ مهذب	أم إله معذب ^(٣) ؟
صرح الخير والأذى	فيه والخير أغلب ^(٤)
فإلى العجم نسبة	وإلى الله ينسب ^(٥)
وهو فى الشر يرغب	وهو فى الخير يرغب !
وله دُون شـرـه	فى الليالى مؤنب ^(٦)
وله دُون خـيـره	فى الليالى مهذب
نهل هذه المنى	والمساعى تقرب

(١) أى هل هى كانت تعرف أن سبب مرضها حاجتها إلى الحب أم كانت تشعر بهذه الحاجة ولكنها لم تفهمها لأحد سببين إما لمهارتها وإما غباوتها .

(٢) هذه القصيدة تبحث فى الإنسان وأماله ومنزله فى الوجود .

(٣) أى هل الإنسان حيوان مهذب أم الإنسان إله معذب . (٤) صرح بالتشديد : أى ظهر .

(٥) أى أن الإنسان بينه وبين الحيوانات صلة كما أن بينه وبين الله صلة .

(٦) أى أن التجارب تدله على أن فى الشر ضره .

لحياة قبل الحيا	ة وعيش لا يكذب ^(١)
تذكر النفس حالها	فيه والخال تعجب
فجناب مسوطاً	واقترار محبب
ولها عند أمسها	فى ضحى اليوم مطلب
وملال فى يومها	وطموح ومعتب
ولها كل ساعة	شجن أو تطرب
مثلما أذكر الغريد	ب حبيباً تغرب
مثلما هاج للغريد	ب جوى الحزن مغرب ^(٢)
فالمال التنقل	والمال الثقل ^(٣)
والبقاء التغير	والحياة التطلب ^(٤)
أوما تبصر الزما	ن أتياً لا ينضب ^(٥)
وهو للعمرمالى	وهو للعممر يسكب
وله الكون خلعة	يرتديها فيحجب ^(٦)
وله القلب منزل	وله النفس ملعب

-
- (١) أى هل أمانى الإنسان وأطماعه ورغبته فى حياة أكمل من حياته هذه ، هى فى الحقيقة تذكر
لحياة ماضية ، وشوق إلى تلك الحياة الماضية .
- (٢) ويحن إلى تلك الحياة الماضية كما يحن الغريب إلى حبيبته عند غروب الشمس .
- (٣) أى مال الإنسان أن ينتقل من حياة إلى حياة .
- (٤) أى أن التغير لازم للبقاء والتطلب من لوازم الحياة .
- (٥) الأتى بتشديد التاء : السيل العظيم . (٦) خلعة : أى رداء وثياب .

مراجعة الحب

دعنى أقتاتُ من عيونك بالـ
ودعْ جفونى تبلُ خدَّك بالـ
نستدفعُ العتبَ بالعناقِ ونند
هل تذكر الموقفَ الرهيبَ وقد
ولهان أبكى وأنت ذو خجلٍ
تحسب حبيبك شرَّ منقصةٍ
وإنَّما الحبُّ سلوةٌ جلل
وإنَّما الحبُّ كالضرامِ إذا
وإنَّما الحسنُ نهضةٌ تدع الـ
لقد عرفنا الحياةَ معرفةً
فأملأ بعطفيك ساعدى ولا
لم يخلق اللهُ حسنكم عبثاً
أليس يرضيك أننى رجلاً

لحظِ وأروى من خمرةِ الجذل^(١)
ادمع وتحكى مصارعَ الأملِ
فيه بإحياءِ ضجةِ القبل^(٢)
مالت بسمعك حجة العذل
وقد يراضُ الحبيب بالخجل^(٣)
تفعل بالجاهِ فعلةَ الأسل^(٤)
على شقاءِ ذى دولةٍ جلل^(٥)
أجمع يخبو كخبوةِ الشعل^(٦)
خائب يبكى منها على طلل
يهابها خائفٌ من الزلل
ترك فؤادى بالصدِّ فى شغل^(٧)
يا باعثن الهيامَ بالمثل
طال من الشَّعرِ مبلغُ الأول ؟

-
- (١) أى دعنى أتغذى بالنظر إلى عينك . والجذل : السرور . (٢) ضجة القبل : صوتها .
(٣) أى قد يكون خجل الحبيب داعية إلى إسعافه . (٤) الأسل : الرماح ، أى تحسب أن حبيبى
يجرح شرفك وجاهك كما تجرح الرماح الأجسام . (٥) سلوة جلال : أى عظيمة .
(٦) أى أن الحب إذا أجمع ولم يسعف بالعطف خمد كما تخمد شعل النار .
(٧) العطف : الجانب . والساعد : ما بين الذراع والمعصم . والمعنى عانقنى أو دعنى أعانقك .

ما أنت القارىء الأديب فأر
 يا دولة الحسن غير راقبة
 إن تسعدى الشاعر القول فقد
 أو تخذليه فانت عادية
 يا باخلاً بالنعيم لا عجب
 أما ترى لذة الحبيب إذا
 قيك بقول من حكمة الرسل
 من الليالى مصارع الدول
 أسعدت طبا بأمرك الخضل^(١)
 تسد عنه منافذ الحيل^(٢)
 إن أنت عانيت شقوة البخل^(٣)
 قبله عاشق على وجل !

الحاجات الممتزجة

كم حاجة للنفس ممزوجة
 كذلك الحب به شهوة الـ
 ونفحة الزهر بها شهوة الـ
 ولذة للنفس فى طيها
 يا عجباً للنفس يهتاجها
 كم من صلات بين نفس الفتى
 ورب لون هاج شجو الفتى
 إن غذاء الذهن فيما احتوى
 بحاجة الجسم كخمر وماء^(٤)
 جسم ورى للنفوس الظماء
 أنف إذا سيقى بريح رخاء
 تفعل فيها مثل فعل الدواء
 بشجوه الصوت سليل الهواء
 وبين موجودات هذا الفضاء
 وفتح الذهن بمراى الضياء
 من سمع أذن المرء أو رأى راء

(١) أمرك الخضل أى الذى مثل الجديد من الزهر . (٢) العادية : هى المصيبة .

(٣) الخطاب للحبيب : أى أنت بخيل بوصلك فحياتك مثل حياة البخلاء ليس فيها لذة .

(٤) يظن بعض الناس أن لذة الروح مستقلة عن لذة الجسم ، وهذا خطأ ؛ لأن كل لذة نفسية فيها لذة

مادية ؛ وكل لذة مادية فيها لذة روحية .

والحسُّ بابُ النفسِ كمِّ والجِ
 إنَّ عناءَ الجسمِ فى فعله
 وربُّ داءٍ والجِ جسمه
 لا راحةً للنفسِ فى حيث ما
 منه إليها بالحجى والغباء^(١)
 يغسرى بنفسِ المرءِ برح العناء
 يصاب عَقْلُ المرءِ منه بداء
 للجسمِ فيه مطلبٌ للرخاء

أنفاس السحر

نسيمُ الرياضِ وريحُ السحرِ
 يمرُّ علينا النسيمُ العطرُ
 فما استبرد القلبِ ريح السحر
 وكم فى الدجى من بديع الغرر
 وميض النجوم بوجه الغُدر
 نظرتُ إلى النجم لما سافر
 سويعة للقلب فيها عبر
 فى ليلة من ليلالى السمر
 تطيب الأمانى بها والذِّكر
 جنينا من الحبِّ خيرَ الثمر
 ونلنا من اللهوِ أقصى وطر
 أهابا بشجوى حتى ظهر^(٢)
 بيسرد الدجى وبطيب الزهر^(٣)
 حتى استثير له ما استتر
 مناظرُ تصبى الفتى ما نظر
 ولونُ الدجى حول ظلِّ الشجر
 ثقلِ النعاس بعيد النظر
 يهيج الخيالُ بها والفكر
 تريق علينا ضياءَ القمر
 وتنشقنا من نسيم السحر^(٤)
 ونلنا من اللهوِ أقصى وطر

(١) الحجى : العقل ، والغباء : الغباوة .

(٢) أهاب بالشئ : دعاه .

(٣) أى النسيم يحمل إلينا برد الدجا وطيب الزهر .

(٤) الذكر : جمع نكرى .

فيا نفس الصبح لما ظهر ويا حندس الليل لما انحسر^(١)
لقد صرت ذكرى تشبُّ الذِّكر بطيب الزهور وبرد السحر^(٢)

امراة تكلم بعلمها

ليس الجمالُ عقاراً أنت مالكة إنَّ الجمالَ جمالُ الله والناسِ^(٣)
تعتدني سلعة في ملكها أربُّ تموت داءً ولا يدنو لها الآسى^(٤)
في كلِّ لحظٍ عطيلٌ نارٌ ثائره وكلُّ خطرةٍ فكرٌ رجوعٍ وسواسِ^(٥)
وتحسب البعلَ مولىً زوجه سفهاً فهل يُشايعُ رأيي رأيك القاسي
وحاجة النفس في نداءٍ أخى كرمٍ جمٍ ورفقٍ وإعزازٍ وإيناس
هل كلُّ قولك حقٌّ لا ارتياب به أم كل طبعك حلو الطعم للحاسي
أم أنت عندي كما تهواه من خطلي أعزّ عندي من العينين والراس
لا يطعم البعل منكم حبّ زوجته فليس يعرف فيه غير أرجاسِ^(٦)
لا يصحب البعل منكم روح زوجته دعم الودادِ بأطنابٍ وآساسِ^(٧)
فصار رأيكم في العيش ذا عوجٍ جمٍ وأمالككم من الحبِّ كالياس !

(١) نفس الصبح : أى نسيم الصبح . لما ظهر : أى الصبح . (٢) شب النار : أشعلها ، وللذكرى
حرقه مثل حرقه النار . (٣) العقار : ما يملكه المرء من البيوت وأمثاله .
(٤) السلعة : الشئ الذى يباع ويشترى ، والآسى : الطيب .
(٥) عطيل هو القائد المغربى بطل رواية شكسبير . أى أنها ترميه بسوء الظن .
(٦) أرجاس جمع رجس : الشئ الذى يندس .
(٧) دعم الشئ أن تجعل له دعامة يعتمد عليها .

الحسنة الغادرة

يا سى إليك أحبُّ من تأملى
أدنىتنى حتى ملكتِ مسالكى
وجعلتِ حسناً فيك نحو نفوسنا
فأضاء بين ضلوعنا لك ضوءه
ولبست أهل الحب حلية ساعة
فإذا نأى لك عاشقٌ أنسىته
وحسبتِ غدرك كافلاً بشفائه
فدعى النفاقَ عزيزة التنويل
ومنازعى فهجرت هجر مَلُول
لك رائداً والحسنُ خيرُ دليل^(١)
سر الهوى ولواعج المخدول
أو خلعة أبدلتها ببديل
إنَّ المقيمَ لديك خيرُ خليل !
من دائه والغدرُ غيرُ كفيل !

النعمان ويوم يؤسه

« قصة »

« كان للنعمان نديمان فماتا . فحزن عليهما حزناً شديداً ، ودفنهما فى قبر واحد . وجعل يوم موتهما يوم نحس سماه يوم البؤس . فكان يخرج فيه إلى البادية فيأخذ أول من يمر به من الناس فيذبحه على قبرهما ضحية لهما ! فحدثت القصة الآتية فى يوم من أيام يؤسه : »

لقد خرج النعمانُ فى يوم يؤسه
وقد كان آلى أن أول قادمٍ
يرقه عنه من جوى غال غائله^(٢)
على قبر ندمانيه تدمى مقاتله^(٣)

(٢) رقه المرء عن نفسه : أى أراحها .

(١) الرائد : الدليل .

(٢) آلى : أى أقسم . والمقتل هو المكان الذى إذا طعن فيه المرء قتل .

رأى شاعراً ينحوه فى بعض سيره
 يرجى لديه الخير والخير عازب
 فجاءت به الحراس وهو مقيد
 فقال له النعمان قولة عازم
 طلعت علينا طلعة لك شرها
 طلعت علينا والردى لك راصد
 فقال له العافى وقد حن قلبه
 هو الجد بالإنسان غاد ورائح
 تركت ورائى صبيحة وحليلة
 فإن لم يكن إلا الممات فخلنى
 فقال له النعمان : هل لك ضامن
 أقم أنت نائى الدار لا غريبيننا
 فقام غريب الدار ينشد ضامناً
 إلى أن رأى شيخاً كأن بوجهه
 فقال له : هل فيك للخير منزل
 فقال له : اذهب إننى لك ضامن

وكان رحيباً للعفاة فناؤه^(١)
 فباليته قد غاب عنه رجاؤه^(٢)
 عزيز المحيا ثابت الجاش مطرق
 على الشر لا يلويه عنه الترفق :
 وقد يدرك الإنسان ما فيه ضره
 عبوس ويوم البؤس قد طار شره !
 إلى أهله شوقاً وهاج وجيبه :^(٣)
 ورب طلب يتقيه طليبه^(٤)
 وجئتك أبغى حاجة من تفضل^(٥)
 أودع أهلى قبل ساعة مقتلى
 حلال لنا إن لم تعد أن نقيده^(٦)
 ضمير غريب خشية أن يكيد
 له بين قواد الأمير وصحبه^(٧)
 دليلاً على ما فيه من طيب قلبه
 دعوتك للجلى فهل أنت سامع^(٨) ؟
 وانت وفى لا محالة راجع

(١) ينحوه : أى يقصده . والعفاة : طالبو الجود .

(٢) العافى : هو المستجدى ، وجيب القلب : خفقانه .

(٥) الحيلة : الزوجة .

(٧) ينشد : يطلب .

(٢) عزب الشئ : بعد .

(٤) الطليب : هو الشئ المطلوب .

(٦) أقاده : أى جعله بدل المجرم .

(٨) الجلى : الأمر الجليل العظيم .

مضى ما مضى حتى إذا آن عودهُ
وجاءوا بذاك الشيخ والسيفُ مصلتُ
وقال له النعمان : هذى جناية
ضمنت غريبَ الدارِ لم تبل صدقه
رأوا فارساً يعدو كأن وراءه
فلما أتاهم قال أين ضمينكم
فإن أتى السيل عاق مطيتى
فقال له النعمان : لا تخش بأسنا
وما كنت أدري أن فى الناس من له
ووالله ما أدري أواف بعهد
ألا عللانى يا خليلي أنتمما
فقد صرتُ لا أخشى من البؤسِ عودةً
وقد قرب الميعادُ أو كادَ يذهب
عليه وحبُ العيش للنفسِ أغلبُ^(١)
عليك جنتها فيك شيمهٌ أخرق^(٢)
فأوقعك المقدارُ فى شرٍّ مزلقٍ !
ماتَ يرجى إنه غير سابقه
لقد كنتُ أخشى أننى غير لاحقهِ^(٣)
ولولا أتى السيل ما عاق عائقُ^(٤)
فأنت أمينٌ أبيضُ الودُ صادقُ
على نفسه منها رقيبٌ يعينه !
أحقُّ بإجلالِ الفتى أم ضمينهِ^(٥) ؟
على العيش بالإحسان والصدقِ والندى
إلى أن يتيح الدهرُ لى عادى الردى^(٦) !

اليأس داءٌ والأمل داءٌ

« يدفع العيشُ الإنسانَ إلى الأمل فلا ينفعه الأمل . ويدفعه إلى

(١) السيف مصلت عليه : أى مرفوع . (٢) هذى : أى ضمانتك الغريب ، والأخرق : الاحمق .

(٣) الضمين : الضامن . (٤) السيل الآتى : هو العظيم المتدفق .

(٥) أى لست أدري من أعظم منكما ، من يضمن المحكوم عليه بالقتل فيعرض نفسه للهلاك أو

المحكوم عليه الذى يقى لضمينه وهو يمكنه أن ينجى نفسه .

(٦) أتاحه له : أى أصابه به ، العادى : هو من عدا يعدو إذا سطا .

اليأس فيمأس فلا ينفعه اليأس . ويرى في اليأس أملاً وفي الأمل يأساً .
ويرى الأمل يزجى إلى اليأس ؛ واليأس يزجى إلى الأمل ؛ فيعلم أن اليأس داء
والأمل داء » .

كلما أضمرتُ حباً لحبيب	كذبت أخلاقه ذاك الهوى
في ضياء الحسن وعدُّ كاذبٌ	مثلما أومض برقٌ وخبأ
قال داعي الهم قولاً صادقاً	إنما نحن عبيدٌ للمنى
عجباً للدهر في أحكامه	يجلب النعمة في داعي الأسى
عجباً ليس يُروى غلةٌ	وقلى والعيش لا يخشى القلى ^(١)
خلق الإنسان كي يشقى بما	يبتغى في نيله برء الشقا
ولو ان اليأس برءً للجوى	لم تكن فسيه دواعٍ للجوى
ما أتبع اليأس إلا شقوة	إنما اليأس سبيلٌ للمنى
صاح إن العيش خلق كاذب	خلق اللخناء مرور الجنى ^(٢)
نحن نهواه ونلقى حكمه	فكأن الحب صنوٌ للقلى ^(٣) !

ضوء القمر على القبور

« إذا رأى الإنسان ضوء القمر على الزهور ، خشع من جلاله ذلك
المنظر . ولكنه إذا رأى ضوء القمر على القبور ، امتلكه الفزع من قساوة

(١) الغلة : حرقه الظماً ، والقلى : المقت .

(٢) اللخناء : الأمة اللثيمة ، وممرور

الجنى : أى نوثر مر .

(٣) الصنو : القريب .

ذلك المنظر الذى يحكى له فناء الجمال فى الموت ، وفناء الموت فى الجمال .

إنى رأيتُ بياضَ ضوئِكَ موهناً	فوق القبور كعارضٍ يتهلل ^(١)
ففزعْتُ من ذاك البياضِ كأنه	لون المشيبِ على الذوائبِ يثقل ^(٢)
ولربما كره الفتى صورَ الردى	وهو الجرىء على الحمامِ المقبل ^(٣)
ولقدُ رأيتُك والقبور كأنها	أشباح ساكنة النواظر مُثل ^(٤)
نظر البرئ إلى القتيل مجندلاً	والروعُ فى أنفاسه يتعجل ^(٥)
ولقد رأيت على الهلالِ سامةً	سأم يعالج مثله المتأملُ
فكأنه الحسناء يطرقها الردى	فتبيت تذوى فى الفراشِ وتذبل
طوراً يريك الموت فى لحظاته	حتى كأنَّ الحسن داء معضل
وبييت طوراً فى الرياضِ يعلها	مما يريق على الفضاءِ وينهل ^(٦)

الندامة

« الندامة إذا لم تطرق المرء على سئ فعله ، أغشاه الغى موارد الآثام ، وأرهقه مرادها^(٧) . وإذا طرقت ، طرقتة إما بالعزم والنشاط ، وإما بالهم الذى يخلص العزم والنشاط . »

(١) العارض : هو السحاب . إنه يخيل للإنسان أن ضوء القمر على القبور به شئ من الظلام والتجهم . وسبب ذلك أن الإنسان إذا نظر إلى القبور تملكته ذكرى الموت والفناء .

(٢) ذوائب الشعر : المسترسل منه . (٣) المقبل : صفة للجريء . (٤) مثل : جمع مائل .

(٥) أى أنفاس البرئ ، لأن أنفاس المروع تأتى مستعجلة من الروع .

(٦) يعلها وينهلها : أى يسقيها أولاً وثانياً . والقمر يسقى الرياض من ضوئه . (٧) المراد الغشيان .

ندمنا وقد تمحو الندامة ما مضى
وتودى بعزم صادق ذى عرامة
وتغرى هموماً جمّة بفؤاده
وقد يخلص الهم الشجاعة والحجى
إذا لم تناصرنا عدا الغى عدوة
وإن هى آتتنا خشينا صيالها
فطوراً تردّ المرء عن نهج عزمه
ولكنها قد توّس المرء فى الباقي
وتنحى على بال السليم بإقلاق^(١)
ومن لك من رقّ الهموم بمعتاق
وينبذ لب المرء ليس له واقى
فترهقنا الآثام أعظم إرهاق^(٢)
بخطب رهيف الناب ليس له راقى^(٣)
وتدفعه طوراً إليه بإعناق^(٤)

ثغر

رُبّ ثغرٍ قد كان مرتاداً تغرى
كان يحنو تغرى عليه كما يح
نائماً فوقه كما نام فوق الد
ولقد أرشف الرضاب بشدو
قبل كالدلال من رقبة تف
أخرس الهجر صوتها لارعى الد
كم جنينا من صوتها النغم العذ
ورشفنا فيها الحياة كما ير
ومجبرى من الزمان المغير
نو شفيقاً على الوليد الصغير
زهر شاد أذوته نار الهجير^(٥)
مثل مصّ الظمآن ماء الغدير
عل فينا فعل الدلال الغرير
ه الذى أحدثت بنات الدهور
ب وخمر الهوى وخمر السرور
شف محض اللبان من ثدى ظير^(٦)

(١) تودى : تذهب ، والعرامة : الشدة ، وتنحى : تسطو .

(٢) المؤاتاة : الزيارة والمواصلة . والراقى : الذى يشفى بالرقى . (٤) أعنق فى السير : أسرع .

(٥) أنوته : حرقته وأذبلته . والهجير : شدة الحر بالظهر . (٦) اللبان : اللبن . والظئر وتخفيفها

الظير : الموضع .

ابتسامات

وميضُ ابتسامات يضيءُ جوانحي
إذا ابتسمت ضياءً بعيني ابتسامها
يكادُ يضيءُ الغيب في مستقره
وأسمعُ في نفسي أغاريدَ جمّة
كأنَّ بها من صادح الطير شادياً
وإنِّي لكالبذر الدفين ولحظها
ويوقظُ آمالي ضياءُ ابتسامها
شعاعُ ابتسام كالغدير خواطري
ويجلو ظلامَ الهم والياس من صدرى
كما ضياءُ وجهِ البدر في صفحة البحر
وميضُ ابتسام فعله صادق السحر
يهيج صداها في الجوانج والصدر^(١)
يغرّد في روض من الحب والشعر^(٢)
غذاء كلحظ الشمس للزهر والبذر^(٣)
كذاك شعاع الشمس يزخر بالبذر^(٤)
نوازل فيه كالكرّاعب في النهر!^(٥)

عتاب أم دلال

لامِ إنِّي ناديتُه يا حياتي ! قلتُ : أنَّى يكون وجه شكاة^(٦) ؟
قال : لو كنتَ صادقَ الحبِّ لم تدعُ على من تحبّه بالممات

(١) أي أن ضياء ابتسامها يضيء النفس فأسمع فيها تغريد الأشجان ، كما أن ضياء الفجر يطلق على تغريد العصافير .

(٢) صادح الطير : المفرد من الطير ، أي كأن في نفسي طائراً يغرّد في روض من الحب والشعر .

(٣) كما أن البذر والزهر يتغذى بضياء الشمس ، كذلك أنا أتغذى بضياء لحظات هذه الحبيبة .

(٤) كما أن شعاع الشمس ترى فيه ذرات الهباء ، كذلك ضياء ابتسامها يجلو آمالي ويوقظها .

(٥) أي أن خواطري في ضياء ابتسام الحبيبة مثل الفتيات الحسان وهي تستحم بالنهر ، فضاء ابتسامها نهر تنزل فيه خواطري .

(٦) حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة : فادعني يا نفسي ولا تدعني يا حياتي .

من ينادى حبيبَه بحياةٍ
نادنى لو أردتَ يا نفس ! إنَّ الـ
قلت : إني أخافُ أدعوكَ بالنفـ
لك نفس بيضاء خالصةً الوجـ
قال : بينى وبين نفسك فى الحد
فاقتسام يكون فى سيئات
والمنايا روادىً للحياة ؟
نفس أبقى على نعيم النعاة^(١)
سِ نفسى كثيرة العثرات
هـ ونفسى مُسوذة الصفحات !
بُ اقتسام لزلّة أو هناة^(٢)
واققسام يكون فى الحسنات !

الحسن والآمال النبيلة

ياليستنى لو تكون مجديةً
أعطى لآمالى التى طرقت
جسم رخام يصونها أبداً
آمال تُنسى الفتى شقاوته
تعلو بنفس المحب عن دنسٍ
وصحة النفس صحة أبداً
إلى جلال للعيش يظهره
أصور الحب دمية تذر الـ
هذى الأمانى صنّاع أصنام^(٣)
فى يقظة الحب باب أحلامى
وربّ حسنٍ رهين أجسام
وتعدم الشرّ أى إعدام
ففيها ولؤم جمّ وأوغام^(٤)
للحسن والحسن نهلة الظامى^(٥)
حسن نفوسٍ وحسن أفهام
خالى شجياً ضمير آلام^(٦)

(١) المعنى : حيث إن الحياة فانية والنفس خالدة فنادى بـ «يا بنفسى» ولا تدعى : «يا حياتى» .

(٢) هى الزلة أو الهفوة . (٣) صنّاع أصنام : أى ناحت التماثيل ، لكى أودع فى تماثيل

الرخام آمالى وخیالاتى وأفكارى . (٤) الأوغام : الأدناس .

(٥) النهلة : الشربة . (٦) الدمية : التمثال .

حَسَنَاءُ تَغْرِى الْوَقُورَ بِالْمَرْحِ الْـ	حَجْمٌ وَتَرْضَى فَوَادَى الدَّامَى ^(١)
وَمَنْ سَمَتْ نَفْسُهُ لَهَايْتَهَا الْـ	قَصُورَى بِعِزْمٍ ثُبَّتْ وَإِقْدَامِ ^(٢)
يُكْرِمُ الْحَبَّ كُلَّ تَكْرِمَةٍ	وَيُعْظِمُ الْحَسْنَ أَىْ إِعْظَامِ
فَالْحَسَنُ أَنْوَاعُهُ سَوَاسِيَةٌ	حَسَنُ طِبَاعٍ ، أَوْ حَسَنُ أَجْسَامِ ^(٣)
أَوْ حَسَنُ رَأْيٍ ، أَوْ حَسَنُ مَآثِرَةٍ ،	أَوْ حَسَنُ فَعْلٍ خِلَا مِنْ الذَّامِ ^(٤)

شرب الخمر والحبيب

يَا لَيْتَ أَنَّكَ تَسْتَحِمُ بِخُمْرَةٍ	مَشْمُولَةٌ فِي الدَّنِّ ذَاتَ ضِيَاءٍ ^(٥)
فَتَرِيقُ فَوْقَ مُحَاسِنِ لَكَ كَأْسَهَا	فَتَزِيدُهَا مِنْ رَقَةٍ وَصَفَاءٍ
وَتَعِيدُهَا فِي دَنْتِهَا وَتَصِيبُهَا	لَى شَرْبَةٍ بَلْبَاقَةٍ وَحِيَاءٍ
فَتَلْذُّ لَى فِيهَا مُحَاسِنُ جَمَةٍ	وَتَبِلَّ حَرٌّ لَوَاعِجَى وَظُمَائَى
فَلَشَدَّ مَا ظُمْتُتْ إِلَيْكَ جَوَانِحَى	ظُمًّا الْجَرِيحِ إِلَى شَرَابِ الْمَاءِ ! ^(٦)

أهل فريضة

هل ينفـ_____عننى ذلك الـ_____ أملُ الخـ_____ضُبُّ بالدم ؟

(١) الدامى : المجروح السائلة دماؤه . (٢) الثبت : الثابت .

(٣) سواسية : أى متساوية فى الفضل . (٤) الذام : هو الذم .

(٥) الدن : وعاء الخمر .

(٦) أى أنه مشتاق إليه مثل اشتياق الجريح إلى الماء ؛ لأن الجراح تسبب ظمأ الجريح .

يدحو شقاء الأبرياء	ء وينثنى لم يكلم ^(١)
أمل يرى ظلم الحياء	ة بوجهها المتجهم ^(٢)
فيعيده طلقاً كوجه	الأغيد المتبسم ^(٣)
أمل يطل على السنين	بحسرة وتندم ^(٤)
ويرى الحياة فريضة	من آجل ومقدم ^(٥)

صوت الموتى

ألا إن للأموات صوتاً كأنه	خير المياه الجاريات على الصلد ^(٦) !
ويحكى خفيف الغصن فى لين وقعه	وطوراً كأصداء الطبول على بُعد
ويعول أحيانا كإعوال ثاكل	رمتها صروف الدهر فى الولد الفرد ^(٧)
يشن أنين الريح عند خفوتها	ويعوى عواء الذئب فى المهمة القفر ^(٨)
ويصرخ أحيانا فيحكى صراخه	صراخ العباب الغمر فى لجج البحر
يئن أنين الليل إن هدا الورى	وطوراً له صوت كحشرة الصدر ^(٩)

-
- (١) يدحو : أى يبسط . ويكلم : أى يجرح ؛ لأن الكلم هو الجرح . (٢) ظلم : جمع ظلمة : أى الظلام ، والمتجهم : العابس . (٣) المعنى : ماذا يفيدنى أملى فى صلاح الحياة إذا كنت أرى شقاء الأبرياء فلا أحزن من ذلك ولا يقلل ذلك من أملى ، ثم أرى وجه الحياة مظلماً فأحسبه مضيئاً ؛ فمثل هذا الأمل يعنى صاحبه عن شقاء الناس والشر الذى فى الوجود . (٤) يطل : أى يشرف . (٥) أى لا يرغب فى الحياة لما يجده فيها من اللذة ، بل لأن الحياة واجب يؤديه . (٦) الصلد : الصخر الجامد إذا وقف المرء بين القبور وكان له خيال حسب أن للأموات صوتاً يقع على سمعه مثل وقع الخريز أو خفيف الغصن أو أصداء الطبول . (٧) الإعوال : هو العويل والصراخ . (٨) خفوت الصوت : عدم ظهوره . (٩) حشرة الصدر : صوته عند موت الإنسان .

الحجاب

أطلقوا عن عرسه حتى يراها ويرى أين هواه من هواها
واحسبوها لو أردتم سلعةً يترجى عرضها قبل شراها ^(١)
كيف يهوى غادةً لم يرها يافع أبدت له الدنيا صباها ^(٢)
إنما الأرواح شتى فاسلكوا كل روح حيث لا تذوى منهاها ^(٣)
رباً حسناء إذا كشفتها عن أمورٍ كان ينميها خفاها ^(٤)
لنبت عينك عما أبصرت ودهى نفسك ما أصمى عماها ^(٥)
رباً ريان الصبا غضُّ الهوى مضمر في نفسه ملء دهاها ^(٦)
فدعوا الحسنة تبتدى لكم منه طبعاً غاب عن عين سواها !

* * *

-
- (١) السلعة : الشيء الذي يباع ويشترى .
(٢) الأرواح مختلفة الآمال والרגائب ، فضعوا كل نفس حيث تستوفى نصيبها من الحياة وآمالها .
(٣) أي كان خفاء الحجاب يجعلها تنمو .
(٤) نبتا ينبو : أي لم يقع على ، أو لم يصب .
(٥) أي أصاب . وعماها : أي جهلها .
(٦) ملء دهاها : أي ملء دهاها شراً .

الموت والتخيّل

أو

أحلام الأحياء بالموت

تسائلنى عن الموتى ، وإنى ربيبُ الموتِ فى هذا الأنام^(١)
ولو بطلَ التساؤلُ ما رضينا بعيشٍ مثل أحلام النيام
وأحوال كآراء السكارى إذا دبّت بهم خُددع المدام
ولو بطلَ التخيّلُ ما رضينا بما يلقي المغيّب فى الرجام^(٢)
خيال يطبى الأهواء منا كبرقٍ لاح فى وجه الظلام^(٣)
وكم فى الشعر من حلمٍ لذيدٍ يعين على حياةٍ أو حمام^(٤)
فزهراً الروضِ أو زهر النجوم ووجهُ البدر فى سحف الغمام^(٥)
نزين به الممات وقد خلونا به فى العيش أيام الغرام
وكان العدلُ أن نرضى بموتٍ فلا طيفٌ يساعد باللمام^(٦)
أليس الكونُ أكبر منك شأنًا وأولى بالمقساد والنظام ؟ !

(١) الخطاب موجه إلى الشاعر الفحل الجليل عباس أفندى محمود العقاد ، الذى أرسل إلى صاحب الديوان قصيدة عنوانها : « أحلام الموتى » يقول فيها :

فهل يسرى إلى قبرى خيال من الدنيا وأنباء الأنام ؟
ألا ليت النيام هناك تحظى بأحلام كأحلام النيام !

(٢) الرجام : أحجار القبر . (٣) يطبى : أى يستميل .

(٤) أى أن الشعر يعين على احتمال الحياة كما يعين على انتظار الموت ، وإنما تأثير الشعر بما يعرضه على المرء من جمال الخيال .

(٥) سحف : أستار . (٦) اللمام : الزيارة ، أى بعد الموت .

خَـذَ المَوْتَ المَحَلِّى بِالْأَمَانِى وبِالأَحْـلَامِ تَطْرُقُ فى الظَّلامِ
وَدَعِ لى مِيتَةً لا حِلْمَ فِىهَا فَمَا أَخْشَى وَقَدْ هَدَأَتْ عِظَامِى
وَلَكِنُّ التَّخْـفِيلُ مَاءٌ رِىٌّ حَلالٌ أَنْ أبلَّ بِهِ أَوَامِى (١)

شاعرٌ فى الغربة

كُنْتُ مِثْلَ الغَرِيدِ جِئْتُ بِهِ مِنْ رَوْضِهِ وَالزَّمَانُ غَيْرُ ذَمِيمِ
حَيْثُ وَجْهُ النِّهَارِ جَذَلَانِ بَسَا مُ ، وَوَجْهُ الظَّلامِ غَيْرُ بَهِيمِ (٢)
وَدَوَّاعٍ إِلَى الغِنَاءِ كِشَّارِ مِنْ حَبِيبٍ وَمَوْطِنٍ وَحَمِيمِ
أَنْزَلُوهُ فى مَنْزِلٍ مِثْلَ بَطْنِ الـ أَرْضِ جَهَمِ السَّمَاءِ جَهَمِ الأَدِيمِ (٣)
عَاشَ يَبْكِي أَيَّامَهُ حَيْثُ صَفَوُ الـ عَيْشِ سَهْلِ الجَنَابِ سَهْلِ النِّسِيمِ
فَقَضَى عَيْشَهُ غَرِيباً عَنِ الأَهـ لِقَلِيلِ العِزِّاءِ جَمِّ الهَمِّومِ
إِنْ أَكُنْ عَائِشاً فَعَيْشُ عَلِيلِ الـ نَفْسِ يَذْوَى مِثْلَ الرِّجَاءِ العَقِيمِ (٤)
الهُوى وَالْحَيَاةَ وَالْيَأْسُ وَالْحَزْ نُ وَرِيبٌ مِنَ الزَّمَانِ خِصْومِى

(١) الأوام : حرارة و غلة العطش . (٢) بهيم : أى أسود .

(٣) أى أن هذه البلدة التى نزلها من بلاد الإنجليز كلها دخان ، والأمطار تحجب ضياء الشمس فى سمائها فهى مثل القبر مظلمة .

« قضى الشاعر - صاحب الديوان - ثلاث سنوات بإنجلترا فى بعثة دراسية بجامعة شفيلد ، فيما بين خريف ١٩٠٩ وشتاء ١٩١٢ ، وتنظم هناك عدداً من القصائد ، منها هذه القصيدة ، والقصيدة التى بعدها ، كما أوحى إليه بقصيدة « الشتاء فى إنجلترا » المنشورة فى الجزء الثامن .

(٤) العقيم : الذى لا يجدى نفعاً .

حنين غريب

أبغ في مصرَ أمراً بالتأسي وتمهل وانظر أماً كن أنسى^(١)
خذلتني فقلت أنشد حظي في سواها فكان مورد نحسى^(٢)
أنشقوني نسائم النيل إني لعليل والنيل حاجة نفسي !
من معيني على خواطر إما طرقتني أغرت هواي بأمسى^(٣)
حيث وجه النهار يضحك بالبش ر فيروى ظمأ زهر وغرس
أنا في بلدة يمر بها الدهر ر حزيناً لا يستضيء بشمس^(٤)
فهى مثل السجن العبوس نهاراً قد رمتني فيها الخطوب بيأس !
لبست فوقنا السماء حداداً فكان السماء قبة رمس^(٥)

كأس خمر

أسقنيها فإني غير صاحي ليس شأن السليم كالملتاح^(١)
ما على من دهاه من حادث الدهر ر عظيم إذا انتشى من جناح^(٢)

(١) التأسي : التسلى .

(٢) خذلتني : أى أفاكن أنسى .

(٣) أغرت هواي بأمسى : أى بالزمن الذى قضيته فى مصر .

(٤) سبب ذلك كثرة دخانها وأمطارها .

(٥) حداداً من سواد الدخان والأمطار .

(٦) الملتاح : العليل .

(٧) انتشى : سكر . والجناح : اللوم . راش السهم

إذا وضع فيه ريشه ليرمى به .

عسذل راشه العذول سفاهاً هل يلوم العليل غير الصحاح ؟
أنا ظمآن ليس يُعوزُنِي الما ء ولكن رقيقة الأقداح
فاسقنيها على وجوه ملاح لهف نفسى على الوجوه الملاح !

الزوجة المهجورة تعالج السحر

هرم اليوم فقسومي أشعلى فى دجا الليل ضرام الساحر^(١)
قد نبشت اليوم قبراً غائراً جادنى منه بعظم ناخسر^(٢)
فضمعيه فى اللظى واسعى إلى بيت هامان بقول ما كر^(٣)
أخبريه أننى هيمانة لم يدع لى الحب حزم الصابر^(٤)
وخذى منه الرقى فى خفية خفية تطفىء لحظ الناظر
وأعسينيه بما يطلبه وسليه عن حبيبي الهاجر !

* * *

أبها الليل أفض من ظلمة تشعل النار بجفن ساهر
لا يرى فيك رقيب أدمعى وزفيرى غسیر نجم زاهر
أبها النجم استمع شكوى التى علقت وجه خليع سادر^(٥)

(١) هرم اليوم : أى دنا الليل . الزوجة تأمر فتاة من خادمتها أن تشعل النار للسحر .

(٢) ناخر : بالى . (٣) هامان : هو الساحر .

(٤) هيمانة : أى ولهانة . (٥) السادر : المتهتك فى الخلاعة .

بليت منه بوجه عابس
 بليت منه بقلب فارك
 لو يكون الجو ناراً والكرى
 أشعلت من شوقه ما قد خبا
 يا ولادة الشر هبوا هبة
 أنا والسحر وأنتم والأذى
 أنشبوها فيها نيباً خضبت
 فعسى أن ينثنى مستشفعاً
 أنا أهواه وأقلله معاً
 إنمّا البغض أخو الحب إذا
 حسب نفسي منه وصلاً مانحاً
 بعد أن قيدت بجفن ماطر^(١)
 بعد أن قيدت بلحظ فاتر^(٢)
 حرقاً تلفح وجه الجائر
 وجرت منه بقلب نافر^(٣)
 وأعينوني بحلف ناصر^(٤)
 نبتليه بالمدل الفاقر^(٥)
 بدم ينبع منه منائر^(٦)
 بجوى بادٍ وجسم ضامر^(٧)
 شدّ ما هاج بقلبي الحائر
 ظفر الحب بجدّ عاثر^(٨)
 ظمئى رياً كرى الطائر !

الشاعر والزمن الخرب

أرمى بشعري فى حلق الزمان ولا
 لا أبتغى الجاه أسعى نحوه ضرعاً
 أبيتُ منه على همّ وبلبال^(٩)
 جزاء شعري إنّ الجاه يسعى لى^(١٠)

-
- (١) أى بعد أن كان يبكى من حبها صار يعبس من كرمها . (٢) فارك : أى كاره . ولحظ فاتر :
 أى نظر المحب إلى حبيبته .
 (٤) ولادة الشر : أى الشياطين والأيالة المحالفة .
 (٥) الفاقر : الخطب الفادح . (٦) مائر : سائل .
 (٧) أى عسى أن يرجع إلى . (٨) الجد : الحظ .
 (٩) أى أرمى بشعري فى قم الدهر إن شاء ساغه . وإن شاء لفظه ولا أبالي .
 (١٠) الجاه : الشهرة . والضرع : الذل .

قد ناهضتني خطوبٌ كلما عصفت
حتى كأن فؤادي منزلٌ خربٌ
ماذا أفادت بناتُ الشعرِ قائلها
إنَّ الذكاءَ وإنَّ الشعرَ مهلكة
لولا لذاذة قولِ الشعرِ ما خدعت
فأرفق بنفسك أن تدعى الأديب وأن
إنَّا لفى زمنٍ عيشُ الأديب به
عفت على أملٍ كالمنزلِ الخالي^(١)
مهدمٌ بين آثارٍ وأطلال
إلا عداوة حسادٍ وعُدَّال^(٢)
فأربأ بنفسك واعقلها بأعمال^(٣)
خدیعة المصححِ الظمآنِ بالآل^(٤)
يجرى بك التحسُّ من ذلٍّ وإقلال !
عيش الجناةِ سقيم الوجه والحال !!

الحب والحجاب

بينى وبينك ستر لا انكشاف له
لا فرقَ اللهَ قلبين اتصالهما
لا فرقَ اللهَ جسمين انتعاشهما
لا فرقَ اللهَ روحين ائتلافهما
ككلة السحبِ بين النجمِ والبصرِ^(٥)
مثل اتصال فتاة السنِّ والوطر^(٦)
بالحبِّ مثل انتعاشِ الزهر بالمطر
مثل ائتلافِ صروفِ الدهرِ والقدر

(١) ناهضتني : أى كافحتني : وعفت أى هدمت ، وأمل كالمنزل الخالي : أى مهجور .
(٢) بنات الشعر : خيالاته ومعانيه .
(٣) أربأ بنفسك : أى ترفع عنه واعقلها : أى قيدها
بالجد والعمل كي يشغلها ذلك عن الشعر والأدب . (٤) المصحح : الذى نزل الصحراء ، والآل : أى السراب
واللذاذة : اللذة .
(٥) كلة : ستر الفتاة .
(٦) الفتاة : الصبا والشباب .

فى مقلتيك معانى الخلد يادية
 وأيقظينا فى العادات مُخملة
 وهذبينا بلحظٍ كلُّه جـذلُ
 فالحسنُ أعظمُ من يلحى على دنس
 الله يعلمُ أنَّ الحبَّ مكرمةُ
 وسنة الله لا تجرى بذى ضررٍ
 فخلدينا بلحظٍ ربة الخمر^(١)
 وكيف يسعد من يحيى على غرر؟^(٢)
 واسعدينا بحسنٍ ساطع الغرر^(٣)
 والحبُّ أشرفُ من يلحى على نُكر
 وإنَّما الوزر غدر غير مغتفر
 وحاجب الحبِّ عنا واسع الضرر !

قبلة الزوجة الخائنة

قد قبلتني قبلةً مُرةً
 تحسب أنى راتع غافل
 ماءً من الحسنِ رويناه
 تنهش جاهاً لم يكن نهزةً
 ولو درت أن على رأسها
 لولا وميضُ الرأى يقتادنى
 كأنها من حمة العقرب^(٤)
 ألد ما تدينه من مأرب
 عاد كوعد البارق الخلب^(٥)
 لشاحذ الأنيابِ والمخلب
 سيفاً من الغدرة لم تلعب
 يعيذنى من سفيه المغضب

(١) الخمر : جمع خمار وهو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها .

(٢) الغرر : الغفلة . (٣) نكر : بضمين النكر .

(٤) حمة العقرب : سمها . (٥) البارق الخلب : أى الذى يعقبه مطر .

جللتها بالسيف أمحو به الـ لذنب بذنب رائع معجب^(١)
بينى فقد بانت بما قد جنت غوادر ما كن من مطلبى !^(٢)

خطأ الحر وإصابة العبد

إذا ما أصاب العبدُ فى بعضِ فعله فما الفضل إلا للذى هو أمره
وإن أخطأ الحرُّ الأبي فإنه لأفضل من عبدٍ تهون مصادره
فلا تحسد العبدان مجداً مؤثلاً بناه لهم رب طغاة أوامره
وهل يرفع الإنسان فضلُ أصابه إذا كان يزجيه إلى الفضل زاجره
فيا ربَّ مجدٍ فى الإباء مشيدٍ وإن لم تب للصاغرين مآثره !^(٣)

الحب والكبر

هى والكبرُ والوقارُ رقيبا ها تدانى محبتها وهى تنأى
نسبٌ باذخٌ ومجدٌ قديمٌ وثرأءٌ جم وجبنٌ وتقوى
أبعدتها عمن تحب فأخفت فى صميم الفؤاد ما ليس يخفى
فلها نظرة من الحب سكرى ولها نظرة من الكبر سكرى

(١) جللتها : أى رفعت عليها السيف .

(٢) بينى : أى اذهبى مطلقاً .

(٣) الصاغرين : المستذلين .

يا ابنة الفاخرين بالجاه والمأ
 إن مجدى فى الحب والصدق لا يف
 أنت تخشين أن يقال أحببت
 هل يفيد الإباء والشمم الجم
 أبعد الكبر دانيات الأمانى
 ضرب الدهر بيننا من طباع الـ
 بين كبر وبين جن ضياع
 لـ وقبر فان ومجد تقضى
 حنى ومجد النفوس بالفخر أخرى
 غير سامى الأحساب منشا ومعزى^(١)
 نفوساً صرعى من الحب نضوى
 لهف نفسى على أمانى شتى
 سوء سترأ فنحن بالحب نشقى
 لنفوس بالحب تمنى فتحيا^(٢)

مَلَلٌ مِنَ الْحَيَاةِ

بيننا ألد نعيم العيش فى دعة
 كفى بنفسي داء أننى رجل
 أجن بالعيش طوراً ثم أبغضه
 إننى ولعت بعيش كله خدع
 ما من مجير على هذا الملل سوى
 لو كان لى حيلة أفنى بها مللى
 رمى بى الشك بين السهد والملل
 أخشى الحياة وأقلى سطوة الأجل
 ما أضيع المرء بين اليأس والأمل
 كما برمت بعيش غير مقتبل
 موت يبعد بين النفس والعلل
 من الحياة لما قصرت فى الحيل

(١) المنشأ : أى المنشأ أى الأصل ، والمعزى : النسب .

(٢) تمنى : أى تصاب .

ذِكْرُ

ذِكْرُ كَأَنْفَاسِ الْمَحَبِّ	إِذَا تَحَسَّرَ أَوْ تَلَدَدَ
وَكَأَنَّهَا نَشْرُ النِّسِيمِ	إِذَا تَصَوَّبَ أَوْ تَصَعَّدَ
وَكَأَنَّهَا وَرَقُ الْخَرِيفِ	إِذَا تَنَاشَرَ أَوْ تَبَدَّدَ
وَكَأَنَّهَا قَبْرِ الْهَوَى	وَحُمَيْلَةُ الْأَمَلِ الْمَجْدَدِ ^(١)
وَلَرَبَّ آمَالٍ مَضَّتْ	عَاوَدَتْهَا وَالْعُودُ يَحْمَدُ
فَكَأَنَّنِي قَبِلْتُ مَيْتًا	أَوْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ يَلْحَدُ
بَعْضُ الْأَمَانِي كَالْحَيَاةِ	إِذَا انْقَضَتْ لَيْسَتْ تَجْدَدُ

رِثَاءُ عَصْفُورٍ

لَيْتَ أَنْ الرَّبِيعَ إِذْ مِتُّ مَاتَا	حُلْتُ مَيْتًا بَيْنَ الرَّبِيعِ وَبَيْنِي
كُنْتُ حَلِيًّا لِلرَّوْضِ وَالرَّوْضُ غَضٌّ	بِالتَّحَدُّلِي فِي أَيْكِهِ وَالتَّسْفَنِي
فِرَزْنَاكَ شَادِيًّا عِلْمَ الشَّامَا	عَرَأْنُ يَخْلُبُ الْقُلُوبَ بِلَحْنِ ^(٢)
نَغَمَاتٍ مِثْلُ الرَّبِيعِ حَسَانٌ	وَعِنَاءٌ يَحْيِي الْهَوَى وَالتَّمْنَى
كَفَفْنُوهُ بِالْغَضِّ مِنْ وَرَقِ الْوَر	دٍ وَلَا تَضْرَحُوا الضَّرِيحَ لِدَفْنِ ^(٣)
وَحَفِيفُ الْغُصُونِ أَرْوَعُ نَاعٍ	لِلَّذِي كَانَ حَلِيَّةً فَوْقَ غُصْنِ ^(٤)

(١) الخميطة هي الحديقة .

(٢) اللحن : النغمة .

(٣) ضريح الضريح أى حفر القبر وهياه .

(٤) الحلية : الزينة .

فالأزاهير كالطيور على الغصص من سكوت والطيور زهر يغنى

فى دفعة قديمة

ملقاة على شاطئ البحر

لقد جار الزمانُ عليك حتى حكيت عزيمة الرجل الضعيف
تصرفك الأكفُ وكلُّ عزمٍ يؤثر فيه تصرفُ الصروف
ولأهواءٍ فى الآراءِ فعلٌ كفعلٍ فيك لليمِّ المخوف
وما هجروك من عبثٍ ولك من غايات الوسائلِ فى الخوف
كذاك الناسُ مثلك والليالى وسائلٌ للقضاءِ وللصروف
كذاك العيشُ عيشُ الناس طراً وسيلتهم إلى الأملِ الصدوف^(١)

ذكرى على جفاء

نسأنى طيبُ العيشِ إن كنت أنساكا وما عشتُ حتى الآن إلا بذكر اكا
رأيتك معبودَ الجمالِ مُنعماً فما حيلتى إن كان قلبى يهواكا
تدلُّ علينا بالجمالِ وليتنا ندلُّ بشوقٍ فى القلوبِ لرؤياكا
وإننا لنستعدى الوصالَ على الجفا ونخلص حسنَ العيشِ من حسنِ مراكا^(٢)
متى يجمعُ النأى المشتتُ شملنا فتلثمنى خدأً وتلثمنى فاكا
لعلك يوماً أن ترى فى وصالنا مآرب تدنينا إذا التيه أقصاكا

(١) الصدوف : أى المعرض المتجافى .

(٢) نستعدى الوصال على الجفا : أى نستعين

به ونطلب منه أن ينصفنا من الجفاء ، ونخلص : أى نسرق .

إلى صديق

إبراهيم قد طال اغترابي
على النفس في بلد غريب
عهدتك مرة تبغى إخائي
أراك على اغترابي ذا ابتعاد
فلولا منزل لك في فؤادي
سلام الله لا أبغى جذاباً
سلام ليس يغنى عن وداد
إذا كان الحبيب على سلو
فهلا كان عندك بعض ما بي ؟
يؤرقه التذكُّر والتصابي
وأنت اليوم توغل في اجتنابي^(١)
وكنت على اقترابي ذا اقتراب
لأنسانيك هجرتك وارتياحي
وهل يدنو المنابد بالجذاب ؟
ولا يعدى على غدر الصحاب
فلا يغنى التودد بالعتاب !

شكوى شاعر

قد طال نظمي للأشعار مقتدراً
قد أولعوا بكبير السن أو رجل
ولو سفلت إلى حيث القريض لقي
والقوم في غفلة عني وعن شاني !
بنى له الجاه ما يغلو به الباني^(٢)
بين الأثافي وربع المنزل الفاني^(٣)

(١) أوغل : أي زاد وجد . والخطاب موجه إلى الأديب الأجل : إبراهيم أفندي عبد القادر المازني .

(٢) يغلو به : أي يغالي به .

(٣) لقي : بفتحين أي ملقى ، والأثافي : أحجار النار التي توضع القدر عليها .

ولو سفلتُ فقلتُ الشعرُ في خبرٍ
ولو سفلت فقلتُ الشعرُ مبتدلاً
لقليل : نَعَمْ لعمري أنت من رجلٍ
وإنَّما الشعرُ تصويرٌ وتذكُّرة
وإنَّما الشعرُ مرآةٌ لفانِيَّةٍ
وإنَّما الشعرُ إحساسٌ بما خفقت
قالوا : أتيتُ بشعرٍ كلُّه بدعٌ
من كل معنى يروع الفهم طائله
من كل معنى كموج اليم مطرد
هذى المعاني تناجيهم فما لهم
متى يتاح لهم شادٍ بما رقصت
هل في أكابرهم برءٌ لذي أدب
من السياسة في زورٍ وبهتانٍ
في وصفٍ مخترعٍ أو ذمٍّ أزمان
جمَّ المحاسن من صدقٍ وتبيان !
ومتعةٌ وخيالٌ غير خوان
هي الحياةُ فمن سوءٍ وإحسانٍ^(١)
له القلوبُ كأقدارٍ وحدثان
فقلت : نَعَمْ لعمري قولة الشاني !^(٢)
معنى من الجان في لفظٍ من الجان^(٣)
جمَّ الجلالِ فلولا الله أعيانى
لا ينصتون بأفهامٍ وأذهان^(٤)
له القلوب وتحنان كتحناني ؟^(٥)
من كفَّ كلَّ جديب الكفَّ منان ؟^(٦)

عاطفة شوق

أنا فوق الفراش لا أطعم الغم
أشتكى ما جنى الفراقُ ويا ليد
ضَ وقلبي إليك بالأشواقِ
ست حنين الغريب برءُ الفراقِ

(١) أى أن الحياة حسناء والشعر مرأتها . (٢) الشاني : المبغض . (٣) يروع الفهم طائله :
أى أن معناه يخيف الذهن والفهم بجلاله . مطرد : أى سائر . (٤) أنصت : أصغى .
(٥) شاد : مغنى ، أى متى يجدون شاعراً مثلى . (٦) المنان : الذى يفخر فيؤذى بجوده المكذوب .

يا حليف النوى عليك سلامٌ
أين أيامي التي حسنت حيد
لم تكن كلها نعيمًا ولكن
كنت في مصر أندب العيش والعيد
فرمستني النوى بأوجع ما ير
ونأت بي عن الأنيس صروف
لا صديق لدى أشكو إليه
عالج الغدر والفسولة حتى
فاذكر البائس الغريب بخير
وأعني بالدمع إنَّ بلاغ الـ
وهنيئاً لك الليالي المواضي
أنت مني بمنزل الحب في القلب

وحنين يريق ماء المآقي
نأ وكأس الشقاء غير دهاق ؟
كان ينفي الأسي وجوه رفاقي
شُ وريق الغصون حلوا المذاق
مى به واعظ بغيض الخلاق^(١)
وكلت بي لواعج المشتاق
غير غر بسام وجه النفاق
أنكرته مكارم الأخلاق^(٢)
رُبَّ ذكرى تُعيد عهد التلاقي
ودَّ أن لا تضن بالإشفاق
وهنيئاً لك الليالي البواقى
ب ومجرى الضياء في الأحداق

الحرية

حسبك صافية الجبين خريدة
بيضاء ناعمة كأن قوامها
هلا رأوك وأنت بين معاشر
ظمأى إلى الدم قد أبحث حرامه

تسبى القلوب بأكحل وسان
في لينه غصن من الأغصان
وضعوا السيوف مواضع التيجان
كالدائب يعوى بادی الأسنان

(١) أي وعظمتني النوى بقوارع وجيعة .

(٢) الفسولة : لؤم الخلق .

أو كلما أدمى الذليل قيوده زارت لديك زئيرة الأضغان^(١)
لا يبلغ المقهور منك نصيبه حتى يضرج بالنجيع القاني
عجباً لقاسية الفعال حبيبة وقليلة الغفران والنسيان
سكرى من الدم قد أنام ضميرها ومعالج الأضغان كالنشوان
نظرت بعين الصلّ حين وثوبها نظراً يسمّ مجامع الأشجان^(٢)
تقسو كما يقسو القضاء وإنما موت الذليل وعيشه سيّان
ولربّ جرمٍ محوه بجريمة ظلم الظلوم وقتله جرمان

نبوءة شاعر

لئن خانني الذكر الجليل وملّني مسامعُ قومي أو غلبتُ على أمرى
سيروى عظامي شاعرٌ بدموعه وينثر أزهارَ الربيع على قبرى
إذا جننى الليل البهيمُ أطاف بي خيالاً له يزرى على صفحة البدر
يجئ مجيءَ النوم من حيث لا أرى ويسمعني ما قد قرضت له شعري
فيا ساكناً في الغيب هذى نبوتى فذكر بها القوم الألى جهلوا قدرى !
أتيح لهم صناد إلى النهلة التي شربتُ بها ريثاً يبيلُ جوى صدرى^(٣)
فساموه أن يسعى على منهج عفا قديماً كما يسعى المقيد في الأسر !

(١) زئيرة الأضغان : صوتها ، وهنا تشبيه للأضغان بالحيوان المفترس .

(٢) الصل : الحية ، ومجامع الأشجان : أى القلب . (٣) الصادى : الظمان .

أنا والغيب

ليت لى نظرة إلى الزمن الآ
فتريح الفؤاد مما يعانى الـ
أو تميت النفوس بالنبأ الأعـ
فهى بشرى محمودة أو نعى
كيف تعنو الأقدار للمرء والمر
ويح شمل الصحاب لو كان صدق الـ
أيها الغيب كم رميتك بالظـ
أنا والغيب كالغلام إذا حا
ليس يغنى وجيبه وبكاه
تى البعيد الخطا الغريب الحال^(١)
طرف من لؤم هذه الأحوال^(٢)
ظلم إن الوجود نحس المال^(٣)
لمساع مآلهة للفوات
ستبلى أعماله كالرفات^(٤)
قول أن لا حياة بعد الحياة^(٥)
ن فأبديت لى كوجه السحاب
ول فتحاً لمغلق الأبواب^(٦)
ليس تجدى ذريعة المرتاب !

(١) أى أنى أريد أن أنظر إلى أحوال الدنيا فى الأزمان الآتية لأعرف هل فنى الشر والشقاء الذى بها .

(٢) لأن تلك النظرة تجعل المرء مطمئن البال يتسلى بسعادة الناس الآتية عن الشقاء الموجود الآن .

(٣) أو أن هذه النظرة تدفع الإنسان إلى الانتحار إذا أيقن أن الوجود مآله النحس والشقاء .

(٤) الرفات : عظام المرء التخرة فى قبره . (٥) أى أنه صعب أن يفارق الصديق صديقه

إذا كان لا يوجد بعد هذه الحياة حياة أخرى يجتمعان فيها .

(٦) أى أحاول معرفة الغيب المجهول ، كما يحاول الغلام فتح الباب المغلق فيبكى ؛ لأنه لا يقدر أن

يفتحه ، كما أبكى لأنى لا أفهم سر المجهول !

ثورة النفس

وللنفس فى بعض الأحياء ثورة
فيا نفسُ كم تبغين ما ليس حادثاً
هياج كما هاجت قطاةً تعلقت
أما فى سكون الليل يا نفس واعظ
فهل تحسبين نائماً كلَّ ساكنٍ
نعم إنَّ للشلال روعاً وهيبةً
نعم للرياح الهوج هولٌ وقوةٌ
أغرك من هذه الطبيعة أنها
وما أحسن اليمَّ الخضمَّ بثائرٍ
وما القلبُ إلا لوعة تأكل الحشا
نعم أنت فيما تبغضين مصيبةً
ويا حسن ما تملئ الخيالات إنها
تريدن أن الجسم يغدو كائناً
إذا لأراقت كلَّ نفسٍ ضياءها
سأبذل جهدى فى تعلم رقصة

يكاد لها جسمُ الفتى يتمزق
وحشاً آمالى لديك تحرق
بأحبولة الصياد إذ ليس مهرب^(١)
أما فى هدوءِ الروضِ ملهى ومطلب ؟
وهل تحسبين ميتاً كل هاجع
وربَّ جلالٍ للعواصف رائع
وللبحر أمواجٌ تهيج فتحرب
تشورُ فلا يقوى عليها المقلب
إذا كان هذا اليمُّ يشقى ويألم
وما الجسم إلا ذلك اللحمُ والدم
ويا حسن ما تبغين من خيرٍ مطلب
حلّى على جيدٍ من الدهر أجرب
يضىءُ به منك الضياءُ المحجَّب
على ظلمةٍ للعيش والعيشُ غيب
لأرقصها إن الحوادث تطرب !

(١) القطا : نوع من الحمام ، والأحبولة : الحبال التى يصيد بها الصائد الطير . فهياج النفس مثل هياج الطائر القنيص .

فيا نفس قومي فارقصي في جوانحي
 فلا تعذلوني إنَّ لليأس رقصةً
 وللنفس آهات من اليأس والجوى
 فيا ليت أني في قم البرق كامنٌ
 ويا ليت أني مثل زوس مسيطرٌ
 ولكنني إما صرخت كصارخٍ
 وربَّ بليغٍ راجح الرأي والحسبي
 نعم ، نحن أبناء الزمان وصرفه
 فإنَّ تكن الحالات تأتي بترحةٍ
 رضعنا من اليأس الصريح لبائه
 فما آمل فينا سوى صنو يائسٍ
 وفي اليأس يأسٌ يبعث المرء بعثه
 فلا تعذلونا دهركم غير دهرنا
 أفي كل يوم يائسٌ بعد يائس ؟
 وليس الملام وحده بدوائه
 كما رقص المجنون يهذي ويلعبُ
 تعلمها المحزون من نشوة الأسي
 تحقر آهات الأناشيد والهوى
 فيودعه الأشجان قلب معذبُ
 على الرعد إنَّ أغضب كذا الرعدُ يغضب^(١)
 غريقٍ له صوتٌ من الماء خافت^(٢)
 ولكنه بين الحوادث صامت^(٣)
 وحالاته حتى يتاح لنا الردي
 فنحن بنوها للتعجل والأسى^(٤)
 وكان وكنا في بطون الحوامل^(٥)
 وما يائس فينا سوى صنو آمل^(٦)
 إلى الغاية القصوى من السعي والجِد^(٧)
 فإنَّا علقنا بالبعيد من الجِد
 لقد جال ذاك الداء كلَّ مجال
 فلا تطلبوا في العذل غيرَ محال

(١) زوس : هو رئيس الآلهة وإله الرعد في خرافات الإغريق ؛ يقولون إنه إذا غضب سمعوا صوت الرعد . والمعنى : إنني أتمنى أن أكون مثله إذا غضبت سمع الناس صوت الرعد . (٢) خفوت الصوت : عدم ظهوره . الحجا : العقل . (٤) الترحة : ما يسبب الألم ، والأسى : الحزن ؛ أي نحزن ولكننا على حزننا نتجلد . (٥) اللبان : اللبن . والحوامل : أي النساء الحوامل . (٦) الصنو : ذو قرابة ونسب . (٧) من الغريب أن اليأس قد يورث النشاط والعزم والشجاعة في النفوس العظيمة .

فجر الشباب

إني لأذكر أياماً لنا سلفت
فكان للفجر قلبٌ خافقٌ أبداً
والضوءُ يرقصُ في الأنهار موقعه
ونأظر ونجوم الفجر مائلة
وكلمتني الرياح الهوجُ في فمها
كما تذكر صوتَ اللجةِ الصدفُ
من الحياةِ ووجهه كله لطفُ
فقدته مائسٌ فيها ومنقصفُ
نحو الغروبِ كما يرنو لها الدنف
سرُّ الطبيعةِ مخبوءٌ ومنكشف !

الإيمان بالحياة

لى في الحياة اعتقادٌ لا فناء له
وإنما الكون قلبٌ لا سكون له
فالعينُ ظامئةٌ ، والنفسُ ظامئةٌ
لا ترجمونا بيأسٍ في مقالكم
أعظمُ الناسِ في اللاأواءِ كم صبروا
الكونُ يعلنه والفكرُ يوضح لى
حياته نبضاتُ الحادثِ الجللِ
إلى محاسن من قولٍ ومن عملٍ
فاليأسُ أقبح ما ينعى على الرجل^(١)
إنَّ العظيمَ عظيمُ السعى والأملِ^(٢)

(١) ينعى : أى يعاب . (٢) اللاأواء : الخطب العظيم .

محبُّ يرد لحاظه

أرد لحاظي عنك وهي مشوقة
ولو كان لي عيشٌ رغيدٌ وحالة
لأقدمت إقدامَ الشجاع وكان لي
ولكن لي حالاً أخافُ صيالتها
أحبك حباً لا يحبك مثله
فيا بؤس نفسي تضرم الحب بالمني
إليك ولي دون الضلوع وجيبُ
تعيدُ كساءَ العمر وهو قشيبُ
إليك طموحٌ طائرٌ وهبوب
عليك إذا صالت وأنت قريب
أبُّ لك ، ذو رفيقٍ عليك نجيب
وقد علمت مالي لديك نصيب !

العظيم في قومه

رأيتُ حياةَ الحرِّ في نفع قومه
يغالبُ ما يبليه في جمع أمرهم
وما نصب المصباحُ إلا لضوئه
وليس الذي يحيا حياةً ذليلةً
يفيض بيانا يقطر الحزم مأوه
ويبرى سهاماً من مقالِ قويمة
يهدده الجبار بالضميم ضلةً
فلا تحسبن إن الرجاء مضلةً
ولا خيرَ في كنزٍ إذا كان خافيا
وإن كان فيهم شاحب اللون طاويا ^(١)
وإن كان في أحشائه الدهنُ فانيا
خليقاً بأن يدعى على العيش باقيا
فتصفى إليه في العروق دمائيا
مهذبة يرمى بهنَّ المراميا
وهل يستفاد الحر ما دام آبيا ؟
وهل خاب ذو عزمٍ إذا كان راجيا ؟

(١) الطاووي : الجائع .

نحن إخوة

إنَّما نحن إخوة جعلتنا	نزعاتُ القلوبِ كالأضدادِ
إنَّما نحن إخوة تركتنا	وقعاتُ الأحقادِ كالأحقادِ
إنَّما نحن إخوة جعلتنا	حمة البغضِ طعمةً للأعدى ^(١)
نتمادى على القطيعةِ والهجرِ	برِ فماذا جنى علينا التماضى ؟
قد أقمنا على التخاذلِ دهرًا	فدهانا بسيله كلُّ وادى
وإذا كانت النفوسُ لئامًا	فلماذا تقر فى الأجساد ؟ !

لذة المحبوب والمحِب

أتمنعون القلبَ من وجيبه	وتزجرون الصبَّ عن نحيبه ؟
وتأمرون الرشأً الأغيدَ أن	يقسو على ولهانٍ مستطيبه
وزاجر الأغيدِ عن عاشقه	كزاجر المسعود عن نصيبه
ولذة المحبوبِ فى محبِّه	ولذة المحبِّ فى محبوبه
وغفلةُ الفاتنِ عن لذاته	تزيد قلبَ الصبِّ من لهيبه
ما أنصف الأغيدُ من يهواه إن	لم يعطه من حسنه وطيبه
ماذا يرجى المرءُ من حياته	لو منع العاشقُ من حبيبهِ ؟
قد خلق الله الحسانَ سلوةً	تشغل قلبَ المرءِ عن كروبه !

(١) الحمة : السم .

الشاعر وجمال الحياة

أُبْهَذَا الْعَذُولَ فِي شَهَوَاتِ الدِّ
عَمِيشٍ يَدْعُو إِلَى حَيَاةٍ عَلِيلَةٍ
نَحْنُ كَالنَّحْلِ لَا نَحِبُ مِنَ الزَّهْرِ
سِوَى كُلِّ غَضْضَةٍ مَطْلُولَةٍ (١)
لَا تَلَمَّ شَاعِرًا رَأَى الْعَمِيشَ حُلُومًا
فَأَتَيْتُ لَهُ الْحَيَاةَ جَمِيلَةً
هُوَ مَهْمَا آتَاهُ فِيهَا نَعِيمٌ
لَا يَرَى فِي الْحَيَاةِ كُلِّ فَضِيلَةٍ

فِي قَبِيحِ اسْمِهِ حَسَنٌ

إِذَا وَصَفُوا بِالْحَسَنِ مِثْلَكَ ضَلَّةٌ
فَمَنْ ذَا يَسْمَى قَاتِلَ الْوَجْهِ أَخْرَقَا
فَمَا الْحَسَنُ فِي خَلْقٍ وَلَا فِي خَلِيقَةٍ
لَدَيْكَ وَلَيْسَ الْحَسَنُ فَيْكَ تَخْلَقَا
لَقَدْ كَانَتِ الدَّائِيَاتُ يَسْخَرْنَ حِينَمَا
وَصَفَنَ بِحَسَنِ أَظْلَمَ الْوَجْهِ أَحْمَقَا ! (٢)
فَكُنْ كَمَنْ نَادَى مِنَ الزَّجَجِ أَسْوَدَا
فَقَالَ لَهُ يَا أَبْيَضَ الْوَجْهِ مَشْرِقَا
وَمَا صَاغَكَ الرَّحْمَنُ إِلَّا فَكَاهَةً
وَمَاذَا عَلَيْهِ أَنْ يَشَاءَ وَتُخْلَقَا !!

الكاذب

لَا تَلْمِهِ فِي كَذِبَةٍ بَعْدَ أُخْرَى
هُوَ أَهْلٌ لِأَنْ يَكُونَ كَذُوبَا
لَوْ سَمِعْنَا لَهُ مَقَالَةً صَدَقَ
لَمْ يَكُنْ صَدُوقَهُ إِلَيْنَا حَبِيبَا !

(١) مطلولة : أى نزل عليها الطل وهو القليل من المطر .

(٢) أى لما رأت الداية المولدة قبح وجهك سميتك حسناً سخراً بك !

قم فبين للناس فلسفة الكذ ب وناجز عدوه والرقيبا
وأحق اللئام بالسخرِ غرُّ لا يرى حوله بصيراً لبيبا !
خدعته خوادعُ تصدق النَّا من وقديماً كان اللئيمُ مريباً !

كلمة مدح

شيمٌ كأخلاق المسيح كريمةٌ ومحاسنٌ لك غيرُ ذاتِ نضوبِ
لطفت كما لطف النسيمُ وأحكمت أسباب ذاك الفضلِ والتهذيبِ
وكأنَّها من رقةٍ وعدوبةٍ جرعات ماءِ المنهلِ المشروبِ
تجلو عن النفس القطوبِ قطوبها وتزيح يأسَ اليائسِ المكروبِ (١)
وكأنَّها قطعُ الرياضِ يعلها مطرٌ رقيقُ السجم غيرُ صبيبِ (٢)

العهد والخدر

كم تحت مئزر ذات الخدرِ من دنسٍ وفي ابتذالِ ذوات العهرِ من خفرِ !
إنَّ الفضيلةَ لا يودى بها خلق قضى به العيشُ في حالٍ من الغيرِ
حسب الكريم إذا ما غاب عن دنسٍ أن لا يسبَّ ذوات العهرِ بالنظرِ
فقد تخون ذوات البعلِ آمنها وقد تخون الأولى ظللوا على حذرِ

(٢) يعلها : يرويها أو يسقيها ، السجم : الهطل ،

(١) القطوب : العبوس ، وتزيح : أى تزيل ،

والصبيب : المتدفق .

العادات

ألا إنما العاداتُ كالبحرِ ، والفتى
إذا لم يكن ذا دربةٍ بأَمـُورِهِ
كذاك ذوو العاداتِ غرّ وباحث
فمن لم يميز غثّها من ثمينها
يعيشُ كما عاش الكثيرُ من الورى
كراكبٍ ذاك البحرِ يخشى زماجره
ليوشك أن تطوى عليه زواجره
جرئٌ له رأى على الشرِّ ناصره
سعى كرحاءِ الشرِّ دارت دوائره
يجوبُ ظلامَ الجهلِ والجهلُ آسره

أم إسبرطية

قتلت ابنها^(١)

فرّ يبغي من الحمامِ مجيراً
بأدرته بحتفه أمّه وهـ
ولو أن النذيرَ أوحى إليها
لرمته بجانب الجبلِ الشا
فأعان الردى عليه المجير
و على عاره إليها حبيب^(٢)
وهو فى المهدِ أنه سيخور^(٣)
مخ لم تُنتزح عليه الغروب^(٤)

(١) لأنه هرب فى الحرب . (٢) حتفه : أجله . (٣) يخور : يضعف ويجن .

(٤) كان أهل إسبرطة يرمون الأطفال الضعاف على جانب جبل ، ويتركونهم يموتون . والغروب :

هى الدموع .

إن إسبرطة التي قمع الطا
 جعلت ذلك الفرار حراماً
 أيها الخائن الجبان خشيت الـ
 إن أما تُعزى لها قتلت في
 شرفت ثم أجمرت فلك العا
 مع فيها خميسها المنصور^(١)
 والذي يركب الحرام مسريب
 سموت والموت حادث مقدور
 قتلك العار لم يصبها معيب
 رولكن لها الجوى الزفير^(٢)

مناجاة الحبيب

الله في نزعات الواله العانى
 وفي الوجيب الذى تشقى الضلوع به
 وفي اللحاظ التى ناجت ضميرك من
 يا نظرة خلست منى على غرر
 لو كنت أملك أن ترتد خاسئة
 لما احتسبت فؤادى وهو منصدع
 كانت شفاء فعاتت ملؤها شجن
 ورُبّ ذكرى تهيج الشجوة عن عرض
 وفى شفيع من العينين هتان
 وفى الفؤاد الذى يحنو على الجانى
 وراء مسترسل الهدبين وسمان
 عزم الحسام صقيلاً غير خوان
 قبل اجتلاء أغن الطرف جذلان
 ولا الشباب الذى أذوته أشجاني
 فكيف أبرئ أشجاناً بأشجان
 وتترك الدمع فى آثارها قانى^(٣)

(١) قمع : أذل وأخضع . والخميس هو : الجيش .

(٢) لها الجوى والزفير : لأنه على عاره حبيب إليها .

(٣) قانى : أحمر .

إِنَّ الْجَمْسَالَ لِمَاءٌ طَابَ مَوْرَدُهُ
فَمَنْ لَدَى شَجْنٍ بِالْكَبِيرِ يَكْتُمُهُ
صُنْ بِالْفَضِيلَةِ حَسَنًا أَنْتَ زَائِنُهُ
إِنْ كَانَ حُبُّكَ أَقْصَى عَنْكَ لِي أَمْلَأُ
أَنْتَ النِّعِيمُ وَأَنْتَ السَّعْدُ مَنْعُطًا
وَأَنْتَ كَالدَّهْرِ لَا يَرِثُنِي لَدَى ضَرْعٍ
يَا مَرْخِي اللَّحْظِ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ خَفَرٍ
أَسْأَلُ النَّفْسَ فِي أَمْرِ يَرَادُ بِهَا
يُنْأَى وَيَدْنُو كَمَا شَاءَ الدَّلَالُ لَهُ
فِي أَسْرِ الْقَلْبِ فِي جَدٍّ وَفِي لَعِبٍ
أَهْوَاهُ وَالْحُبُّ يَدْلِي لِي بِمَعْذَرَةٍ
فَإِنْ تَنَاءَى فَمَا فِي هَجْرِهِ سَرْفٌ
يَتْلُو عَلَى الْقَلْبِ فِي دَلٍّ وَفِي خَفَرٍ
فَلَا يَشَارِكُنِي فِي لَوْعَتِي دَنْفٌ
جَاءَ الْخَيَالُ مُضِيئًا فِي الدَّجَى مَرْحًا
إِنَّ الظَّلَامَ عَلَى الْعَشَّاقِ مَوْثَمٌ
أَرِيقُ فِي الدَّمْعِ مَا يَعْيِي الْفُؤَادُ بِهِ
وَالدَّمْعُ أَخْوَنُ مِنْ تَرْجِي مَعُونَتِهِ

فَمَا لِحَسَنِكَ لِمَا طَابَ أَظْمَانِي ؟
يَحْنُو عَلَى ضَاحِكِ اللَّأْلَاءِ رِيَانِ
مَا كُلَّ حَسَنِ يَعْفُ الذَّيْلُ فِتْنَانِ
رَحِبَ الْمِرَامِي فَإِنَّ الذِّكْرَ أَدْنَانِي
وَوَلَّ عَيْشَ مِنَ الْإِحْسَانِ فَيَنَانِ
وَأَنْتَ كَالْحَظِّ فِي مَنَحٍ وَحَرْمَانِ
مَاذَا تَرَكْتَ لِلْحَظِّ الْآثِمَ الْجَانِي ؟
مَاذَا تَعَالَجَ مِنْ شَوْقِي وَتَحْنَانِي
لَعِبَ التَّسْلِيمِ بِأَزْهَارٍ وَأَغْصَانِ
وَيَشْعَلُ الْوَجْدَ فِي وَصْلِ وَهْجَرَانِ
مَنْ حَسَنَهُ وَجَفَاءَ الْهَجْرِ يَلْحَانِي
وَإِنْ تَدَانِي فَسَمَحَ غَيْرَ مَنَانِ
أَيُّ الْجَدِيدِينَ مِنْ حَسَنِ وَإِحْسَانِ
وَلَا يَشَارِكُهُ فِي حَسَنِهِ ثَانِي
فَكَيْفَ يَصْدُقُ مَا غَالَى بِهِ مَانِي (١)
طَبَّ بِأَدْوَاءِ آمَالٍ وَأَحْزَانِ
إِنَّ الدَّمْعَ عَلَى الْأَحْزَانِ أَعْوَانِي
فِي أَغْيَدِ بَحْيَاءِ الْوَجْهِ غَصَانِ !

(١) ماني : هو رجل يزعم أن الليل إلها هو إليه الشر .

الكبير والمجد

أهاب بيباغى المجدِ كبير مضلل
وما الكبيرُ إلا ثغرة يلج الأذى
إذا ما رمى الرامى به جنة العدا
وما الكبيرُ إلا صنو كل جريمة
فلما دعاه الكبير طاح به الهوى
يرود مراد الغى حتى إذا عنا
وما والغ هاب الرجال نيوبه
بأرغد عيشاً من كريم مواع
وما الكبيرُ إلا داء من يتسوقل^(١)
إلى المرء منها فهو نصل ومقتل
تغلغل فى أحشائه منه منصل
وداء نبا عنه المداوون معضل
إلى حيث هاب العاقل المتأمل
له آخر الأهواء جسد أول
يعمل من الأهواء دهرًا وينهل
له من رجيح الرأي درع ومعقل !

إلى صديق^(٢)

ليس الذى الهجران من هفواته
ألفيت عتبك يا مراد كأنه
فإذا ضربت به أصابك نصله
أصرفت عنا أم عرتك ملالة
بمعاتبى يوماً على الهجران
سيف له حدان مستنونان
فمصيبتى كمصيبة المطعان
أم أسكتتك طوارق الحدثان ؟

(١) التوقل : العلو والارتفاع . (٢) هو الصديق الجليل محمود مراد « كان أستاذًا بالمدرسة

الخدوية الثانوية بالقاهرة ، كما كان أديباً فناناً ، ومؤلفاً للمسرح ، وتوفى فى الشباب » .

اعذر أخاك إذا تقاربَ خطوه
ولأنت تعلم أننى ذو منطقٍ
بينى وبينك يا مراد مسافةٌ
إنى يذكرنيك خفق أضالعي
فأخوك مثل أبى عبادة لم يجد
فى الشعر أو أعبى على بيانى
يأتى السميع بأحسن التبيان
تنسى الملول أوأصر الإخوان
إن الفؤادَ لدائمُ التحنان
(قلباً يشايعه على الهجران) !

الزوجة الغادرة

« قصة »

أى شىء يهفو بلبك عن وصـ
قائماً فى النعيم مثل مقام
لا تعد لي ذكر الغوانى فإنى
كلُّ حسناء فى لحاظى عظام
أى شىء أصمى صباك بسهم
استبق نهزة المجد إلى صفـ
كل خلوٍ من الخطوب مُبرأ
عش بخير ولا يضرك يأسى
إن قلبى من ذلك اليأس دامى
لِ الغوانى وعيش أهل الجدود ؟
طالب الرى فى جوارِ الغدير ؟ (١)
لم أكن عند ذكرها بجليد (٢)
عاريات من البهاء المنير
فأراك الجديدَ غيرَ جديد ؟
و زمانٍ فينان رغد نصير
ليس يدري مضاضة المكدود
إن يأسى على الحياة نصير
ودموعى أودى بها مجهودى

(١) هذا كلام رجل يعاتب صديقه على عبوسه ويأسه : أى أنت قائم فى النعيم ولكن لا تروى ظمأك منه .

(٢) هذا كلام الصديق يرد على من لامه .

أنت منى بمنزل الحب والو

د وماوى سرى ونجوى ضميرى

* * *

كنتُ فى صحّة من العيش دهرًا
لا عبًا بالنعيم لعب نسيم الـ
فألاحت لى الخطوبُ لحينى
ولجت فى الصميم منى ونالت
فرايتُ الحياةَ بغية من يهـ
وتمادى بى الغرور فيالهـ
عينت موعداً فبتُ أناجيهـ
فأزحتُ الرتاج أنظر ضيفى
فإذا طارقى أخى صنو نفسى
جاء يسعى سعىً اللهيف ويهتزُ
قال والدمع ملء عينيه واللحـ
إنَّ « أسماء » لا تحبك فاستقـ
هى روحى التى أعيشُ بها وهـ
وهى ماوى من مناهضة الدهـ
قلت والدمع كاشفٌ ما أداريه
ووجيب الضلوع يدعو إلى الظـ
يا ابن أُمى ومن أرجى له عيـ

أتمنى زيادةً المستزيد
روض يشدو فى الروض شدو الخريـ
بفتاة كـبغية المستجيد^(١)
ما يشاء الهوى بدلُ غريـ
وى ، وإنَّ الهوى قرينُ الخلودِ
فى على نشوة الهوى والغرورِ
هـ إلى أن دعا نذيرُ الوفسودِ
وسرورى من اللقاء سرورى^(٢)
ونصيرى على المنى وعقيدى
اهتزاز المحموم والمقرور^(٣)
ظُ شريدٌ فى إثر دمع شريد
جل بحزم فواقـ المقدور^(٤)
سى سقائى الذى به زهو عودى
ر ومنجأى من رجام القبور
وصوتى صوتُ القوى الجليد
نَ بما تحتوى ضلوعُ الصدورِ
شةً مستجمع الهوى مجدود

(١) ألاح بالشئ : أشار به .

(٢) الرتاج : ما يغلّق به الباب .

(٣) المقرور : الذى أصابه البرد .

(٤) الفواقـ : المصائب الكاسرة الظهر .

تلك « أسماء » أقبلت تنهادى
إنَّ حَسْبِي لَكَالرياحِ إذا هَا
فاستبينى « أسماء » رأياً رجيحاً
واعلمى أننى خلصت خلوص الـ
نافضاً عنى الغرورَ كما يند
فرمتنى بلحظةٍ هي كالسهـ
ثم قالت والدَّمْعُ يطرده الد
تحسبان العروسَ مثل إماء الـ
أى شىءٍ يجنى أخسوك إذا ز
فدعانى أخى وقال : أقلنى
أين كانت رجسولتى وإبائى
سفها أن أرومَ غيرَ رغيـ
قدك إنى راجعت حلمى ونادا
ثم أهوى إلى الرتاج فأجرا
ومضى يمتطى الطريقَ بعزمٍ
فبقينا نجرى العتابَ ونستد
وعقدنا عقدَ الزواجِ وثيقاً
ثمَّ جاءت من بعد ذلك أيا

فى خمارٍ من حسنِها المستنير
جت زماناً فطيشها الركون
وأعينى أخى بحب طهور
حُرٌّ من سرِّ حسنك المعبود
فض ليثٌ عنه هباءُ الضفور
ثم إذا ما استوى بقلب المصيد
معُ على خدَّها طرادُ المغير :
سوقِ تشرى بصرةٍ من نقود !
وَج من لا تقره غير النفور^(١) ؟
إنَّ ذنبى ذنبُ اللئيمِ الحسود
وامتناعى على بنات الدهور ؟
وشجى أن أحبَّ غير ودود^(٢)
نئى عزمِ طب بداءِ الأمـور
ه قليلاً بهزة الإقليد^(٣)
مسترابِ الإقدام والتشمير
فعُ صولاته برأى سديد
ونعمنا بيومه المشكور
م كرامٌ كحلفنا المعقود

(١) تقره : تعطيه وهى من قرى الضيف : أطعمه . (٢) الرغيـب : المحب الودود .

(٣) الإقليد : ما يفتح به الباب .

فخلصنا نعيمها كإغتيال الـ
بينما نحن في رواءٍ من العيش
جاءنا زائراً أخى مستنير الـ
ضاحكاً كالصباح ممتلئاً بشـ
فلقيناه بالبشاشة ، والتر
وأفضنا عليه من كرم العيش
ورعيناه آمناً مأموناً
كنتُ يوماً أرقى من السلم الأعـ
فإذا خادمٌ صغيرٌ أتى يهـ
ثم قال : استمع حديثي وانظر
قد سمعتُ خلفَ بابٍ من الأبـ
رية البيت في يديها سقاء الـ
قالت : اهدأ دعني أدوف له السـ
قد أتاني هواك في غفلة عنـ
أنت روحى التى أعيش بها فاسـ
أى شىء هداً الأضالع منى
كلما رمت أن أقول مقالاً
فسولجت الأبواب ممتلىء السـ
نحن حول الخوان ننتظر الطعـ

طفلٍ عينَ المولى لقطف الزهور
نفطى بظله الممـدد
وجهٍ طلقَ الجمالِ جمُّ النور
رأى كريم المرأى نضير العود
حبيبٌ فى طيبه كنفح العبير
نعيماً ما إن له من مزيد
مستفز الضحكات جم السرور
لى بقايا إلى مكاني تودى
تنزُّ من خوفه اهتزاز الوكور^(١)
سیدی ما ترى بخطبٍ جديد
وابٍ يا هول ما جرى فى الخدور !
سمُّ والضيفُ خلفها كالعقيد^(٢)
مُ وأبغى غفرانَ ربِّ غفور^(٣)
لك فلم ينعد له مجلودي
تبق روحى معى وكن لى أميرى !
ودهانى بهزة الرعديد
ضلُّ فى منطق الغلام الصغير
مع طنيناً من رعدة المزود
حمة مما قد هيات فى القدور

(١) أى اهتزاز عش العصفور إذا هزته الرياح .

(٢) العقيد : الحليف .

(٣) أدوف : أمزج .

وهي قد أفرغت لى السم في كور
ثم غافلتها وأفرغت كسوبي
ثم نلنا من الطعام بلاغاً
ثم جاء اليوم الجديد فنامت
فعل السم فعله في حشاها
كلما جننى الظلام أتت تط
بى وقامت تمر غير بعيد
فوق مساء بكوبها منزور^(١)
وشربنا بسرأ من التصريد
زوجى الرود نومة المقبور
ودهاها من الردى بقسيود
رق فى شملة الظلام سريرى!!^(٢)

كلمات النفس

وطوراً أكون كبعض الهبا
وطوراً أكون كذات القلو
وطوراً أكون كأرجوحة
وطوراً أكون كفصن الجنى
وإن الجسم غداء النفوس
ورب نفوس تُعنى الجسم
وللكون روح وهذى النفوس
يحللها الموت تحليله
ع لبح به العاصف الشائتر
ع هم بها الهائج المائر
يرجرجها طفلها الجامح
يميل به الثمر الصالح
س وإن النفوس حياة لها
ورب جسم تُعنى بها
س أجزاء من بعض أجزائها
وتحيا النفوس بأزيائها

(١) منزور : قليل . (٢) أى كلما جننى الظلام رأيت خيالها أتياً إلى فراشى .

فيا عجباً كيف نرجو الحياة
ولو عرف المرء معنى الحياة
وما ساءه مثل وخز الضمير
وقد يخز الشرُّ روح الغبيُّ
وجهل النفوس بكنه النفوس
فهل يعرف الغيبَ حتى سواء
ولا يعرف المرء معنى الحياة
لما جهل المرء سرَّ الممات
ولا ضره مثل موت الضمير
كما يخز الدودُ أهل القبور
سِ مِ مبين لها عن وجود الإله
وهل يفقه الكونَ حتى سواء ؟

عتاب

سهوتم كسهو الموتِ عنا وفيكم
أحبابنا لم ينقض الدهر مرتى
ولكن آمالاً إليكم نوازعا
هنيئاً لكم ذاك التقاطع والجفا
لقد كنت أرجو أن يشوب ضميركم
حبيبٌ إلينا مثله ونصير
فإني على ريب الزمان صبور^(١)
دهتها أمور منكم وأمر
فكلُّ حبيبٍ بالجفاء خبير
إلينا وكلّ لا يشوب ضمير

(١) المرة : الشدة .

المقاطيع

النفوس الضئيلة

أدور بعينى لا أرى غير أنفسى ضئال المنى والسعى فى ضعة القمل
فهم يمدحون الخير من خوف سامع وهم يهجرون الشر خوفاً من العذل

مصر مهده العلوم

كنت مهده العلوم والذهن طفلاً كنت أمّ النعميم وهو وليد
هل يعود الزمان بالعز والملك وماضى الحياة أنى يعود ؟
نحن نرجو من الحظوظ معيناً كيف تحنو على الضعيف الجدود ؟
هل فعال تجلو عن الهمم العج رز ورأى جم السداد حميد
كم يعيد النصيح نصحاً وما يو دى بضعف فى أنفس ما يعيد !

عظم الشر وعظم الوجود

كل ما فى الوجود مما يريق الـ لدمع أو يستميح شجواً الرحيم
كل غدر وقسوة واحتيال واجتنرام ولوعة وهموم
كل شر مهما تعاظم ، لوقيه من بشأن الوجود غير عظيم
عظم للهـموم غطى عليه عظم للحياة غير ذميم

الطبيعة

تعالوا بنا نعط الطبيعة حقها من البث والإجلال والصلوات

فقد زعموا أنَّ الحياةَ رزِيئةٌ إذا لم تنل ساعاتها الحسناتِ
وقد حركت تلك العصافيرُ شجوناً بوقع غناءٍ لِيَنَّ النفسماتِ

نصير الظالم

غلوا يدَ الجبارِ في غلوائه فبكم يصولُ إذا أراد ويظلم
إنَّ الذي اتخذ الظلومَ وليه أظنى إذا عدَّ الطغاةَ وأظلم !

المتعصبون في الدين

يتهارشون على العقيدةِ ضلَّةً فعلَ الكلابِ على خبيثِ المطعم
إنَّ العقيدةَ في الضميرِ مكانُها ليست بتحريكِ اللسانِ ولا الفم !

أسف على الأسف

كم قد أسفت على الدنيا وباطلها فما أسفت على شيءٍ سوى الأسف !
وكم سخرت من الأقدارِ في صلفٍ فما ندمت على شيءٍ سوى الصلف !

سوار ومعصم

معصمٌ ناعمُ المجسُّ لطيفُ الـ صنع يحكى لطفَ التسييمِ أصيلاً
وكأنَّ السوارَ وكُلَّ بالمعـ صم خَوْفاً عليه من أن يسيلاً !

الكاذب

قد عالَجَ الكذبَ حتى إنه رجلٌ لو عالَجَ الصدقَ يرجو قوله خاباً !
لو واقعَ الصدقَ يوماً عده خطأً منه فكان على حاله كذاباً !

ضحكة الفاتن

يشكو إليك القلبُ من لوعةٍ لو ذقتها كنت الغفور الرحيمُ
وكلماً أفصح عن شجوهٍ ضحكت سخرأً ودلاً قديمُ

يا ضحكة الفاتنِ كوني جوى فى الكبد الحرى وشجواً أليم !

المال والحجى

لعمرك إنَّ المالَ حملٌ على الحجا ولكنه حملُ الظعينِ المزودِ
إذا هو لم يحمله آله الطوى وفى حمليه جهدُ المجدِّ المسهدِ !

أنين كأنين الريح

رحم الله محباً والسها لم يجد عن حبكم وجه المآبِ
إنَّ مما نابيه من هجركم كأنين الريح فى الربع الخراب
أنا أهواك فهل ترحمنى إنَّما يرحم مذكو التصابى !

الحياء الكاذب

بعضُ الحياءِ هو الرياءُ وربما لبسَ الحياءُ مخادعاً ومناقضُ
ينأى بمكذوب الحياءِ سفاهةً عما يحث به الحياءُ الصادقُ !

سوء الظن

لا تعد الظن رأياً صادقاً يفتح الظن مغاليق الحمام
هو كالأخفش فى الحاظه لا يرى الأشياء إلا فى الظلام !

القدرة والرجاء

ومن شقوة الإنسان أن اقتداره ضئيلٌ وما يرجو من العيشِ واسعُ
فلو كان ما يرجوه دون اقتداره لهان عليه سؤله والمطامع

هاب الموت

متعلق بالعيشِ يرجو صفوه كتعلق الطفل الرضيع بأمه
يخشى مجالدة الحوادثِ عزمه والخوفُ ينقض عقدة من عزمه !

ربح وخسران

إذا بلغ المرءُ الغنى كان خاسراً بنيل الغنى قدر الذى هو كاسبه
فيربح حالاً لدنة الوجه غضة ويخسر شيئاً خافياً عزَّ حاسبه !

دافع الشرب بالظن

ومتقٍ بالظنونِ الشر يكلؤه دهاهُ بالشرُّ ذاك الظن من أمم
ومنزل الظنِ فى صدق وفى كذبٍ كم طرح العين بين الفجرِ والظلم !

السعادة

إنَّ السعادةَ لم تسلس لطالبها كربةَ الديرِ لا تحنو على رجلٍ
كلتا هما عفةُ الأذيالِ طاهرةٌ لكنَّ فى المنعِ مزجاةٌ إلى الأمل !

مالك كفاقد

أيا باكيًا يخشى زوالَ محبٍ من التلد لا تدنى إليه مسالكه
كأنك لا تبكى لخوفِ افتقاده ولكنَّما تبكى لأنك مالكه

الإحسان

كم يضئ الإحسانُ فى عالم الشرِّ ضياءَ المصباح تحت الظلامِ
فيه برءٌ لكل داءٍ ولو كا ن عقاماً جمُّ الأذى والعرامِ

الود الصحيح

حبيبك حبى للضمير إذا دعا فؤادى إلى حبِّ الفضيلة والخيرِ
وإننى لأرجو فى إخائك لذةً كلذة أهل الراى فى حسن الفكرِ

هائب الحياة

لا يهابُ الحياةَ إلا جبانٌ لم تعنه على الحياةِ الجردودُ

إن من لا يخشى الحياة خليقٌ أن يردَّ الخطوبَ وهو جليدٌ

رغبة في العيش

ولولا رجائي أن أقولَ مقالةً تعودُ بخيرٍ أو تُعينَ على شرٍّ

لما كان لي في بسطةِ العمرِ رغبةٌ ولم أحمدَ الأيامَ أن زيدَ في عمري

غناء يصم

سمعنا غناءً ما سمعناه رغبةً ولكن لأمرٍ في الحوادثِ مقدورٍ !

تغنيتَ حتى مادت الأرضُ تحتنا كأنك إسرافيلُ ينفخُ في الصورِ !

إراقة العمر

لو كان عمري كأسَ خمرٍ في يدي ورنتَ إليَّ بطرفِها الفتانِ !

لأرقنته طرباً ومن لي أن أرى لحظاً يروح بفضلةِ النشوانِ

اسم ممزق

إذا ذكرَ اسمي حسودٌ لثيم ومزقه بين أسنانه

أبى لي احتجازي وكبر حميد هجو امرئٍ عبيد أضفانه !

عتاب

ألا بعض هذا الذم إن كنت حازماً فما الذمُّ مما قد كرهت بماعى

لعلك يوماً أن تشوبَ إلى الرضا فتعلم أنى بالرضا غير قانع !

سلوة في جمال الطبيعة

أليس يسليك عمن صده ملل هذى الأزاهير أو تلك العصافير ؟

يروح كلُّ جليدٍ في تجلده وأنت في كفنٍ الأحزانِ مقبور !

* * *

شفة

شفةٌ تحلت باللمى فتبيت تحلم بالقبل !
غالى بها رغد النعيم وفوقها هبط الأمل !

إله الرعد

فى خرافات الوثنية

رب البوارق تزجىها مشفعة بالرعد يضحك ضحك المرء من ألم
أنزل على الزرع ما نرجوه من ديم واحبس عن الناس ما يخشى من النقم
إنى لمحتك والأنواء داجية يضىء لى فيك سرٌ غير مكتم
فأنت كالناس فى حلم وفى غضب وأنت كالناس فى بخل وفى كرم

لذة الحب

حرم الناس لذة الحب جهلا وأقاموا العذال للعاشقين
جهلوا أنه المعين على العيش المزيج الأسى عن الفساقدين
متعة للفراد والجسم فيه متعة العاشقين والفاتنين

حجة المستجدى

شقيتم بإقبال النعيم وشقوتى بإدباره إن الشقاء فنون
شرقتم بصفر العيش لو قد تبللت لهاتى به كان الشقاء يهون

عتاب

نعمنا بكم حيناً فلما صدفتكم ثكلناكم ثكل الفتاة رضيعها
كما أفلتت من قانص الدرّ درة وقد أمنت أطماعه أن يضيعها

الكسل وصاحبه

يحجم حتى كأنما خشيت أعضاؤه أن يموت فى غده !

فيمدرك الشئ غير طالبه ولا ينال المكسوب في يده
وراعه أن ينال ما ضمنه ممسعي فيشقى بقول حاسده
يود أن الأقدار تسعده فيغتدى شاكر المسعده
يحسب أن الأقدار ما خلقت إلا لتجرى بنسج مؤدده

المجد والفخر

يطلب المجد كي يصح به العيب ش وقد يبتغيه للفخر باغى
فإذا ما رآه خلوا من الفخ سر طواه عنه القلى والتنائى !

الوسائل والغايات

إن الوسائل والغايات ما اشتبهت على امرئ فدواعى الطيش فى العمل
فإن من جعل الغايات واسطة أو الوسائل غايات من الأمل :
لم يستقم سعيه من حيث يمه وعاقه جهله عن دقة الحيل

العزيمة المضللة

لعزم ذوى العزم المضلل بالغ من الحزم ما لا يبلغ المتردد
ففى العزم إصماء وفى السعى قدوة ولو كان سعياً شارداً ليس يحمد
فقد يخطئ الإنسان ما هو طالب ويصمى من الأشياء ما ليس يقصد

سبر غور الرأى

من شاء أن يسبر آراءه فليجعل الفعل لباساً لها
فالرأى ميت والمعانى لقي إذا المساعى عيف إصدارها

الخرافات

أولع الناس بالخرافات حتى أسكنوها العقول حصناً حصينا

كلما قيلَ قد مضت أو شكت في خير آراءٍ خيرهم أن تبينا

الرحمة تهدي إلى صحة الرأي

وما الرحمةُ الغراءُ إلا وسيلةٌ بها يستفادُ الرأيُ والرأي ثاقبُ
وما غلظ الأكبادُ إلا نقيصةٌ تُضِلُّ ذكاءَ المرءِ والحقُّ عازبُ
يرى غررَ الأشياءِ لا يستبينها إذا بان منها جانبٌ غاب جانبُ

حجة الأتقياء

يا مَنْ يعيب علينا أننا نفرُّ بهود الخلائقِ لعانون للقدَرِ
هلا شربتَ من الكاسِ التي أخذت منا مأخذَ من سمعَ ومن بصر ؟
كأس من البؤس لم ترؤف بشاربها دافت لنا السم في حالٍ من الغير !

عزم في الشر

وأصدقُ الناسِ عزمًا وهو ذو أملٍ في الشرِّ يبلغ منه كلُّ ما بعدا
أحقُّ بالمدح من مستضعفٍ تعسٍ مقلقل العزم لا يصمى الذي قصدا
يرجو الفضيلةَ لكن لا يعالجها ويطلبُ الخيرَ لم يمدد له مددا

العقل والخلد

إنَّما العقلُ خالقٌ جعل الخلدَ له في القضاءِ أمر الحكيم
أبدًا يبرز الذي حاجسة النا من إليه من حادثٍ وقديم

وظيفة الإنسان في الحياة

خلق الإنسانُ كي يمهّدَ ما عاقَ عن مسعاه من هذا الوجودِ
فهو حرٌّ ما سعى في نهجه يدرأُ العائقَ بالفعل الحميدِ
وهو عبدٌ ما ازدهتْه حالة فنبا عن خطبةِ الرأي السديدِ

حياة الإنسان

كأن حياة المرء حسناء أرمل إذا قيل ساءت حالها طاب حالها
لها شافع يدعو إلى الحزن حكمه وآخر يخشى أن يزول جمالها !

عدو الفضيلة

إذا أنت لم تُعطِ الفضيلة حقها أصابك من رجس الرذيلة عائب
وما كنت إلا قاذف الريح بالثرى لوته عليه الريح والترب تارب
ألم تر أن الشر مغرى بربه يغالبه عن نفسه وهو غالب ؟

الأديب والشقاء

ألا إن آلام الأديب لنفسه صقال وإن النار صاقله العضب
ألم تر أن القسوط ليس بحلية على الأذن حتى تألم الأذن بالثقب ؟

الحسن والغرور

عابوا عليها غرورها سفهاً كل جميل بالعيش مغرور
الحسن فضل ، وكل منفرد بالفضل جم الدلال مسرور

حب التقدير للعيش

حبب العيش للتقدير مساعٍ ساميات ومطمح واختبار
فلديه الحياة نهضة نجح وابتغاء الحمام خذل وعار
إن حب التقدير للعيش جود واصطبار وهمة واقتدار

كاذبان

ونبئت أنى ماذح غير ماذحى رقيباً على الزلات يومعنى لوما
لعل كلينا كاذب في مقالته أقرظه ظلماً ويشتمنى ظلماً !

رباعية من رباعيات عمر الخيام

الشاعر الفارسي

إِرمٌ قد عَفَتَ وصوْحُ قَدَمًا في رباها الربيعُ والزهرُ
كأسُ جمشيدٍ قد مضت حيث لا حية لست لدينا من أمرها خبرُ
لكن الكرمُ لا يزال جوادًا برحيقٍ حبيبٍ به دُرُ
ولنا منزلٌ من الروضِ فينا نَ تروى أزهاره الغُدرُ

رباعية أخرى

هاج للقلبِ جدة الحول أشجا نأ لديه قديمة العهد
تأنسُ النفسُ بالتفردِ والخلد سوة في ظلِ حاله الرغدِ
حيث تحكى الأزهار راحة موسى في بياض النوارِ والوردِ
ولها نفحةٌ كأنفاس عيسى باعثات للميت من لحدِ

رباعية أخرى

هات لي الكأسَ يا حبيبي دهاقًا لا تطع عائبًا كؤوس العقارِ
إنَّ ثوبَ الوقارِ ثوبُ شتاءٍ ليس يغني في الصيفِ ثوبُ الوقارِ
انض عنك الوقارَ وارم به في جمراتٍ للقيظ مثل النارِ
إنما العيش طائرٌ بين غصص سنين فخذ مآخذ المستطارِ

شكوى

أما ترى البدرَ يا حبيبي كأنه في الهوى رقيب؟
والنجمَ حيران مستفزًا يضارع القلبُ في الوجيبِ
والسحب ترخي عليه سترًا كأنها هيئة المريبِ

والليل بالأفق مستقراً	كأنه عيشة الأديب
ما أشبه اليأس بالرجاء	لو دام ما كان يا حبيبى
وأشبه السعد بالشقاء	إن لم أجد فى الهوى نصيبى
وأشبه الحب بالعداء	إن كنت فى الحب كالرقيب
مصيبة العين بالبكاء	مصيبة القلب بالوجيب !

الحب والجمال

عندى من الحب يا حبيبى	قدر الذى فسيك من جمال
فالقلب أسوان فى وجيب	وأنت جـذـلان فى دلال
ورب ظمآن من لغوب	يغص بالبـسـارد الزلال
ورب ولهان مستثيب	أصلحه غائص النوال !

الأديب المتكلف

يبيت طوال الليل يقدح رآيه	كما قدح المقرور صخر زناد
يعالج فى نسج القريض قصيدة	كأن له فيها أشد جلال
فيأتى بها كالبكر قد طال حبسها	تحدث فينا عن ثمود وعاد
يقلب فوق الفرش جنباً كأنما	يحك به فى الفرش شوك قتاد
ويزحر كالحبلى إذا آن وضعها	ولكنه زحر بغير ولاد !

الثأر

هل الثأر يحيى الميت بعد هلاكه	أم الثأر يشفى غلة الميت فى القبر ؟
ألا إنه يحيى العداء ويعمر الـ	قلوب بأضغان عقاربها تسرى
فلا تحسن الذنب بمحور أخأله	ولا تحسن الشر يدفع بالشر

شكوى الزمان

أعيزك من شكوى الزمان فإنها تمر حسياء المرء وهو طلوبها
فأحسن من شكوى الزمان احتقاره إذا عدوات الدهر غالت خطوبها !

خلوة

يا خلوة لى بالحسناء أذكرها بالليل ، والليل والحسناء من أملى
وكلما لمست كفاى راحتها وقمت ظمآن أبغى رشفة القبل
تقول إياك إن البدر ثلثنا يرنو لنا بلحاظ الشك والعذل !

العذر فى الهجر

لم يكن عن زهادة ذلك الهجر ولكن هى الحوادث تُنسى
تخطى إلى من حيث لم أذ نب فأغدو ما بين طرسى ورمى !

نظرات مسالك

إذا شئت أن أنساك مما رميتنى به ، كيف أنسى أننى لك عاشق ؟
وما نظرات العين إلا مسالك إليك وإن عاقتك عنى العوائق !

كاذب أبداً

لام قوم أنى وصفتك بالكذ ب مراراً ومرةً فيك تكفى
ويك لو أننى وصفتك بالكذ ب على سبحة لقصر وصفى !

الحب والهجر

يا وصولاً فى التدانى ووصولاً فى التنائى
وحبيباً ليس يجزى عن إخفاء بإخفاء
وحليف النأى والغد ر ودل وجففاء

ومطولاً للتراضى وعُدوا للرجاء
لك فى القلب مكان ليس يطوى من عفاء
غدير أن الغدر داء لا يداوى بدواء !

ذم الشتاء

جاء الشتاء وجاءتنا غياهبه كأنها نكد فى قلب متعوس !
ترى المدينة لا يمشى الضياء بها كأنها قطعة من وجه إبليس !

عتاب

نعمتم بهجر قد شقينا بطوله فلا تحسبونا فى الوداد سواء
هنيئاً لكم هجرانكم ونزاعنا إليكم وإن كسان الملام هباء

لكل دهر إمام

لكل دهر إمام قائم أبداً يبين للناس معنى الصدق والكذب
وليس ينسخ ما جاء الأخير به معنى تمادى على الأيام والحقب !

صبر فى الأمل وصبر فى اليأس

طموح ويأس لا يرى المرء فيهما سوى الصبر خلقاً كابحاً من جموحه
فصبر يُعين المرء فى حين يأسه وصبر يُعين المرء عند طموحه

إذا أكرمت اللئيم أهنته

إذا أنت أكرمت اللئيم أهنته بفعل حميد ناقد لفعاله !
يرى الحمد عبثاً لا يقوم بحمله فكيف يردُّ الحمد غدر نباله ؟

صاحب الغيبة

وأكثر الناس غيباً للرجال فتى جم العيوب إذا بيئت باطنه

يظن أن عيوب الناس ماحيةً محو البراءة ما قد بات ضامنه !

الوليد

لكأن الوليدَ عريان عند الـ موضع تخفى الأقدارُ عنه بضيرِ
تاجر عارضت مساعيه ريحُ ورمته الأمواجُ فوق الصخورِ
فهما خاسران قد ربحا العيـ شَ بجاهٍ جذبٍ وجدٌ عثور !

الدهر بحر

وإنما الدهرُ بحرٌ لا انتهاءَ له والناسُ غرقاه والبؤسى دواهيـه
وما أخالُ حياةَ المرء فيه سوى سفينةٍ غفلت عنها عواديـه
حتى إذا الحدث المقدور ناهضها بارت بوارَ المساعي في طواميـه !

الحسنة ومراآتها

لا تحسبى أن قد رأيت الذى فى صفحةِ المرأةِ مطبوع
فالعجبُ قاضٍ والهوى جائرُ وإنَّ طرفَ العينِ مـخدوع

حلم

رأيتُ كأننا وسطَ روضٍ وفوقنا سماءُ هجير نال منه لهيبيها
خلعنا ثياباً قد شقينا بلبسها إذا جمرات الصيفِ غالت كروبها
وفى ساعدى راوٍ من الحسن ناعم له حركاتٍ أسر لى خلوبها
أضمُّ إلى نحرى محاسنَ جسمه وفى النفسِ حاجاتٍ بعيد قريـها
فنمنا على الأزهار جنباً لجانبٍ وقد غاب عن عين المشوقِ رقيـها

الجنة الخراب

أو

الشام في عهد الاستبداد

« من الشعر المرسل »

إن الشّام حديقةٌ فينانةٌ	تهفو بلبُ الشاعرِ الولهانِ
وكأنما نسجَ الإلهُ جنانها	شركِ النهي وحبالة الأهواءِ
من لى بيومٍ في جنانكِ صالح	يفديه عمرٌ في النعيمِ غبينُ
مدُّ الظلومِ عليكِ فضلَ عرامه	والظلمُ موتٌ للنفسوسِ ذليلُ
كالميتةِ الحسناءِ أدركها الردى	قبل استلابِ الدهرِ من آياتها
فتكاد تحسب في المماتِ حياتها	لولا افتقادِ تنفسِ الأحياءِ
فإذا رأيتَ رأيتَ ثمَّ محاسناً	نسجَ المماتُ لها غطاءً وقاراً !

اللائيم المستنبت

مههما تطاولَ بالنباتِ فروعه	فأصولُهُ في الأرضِ ذاتِ طرائقِ
وكذا اللئيمُ إذا ترفعَ قدره	غالى برأى في الفسولةِ صادقِ
ولئن أصيبَ العالمونَ بجأهه	فمصابه بالجأه أعظمُ بائقِ !

اليوم وغد

يسوءُك اليومُ فترجو غداً	إنَّ غداً ليس بيومٍ جديدِ
فانظر إلى أمسٍ مضى واستعن	منه على اليومِ برأى سديدِ

منظر

منظرٌ رائعُ البهاءِ جليلٌ يَطْبِي النَّاظِرِينَ مِنْهُ بِلَحْنِ
يَحْمَدُ السَّمْعَ مَا جَنَّتْهُ لِحَاطِي فَكَأَنِّي رَأَيْتُ ذَاكَ بِأَذْنِي !

كاذب لئيم

حياتُكَ كُلُّهَا كَذِبٌ وَعَمْرُكَ كُلُّهُ رِيْبٌ
لَقَدْ بَرَزْتَ فِي اللَّؤْمِ إِذَا مَا بَرَزَ النُّجُبُ
وَوَدُّكَ مَلْؤُهُ حَنَقٌ وَجَدَّكَ مَلْؤُهُ لَعِبٌ
وَفِيكَ عَنِ الْعِلَا جَنَفٌ وَفِيكَ إِلَى الْأَذَى طَرِبُ
وَفِي إِدْبَارِكَ الْأَرْبُ وَفِي إِقْبَالِكَ النَّوْبُ
وَكُلُّ رَذِيلَةٍ فَلَهَا إِلَيْكَ مِنَ الْخَنَى نَسَبُ
وَفِيكَ الشَّرُّ مَعَهُودٌ فَلَا خَيْرَ وَلَا أَدَبُ !!

عتاب الملك حجر

لابنه امرئ القيس

« من الشعر المرسل »

تَرِيقُ دِمَاءِ الْخَمْرِ جَبِينًا وَخَسَةً وَلَوْ قَدْ أَرَقْتَ الْمَاءَ كُنْتَ ظَلُومًا !
فَإِنَّ دِمَاءَ الثَّائِرِينَ كَثِيرَةٌ وَهَذِي السِّیُوفُ الْبَاتِرَاتُ صَوَادِي
فَهَلْ تَتْرَكَ الْمَصْقُولَ يَشْكُو مِنَ الصَّدَى وَتَهْنَأُ بِالْذَّنِّ الرَّوِيَّ شَرَابًا ؟

وإنَّ كريمَ الطبعِ ماضٍ بِظُمئِهِ
وكم من كريمات يعوى من الطوى
وما حبَّك الغادات إلا نقيصة
إذا واقع المرء المسود رذيلة
فإما أتاها سيد القوم ناله
كذلك شهب الطير إنَّ مسَّ ريشها
وإنَّ سواداً فى المداد مبقضاً
ألم تر أن الليل أستر للهوى
وما يدرك الشنعاء عاراً إذا زنت
وما يحفلُ الرائي إذا غاب كوكبُ
وما الناسُ إلا كالملوك فلا تعبُ
أتركنى بين الملوك كأننى
ومجدك من مجدى فكيف أذلته
وكم والدٍ أهدى إلى الذل ولده
وقد يحمدُ الإنسانُ عقبى ذنوبه
أليس قنيص العر يعدى قرينه
ومن سكن الوادى شكى من أتته

ومنج أخاه من أوار صداه
وفى داره الضيفُ الذليلُ عزيز
أصبت بها جاهى وكان صحيحا
أتاها ولم يشهد بذاك رقيب
من اللوم لفاح بكل حرور
مدادُ رمتها بالسهم لحاظ
لصنو سوادٍ فى الغراب معيب
وليس على وجه النهار نقابُ ؟
كما يدرك الحسناء وهى كعاب
كما يحفلُ الرائي لفقد هلال
على القوم أمراً أنت فيه ملوم
جنيتُ الذى تغدو له وتروح ؟
أست ترانى بالعلاء خليفا ؟
وكم ولد أهدى إلى الذل والدا ؟
ويشقى بما لم يجنه ويصابُ
ومن يقرب النيران يصلى لهيبها ؟
ومن يصحبُ الولهان يشقى بدائه !

واقعة أبي قير^(١)

« من الشعر المرسل »

ملكُ البحارِ أتى يَحْثُ سفينته
لَجَجٌ على لَجَجٍ يدبرُ أمرها
حتى إذا بلغت أبو قيرَ اعتلى
وسفائنُ الإفرنس تنكرُ أمرها
أننى رمى بلحاظه وجدَّ العدا
حيل يدبرها المُغَلَّبُ (نلسن)
كالطيرِ تسبَحُ في الفضاءِ الواسعِ
ثُبَّتْ وأَجْبَالٌ على أَجْبَالِ
علمٌ على أعوادها خَفَّاق
حتى أفاق أميرها المكدودُ
كالأسدِ حول فريسة المغوارِ
وكذا العداءُ خديعةٌ ودهاءُ

* * *

ياموقظَ النيرانِ من غفلاتها
إننى سمعتُك داعياً في صولةٍ
كم من غريقٍ في المياهِ ضريحه
قذفت به الأمواجُ من أمعائها
كم من جريحٍ زاد في آلامه
حيث الحياةُ حديقةٌ ، أحداثها
فيجود بالنفس العزيزة جوده
يالهدف للرجل المفارقِ أهله
ما حلُّ بالأحياءِ بعد مماته
ومحرَّكُ الأقدارِ من سكناتها
فأجابت الأحداثُ في وثباتها
ومقطعِ الأوصالِ والأحشاءِ
قذفَ المريضِ طعامه المردودا
ذكرى الزمانِ الناعمِ الفينانِ
نفحاتها ، ورياضها الساعات
بالأهلِ والآمالِ والأهواءِ
في غمرةٍ من دونها الغمرات
قد حلُّ بالمقتولِ قبل مماته

(١) « هي الواقعة التي حطم فيها أسطول نلسن مراكب نابليون الراسية في خليج أبي قير

عام ١٧٩٨ » .

وكذا الحياة إذا بلوت أمورها
يارب عيش في الممات منعم

* * *

ماذا أعدوا للشقاء وحزبه
الفقر بين ربوعهم ذو عدوة
تبني السفين بما يزيل خصاصة
والمال روح الكون حين تصونه
انظر إلى الأسطول بعد بهائه
قابيل في أرواحنا مستنكر
ماذا دهي الإنسان حتى إنه
هل بعد ذاك على فساد نفوسنا
لو يعلم المغرور يوم فخاره
لطفى وثار ونال من قواده
ويل القوى من الضعيف إذا طغى
أو لم يخبرك الزمان وصرفه

خدع السراب الراقص الخداع
ولرب موت في الحياة ذليل !

لما أعدوا للعداء عديدهم ؟
والجهل في أرواحهم فعال
ويبید فعل الجهل بالأرواح
إلا عن الوجه السديد الأقوم
قد صار أشلاء على أشلاء
متحكم متاسد متمادي
يتطلب الإصلاح بالإفساد ؟
نبيغى الدليل لمنكر ومماری ؟
إن الفخار خديعة لإسار
نيل الحديد من الأسير المصفد
ويل الضعيف من القوى العادي !
أن الدليل قنيسة الجبار ؟ !

نابليون والشاعر المصري

« قصة »

« من الشعر المرسل »

سدكت بنابليون سالبة الكرى
فى ليلة قلب اللئيم كقلبها
فإذا أراد الطيف أن يسرى بها
عبست فخال الأفق طلعة قاتل
وتنفست نفس المحب إذا قضى
هل أطفأتك يا كواكب ريحها
خرج العظيم يخط فى ترب العرا
ولو أن وجسه الأرض دهر واسع
يمشى وحيداً فى الخلاء وحوله
يرمى بعين النسر أرجاء العرا
فرأى على بعض التلال بقربه
متعمماً بعمامة مهدولة
فكأنما اتخذ الهلال عمامة
تجرى الرياح خلال لحيته التى
وتهزها حتى لتلطم وجهه
والنوم لا يعنوا لكل عظيم
زنجية قد عريت من حليها
منعت مهابتة الظلام من السرى
جهم المحيا رائع اللحظات
وحبيب به بحنينه لم يعلم
أم لم تضئك ملائك الرحمن !
خط المدلس فى تراب السطالع
كانت خطوط حذائه أحوالا
جيش من الآراء والعزمات
كالقناص الرامى بسهم صائب
شبحاً كما نظر المريض الهالك
متلفعاً بعباءة سوداء
ثم ارتدى قطعاً من الظلماء
صبغت بلون غدائر الشمطاء
لطم الرضيع عوارض الآباء

النارُ من الحَاظِهِ مَقْدُوحَةٌ
فِي كَفِّهِ عَوْدٌ ضَّئِيلٌ ، صَوْتُهُ
يَسْتَخْرِجُ الْأَلْحَانَ مِنْ أَضْلَاعِهِ
يَبْكِي فِيهِ هَتَّاجُ الرِّيحِ بِكَأُوثِهِ
لَمَّا رَأَى الْجَبَّارَ يَمْشِي قَرِيبَهُ
رَفَعَ الْغَنَاءَ وَمَرَّ فِي إِنْشَادِهِ
يَا أَيُّهَا الْبَطْلُ الْعَظِيمُ الْغَالِبُ
دَرْسَ النُّجُومِ فَلَمْ يَغَادِرْ غَامِضًا
وَلَهُ مِنَ الْجِنَّ الْكَرَامِ مَعَاشِرُ
كَمْ قَدْ سَقَيْتَ مِنَ الدَّمَاءِ طَمَاعَهُ
فِي كُلِّ جَرْحٍ مَقُولُ ذُو سَطْوَةٍ
وَلَسَوْفَ تَبْلُغُ بِالسَّيْفِ مِبَالِغًا
لَكِنْ سَيَعْقِبُكَ الزَّمَانُ وَصَرْفُهُ
فِي صَخْرَةٍ صَمَاءَ فَوْقَ جَزِيرَةٍ
يَسْعَى بِكَ الْجَبَّارُ مَعَى مُوَكَّلٍ
فَاسْتَلَّ نَابِلِيُونَ سَيْفًا مَاضِيًا
لَكِنَّهُ ضَرَبَ الْهَوَاءَ بِسَيْفِهِ
فَاعَادَ فِي الْغَمْدِ الْحَسَامَ تَخَوُّفًا

حَتَّى تَكَادَ تَشَبَّ فِيهِمَا يَنْظُرُ
شَكْوَى الْمَرِيضِ إِلَى الصَّدِيقِ الْعَائِدِ
وَالْعَوْدُ فِي تَحْنَانِهِ يَتَسَالَمُ
فَكَأَنَّمَا ضَمَنْتَ قُلُوبًا تَرْحَمُ
وَاللَّيْلُ يَسْجُدُ فِي غِلَالَةِ رَاهِبٍ :
مَرُّ النَّسِيمِ عَلَى الرَّبُوعِ الْخَالِيَةِ
أَرْحَ الْخَطِيئِ وَأَسْمَعَ نَبْوَةَ سَاحِرٍ !
حَتَّى أُتِيحَ لَهُ الْجَلِيلُ الْغَامِضُ !
يَأْتُونَهُ بِنَفَائِسِ الْأَخْبَارِ !
لَكَ خَيْرُهَا وَعَلَى سَوَاكِ خَرَايِجُهَا
يَدْلِي عَلَيْكَ بِحُجَّةٍ بَيِضَاءَ
تَدْعُ الْمَمَالِكَ فِي يَدَيْكَ بِيَادِقًا
زَمَنًا يَكُونُ بِهِ الطَّلِيقُ أُسَيْرًا
فِي الْبَحْرِ يَضْرِبُهَا الْعِبَابُ الْأَعْظَمُ
فَيُظَلُّ يَأْكُلُ مِنْ حَيَاتِكَ كَيْدُهُ
لَمَّا رَأَى الْعَوَادَ سَاءَ مَقَالِهِ
حَيْثُ اخْتَفَى الْمُتَنَبِّئُ السَّحَارُ !
وَمَضَى إِلَى أَصْحَابِهِ يَتَعَجَّبُ !

« تَم »

الجزء الثالث

أنشيد الصبا

وما الشعرُ إلا القلبُ هاجَ وجيبُهُ وما الشعرُ إلا أن يثيرَ مشيرُ
وللريحِ هباتٌ وللنفسِ مثلُها تغنى رُخاءُ فيهما ودبورُ

(من قصيدة « الشعر والطبيعة » لصاحب الديوان)

إهداء الديوان

صديقي الأعز:

الأستاذ الأديب والشاعر الجليل:

إبراهيم عبد القادر المازني

أهديك هذا الديوان هدية ود ، أنشدك فيه قول أبي تمام :

وقلتُ أخ قالوا أخ من قرابةٍ فقلتُ لهم إن الشكولَ أقاربُ
نسيبِي في عزمي ورأبي ومذهبي وإن باعدتنا في الأصولِ المناسبُ

كلمة لصاحب الديوان

فى :

العاطفة فى الشعر

إن روح الشاعر مثل آلة الغناء ، لابد أن تنتهى تهيؤاً خاصاً لكل نغمة من النغمات فيقصر بعض الأوتار ، ويطال بعضها ، ويشد وتر ، ويرخي آخر ، والشاعر لا يمكنه أن يهين روحه كذلك متى شاء . بل لابد من أسباب يتوخاها زمناً ، حتى يساعده الطبع فتتبعها نفسه ، ثم يوقع عليها ما يشاء وجدانه من الألحان . والشاعر الكبير لا يكتفى بإفهام الناس ، بل هو الذى يحاول أن يسكرهم ويجتهد بالمرغم منهم . فيخلط شعوره بشعورهم ، وعواطفه بعواطفهم . ولشعر العواطف رنة ونغمة لا تجدها فى غيره من أصناف الشعر . وسيأتى يوم من الأيام يفوق الناس فيه إلى أنه هو الشعر ولا شعر غيره . فالشعر مهما اختلفت أبوابه لابد أن يكون ذا عاطفة . وإنما تختلف العواطف التى يعرضها الشاعر . ولا أعنى بشعر العواطف رصف كلمات ميتة تدل على التوجع أو ذرف الدموع . فإن شعر العواطف يحتاج إلى ذهن خصب ، وذكاء ، وخيال واسع ، لدرس العواطف ومعرفة أسرارها وتحليلها ، ودرس اختلافها وتشابها ، وانتلافها وتناكرها ، وامتزاجها ومظاهرها وأنغامها ، وكل ما توقع عليه أنغام العواطف من أمور الحياة وأعمال الناس . فينبغى للشاعر أن يتعرض لما يهيج فيه العواطف والمعانى الشعرية . وأن يعيش عيشة شعرية موسيقية بقدر استطاعته . وينبغى له أن يعود نفسه على البحث فى كل عاطفة من عواطف قلبه ، وكل دافع من دوافع نفسه . لأن قلب الشاعر مرآة الكون فيه يبصر كل عاطفة جليلة ، شريفة ، فاضلة ، أو قبيحة مرذولة وضيفة .

والحياة فى نظر الشاعر الذى يعيش لفنه الجليل ، قصيدة رائعة تختلف أنغامها باختلاف حالاتها . ففيها نغمة البؤس والشقاء ، وفيها نغمة النعيم والجدل ، وفيها أنغام الحقد واللؤم ، والشر والندم ، واليأس والكره ، والغيرة والحسد ، والمكر والقسوة ؛ وأنغام الرحمة والجود ، والأمل والرضا والحب . فالشاعر الكبير هو الذى يتعرف كيف يقتبس من

هذه الحالات أنغامها ، ويصوغها شعراً . وهو الذى عواطفه مثل عواطف الوجود ؛ مثل الأمواج أو الرياح أو الضياء أو النار أو الكهرباء . وهو الذى يحكى قلبه الأركستر الكثير الآلات ، الكثير الأنغام . أليس الوجود أيضاً أركستر آلاته الناس ، وعواطفهم وأعمالهم ، والرياح والأمواج ، والطيور والحيوانات ؟ كذلك قلب الشاعر أركستر آلاته العواطف . ومن أجل ذلك لا ينظم الشاعر الكبير إلا فى نوبات انفعال عصبى ، فى أثنائها تغلى أساليب الشعر فى ذهنه ، وتتضارب العواطف فى قلبه . ولكن تضارباً لا يزعج نبضه طيور الأنغام الشعرية التى تغرد فى ذهنه . ثم تتدفق الأساليب الشعرية كالسيل ، من غير تعمد منه لبعضها بون بعضها . أما فى غير هذه النوبات ، فالشعر الذى يصنعه يأتى فاطر العاطفة ، قليل الطلاوة والتأثير . وإدمان الاطلاع أساس فى الشعر ؛ لأنه هو الذى يهى الطبع . أما انتقاء الأساليب عند النظم ، فدليل على أن الشاعر غير مهيء الطبع ناضج ؛ ليس فى أعصابه نغمة ، ولا فى قلبه عاطفة .

وإذا نظرت فى الشعر العربى ، وجدت أن شعراء الجاهلية وصدر الإسلام ، كانوا أصدق عاطفة ممن أتى بعدهم . والسبب فى ذلك أن النفوس كانت كبيرة ، والعواطف قوية ، لم يتلفها بعد الترف والضعف ، وغير ذلك من الصفات التى تطرقت إلى الأمة فى عهد الدولة العباسية ، وما بعدها من العصور ، التى أولع فيها الشعراء بالعبث والمغالطة ، والمغالاة الكاذبة ، والتلاعب بالألفاظ ، والخيالات الفاسدة . وشعر الأمة مرآة حياتها . فإذا كانت نفوس أفرادها كبيرة ، كان شعرها شديد التأثير ، صادق العاطفة . وإذا كانت نفوس أفرادها حقيرة ، كان شعرها ألفاظاً مرصوفة ميتة ، ليس فيها عاطفة . والعواطف هى القوة المحركة فى الحياة ، وهى للشعر بمكانة النور والنار .

الحب والموت

حنينى إلى وجه الحبيب جنونُ
أحبك لا حبي عليك بسببة
وحسنك يجلو النفس من كل ريبة
فجد لى بذخر من ودادك خالد
وإن ظنوني فى الحياة كثيرة
فواحسرتا لا لى إليك وسيلة
وقربك إشفاق وبر ورحمة
وكيف أرجى منك عطفاً ورحمة
ولم تدر أنى منك ضامر لوعة
عسى مخبر عما أعانيه فى الهوى
نهارى حنين واشتياق ولوعة
وما الدهر إلا البحر والموت عاصف
فلا تعصفوا بالهجر والبعد والقلى
تبشرنى الآمال بالقرب منكم
ويا ليت لى نهجاً إليك وحيلة
ويا ليت أنى مُقعد فى دياركم
ويا ليتنى شىء إليك محبيب

جنون يهيج القلب وهو شجونُ
ولا أن وجدى فى هواك يشينُ
ويطهر قلباً فى هواك طعين
فكل قليل من هواك ثمين
ولكن ظنى فى هواك يقين
ولا أن قرباً فى الحياة يحين
على مهجة إن لم تب ستبين
ولم يفش سر فى الضلوع كمين
ولا أن قلبى فى هواك رهين^(١)
فيؤمل خفض من رضاك ولين^(٢)
وليلى حنين فى الهوى وأنين
عليه وأعمار الأنام مسفين
فمالى على هذا الشقاء معين
فياليت آمال النفوس يقين
ويا ليت عطفاً من رضاك يكون
مقيم على صرف الزمان ركين
وأنت به طول الحياة ضنين

(١) ضامر أى مضمّر .

(٢) الخفض : رخاء العيش ضد الشدة .

ويا ليت أن القربَ ينصف والنوى
ويا ليت بى نوعاً من النحسِ واحداً
يغير صرف الدهر ما شاء فى الورى
فلا تنخدع بالناس عنى فإنهم
أعزُّ صديق فى الخفاء يكيدنى
وكلُّ فؤادٍ فى المحبة كاذب
ومن يصحب الأيام من بعد خبرةٍ
وكيف أضل الحق فى العيشِ طرفه
غداً يكثر السالون منا ومنكم
ونصبح لا قلب يحن إليكم
وكم قبلنا خلق حبيب حبيبَه
ويفجع ريب الدهر بالكف أختها
ونبكى على حسن طوته يد البلى
وما كنت أدري أن حسنك زائل
فلا يخذعك الحسن فالحسن طرفه
غداً يكثر الباكون حولى وحولكم
غداً يستذل الموت منا ومنكم
فنصبح موتى لا نحسُّ افتقادكم

فيحمد عز فى هواك وهونُ
فإن شقائى فى هواك فنونُ
وحبك فى القلب اللجوج مكين
كـلاب ترى أن العواء يزين
وأصدقُ صحبى فى الودادِ يمين^(١)
ولكن قلبى فى هواك أمين
يقلّ لديه تافسه وثمان
ولحظك فيه الحق وهو مبين ؟
ويرقأ دمعُ بيننا وشؤون^(٢)
وتغمض عنكم أعين وجفون
وكم من قرين بان عنه قرين
تبين شمال أو تبين يمين
ومن بُزَّ عنه الحسن فهو غيب^(٣)
وأن عزاءً عن هواك يكون
تمر كحلم العين وهو ظنون
وما الناس إلا هالك وحزين
وكلُّ نفيس فى الممات يهون
وأى دفين يستبيه دفين^(٤)

(١) مان يمين أى كذب يكذب . (٢) الدمع يرقأ أى يفيض ويجف . والشؤون : مياه الدموع .

(٣) بز عنه أى خلع . (٤) يستبيه أى يسببه .

ويسمى على قبرى وقبرك بعدنا
وتمضى الليالى والشهور وتنقضى
كان الفتى لم يحى يوماً لحاجة
من الناس خب ما كر وخؤون
قرون على أعقابهن قرون
إذا ما دهنه بالعفاء منون !

بين الحياة والموت

وقفت على البحر الخضم عشية
وقد بسط الليل البهيم جلاله
وللرعد ضحك رائع الصوت هائل
أقطع قلبى بالبكاء وبالأسى
بكيت بكاء اليأس لا يأس مثله
أجرنى من ظلم الحياة ولؤمها
أرى كفنًا من نسج موجك أبيضاً
وأنت مهّاد لين الطيّ ناعم
فأغرق ضحك الرعد شكواى ساخرًا
أعالج صرف الدهر فى غير مطمع
ولكننى أرجو من الموت راحة
وما العيش إلا الذئب تدمى نيوبه
ولكنه كالخمير تحلو لشارب
فها أنا بين العيش والموت واقف

وللريح فيه والعباب يوادر
وللسحب نوء هائل اللج هامر
كأن ضجيج الرعد بالناس ساخر
وحب الردى داء دخيل مخامر
وقلت وبى من سانع الموت خاطر :
فإن شقائى مثل لجك زاجر
تمزقه الأرواح وهى ثوائر^(١)
ونعش لمن يرجو الردى ومقابر
وأبت بهذا العيش والقلب صاغر^(٢)
وأفعل ما تملى على المقادر
ويفزعنى وقع له وخواطير
وللعيش ناب قاتل وأظافر
وإن سلبت منه النهى والسرائر
فهل مخبر يدري متى أنا سائر ؟

(١) الأرواح : هى الرياح .

(٢) صاغر : أى ذليل .

لعل الذى أرجو من الدهر واقع
عسى أن يعود العيشُ جما جماله
ويكشف صرف الدهر عنى غشاوةً
فلا تعذلانى بارك الله فيكما
فقد كان ما قد كنت دهرًا أحاذر
ففى الروض فينان وفى الأفق زاهر^(١)
من اليأس لا تجدى لديها البصائر
فإنى بهذا العيش راضٍ وصابر !

حكمة التجارب

انضِ عنك الحذار من حدث الدهر
ليس تجدى تجاربُ المرء لو شـ
فأرق فوق نار قلبك ما استطع
ودع الناس يهذرون بما شا
إنما العيشُ أن تكون جريئاً
وتلين الحياة للشابت الوا
كن كثير العزاء عن كل ما فا
خذ بنصحى فقد حيت كثيراً
عشتُ فى كل ساعةٍ أبد الدهر
ورمتنى الحياة بالحلو والمـ
ورفعت الستار عن خدعة العيد
وصحبتُ الحياة فى حالتَيْها
بر فليس الحذارُ يغنى فتيلاً^(٢)
بَّت لها فى الفؤادِ داءٌ دخيلاً^(٢)
ت عزاء جمًّا وصبراً جميلاً
عوا فلسنا نخافُ قلاً وقيلاً
ليس تُرضى الحياة غمراً ذليلاً
دع لا من يخافها أن تهولاً
ت ولو كان فى الحياة جزيلاً
ولو أنى لم أمض عمراً طويلاً
بر وعالجتُ نضرةً وذبولاً
بر فطوراً رغداً وطوراً وبيلاً
ش وقهقتُ وانتحيت عويلاً
وخبرت القنوط والتاميلاً

(١) فينان : أى كثير الورد والأزهار . (٢) لا يغنى فتيلاً : أى ليس له فائدة ، ليس له حتى النفع القليل .

(٢) يجدى : أى ينفع ، والماضى أجدى .

وأعاد الأنامُ قصّة من ما
فترى الخلقَ فى المطامعِ إمّا
ما ترى الناسَ فى الحياةِ حيارى
لا تُعنى بأمرها النفسُ يوماً
ثم لنّ للزمانِ ما اشتد واجعد
إن يكن ينفع البكاءُ فإنّا
ورأينا الحياةَ من كل وجهٍ
ورجعنا إلى الحقائق حتى
ما لهذا الليل البهيم حزينٌ
سل عيونَ الظلام أنجمه الغد
أحداداً على النورى يلبس الحما
أم لأمرٍ مخبئاً فى حشاه
أم سدّيل يخفى المقادير عنا

ت فكانوا قابيلَ أو هابيلًا
قاتلاً ظالمًا وإما قتيلاً
ضلّ من كان عالماً أو جهولاً
فتصير الحياةُ فيك كبولاً
ه إذا لان نجمة ومقيلاً
قد بكينا على الحياة طويلاً
وعشقنا كمالها المستحيلًا
لم نعد نحسب الخيالَ جميلًا
مطرقٌ يبحث الحياةَ طويلاً
ر أمّا آن حزنه أن يزولا
لك من جناحه يثل أليلاً ؟^(١)
لم يُدانِ ألبابنا والعقول ؟
وستار فقد مللنا السديلاً ؟^(٢)

الدفين الحى

أخلاى لا والله ما بى جفوة
وأذكركم ذكر النعيم وماله
ولكن همّاً فى القواد مقرّه

ولا أنا أخشى أنها ستكونُ
من القلب إلا زفرةً وحنين
وفى الدم والأحشاء ليس يهون

(١) أليل الليل : ما يتخيله المرء من الآتين فى سكونه التام . وهذا خلاف صفة الليل بأنه أليل بسكون

اللام فلا يلتبس على القارئ . (٢) السدّيل : الستار المستول .

تضيق على الأرض من جنباتها
دفين طواه الأقربون بلحده
رأوا غفوة منه تغر كأنما
فدّلوهُ في قبرٍ سحيقٍ وأطبقوا
أفاقَ وما يدرى أفى الحلم ما يرى
فهاج هياج النسر في الأسر طرفهُ
كأننى على قيد الحياة دفينُ
وظنوه ميتاً إنها لظنون
دهته من الدهر الخؤون منون
عليه رجام القبر وهو ركين^(١)
وهيهات منه إنه لدفين
وأدركهُ حتى الممات جنون !

الحسن مرآة الطبيعة

قم بنا نعشقُ النجومَ حبيبى
قم بنا نخلص الزهورَ من الحـ
وأرى البدرَ فوق وجهك يا بد
قم بنا نعشق الحياةَ حبيبى
أنت مرآة ما يجيء به الكو
فأرى فى الصباح منك ضياءُ
وأرى فيك للظهيرة حرا
وأرى فيك نسمة كلىالى الـ
وأرى منك فى الخريف شبيهاً
كم جميل يزهى بحسن عميم
أوشك الليل جتحة أن يزولا
سباً ونسقى الرحيق والسلسبىلا^(٢)
ر نعيمًا جمًا وحسنًا صقيلا
لا تدعنى متيمًا مخذولا
نُ من الحسن بكرةً وأصيلا
وأرى فى المساء منك ذبولا
وفتوراً لذًا وظلاً ظليلا^(٣)
صيف حيث النسيم يسعى عليلا
ثمراً يانعاً وزهراً جميلا
حجب الموت لحظه أن يصولا

(١) رجام القبر : أحجاره . والركن : الثابت .

(٢) خلس : أى سرق .

(٣) لذا : أى لذيذاً .

ذو بهاءٍ ونضرةٍ وضياء
أكلته الديدان ميتاً وقد كا
هكذا سنة الردى وقد يمّا
منع الموت أمره أن يطولا
ن يعافُ العناقَ والتقبيلات
أهلك الناس نشأهم والكهولا !

سحر الربيع

أتعرف أنفاسَ النسيم المعطر
وهل قمتَ في أظلاله بين نسمة
وهل ذقت من غدرانه الماءَ صافياً
وهل غرّد الغريدُ في فلق الضحى
كانك منها بين عودٍ وقينة
وهل ألقت الأغصانُ أوراقَ زهرها
وهل واجهتك الشمسُ من كل جهةٍ
ونلتَ من الأزهار ما بين لؤلؤ
وهل حركت فيك الأزاهير صبوةً
وظل فؤادُ بين جنبيك خافقاً
وإن يك حالُ القلبِ عما عهدته
وهل مدت الأشجارُ نحوك شرعاً
وهل ذقتَ طعمَ الحبِّ تحت ظلالها
وبهجةً أزهار الربيع المبكرِ ؟
تفوح وغصنٍ ناعم متأطر^(١) ؟
فذقت به من نشوةٍ كأسٍ مسكر ؟
ومن تتطاير شجوه الطيرُ يعذر^(٢)
ودفٌ ومزمار وصنجٍ ومزهر
عليك سقوط اللؤلؤ المتحدر ؟
بضوءٍ كألهوب اللظى المستعر ؟
ودرٌ وياقوت يروق وجوهر ؟
يُشبُّ لظاها بالمني والتذكّر ؟
خفوقَ الرياح بالرداء المنشر
فهل دام ذو عهدٍ فلم يتغير^(٣) ؟
غصون جنى من مثمرٍ أو منور^(٤) ؟
وقزت بيومٍ طيب الذكرِ أزهـر ؟

(١) متأطر : أى متثنى .

(٢) الغريد : الطير المفرد .

(٣) حال : أى تغير .

(٤) الغصن المنور : أى الذى به نور وهو الزهر الأبيض .

وشاب بياضَ النور للشمس صفرةً
هناك يلذّ النفس أن تُحدث المنى
إذا أنتَ لم تدر الربيعَ وسحره
ولم تعترف بالحبِّ والوجد والصبا
ولم تسر ليل الصيفِ في أخرياته
وإن أنتَ لم تهوَّ النجوم وومضها
ولم تلتمس في كلِّ شئٍ جماله
فكن حجراً لا حس فيه للامس
فظل كليلٍ ساطعِ البدرِ مقمر
وتبصر حلمَ المطلب المتوعر^(١)
ومن يلق ما لا قيت يا قلب يُسحر
ولم تر أثناء القضاءِ المقدر
ولم تر صبحاً كالغدير المفجر^(٢)
ولم تدر منها مخبراً أى مخبر^(٣)
ولم تهوَّ وجهَ الحسن في كل منظر
عديم الحجى ملقى بأكتافٍ محجر !

جنة الحب وجحيمه

ما أحسنَ الحبَّ يا حبيبى
لست أريد الخلود داراً
ما أهون البؤس حين تبدو
متى أراكم فإى عيش
ونظرة منك يا حبيبى
من جنة الخلد فيك حسن
فأنت زهرى وأنت خمري
وأنت لى بالنهار شمسٌ
وأحسن الحسن لو يدوم !
إلا إذا كنت لى نديمٌ
وأهون الوجد والهموم
أخشاه أو حادثٍ أليم
أشهى من الخلد والنعيم
وفيك من زهرها نسيم
وأنت برقى الذى أشيم
وأنت بالليل لى نجوم

(١) أى أن جمال الرياض يبعث على التمنى . (٢) أى انبعاث الضوء فى الصباح مثل انبعاث

الماء المتدفق . (٣) مخبراً : أى الشئ المختبر المعهود لكثرة ترديد البصر فيه .

إن غبتَ عنى فأى نورٍ
 إن غبتَ عن مسمعى وطرفى
 وإن تعد لى يعد نعيمى
 وإن تعد لى يعد سرورى
 أحب عيشى إذا دنوتم
 فلا رجاء ولا فعال
 والعيشُ من حسنكم صحيحٌ
 والعيش من لحظكم مضى
 أنتم دواء لكل داءٍ
 فالقلبُ فى حبكم كتوم
 غسداً ينال الممات منا
 فخففوا هجركم قليلاً
 وكلنا بالحياة صَبٌّ

أراه أم مطلب أروم ؟
 فالعيش من بعدكم جحيم
 وينجلي الشكُّ والغيوم
 وينقض الحزن والوجوم
 والعيش من بعدكم عقيم
 ولا مساعٍ ولا مَروم
 وهو إذا غبتم سقيم
 وهو إذا غبتم بهيم^(١)
 فأبرئوا قلبى الكلیم
 لكنّ دمعى به نموم
 فمن دفين ومن رميم^(٢)
 فالموتُ من خلفنا غريم^(٣)
 لكننا للردى خصوم !

حسرة العيد

أعيدٌ وقلبى من رضاك بعيدُ
 وهل لك فى ذا العيد يا قلب فرحة
 وكيف يسر العيدُ قلبى ، وودكم
 وكيف أرى للعيد طعمًا ولذة

فيا عجباً للدهر كيف يكيدُ ؟
 أم العيدُ نحسٌ ليس فيه سعود ؟
 وإن قربت منا الديار بعيد ؟
 ودون فؤادى من هواك وقود ؟

(١) بهيم : أى مظلّم . (٢) الرميم : الذى صار رمة بالية . (٣) الغريم : المطالب بالدين .

أرى العيدَ يدنى من حبيبٍ حبيبه
يهنئُ بعضُ الناسِ بالعيدِ بعضهم
وينسون ماضى البؤس أو حاضر الردى
وكلُّ امرئٍ فى العيدِ بالعيدِ ناعمٌ
ولكنَّ لى فى العيدِ شجواً وحسرةً
حنانك يا شبه الربيع ويا أخا الـ
وما مرَّ بى يومٌ أودُّ ولم أقل
أظُلُّ ولم ينعم بمراك ناظرى
فيا ليتنى طفلٌ يعيش بغفلةٍ
ويا ربَّ طفلٍ فى الشقاءِ معذبٍ
فيا ليتنى صخرٌ على الأرض هادئٌ
أتؤنسُ فى العيدِ الرياضَ وزهرها
وما القلبُ إلا روضة الوجدِ والهوى
فللحبِّ أزهار ولكنَّ تحتها
فمن غره زهرُ الغرامِ وحسنه
إذا كنتُ لا أخشى ملامةً لائمٍ
أخافُ عليه ظنةَ الناسِ إنهم

وقلبنى شقى من هواك وحيدٌ
وتتورى وفود بينهم وفود
وتخفى ترات بينهم وحُفود^(١)
وكلُّ محبٍّ ضاحكٌ وسعيد
وإنى لمن يلتذّه لحسود
صباح فأيامى لبعذك سود
الا ليت أيامَ النعيم تعود
كأنى يتيمٌ فى الديار وحيد
يلذ صباحَ العمر وهو جديد
أناخَ عليه الهمُّ وهو جسدود
صبورٌ على مرِّ الزمانِ جليد
وتوحش قلبى وهو منك عميد^(٢) ؟
يرفَ بها زهرُ الهوى ويميد
من الحبِّ حسياتٍ هناك ترود
أحسنُ دبيبِ السمِّ وهو شديد
فكيف أسرُّ الحبَّ وهو جديد ؟
كلابٌ إذا كشفتهم وقرود^(٣) !

(١) الترات : الأحقاد التى سببها الاعتداء بالقتل والتى يلزم من أجلها الثار .

(٢) العميد : السقيم . (٣) كشفتهم بتشديد الشين : بحثت عن أمرهم .

الخوف والفزع

حذرت الذى يمنى لى الدهرُ من أذى
ويا ويح نفسى كلما لاح بارقُ
ويا ويح نفسى كلما جاء كارثُ
وحتّامَ هذا الخوف فى كل لحظةٍ
أفى كل يومٍ حادث يستذلنى
وفى كل يومٍ خيبةٌ إثر خيبةٍ
وفى كل يومٍ لى خليلٌ يخوننى
وحتّامَ أرجو الموتَ لا أستطيعه
أعالجُ فى الأحشاء يأساً ومطمعاً
عسى أن يتيحَ الله صبراً يحوطنى
وينقذنى من مهلك أى مهلك
أما فى ضياءِ الشمسِ مسلى لبائسٍ
فمن لى بعيش لا أبالى صروفه
نعيشُ بغشٍ منك يحلو لغافلٍ

فيا ويح نفسى من عناءِ التفزع^(١)
تطائر آمالى ويحتاج مطمعى
ظلمت وقلبى كالبناء المضعضع^(٢)
يدبُ إلى قلبى وطرفى ومسمعى ؟
وفى كل يومٍ لى طماح مودعى ؟
ولوعةُ قلبٍ ذى كلومٍ مُفزع ؟
وفى كل يومٍ لى حبيبٌ مُفجعى ؟
وأفرق منه أن يلمَ بمضجعى ؟
فيا بؤس أضدادٍ وبؤس المجمع
فتهدأ أضلاعى وترقأ أدمعى
ويخرجنى من مجزع أى مجزع
أناخ عليه الهمُّ من كل موضع ؟
أقول لدهرى : طربصرفك أوقع !
فأسدل علينا غفلةً ثم فاخذع !

نشوة الحب

نجواك فى العيشِ إسرارى وإعلانى
وأنت بئى وتهيامى وأشجانى

(١) ما يمنى الدهر : أى ما يصيبك به ويقدره لك . (٢) الكارث : الحادث المحزن .

بَغَضْتُ لِي الْعِيشَ حَتَّى مَا أُسْرِبُهُ
 الْمَوْتَ أَرْوَحُ لِي وَالْقَبْرُ أَرْفُقُ بِي
 وَنَظْرَةُ مَنْكَ أَهْوَاهَا وَأَمْلُهَا
 جَرَبْتُ فِيكَ شَجُونََ الْحُبِّ قَاطِبَةً
 فَلَمْ أَدْعُ شَجْنًا فِي الْحُبِّ أَجْهَلُهُ
 مِنْ حُبِّكُمْ صَرْتُ لَا أَلْوِي إِلَى أَحَدٍ
 أَمْشَى أَحْدَثَ نَفْسِي عَنْ مُحَاسِنِكُمْ
 نَشْوَانٍ لَيْسَ لَهُ عَقْلٌ فَيَسْكُتُهُ
 وَأَسْأَلُ النِّجْمَ عَنْكُمْ أَيْنَ مَوْقِعَكُمْ
 يَمْرَبِي النَّاسُ لَا أَدْرِي مَرُورَهُمْ
 أَنْكَرْتُ مِنْ حُبِّكُمْ مَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ
 كَأَنَّمَا كُلُّ مَخْلُوقٍ أَمْرُهُ
 فَأَحْسِبُ الْبَدْرَ صَدَاحًا بِذِكْرِكُمْ
 وَالرِّيحُ تُشَدُّ بِكُمْ وَالشَّمْسُ تُعْرِفُكُمْ
 أَنْتُمْ حَيَاتِي وَأَنْتُمْ مَشْتَكِي حَزْنِي
 يَا بؤْسَ لِلْحُبِّ ، إِنَّ الْحُبَّ ذُو خُدَعٍ
 مِنْ لِي بِمَنْ قَلْبُهُ قَلْبِي فَأَخْبِرُهُ
 فَمَا اتَّخَذْتُ خَلِيلًا غَيْرَ مُضْطَغْنٍ

إِلَّا بِقَسَايَا رَجَاءٍ لَيْسَ بِالْدَانِي
 مِنْ عَيْشَةٍ بَيْنَ تَحْنَانٍ وَهَجْرَانٍ
 تَوَدَّى بِيَأْسِي وَلَوْعَاتِي وَأَحْزَانِي^(١)
 وَأَوْجَهَ الْحُبِّ مِنْ قَاصٍ وَمِنْ دَانِي
 وَلَا رَمَيْتُ بَزَقَ مِنْهُ مَلَّانٍ^(٢)
 حَتَّى كَأَنِّي غَرِيبٌ بَيْنَ أَوْطَانِي^(٣)
 حَتَّى يَخَالُ حَدِيثِي لَغْوُ نَشْوَانٍ
 الْحُبُّ خَمْرِي وَلَيْسَ الْخَمْرُ مِنْ شَانِي
 مِنَ الْبِلَادِ وَمَا لِلنَّجْمِ عَيْنَانِ
 فَيَسْتَوِي فِيهِمْ جَهْلِي وَعَرْفَانِي
 فَطَالَ فِي الْحُبِّ إِنْكَارِي وَنَسِيَانِي
 يَصِيحُ بِأَسْمِكُمْ فِي طَيِّ آذَانِي
 وَالطَّيْرُ مِنْ ذِكْرِكُمْ وَالزَّهْرُ خِلَانِي
 وَالْوَرْدُ بِالْحُبِّ نَادَانِي وَحَسِيَانِي
 وَأَنْتُمْ فِي مِرَائِي الْحَلَمُ نُدْمَانِي
 مِثْلُ السَّرَابِ تَرَاءَى ثُمَّ أَظْمَانِي
 سَرَى وَأَوْدَعَهُ شَجْوِي وَتَحْنَانِي
 وَلَا مَرَرْتُ بِخَلْقٍ غَيْرِ خَوَانٍ^(٤)

(١) تودى بياسى : أى تذهب به وتمحوه .

(٢) لا ألوئى إلى أحد : أى لا أأنس بأحد .

(٣) الزق : هو الإلقاء توضع فيه الخمر .

(٤) مضطغن : أى نوضغن وحقد .

والناس في العيش إن كشفت أمرهم
إن الحمير - حمير الناس - نهقتها
جهل ولؤم ، وأحقاد ومفسدة
ألفيتهم بين أضغان وبهتان
أودت برشد رجيع الرأي غضبان !
والشر يجرع منه كل إنسان !

غاية الحب

أجل في نجوم الليل لحظك طرفة
عسى يلتقى لخطي ولحظك عندها
عسى يلتقى روحى وروحك عندها
عسى يشعر الولهان بالقرب منكم
يحدثني عنك الهلال إذا بدا
وإني أحبُّ البدر من أجل حبكم
عسى تجمع الأحلام بيني وبينكم
وتذكرني في الحلم ، والحلم باطل
وهيهات لا في يقظة أنت ذاكري
وأهتف طول الليل باسمك جاهداً
فتبدو لعيني صورة منك غضة
فما لي سوى الأوهام منك علالة
سيبقى لكم في القلب وجد ولوعة
ويبدو لكم ما كنت أخفيه جاهداً
فيا كعبة الحسن التي أنا عابد

فإني إليها في دجى الليل ناظر
فتعرف ما تطوى عليه النواظر
على لحظة إن اللحاظ بصائر
ويجربكم منه على البعد خاطر
وتخبرني عنك النجوم الزواهر
وتسعدني حتى أراك الأزاهر
ومن لي بها والطرف باكٍ وساهر
فما لي في غير الكرى منك سامر
وما لي في حلم الكرى منك ذاكر
وهاجس هذا الذكر داء مخامر
ألدُّ بها حتى كأنك حاضر
وما لي سواه منك عون وناصر
وذخر هيام يوم تبلى السرائر
وفي البعث يبدو ما تكن الضمائر
مناسك تهيامي بها والمشاعر

ويا جنة الحسن التى أنا آمل
أما من سبيل لى إليك ومنهج
أظل إذا ما لحت لى عن فجاءة
فليتك تحلو والحوادث مرة
إذا كنت لى خدنا ألود بحبه
وإن نلت منك الود والعطف والرضا
وإن ترض عنى فالحياة جميلة
وإن حياتى ليلة مدلهمة
وإن تبد لى عطفاً فما الكون باطل
لقد صدقت منى الظواهر فى الهوى
أناجيك بالسحر الحلال من الهوى
أتذكر ملقى بالحديقة طيباً
أشرت بتسليم ، فسلمت مثله
فإن تهجروا فالقلب أسوان بائس
ورن تبعدوا فالأرض جرداء جذبة
وإن تغربوا فالعيش أسود داجن
حياتى إذا ما غبت عنى زواخر

غديرك ملآن وزهرك ناضر
أم امتنعت منى إليك المصادر ؟
فؤادى مخمور ولبى طائر^(١)
وليستك واف والأنام غوادر
فلست أبالى ما تعد المقادر
فلست أبالى أن تدور الدوائر
وإن تبد صدأ فالنهار دياجر
فهل تأتبنى عن رضاك البشائر ؟
ولا العيش خوان ولا الدهر جائر
إذا كذبت فيما تقول الظواهر
وبالسحر من شعرى فهل أنت شاعر ؟
فإنى له فى الدهر ما عشت ذاكر
فرحت وقلبى من جوى الحب حائر
وإن تعطفوا فالقلب راض وصابر^(٢)
وإن تقربوا فالدهر فينان زاهر^(٣)
وإن تشرقوا فالعيش ابلج ظاهر
تموج وإظلام الدجى والأعاصير^(٤)

(١) مخمور : أى أصابته نشوة الخمر .

(٢) الأسوان : نوالسى أى الحزين .

(٣) فينان : موزق .

(٤) الزواخر : الأمواج العظيمة ، والأعاصير : الرياح

الشديدة . أى حياتى مثل عاصفة فى البحر بالليل ، كثيرة الرياح شديدة الأمواج .

فأى بقاء بعد بُعدك نافع
وإن كنت عندى جئت بالعقل والحجى
وإن حياتى إن قربت خصيبة
وآمنت أن السحر حق فإنما
وآمنت أن الحسن ملك ودولة
وآمنت أن الحب والوجد ميسر
إذا مت فاذا كرنى وزرنى زورة
وقف وتأمل ما بدا لك طرفة
عسى دمة حرى على تريقها
فلا تنذعر فالموت غاد ورائح
سينفذ فيك الموت أمراً مقدراً
وياكل منك الدود ما شاء حقبة
وريحك ريح النتن لا تن مثله
فلا تحسبن أنى من الموت ضاحك
ولكن وجدى منك جن جنونه
أما رحمة ترجى لديكم لبائس
وفى القرب لو تدنو دواء لهم
فيا يؤس نفسى منك يابؤس عيشتى
أما آن أن ألقى حماماً يريحنى

وأى رجاء بعد بُعدك باهر ؟
وإن لم تجئ فالقلب مجنون ثائر
وإن حياتى إن بعدت لعافر
فؤادى مسحور وحسبك ساحر
فقلبى مأسور وحسبك أسر
فقلبى مقمور وحسبك قامر
وهل عجب فى أن تزار المقابر ؟
ألا كل حى مثل ما سرت سائر
وقد يعظ الموت الفتى وهو سادر^(١)
وكل جميل فهو لابد غابر
وتلقى الذى قد كنت قدماً تحاذر
ووجهك مقبوح وعظمك ناخر
تسد إذا ما شم منه المناخر
ولا تحسبن أنى بحسبك ساخر !
فها أنا من حبى لحسبك هاتر !^(٢)
حزين عليل ، حبه لك طاهر ؟
وإنك إما غبت فالهم حاضر
أما آن أن تغشى المنايا البواكر ؟
فتهدأ أضلاعى وتهدا المحاجر ؟

(١) السادر : المنغمس فى لذات الحياة الخليع بها . (٢) الهاتر : الهائر الهادى .

فیرتاح حسادی وتسلو العواذر ؟
كأن لم تكن والحي للحي ذا كر
ويرتد عنى نابہ والأظافر !
فلا طمع يردى ولا اليأس ذاعر
وأصبح ممن غيبته المقابر
ولا أنا مهجور ولا أنت هاجر
رويدك لا تغنى لديه المغافر^(١)
بروحى حتى فيه منه بوار
فوقع المنايا بيننا متواتر !
تغادى المنايا شملنا وتباكر
سيهلك منا أول ثم آخر !

أما آن أن ألقى قضاءً يمتنى
وينسانى الخلل الوفى لميتنى
وينسانى الوغد اللئيم لميتنى
أما آن أن أنسى الحياة ولؤمها
أما آن أن يبكى لى الأهل طرفه
وأصبح لا قلبى يعجن بذكركم
إذا ما الردى بالمرء حلّ قضاؤه
وإنى أحس الموت يسرى ديبه
نعيت لكم نفسى فلا لوم بيننا
فإما غداً أو بعد ذاك وإنما
سلام عليكم حيث كنتم فإننا

الشعر والطبيعة

تغنت لأشجان الفؤاد طيور
تغنى رخاء فيهما ودبور^(٢)
وما الشعر إلا أن يثير مثير
ونبصر فيها البدر وهو منير
رياض وأضواء بها وبحور

إذا غنت الأطياف فى الأيك صدحا
وللريح هبات وللنفس مثلها
وما الشعر إلا القلب حاج وجيبه
نرى فى سماء النفس ما فى سمائنا
وما النفس إلا كالطبيعة وجهها

(١) المنافر : جمع مفقر وهو ما يتقى به فى الحرب . (٢) الرخاء : ربح لينة ، والدبور : ربح شديدة .

وَفِيهَا صِرَاحُ الْيَمِّ إِنْ مَاجَ مَوْجُهُ
 وَلَيْلٌ وَإِصْبَاحٌ لَهَا وَكَوَاكِبُ
 إِذَا كُنْتَ فِي رَوْضٍ فَقَلْبِي طَائِرٌ
 وَإِنْ كُنْتَ فَوْقَ الْبَحْرِ فَالْقَلْبُ مَوْجَةٌ
 وَإِنْ كُنْتَ فَوْقَ الشَّمِّ فَالْقَلْبُ نَسْرُهَا
 وَتَنْثُرُ أَغْصَانُ الْخَرِيفِ زَهْرَهَا
 فَيَا قَوْمُ مَا لِلْجَهْلِ مَلَأَ عَيُونَكُمْ
 لَبِستُمْ عَلَى الْأَيَّامِ ثُوبَ مَذَلَّةٍ
 إِذَا صَاحَ ذَاكَ الْعَيْرُ فَيَكُمُ صِيَاحُهُ
 وَيَزْعَجُكُمْ أَنْ الطَّيُورُ صَوَادِحُ
 أَصَابَ ذِكَايَ مِنْكُمْ بَرْدُ طَبْعِكُمْ
 وَيَصْدَأُ طَبْعِي فِي خَبِيثِ هَوَائِكُمْ
 فَلَا تَحْسِبُوا أَنِّي أَقُولُ لَتَسْمَعُوا
 وَمَاذَا يَفِيدُ الشَّعْرُ وَالْقَلْبُ مَيِّتٌ
 إِذَا كَانَ يَحْيِي الشَّعْرُ نَفْسًا مَرِيضَةً
 وَفِيهَا خَرِيرٌ خَافَتْ وَغْدِيرٌ^(١)
 تَسِيرُ بِآفَاقِ بِهَا وَتَدُورُ
 يَغْنَى عَلَى أَغْصَانِهِ وَيَطِيرُ
 تَسْرِبُ فِي أَمْوَاجِهِ وَتَسِيرُ^(٢)
 وَلِلنَّسْرِ فِي شَمِّ الْجِبَالِ وَكُورُ^(٣)
 كَمَا جَادَ بِالشَّعْرِ الْجَلِيلِ شُعُورُ
 أَلَسْتُمْ تَرَوْنَ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ ؟
 فَكَيْفَ يَنْضَوِ الثُّوبُ وَهُوَ نَضِيرُ ؟
 طَرَبْتُمْ وَقَلَبْتُمْ شَاعِرٌ وَكَبِيرُ^(٤)
 وَيَطْرَبُكُمْ أَنْ الْغِنَاءُ نَعِيرُ
 وَأُطْفَأَ مِنِّي الْقَلْبُ وَهُوَ قَدِيرُ
 وَجُورُكُمْ بِالْدَاهِيَّاتِ يَمُورُ^(٥)
 وَلَا أَنْ مِثْلِي بِالْقَنُوطِ جَدِيرُ^(٦)
 وَهَلْ لِلنَّفُوسِ الْهَامِدَاتِ نَشُورُ ؟
 فَهِيَ هَاتِ تَحْيَا النَفْسُ وَهِيَ قَبُورُ !

الآزاهير السود^(٧)

قَدْ جَنِينَا مِنْ أَزَاهِيرِ الرَّدَى زَهْرَةُ الْيَأْسِ وَأَزْهَارُ الْأَسَى

(١) خافت : أى صوته ضئيل . (٢) تسرب : أى تسرب . (٣) الشم : أى الجبال الشم وهى المرتفعة .
 (٤) العير بفتح العين : أى الحمار . (٥) يمور : يزخر ويموج كالبحر . (٦) القنوط : شدة اليأس .
 (٧) المقصود بالآزاهير السود : لذات الحياة التى تعود بالألم ، وتكون عاقبتها الندم واليأس والشقاء .

زهرة سوداء لا تعدلها
كيف نهوى زهرة ، أوراقها
تشعل الوجد ولوعات الغليل
ودماء القلب تجرى بمسيل
كلما زاد احمراراً لونها
قد جنينا من أزهير الشقاء
تبدل النفس سواداً من ضياء
تنفخ السم أريجاً والبلاء
كم جنينا من أفانين الألم
لونها المأخوذ من لون الظلم
زهرة سوداء من زهر النقم
كم جنينا من أزهير القدر
زهرة سوداء من زهر الضجر
فهي بالليل سهاداً وسهر
هذه الأزهار سود كالقضاء
ليس لى منها مفر أو نجاء
إن هذا العيش داء أى دواء

زهرة حمراء من زهر الهوى
من دموع الصب تندى والدماء ؟
وهى مثل الجرح فى صدر القتل
دمه رى جذور وأصول
راح جسمى بشحوب ونحول
زهرة سوداء من زهر القضاء
ليس تنمو فى رجاء أو رخاء
وهى تغذى من زفير وبكاء
زهرة سوداء من زهر الندم
عابس فوق شقاء المبتسم
فهي طيف من ممات قد ألم
وأفانين صروف وغير^(١)
وهى من نبت هموم وكدر
وهى فى الصبح الشقاء المنتظر
فى رياض من شقاء وعناء
فهي حولى فى صباح ومساء
ليس يمحي بشكاة أو بكاء !

طبع الإنسان

سعة الآمال فيه كالقدم

إنما المرء خيال زائل

(١) الغير تقلبات الدهر .

مثل قدر الخلدِ أطماع له
ويودُ المرءُ لو نال السُّهى
فهو مثلُ الطفلِ فى آماله
سفهها أنظم فى وصف الهوى
من ذنوبٍ ما لها من رادعٍ
غاب رشدُ الناسِ عن أنفسهم
يُقتلُ المرءُ على الجرم ولا
اسعد الناسِ قتيلٌ هالكٌ
إن بالمرءِ جنوناً جاعلاً
لا ينال البُرةَ من نوبته
هل لنا من كوكبٍ ذى مرةٍ
فيمريح الناسَ من آلامهم
حدث الدهرُ حديثاً صادقاً
وصفاتُ الذئبِ طبعٌ فيهم
أين فخرُ الناسِ بالعلم وما
يبسط العلمُ عليهم جلدةً
جلدة السخل بها الذئبُ ارتدى

وبه عجزٌ وضيق فى الهممُ
وهو فوق الأرضِ لما يحتكم
يبتغى النجمَ منالاً من أمم^(١)
ولقد أنظر ما تأتى الأمم
تتسرك الناسَ على بؤس وهم
ضاع منهم تحت أشلاء الرمم
يُسأل الجبارُ عما يجترم^(٢)
ربُّ عيشٍ هو شرٌّ من عدم
نوبةٌ للشر فيه تحتم
أو يذيع الشرُّ منه والألم^(٣)
يصدع الأرضُ إذا ما يصطدم^(٤)
ويزيل الشرُّ منا والنهم
إنما الناسَ قطيعٌ من غنم
وصفاتُ القردِ والكلب النهم
يردع الأهواء من خير الحكم ؟
بضعةُ الملمس تخفى من نقم^(٥)
فإذا ما غفل الراعى هجم

(١) أمم : أى قريب . (٢) أى أن الرجل يُقتل إذا قُتل ، وأما الجبابرة من الملوك والحكومات فلا يحاسبون على ذنوبهم . (٣) أى أن الشر نوبة عصبية تأتى للإنسان فلا تزول عنه حتى يفعل الشر . (٤) المرة : الشدة . (٥) بضعة : أى ناعمة .

وَإِذَا مَا اقْتَدَرَ الْمَرْءُ سَطَا
لَا تُرْجَى مِنْهُمْ مَرْحَمَةٌ
لَوْ يَكُونُ الْمَرْءُ فَمِينًا آمِنًا
نَحْنُ نَبْكِي رَحْمَةً مِنْ خَشْيَةٍ
وَإِذَا مَا ضَعُفَ الْمَرْءُ حَلِمَ
رَحْمَةً الْخُبْ بَكِي حَتَّى احْتَكَمَ^(١)
سَطَوَاتِ الشَّرِّ مِنَّا مَا رَحِمَ
أَنْ نَعَانِيَ الضَّيْمَ مِنْ خُطْبٍ يُلَمُّ^(٢)

الحب واليأس

حَجَبْتَ عَيْنَاكَ عَنِ نَوْرِهَا
فَحَيَاتِي كظِلَامٍ حَالِكٍ
كُنْتُ أَسْتَهْدِي بِمَصْبَاحِ الْهَوَى
كُنْتُ أَسْتَهْدِي بِنُورِ مَنْكُمُ
صُرْتُ أَسْتَهْدِي بِنَارٍ لِلشَّقَاءِ
تَقْصُرُ الْأَشْجَانُ فِيهَا وَتَطُولُ
فَهِيَ كَالْأَشْبَاحِ فِي جَنَحِ الظَّلَامِ
رَاقِصَاتُ كَشَّيَاطِينِ الدَّجَى
فَاهْجِرُونِي إِنْ سَمِعْتُمْ مِنْ نَصِيحٍ
إِنَّ حَبَبِي مِثْلُ دَاءٍ قَاتِلٍ
وَابْتَسَامًا فِيهِمَا كَانَ يَجُولُ
وَنَجْوَمِي قَدْ تَقَاضَاهَا الْأَفُولُ
فِي طَرِيقِ الْعَيْشِ وَالْعَيْشِ وَعَرِ
فَحَجَبْتُمْ نُورَ قَلْبِي وَالْبَصَرِ
فِي ظِلَامِ الْيَأْسِ تَخْبِئُو وَتَنْيِرُ
كَلِمَا هَبَّتْ بِهَا رِيحُ الزَّفِيرِ
رَاقِصَاتٍ بَيْنَ نَارٍ وَرِيَّاحٍ^(٣)
مُحَيَّيَاتٍ لِلدَّجَى حَتَّى الصَّبَاحِ^(٤)
مَا عَلَيْكُمْ مِنْ مَلَامٍ فِي جَفَاءٍ
فَاسْتَجِيرُوا بِمَفْرِئٍ أَوْ نَجَاءٍ

(١) الخب : المخادع . (٢) أي أننا نرحم التعيس خوفاً من أن يحل بنا ما حل به فالرحمة منشؤها الخوف . (٣) أي أن أشجان المرء التي تخرج بها من صدره أنفاسه وتظهر في نار شقائه تحت جنح رأسه مثل خيالات الأشياء الواقعة قرب نار تهب بها الرياح العاصفة فتطول وتقصر فيحسب الرائي أن هذه الخيالات شياطين . (٤) أحيا الليل أي سهره .

أنتم كالزهر تمحو زهوه ریحُ سوءٍ حملت جرثومَ داءٍ
إن حبی ریح سوءٍ قتلت زهو قلبي من حياةٍ ورجاءٍ^(١)
فاحذروه واتقوني جهدكم إن فی قربي لكم عدوی الشقاء !

الحبيبان

مناجاة الحبيب الأول

يحكى فؤادی فی هواك الجحيم وأنت إبليس لذاك الجحيم
بالشر الحاظك ميثوثة وبالرزايا والبلاء المقيم
وخدك المشبوب في حمرة كالجمريد كواللعذاب الأليم^(٢)
والريق كالمهل شراب الردی يظمی ولا يشفی أوام الكلیم^(٣)
وحس أنفاسك فی مرها يلفح لفتحاً مثل لفتح السموم^(٤)
ياتائها يختال فی مشييه كالصل إذ يعوج أو يستقيم^(٥)
عيناك يغری لحظها بالبغاء أحب عشاقك فينا الأثیم^(٦)
أنت إله الشر فی حسنه وقبحه ، ویح لحسن ذميم !

مناجاة الحبيب الثاني

يا جنة الحب وروض النعيم لأنت برء للأسى والهـموم

(١) كما أن الرياح الحاملة للجراثيم تهب على الأزهار فتحمو نضارتها ، كذلك أخشى أن يصيبكم من حبي ما يمحو جمالكم وسعادتكم من قربي لكم ، لأن قربي لكم يعدى بالشقاء .

(٢) يذكو : أى يشتعل . (٣) المهل : شراب الجحيم ، والأوام : العطش ، والكلیم : المجروح .

(٤) السموم : ریح حارة خانقة قاتلة . (٥) الصل : الثعبان . (٦) البغاء : الفسق والمنكر .

يا جنةً تترك قلبى لها	كالروضة الغناء ذات الكروم ^(١)
يا جنة ما إن بها حية	ينفث سُمًّا فمها أو سموم
يسعى إليك الكون من بدئه	كما سعى نحو الطبيب السقيم ^(٢)
فلفظك العذب رحيقُ الهوى	ووجهك الزاهر زهر عميم
تُبْرِئ أنفاسك فى مُرّها	من الجوى والوجد مثل النسيم
وطى الحاظك نور الهدى	ودون أضلاعك قلبٌ رحيم
وأنت كالدمية فى شكلها	وحسنها الخالد خلد النجوم ^(٣)
للخير فى الحسنِ خلودٌ فلا	يصيبه الدهرُ مصابِ الجسوم ^(٤)

صداقة الأموات والأحياء

لاى أمرٍ خذلتُمونى	يا أهلَ ودى وإخوتى ؟
كأنكم ما صحتُمونى	إلا لنحسى وشقوتى !
أما كفى وقع نائبات	يقرعن عودى ومروتى ؟ ^(٥)
حسبى سقامى وطول همى	وذُلُّ عدى ولوعتى
كلكم كاذبٌ حقدود	يشعلُ يأسى وحسرتى
أين الأولى قريهم شفاء	يكشف غمى وكربتى ؟
مرآهم نشوةٌ وسكر	ونطقهم برءٌ غلتى ^(٦)

(١) الكروم : أشجار العنب . (٢) أى : أنت مثال الكمال الذى ينشده العالم ويسعى إليه الكون .

(٣) الدمية : التمثال الجميل . (٤) أى : أن الجسم يقنى ولكن الحسن والخير يبقى .

(٥) يكتنى بقرع العود والمروة عن وقوع المصائب بالإنسان . (٦) الغلة : الظمأ الشديد .

أواه من وقعة المنايا
ما العيشُ عيشٌ إذا تناءوا
كيف أرجى بكم شفائي
كأننى بينكم غريبٌ
أنتم سهام تهيض عظمى
لا يرتجى منكم منعمين
غداً ينال الحِمام منا
حتى كأن لم تكن نرائى
نعيشُ بالغش ما حيننا
حتى إذا لاحت المنايا
طهرنا الموت من خطايا
ننسى عداء الذين ماتوا
فنحسب الميت ذا فساءٍ
ولو يعود الدفين حياً
لصار فى وده كذوباً

يقعن فى خير نخبتى
وصرت أبكى لوحشتى
وأنتم أصل علّتى ؟
أندب حظى وغربتى
وهم وقىائى وجنتى^(١)
يفنى إذا النعل زلت^(٢)
بكل شملٍ مششت
على دهاءٍ وخدعة^(٣)
غش عدى أو أحبة
ورباً حى كـمـمـيت
بيّنة فى الأسـرة
والحى يـقـلـى بـزـلـة
نبكى عليه بحرقـة
من بعد نشرٍ ورجعة
وعاد يـمـنى بظنة^(٤)

(١) الجنة : يضم الجيم ما يحزن الإنسان به ، أى ما يلبسه وقاية لنفسه .

(٢) إذا الفعل زلت : إذا حل الإنسان ما يوجب المعاونة وشد الأزر .

(٣) أى نموت وتنسى فكأننا لم يخادع بعضنا بعضاً .

(٤) أى إذا مات صديق نسينا هفواته ، أما الحى فإن زلاته حاضرة ، ولذلك نلن الصديق الميت كان خيراً من الصديق الحى ، ولكن لو رجع الميت إلى الحياة لعدناه كذوباً فى وده وصرنا نصيبه بالظنون والتهم .

شاعر يحتضر

ألقى الموت لم أنبه بشعرى
وفى نفسى من الأبد اتساق^(١)
فمن للقلب يطربه بلحن^(٢)
ومن للكون يرمقه بفكر^(٣)
ومعنى الخلد يصغر عند نفسى
إذا ظمئ الفؤاد إلى كمال^(٣)
رأيتُ الناسَ مثل البحر لجأ
هى الأقوام كالأمواج تعلو
صحوتُ من المعيشة بعد سكر^(٣)
شربت الحلو من كاسات دهرى
وحالات البقاء لها خمار^(٣)
فحالات السرور لها عقار^(٣)
وكان الجهل لى عيداً فولئى
وأعقبت التساؤل والتقصي
فمن لى بالسكينة فى حياة^(٣)
ظمئت إلى الكمال فلم أنله

ولم يعلم سوادُ الناسِ أمرى^(١)
تدور الكائنات بها وتجرى
يحن إليه من نظمٍ ونثر^(٢)
شبيه الكون فى سعةٍ وقدر^(٣)
يضل الخلد فى أنحاء فكرى
رأى طول الخلود كقيد شير
وكم فى البحر من صدفٍ ودر
كذاك الموج يسفل حين يجرى
فيا لهفى على نشوات سكرى
كذاك المرّ من كاسات دهرى
على طعميه من حلوى ومر
وللأرزاءِ فينا كأس خمير
فيا شوقى إلى جهلات عمرى!^(٢)
وما فى ذاك من غبنٍ وخسر
أعالجها كأتى رهن أسر^(٣)
وذقت اليأس فى صلةٍ وهجر

(١) لم أنبه : أى لم أشتهر . وسواد الناس : جمهورهم .

(٢) أى إذا مت فأنى شاعر يطرب القلوب بألحان شعره .

(٣) كان الجهل عيداً لأنى لم أفكر فى الحياة والغرض منها ، وشقاء الناس فيها .

وعالجتُ العواطفَ هائجات
وجملتُ الحياةَ بنظمٍ شعري
قصائد نيرات خالداً
هياج النار من لهبٍ وجمر
شبيه الضوء في الأفق الأغر
خلود النجم من شهبٍ وزهر

أمل قديم

ذكراك كالغيث تحيي جذب آمالي
من بعدما طويت نفسي على ماض
وطالعتني خطوبٌ كلما عصفت
حتى كأن فؤادي منزلٌ خربٌ
من بعدما يئست نفسي وما بلغت
وطئت نفسي أن أحيا إلى أمدٍ
حتى رأيتُ بروقاً منك صادقةً
فصرت أثنى على عيشي ولذته
متى أراني ولي من رعيكم سببٌ
أضحى رجائي مثل الشمس منتشراً
علَّ الزمان يرى ما لست أكتمه
وتنقل العيش من حالٍ إلى حال
وراح بي اليأس بين الصحب والآل
عفت على أملٍ كالمنزل الخالي
مهَّدَمٌ بين آثارٍ وأطلال
من الحياة لباناتي وآمالي^(١)
من الحياة سقيم الوجه والحال
تستنزل البرق في دفيقٍ وتهطل
وكنْتُ أثنى على موتٍ وآجال
جمُّ الأمانى رخي العيش والبال ؟
يجلو همومي في حلٍّ وترحال
من الرجاء فيدني بعض آمالي !

مرآة الضمائر

ضمائرُ هذا الخلق مثلُ طباعه
وكم من ضمير فاسدٍ تستشيره
وكم من ضميرٍ لا ينهه بالزجر^(٢)
فتلقاه عند الخير والشر لا يبرى^(٣)

(١) اللبانات : الأوطار . (٢) لا ينهه بالزجر : أي لا يردع عن الشر .

(٣) لا يبرى : المقصود بها أنه لا يميز الشر من الخير أو لا يفيد . والبرى : هو القطع .

وبعضُ المرائي خادعٌ غيرُ ناصحٍ
ولكن منها صادقاً غيرَ كاذبٍ
فإن ترَ يوماً مثلها من وذيلةٍ
إذا لاحَ يوماً شكلُ وجهك فوقها
ترى فوقها ما بت تخفيه جاهداً
يرى الناس فيها أوجها كلها خنا
وفي كل وجهٍ لو فطنت إشارةً
وفي كل وجهٍ من جنونٍ ومن أذى
وكل ضميرٍ لو فطنت مخادعُ
بنى آدم. لاتذكروا العدلَ ذكراً
إذا ما بدت من مطمح المرء حاجةً
وكل ضميرٍ بالمعاذيرِ مسولعُ
وقد يحسبُ الشرُّ الوجيعَ فضيلةً
وقد يحسبُ الشئُ الحرامَ محلاً
وقد يحسبُ العدلُ المبينَ ظلاماً
إذا ما بدا لى البشرُ فى وجهِ صاحبه
يحسبك من الحاظه بطلاقةٍ
وكل صديقٍ إن رأى بك حسرةً

يواجه وجهاً منك بالحسن والبشر^(١)
يريك الذى قد بت تخفيه فى الصدر
فليس لها خيرٌ لديك من الكسر^(٢)
تببت على ذعرٍ وتصحو على ذعرٍ
من السوءِ والأحقادِ واللؤمِ والشرِ
يلوحُ كما تبدو الجماجمُ فى القبرِ
تدلُّ على ما فى الضميرِ من السرِ
ملاحُ لا تخفى تناديك بالجهرِ
وكل ضميرٍ لو بدا لك فى خسرٍ
فما العدلُ إلا ما ترون من الأمرِ
فلا عدلَ يرضاه ولا رحمة تسرى
إذا ما أتى ذنباً أحال على العذرِ
إذا خال فيه ما يلذ من الخيرِ
إذا ظن فيه ما يصاب من التجرِ
إذا خاف منه ما يعاف من الضرِ
أظل مروعاً خوفَ عاقبةِ البشرِ
وياكلُ عرضاً منك بالنابِ والظفرِ
وكان بخيرٍ قال حظك فى الصبرِ

(١) المرائي : جمع مرآة ومراى .

(٢) الوديلة : المرأة .

هو الصبرُ حلٌّ للذي لا يذوقه
ولو كان للآثام ريحٌ خبيثةٌ
ولو كان سوءُ النفسِ داءً يجلدُهم
فعالهم حتى الطلاقةُ متجرٌ
همُ ساوموا الخلاقَ في كلِّ فعلةٍ
هم يحسبون الدينَ رزقاً ومتجرًا
فعدلهم ظلمٌ وخيرهم أذى
وصدقهم كذبٌ وكلُّ فعالهم

فإن ذاقه فالصبرُ شرٌّ من المرّ !
تطيبُ كلُّ الناسِ بالندِ والعطر
لأصبح كلُّ الناسِ يوسم بالعر^(١)
وربح فإن البرَّ يبذل للبر
يبيعون خيراً بالجزاء وبالأجر
فيا عجباً للدين يخلط بالنكر
وودّهم ود ينغص بالغدر
رياءٌ كأن الغشَ في دمهم يجرى !!

عناء الطيف

أرحنى يا طيفَ الحبيبِ بهجرة
ويا طيفه أنت السرابُ تكيدنى
تروّعنى بالشوقِ فى كلِّ طرفةٍ
ويا طيفُ قد قطعت قلبى صباةً
ويا طيف لا فى يقظةٍ أنت تاركى
وتشعل من شوقى الذى أنا مطفىء
وتبتعث النفسَ اللجوجِ إلى الهوى
كفاها من الوجدِ الأليمِ قديمها
حنانيك لا حبى قليلٌ ولا الهوى

فإنك تورى حسرتى وتزيدها^(٢)
وحولى صحراءَ الغرامِ ويبسدها
إذا ما انقضت لوعاتُ شوقٍ تعيدها
وعذب عيني دمعها وسهودها
ولا فى هجود العينِ يحلو هجودها
وتحدث منه لوعة لا أريدها
وقد شقها أن لا حبيبَ يعودها
فيا يؤسها إن لم يمتها جديدها
لذيذٌ ولا الآمال يدنو بعيدها

(١) العر : الجرب . (٢) تورى : أى تشعل .

وإن لنفسي كل يوم شقاوة
أما آن أن تلقى مماتاً يريحها
حياتي على الهجران شر من الردى
ويا طيف أنت البؤفك مضاضة
أبيت طوال الليل أبكي بحرقه
فيا ليت أن العمر أنغام منشد
ولذات نفسي في الحياة قليلة
لقد قسمت في الحب بيني وبينكم
فإن جدود الحب عندي نحوسها
وللريح هبات وللشوق مثلها
يسومون نفسي الصبر والصبر قاتل

حبيب ينائها وخب يكيدها
فيصدع عنها كبلها وقيودها
فواحسرتا أن لا حمام يبيدها !
وسخر وأم البؤ أودي وليدها^(١)
كأنني ثكلي قد أصيب وحيدها
إذا ما مضت لي لذة أستعيدها
فيا ويحها إن لم أجد من يعيدها
جدود الهوى والنفس شتى جدودها^(٢)
وإن جدود الحب فيكم سعورها
وهبات شوقي لا يصاب ركودها
لقد صبرت لو أن ذاك يفيدها !

سلوان الجنون

عسى ينعم الولهان منك بنظرة
عسى بالضلوع الخافقات من الجوى
عسى تسعد الأقدار يوماً بودكم
عسى أن يعود النوم عينا قليلة
عسى أن يعود العيش جمًا ضياؤه

وهل بعدكم في العيش حسن فينظر
تقر وبالقلب الجريح فيجبر
فيا طيبها لو أن قريبا يقدر
فلا الدمع يقذيها ولا النوم ينفر
وأحمد من مرآه ما كنت أبصر

(١) البؤ : جلدة ابن البقرة التي تحشى تبناً وتوضع أمام البقرة كي تحن إليها وتدر لبنها .

(٢) الجدود : الحظوظ والأقسام .

عسى هجرة تدعو المحب فيرعى
 فلا تحزن إن أدركتني سلوة
 عسى أن تجن النفس فيكم جنونها
 فإن جنون النفس سعد وراحة
 فأنساك حتى لست أدري : أعائش
 وأنساك حتى لو عرضت مسلماً
 وأنساك حتى لا أريد وصالكم
 كأنك ما كنت الضياء لقلتي
 كأنك لم تضحك فتضحك عيشتي
 ولم تك لي الماء الزلال على الصدى
 كأنني لم أقض النهار بحسرة
 ولم يجر دمي حرقه وصبابة
 ولم يك لي في كل قول تقوله
 كأنني لم أعشقك في كل نبضة
 كأنني لم أعشقك في كل طرفة
 ولم أك من خوفى عليكم مروءاً
 ولم أك من شوقي أمر ببيتكم
 فإن يبلغ الحب الجنون فلا تلم

إلى سلوة تنهى الفؤاد فيزجر
 فأنت الذي علمتني كيف أصبر
 فلا ذكرة تصبى ولا فكر يخطر
 وإن عناء الحب ذاك التذكر
 على الأرض تسعى أم دفين مغفر !
 لما سرنى منكم سلام ومحضر
 ولا الهجر يجرى دمعتي حين تهجر
 ولا مسمع فيكم لذيذ ومنظر
 ولم تك غضباناً فتدجو وتكدر
 إذا ذاقه الظمآن يروى ويسكر^(١)
 ولم أك حتى مطلع الفجر أسهر
 ولم يك قلبي والهأ يتسعر
 غناء وألحان تروق وتسحر
 لقلبي ولم أعشقك من حيث أشعر
 لعيني ولا في خطرة حين تخطر
 أبيت حذار السوء أبكى وأذعر
 وأنتم نيام ، خائفاً أتستر
 أما كل مجنون على الهجر يعذر ؟

(١) الصدى : الظمآن .

ليس لى شغل سواك

ليس لى شغل سواك	فأجز عني جفأك ^(١)
شقيت بالناس عين	لا ترى حتى تراك
أنت خير الناس روحاً	كل مخلوق فداك
لا يطيب العيش إلا	بالذى فيه رضاك
أنت لا تعرف ما قد	بت أخفى من هواك
أنت معنى كل حسن	فله الله اصطفاك
أنت معنى وهو لفظ	من عناء قد عناك
يا نبى الحسن إني	مؤمن يرجو هداك
إن طرفى فى عناء	ليت طرفى ما رآك
إن قلبى فى عذاب	ليت قلبى قد قلاك
فخر الكون وأبدى	بهجة حيث احتواك
أظلم العيش فجدا لى	بضياء من سناك
بسلام أو كلام	أجتنيه فى لقاءك
إن نفسى لك غرس	كيف لا ترجو جدأك ^(٢)
إن نفسى لك أرض	وقعت تحت علاك
أنت معنى كل مخلو	ق فلا حى سواك !
فتعطف يا حبيبى	لا تخيب من دعاك !

(١) أجز عني : أى أزح عني . (٢) الجدى : الكرم والتوال .

وابتسم يبتسم الدهر	رُويدجو من جفاك
وقعت نفسي من حر	بك في شر الشباك
ليس لي فيه معين	لا ولا منه فكاك
لم لا تدني محباً	كلما حن بكاك ؟
ما درى للعيش معنى	قلبه حتى هواك
ما رأى للعيش حسناً	لحظه حتى رآك
كيف تسلو عن محب	بك صب ما سلاك ؟
لا هناك النوم يا سسا	لب نومي لا هناك (١)
ما هناني النوم منذ لا	حت لعيني حلاك (٢)
أيها القلب اسل عنه	فهو لا يدرى لظاك
ناعم البال قرير	ليته عاني جواك
أيها النشوان من خم	ر الهوى من ذا سقاك ؟
أيها الواله من وجـ	د الهوى ماذا دهاك ؟
ما نهاك الصد والإعـ	راض عمن قد جفاك ؟
ما أظن الحب يحدو	بك إلا للهلاك (٣)

حلم بالبعث

رأيت في النوم أتى رهن مظلمة	من المقابر ميتاً حوله رم
نأى عن الناس لا صوت فيزعجني	ولا طموح ولا حلم ولا كلم

(١) لا هناك النوم : دعاء عليه بأن لا يتهنى بالنوم أى لا يجده هنيئاً . (٢) حلاك : أى محاسنك .

(٣) يحدو : أى يسوق . والجداء : هو الغناء للإيل كى تتحمل السير .

مظهر من عيوب العيش قاطبة
ولست أشقى لأمرٍ لست أعرفه
فلا بكاءً ولا ضحك ولا أمل
والموتُ أظهر من خبث الحياة وإن
مازلتُ في اللحد ميتاً ليس يلحقني
مرت على قرون لست أحفظها
حتى بعثت على نفخ الملائك في
وقام حولى من الأموات زعنفه
فذاك يبحث عن عين له فقدت
وذاك يمشى على رجلٍ بلا قدم
ورب غاصب رأس ليس صاحبه
ويبحثون عن المرأة تخبرهم
جاءت ملائكة باللحم تعرضه
رقدت مستشعراً نوماً لأوهمهم
فأعجلوني وقالوا : قم فلا كسل
قد مت ما مت في خير وفي دعة
أستغفر الله من لغوٍ ومن عبثٍ

فليس يطرقنى هم ولا ألم
ولست أسعى لعيش شأنه العدم
ولا ضمير ولا يأس ولا ندم
راعت مظاهره الأحداث والظلم
نبح العدو وبى عن نبجه صمم
عداً كأن مربى الآباد والقدم
أبواقهم وتنادت تلکم الرمم
هوجاء كالسَّيل جمّ لجه عرم
وتلك تعوزها الأصداغ واللمم
وذاك غضبان لا ساق ولا قدم
وصاحب الرأس يبكيه ويختصم
عن قبح ما تترك الأحداث والعدم
ليلبس اللحم من أضلاعنا الوضم
أنى عن البعث بى نوم وبى صمم
ينجى من البعث ، إن الله محتكم
وقد بعثت فماذا ينفع الندم ؟
ومن جناية ما يأتى به الكلم !!

(١) المقصود بهذه القصيدة السخر بالناس وذنابلهم التى لا تكاد تفارقهم حتى عند البعث .

صنم الملاحه

صنم الملاحه والرشا
ناجيت قلبك كى ير
يقسو فؤادك يا صنم
وخذعتنى بغدير حسـ
وتركتنى كالمصحـال
صنم الملاحه زفرتى
وتبتُ فسيك الحب يا
فتحس فيك شجونه
فدع الجمود لأهله
صنم الملاحه إن حسـ
فإذا لقيتك أو سمعـ
تدع الفؤاد كطائرٍ
وتنام ليلك ناعماً
صنم الملاحه إننى
بلغ الغرام إلى الجنو
وملكتنى فظلمتـنى
وحيت بين الناس معـ
والحب حلو ذائب

قـة واللذازة والألم !
ق فـما أحس ولا رحم
أو ليس من حجر أصم ؟
نك كالسراب إذا ألم
ظمان يهلكه السقم
تحسيك من سنة ونوم
صنم الملاحه يا صنم !
وتصير من لحم ودم
إن الجمود هو العدم
تك مثل الخان النغم
تك أو رأيتك فى الحلم
إن هم بالطيران لم
وأبيت ليلى لم أنم
وهواك فى نحس وهم
ن فلا عتاب ولا ندم
والحسن أظلم من حكم
سروفا بحسبك منهم
والحب من صاب وسم

ومن العجائب أننى
فكأن حسنك ما جنى
يا ليت حبك يا صنم
فأفيقُ منه مسلماً
فكأن حسنك لم يكن
بسرابِ حسنك معتصم
شراً على ولا اجترم
حُلمٌ تجئ به الظلم
مثل الظلام إذا انصرم
وكانَ حُبُّك لم يُلم !

بين الحقيقة والخيال

أما علمت عيناك أنى قتيلها
فليس عيونُ النرجس الغضُّ مثلها
وليس عيونُ النجم أبهى إذا بدت
لعينيك سحرٌ ليس للسحر فعله
أما علمت عيناك أنى عاشق
أما علمت عيناك أن لحاظها
إذا ما كررتُ اللحظ نحوك طرفةً
لقد كثر الناعون للودُ بيننا
حبيبى دع الدنيا تجئ بما تشا
وجد لي بدخراً من وداك وافرٍ
وإن تلق وداً مثل ودى فلا تكن
ولا تحسبن الناسَ ناساً فإنهم
وكلُّ حبيبٍ بالمحبِّ خبيرُ ؟
ولا القطرُ فوق الوردِ وهونضيرُ
وللنجم لحظٌ فى الظلام منير
فليس لها فى الفاتنات نظير
وأنى غريبٌ فى الحياة أسير ؟
تثير غراماً واللحاظُ تثير ؟
رجعتُ ولحظى من سناك حسير
فهل يأتينى عن رضاك بشير ؟
فكلُّ فضاءٍ طائر سيطير
وكلُّ قليل من رضاك كثير
له عائفاً ، أم الودادِ نزور^(١)
قرودٌ إذا كشفتهم وحمير !

(١) نزور : أى مقلة من النسل .

وأكثر ما خالوه صدقاً وحكمةً
وآذانهم مثل الحمير طويلةً
بنى آدم من قبل آدم قد مضت
فإن يك فيكم فطنةً وضماً
ضمائركم لو تعلمون حبائل
حبيبي لا يحدث لك الحسن غرةً
أما أنت نسلُ القردِ كالناسِ كلهم
مشابه لا تخفى لديك كثيرةً
فإن قلتُ أنتَ البدرُ فالقولُ كاذبٌ
وما ذاك إلا خدعةٌ وتعلُّ
وهل يستقيمُ العيشُ إلا بخدعةٍ
بلى أنتَ نسلُ البدرِ والشمسِ زوجا

نعيقٌ إذا بينته ونعيمٌ !
وذيلهم لا كالقروذِ قصير !
عصورٌ على أعقابهن عصور
فللقرد عقلٌ وافرٌ وضمير !
لها من أباطيل النفاقِ سيور
فكلُّ حياةٍ لو علمتَ غرور
وذلك رأى لو غضبتَ خطير !
تحدثنا أن النظيرَ نظير !
وإن قلتُ أنتَ الشمسُ فهو فجور !
وبعض الخداعِ للحياة نصير
وأى سرورٍ فى اليقين سرور ؟
وأنتَ جمالٌ للحياة منير !

الحسود

أخ لى ، وإخوان الصفاء قليل
إذا ما بدت لى خصلةٌ يستجيدها
وأدركه مسُّ الجنونِ وأظلمت
تنفس أنفاساً سراعاً ، وأبرقت
فرائصه مرجوفةً ، ودموعه
وإن تبدُ منى ريبة قال باسمًا

خليلٌ وهل فى الحاسدين خليل ؟
طواها عنيف عند ذاك عَجول
عليه السماءُ ، والنهارُ جميل
له لحظات كلهن غليل
تحسّر فى آفاقه وتَجول
ألا إنها طبع لديه دخيل

ويشدو بمدحى حاضراً ، ومديحهُ
ويبسم للزاري على كائنما
ويوهم صحبى أننى ذو عداوةٍ
وأنى مغتابٌ وأنى حاسدٌ
إذا استخبروا عن شيمتى ومحاسنى
وإن مدحونى جاهدين وأكثروا
يعين على شتمى وإن هو لم يقل
ويبغضنى سراً كائنى وترته
ويعتد غنماً أن تنيخ مصيبةٌ
كأن جحيماً موقداً فى ضلوعه
وفيه شياطين من الحقد وجهها
فلا زال مسموماً من الحقد عانياً

إذا غبتُ عنه كالهجاءِ ثقيل
يقول له أحسنت حين يقول
أجولُ بعيبٍ فيهم وأصول
أعيب عليهم فضلهم وأذيل
يجمع قولاً مشكلاً ويميل
تملح حقداً والحقودُ عليل
مقالاً وبعضُ الصامتين يقول
بفضلى وما تبغى لدى ذحول
على وأنى فى الشقاءِ أقيـل
تؤججه ريحٌ عليه تجول
يروعُ إذا أبصـرته ويهـول
ولا زال عنى من هواه نكول

بالله ما تفعل لو بلغوك

بالله ما تفعل لو بلغوك
أأنتَ بأكٍ للمـحبِّ الذى
أم ضاحكٍ لاهٍ به ساخر
بكأكٍ للصـدِّ ولوعاته
وكيف لا يُذهب لى الهوى

أنى عـرـتـنى جـنة من هواك^(١) ؟
لم يعرف الذلة حتى رآك ؟
والسخر أن تضحك ممن بكأك ؟
إذ أظلمت عيشته من جفاك
إذ مضت لى أشهر لا أراك ؟

(١) الجنة بالكسر : الجنون .

أَظْلُ كَالْأَعْمَى إِذَا غَبِيتُمْ
يا نور عيني ، غَال عيني العمى
وَالْعَقْلُ لَا يَعْقِلُ إِنْ غَبِيتُمْ
أَبَيْتُ لَا أَذْكَرُ إِلَّا أَسْمَكُمْ
حَتَّى مَتَى لَا وَدَّ لِي مِنْكُمْ
مَرَّكَ مَرَّكَ الَّذِي أَبْتَغَى
بِاللَّهِ مَا تَفْعَلُ لَوْ بَلَغُوكِ
وَأَنْنِي قَدْ صَرْتُ فِي حَفْرَةٍ
وَالدُّودُ لَا يُفْلِتُ مِنْهُ الرَّمْسِيمُ
أَنْتِ تَبْكِي لِلرَّمْسِيمِ الدَّقِينِ
بِاللَّهِ مَا تَفْعَلُ لَوْ بَلَغُوكِ
لَمَّا مَلَلْتُ الْعَيْشَ مِنْ بَعْدِكُمْ
جَرَعْتُ مِنْهُ جَرْعَةً كَأَسْهَهَا
يَا عَجِيباً لَوْ كُنْتُ لِي رَاحِماً
اضْحَكِ وَلَا تَحْزَنْ لِمَا نَابَنِي ،

فَالْعَيْنُ لَا تَبْصُرُ حَتَّى تَرَكَ
أَغْدَقُ عَلَيْهَا رَحْمَةً مِنْ سِنَاكَ
وَالنَّفْسُ لَا تَأْمَلُ إِلَّا رِضَاكَ
فَلَيْسَ لِي فِي الْعَيْشِ شُغْلٌ سِوَاكَ
حَتَّى مَتَى لَأَحْظَ لِي مِنْ لِقَاكَ
طَوْبِي لِعَبِيدٍ قَاطِنٍ فِي ذِرَاكَ^(١)
أَنْ الْهَوَى أُرِدَ نَفْسِي الْهَلَاكَ
قَنِيصَةً الدُّودِ وَيَا بَيْئَسَ ذَاكَ
وَالْمَوْتُ مَا لِلْمَرْءِ مِنْهُ فَكَأَكَ
أَمْ ضَاحِكٌ مِمَّا جَنَّتْهُ يَدَاكَ ؟
أَنْنِي أَسْعَى عَامِداً لِلْهَلَاكَ !
سَقَانِي السَّمَّ الَّذِي لَا سَقَاكَ
يُرْوَى صَدَى الْقَلْبِ الَّذِي قَدْ هَوَاكَ^(٢)
أُحْرِقُ الرَّحْمَةَ تَكْوِي حَشَاكَ ؟
الْجِسْمُ وَالرُّوحُ جَمِيعاً فِدَاكَ !

الحب والحياة

إِنِّي أَحَبُّكَ يَا صَدِيقَ
وَالْحُبُّ أَهْوَنُهُ شَدِيدُ
حَبِيباً يَزِيدُ عَلَيَّ الْمَلَا
مِ كَأَنَّهُ الطِّفْلُ الْعَنِيدُ
إِنِّي أَحَبُّكَ مَا حَيَّيْتُ
فَإِنْ قَضَيْتُ فَلَا يَبِيدُ^(٣)

(١) الذرى : الكنف والجناب . (٢) الصدى : الظلما . (٣) قضى : أى مات .

وإذا بعثت فسأنت شغف
والحبُّ فيه لذى الصبا
والحبُّ مثل الخمر تشد
والحبُّ مثل الحرب إن
لا يسلمن من اللوا
إن السعادة والشقا
فتكات طرفك كالقفا
لحظٌ يطل به الضيـا
لحظٌ هو الصدق المبين
لحظ به سرُّ الحيا
لا تخرجلن إذا وصف
فالحسنُ أعظم ميزة
حدثت نفسي أن حد
فإذا عفوت فإنني
لو كان حسنُ العيش في الـ
فإذا انقضى عاودته
لقضيتُ منه مأربى
ليس السعادةُ للمسح
والحبُّ قد يجنى على الـ

على لا الجزاء ولا الوعيدُ
إما الهلاك أو الخلود
ربها فيغريك المزيد
شبت يشيب لها الوليد
حظ لا الجبان ولا الجليد
وة والحمام لها جنود
در في المصادر والورود
ء على المباسم والحدود
وغيره الكذب الرديد^(١)
ة وسرُّها أبداً جديد
ت بحسن طرف أو بجيد
والحسن كالذخر التليد
بك لا الرشيد ولا الحميد
وحياة حبك لا أعود
صبوات كالنغم السديد
فأعيده للمستجيد
ونعمت بالأمل المديد
سب بل الجميل هو السعيد
معشوق من شر وكيد

(١) الرديد : المرود الذي لا يصدق .

أَوْ مَا تَرَى حَسَنَ الطَّيِّو
تَجْنَى الْمُنَاقِبُ وَالصِّفَا
فَالْعَمِيرُ ذَلَّلَهُ الْغَيْبَا
تَتَكَسَّبُ الرِّزْقَ الْقَلِيلِ
حَسِبُوا الْأَدِيبَ وَقَوْلَهُ
أَوَاهٍ مِنْ عَنَتِ الْجَهْمِ
لَوْ كَانَ قَلْبِي كَالرَّمَا
وَلَيْتَنِي ضَحَكْتُ فَإِنَّهُ
وَالْحُبُّ فَيَسِيهِ تَعْلَهُ
تَلْهَى الْمَحَبُّ عَنْ الْحَيَا
وَتَلِيحُ بِالْحَلَمِ اللَّذِي
فَاضْرِبْ بِسَهْمِكَ فِي الْحَيَا
وَانْدَسْ فِي وَسْطِ الزَّحَا
وَارْقُصْ عَلَى نَغَمِ الْحَيَا
وَاضْحَكْ وَكُلْ وَاعْمَلْ وَنَمْ
وَاحْمِلْ حَيَاتَكَ فِي يَدَيْ
وَاسْتَقْبِلِ الْأَيَّامَ فِي
فَإِذَا دَعَاكَ مَنِيَّةُ
فَادْلِفْ لَهَا دَلْفَ الْمَجْدِ

رِ يَصَادُ لِلرِّيشِ النَّضِيدُ ؟
تُ عَلَى الذَّكِيِّ أَوْ الْبَلِيدِ
وَجْنَى الذِّكَاءُ عَلَى الْقُرُودِ
لَ لَتَضْحَكُ الْقَوْمَ الْجُمُودِ
كَالْقَرْدِ يَضْحَكُ لَا يَفِيدُ
لِ وَمَا يَقُولُ وَمَا يَكِيدُ
دَلْمَا أَلَمْتَ مِنَ الْخُمُودِ
ضَحَكَ الْبَوَارِقُ وَالرَّعُودِ
تَلْهَى الشَّقَى عَنْ الْجُدُودِ
ةِ أَوْ النَّحُوسِ أَوْ السَّعُودِ
ذِ وَتَحْتَهُ الْأَمَلُ الصَّدُودِ
ةِ فَمَا الْبِكَاءُ عَلَى فَقِيدِ ؟
مِ فَمَا الْخُمُولُ وَمَا الْقَعُودِ ؟
ةِ فَمَا لَهَا أَبَدًا مَعِيدِ
وَادَّابُ عَلَى السَّعْيِ الْمَجِيدِ
كَ فَإِنْ أَصَبْتَ فَمَا تَمِيدِ
دَعَا فَمَنْ بِيضٍ وَسُودِ
وَالْمَرْءُ كَالزَّرْعِ الْحَصِيدِ
رَبِّ لَا يَخُورُ وَلَا يَحِيدُ !

سراب الود

ألوى إلى الناس وجهاً غير منبسطٍ
أننى تلفتُ لم أبصر سوى رجلٍ
هم يحسدونى على عيشى فوا أسفى
تكشف الناسُ عن عادٍ له إحن
للناسِ فى العيشِ من بدوٍ وحاضرةٍ
ما كنتُ أختار هذى الناسَ منزلةً
الشرُّ والكذبُ والأحقادُ طبعهمُ
أسقى التصافى خليلاً لا يعاشرنى
إذا اتخذتُ خليلاً لى أصادقهُ
فينجلى صرْفه عن وائرٍ حنقٍ
عللتُ بالود قلبى وهو ذو أملٍ
فما طلابى سراياً عزَّ مطلبه
أما حبيبٌ رغيبٌ ذو مصادقةٍ
إنى لأرحم نفسى أننى أبداً
يا ويح نفسى ، أما ألقى أخاً ثقةً
وأتقيهم بقلبٍ غير مسرورٍ
بأدى العداوةِ مخضوبِ الأظافرِ
عيشى عليلٌ وصنعى غير مشكورٍ
وعن ذليلٍ شديدٍ الغلِّ مقهورٍ
طبعُ العقورِ وإما طبعُ معقورٍ
لو أننى كنتُ حراً غير مجبورٍ
والحقْدُ فى الطبعِ بادٍ غير مستورٍ
إلا على رنقٍ منه وتكديرٍ
دار الزمانُ علينا بالمقاديرِ
وعن مروعٍ كثيرٍ الهمِّ موتورٍ
لا الود يصفو ولا قلبى بمغرورٍ
وقد ظفرتُ بحظٍّ منه مقمورٍ
أقضى به العيشَ محمود المصاديرِ ؟
بين البغالِ وأحلامِ العصافيرِ !
كأنما روحه صيغت من النورِ ؟

عبث الحياة

« أرسل إلى صديقى الشاعر العبقري الجليل عباس أفندى محمود العقاد هذه

الآيات الآتية وهو مقيم بأسوان » :

« يا جار بحر الروم مالك صامتاً
غضبان من لؤم الحياة وإنها
إما غضبت ففي جوارك خضم
إنى ألب بموطن لو أنه
تمضى الشهور وفي الجوانح لوعة
أشكو الزمان إلى القريض وتارة
فاكتب على هذا الزمان ذنوبه
واضحك فإن قالوا تضاحك قانط
تالله لو علموا لكان مكاننا

هلاً اقتديت بموجه المتجدد ؟^(١)
أمة ولكن مالها من سيد
غضبان يقذف باللغام المزبد
قفر لأطربنى صغير الفدقد
تمشى على كبدى كحز المبرد
أشكو القريض إلى الزمان المعتدى
إنا نؤجله الحساب إلى الغد
فاضرب لهم مثل الغمام المرعد
فيهم أعز ، وكيف علم المقتدى »

فأجبت بهذه الأبيات الآتية بالعنوان السابق :

ماذا يفيدُ تصوبى وتصعدى
كالبحر فى أحواله متغيراً
عبثاً تعيثُ الريحُ فى هباتها
عبثاً يسير النجمُ فى أبراجه
عبثاً تضيء الشمسُ وجهَ مسالكِ
لو كان يدرى المرءُ قدر شقائه
والناسُ غرقى فى الشقاء ولؤمه
ومن البلية أننى بشقائهم
إن التبلىءَ والبلادة والغبا
ولربَّ صحو للخمار مبعُضُ

فى مسلكٍ للعيش غير ممهدٍ ؟
عبثاً يضحج بموجه المتجددِ
كالحداثاتِ إذا تروح وتغتدى
متنقلاً فى سيره عن موعد
للعيش تزخرُ بالشقاء المزبد
فى العيش ودُّ لو أنه لم يولد
من ناغم يشكو ومن متبلىد
وشقاوتى أمحو لذيد تجلدى
مثلُ الخمرِ لذيدة والمرقد !
يأتى بهم للحياة مجدّد !

(١) كان الشاعر يومذاك مقيماً بالإسكندرية حيث قضى سنوات عدة .

كالماء أو كالنار أو كالجلمد !
نار الجحيم بقلبه المتوقد ؟
ولرب ضحك في النعيم مفرد !
إن باع دنياه بموت سرمد !

من لى بعيش لا أحس صروفه
ماذا يفيد تضاحك من قانط
ضحك يهد القلب وقع رعوده
ماذا على الإنسان لولا نسله

الحياة والفنون

جمل وجه السماء بالشهب
ببدايع في الفنون والأدب
مستخلصاً من شوائب الريب
في مشرق من ضيائها الذهبي^(١)
غسراء في حلة من اللهب
والنفس تزهى بثوبها القشب
من محكم الصنع أقرب النسب
صنع مفيد الآلات والقضب ؟
أرض بيوتاً مرفوعة الطنب ؟^(٢)
مزمار والصنج لذة الطرب ؟
عاشق لنا وسورة الغضب
واللحن سكر مثل ابنة العنب

جملك الله يا حياة كما
حديقة للنفوس زاهية
تجلو لك العيش من غياهبه
تنور النفس نورها أبداً
والحسن ضوء النفوس يظهرها
والحسن ثوب النفوس تلبسه
وكل فن إلى الجمال له
من علم المرء في بدايته
من علم المرء أن يقيم على الـ
من علم المرء أن ينال من الـ
يحكى بها ضربه مغازلة الـ
واللحن خمر النفوس تشربه

(١) أي : كما أن ضياء الشمس غذاء للأزهار كذلك الفنون غذاء للنفس .

(٢) الطنب بالضم : العمد .

يحكى به موقعَ الحوادث والـ
يحكى به الجَدَّ إذ يجد به الـ
يحكى به السعدَ والشقاء وما
يحكى به خفقةَ الفؤاد على
من علَّم المرء أن يخط على الـ
يحكى به الضوءَ والدياجير والـ
يحكى به الجلدَ فى عمومته
يحكى به أوجهَ الحياة وما
كأثما يقبس الضياء من الـ
من علَّم المرء أن يقسّد من الـ
تلك مثال الكمالِ صورهِ
أو فى ثيابِ كأثما يبرز الـ
تحسبها فى الحياة ماثلةً
تحسب فيها القلوب نابضةً
من علَّم المرء أن يقول من الـ
يعلم الناس فى سرورهم
وأن هذى الفنون قاطبةً
والفنُ جمّ والعيشُ آخره

أقدارٍ من مغنمٍ ومن سلبٍ
دهرٌ وطوراً كرقصةِ اللعب
نصيب من نعمةٍ ومن كرب
حالٍ به من راحةٍ ومن تعب
قرطاسٍ لوناً من أعجب العجب ؟
أجسام من ناضرٍ ومن شحب
وما يليه من الدم السرب^(١)
نراه فى بدئها وفى العقب
شمسٍ ويأتى بظلمةِ السحب
صخرٍ دمي فى وضاعةِ الشهب ؟^(٢)
يظل عريان غير محتجب
ريحُ بها الجسم ليس فى حجب
تفكر فيما تريد من أرب^(٣)
خافقةً بالشعور والنصب
شعرٍ مقالاً كاللحن فى الطرب ؟
حكمةً هذى الصروف والنوب
جماعها فى القريض والأدب
دان دلوفاً بالحوادث الأشب^(٤)

(١) السرب : السائل المتسرب .

(٢) أى : تماثيل جميلة مثل النجوم .

(٣) أى : تحسب هذه التماثيل ذات حياة تفكر .

(٤) الحادث الأشب أى : الموت .

وفي صروف القضاء عرقلة
وتبعث اليأس والملالة والـ
تقتل روح الذكاء بالريب
شك وتودي بهمة الطلب !

مناجاة الأرواح

بحق من خلق الأرواح ذاكية
وخالق الحب والأرواح تألفه
وجاعل رسلاً في القلب يرسلها
وباعث من ضمير الصب خاطرة
تلك المناجاة تدنى الروح عن شحط
بحق من أنت من آيات صنعته
لو شاء برك ثوب الحسن أجمعه
ألا بعثت خيلاً منك في صلة
وما انتفاعي بطيف كله خدع
أو زرتني زورة في الدهر واحدة
كم قد دعوتك في الظلماء منفرداً
أبيت سهران مشغوفاً بذكركم
هيهات هيهات ما للقلب من رسل
لو أن للقلب ما خالوه من رسل
بل أنت لاه قيرير العين ذو سنة
وأودع الروح طول العمر في الجسد
فيمنع المرء من صبر ومن جلد
للقلب عن كذب تسعى وعن بعد^(١)
مثل الفراشة حامت حول ذي غيد
وتستقيذك في دل وفي ميد
صنعاً يلوح بحسن الواحد الصمد
فصرت عريان من أثوابه الجدد
يزور بالليل في نوم وفي سهد ؟
يا ليتته كان ذا روح وذا جسد !
تجيء عفواً فلم تخلف ولم تعد
وكم صدحت كصدح الطائر الفرد
وليس يدنيك لا شوقي ولا سهدي
إن الدعاء شفيع غير ذي سد
لكنت تعرف ما وجدى؟ وما كمدى؟
في حين وجدى شديد غير متدد !

(١) عن كذب أي عن قرب .

أنا مجنون بحبك

أنا مجنونٌ بحُبِّك فأزل غُلةَ صَبكِ
ليتنى بالسحرِ معرو ففأبغى خلس ليلك
ليتكُم كأس عَقَارٍ وأنا مغفري بشربك
أيها الظالمُ رفقاً ليس قلبي مثل قلبك
إن يكن في البعدِ موتٌ فادنني أحيَ بقسرك
أنت كالدهر مريبٌ فتجنى من سوءِ ريبك
ليتنى طولَ حياتي أحمد العيشَ بجنتك
ليتنى في الموتِ طولَ الـ سدهرِ مدفونٌ بتربك
سلمك المأمول فردو س فأحمد نار حريك
ودكم كالسحب وعد ووعيد طي سحبك
عتبكم عتب الليالي لم أجد عتياً كعتبك
أنا أهواك ومـالي منك إلا سوء غيبك
ألهدى ضوء عينك أم لرجم لحظ شُهْهِبك
أنت بستانٌ أنيقٌ نضجت أثمار رطبك
أتعد الذنبَ ذنبي ليت لي قلباً كقلبك
ذنبي الحبُّ لديكم ليت ذنبي مثل ذنبك
يا طيبَ الحبِّ ليس الـ هجرٌ من ناجع طبعك
إن قلبي طولَ دهري ناظرٌ يرنو لصوبك^(١)

(١) الصوب : الناحية والجهة .

كلُّ خيرٍ دون شرِّك	كلُّ صدقٍ دون كذبك
كلُّ عذبٍ دون مرِّك	كلُّ جدٍ دون لعبك
كلُّ صعبٍ دون سهلك	كلُّ فضلٍ دون عيبك !

ظالمى ما أعدلك

ظالمى ما أعدلك	فما قُضِ إنَّ الحكم لكُ
ليت روى طرفه	وجده عنك ملك
متُّ من داءِ الهوى	ليت حباً قتلك
لا يغرنك أن الـ	قلباً عبداً ذلَّ لك
كم جميل ما بدا	فاتناً حتى هلك
أى ذنبٍ جئت به	عن ودادى نقتلك ؟
أى أمرٍ طارقٍ	عن دعائى شغلك ؟
قد بدا لى يا حبيبى	منك أن لا قلب لك
إن يكن فيك جمالٌ	إن شعري جمالك
كل حسنٍ شمته	فيك روى حاك لك ^(١)
ليت لى يا قلب قلباً	طائعاً لى بـدلك
قد دعا داعى الهوى	فاتئد ما أعجلك
لتمسوتن ولا تبـ	بلغ منه أملك

(١) شمته أى رأيتَه . أى أن خيال الشاعر يكسو حبيبَه جمالاً ثم يعبد الشاعر هذا الجمال الذى حاكه خياله .

مما أظن الحبُّ إلا بالغماً بى أجلك !

ليتنى وليتك

ألا يا ليتنى نسمة	ويا ليتك لى زهرة
فسأهواك وتهوانى	فلا عتب ولا هجره
وكنتُ الروضَ ممطوراً	وكنتُ الغيثَ لى مطره
ألا يا ليتنى مساءً	ويا ليتك لى خمرة
فأحويك وتحوينى	ولا وجد ولا غدره
ألا يا ليتنى ليلٌ	وكنتُ الدهرَ لى بدره
أست الليل أحويك	وأنت البدر لى غمره ؟
ألا يا ليتنى طرفٌ	وكنتُ الدهرَ لى نظره
فألقاك وتلقانى	فلا بعد ولا ذكره
ألا يا ليتنى بحسراً	ويا ليتك لى قطره
ألا يا ليتنى أفقٌ	وكنتُ النجمةَ الزهره
ألا يا ليتنى معنى	وكنتُ الدهرَ لى سره
ألا يا ليتنى مسيت	ويا ليتك لى حفرة
فلا شوق ولا يأس	ولا نهى ولا زجره !

لولاك

لولاك ما ذقتُ طعمَ العيشِ لولاكا	فالحلو والمرُّ معقودٌ بجذواكا
لولاك ما بتُ طولَ الليلِ مكتئباً	ولا حننتُ لیسرقٍ من ثنایاكا

تصيحُ بى الطيرُ إني عاشقٌ لكمُ
والزهرُ يعذرني فيكم ويبسم لي
يهبُ شوقي لريحِ الوردِ أنشقه
أهوى النسيمَ الذى من نحو بيتكمُ
أحببتُ من حبكم من كان يعرفكم
فإن فى عينه عن حسنكم خبراً
حبيبُ يا زهرة الدنيا وبهجتها
أمشى أحدثُ نفسى عنكم أبداً
اختارنى الحبُّ دون الناس كلهمُ
كم يخلقُ القلبُ من نجواكم رسلاً
يطيفُ بى هاتفٌ من طيفكم أبداً
من حبكم صرتُ أبغى عنكم بدلاً
أشكو إلى الريحِ ما ألقى بحبكم

من علم الطيرَ أن القلبَ يهواك ؟
هل يعلمُ الزهرُ ما تجنيه عيناك
كأنما نفحاتُ الوردِ ذكراك
يا طيبه حينَ يأتينا برياك
كأنما قربه من طيبِ رؤياك
ونظرة سُرقت من حسنِ مراك
هل من ودادٍ فتلقانى وألقاك ؟
لعل قلبى يسعى بى لمثواك
فهبُ قلبى ولباه ولباك
هل جاءكم هاتفٌ منه فحياك ؟
يا ما أميلحه لو كان إياك !
أقول ياليت أن القلبَ يقلاك
يا قلبُ صبراً فما تجديك شكواك ^(١) ؟ !

الربيع والصبا

يا قلبُ مالك كالشتاءِ وبؤسه
قد كانت الآمالُ فيك صوادحاً
وتليح لي بمطامعٍ مرجوةٍ
يا قلبُ نابذك الهوى ونبذته

أيعودُ شجوك فى الربيع الآتى ؟
تهفو بسمع أحبتى ولداتى ^(٢)
إذ أنت تدعو والحبيبُ يؤاتى
أفهل نسيتَ محاسنَ اللذات ؟

(١) ما تجديك أى ما تنفك .

(٢) اللذات : القراء .

ذهب الهوى بزهوره وطيسوره	أفلا يصيخُ لدعوتي وشكاتي ؟
من لى بأيامٍ له محمودة	ذهبية الأشواق والصبوات ؟
نستقبل الأقدارَ وهى كوالح	فنعيدها مبيضة الصفحات
ذهب الربيع أخو الصبا بذهابه	فالطيرُ خرسٌ ميتةُ النغمات
أين السبيل إلى معاودة الصبا ؟	أيعودُ شجوة القلب بعد فوات ؟
والقلبُ مثلُ الزهرِ يحييه الهوى	يوماً ويدركه الأسى بممات
والمرءُ يحيا بعد فقدِ شجونهِ	ليست حياةٌ بعدها بحياة
فالصدرُ قبرٌ والشجونُ رفاته	ذكرى تليحُ بحفرتى ورفاتي !

ليلة القدر

أمسـاناً ليلة الدهرِ	أمسـاناً ليلة العمرِ
فقد أبصرتُ من أهوى	شبية الوجه بالبدر
فسبتُ الليلَ سهـرانا	أنادى الله بالجـهـر
عسى يدنى منى قلب	شقى فيك بالهجر
وأستدنيك بالنجوى	وأستدنيك بالسحر
فلم أظفر بمأمولٍ	وولتُ ليلة القـدر
عناءُ كلها كانت	من الإمساء للفجر

الرحمة

« منقولة عن شكبير »

وما الرحمةُ الغراءُ بالقهرِ تجتدى ولا يستفيد القسرُ أفضالاً ^{Exemplum}

تجود كما جادت سماءً بغيثها
أليست كقطر الغيث رياً ونعمة
وتبدر من قلب العظيم عزيمةً
فطوبى لذي هم ينال شفاءها
تظهر قلب المرء لو يستطيعها
هو الرفق تاج للملوك يزينهم
وفي صولجان الملك روع لناظر
ويملا قلب المرء خوفاً وهيبةً
ولكن ملك الرفق أعلى مكانةً
تبوء في قلب الملوك مكانةً
فإني رأيت الرفق كالخلد ملكه
وما نعت الرحمن إلا بنعته
إذا ما مزجت العدل بالرفق جاهداً
بلغت رضاء الله في خير نعته

فتجدي كما يجدي سخي الغمائم
تعيد وجوه الروض غراً المباسم ؟
وأعظم نفعاً في فعال الأعظم ؟
وطوبى لذي فضل كثير المكارم
وتكسر من شر الخطوب الهواجم
بأحسن من تيجانهم والصوارم^(١)
يدل على بطش الملوك القماقم^(٢)
فيفرق من سطو الطفاة الغواشم
وأعظم من ملك الظبي واللهازم^(٣)
تبوأهم ملكاً رفيع الدعائم
ولكن ملك السيف ليس بدائم
فطوبى لجم الرفق جم المراحم
وإني رأيت الرفق خير المطاعم
وسرت على نهج النفوس الكرائم

غروب الشباب

يموت شباب المرء والمرء غافلاً
ويمضي شباب العاشقين وما انقضى
شباب أضيء لي العيش كالشمس كلما
طلعت طلوع الشمس والعمر واضح

ويعقبه بعد الشباب مشيب
لهم أرب من عيشهم ونصيب
حداها إلى باب السماء غروب
شهي ، وأثمار الحياة تطيب

(١) الصوارم : جمع صارم وهو السيف .

(٢) القماقم : السادة نور البذل والعطاء .

(٣) الظبا جمع ظبة ، واللهازم جمع لهزم : وهي السيوف القواطع .

وتغرب عنا مغرب الشمس رائعاً
تضيء بحار العمر كالشمس حقة
لك الشفق المشبوب كالنار كلما
وتندبك الأشجان وهي سحائب
فقم يا مشيبي واملا العيش وحشة
وما الشعر المشبوب في الرأس حلية
وما الشعرات البيض فيك مضيئة
وأنت على ما كان فيك حبيب
وتطفئك الأحداث وهي خطوب
تأجج في صم الضلوع لهيب^(١)
لها منظر عند الغروب مهيب
لها من دياجير الظلام ضروب^(٢)
ولكن رماد للحياة يريب^(٣)
وليس لها في الزاهرات ضريب^(٤)

الحب القديم والجديد

ذهب الحب فلا تحزن له
كنت تسقيني من كأس الهوى
فإذا الحب نعيم ينقضى
لا يحل البسفض فينا منزلاً
كل شيء لبلاغ ومدى
فابتندره وهو في إبانه
أول الحب عباب زاهر
لا أريد الحب إلا رائعاً
ومضى الوصل فلا يغنى الندم
جرعات هي من خير النعم
وإذا حسنتك طيف في الحلم
حلّه فينا الغرام المنصرم
ومدى الحب ملال وسام
واسل عنه وهو نضو منثلم
وبقاياه كمروج منهزم
مائل للنفس كالسيل العرم

(١) المشبوب : المشتعل . (٢) الضروب : النظائر . (٣) المشبوب : المشتعل ، يقصد به الشعر

الأبيض كأن بياض المشيب رماد الحياة . (٤) الزاهرات : النجوم ، أي أن شعرات المشيب في سواد

الرأس ليست مثل النجوم المضيئة في سواد الليل .

ليس للعتبى مجالٌ بيننا
إن نحاولُ رجَعَ وصلِ دارسٍ
لذة الذكرى إذا ما لم يكن
لك فى الناس ألف عاشقٌ
قد بلوناك حميداً فى الهوى
لك من ودى نصيبٌ وافرٌ
ليس للحب قيسودٌ أو إيسارٌ
أنت عندي مثل حلمٍ رائقٍ
أو كنسور البدر فضيًّا له
غير أن الشمس يورى نورها
يبعث الرغبة فىنا حرها
ولنا فى الناس ألف حسنه
أنا منه كل يوم فى جوى
ومن العاشق جنونٌ خابل
ما على العاشق من لوعات
وحبيبٌ باسمٍ مثل الضحى
جاهلٌ بالعيش لا يعرف ما
يحسب الحب كحلى زائنٍ

فبنا عن رجعة العتبى صمم
لا يعود الذكر إلا بالألم
كلف يجلب للقلب السقم
ولنا فى الناس عشقٌ مكتتم
وبلوناه حميداً لا يذم
حافظٌ عهد الزمان المنصرم
إنما الود كفيلٌ بالذمم
أو خيال يطرق النوم ملم
وتر فى القلب فضى النغم^(١)
فى نواحي القلب حباً كالضرم
إنما الرغبة نار تضطرم
مثل حسن الشمس جالٍ للظلم
يستبيح القلب من لحم ودم
يزدرى المرء له وقع التهم
ما يرى فى الحب من عذلٍ وذم
وإذا فاتحته الحب وجم
تخبأ الأيام من صرف القسم
لابساً من دره ما ينتظم

(١) ما رأيت ضوء القمر إلا أحسست كأن نواقيس فضية تطن فى أذنى ، وإن ألد الأنغام رنة الفضة

المجوفة .

إنما الحبُّ جنونٌ وجسـوى
وبه للنفس مَحْيا أو ممات
يرفع الحبُّ ذليلاً خاملاً
كم مسح هالكٍ من لوعةٍ
ولقد يجنى على الحسن الهوى
ورجاء واجتـرامٌ وندم
وبه للقلب غنمٌ أو نقم
ويذل الحبُّ شهماً لم يضم
وحبيبٍ بات كالصخر الأصم
مثلما يجنى على العيش العدم !

مواطن الحب

الحبُّ طلائعُ الثنايا له
وفى الجبال الشمُّ وكرُّ له
وفى الكوخ نزال وفى الروضة الـ
تراه فى الصحراء فى ظعنه
لا فى المكان الجذب مستوحشاً
له على الأمواج مسعى وفى الـ
فراشه الأرضُ على رحبها
بين القصور ضاحكٌ تارة
أما ترى العشاق فى خلوةٍ
فلم يبالى الميت فى قبره
إن لهم فى عيشهم فسحةً
فى كل وادٍ جيئةٌ أو ذهابٌ
كأنه النسرُ إليها يؤوب
غناء نزال بهـا لا يريب
وفى القصور البيضِ ألف ربيب
وليس يزهوة المكانُ الخصب
رياح مسعى رائعٌ لا يخيب
وسقفه وجهُ السماءِ الرحيب
ونائحٌ طوراً وطوراً قطوب
وطاؤهم قبر وروضٌ قشيب ؟
ما دام يخلو بالحبيب الحبيب ؟
للفكر يحدوه الأسى والمشيب^(١)

(١) فسحة من الزمن : أى متسع منه والضمير يعود على العشاق . أى : دعهم فى شبابهم وغرورهم
فإن هذا أحسن العيش ، وسيأتيهم المشيب بالحزن والفكر .

فدعهم الآن على غيرة	فإنما الغيرة عيش خلوب ^(١)
يلعب بالأرواح هذا الهوى	كالطفل يلهمه الذباب الصخوب
ليس فقير جاهلاً أمره	ولا غنى خالياً لا يريب
كلاهما طب بأمر الهوى	فإنما دار الغرام القلوب ^(٢)
فى كل أرض منه إثر له	وكل ربح من شذاه تطيب
فى كل دار من جواه مريض	وكل قلب فيه جرح رغب

جنون الحياة

لا ترع فالدهر مجنون	كل حى فيه مغبون
جن من حول ومقدرة	وكذا ذو الحول مجنون
كل ثبت الجأش فى دعة	وقليل الصبر محزون
إنما الدنيا الذى خلد	رأيه بالعزم مقرون
هذه الأقدار محذقة	غر منها الضيق واللين
نحن فى أقدامها كرة	ما لنا فى العيش تأمين
لا تفكر فى مصادرها	كل هذا الفكر مظنون
لا تفكر فى مصائبها	أى ما أملت مسيقون
فعلام الخوف من غير	للعوادي شرها الحين
احس كأم العيش فى دعة	لا يرعك العز والهون
كسراب البید عيشتنا	ما لنا فى الدهر تمكين

(١) خلپ : أى سرق . وعيش خلوب : أى سارق للقلوب مستهولها . (٢) طب : خبير .

صورٌ للدهرِ يعرضها
 كم تُرى فى العيشِ ذا وجلٍ
 لو يفيد الخوفُ صاحبَه
 وتناجى ما مضى أبداً
 إن أتاك الهمُّ مشتملاً
 ورأيت القلبَ منك جرى
 دار عنه الناسَ كلُّهمُ
 ثم قهقهه فى وجوهم
 فتضاحك ، ثم قل أبداً
 دهرنا دار المجانين
 ثم تخفى وهو مدجون^(١)
 أى شئ فيه مأمون
 صحَّ أن السعدَ مضمون
 أيجيب الحى مدفون ؟
 سيفه والسيفُ مستون
 دمه والقلبُ مطعون
 إن برَّ الناسِ مظنون
 وإذا ما لام محزون
 إن هذا الدهرُ مجنون !
 كل حى فيه مسجون !!

فراشة الحب

شربت بلحظك كأساً تلذ
 فأنت نعيمى وأنت شقائى
 وبعذك عنى موتٌ كرية
 فحتام أدعوك لا تستجيب
 أحوم عليه وفيه الهلاك
 أظل إذا لحت ذا لوعــــــــــــــــة
 أموت من الحسب يوماً فيوماً
 وهيئات أسلو وحسنك رى
 فأسكرتنى يا مليح الهشاش^(٢)
 وأنت هلاكى وأنت معاشى !
 وقربك بعثٌ يجسد انتعاشى
 وطرفى إلى نور وجهك عاشى^(٣)
 كما حام بالضوء طيرُ القَراشِ
 كذى القُرُ فى هزةٍ وارتعاشِ
 وحسبك فى القلبِ نامٍ وناشِ
 أيسلو عن الرى سربُ العطاش^(٤)

(١) أى معتم كائن به غيوماً .
 (٢) الهشاش : الخفة والتشاط والمرح .
 (٣) العشا : سوء البصر .
 (٤) السرب من الحيوانات : الجماعة .

وفى الحسنِ حاجةً نفسِ الأديب هى الطيرُ وهو لها كعشاش^(١)
فلا تأخذنْ بقولِ العدوِ فالكذبُ فى الناسِ بادٍ وفاشى
فخيرهم فيه طبع الجحاشِ وشرهم فيه طبع الخشاش^(٢) !!

عصفور الجنة

ألا يا طائرَ الفـردو سِ قلبى لك بسـتـانُ
ففيه الزهر والماءُ وفيه الغصن فينانُ
ففرّد فيه ما شئتَ فإن الحبَّ مرنان^(٣)
وفيه منك أنغامٌ وفيه منك ألحان
وللأشـجان أوتارُ ونـايـاتٌ وعـيـدان
ألا يا طائرَ الفـردو سِ إن الشـعر وجـدان
وفى شـدوك شـعر النـف سِ لا زورٌ وبهـتان
فلا تـعتـدُ بالناسِ فـمـا فى الخـلق إنـسان
وجد لى منك بالشـعرِ فإنا فىـه إـخوان
ألا يا طائرَ الفـردو سِ قلبى منك ولـهـان
فهل تأنفُ من روضى وما فى الروضِ ثـعبان ؟
وهل تفرق من جوّى وما فى الجـو عـقـبان^(٤) ؟
وهل تنفـر من قلبى كأن القلبَ خـوآن ؟

(١) أى أن نفس الشاعر تأنس بالجمال كما يأنس الطير بوكره .

(٢) الجحاش : صفار الحمير . والخشاش : بكسر الخاء الحشرات : أى أن خيار الناس مثل الحمير :

وشرارهم مثل الحشرات . (٣) مرنان : أى به لين فى صلابة كالأوتار . (٤) تفرق : أى تخاف .
والعقبان : طيور كاسرة .

فمالى منك إسعاد	ولا لى منك لقيان
ألا يا طائر الفـردو	س إن الدهر ألوان
وللأقـدار أحكام	وللمـخلوق إذعان
أرى الأحداث إسراراً	ستمسى وهى إعلان
ويهفوك ريبُ الدهـ	س إن الدهر طعـان
فلا حسن ولا شدو	ولا زهر وأغصان
سيبقى لك فى قلبى	مـودات وتحنان
فإن ملك أحباب	وإن عـقك إخوان
وإن رابك من عيشـ	سك لوعات وأحزان
وإن باعدك الحسن	وثوبُ الحسنِ خلقان ^(١)
فجرب عندها قلبى	فسقلى منى منك مسلان
إذا تعرف أن القـلـ	سب من حبك نشوان
فعشش فيه فى أمنٍ	فسقلى بك جـذلان
وأسمعنى من الشعر	فإننا فيه خـلان
وهل تفهم ما أعنى	وهل للطير أذهان ؟ !

إلى الروح التى أهوى

إلى الروح التى أهوى	أعز الله مأواها
حياءٌ صدها عنا	وسوءُ الظن أقصاها

(١) الخلقان : الثياب البالية .

فإننا نتــمناها	فهل من عطفة تُرجى
فليت الحب أدناها	وروحى نحوها تهفو
ويؤينا وإياها	لعل الموت يدنينا
ول جذلاً بلقيها	أجوبُ العالم المجهـ
أطاب الله مثواها	إلى الروح التى أهوى
فليت القلب يقـلاها	لقد أفسدت العيش
وبئس العيش لولاها	ونعم العيش لو تدنو
بملقـساها ورؤياها	وكان العيش محموداً
وليت الحب أعداها ^(١)	فليت الحب أصمـماها
ق واليأس وحاشاها	فتدري لوعة الأشوا
فإن القلب يهـواها	لعل الله يرعـاها
إلى الروح التى أهوى ؟	فهل من مبلغ قولى

بعد الحسن

وقلت ومالى فى هواك جوابُ	عتبتُ فلم ينفع لديك عتابُ
وإن جنونى فى هواك صوابُ	وكنت أعد الحسن فيك فطانةُ
وكلُّ بناء لو علمت خراب	سأصبر حتى يتلف الدهرُ حسنكم
وعقبى جمال الفاتنين ذهاب ؟	وكيف يتيه المرء من حسن وجهه
وتصبح تُقلى تارة وتعاب	سأصبر حتى تنقضى منه دولةُ

(١) أصمى السهم الرمية : أصابها .

فجرب ودادى تلقنى لك حافظاً
تجدنى أخاك الصادق الودّ لم أخن
وتعلم ما ودّى وما كان حسنكم
وأبصر فيك الحسن من بعد عهد
وليست حياة المرء إلا سحابةً
وتبكى على العهد القديم الذى مضى
وما ينفع المرء الحزين بكأوه
ستصبح يوماً فى التراب مجندلاً
وتسى رفاتاً فى التراب ذليلةً
فخفف قليلاً من جفائك واتعظ
أخى أما من عطفة أستفيدها
ولا تحسبن أنى سكت ملالةً

وإنى أرضى والأنام غضابُ
إذا خان من فوت الجمال صحاب
وتعرف أى الباقين سراب
وأى ودادٍ بعد ذاك يصاب
تمر وما غرّ اللبيب سحاب
وليس لحسنٍ فات عنك إياب
إذا صال ظفرٌ للزمان وناب
بفيك وفى العينين منك تراب
يقى الفتى من مسّها ويصاب
فما ينفع الوجه الأغر شباب
لديك فإن البعد عنك عقاب ؟
فإن سكوتى فى هواك خطاب !

الحب والخلود

أو

وحى الشعر

قد سقانى هواك كأس الخلود
وسما بى فوق السموات حتى
وجرى بى شوطاً بعيداً فخلف
صرت كالبدور فى السماء منيراً

وحدا بى للعزة القعساء
صرتُ مثل السماء فوق السماء
ستُ ورائى نوابغ الشعراء
فى دجى من جهالة الجهلاء

حدثتني عنك النجومُ حديثاً
أنت وحيي ومنطقي وخيالي
شاعرَ الحسنِ إن حسنك والخلد
ظمماً دائماً وريّ سرابٍ
ربّ شعري كالداءِ مرّ وشعري
منه ما يجلب الزمانة والسفـ
إن تكن وحيّ شاعري يبلغ الشمـ
أنت كالشمس في نهاري مضيء
وملأت الفؤادَ نوراً وناراً
وجعلت الفؤادَ بحراً خضماً
كنت لي ناظراً يرى بلحاظ الـ
وجلوت الحياة غراء تزهو
وجعلت الفؤادَ كالطير يشدو
وجعلت الفؤادَ زهراً زكياً
أنت أفهمتني الملالة والياء
أنت أنبت لي جناحاً وأرهفـ
لك في النفس منزلٌ ومسيرٌ
وخلقت الحياة خلقاً جديداً
وجعلت الفؤاد ينبض نبضاً

وحديثُ النجومِ ومضُ الضياءِ
وبياني وهمتي وذكائي
مد وشعري رى النفوس الظماء
أم زلال ذو نشوة وصفاء ؟
صديق الفعلِ ناجع كالدواء
مَ ومنه مستجلبٌ للشفاء
سَ ويربو على مدى الجوزاء
ومنيرٌ في الليلة القمراء
فأتمحت منه آية الظلماء
وشعوراً يجيش كالهيجاء
ظن ما لا يلوح للبصراء
فألاحت بالحجة البيضاء
أو فصيح مجرّد الغناء
وجناناً فسيحة الأرجاء
سَ وعلمتني صنوف الرجاء
ت سهاماً كثيرة الإصماء^(١)
كمسير الدماء في الأعضاء
ثم أبديت لي كنوز البسقاء
ذا وثيد كالضربة الهوجاء^(٢)

(١) الإصماء : الإصابة .

(٢) الوثيد : الصوت .

آه ما أتعس المعاش والـ
 كجنون النعيم والبؤس فيهم
 كنت لي نجمة تلوح لهديي
 كنت نحسى وشقوتي ورخائي
 كنت أتى بالشعر مما أراه
 صرت لي في اللحاظ ضوءاً وفي السم
 ونسيماً في الأنف رطباً ذكياً
 وجعلت الكمال فيك مثلاً
 وقبست الأشعار من حسنك الغد
 فلئن كنت قد أصبت وأبدع
 ولئن كنت قد عجزت وقصر
 عبث نسبة الغناء إلى الرو
 يام لولا عواطف الشعراء
 وهي تبدو لغيرهم كذكاء^(١)
 ورشادي في العيشة الكدراء
 وعنائى ولذتى وثرائى
 من ضياء وروضة وهواء
 مع غناء يطير بالأهواء
 وعقارى وموردى وغذائى
 ووصفت الكمال للأحياء
 ضُ وحكت القريض للفظناء
 ستُ فأنت الخليق بالإطراء
 ت فحكمٌ مقدرٌ في القضاء
 ض فليس الغراب كالورقاء^(٢) !

الحب والود

ألا إن أشقى الناس من لا تقاربه
 وكيف أرجى للملمات صاحباً
 وليس لقلبي جرأة فأؤمسه
 وإن سعيد الناس من أنت صاحبه !
 أفأتحه ودى فيزور جانبه ؟
 وليس لقلبي سلوة فأجانبه

(١) ذكاء بضم الذال الشمس : أى عواطف الشعراء تهدي غيرهم ولكن من أجلها يحس الشعراء
 جنون اللذة وجنون الألم . (٢) أى لا يصح نسبة الفضل فى شعر الشاعر إلى الجمال الذى يراه ،
 كما لا يصح نسبة غناء الطائر إلى الروض لأن ليس كل طائر يفنى ، وليس كل من يرى الجمال شاعراً .

وأقسم لو أنى عليه مملكٌ
فكيف ومالى قدرة فأقيده
فيا آفة القلب الطموح إلى الهوى
أتهجر خلاً وافياً أنت همه
أراني إذا ما غبت عنى كأننى
طرقت بيوت الناس أبغى مودةً
فلما بدا لى منكما ما أعزه
وهل عجب أن يعشق الفضل والحجى
وهل من جناح أن أكون أخاكما
ومالى فى حسن الحسان مآربٌ
وما الحسن إلا زينة الفضل والنهى
وما كل حبٌ لأعج بمحرّمٍ
أما أنتما حبٌ قديمٌ كتمته
فيا أخوى استيقنا وتبصرا
وإن خليل الفضل رى ونعمةً
فمن لى بمن ألقى إليه سريرتى
فما أنا ممن يعشق الغيد قلبه
ولكن قلبى يعشق الحسن والحجى
منحتكما قلبى فهل ذاك نافعى ؟

لما كنت أفسى ذنبه أو أعاقبه
ولا لى منه عطفة فأعاتبه
غلبت فرفقاً بالذى أنت غالبه
وتترك قلباً والهأ أنت شاعبه ؟
خميص قد استعصت عليه مكاسبه^(١)
وكل خليلٍ ماذق الود كاذبه
هو يتكما والحب شتى معاطبه
أديبٌ يرى فى الفضل قرناً يقاربه ؟^(٢)
فتزهر من ليل الحياة كواكبه ؟^(٣)
إذا أردت المرء اللئيم مآربه
وكل لئيم أسود الروح شاحبه
ولا كل من يهوى هوى هو شائبه
سنين وحبٌ لا أزال أحساره
رويد كما فالدهر شتى عجائبه
وإن خليل السوء تسرى عقاربه
وأفضى إليه بالأسى وأصاحبه ؟
وتسكب من هجر الحسان سواكبه ؟^(٤)
إذا اقتترنا والخلق شتى مطالبه
أيرتجع الموهوب من هو واهبه ؟

(١) الخميص : الطاوى الجائع .

(٢) الجناح : الإثم .

(٣) القرن : المشابه .

(٤) السواكب : العيون .

أحبكما للحسن والحسن باهرٌ	وأهواكما للفضلِ شتى غرائبه
وأحسن فضل في الورى فضلٌ باسمِ	جميل المحيا لا تصاب معايبه
بربكما لا تتركاني كفارقٍ	يغالب لجّ اليأس واليأسُ غالبه
ولا تتركاني فارغ العيش خائباً	وكلُّ حزينٍ فارغ العيش خائبه
ولا تتركاني في الحياة كذى ضنى	تعدته عسواد وملّت أقاربه
ولا تحسبنا أن السكوت جلادة	فما كل صمتٍ يحمد العيش صاحبه
وإن غبتما فالعيش كالليل مظلمٌ	تعبٌ طواميه وتدجو غياهبه ^(١)
وإن تهجراني فالسلامُ عليكما	سيصدع قلبي منكما ما أغالبه
ولن تجدا ودأ كودي فجربا	هل العيش إلا طعمه وتجاربه
خليلي إن الدهر ما تعلمانه	وإن مرير الموت ما الخلق شاربه !

وعظ القدر

على الدهر والدنيا ، على العيش والردى	فرائض لا تبلى ولا تتحولُ
وتهلك هاتيك الشعوبُ وتنطوى	كما يهلك المرء الضعيفُ المقتلُ
* * *	
فقم واستمع خطو الحوادثِ بيننا	فكلُّ ضعيفٍ عاجزٍ ليس يسمعُ
ترى سيرها سير الجيوشِ مهيبهٌ	منظمةً الأقدامِ تعدو وتسرعُ
* * *	
لعل لها صوتاً ينبه غافلاً	فينشط مكسلاً ويفهم أخرقُ

(١) تشبيه غياهب الليل بطوامى البحر : أى أمواجه .

فإن تكن الأقدارُ كالسحبِ إنها يضجُّ ضجيجُ الرعدِ فيها وتبرق

* * *

أما في رعودِ الحادثاتِ مواءعُ نصحتكم لو تسمعون نصيحةً
أما في بروقِ للمقاديرِ زاجرُ؟ نعم تسمع المرء الضعيف الأوامر

* * *

سلاسلُ للأحداثِ فيكم قيودها وفيكم بقايا للحياة قليلة
فليس بكم قيدُ الحوادثِ منبتاً فلا تحسبوا يا قوم أنكم موتى

* * *

إذا رضيتُ نفسي بحالٍ رغيدةٍ فقد خنتُ آمالي وخنت عقيدي
وما هذه الحالاتُ إلا كسلّمٍ فلا تقنعوا منها بحال حميدة

* * *

فما أفسدَ الحالاتُ كالدهرِ مفسدٌ ولا جددُ الحالاتِ كالفكرِ مصلحُ
وكلُّ قديمٍ للبللى غيرُ أنه سيعقبه أمرٌ به النفس تفلح

* * *

فقم عاون الأحداثِ فى وصف سيرها وألهب بسوط الجدِّ خليلَ المقادرِ
وعش مع هذا الكون كونا معظماً وكن فى قسواه بين ناهٍ وأميرِ

* * *

فإنى رأيتُ النفسَ كالأفق بهوها تسير بها الآمالُ سيرَ الكواكبِ
هى النفسُ دنيا لا يقام نظامها إذا اختل فى الآفاق سير الرغائبِ

مشتري الأحلام

يا مشتري الأحلام يرغبُ في الكرى
عندى من الأحلام كلُّ بضاعةٍ
حلمٌ يروع ولا يسرُّ وغيره
حلم يزيل عن الفقير خصاصةً
حلم ترى فيه العزيز مرجماً
خذ منى الآمال حلماً رائعاً
صدأ قيد المستحيل سراه
وفضائل ممدوحة ورذائل
والنور حلمٌ والظلام وكلمة
إن الحياة إذا اختبرت أمورها
حلمٌ على حلم يغتر وقد ترى
وأزهر الأحلام مثل نعيمها
لا تحسب الأعمال تنفى أنها
فالمرء يطمع في المنام مطامعاً
يا مشتري الأحلام لا تُزهِى بها
يا غبنتا للمرء في أحلامه
لو يستحيل المستحيل على الورى

كيما ينال من الكرى ما يطلبُ
ومتاجر غبانة لا تُكسب
حلم يسر إذا يجى ويعجب
حتى يبيت على الدسوت يعصب^(١)
مستجدياً خلفاً يذل ويضرب^(٢)
شرق النواحي بالضياء يذهب
وميضه البرق الكذب الخلب
مقبوحة أحلامها لا تنضب
يبدو لعينك ظاهراً أو يحجب
وبلوت من لذاتها ما يطرب
حلماً على حلم يغتر ويعجب
وشقاًؤها حلم يروع ويرهب
حلم يجى به الخيال فيكذب
ويبيت يعمل جاهداً أو يلعب
فتعود تبكى للصروف وتندب
إن أيقظته الحادثات الغلب
وأنال من أحلامه ما أطلب

(١) يعصب : يتوج . والدسوت : كراسى الإمارة . والخصاصة : الفقر .

(٢) يذل : أى يسترخص ويحتقر .

يرضى على هذا الأنام ويغضبُ
وشربتُ من أكوابها ما يشرب
يرضيه من خلق الوجود ويعجب
كيما يجيئ على الكمال فيغرب
دنيا تهون على هواه وتجذب
خلقاً يجيئ به الزمان ويذهب

لجننت جنة قادر متحكم
وأخذت من هذى الحياة لبابها
والكون فكر الله ينظر فى الذى
إن راقه خلق الوجود مثاله
أو لم يرقه فهو ليس بصانع
فالكون لم يخلق ونحن نظنه

جنة الحسن

أرقه قلبى ساعة فى ظلالك
وأسمع منك الطير تشدو هنالك
وكلُّ جمالٍ خالد فى خالك
هل الخلد إلا حلية من جلالك ؟
ومالى منها غير مكذوب آلك^(١)
فهل أنا أسقى جرعة من زلالك ؟
فمحرم قلبى حظه من نوالك ؟
فتشقيق فيها فتنة من جمالك ؟^(٢)
رويدك فينا واسألى من مآلك
حناناً لعيش من جفائك حالك^(٣)

أيا جنة العشاق هل لى وقفة
وأبصر منك الزهر والزهر باسم
وأعبد فيك الحسن شتى صفاته
ففيك معانى الخلد والخلد فائن
أما أنت دنيا الحسن والحسن باهر
ويا جنة الفردوس ماؤك خمرة
ويا جنة الفردوس هل أنا آثم
ويا فتنة العشاق هل من وذيلة
ويا بهجة الطاووس حسنك زائل
ويا زينة الدنيا التى أنا عاشق

(١) الويلة : المرأة . أى انظرى فى المرأة ، واعشقى جمالك كى تعرفى

(٢) الحالك : الأسود .

(٣) الال : السراب .

لوعات الحب .

فهل زورة تشفى الفؤادَ من الجوى فليس دوائى زورةً من خيالكِ
وإن تبتغى بالدلّ موتى فأبشرى هنيئاً مريئاً قد ظفرت بذلكِ
فيا ليتنى فكرٌ يكون ببالكِ وهل نافعى أنى أكون ببالك ؟

صوت النذير^(١)

هذه قصيدة فى وصف أخلاق المصريين ، وإظهار أماكن النقص فيها ، وحضهم
على مزاولة الأعمال الاقتصادية النافعة ونشر العلوم . والعلم والمال أصل القوة ،
والقوة أساس الحياة .

خلّ الهوينى فهذا أمرنا جللٌ لا اليأسُ فينا بمحمودٍ ولا الأملُ^(٢)
ولاح لى بيننا فى عيشنا ظلمٌ فانظر بعينيك أى الأمر مقتبلٌ
بوادٍ يعرفُ التاريخُ فعلتها تدعو إلى الموت لا شك ولا جدلُ^(٣)
كم أمةٌ هلكت من قبل ما عرفت أن الهلاكَ إليها عامد عجلُ
تعلل النفس بالأحلام تنظرها والهلك حتم ويخفى سيره المهملُ^(٤)
تظن أن طريقَ العزِّ مسلكُها والموتُ من حولها كالنقع ينسدلُ
لا الدهرُ غرّ ولا الأيام ظالمة وإنما العيشُ فينا والردى عللُ
كل له أجلٌ يسعى لىبلغه وليس يُفلى إمّا جاءه الأجلُ
لولا التنافس فى الدنيا لما صلحت ولا الحضارة والأيام والدولُ^(٥)

(١) أرسل الشاعر هذه القصيدة عام ١٩١٥ فى وقت ساد البلاد الجمود والاحتلال .

(٢) لأن يأسنا ضعف وأملنا طيش أما الأقوياء فإن أملهم قوة ويأسهم قوة .

(٣) أى أن صفاتنا صفات الأمم البائدة وهى فى نور الفناء . (٤) لأن هذه الأحلام مخدر يخدر

أعصاب الأمم . (٥) لأن التنافس يدعو إلى إظهار القوى الكامنة فى النفوس ، فيرتقى الوجود بانتصار
الأصلح للحياة من الأفراد والأمم .

واحسرتاه لقومٍ ليس ينفعهم
مستنبتين بأرض العجزِ ليس لهم
تسعى بهم غيرُ الأيامِ واعظةٌ
زاوين إلا عن الفحشاء أنفسهم
يا بارك الله مقدوراً يعاجلهم
بأى حقٍ يعيش الغافلون ولا
ما باشروا الصدق فى قول ولا عملٍ
إذا أصيبوا بشرٍ هينٍ خنعوا
ويغضبون على من رامَ نفعهمُ
ويحسنون إلى من رامَ ضرهم
فلا حكيماً ولا ندب ولا فطنٌ
إذا هممتم بأمرٍ نفعه عمم
وإن بُدهتم بخطبٍ ضره أُمم
وصاحبُ الجهلِ فيكم آمن فرحٌ
إذا نطقتم بحقٍ فيكم حصر
فإن رقدتم فإن النومَ عادتكم
والعجزُ مهلكةٌ والضعفُ مضيعةٌ
هل خدعة أوهمتكم أن جمعكم

نصحُ النصيح ولا الوعاظُ والرسُلُ !
عنه ولا عن فناءِ الجهلِ مرتحلُ
والقومُ صمٌّ كما لا تشتهى همل
وفوقهم من بوادى خزيهم حلل
فتظهر الأرض لا رجسٌ ولا خطل
نفعٌ يجرى به قومٌ إذا غفلوا ؟
فكُذِّب الأصدقان : القول والعمل
وإن أصابوا منالاً هيناً جذلوا ^(١)
فما يشجعه فى السعى محتفل
فما يثبطه ردعٌ ولا عذل
ولا عظيم ولا ثبُت ولا بطل
ألهاكم العجزُ والزلاتُ والملل ^(٢)
ضاقت لديكم به الغايات والسبل
وصاحبُ العقلِ فيكم حاذرٌ وجل
والبطلُ مبتدرٌ منكم ومرتبجل ^(٣)
وليس تصحوا لكم روحٌ ولا مقل
وما لكم إن غفلتم عنهما نُقل
جمعٌ كثيرٌ فخيرٌ منكم رجل

(١) شأن النفوس الحفيرة .

(٢) ومن أجل ذلك أكثر المشاريع الحيوية التى يقومون بها

(٣) أى يجرءون على الباطل ويجنبون عن الحق .

نصيبتها الفشل .

تهافتون على الأدناس ما نتنت
أفهامكم مثل أفهام الفراش إذا
فإن دعيتم إلى خير ومكرمة
فما طبيبٌ يداوى داءكم أبداً
ومن دلائل هذا الهلك أن لنا
إذا خشيتم فأنتم معشر جبن
كم من نصيح لكم بالرشد ينصحكم
كلوا ونامسوا ونالوا حظكم أبداً
وعاقروا الخمر والأفيون في دعة
واستخبروا عن هوى اللذات قاطبةً
وملء أشداقكم ضحكاً أسكركم
أم ضحكة الرجل المجنون من حزن
أم ضحكة الخنث الموهون أضحكه
أنا النذير إليكم والنصيح لكم
يمضي الزمان فلا عزم فيسعدكم
وفيكُم من صفات السوء أخبثها
أشعلتم نارَ يأسى وهي خابية
هيهات هيهات إني مَقُول أبداً

مثل الذباب على الأدناس ينتقل
حام الفراش على المصباح يشتعل
حكيتم البهم لا عقل ولا حيل^(١)
إلا الهلاك وهذا ريثه عجل^(٢)
فخراً فنحسب أن الفضل متصل
وإن رُجيتُم فأنتم معشر خذل
كأنما حظه من نصحه الصحل^(٣)
من التشاؤب لا لوم ولا عذل
فعيشكم مثل ظل سوف يرتحل
أما عن العز والعليا فلا تسلوا
من حسن حالكم خمر هي الجذل ؟
لشد ما نال منك البؤس يا رجل ؟
أمر معيب فلا تقوى ولا خجل ؟
وليس يؤثر نصحاً عاجز مذل^(٤)
وليس يزداد إلا العجز والخبل
حتى لقد صار فيكم يضرب المثل
وقد قتلتم ذكائى وهو مشتعِل
خلق الزمان به فى الناس يرتجل^(٥)

(١) البهم : البهائم . (٢) أى أحسن دواء لدائكم الموت والفناء . (٣) الصحل : بحة الحلق .

(٤) عاجز مذل : ضعيف حقير . (٥) المقول على وزن المبرد : اللسان : أى أنا لسان الدهر .

أنتم بفي قطعكم المر أمضغهُ
 فإن فهمتم فما لي فيكم أربُ
 إذا هجوت فما أهجوكم أبداً
 أنتم أحقُّ بتأبينٍ ومرثيةٍ
 أنتم على وإن طالت مهانتكم
 فنحن في أمرنا طراً سواسيةً
 وليس لي فيكم حظٌ ولا أملٌ
 إني رأيتُ حياةَ الناس أولها
 لقد ورثنا قروناً كلها كمدٌ
 فنحصد الشوكَ مما ذرَّ أولنا
 فمن خمولٍ ومن جهلٍ ومن كسلٍ
 ثقلٌ على النفسِ تمضيه ونصرفه
 ونجتنى العمر غصاً كله ثمرٌ
 إن الأمانى دون القلبِ ما برحت
 نستخير القوم أنى وجهة سلكوا
 هم زاولوا الجدَّ قد دانت تجاربه
 حتى تساوى لدى الصاب والعسل^(١)
 وإن جهلتم فشرُّ العادة الجهلُ
 إلا ودمع على الخدين ينهملُ
 والرزءُ بالحي جرحٌ ليس يندملُ^(٢)
 أعزُّ ذى قدمٍ يسعى وينتعل
 وإن تفاوتت الأخلاقُ والنحل^(٣)
 وليس لي في الورى من دونكم بدل
 يدعو لآخر ما يأتى ويقتبل^(٤)
 مورٍ على القلبِ مثل النارِ يشتعل^(٥)
 إنا ورثنا عن الأسلاف ما فعلوا
 وأعظم الخطبِ ما يأتى به الكسل
 حتى يصحَّ وحتى يصدق العمل
 ونشربُ العيش رياءً كله جذل
 فى القلبِ منزلها مستمراً خضل
 فبلغتهم إلى عليائها القلل^(٦)
 لهم فعزوا بها والدهرُ مقتبل^(٧)

(١) أى مرارة مذاقهم جعل كل شئ فى قمى مرأ فلا أميز طيب الحياة من بؤسها .
 (٢) يندمل : يضمّد ويلتئم . (٣) سواسية : أشباه وأمثال . (٤) أى أن حياة الأمم سلسلة أسباب
 ونتائج متصلة فنجد عوامل ماضية تأثيرها واقع الآن . (٥) مور : أى مشعل والفعل أورى .
 (٦) أى ندرس حياة الأوربيين حتى نعرف أسباب عظمتهم ونحتذيتهم فيها . .
 (٧) أى نشر العلوم العملية هو من أهم أسباب قوتهم .

قوموا اجعلوا السعى فى الأطماع رائدكم
 بعض العلوم إلى الأعمال منتسب
 هذا السلاح الذى يدحو لهم سبلاً
 يا قوم هذا سبيل لا خفاء به
 إنا بمنزلة الفصل يتبعها
 حثام ننكر حقاً غير مشتبهِ
 لا يصلح العلم مضموناً به أبداً
 هذا الذى يدع الأقوام قادة
 أذلك المال مضمون به أبداً
 والعلم مثل عصا السحار يبسطها
 والعلم والمال مقرونان فى قرن
 وإنما لغة الأقوام ميزتهم
 قد أصبح العلم والآداب ضائعة
 يرقى الوجود بعيش الصالحين له
 وما الحياة بمستشفى لمن سدكت
 ما أضيع المرء لولا السعى والأمل
 وأحسن العلم ما يجدى به العمل
 فى مجدهم لا القنا الخطية الذبل^(١)
 فيه الحياة لأقوام إذا عقلوا
 إما الحياة وإما الموت والأجل^(٢)
 لا يكره الحق إلا من به دخل
 فأين شؤبوبة لا ينفع البلل
 فكل فرد كعضو ما به شلل^(٣)
 إن العزيز لدى الأوطان مبتذل
 فيصبح المال قد ضاقت به السبل
 لا نجتنى المال حتى يصدق العمل
 فإن تولت فمجد القوم مرتحل^(٤)
 وأصبح الشعر فوضى كله زلل
 من ليس يدركهم عجز ولا كلل
 به الزمانات والأمراض والعلل^(٥)

(١) أى أن جميع مظاهر قوتهم مهما اختلفت سببها العلوم العملية .

(٢) إما الحياة إذا أخذنا بأسباب الحياة والتقدم ، وإما الفناء والانعدام فى العناصر الأخرى إذا

بقينا على تكاسلنا وغفلتنا عما يفيدنا . (٣) إذا نظرت إلى جسم الحضارة الأوربية تجد أن

(٤) إذا ضاعت لغة عنصر انعدم فى العناصر الأخرى .

(٥) سدكت به : أى لزمته ، والزمانة : مرض .

بل الحياةُ جهادٌ لا خفاءَ به
 إن الحياةُ كتنورٍ ومعرِكةٍ
 وكلُّ كلِّ الدهرِ لا يُبقى على ضرعٍ
 نلهو عن العيشِ ، والأقدارُ نافذةٌ
 إن المقاديرَ أجنادٌ مسجندةٌ
 لا رحمةَ عندها ترجى ولا مقة
 كم أعصر قبلنا بادت وكم دولٍ
 كم معشرٍ مثلكم ليموا فما انتفعوا
 فبادرتهم يدُ الأقدارِ حاصدةٌ
 إذا ابتلى الله قوماً بالهلاكِ فلا
 ليس التوكلُ في نومٍ وفي كسلٍ
 فليس يُفلح إلا الأغلبُ البطلُ^(١)
 يصلى الشجاعُ ويصلى العاجزُ الوكلُ^(٢)
 وليس يخدعه جودٌ ولا بخلُ^(٣)
 كأنهن مطايا تحسنا ذُل
 تصولُ بالحق لا ظلمٌ ولا خطل
 ولا الشفاعةُ تقصيهما ولا الخولُ^(٤)
 حتى كأن لم يكن عصرٌ ولا دول
 وأشعروا النقص فيهم ثم ما حفلوا
 فما وقى جمعهم سهلٌ ولا جبل
 سمع لديهم ولا عزم ولا حيل !
 فهو المعينُ لمن يسعى ويختل !^(٥)

بين الحب والبغض

رمى الله في عينيك بالسهدِ والعمى
 وعلمك السهدَ الطويلَ على الأسى
 وعلمك الأحزانَ والبثَّ والجوى
 وأودعك الليلُ البهيمُ همومه
 ولقَّاك من دنياك صاباً وعلقما !
 إذا حلَّ هم في الفؤادِ وخيما !
 وما نُكب المغرورُ إلا ليعلما !
 وأصبحت حرَّانَ الفؤادِ متيما

(١) الحياة جهاد لأنها تنافس شديد في كل مظاهر الحياة والقوة .

(٢) التنور : الفرن ، والوكل : المتواكل المتخاذل .

(٣) ضرع بكسر الراء : أى ذليل . (٤) الخول : الأعوان والأتباع . (٥) أن يتحيل للحياة .

وأتلفَ طولَ الهمِّ عينيكِ بالبيكا
وخلفَ فيكِ اليأسُ كالسَّمِّ في الحشا
أأنسى بكائى والعيونُ هواجعُ
أأنسى انفرادى والتياحى ولوعةُ
أأنسى عذابَ القلبِ هاجَ وجيبُهُ
لقد كنتَ فى عيني الذُّ من الكرى
وجودتُ فيكِ الشَّعرَ والشَّعرُ ساحرُ
فما ازددتُ إلا قسوةً وتباعداً
فعلَّمتُ قلبى كيف يقسو وإنه
جنيتُ على نفسى فليس بنافعى
ولو كان فى نفسى وقاءٌ يصونكم
وخطتُ عليكِ النفسُ خوفاً من الردى
وليتَ لسانى سُلٌّ منى ولم أقل
سلمتُ ، وما حىُّ على الدهرِ سالماً
لقد سمتُ نفسى عنك صبراً وسلوةً
وواللهِ مالى عنك صبراً أطيقُهُ
وإنى لتسعرُونى إذا لحت هزةُ
وإن بقلبى من جفائكِ جنةُ
فأسقى جنونى من دمائكِ جرعةً
وأنقِ منها غلتى وصيابتى

إذا ما مضى دمعُ بكيت له دما
تعالج داءً من جواه مكثما
أراقب ليلاً غائرَ النجمِ مظلماً ؟
كأن لها بين الأضالعِ أرقماً ؟
كأنَّ جحيماً دونه وجهنماً ؟
وأطيبَ من طيبِ الحياةِ وأكرماً
وهل تسحر الأشعارُ غراً وأعجماً ؟
وما ازددتُ إلا غلظةً وتجهماً
ليحزن أن تلقى هواناً وتألماً
إذا صالَ خطبُ أن تصابَ وأندماً
لأنزلتَ من نفسى المكانَ المكرماً
فكانت مجناً صادقَ الصنعِ محكماً
رمى الله فى عينيكِ بالسَّهدِ والعمى !
وعشت سعيداً بالحياةِ منعماً !
وجشَّمتُ قلبى صبره فتجشماً
فقد ودع الصبر القديم وسلماً
كما ارتعش المصروع حيناً وجمجماً
فإن رامَ يوماً قتلَكم ما تأثماً !
وهيهات يجدى القتلُ قلباً مكثماً !
لعمرك إن الجرم لا ينقع الظماً !

أأنت زهاك الحسن والحسنُ فتنةٌ
فأصبحتَ مغروراً تتيه وتنثنى
كأنى بصرفِ الدهرِ حلٌّ وعيدهُ
ولم يُبقِ إلا منظرًا لك شائئنا
وهل تترك الأقدار يوماً إذا سطت
لصاحبه حتى يرى الظلمَ مغنما
رويدك هل تبغى إلى الشمس سُلماً ؟
فلم يُبقِ لى فى حسنكم متوسماً
ووجهاً صفيقاً فى الترابِ مهدماً
على حسنٍ إلا رفاتاً وأعظماً ؟ !

« تَمَّ »

الجزء الرابع

زهر الربيع

إنما الشَّعرُ نغمَةٌ	كـحـنـينِ المـزامـرِ
يرفع النفسَ سحرُهُ	عن وهادِ الحـقـائـرِ
يُبلغ النفسَ أفقها	كـجـناحِ لطائـرِ
يفتح النفسَ ضوءُهُ	مثل ضوءِ التـبـاشـرِ
مثلما يفتحُ الصبـا	حُ زهـيِّ الأزامـرِ

(من قصيدة « أغاريد شاعر » لصاحب الديوان)

عن الطبعة الأولى

عام ١٩١٦

مقدمة

فى الشعر

لصاحب الديوان

إن وظيفة الشعر فى الإبانة عن الصلات التى تربط أعضاء الوجود ومظاهره .
والشعر يرجع إلى طبيعة التأليف بين الحقائق . ومن أجل ذلك ينبغى أن يكون الشاعر بعيد
النظرة، غير أخذ رواء المظاهر ، مأخذه نور الحق . فيميز بين معانى الحياة التى تعرفها
العامة وأهل الغفلة ، وبين معانى الحياة التى يوحى إليه بها الأبد . وكل شاعر عبقرى ،
خليق بأن يدعى متنبئاً . أليس هو الذى يرمى مجاهل الأبد بعين الصقر ، فيكشف عنها
غطاء الظلام ، ويرينا من الأسرار الجليلة ما يهابها الناس ، فتغرى به أهل القسوة والجهل ؟
كل شىء فى الوجود قصيدة من قصائد الله . والشاعر أبلغ قصائده .

الشاعر هو الذى لا يعيش مثل أكثر الناس ، مقبوراً فى الأحوال التى تحوطه . هو
الذى إذا عاش ، كان له من شاعريته وقاء من عداة قتل المظاهر . فإذا مات كانت الشهرة
زهرة على قبره . فإذا لم تسعده الشهرة ، هبطت روح الطبيعة على قبره ، تظلك بجناحها ،
وتفرخ فوقه أبنائها الشعراء . تلك الأرواح التى تستمد الوحي من عظامه ، وتسقيه من
دموع الرحمة والحب والحنان .

وليس الشاعر الكبير من يعنى بصغيرات الأمور . ولكنه الذى يحلق ، فوق ذلك اليوم
الذى يعيش فيه ، ثم ينظر فى أعماق الزمن أخذاً بأطراف ما مضى وما يستقبل . فيجئ
شعره أبدياً مثل نظرتة . وهو الذى يلج إلى صميم النفس فينزع عنها غطاها . وهو الذى
إذا قذف بأشعاره فى حلق الأبد ساغها . فعيب شعرائنا جهلهم جلالة وظيفة الشاعر . لقد
كان بالأمس نديم الملوك ، وحلية فى بيوت الأمراء . ولكنه اليوم رسول الطبيعة ترسله
مزوداً بالتغيمات العذاب ، كى يصقل بها النفوس ويحركها ، ويزيدها نوراً وناراً . فعظم
الشاعر فى عظم إحساسه بالحياة ، وفى صدق السريرة الذى هو سبب إحساسه

بالحياة . وإذا رأيت شاعراً يأخذ الحقيير مأخذ الجليل من الأمور ، ويحسب الحوادث الصغيرة من الحوادث الكبيرة ، فاعلم أنه ضئيل الشعر . فإن ضئيل الشعر يفتر بضجة الحوادث ، ولا يعلم أن حوادث النفس على صمتها أجل الحوادث .

سئل وردزورث الشاعر الإنكليزي عن شعر شاعر ، فقال : إنه ليس من الحتم في شيء . فكأنه يقول : إن أجل الشعر ما يخاله المرء قطعة من القضاء ، لا بد من حدوثها . فإذا أردت أن تميز بين جلالة الشعر وحقارته ، فخذ ديواناً وقرأه . فإذا رأيت أن شعره جزء من الطبيعة ، مثل النجم أو السماء أو البحر ، فاعلم أنه خير الشعر . وأما إذا رأيت أنه وأكثره صنعة كاذبة . فاعلم أنه شر الشعر ، فالشعر هو ما اتفق على نسجه الخيال والفكر إيضاحاً لكلمات النفس وتفسيراً لها .

فالشعر هو كلمات العواطف والخيال والذوق السليم . فأصوله ثلاثة متزاوجة فمن كان ضئيل الخيال ، أتى شعره ضئيل الشأن . ومن كان ضعيف العواطف ، أتى شعره ميتاً لا حياة له . فإن حياة الشعر في الإبانة عن حركات تلك العواطف . وقوته مستخرجة من قوتها ، وجلاله من جلالها . ومن كان سقيم الذوق ، أتى شعره كالجنين ناقص الخلقة . غير أن بعض الناس يحسب أن سلامة الذوق في رصف الكلمات كأنما الشعر عنده جلبة وقعقة بلا طائل معنى . أو كأنما هو طنين الذباب . ولا يكون الشعر سائراً إلا إذا كان عند الشاعر مقدرة على التأليف بين اللفظ والمعنى . ولست أعجب من أحد ، عجبى من الأدباء الذين ينظمون الشعر في مواضيع تطلب منهم الكتابة فيها . فينظمون من أجل إرضاء من سألهم ذلك . كأنما الشاعر آلة وزن . ولكن الشاعر هو الذي لا ينظم حتى تنويه تلك النوبة التي تدفعه إلى قول الشعر ، بالرغم منه ، في الأمر الذي تنهياً له نفسه .

قد أصبح الشعر عندنا كلمات ميتة ، ليس تحتها طائل معنى . يحسب الناس أنه إذا أخذ من النحو والصرف والعروض كفاية ، وأصاب من طرف الشعر غاية ؛ فقد أجاده . وإنما الشعر كلمات تخرج من النفس بيضاء مشبوبة . وكما أن العاطفة تنطق الشاعر ، كذلك قد تخرسه شدتها . ومن أجل ذلك كانت ذكرى العاطفة والتفكير فيها ، شعراً . وإنما

نعنى الذكرى التى تعيد العاطفة ، والتفكير الذى يحييها . وليس شعر العاطفة باباً جديداً من أبواب الشعر ، كما ظن بعض الناس ، فإنه يشمل كل أبواب الشعر . وبعض الناس يقسم الشعر إلى أبواب منفردة . فيقول : باب الحكم ، وباب الغزل ، وباب الوصف ، الخ . ولكن النفس إذا فاضت بالشعر ، أخرجت ما تكنه من الصفات والعواطف المختلفة فى القصيدة الواحدة . فإن منزلة أقسام الشعر فى النفس كمنزلة المعانى من العقل . فليس لكل معنى منها حجرة من العقل منفردة ، بل تتزاور وتتوالد فيه . فلا رأى لمن يريد أن يجعل كل عاطفة من عواطف النفس فى قفص وحدها .

ومن القراء فئة كأنها تريد أن تشم من شعر الشاعر رائحة الدسم . وأن يملأ شعره بطون أفرادها لا عقولهم . كأن النفوس تقاس بالدرهم والدينار . وكأن الشعر لا يوزن إلا بالرطل والأقة ! وبعض القراء يهذى بذكر الشعر الاجتماعى ، ويعنى شعر الحوادث اليومية ، مثل افتتاح خزان ، أو بناء مدرسة ، أو حملة جراد ، أو حريق ، أو زيارة ملك ، أو حفلة فى نادى الألعاب ، أو مجئ طيار ! فإذا ترفع الشاعر عن هذه الحوادث اليومية ، قالوا : ما له ؟ هل نصب ذهنه ، أم خبت عاطفته ، أم دجا خياله ؟ ويجعلون منزلة الشاعر على قدر عدد قصائده فى تلك الحوادث ! فإذا نظم أحدهم قصيدتين فى الجراد ، كان عندهم أعلى منزلة ممن نظم قصيدة واحدة ، وليس أدل على فوضى الأدب وفساد نوق الجمهور من هذا الهراء . كأنما الشعر جريدة منظومة ، أو كأنما الشاعر مصنع لصنع الأوزان . وإنما الشاعر هو الذى يحاول أن يبلغ إلى أعماق النفس ، وأن يضرب على كل وتر من أوتارها ، والذى تسمو معه النفس عن تلك الحوادث إلى سماء الشعر فينشقها نسيمه وينعشها بنفحاته ، ويسمعه من ألعانه ، ويريق عليها من ضيائه ما يرفعها عن منزلة اليهم إلى منزلة الآلهة .

وهناك فئة تريد من الشاعر أن يكون أكثر شعره تكلفاً للحكمة . فيأتى بأمثال من بطون الكتب ، وأفواه العامة ، نصفها حق ونصفها باطل . ثم يصوغها شعراً من غير أن

يكون قد أحس لذعها فى ذهنه ، ولا شعر بقيمتها . وشر الحكمة التى يتكلفها الوزانون . وإنما حكمة الشاعر تبدو فى كل قسم من أقسام شعره سواء الغزل والوصف والرتاء ... إلخ فإن شعر الشاعر مهما اختلفت أبوابه ينبئ عن نصيبه من التفكير . وحكمة الشاعر تجاربه وخواطره فى الحياة . تلك الخواطر التى ينضجها الشعور والتفكير . والشاعر لا يسير على رأى واحد لايتعداه . فإن المذاهب الفلسفية أزياء تأتى وتروح مثل أزياء باريس . والنفس أعظم من أزيائها . ولكل حالة زى والشاعر لايعبر عن عاطفة واحدة ، أو نفس واحدة بل يعبر عن عواطف متغايرة ، ونفوس متباينة . فلا رأى لمن يريد أن يقيده بمذهب من مذاهب الفلاسفة ينود عنه ويتعصب له . فإن الشاعر يرى جانب الصواب من كل مذهب ، ويعبر عن كل نفس .

ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل فى الشعر . إن مزية الغزل ، سببها أن حب الجمال حب الحياة . وكلما كان نصيب المرء من حب الجمال أوفر ، كان نصيبه من حب الحياة أعظم . وحب الحياة والجمال من العوامل الاجتماعية القوية التى تزجى الأمم إلى التفوق والاستعلاء . ولا أعنى بالغزل غزل الشهوان ، بل الغزل الروحانى الذى ترفع عن أوصاف الجسم . إلا ما بدا للروح أثر فيه . والحب أعلق العواطف بالنفس . ومنه تنشأ عواطف كثيرة ، مثل البغض أو الود أو الرجاء أو اليأس ، أو الحسد أو الندم ، أو الشجاعة أو حب العلاء ، أو الجود أو البخل . ومن أجل ذلك كان للغزل منزلة كبيرة فى الشعر ، من حيث هو جماع العواطف ، ومظهر دروسها . فالغزل يعبر عن جميع العواطف النفسية . ومن حيث إن حب الجمال حب للحياة ، ترى فيه آراء الشاعر ، وكل ما يعتوره فى الحياة من الخواطر ، ويصيبه من التجارب . وكل ما يسمو إليه فكره أو يحن إليه قلبه ، وكل ما يعالجه من أساليب الحياة ، وهذا الغزل الذى هو واسطة القلادة ، وسلك العقد ، وروح الشعر ، ليس من شروطه تعليق العاطفة بفرد من أفراد الناس ، وقصرها عليه . وإن كان ذلك أدعى إلى ظهورها . فإن الغزل الذى نعنيه سببه العاطفة التى تجعل المرء يحس الجمال إحساساً شديداً فى جميع مظاهره ، سواء جمال الوجوه والأجسام ، أو جمال

الأزهار والأنهار ، أو جمال البرق فى السحاب ، أو جمال الليل ونجومه ، أو الصباح ونسيمه ، أو جمال النفوس والأخلاق ، أو جمال الصفات ، أو الحوادث والوقائع ، أو جمال الخيالات التى يخلقها الذهن . وليست محبة الفرد للفرد إلا مظهراً من مظاهر هذه العاطفة الواسعة التى تحنو على كل جمال يستجلى فى الحياة . وهذه العاطفة الشعرية تفيض ضياءها على كل شئ ، حتى على جوانب الحياة المظلمة الكريهة . فتحبونها جمالا فنياً ؛ مثل جمال الصورة البديعة التى يعجب المرء جمالها الفنى ، حتى ولو كانت صورة مذبحة ، أو جمال الأنغام الحزينة التى تذيب القلب . والشاعر المناسب مثل المصور . إنما يستملى من صور الملاحاة التى فى ذهنه ، ولقد سئل جيو ربنى المصور الإيطالى : من أين لك هذه الخلق المليحة التى تودعها صورك ؟ فقال لسائله : انظر ! ثم أتى بشيخ قبيح وأجلسه أمامه نموذجاً ، ورسم صورة فتاة مليحة ، كأنما قد جمعت بين جمال الملائكة وجمال الحور . ثم قال : «أترى فى هذا الشيخ الدميم مثل هذا الجمال ؟ نحن أصحاب الفنون نحمل فى نفوسنا دنيا أجمل من هذه الدنيا» . وما يدرينا لعل قيساً بن الملوح كان يشيب بليلى التى فى الدنيا التى فى نفسه ، لا بليلى العامرية .

كان جيتى الشاعر يقدر الأشياء والناس ، بقدر ما يستفيد من رؤيتهم ولقائهم من صفات الشعر ومواضيعه ، وعواطفه وقصصه وبواعثه . فإذا رأى عجوزاً تسعى ، أو شيخاً هرمًا أو فتاة أو طفلاً أو فقيراً أو غنياً الخ . عدهم كلهم بواعث من بواعث الشعر ، مهما اختلفت صفاتهم . وكان يخرن من رؤيتهم ما اكتسبه لساعة الشعر والإلهام . فإن رؤيتهم تبعث على التفكير وتوقظ الملكة الفنية ؛ أو كأنما رؤيتهم ريح تهيج أمواج نفس الشاعر فيعلوها درها وأصدافها ، وكذلك يهيج الشاعر إلى الشعر لذاته وآلامه . فيصوغ الشعر من لذاته وآلامه وآماله ، كما يصوغه من لذات الناس وآلامهم وآمالهم .

الباحث الأتلي^(١)

مقدمة : قد صور كثير من المفكرين والشعراء حياة الإنسان عصباً بعد عصر ، كأنها حياة إنسان واحد ، أو كأنها بحث متصل دهرأ بعد دهر . وهذا البحث هو ما يزكون به حياة الإنسان ، وما يعذرون به شقاعها وآلامها ، ويأملون أمالاً كباراً من وراء تقلب الإنسانية فى بحث الحياة . ومن هذه الآمال رجائهم أن يعم الشعور بوحدة الإنسانية على اختلاف الأجناس والشعوب ، والمطامع والضرورات والمطالب والنزعات النفسية ، ويأملون إذا عم هذا الشعور بوحدة الإنسانية أن يقلل الإحساس العام بوحدةها ، من البغضاء والشرور والحروب ، والآلام والجشع ، وأن يؤدى إلى التعاون على الحياة ، بدل التقاتل عليها . وهذا البحث الإنسانى المستفيض دهرأ بعد دهر للحياة ، وما يدعو إليه من الإحساس بكل شعور وكل حالة من الحالات ، كى يعم مبدأ وحدة الإنسانية ، هو الذى دعا إلى تخيل إنسان يعيش دهرأ بعد دهر فى كل حال وفى كل مكان ، حتى يملأ العطف قلبه ويرى أن نشدان الحق غاية الحياة . وعلى فرض أن هذا الأمل الكبير فى أن يعم ، فإن بقاءه كمثل أعلى مما يخالط مرارة الحياة بحلاوة منه .

وعلى فرض أن المثل الأعلى لا يكون فى تحقيق وحدة الإنسانية ، ففى القصيدة مثل آخر وهو أن نشدان الحق هو الشعلة المقدسة التى ينبغى أن يرعاها الفرد ، وأن ترعاها الإنسانية عامة .

* * *

(١) «أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة فى ١٨ أبريل ١٩٣٨ بعنوان (الباحث) . وأضاف إليها المقدمة - انظر (ملاحظات) فى آخر الديوان» .

بينما كنتُ سائراً لاح شيخُ
ويكاد الضمياءُ ينفذُ مِنْهُ
باحثٌ في السماء يطلب شيئاً
وهو فينا جزء من الزمن الأو
وجهه رائعٌ كوجه أبي الهو
قلتُ : يا شيخ ما دهاك وما شأ
قال : مَنْ يدرس الحياة طويلاً
كنت والكونُ في الطفولة أغدو
وصرعتُ المنونَ حتى لأنسا
دولٌ قيد أتت وأخرى تقضتُ
وشهدتُ الصروفَ مِنْ قبل عادٍ
أنشدُ الحقُ لست أُلوى إلى البـا
عشتُ دهرى بالبحث والأمل الحُلـو ولولاه لم أفـز بالنجاء
من سهامِ المنونِ إن سهام الـ
همتُ يوماً من قرىتي أنشد الـ
عفتُ بيتى وبلدتى وهجرت الـ
ظمأ النفس مثله ظمأ الجسم وداءُ النفسوس كالأدواء

ذو سكونٍ ونظرةٍ هوجاء^(١)
فهو بين الأنام صنوُ الهواء^(٢)
غاب عن عين غيره في السماء
ل ذكرى لسالف الآباء
ل رأى ما مضى على الغبراء
نك بين الأموات والأحياء ؟
لخلقٍ بضحكة الجهلاء
وشبابُ الأيام في الغلواء
نـى طول الحياة حكم الفناء
وبقائى بين الأنام بقسائى
والمنايا تجرُّ ذيل العفاء
طل فالحق يُطـبى بالرجاء^(٣)
موت فينا كثيرة الإصماء^(٤)
حقٌ لعلـى أراه فى الدهماء
أهل أبغى رى النفسوس الظماء
ظمأ النفس مثله ظمأ الجسم وداءُ النفسوس كالأدواء

(١) هوجاء : لأنها لا تستقر لتطلعه إلى ما ينفذه من الحق فى كل ناحية . (٢) صنو : قريب .

(٣) طبى : يستمال . (٤) الإصماء : إصابة المقتل ضد الأشواء .

زعمَ الناسُ بى الجنونَ وخالوا
كلماً لاحِ شامخٍ قلتُ إن الـ
ورَعَيْتُ الظمَاءَ عَلَى أَرَاهِ
وجزعتُ الصحراءَ أرجو لقاءَ
ولكم غُصَّتْ فِي الْعُبَابِ عَلَيْهِ
وَأَثَرْتُ الْأَصْدَاءَ أَبْغَى جَوَابَا
وسألتُ الرياحَ فصُمَّتْ
وسألتُ السماءَ تبرزُ وجهًا
وأعارتني الطيورُ جناحاً
طلما خاب ناشيد الحق لك
قد يَجِيءُ الصَّبَاحُ مِنْهُ بِوَجْهِ
أو تُبَيِّنُ الْأَحْلَامُ مِنْهُ ضِيَاءَ
قد صَحِبَتِ الْأَنَامُ طَرّاً كَأَنِّي
كَانَ لِي نُوحٌ فِي السَّفِينَةِ خِدْنًا
وَحِبَانِي أَشُورُ فِي نَيْنَوَى الْعُظْمَى بِسَيْبٍ مِنْ جُودِهِ وَثْنَاءً^(٥)
ورآني فرعون أقدم في الجـشـيش مُشـيـحاً ورافعاً للواء^(٦)

(١) على : أى لعل . (٢) جزعت : قطعت . (٣) يبهى : يحسن .

(٤) ذكاء : هى الشمس . (٥) نينوى : مقر ملك الآشوريين ، والسيب : العطاء .

(٦) مشيحاً : المشيع : المانع لما وراءه من إقدامه وإقباله .

وتجلى آمون فى معبد الأقصر يقضى فى شعبه بالقضاء
ولكم جُلْتُ فى أثينا وأفلا طون يتلو فصاحة الحكماء
ورأيتُ الرومان فى رومة العُظْمَى عظام الأعمال والأهواء
وصحبتُ المسيح فى القُدُس دهرًا وحباني من رُوحه بالصفاء
وعبدت النيران قِدمًا ولكن قد سما بى الإيمان للمسمحاء^(١)
وَحَمَدت النعيم والترف الوا فر قِدمًا فى صحبة الخلفاء
وَحَسَوْتُ النعيم والبؤس حتى لم أدعُ كئاسَ لذةٍ أو شقاء
وصحبتُ العبيد فى ظُلُمات الد عيش حتى جُنُنتُ بالضراء
وَالِمْتُ الآلام طرًا ولُقُوس ت عذابًا أُتبع للنعماء
وصحبتُ الوحوش فى البید حتى أَنَسْتُ بى الوحوش فى البیداء
وأرقت الدماء فى الحرب حتى جُنَّ قلبى من نشوة الهيجاء
لم أدعُ خِطَرَةً أُتيجحت ولا مـعنى ولا فكرة من الآراء
أو شعورًا أو هاجسًا أو طموحًا لا ولا مشهدًا تركت لرائى
أنشد الحق بالتقلب فى العيش وأبغى سريرة الأشياء
أنت أيضا شهدت هذا جميعًا غير أن لا تعدّ فى الفطناء
قال ما قال ثم غاب عن العين كما يخفت الصدى فى الهواء !

(١) يراد بالمسمحاء : الديانة الإسلامية .

سَمُو النَّفْسِ

أَهَبْتُ بِحَزْمِي فَلَمْ تَسْمَعِي وَعَفْتُ الطَّمَاحَ فَلَمْ تَرُدِّي^(١)
فِيَا نَفْسَ حَتَّامَ هَذَا الطَّمُوحِ وَخَيْرُ الْمَكَّاسِبِ أَنْ تَقْنَعِي
فَإِنْ عِزَّاءُ يَرِيحُ النَّفْسَ سَ خَيْرٌ مِنَ الْأَمَلِ الْمُطْمَعِ
يَعْفُ الْأَبَى وَلَيْسَتْ تَعْفُ ذَوَاتُ الْخُصَالِبِ وَالْأَرْبَعِ
وَلَوْ قَدْ زَهَدْتَ طَلَابَ الْحَطَامِ لِأَشَقَّاكَ حُبُّ الْعَلَا الْأَرْفَعِ^(٢)
هَمَمْتَ بِكَسْبٍ فَلَمْ تَبْلُغِي وَرَمْتَ الْكَمْسَالَ فَلَمْ يَنْفَعِ^(٣)
وَأَشَقَّاكَ يَا نَفْسُ أَنْ تَخْضَعِي وَأَشَقَّاكَ يَا نَفْسُ أَنْ تَخْضَعِي
وَأَشَقَّاكَ أَنْ قَيَّودَ الْمُقَابَا بَحْ غُلَّتْ عَلَيْكَ فَلَمْ تُصْدَعْ^(٤)
فَأَصْبَحْتَ فِيهَا كَطِيرِ الْحَبَا ثَلِ رَمْتَ الْخِلَاصَ فَلَمْ تُرْفَعِي
وَحَرَّ أَوَامٍ لَوْرْدِ الْفَضَائِ لِي بِأَقِ عَلَى الدَّهْرِ لَمْ يَنْقَعِ
رَدَى الْعَيْشِ يَا نَفْسُ لَا تَأْنَفِي وَجُوبِي الْمُقَادِيرَ لَا تَخْشَعِي
فَكُلُّ حَيَاةٍ إِلَى مَنْتَهَى وَكُلُّ شَقَاءٍ إِلَى مَنْزَعِ

حَدِيقَةُ الصَّيْفِ

هِيَ بَرٌّ مِنَ الْعَيْشِ وَشَقَاءٌ مِنَ الْكِبَرِ^(١)

(١) أَهَبْتُ بِحَزْمِي : أَي نَادَيْتُهُ . وَعَفْتُ : كَرِهْتُ .

(٢) لَمْ يَنْفَعِ : لِأَنَّ النَّفْسَ لَا تَبْلُغُهُ .

(٣) أَي تَرِيدِينَ أَنْ تَكُونِي مُطَهَّرَةً مِنَ الْعُيُوبِ فَلَا يَسْتَقِيمُ ذَلِكَ وَلَا يَتَّفِقُ فَتَحْزَنِينَ .

(٤) الْأَوَامِ : الْعَطَشُ ، وَحَرُّهُ : شِدَّتُهُ . وَالْوَرْدُ : مَكَانُ الْمَاءِ الَّذِي يَرُدُّهُ الْمُسْتَقَى .

(٦) الْعَيْشُ : مَرَضٌ فِي الْعَيْنِ ، أَي أَنَّ الرِّيَاضَ تَجْلُو الْبَصَرَ وَتَرْجِعُ الشَّيْخَ شَابًا .

وهي للشـيخ مـبـسـمـثٌ
وهي للطفـل مـلـعـبٌ
وهي للـبـائـس الحـزـيـر
وهي للـعـاشـقـيـن ظـ
فـي رـيـاضٍ مـن المـنـسـي
حيثُ تـلـهـو العـيـونُ فـي
قـم بـنـا نـنـثـر الزـهـر
هـذه الغـيـد فـي الغـديـر
غـرـد الطـيـرُ قـبـائـلاً :
و ثـمـارُ قـطـوفـهـا
والغـسـوانـي حـديـقـةٌ
وهـجـيرٌ كـسـانـه
يـدعُ المـرءَ نـاعـسـاً
يـدعُ المـرءَ نـاعـمـاً
إنـما الصـيـف زـيـنةٌ
تـلبـس الأـرض حـسـنـهـا
وتـراءى لـعـاشـقٍ
يـنـتـشـي المـرءُ كـلـمـسـا

للأـمـسـانـي والذـكـر
فـيـه مـلـهـي عـلـى غـرر^(١)
مـن مـسـلـاذٌ مـن الفـكـر
لـ ظـلـيلٌ ومـسـتـتـر
وأـمـسـانٍ مـن الزـهـر^(٢)
نـزهـة النـفـس والبـصـر
ر عـلـى صـفـحـة الغـدـر
ر جـلـت صـفـحـة القـمـر
فـسـازٌ بـالحـسـن مـن نـظـر
تـتـدلى مـن الشـجـر
مـلؤـها الزـهـر والثـمـر
لـهـبُ النـار يـسـتـمـر
فـسـاتـر النـطـق والنـظـر
نـائـم الـهـم والفـكـر
غـضـة الحـسـن والأثـر
بـعد ما غـاب واستـتـر
عـبـد الحـسـن ما ظـهـر
نـال مـن نـشـرـها العـطـر^(٣)

(١) أي على غفلة . (٢) أي رياض في الحسن كالأماني ، وأمانى في الحسن كالرياض .

(٣) ينتشي : أي يسكر .

مصارع النجباء

لو كنتَ ذا روحٍ عظيمٍ همُّهُ
تغدو وهمك في الحياةِ حطامها
ليس السعادةُ كنزَ كل فضيلة
للمالِ والجاهِ العريضِ عصابةُ
ففتى وحيد لا أنيس لنفسه
وفتى له عيشُ الغريبِ وحاله
وفتى يجود بماله وينفسه
شوقاً إلى المجد العزيز مناله
يقضى الغيبى حياته في غفلةٍ
إن الحياةَ جمالها وبهاؤها
لولا طمأحُ الحالمين وهمهم
الحالمون بكل مجد خالدهٍ
الغاضبون الناقمون على الورى
الشائدون الهادمون ذور النهى
الخالقون المهلكون الشارعو

لعذرتنى فى لوعتى وبكائى^(١)
إن النفوسَ قرارةُ الأدواء^(٢)
فاذهب لشأنك لا يصبك شقائى
وعصابة لمصارع النجباء
فرد من الخلصان والقبرناء
وأخو الذكاء يعدُّ فى الغرباء
وفتى تذوب حشاه فى الظلماء^(٣)
مجد النفوسِ أحق بالبرحاء^(٤)
عن نفسه ويعدُّ فى الأحياء
هبةً من النجباء والشهداء
بقى الورى كالتربة الغبراء^(٥)
سامى المنال كمنزل الجوزاء
هبوا هبوبَ الصرصر الهوجاء^(٦)
والعسقل أعظمُ هادم بناء
ن المرسلون بآية غبراء

(١) همه : أى ما يعنيه ويهم به .

(٢) الأنواء : الأمراض .

(٣) أى ساهراً فى تدبير ما يحاول من العظيمات . (٤) أى مجد النفوس أخلق بأن يعشق .

(٥) الحالمون : المفكرون الذين يحلمون بتحقيق الآراء السامية .

(٦) الصرصر : الريح الشديدة ، والهوجاء : المجنونة .

آى الجلالة والذكاء جميعها فيهم على السراء والضراء
فلئن أصابهم الزمان بمهلك قبل ابتناء منازل العلياء
فحياتهم وفعالهم ودمائهم مثل الهدى وكواكب الإسراء^(١)

المجاهد الجريح

هو العيش حرباً والحياة جهاداً وإن حياة العالمين سهاداً
ولا أشتكى أنى جرعت مريرها فيا ليت عمراً فى الحياة يعاد
فأجرع منه الحلو والمر إنما مشارب من يهوى الحياة براد^(٢)
وليست نفوس الناس إلا أسنة لها كل يوم مطعن وجلاد
وليست نفوس الناس إلا سيوفهم سيوف ولكن ما لهن غماد^(٣)
ويصدأ وجه السيف والسيف قاطع إذا كان سيفاً ليس فيه مژد^(٤)
وليست حياة المرء إلا كشعلة وآخر ذيك الضرام رماد
وفى العيش مسعى للبيب ومطلب هل العيش إلا مطمح ومراد
وهب أن ما يأتى الفتى غير مقنع أليست لذا ذات الطراد تراد؟^(٥)
ويحصد سعى المرء ما شاء عزمه وللمرء يوم ليس فيه حصاد
وما ينفع المرء الحزين بكأؤه إذا ظل ورد المرء وهو ثماد^(٦)

(١) أى أن سيرهم قنوة لمن بعدهم .

(٢) براد بكسر الباء : عذبه .

(٣) الغماد والإغماد بمعنى واحد .

(٤) أى لا يستخدم فى نود المكروه .

(٥) أى أن الحياة مثل القنص الذى ليست لذته فيما يصطاده المرء بل فى تتبع القنيص ومطاردته .

(٦) الثماد : الماء القليل .

ولولا خضوعُ النفسِ للجسم ما بكى
فلا تعذلوني إن ألت فإننى
ولا تعذلوني إن حزنت فطلما
ويا طالما خضتُ الخطوبَ وصهوتى
فإن متُّ فاسعوا فوق قبرى وباشروا
ولا تحسبوا أنى جنت لميتى
وقلتُ لنفسي إنما الموتُ سنةٌ
وقدماً مضت تلك العصور وأهلها
جهلنا فما ندرى على العيش ما الذى
سوى أن عيش المرء بالشك فاسدٌ
يقيناً بأن العيش نشوة صائل
جريحٌ ولم يعزز عليه تلاد
جريحٌ من الأحداث وهى صعاد^(١)
أصبتُ ولى بين الكماة فؤاد
رجاء ألا إن الرجاء جواد
جلادٌ كم إن الحياة جلاد
ولى عزمات كلهن صِلاَد^(٢)
هم الناس ركبٌ والمطامع زاد
وبادت بلادٌ بعددها وبلاد
يراد بعيشٍ نحن فيه نقاد
وأنَّ يقيناً فى الحياة رشاد
له عزمات فى الحياة حداد!^(٣)

عبث الشكوى

يا صاحبَ العقل يقضى العيش فى حزن
وتحسب الناسُ بهما لا عقولَ لها
وأنت فى الناس قطر ضاع قاطره
يشقى بك الناس أم تشقى من الناس؟^(٤)
وأنت فيهم كم صباح ونبراس
فى لَجَّةِ اليمِّ لا راوٍ ولا حاسى

(١) الصعاد : الرماح . (٢) صلاَد : شديدة .

(٣) أى نحن لا نعلم لآى أمر خلقنا وإلى أين نذهب ، وكل ما نعرفه أن الشك فى فروض الحياة يؤدى إلى اليأس والفشل والندم ، والحداد : الحادة .

(٤) أى هل الناس تشقى بما يحاوله صاحب العقل أم هو يشقى بجمود الناس ؟

وما أَحَسُّوا بهم من حاجةٍ لهمُ
 ملائِكُ اللهِ إن أرضوكَ بينهم
 للنفسِ أفقٌ مَضَى نورُهُ عَمَمٌ
 وراعتك اليأسُ حتى خلت من جزعٍ
 وكدت تنسى حياةً أنت صاحبها
 حتى إذا بلغت شكواك غايتها
 وما ضراركَ نفساً بعد ما علمت
 وكم تريد حياةً كلها جَذْلُ
 الناسُ والبُهمُ تدري أن ذا عنتٍ
 إليك ، كلا ، ولا جاءوا بمقياسٍ
 وإن غضبت فهم من نسل نسناسٍ!
 وأرضها النتن من رجسٍ وأدناسٍ
 أن الفضائل من أحلام وسواسٍ
 بين الأنام فأنت الذاكر الناسي
 علمت كيف تداوى اليأسَ باليأس
 أن الرخاءَ قنوعُ الطاعم الكاسي
 غيرَ الحياةِ وناساً غيرَ ذا الناس
 يُعطّل العيشَ من بشرٍ وإيناسٍ!

الطائر الحبيس

« وهي قصة جرت للشاعر ، وهو غلام صغير ، مع عصفور في قفص اتخذه لعبة له »

أذكر فيما مضى من العمرِ
 وكنتُ ألهو بطائرٍ غَرِدَ
 في حيثُ لا روضة له أنفُ
 بل كان يشدو الحبيسُ في قفصِ
 وكنت غفلان عن لواعجه
 قد كنت كالطائر الطليق فلا
 وكنتُ ألهو في غفلة الصغرِ
 مسرّجلاً للغناء مبيتدر
 والشدو شعرٌ لعاشق الزهر^(١)
 شدو حزين الفؤاد منقطر
 وكيف يرثي الجدلان للكدر؟
 شجوا يروع الفؤادَ بالفكر

(١) الروضة الأنف : الرائقة الجميلة

قَدْ كَانَ قَلْبِي لِقَلْبِهِ حَجْرًا
قَدْ كَانَ لِي لَعِبَةً أَعَابُهَا
قَدْ قَمْتُ أَلْهُو بِجَانِبِ الْقَفْصِ
وَأَقْرَعَ الْأَرْضَ صَارِخًا جَذَلًا
وَالطَّيْرُ مِنْ رَعْبِ قَلْبِهِ حَذِرٌ
حَتَّى إِذَا مَا سَكَتَ مِنْ كَلَلٍ
إِذَا بِهِ صَادِحًا يَنُوحُ مِنَ الْـ
قَدْ جَمَعَ اللَّحْنَ مِنْ لَوَاعِجِهِ
لَا مَا لَشَدُو مِنْ بَعْدِهِ أَثَرُ
نَاحَ عَلَى نَفْسِهِ وَمَا فَقَدْتُ
لَمْ أَكْ أَدْرِ مَا هَاجَ لَوْعَتُّهُ
حَتَّى رَأَيْتُ الْعَصْفُورَ مُنْجَدِلًا
نَسِيَّتُهُ وَالسَّنُونُ مُنْسِيَّةً
حَتَّى عَرَّتْنِي الْخُطُوبُ فِي عَمْرِي
ذَكَرْتَهُ وَالْخُطُوبُ مَذَكَّرَةٌ
نَفْسِي كَالطَّائِرِ الْحَبِيسِ فَلَا
قَدْ شَقَّ صَدْرِي نَابُ الْحَيَاةِ فَأَمَـ

وَكَيْفَ يَجْدِي الْغِنَاءُ لِلْحَجَرِ؟
مَا كَانَ سِرُّ الْغِنَاءِ مِنْ وَطَرِي
فِي صَخْبٍ رَائِعٍ بَلَا حَذَرٍ^(١)
وَضَجَّةِ الصَّوْتِ شِيْمَةً الصَّغَرِ
يَهْتَزُّ مِثْلَ الْمَقْرُورِ مِنْ خَصَرٍ^(٢)
قَعَدْتُ أَلْهُو عَنْهُ عَلَى غَرَرٍ^(٣)
رَعْبٍ بِلَحْنٍ يَقْدُ فِي الْمَرَرِ^(٤)
لَمْ يُبْقَ مِنْ نَغْمَةٍ وَلَمْ يَذَرِ
فِي الْقَلْبِ بَاقٍ كَذَلِكَ الْأَثَرُ
بَيْنَ ثَمَارِ الرِّيَاضِ مِنْ وَطَرِ
وَالْقَلْبُ مِنْ شَدْوِهِ عَلَى كَدَرِ
قَدْ مَاتَ مِنْ لَوْعَةٍ وَمِنْ حَذَرِ
وَكُلَّ مَا فَاتَ مَيِّتُ الْخَبِيرِ
وَرُوِّعَتْنِي الْحَيَاةُ بِالْغَيْرِ^(٥)
وَصَاحِبُ الْهَمِّ حَاضِرُ الذِّكْرِ
مَفْرٍ مِنْ جَوْرِ سَطْوَةِ الْقَدَرِ
نَسِيْتُ بِقَلْبٍ خَفَاقٍ مِنْذَعَرٍ^(٦)

-
- (١) أى بضجة أخافت الطائر .
(٢) المقرور : من أصابه البرد ، والخصر : البرد .
(٣) الكلل : التعب ، وعلى غرر : أى على غفلة .
(٤) المرر : جمع مرة وهى الشدة ، ويقد : يقطع أى يستنفد الجلد .
(٥) الغير : الصروف .
(٦) ناب الحياة : شبه الحياة بوحش مفترس له ناب .

يا طيرُ لو كنتَ حاضري ألفت
وأى خَلقٍ يلام فى خـور
لا يعرفُ الحزنَ غيرُ ذائقه
اقتصُ منى لك الزمانُ وقد
نفسك نفسى من رحمة الخور^(١)
والمرءُ فسينا فريسةً الخطر
فليس حزنُ العيان كالخبر
أصبحت منى فى السمع والبصر !

الإنسان والكون

سلامٌ على عهد الشبابِ سلامٌ
تعاودنى ذكرى الربيع الذى مضى
وأحسبُ أنَّ الزهر يزهللكى أرى
وأحسبُ أنَّ الماءَ كالخمر سلسلاً
وأحسبُ أنَّ الشمسَ ترنو بلحظها
وأحسبُ أنَّ النجمَ حلى لناظري
وأحسبُ أنَّ الكونَ بيتى وأننى
وأعلم أنى هالك غير خالدٍ
وأنى لا طيرٌ ينوح لميتتى
ولا النور يدجو لا ولا الماء غائض
كذلك لا يبكى على الحب طائرٌ
سلامٌ وهل يدنى البعيدَ سلامٌ؟
كأنَّ حبيباً قد طواه حمام
محاسنَ منه فى الرياضِ ترام
لأجرعُ منه والنمير جِمام^(٢)
إلى وأنَّ الليلَ منه خيام
وبرق الغواذى للمضيءِ يشام^(٣)
أميرٌ على عليائه وإمام
وأنى رفاتٌ للثرى وعظام
ولا الزهر شجواً إن هلكت يسام
وليس على وجه الهلالِ مقام^(٤)
وليس على نقض العهدِ يلام

(١) أى أن الاشتراك فى الضعف يعلم التفاهم والتعاطف .

(٢) الجمام بكسر الجيم : الترفيه والإراحة .

(٣) أى أن الإنسان فى شبابه يحسب أن الكون خلق لأجله .

(٤) أى أن المرء إذا مات كان كأن لم يكن ، فلا يحزن عليه الكون ، كما يزعم الشعراء فى المراثى .

ولا الزهرُ يأسى للفقْؤادِ وشَجْوهِ
وليس بكاء ما يريق غمام^(١)
لقد جفَّ قلبي والزهور نضيرةٌ
وقد شاب قلبي والزمانُ غلام!

وعظ الموت

تذكر شجى القلب أنا جميعنا
هل العيشُ إلا ساعة ثم تنقضى
نرى حولنا الهلاك في كل منزلٍ
ونعلمُ علماً ليس بالظن أننا
وهوَن عندى الموت ما الدهرُ صانعٌ
وليست مساعي المرء إلا جنازةٌ
وما عرف الأيام إلا مجربٌ
ونبكي لموتانا لأن حياتهم
يخلفنا الأحباب كالروح هزه
أنشقى بفقد الميت والميت ناعمٌ
وما الموت إلا الأمن والخلدُ صنوه
خليقُ بنا أن نغبط الميت حاله
فإن حياة العالمين غرورٌ
نؤول إلى ورد الردى ونصيرُ
هل الدهرُ إلا أشهر وعصور ؟
كأنَّ بيوتَ العالمين قبور^(٢)
سنمضى على آثارهم فنحور^(٣)
فلست من الخطب العظيم أخور^(٤)
تخبُّ به نحو الردى وتسير
ليبُّ بأحداث الزمان خبير
منافع تغنى فى الخطوب وخير^(٥)
شتاءٌ يعرَى غصنه ودبور^(٦)
سعيدٌ بما جرَّ الحمام قرير ؟
ألا إن فقدان الحياة حبور^(٧)
فإن حياة العالمين غرور

(١) يأسى : يحزن . (٢) الهلاك : الهالكون . (٣) نحور : نتحول ونتغير .

(٤) أى علمى أن الموت أت يهون مصائب الحياة .

(٥) أى أننا إذا بكينا الميت لم نبكه لأن موته مصيبة حلت به بل مصيبة حلت بالأحياء ، لأن حياته كانت نفعاً لهم .

(٦) الدوح : الشجر ، والدبور : ريح شديدة . أى يتأثر عنا الأحباب ، كما يسلب الشتاء والرياح أوراق الشجر .

(٧) الحبور : السعادة .

أبناء الشمال

(الآريون)

عَمَّـرُوا الأَرْضَ وَصَّالُوا	إِنَّ أَبْنَاءَ الشَّـمَالِ
كُلُّ مَنْ يَسْمَعُنِي يَنَالُ	وَرِثُوا الْمُلْكَ جَمِيعاً
لَيْسَ يَدْنِيهِ أَتْكَالُ	إِنَّ لِلْمُلْكِ اعْتِزَازاً
وَلَهُمْ فِيهِ مَجْجَالُ	فَلَهُمْ فِيهِ فَلَاحُ
دَاؤُنَا الدَّاءُ الْعَضَّالُ	عَمَّـرُوا الأَرْضَ وَثَمْنَا
قِيَمَةُ الْعَرْشِ الرَّجَالُ	وَلَهُمْ فِي الْكُونِ عَرْشُ
عَيشٍ مَبْذُولُ حِلَالُ	كُلُّ شَيْءٍ لَهُمْ فِي الْـ
جَزْ لَا يَخْذَعُكَ آلُ (١)	حَرَمِ الْأَمْرِ عَلَى الْعَا
نُ وَآمَّالُ وَمَّالُ	إِنَّمَا الْقَسْدَةُ إِيمَا
عَمَّـرُوا الأَرْضَ وَصَّالُوا	إِنَّ أَبْنَاءَ الشَّـمَالِ
مَا عَرَا الْقُومَ مَلَالُ	وَرِثُوا الْعِزَّمَ جَمِيعاً
مَا عَمَّالُ عَجْجَالُ	هُمْ لِدَاعِي السَّمْعِ وَالْـ
هُمْ وَتَنْبِيكَ الْجَبَالُ	تَعْرِفُ الْبَيْدَاءُ مَسْعَا
وَلَدَى الْجُـمُورِ مَنَالُ	وَبِطْنِ الأَرْضِ مَسْمَعِي
عَظُمْتَ تِلْكَ الْفَعَّالُ	سَلْ أَقْصَى الأَرْضِ تَخْبِرُ
نَفْسٍ لِلنَّفْسِ جَلَالُ	هِيَ تَنْبِي عَنْ جَلَالِ الْـ

(١) الآل : السراب ؛ أى أن القوى لا يتقيد بالقيود التى يتقيد بها العاجز .

بيسديهم لسجُم الأقد
 يركضُ الدهرُ لديهم
 من ثمار القدرة العلم
 عيشهم كالنهر يجري
 كلُّ يومٍ في جسدي
 وجسدُ المرء يُبلى
 ويكادُ الغيبُ يبدو
 عرفوا العيشَ ففازوا
 إنما العيشُ طموحُ
 بين عجزٍ واقتدارٍ
 إنما العجزُ هو الذ
 قيمة المرء مساعيه
 إن أبناء الشمال
 لم يرعسهم فـشـلٌ إن
 بذلوا النفسَ ليحفظوا
 قد بروا أهل الجـمـودِ
 ويل أبناء الجنوبِ اعـ

مدار يُجربها بها الصيالُ
 مثلما شاء الرجالُ
 وفي العجز الضلال^(١)
 فهو حالٌ ثم حال^(٢)
 كـشـفـت عنه الفسـال
 ه ويفنيـه ابتـال
 لهم منـه المـال
 إنما العيشُ قتـال
 واعـتـزام واحتـيال
 ضاقَ بالعجز المجال
 لُ إذا اشتد النضال
 ه إذا عـزّ المنال
 عمّـروا الأرض وصالوا
 ثبط الغـرّ المطال
 إنما البـسـذل نوال
 مثلما تُبرى النعالُ
 تـسر بالملك الشمـال

(١) إذا راجعت التاريخ وجدت أن العناصر تصول صولاتها وتظهر قدرتها ، فينشأ من ذلك الحضارات المختلفة مثل حضارة الفرس والإغريق والرومان والعرب والتيوتون .
 (٢) أي عيشهم متجدد دائما وهذا سر نجاحهم في الحياة .

توأم النفس

« الفكرة الأساسية التي بنيت عليها هذه القصيدة ، هي أنك قد ترى أحد الناس أول رؤية ، فيخيل لك كأنك رأيته وصحبته في حياة قبل هذه الحياة . فتكاد تصدق قول من يقول : إن الروح لا تخلق منفردة ولكن يخلق معها توأم لها ! »

أخى وكل الناس صحب وإخوة	وكل امرئ تلقاه فهو قريب
أتذكرنى بل لا أخالك ذاكرأ	أيذكر مجهولاً لديك غريب؟
جلست على قرب ولم يك بيننا	إخاء ولا عهد إليه نؤوب
تحدثنى نفسى بأنك خدنها	وللنفس من ود النفوس نصيب ^(١)
وأحسب أنى قد صحبتك حقة	من الدهر ذكرها لدى تطيب
حياة لنا قبل الحياة رغيدة	إذ العيش صفو والزمان أريب
فنفس الفتى فى مسلك العيش توأم	لها فى الأدانى توأم وحبيب
وكل امرئ فى العيش يبغى قرينه	وكل ضريب ينتحيه ضريب ^(٢)
فويح لنفس لم تجد من يحبها	وللقلب لم تعطف عليه قلوب
جلسنا ومنا مرسل لحظ عينه	وآخر محمود اللحاظ هيوب
نظرت وكم من نظرة لك سرها	جلى وفى لحظ العيون خطيب
جلوت لى النفس التى أنت ربها	فلانى بأسرار اللحاظ لبيب
ولحظ الفتى من نفسه وخصاله	إذا طاب نفساً فاللحاظ تطيب

(١) الخدن : الإلف والصديق . (٢) ضريب : الشبيه والند .

وفى لحظِ أهلِ اللؤمِ لؤمٌ وقسوةٌ
وفى لحظِ أهلِ الودِّ أنسٌ ورقيةٌ
فقلتُ لعلَّ القربَ يُدنى نفوسنا
وما هي إلا لفستةٌ وبشاشةٌ
فينشأ عطفٌ بيننا وتعارفٌ
وكلُّ ودادٍ لو فطنت تجاربٌ
وما هي إلا لقيةٌ بعد لقيةٍ
فنحييا ودوح الودِّ سامٍ وظلُّه
يقرُّ بعيني أن أرى الضوءَ والدجى
وهيهات حالت دون ذلك وحشةٌ
فوا حسرتا من نُهزةٍ ما انتهزتها
أسائلُ عنك الدهرَ فى كل ذكرَةٍ
أعلل نفسى أن قلبك ذاكرى
وأنت بعيدٌ لست تعرف ذكرتى
وأعجب من هذا اللقاءِ وأمره
فيا ويح هذا الخلق من كل وحشةٍ
يعيشون كالأشباح فى العيشِ حقبةٌ

وفى لحظِ أهلِ المكرماتِ طيب
وعطفٌ وفى لحظِ العدوِّ قطوب^(١)
وكلُّ جليسٍ للجليسِ طروب
تروح رسولاً بيننا وتؤوب
ويورق غصنٌ للودادِ رطيب
فمنها مضى مغدقٌ وخلوب^(٢)
يظل لها القلبُ الطروبُ يذوب
ظليل وروضُ المكرماتِ قشيب^(٣)
إذا نظرت عيني وأنت قسريب
فقمنا وكل عن أخيه غريب
ورحتُ وعيشى من هواك جديب^(٤)
يكادُ لها عهدُ اللقاءِ يثوب^(٥)
فيكذب ظنى والرجاءُ كذوب
ولا أن قلبى من نواك كئيب
وكلُّ لقاءٍ فى الحياةِ عجيب
ومن فرصات فى الحياةِ تخيب
لهم كل يومٍ إحنةٌ وحروب^(٦)

(١) القطوب : العيوس .

(٢) تشبيه تجارب الوداد بالسحب إما نافعة شافية ، وإما برقها خلوب خادع .

(٣) الدوح : الشجر . (٤) النهزة : الفرصة . (٥) يثوب : يرجع .

(٦) إحنة : حقد ، والحقبة : المدة من الزمن .

وكلُّ لكلٍّ لو يفسيقون جنة
 فيما توأم النفس الذى أنا ناشد
 يقنتُ خلودَ النفسِ من بعد ميتةٍ
 فيرجى لنا فى عيشة بعد هذه
 وكلُّ لكلٍّ منهلٌ وقليب^(١)
 دعوتُ فهل من سامعٍ فيجيب؟
 لعل لقاءً يا حبيب يؤوب
 من الحبِّ والودِّ المكين نصيب !

حلم النفس

ألا يا طلل القلب
 لجسجتُ بحب خوان
 ذكى الحسن فتئان
 هو الحلم الذى تبسغى
 فدع حلماً مضى أبداً
 سرابٌ كان فانقشعت
 فهذا الطير صدادح
 ألا يا طائراً يهسسوى
 لقلبي فـيك تحنان
 فجدد دارس العهد
 وأطربنى بالحـان
 وداو غُلَّةَ النفسِ
 وقـسر الودِّ والحبِّ
 وفى الوافين من يصسبى
 فتسون الوجسه واللب
 فما بالعيش من عتب
 أيسروى القلب بالكذب؟
 خلاية نيسته الجذب^(٢)
 شدا فى الغصن الرطب
 نضير الروض والعشب :
 يُنمى القلب أو يُخسبى
 وجُدد لى منك بالقرب
 كفقيض الظاهر العذب
 بما فى الحسـن من طب

(١) قليب : ينز . (٢) حينما يزول السراب تختفى الأشجار الخادعة التى جلاها للنظر .

لكى يصـبـحُ قلبى منـ	سـك روض الـودّ والحـب
فـمـا بالـقلب من كـلم	ولا فى الـقلب من نـدب ^(١)
وأغـسـدو بك جـذـلانا	خـصـيب الـروض والتـرب
وأنسى حـلم الجـدب	بما فى حـلم الخـصـب
فـإن الـحب أحـلام	وخـير الحـلم ما يُصـبى
وبعض الحـلم جـلاب	مـرير الـهم والكـرب
ألا يا حـلم الـنفس	أتـسـروى غـلة الصـب؟
فـمـا فى الـحب من عـيب	ولا بالـقلب من رـيب
ألا يا طائر الحـسن	أليف الـروض والعـشب
فـؤادى لك فـردوس	فـطـر فى جـسـده الرطب
وصن لى حـسـنك البـاه	مر من شـين ومن عـيب
وكن لى خـير مصـحوب	أكن من خـيرة الصـحب !

زهر الهوى ونبت الفيافى

بين زهر الهوى ونبت الفيافى	وزهور من النجوم روانى ^(٢)
جاء نجوى بمن أعز وأهوى	ملك من ملالك الرحمن
واقفا بين من أحب وبينى	بيدينا يداه معقودتان

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

ثم خلى بينى وبين حبيبى	فاقتربنا اقتراب غير مريب
------------------------	--------------------------

(١) الكلم والتدب : الجرح . (٢) روانى أى ناظرة من رنا يرنو : نظر .

وعقدنا من العناق نطاقاً ما دُهينا باللوم والتثريب
ورويننا بالدمع غُلَّةَ نفسٍ كيف يُروى الجوى بدمع صبيب

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

قال لى الناصحُ الكريمُ مقالاً فى خفوت ورقيةٍ وسكون^(١)
كن أميناً على الفؤاد الأمين إنما الحسنُ نهزةٌ للمخشون
هل جزاءُ الحبيبِ إلا وفاءً خالص من شوائب أو ظنون

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

ثم ألقى إلى الحبيب مقالاً إن خير المقال نصحُ القلوبِ
كن رؤوفاً ووافياً ومنيلاً وطروباً إلى الحب الطروبِ
إنما المرءُ ساعةٌ ثم يمضى فاجعلنها فى خلوةٍ بحبيب!

بين زهر الهوى ونبت الفيافى

جنون الأمانى

أيا روضةَ الريحانِ من لى بنفحةٍ تخفف من همى وتشفى فؤاديا ؟
ويا نفحةَ الريحانِ هبى مع الصبا فإن بقلبى لوعةٌ هى ما هيا
وإن بقلبى لوعةٌ أنت هجتها فقد كنت دائى فى الهوى ودوائيا
وما ظمئى للماءِ والقيظ لافحٌ بأوجع من شوقى وحر غراميا
فيا ظمأ القلب الجريح وريه أما جرعة تطفى لهيباً أواميا
ويا منهلاً الحسن الذى أنا حائمٌ عليه ولم أرو الغليل الذى بيا

(١) صوت خافت : غير مجهور به .

ويا واحدة العيش الجديبِ أحبه
لقد جبتُ هذا العيشَ والعيشُ بلقعُ
وأبصرتُ فيك الماءَ كالخمرِ سلسلاً
وأبصرتُ أثماراً هناك ومورداً
فقلتُ لقلبي : إنما العيشُ فى الهوى
وقلتُ لقلبي : إنما العيشُ خلصةُ
لئن خانتني العيشُ الذى كنتُ أرتجى
وما أحسبُ النفسَ اللجوجَ شفاؤها
فمن لى بماءِ الخلدِ أروى به الصدى
وما العيشُ إلا مطلبٌ بعد مطلبٍ
وما العيشُ إلا عزةٌ واستطالة
ولو كنتُ رباً نافذَ الأمرِ قادراً
وأفسحتُ فى الآبادِ للنفسِ منزلاً
فمن لى بها أمنية ما أجلها
حبيبى ، لا والله ما الكفر شائقى
ولو أننى ربٌّ لما نالك الردى
جمالك مكلوءٌ بعين رعايتى
أزيدك من زهر الصبى وثماره
جنون الأمانى فيك أحلى من الحجى

على جذبه لو أن فيك مقامياً
وأبتُ وما أعقبتُ إلا كلالياً
وأبصرتُ فيك الغصنَ فينان زاهياً
لذيذاً فلم أملك عليه طماحياً
ولا عيشَ إلا أن تنالَ الأمانياً
من الموت لا تبلغه يا قلبُ صادياً
فيا بؤس آمالى وطول بلائيا
من العيش ما يدنو وإن كان شافياً
فما الخلدُ إلا نجمتى وشفائياً
فكيف أرى فى العيشِ جذلانَ راضياً
ترى الموتَ أن تحيا ذليلاً مداجياً
لأعطيتُ نفسى سُؤلها وعبادياً
وأثملتُ بالآلاءِ منها الأمانياً
تجئُ بأحلامى وترضى خيالياً !
ولكن قول النفسِ يا ليت ذالياً
ولا قلتُ يوماً أين منى جماليا
فلست عليه الدهرَ والموتَ خاشياً
فتزهى بحسنِ فيك كالخلدِ نامياً
ألدُ الأمانى ما يحسن فؤادياً !

هذا الحبيب

هذا الحبيبُ الذي قد لمتني فيه
فانظر محاسنه واحذر لواخطه
وارفق بلبك لا تودی اللحاظُ به
هذا الذي يدرك الأعمى محاسنه
هذا الذي إن رآه الشيخُ عاوده
هذا الذي ضحكات في مباسمه
تكاد طلعتُه من نور بهجته
ونعمة الحسن تهفو في معاطفه
وطلعة الحسن فيها قسوةٌ جللُ
هذا الذي جمل الله الحياة به
هذا الذي نبضات القلب تتبعه
هذا الذي خطرات القلب صادحة
فانظر لعلك أن تحظى بنظرته
وربما نظرة للمرء تسعده
هل الحياة سوى مسعى تعانیه

يردد اللحظَ بين الدلِّ والتَّيِّه
واحبس فؤادك لا تجرى أمانیه
واستبق دمعك لا تهمل هوامیه
ويلمس الهالك المودی فيحييه
شرحُ الشباب الذي قد راق ماضيه
أحلا لدى القلب من دهرى وما فيهِ
إذا رآها مشوق الطرفِ تُعشيه
وقسوة الحسن تبدو في مآقيه
تلوح للعاشق العاني فتردیه
وعلم الروح ما تحوى مراقیه
ومهجة المرء تسعى في مساعیه
مثل الطيور إذا غنت تناجیه
فرما نظرة للمرء تشفيه
وربما نظرة للمرء تشقيه
ومطمح النفس تبغیه وتدنيه

أحلام الصيف

إذا ما دعتنى النفسُ يوماً لريبةٍ
تراودنى حتى تلج وتستشري

ذكرتك كيما تحدث النفس عفةً
وذكرك يثنى ناظري عن الحنا
فأنت سميرى فى صحابى وخلوتى
فلا تبتعد عني فبعدك فتنة
فأنت جميل كالنهار وضاءة
وأنت جميل كالزهور نضارة
فيا أية الكون الذى أنت عطره
أظن نجوم الليل تزهو لكى ترى
وعذبت قلبى فى يديك ضلالة
فجد لي بيوم من لقاءك صالح
تعال أعلمك الهوى ما فعاله
ولكننى أخشى عليك من الهوى
فإن الهوى مثل المدامة مُسكر
وأخشى عليك العيش فالعيش فتنة
فما أنت معصوماً من الشر والأذى
وكل امرئ فى العيش لابد فاعل
لقد خلت أن الحب طير مفرد
إذا زال عنك الحسن والحسن دولة
ندمت على الهجران فى غير علة
وهيهات أن تسرى لحاظك بالهوى

فذكرك يثنى النفس منى عن الشر
ويسعد نفسى بالفضيلة والطهر
وأنت هدى نفسى على السر والجهر
وقربك قرب للمكارم والخير
وأنت جميل كالكوكب والبدر
وفيك جمال الأفق فى وضوح الفجر
كذاك جمال الروض يحمد فى العطر
محاسن من مرآك فى الأنجم الزهر
كما يلعب الطفل المدلل بالطير
فقد ضاع عمرى فى القطيعة والهجر
لكيما ترى السر الجليل من الأمر
إذا ما ثوى بين الجوانح كالجمر
وإن الهوى كأس أمر من الصبر
وأخشى عليك الشر يطرق بالضر
ولا أنت معصوماً من السوء والمكر
من الشر أمراً كان منه على قدر
فإني سمعت الحب يخفق فى صدرى
تزول ويبقى منه حسنك فى شعرى
وما كنت تبديه من الصد والغدر
إذا صرت منسياً كأمسك فى العمر

كأنّ على الآفاق بعدك وحشة
أبيت أنادى الجنّ في مستقرها
دعاء الفتى سحر وأبلغ دعوة
دعاء الذى ما من نزوع لقلبه
فلا تنس ذكرى مثلما أنا ذاكر
أحبّ من الأشياء ما كان مشبهاً
فأرسل إلى الزهر منك علامة
ولا تفخرنّ إنى جنت محبة
ودعنى أمنّ النفس عطفاً ورحمة
فليتك حلم الصيف يحلو لحالم
أعلّل نفسى أن شوقى نافعى
وهيهات لا تجدى لديك شفاعه
حسوت كؤوس الحب طراً وإنى
فلا تعذلا قلبى لإسراف نشوة
سيدكر هذا الدهر أمرى وأمركم
لقد كان قبلى عاطلاً فحبوته
وقد كان قبلى أخرس الفم أبكما
فمن لى بأسماع تعى ما يقوله
ألا إن هذا الدهر أوتار شاعري
ألا إن قلبى روضة الشعر والهوى
يحرك أغصان الخميلى مرة

أراها على وجه الخليفة كالستر
لتجمع ما بينى وبينك فى السر
دعاء لهيف ذى لواعج مضطر
فينساك إلا أن يغيب فى القبر
عسى تلتقى روحى وروحك بالذكر
لوجهك إن الزهر يعرف بالزهر
فوجهك مثل الزهر يضحك من بشر
فكل ضئيل النفس يفخر بالشعر
وأخف جنونى فيك بالصبر والكبر
ولكنما الذكرى أمر من الصبر
لديك فإن الشوق ضرب من السحر
فإنك مقدود الفؤاد من الصخر
أرقت كؤوس العمر من طرب السكر
سواسية ما يأكل الدود فى القبر
فقد خطّ شعري فى الصميم من الدهر
عقود معانٍ لا تطوق بالنشر
فأصبح يشدو بالجليل من الشعر
فحولى أناس كالجماد من الوقر !
وشعري أحلى للنفوس من الخمر
ومنك نسيم الحب يعبث فى صدرى
فيوقظ أنغامى ويحمل من نشرى !

فتنة الطهر

يا غلة القلب المشوق الصادى
سل عنى الليل البهيم وطوله
أتخال أنك قد كشفت سرائرى
أو ما علمت بأن طهرك باعث^{*}
يوم يخال الظن فيك نقيصة^{*}
لا بل يجىء بحسرة وندامة^{*}
لست الخلق بأن تنال محبتى
النفس أعظم أن تحب ذوى الخنا
إنى أريدك كمعجبة لا حانة^{*}
طهر الحبيب يزيل هم محبه
السعد أطهر أن ينال بخسة^{*}
خير الهوى حب الفضائل والنهى
ظن الفتى كفعاله ومقاله
لا ترمسينى بالدنية باطلا^{*}
حب النقيصة إثرة مذمومة^{*}
وهوى المحاسن ألفسة ومودة^{*}

كم ذا البعاد فقد أطلت بعادى^(١)
وسل الوساد فما قريت وسادى
وتظن أنك قد سبرت فؤادى
شوقى ومورٍ من هواك زنادى^(٢)
يوم يجىء براحتى ورقصادى
ويزيد من غصص الزمان العادى
إن لم تنل من عفة ورشاد
أو أن تجل مظنة لفساد
إن الدنيا جمة الوراد
فكأنه القمر المنير الهادى
شوءاء رهن حوائج الأجساد
ومسودة الأمثال والأنداد
وخصاله من مضمرة أو بادى
فتكون أنت مظنة الحساد
يغدو لها الخلان كالأضداد
وتناصر كتناصر الأجناد

(١) الغلة : العطش (٢) أوردى أشعل .

انظر لنفسى فى خصالك صادقاً
فاذهب كما ذهب الوباء مُبَغَضاً
وإذا وجدت محامداً ومحاسناً
أقبل كإقبال الربيع محبوباً
الطير تشدو فى الرياض محبةً
والغصن كالنشوان من وله بكم
والريح تبكى شجوها بأنيبها
والنجم يومض عاشقاً لجمالكم
وكواكبُ الفلك المدار رواقصُ
والشمسُ صفراءُ الجبين مريضة
أنت الذى فتن الوجودَ جماله

فإذا وجدت مغامزاً لأعادى :
نكب الأنام وقتاً فى الأعضاء
خلصت من الأدناس والأحقاد
تثنى عليه ألسنُ الحصّاد
تدعوك بالتغريد والإنشاد
هزّ الزهور بقلده المياد
حتى الرياح عليك من حسادى
نظر المحبّ إلى الحبيب البادى
طرباً فحبّك زادها والحادى
والبدر شيب بياضه بسواد
يا غلة القلب المشوق الصادى!

فى الفردوس

شريد اللب هامى الدمع عانى
ترتل حوله الأملاك آيات
ونور الخلد وضياء عليه
تظلّ النفسُ منه فى ربيع
تظلّ النفسُ تمرح فى رباه
تجلله ثمسار فى غصون
بأية شقوة قد رعت حتى

نبت عسیناه عن زهر الجنان
وطير الأيك تصدح بالأغانى
ينير الزهر من حديق الحسان
مذاع العطر محمود الزمان
وتبصر حولها حلم الأمانى
قطوف بين قاصيه ودانى
فلؤادك ليس ينعم بالأمان

يَظَلُّ النَّاسُ حَوْلَكَ فِي نَعِيمٍ
نَفْسُ النَّاسِ فِي دَعَاةٍ وَأَمْنٍ
فِيَا بؤْساً وَيَا تَعْساً لَصَبٍّ
دِمَاؤُكَ فِي الْعُرُوقِ لَهَا لَهَيْبٌ
وَأَنْفَاسٌ تَصْعَعِدُهَا طَوَالَ
تَمَدُّ إِلَى وَجْهِهِ الْقُيُومِ لِحَظاً
وَلَيْسَ الْحُبُّ إِلَّا حُبُّ صَبٍّ
وَلَيْسَ الْخُلْدُ إِلَّا قَرَبُ خَلٍّ
سَتَبْصَرُ مِنْهُ فِي الْفَرْدُوسِ وَجْهاً
يَسْلُ الضَّغْنُ لَا وَاشٍ فِيخْشَى
فَطَرْفُ مَنْكَ مَعْقُودٌ بِلِحْظٍ
يَدُ بَيْدٍ وَقَلْبٌ قَرَبُ قَلْبٍ
تَحْيِيكَ الْمَلَائِكُ بَابَتَسَامٍ
فَقُلْ لِلطَّيْرِ تَصْدَحُ فِي رَبَاهَا

وَقَلْبُكَ كَالْكَلِيمِ مِنَ الطَّعْمَانِ^(١)
وَنَفْسُكَ بَيْنَ حَلَقِكَ وَاللِّسَانِ
شَقِيٌّ فِي الْفَرَادِسِ وَالْجَنَّانِ^(٢)
كَأَنَّ دِمَاكَ رَيْقَةً أَفْعَوَانٍ !
وَوَجْهُكَ شَاحِبٌ وَالدَّمْعُ قَانِي^(٣)
وَتَنْشُدُ صَنُوفَ نَفْسِكَ وَالْجَنَّانِ^(٤)
يَحْنُ عَلَى الْقَطِيعَةِ وَاللِّيَانِ^(٥)
جَمِيلُ النَّفْسِ مَحْمُودُ الْعِيَانِ
عَمِيماً حَسَنَهُ جَمَّ الْمَعَانِي
وَلَا صَبٍّ يَرُوعُ بِالشَّنَانِ^(٦)
وَطَرْفُ مَنْهُ مَعْهُودُ الْبَيَانِ
وَسِرُّ النَّفْسِ مَا تُوْحَى الْيَدَانِ
وَتَطْرِبُكَ الْمَثَالِثُ وَالْمُثَانِي
فَطَيْبُ اللَّحْنِ فِي طَيْبِ الزَّمَانِ !

حلم الفردوس

أَيَحْرَمُ حَتَّى نَظَرْتِي وَسَلَامِي
أَقِيمُوا كَمَا شِئْتُمْ عَلَى الصَّدِّ وَالْجَفَا
وَحَتَّى حَنِينِي نَحْوَكُمْ وَهِيَامِي !
فَإِنْكُمْ لَا تَصْرَفُونَ غَرَامِي

(١) الكليم : الجريح (٢) الجنان : جمع جنة الفردوس (٣) قاني : أحمر (٤) الصنوف : الند

والمثيل والأخ . والجنان : الفؤاد (٥) الليان : الملاينة والمحاسنة (٦) الشنان : والشنان البفض .

أعلل نفسي باقترابٍ ولُقىة
 فإن طرقتك الريحُ يوماً بآنةٍ
 ولو أننى فى القبر ميتٌ وزرتنى
 وإنى إذا ما اعتادنى الهمُّ والأسى
 وأشعرت ذلَّ العيش حتى قليته
 وأصبحتُ أرجو الموت من سورة الأسى
 أبين لنفسي صورةً منك غضةً
 ويفرحُ قلبى بعد يأسٍ وحسرة
 وفى ذكركم روح الحياة وطيبها
 قنعت بذكركم وبالطيف منكم
 لقد كنتُ أشكو الحبَّ حتى رأيتُه
 فيما حلُمَ الفردوس حبك ذكرة
 ورثنا ولو عاً بالنعيم وطيبه
 ورثنا بنى حواء شوقاً وحسرة
 وكلُّ مرامٍ نرتجيه تذكراً
 أكاد أرى الفردوس خضراً غصونه
 وأبصر فيه الضوء لا ضوء مثله

وليس اقترابى منكمو بحرام
 فقد سار فى ذاك النسيم سلامى
 لحيتك من تحت الرجام عظامى^(١)
 وأبغضتُ فى هذى الحياة مقامى
 وقد بان حتى راحتى ومنامى
 ولم تُشف من داءِ الهموم مداى
 فأنقذ من ذاك الخيال أوامى
 فقربك فيه راحتى وجمامى^(٢)
 ومراك فيه نهلتى وطعامى^(٣)
 إذا جاد طيفٌ منكم بلمام^(٤)
 دواء همومى كلها وسقامى^(٥)
 لأيام عيشٍ فى الجنان وسام^(٦)
 وعيش قديم قد مضى بسلام
 فأنفسنا مما تروم دوامى^(٧)
 لعهد جنان قد مضى ومرام^(٨)
 فليت مقاماً فى الجنان مقامى
 له بهجة فى زهرها المتسامى

(١) الرجام : أحجار القبور (٢) الجمام : الترفيه والإراحة (٣) النهلة : الشراب (٤) اللمام والإلام : الزيارة (٥) وسام : أى جميلة (٦) نوامى : أى دامية (٧) أى أن كل ما تحلم به فى الحياة من الفضل والكمال والأطعام ، تقرب وتذكر لعيشة الفردوس .

وأسمع فيها الطير تشدو فأنثنى
فآوى إلى عهدٍ مضى ثم أنثنى
وكلُّ جمالٍ يسحر القلبَ طيبه
سراب طماح المرء فى غير كنهه
فيا ليتنى فى الريف لا شىء شاغلى
ولو أننى فى الريف ما فاتنى الأسى
حبيبى إن خُبرت أنى بحسرة
فأرسلُ خيالاً منك يأسو لواعجى
معينى على الأحزان لا مسك الأسى
أريد على الأيام عوناً من الهوى
أجلُ مرامٍ فى هواك أرومهُ
وإنَّ هيامَ المرءِ فضل وفطنةٌ
فيا حلمَ الأحلام هل لك عطفة
وأحيا حياةً من هواك سعيدةٌ
ولو ردَّ هذا الموت شىء لرده
فحبِّك حلمٌ بالخلود لعاشقٍ

وقلبى من ذكرى الفرادس دامى
إلى مستقبلٍ من دهرنا المترامى
فيا ليت أوراق النعيم خيامى
وما هو إلا مشثل حلم نيسام
من العيش إلا غلتى وسوامى
ولا برئت نفسى وطاب منامى
وأنى فى أيدى الخطوب زمسامى
كما لاح صبحٌ من وراء ظلام^(١)
ولا نالك الدهرُ الخئون بدام^(٢)
فأى مرامٍ يا حبيب مرامى
وأعظمُ سكر العاشقين هيامى
إذا كانت الأخلاقُ غيرَ لئام
فتروى لحاظ من جفاك ظوامى؟^(٣)
وأقضى وهل حبُّ يرده حمامى؟^(٤)
تصرمُ عامٍ فى هواك وعام^(٥)
فلولا الردى بشـرته بدوام

(١) يأسو : يصلح ويطب (٢) الزام : العيب الذى يذم المرء من أجله (٣) حلم الأحلام : أى خلاصة ما تحلم به النفس وأجل أحلامها (٤) قضى يقضى : مات (٥) تصرم : مضى وذهب .

الجمال المنشود

رأيتُ في الحلم وجهاً منك أعبدُهُ
توجت نفسك بالأفلاك مكرمةً
فإن وجهك بدرٌ يستضاء به
فقلت أملأ عيني من محاسنكم
إن راقب الناس في الأفلاك طالعهم
وإن طرفك نجم الحظ أرقبـه
وقمتُ في الحلم أسعى نحو حالة
لنور وجهك فيها بهجة أبداً
يا جنة الحلم كم لي فيك من أربٍ
أصفيت قلبي فلا والله ما سكنت
ويا هلالاً أرى في النفس طلعتـه
وكيف يقبح عيشٌ أنت بهجته
يا بدر إن أخاك البدر يؤنسني
البدرُ في أفقه أدنى لناظره
يلقي إليّ بنور من أشعته
وأنت في العيش حلمٌ لست أدركه

وفوقه من نجوم الليل تيجانُ
كما يتوج بالأزهار جذلانُ
إذا بدوت ووجه الأفق غيمان
وأنهل القلب منكم وهو صديان
فإن عينيك لي سحرٌ وتبيان
سعدٌ ونحس وإحسانٌ وحرمان
من الخمائل فيها الغصنُ فينان^(١)
فالنجمُ من حسنكم والزهرُ يزدان
يا طيبه لو دنا والدهرُ نيسان
بين الأضالع أحقادٌ وأضغان
أضيءُ حياتي فوجه العيش طخيان^(٢)
وكيف يدجو ولم يدركك نقصان
فالصبُّ والبدر والظلماء خلان
منكم فما لكم عطفٌ ولُقيان^(٣)
حتى أبيت وضوء البدر ندمان
لم يدنني منه تطلاب ونشدان

(١) الخمائل : الحقائق . والحالية : لابسـة الطي . والقصد هنا حلى الأزهار . والفينان : المورق .

(٢) طخيان : مظلم (٣) الندمان : التنديم .

وَأَنْتَ لِلْحَسَنِ جَنِّيُ قَتِيهِ مَرْحَاً
يَا غَايَةَ الْعَيْشِ وَالْأَمَالِ قَاطِبَةً
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ حَسَنًا أَنْتَ لَا بَسَهُ
فَذَاكَ حَسَنٌ عَزِيزٌ مُعْجِزٌ أَبَدًا
هَلْ أَنْتَ طَيْفٌ خِيَالٍ زَارٌ فِي سِنَةِ
أَمْ كُنْتَ مِنْ جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ فِي وَطَنِ
أَيُّ الْكَوَاكِبِ قَدَمًا كُنْتَ سَاكِنَهُ
أَمْ كُنْتَ فِي الْأَفْقِ نَجْمًا لَا أَفُولُ لَهُ
وَكَيْفَ أَجْحَدُ هَذَا الْكَوْنَ خَالِقَهُ
أَذْكَرُ حَبِيبِي أَنْ الْمَوْتَ غَايَتُنَا
لَا لَقِيَةَ بَعْدَهُ تُرْجَى وَلَا صِلَةً
أَلَمْ يَعْلَمْكَ وَقَعُ الْخُطْبِ مَرْحَمَةً
هَيْهَاتَ لَا يَرْحَمُ الْمُسْكِينَ ذُو تَرْفٍ
يَا نَاعِمَ الْبَالِ مَالِي رَاحَةً أَبَدًا
وَرَاقِدَ اللَّيْلِ لَيْلِي لَسْتُ أَرْقُدُهُ
اسْتَجِدْ لِي رَحْمَةً وَانْظُرْ إِلَيَّ بِهَا
لَا تَحْسِبَنَّ قُلُوبَ النَّاسِ قَاطِبَةً
لَا عَيْبَ فِي الطَّيْرِ لَمْ يَأْنَسْ بِعَاشِقِهِ

مَا نَالَ شَأُوكَ لَا إِنْسَ وَلَا جَانُ
وَمُطْلِبًا لَيْسَ لِي مِنْ بَعْدِهِ شَأْنُ
يُنَالُهُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ إِنْسَانُ
صَنَعَ الْمُخِيلَةَ لَا يَحْوِيهِ جِثْمَانُ^(١)
فَإِنَّمَا الْمَرْءُ فِي دُنْيَاهُ وَسَنَانُ^(٢) ؟
لَكَ الْمَلَائِكُ إِخْوَانُ وَخُلَصَانُ ؟
قَدْ نَابَهُ مِنْكَ هَجْرَانُ وَفَقْدَانُ ؟
إِنْ السَّمَاءُ لَزَهْرِ النَّجْمِ بَسْتَانُ ؟
وَفَسْسِيكَ لِلَّهِ آيَاتُ وَبِرْهَانُ ؟
وَأَفَةُ الْحَسَنِ أَكْفَانُ وَدِيدَانُ
وَلَا دَلَالُ وَلَا لَطْفُ وَتَحْنَانُ
أَمْ كُلُّ عَيْشِيكَ أَزْهَارُ وَأَغْصَانُ ؟
مَنْعَمَ الْبَالِ لَا يُؤْذِيهِ حِدْثَانُ
وَفَارِغَ الْقَلْبِ قَلْبِي مِنْكَ مِلَّانُ
فَالْقَلْبُ مِنْ حَبِكُمْ وَالْطَّرْفُ سَهْرَانُ
أَلَيْسَ فِي النَّاسِ حَسَّانُ وَحَنَانُ ؟
أَشْبَاهَ قَلْبِكَ أَحْجَارُ وَصَوَانُ !
وَأَنْتَ كَالطَّيْرِ جَذْلَانُ وَغَفْلَانُ

(١) المخيلة بفتح الميم وكسر الخاء : الخيال والوهم ، من خال أي توهم ، وتأتى أيضاً بمعنى الكبير من

الاختيال والتكبر (٢) سنة بكسر السين : النوم .

لا عيبَ في الزهرِ إن أردى بنكهته
لا عيبَ في الماءِ لم يبلغه طالبه
لا عيبَ في الضوءِ أعمى مقلة نظرت
لا عيبَ في النارِ أن النارَ محرقةٌ
إني أعلمك الأعذار من سفيه
بالله لا تتخذ حُبَّيك معذرةً
النار ليس لها قلبٌ فنعذلها
لو تشعر النارُ لم تعنف بلامسها
لولا المصائب والآلام قاطبة
وليس نظمي للأشعار من عبثٍ
وإن شعري نفسُ فيك هالكة
فأرحم شجونَ فؤادٍ طالما صدحت
يا نائي الروحِ روحى منك دانيةٌ

وأنت زهرٌ وبعضُ الحبِّ ذيفانُ
فأنت رىٌ وقد أخطاك ظمآنُ
فأنت نورٌ وطرفى منك عشوان
الحسن نارٌ وقلبي منه حرّان
يا يؤس نفسي إن أقصاك هجران
في الهجر مالى على الهجران أعوان
لكن نصيبك وجدان وأشجان
أو تألم النارُ لم تحرقك نيران
ما كان في الناس إشفاق وإحسان
فإن شعري قلبٌ منك ولهان
وإن شعري أشواقٌ وتحنان
فالقلب طيرٌ له في الحسن أو كان^(١)
وصاحي القلب قلبي منك نشوان

أرسل حضرة الاستاذ الجليل حسن أفندي فهمي المحامي^(٢)

هذه الايات الرائقة إلى صاحب الديوان :

أتظلم أيامي ووجهك شمسها
هجرت فقلبي قلب ثكلى حزينة
وأظلمات زهراً للمودة ناضراً

وتجذب آمالي وأنت تليها ؟
أصاب الردى يوماً جميع بنيها
ساروى بدمعى زهرها وأقيها

(١) الأوكان : الأوكار والعشاش .

(٢) « كان من أصدقاء الشاعر ، وكان أنيباً شاعراً » .

وحسبثنى عنك الفؤاد بسلو
فما سمعت أذننى لشكرى بسابق
إذا قال شعراً خلته قال آية
إذا أنزل الأشعار فالدهر ساجد
لياليك أشهى للنفوس من المنى
فأضحى فؤادى للفؤاد كريها (١)
ولا أبصرت عينى قط شبيها
هى السحر فى الباب مستمعها
لمنزلها جاث لتبعيها
أذ الليالى ما رأيتك فيها

فبعتت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة

منى النفس

منى النفس أن تحيا وأنت هواها
وإن مماتى فى هواك حياتها
فيا مطمح القلب الطلوب مودة
كأننى إذا ما غبت أضللت هاديا
فأطلب نهج الرشيد فى كل وجهة
وإن لحت لاح الرشيد حتى كأننى
لقد علقت نفسى بكم قبل قربكم
فكنت كراء فى الكرى زهرجنة
فكان على وعد من الحلم ما أتى
ويا جنة الأحلام طالت فروعها
فأنت حبيبى ما حييت وإنما
فسان جنونى فى هواك هداها
وإن سلوى عن هواك رداها
سلاها فلما أن رآك بغساها
رشيداً وعينى ما يزول عماها
وأنكت فى أرض العراء ثراها (٢)
بصير درى الأشياء حين رآها
فإنك من قبل اللقاء مناها
فلما تمشى فى الصبح أتاها
فيا حلم نفسى هل تزيل صداها ؟
حبيب لقلبى ماؤها وشذاها
منى كل نفس حيث كان هواها

(١) كريها : أى مكروها عند نفسه

(٢) أى أضرب فى التراب بعصا متهديا .

فرواها على العهد القديم الذى مضى
وخير ليالى التى أنت حلمها
وخير ليالى التى أنا ذاكر
وخير ليالى التى أنت بدرها
وخير ليالى القصار بقربكم
فيا بدر ان الليل بعدك مظلم
فرب ليال هن ذات قرابة
بكاهها فلما لم ير الدمع نافعاً
أريد من الأيام ما لست مدركاً
فقل لطموح النفس حتم نحسها
أحبك يا دنيا على البعد مثلما
ألا فاسقنى الأيام إن كؤوسها
لعمرك ان العقل يُفضى إلى الأسى
وكيف ترجى العدل فى قول حالم
عسى أن يصيب النفس صبر يحوطها
أأخشى طروق الحادثات ولبثها
شقيتُ بنفسى شقوة لا أطيعها
سلاها علام الخوف من كل حادث

* * *

ورواها على عهد الأحبة وراها
وما زان طيف من لدنك كراها
وشر الليالى ما أبیت أراها
وقد شق عن وجه السماء دجاها
أرى بدأها يهدى إلى ضحائها
فهل ليلة لى من سناك حلاها
لقلب شجى إن عدته بكاهها
تأسى وفى النفس اللجوج شجاها^(١)
هوى كل نفس أن تنال مسداها
كفاها من العيش القليل كفاها
أحب هلو كاً قاربت فقلاها^(٢)
تقرب من نفس التبعيس رداها
فمن لى بنفس ما يبين حجاها ؟
تطلب دنيا حلمه فشكاها ؟
وتهدأ من نحس الحياة عساها
كأن الليالى لا تدور رحاها ؟
فمن لى بنفس فى الحياة سواها ؟
وحتم يضنيها الرجاء سلاها

(٢) الهلوك : البغى .

(١) تأسى : تعزى

ولولا غيـسرٌ من ودادك طاهرٌ
لمتٌ ولم أظفر بخلٌ مصـادقٌ
أبا الفهم ان السحر ما أنت قائلٌ
إذا قيلت النكباءُ كنتَ جلاءها
فيا مدرها لا مدره اليوم مثله
خصيمي دهر ليس يرضى خصيمه
ولى عند هذا الدهر حق أضاعه
وكم موقفٍ تفرى به كل بطله
فقم هاتِ لى حقى من الدهر انما
فإنك يوم الحشر لو قمت دافعاً
فإن بياناً منك يقصى جهنما
تقارضنا الدنيا حياة بشقوةٍ
أدن هذه الدنيا بما أنت ربه
أما انها لو ألحقت بمسامع

مزجت بنفسى ماءه فشفاها
يعلل نفساً قد أطيل صداها
فهتئى لنفسى من لدنك رقاها
وان قيلت الجلى فانت فتاها^(١)
أتحت لقلبي نهلة فحساها^(٢)
وكم حادثات لا تسوغ قضاها
وكم من ديونٍ لى عليه لواها
كان خميساً من لدنك غزاها^(٣)
حقوقى أمانى لديه حماها
جناية جانٍ ما يخال جناها
عن المرء حتى ما يخاف لظاها
وأفحش ما تقلى النفوس رباها
فأنت خليق أن تزبح خناها
لأدركها مما تقول هداها !

قريب بعيد

لقد عاود الطيرُ المغردُ روضه
وهل عادته زهو الحياة وطيبها
إذا الطير لم يأنس ولم يبدِ عطفه

فهل هو مخضرّ النباتِ قشيبٌ؟
وكلُّ حياةٍ بالحبيبِ تطيب ؟
فما بين أغصان الرياضِ رطيب

(١) الجلى : الأمر العظيم (٢) المدره : الخطيب (٣) الخميس : الجيش .

ولا خيرَ في نيل الودادِ بشافِعٍ
لقد كنتُ أبغى منك أنساً وألفَةً
وجئتَ فلم تظهر إخاءً وعطفَةً
ولحظُ العيونِ الفاتناتِ بشاشةً
وزرتَ فلم تانس كئانك لم تزر
ولم أرَ في عينيكِ إغراءً عاطفٍ
لقد كان في عينيكِ شكٌّ ووحشة
ولم تتسبب بسط المزاح تودداً
فكلُّ مزاحٍ منك أنس أحبَّه
فلا أنت مشتاقٌ ولا أنا شائق
فأين ابتسام كنت أهوى وميضه
تحدثني عيناك أنك مبالغضي
أحبَّك حباً لست أهلاً لمثله
فإِنَّكَ لا برُّ لديك لآمل
فنفسك مثلُ القبرِ قبعٌ وظلمة
فلا تتركني بين يأسٍ ومطمعٍ
ودعني أمت أو أحي دهرًا كميتٍ
وانى خليق أن أبوءَ بسلوَةٍ

إذا أنت لم يطرب إليك حبيبٌ
وكل أديبٍ للأديب طروب
فإن بشاشات الوجوه تصوب
ولحظ العيونِ العاشقاتِ نسيب
وربُّ بعيدٍ وهو منك قريب
ويا ربَّ لحظٍ للمحبِّ طبيب
ألا إنَّ الحاظِ العيونِ خطيب
وما كل مزحٍ في الودادِ يريب
وماءٌ طهور لا يعاف شروب^(١)
وكيف يشوق القلب وهو كئيب
وأين ضياء في اللحاظِ خلوب^(٢)
فكلُّ ودادٍ بعد ذاك كذوب
وما كل حبٍّ للجسمالِ يطيب
رضاك ولا ودًا لديك أصيب
وحسنك غصنٌ في القبورِ جديب
إذا لم يكن لى من هواك نصيب
تعدته عوادٍ وملَّ طبيب
إذا أنا لم يعطف علىَّ ضريب^(٣)

* * *

(١) شرّوب : صالح للشرب (٢) خلوب : أى خالس للقلب والبصر (٣) أبوء : أرجع .
والضريب : الند والمقصود الصاحب .

وأهوى رفيقاً ذاكى الروح والنهى
فيا خالقَ الألفانِ جدُّ لى بمنطقٍ
لأطرب قلباً لا يلين لمطربٍ
أظلل إذا ما غبت عني كأننى
شفيعى إليكم فى المحبة أننا
ولو كنت تدرى كنهَ حسنك كله ،
وعربدت من سكر الجمال وإنه
ولو جُنَّ إنسانٌ من الحسن كنته
ولو كنت تدرى سرَّ حبنى كلّه
وما فى الورى مثلى عليهم بحسنكم
أبيتُ أناجيكم على بعد داركم
وأطعمه زادى وأسقيه خمرتى
وأجلسه جنباً لجنبى وإننى
وأسأله عن حاله كيف حاله
نظمتُ معانى الحبِّ فيكم جميعها
ولم يبق إلا أن أجنُّ بحسبكم
كأنكم طيفٌ لطيفٍ يزورنى

وما لى سواكم فى الحياة طليب
وجدُّ لى بلحنٍ من لدنك يذيبُ
ألا كل شادٍ للجماد يخبىب
يتيمٌ غريب فى الحياة سليب
كلانا يتسيمٌ فى الحياة غريب
عذرت ولم يعنف عليك رقيب
لسكر إذا فكرت فيه يطيب
فأنت فريدٌ فى الجمال عجيب
لما خلت أنى فى هواك مريب
فإنى بأسرار الجمال لبيب
وأدعو خيلاً منكم فيجيب
وأبغيه فى الظلماء وهو قريب
إليه وإن طال البعادُ أؤوب
ولى منه إلفٌ شائقٌ وجنيب
فلم يبقَ منها شاردٌ وغريب
وتُهلك قلبى زفرةٌ ونحيب
فيا طيفَ طيفٍ هل أراك تؤوب ؟!

عشيق القمر

وهي أنشودة من أناشيد الصيف والليل والقمر

نشر البدرُ على داركمو	خلعاً والدارُ تزهر بالضياء
في ليالى الصيفِ حيث القلب من	شجوه بين التمنى والرجاء
ان بيـتُنا أنتمُ مكانه	لخليق ببسـهـاءٍ وسناء
لخليق أن يبيت البدر فيه	ساطعاً بين عراض وفناء
أحسن الضوء على داركمُ	ما ديار الحى عندى بسواء
يخشع الطاووس من حسنكمُ	ويبيت البدر مسلوب العزاء
فكأنَّ البدرَ من حسبكم	حائرٌ يقطع أرجاء السماء
فهو مثلى هالكٌ من حبكم	وهو مثلى بين يأسٍ ورجاء
ويطلُّ البدرُ من طافاتكم	ويحسيكم بالحساظ بطاء
بسط البدرُ على فرشكم	حُلَّةً فضيئةً شتى الرواء
وعلا وجهكم منه ضياءٌ	كضياءِ الطهر محمود الرضاء
وهو فى أحلامكم آفاقه	وجهه فى حلمكم جمّ السناء ^(١)
وهو فى أحضانكم ذو سِنَّةٍ	ليس يشقى فيكم بالرقبـاء ^(٢)

(١) يتخيل الشاعر غرفة بها سرير قرب نافذتها يسطع عليه ضوء القمر ، وكأنه يرى شخصاً جميلاً نائماً ، وعلى وجهه ضياء القمر. ويتخيل كأن ذلك النائم يحلم بليلة قمرء.

(٢) السنة : النوم .

منك في دارِ ضنين باللقاء
ليس يلقاني بعدلٍ أو عدا
خائباً بين صباحٍ ومساء ؟
كيف ترمي القلبَ بالداءِ العياء !
كم عدتُنا عنك أيام الشتاء
قد تمادى حكم أيام الشقاء !

ليتنى يا بدر ضوء ساطع
فأراه وهو عني غافل
أقضى العمرَ في هجركم
يا دواء القلب من أسقامه
يا ليالي الصيفِ عودي بالهوى
يا ليالي السعدِ عودي بالمنى

الحب والرحمة

وأن بعدكمو والموت سيان :
ولا تحسّون ما بشى وتحنانى
وأن أبيت على صبرٍ وسلوان !
وقسوة كُمنتُ في صخر صوان
لما بللتكم بماءِ الدمع أكفانى
بل كان حظى من سخرٍ ونسيان
ورُحمتُ بين مزهو وجذلان
تبدون للناس من صحبى وإخوانى ؟
فأنت أرحم من صحبى وخلانى !

لما رأيتم حياتى في اقترابكم
بنتم فلا رحمة فيكم أو ملها
فادعوا لى الله أن أنساكم أبداً
حسبى الذى قد عنانى من جفائكُم
والله لو متُّ من شوقٍ ومن كمدٍ
ولا عناكم مماتى في محبتكم
ولو جننتُ لما احتاجت لواعجكم
أبعد ما قد بدا لى من عداوتكم
يا طارق الموت فيك الأمن أنشدّه

أملح الناس

وطباق السورد والآس
وقد حرمت إيناسي
أمالى فيك من آسى ؟
ومما بالحب من باس !
مَ قلبى قلبك القناسي
على هم ووسواس
أريق الهم فى الكاس
فهل يهنيكم ياسي
وأحسوه مع الحناسي
وأن تركد أنفاسي ؟
فتسيل الحب والياس ؟
ومن يسخر بالناس ؟
رَجِهْراً غيير إيلاس
على العيينين والراس !
وأنت الغافل الناسي
وطباق السورد والآس
صموتاً بين جلاسي
بأنساب وأضراس !

ألا يا أملح الناس
لقد حللت إبحاشي
ألا يا أملح الناس
وهل تزهد فى حسبي
أما يقدر أن يرح
أبيت الليل سهـراناً
وأقضى اليوم فى هم
وقد حُبَّتْ لى الموت
سـينعمـسانى لك الموت
فهل يهنيكم موتى
وأن أدرج فى قـبـرى
فمن يصدح بالشعر
ولو أنى دعوت البـد
لحيـانـى ولـبـانـى
وأدعوك فلا تدنو
ألا يا أملح الناس
لقد خلفنى الحب
وقد مزقنى الحب

ذكرى الحبيب الأول

ذكرى الحبيب الأول
أورى هيامك يافسوا
فدع الشجون لأهلها
أصبحت ربعا دارسا
ولقد عهدتكَ أهلاً
وعهدتُ فيك الحب بي
يا قلبُ هل من مرجع
هيهات ليس بعائدٍ
أصبحت كالقبر الذلي
من بعد ما قد كان ح
فثملت من شجور ومن
وتقنول إن أمل بدا
قد كان يعجبك الدلا
أصبحت لا أملاً ترا
كأس الحياة تمجّها
فى كل يومٍ لوعنة

أم لحن شدو البلبلي ؟
دُ وكننت عنه بمعزل^(١)
ليس الزمانُ بمقيل
بين الصببا والشمائل
بالحب غمير مُعدّل
من مُنور ومكلل^(٢)
ذاك الزمان المنجلي
عهد الهوى المتحمل^(٣)
لـ وكل الظلام الأليل
بك كالرحيق السلسل
يعشق كعشقك يشمل
يا ليت ذلك كان لى
ل وعزة المتدلل
هـ ولا رضا المتجمل^(٤)
كالشهد شيب بحنظل
بين الضلوع كسمرجل^(٥)

(١) أورى : أشعل . (٢) الشجر المنور : نو النور وهو زهر أبيض . (٣) المتحمل : الذاهب .

(٤) أى ليست عندك نشوة الأمل وفرحه ، ولا قناعة المتجمل بالرضا والقناعة .

(٥) الرجل بكسر الميم : القنر .

حَسْبُكَ أَنْتَ مَعْدَبٌ
ولقد ظمئت إلى السرا
هذا جزاءُ معاندٍ
ويذوب إثر الغـادريـ
ويحبُّ سحر اللوا
فاكتم حنينك يافؤا
ودع النسب فسحره
إن الذي أحسببتَه
يا قلبُ مالك خافقاً

ترضى بعيش مذل
بِ فِعْش كَقَفْرِ مَحَلٍ (١)
يرضى بحبِّ مـضلل
ن يلهفة المتعجل
حظ قلبه كالجنـدل (٢)
د فمما السراب بمنهل
أعياك من متفـزل
ينأى بقلب معـضل
أشجأك شدو البـليل ؟

د ارسل الأستاذ الجليل عبد الحميد العبادي هذه الأبيات البديعة

إلى صاحب الديوان، (٣)

يا شاعر القلب رفقا إننى وصب
رفقا فلى مهجة إن لم تكن فنيت
قرأتُ شعرك كى أسو به حزنى
فهاج شعرك ما بى اليوم من كبد
لله أنت أقـسـوال بالسـنـنا
إلا تكن عارفاً نجوى ضمائرنا

دامى الفؤاد أحن أنت أم جان (٤) ؟
فقد غدت أشبه الأشياء بالفانى
والشعر خير دواء المدنف العانى (٥)
مصدوعة وفؤاد جـد حـران
تبدى خفى مشوق القلب ولهان
فما لنا قد حننا كل تحنان ! (٦)

(١) محل : مجذب . (٢) الجنـدل : الصخر . (٣) هو الأستاذ المؤرخ عبد الحميد العبادي ،

عميد كلية الآداب بجامعة الاسكندرية منذ عام ١٩٤٢ وتوفى سنة ١٩٥٥ (٤) أى إثارتك النفس بالشعر
حنو عليها أم جناية لما يؤلمها من احتياج عواطفها عند قراءته (٥) أسو: أى أداوى .

(٦) أى قدرة الشاعر على إثارة عواطف القراء ، دليل على عرفانه نجوى الضمائر وأسرارها .

هوى دخيل وقلب غير معوان
وإن أثار على الشعر أشجاني
كأنما موتها محيا لها ثان !

كم ذا أريد لأنساه فيخذلني
سأقرأ الشعر يا « شكري » تبعثه
قد يعشق المرء ما يبلى حشاشته

فبعثت صاحب الديوان إلى عمل هذه القصيدة :

الشعر

فالخمير في أبياتها !
كالكأس في لمعاتها
الشعر من آياتها
والسحر في نغماتها
ربيع من نبراتهن^(١)
في الشعر من عقداها
يقتص من فلتساتها
س ومعلل لحياتها
س حذار من نشواتها
غرسنه في جناتها
بالشعر من نفحاتها

طرب الفؤاد فبهاتها
« عبد الحميد » جلوتها
إن النفوس صحنائف ،
والنفس طير صراح
لوراع كسر الدهر شيء
فترى الحياة قنينة
والعيش نهضة شعاع
والشعر تاريخ النفوس
والشعر كأس للنفوس
والشعر ورد يانع
والنفس ريح قد هفت

(١) ذلك لأن الشعر يذهب عن كر الدهر ، ويعيد الحياة الماضية وحوادث النفس التي نقضت ، وهو للنفس بمنزلة الربيع للسنة ، والشباب للعمر .

والنفسُ طوراً كالسُمور
والنفس بحسب زَاخِرٍ
والنفس طيِّبٌ في الحيا
في أرضها وسمائها
إن القلوبَ خـَـوَافِقُ
فترى الحياةَ جميعَها
والشعرُ مرآة الحسا
تجلو أساليب الحسا
فتراه في آلامها
والشعرُ في عبراتها
وهو المعينُ على الحسا
والشعرُ نورٌ ساطعٌ
ويصـيغُ من ألم النفس
ويضيء كلَّ جريمةٍ
فهو الخبيرُ بما يحـ
للنفسِ نشوة راقصٍ
للنفسِ همّةٌ ساحرٍ

مِ تروع في لفحاتها
والشعرُ من موجاتها
ةٍ بطيِّبٌ في روضاتها
غَرْدٌ وفي جنباتها
والشعرُ من نبضاتها
منشورةٌ بصفاتها
ةٍ تطل في مسراتها
ةٍ تلوح في صفحاتها
وتراه في لذاتها
والشعرُ في ضحكاتها
ةٍ يغضُّ من نكباتها
عادٍ على ظلماتها
سِ اللحن في أناتها
فيبين عن غاياتها^(١)
ثُ النفس في فعلاتها
والشعرُ من رقصاتها
والشعرُ من نفساتها

(١) ذلك لأنه يشرح الانفعالات النفسية التي دعت إلى إتيان تلك الجرائم ، ويفيض عليها نور الصياغة الفنية .

للشعر من حركاتها^(١)
 ريجول في حالاتها
 وتراه في فتسياتها
 وطموحها وشكاتها
 والنفس من آلاتها
 والشعر من رناتها
 للنفس من رقدياتها
 تى النفس فى يقظاتها
 يأتى بمبـتكراتها !

فى كُل نفسٍ منزلٌ
 فى الطفل والرجل الكبير
 وتراه فى فتسياتها
 فى حزنها وسرورها
 والشعر نغمةٌ صادح
 أشجانها أوتارها
 ولكل شىءٍ مسببٌ
 والشعر كالإلهام يأ
 والكون آيةٌ شاعِر

بين العذر واللوم

ولا تتركوا قلبى لنهب النواهب
 أرى الموت فى هجر الحبيب المجانب
 وكان جواداً بى على كل عاتب
 كأنى خليقٌ باقتراب الحبائب^(٢)
 وأنى مشنوءٌ كثير المعاييب^(٣)
 إليكم فقلبى عندكم غير آيب^(٤)
 فإن عزاء النفس شرُّ العجائب

ألا عللوني بالظنون الكواذب
 ولا تسألوني كيف أنت فإننى
 بخلتُ به بخل الشحيح بماله
 فلا تحسبوا حبي غروراً وزهوةً
 وإننى لأدرى أننى لست للهوى
 لذاك أذود القلب عنكم فينثنى
 فلا تعجبوا أنى لججت بحبكم

(١) إن كل إنسان موضوع من مواضيع الشعر وكل إنسان شاعر صغير .

(٢) أى لا تحسبوا أن سبب حبي اغترارى بنفسى ، وزعمى أنى أهل للحب .

(٣) مشنوء : مكروه (٤) أنود : أبعد وأطرد . والآيب : الراجع .

وكننتُ أظنُّ الحبَّ أمنًا ولذةً
 وكننتُ أظنُّ الحبَّ في العيشِ بلسماً^(١)
 ومن لي بنزع السهم والسهم قاتلٌ
 أحبابنا رفقاً بقلبٍ موله
 جعلتُ لكم عذراً على الصددِ واسعاً
 وما كان لي في حبِّكم وجهُ حيلةٍ
 وخلفتُموني أحسدُ الناسَ حبَّهم
 وخلفتُموني إن مررتُ برفقةٍ
 وما لي حقٌ عندكم فألومكم
 قبلتم غرامي رحمةً وتطولاً
 وحسبى في حُبِّكمو أن علمتمُ
 فيما نشوة الحبِّ الذي أنا شاربٌ
 ومن لو رآني هالكا من صيبابةٍ
 أضىء لي وجوهَ العيش منكِ بعطفةٍ
 وأنت جميلٌ كالحياةِ محبوبٌ
 أبيت وطرقي بالنجوم مقيدٌ
 فيما نجمي النحس الذي أنا ناشد

فجار على الحبِّ بين النوائبِ
 فكان كريشٍ في سهام المصائبِ^(٢)
 إذا ولغت أطرافه كالمخالبِ^(٣)
 كثير الجوى عفُّ الهوى والרגائبِ
 فإن فؤادي عاذرٌ غيرُ عائبِ
 وكيف وقد سُدتَّ وجوهُ المذاهبِ
 وأوحشتموني من حبيبٍ وصاحبِ
 بكيتُ على فقد اللدات الأصاحبِ^(٤)
 على الهجر إن أدلى محبٍ بواجبِ^(٥)
 فإن ارتضاء الحبِّ جهدُ المناقبِ
 بأنكم في النفس خير الحبايبِ
 هو الحبُّ مثلُ الخمر مرُّ العواقبِ
 لخال فؤادي نهزةً للواعبِ
 فقد ضلَّ قلبي في سواد الغياهبِ
 وإن كنت مثلَ العيش مرُّ التجاربِ
 أردد لحظي في عيون الكواكبِ
 أراك ضئيلاً آفلاً غيرَ ثاقبِ

(١) البلسم : الدواء يستطب به . (٢) ولغ الكلب في الإناء إذا أدخل فيه لسانه . وهنا تشبيهه
 لسهم وتلوته بالدماء بلسان الوحش أو مخالفه . (٣) اللدات : القرناء . (٤) أدلى به : متَّ وشفع .

فليت حياتي غالتها الموتُ غولةً
أدلىَّ بمهواةٍ سحيقٍ قرارها
فإن متُّ لا تبكوا علىَّ بلهفةٍ
فإن نفاقاً ما يكون بكاؤكم
ويا قلبُ كم تبغى مصادقاً
فتغفى قليلاً بين وافيٍّ وصادقٍ
وإن غروراً بغيةً قد بغيتها
أما أنت مثل الناس خباً وكاذباً
وكلُّ امرئٍ في العيش للعيش خادمٌ

وأصبحت في قبرٍ ذليل الترائبِ
ويُحشى على التراب من كل جانبٍ^(١)
ولا تُسمعوا روعي نواح النوادب
وخشيةً لومٍ ما نواح الأقارب
وتبصر في الأحلام صفو المشارب
وتصحو طويلاً بين خبٍّ وكاذب
فلا تأس إن أمسيت في عيش خائبٍ^(٢)
صميم الخنى جم الأذى والمثالب^(٣)
يقاد الفتى في العيش قود الجنائب

نـجـوى

أسارقه الأحاظ والناسُ بيننا
وينفسر من قلبي وقلبي روضه
وهل أنت إلا كعبه أنا عابد
وإن كنت في الصحراء فهي خميلةٌ
وكيف يكون الروضُ بعدك ناضراً
ألا إن روضي صوحت شجراته

فترجعني عنه العيونُ النواظر
ويزهد في حبي وحسبي طاهرٌ
وهل أنت إلا منسك ومشاعر !
وإن كنت بين الزهر فالروض باكر
إذا لم يكن في أيكه منك طائر !
فلا النبتُ مخضرٌ ولا الزهرُ زاهر

(١) بمهواة : أى حفرة عميقة . ويحشى : أى يهال . (٢) لاتأس : أى لا تحزن .

(٣) المثالب : المعاييب التى يذم لها المرء .

وغاضت عيونُ الماء فيه وأدرجت
وأصبحَ مهجوراً خراباً تروده
وقد كان كالفر دوسٍ حسناً وبهجةً
وأهلكه أن لا حبيبَ يزوره
وكيف يعيشُ النباتُ والغيثُ باخلٌ
وما الحسنُ إلا روضة النفس ، والهوى
وما الحسنُ إلا حاجة النفس إن أُصيب
وحببى فضلٌ للذى أنا عاشق
وأحببتُ من قد كان مثلك بهجة
يذكرنيهِ كلُّ قولٍ تقوله
وكنتُ وإياه كعينٍ وأختيهما
وكنا نجوب الليلَ ، والليلُ فاتنٌ
وكان على رغم الحسودِ ودادنا
سلامٌ على البدر الذى غيب الردى
فيا بدر إن العيشَ بعدك مظلمٌ
ويا بدر طهرِ بؤسَ عيشى ونحسه
ففيك معانى الحسنِ والشعرِ والهوى
فيا بؤسَ للمحى الذى ليس فاتناً

عليه أكاثيبُ الترابِ الأعاصِرُ^(١)
وحوشُ الفيافي والطيورُ الكواسِرُ
فأهلكه صرفٌ من الدهر غادرُ
فلا الطير تهواه ولا الغيث ماطر
وكيف يسرّ القلبَ والحسنُ هاجر ؟
علالة نحس الجَدَّ ، والجَدُّ عاثر
فلست أبالى الدهرَ ، والدهرُ غادرُ
وما كلُّ حبٍّ فخر من هو فاجر
فشطّطت به عنى المنايا البواكر
وهيهات لا تجدى الحزينَ الخواطرُ
وكنا كسرٌ غيبته الضمائرُ
وكنا نؤم الفجرَ ، والفجرُ حاسرُ^(٢)
هياماً وتحناً تجن السرائر
وليس على البدر الذى هو هاجر
ويا بدر إن الطرفَ بعدك ماهر
بضوئك إن الضوءَ كالماءِ مائرُ^(٣)
وأنت كما تهوى النهى والبصائرُ
ينوح على من غيبته المقابرُ !^(٤)

(١) أكاثيب : أكوام . والأعاصِر : العواصف .

(٢) مائر : نافذ وشفاف وجار .

(٤) فاتىء : باق ودائم .

عقوق الغدر

محضتُك النصيحَ في سرِّي وإعلاني
قد كان لي حلمٌ في الناس أنشده
حلم من الصدق والإخلاص تنسجه
وشمتُ فيك خصال النفس زاهيةً
حسبت نفسك نوراً ما به ظلم
قوارص عنك تأتيني وأكتمها
تذيع أن ودادي في منقصة
حسيبك الله ليس السوء من شيمي
في أي شرع يجوز الغدرُ عندكم
تقول بالظن قولاً لست صادق
أحسنْتُ ظني وحسنُ الظن تجهله
أستودع الله ما قد خلته زمناً
ما أنت أول من خانت أواصره
أعيا على الناس أمرُ الناس كلهم
ليت الزمان عداني عن لقاءكم
لولا خيانتكم ما خلت من شجنٍ
تغتابني ، ثم تلقاني وتضحك لي ؛
كم ضاحكٍ هو مثلُ الزهرِ مبسمه

كأنما النصيحُ من ديني وإيماني !
يجلو همومي ويأسو كُلمَ أحزاني
أواصرُ الشعرِ من سحرٍ وتبيانٍ
والنفس تُجلى بأوصافٍ وعنوان
فما اعتذاري إذا ما طاش حسباني ؟
بأي وجهيك بين الناسِ تلقاني ؟
حسيبك الله من عادٍ ومن جاني
ولا الخيانة والإسفاف من شاني
حتى تقابل تحناناً بعدوان ؟
يا بعد ما بين ذى صدقٍ وظنان
فسوءُ ظنِّك فيه شك حيران
فسيكم وأبرأ من ودٍ وتحنان
وراح ينقض بين الناس بنياني
فالخلقُ للخلق شيطانٌ لشيطان
كي لا ألام على سخرٍ وأحزان
إن الفضائل من أحلام غفلان
والقلب ملآن من سوءٍ وأضغان
وفيه حتفك من سمٍّ وذيفان

يا رَبُّ شاكٍ شكاها الناسُ قاطبةً
بيننا أُنوّهُ في أَمْنٍ بذكركم
هذا جزاءُ امرئٍ بالناسِ منخدعٍ
أقولُ علّٰى الذى بُلغته كذبٌ
فقد أتى بدليلٍ لست تدفعه
يا ربّ لا يُرتجى فى الأرض ذو ثقةٍ
لأى أمرٍ يعيش الغادرون بها
من صبح نفساً فلا يزرى به صغر
بعضُ القلوب قلوبٌ قال بارئها
بعضُ النفوس نفوسٌ كلها جيفٌ
وكن كما خلت فيك الفضل أجمعه
اعتدت من أهل دهرى كلَّ منقصةٍ
وما عتابيك فى طبع بليت به

فراحَ يقدح فى صحبٍ وخلانٍ
إذ أنت تنقص من قدرى ومن شأنى
فالغافل الغرُّ فينا فرصةُ الجانى
هيهات ما هو من إفكٍ وبهتانٍ
وهل يكذب من يسعى ببرهانٍ؟
عفّ اللسان على صحبٍ وخلصانٍ
أما تضيق على خبٍّ وخوانٍ
إن الكبيرَ كبيرُ النفسِ والشانِ
كونى عن الصدقِ والإخلاص فى شانٍ
فاربأ بنفسك عن نتنٍ وديدانٍ
وحسب نفسك من لبٍّ وأذهانٍ
فلا ألومك فى مكرٍ وعدوانٍ
الطبع أغلبُ من نصحٍ وعرفانٍ !

بعد السود

سلامٌ عليكم يا أخلاى أنتمُ
فأصبحتم فى العين كالناس كلهم
وقد كنت قدماً أبصر الزهر منكمُ
فخلتم ودادى خلة العبد ضلةً
فما كان من فضلٍ لديكم وددتكم

لقد طال هجرٌ منكم فنسيتمُ
وقد كان قدماً مطمح العين فيكمُ
وأسمع شدو الطيرِ إما نطقتمُ
فراح بنا عنكم عزاء ورحتمُ
ولم تر نفسى الودَّ براً لديكمُ

خلعت عليكم نور حبي وخلتكم
فكنتم لدى نفسى كما النفس تشتهى
فأصبحتم ذكرى كأمس الذى مضى
فكونوا كما شئتم جفاةً فإننى
وهونت من وجدى وكفكفت عبرتى
فإن غبتم ما حن قلبى لذكركم
لقد هنتم إذ هان حبى لديكم
وكنتم مكان النجم عندى عزةً
دعوتكم للود حين وددتكم
ورتلت آيات الإخاء عليكم
وأنتم وجدتم قسوة الغدر لذةً
قسوتم علينا إذ حتنا إليكم
نزعنا نزوع اليأس عنكم فلمتم

كما يخلع القلب المحب عليكم
يلوح لعينى مطمح النفس منكم
وغضت لحاظ العين والقلب عنكم
عرفت عزاء الصبر حين غدرتم
ونام على السلوان طرفى ونمت
ولا أنتم منا ولا نحن منكم
ولو صنتم ودى لكنا وكنتم
فأطغاكم ذاك المكان فهنتم
فكان بكم وقر إذا ما دعيتم
فهل كان ذنبى أنكم ما فهمتم
فلما بلونا راحة الصبر لمتم
فلما أردنا هجركم ما رحمتهم
فإن شئتم عدنا إليكم وعدتم

الحب والطبيعة

رحم الله محبباً والهأ
أن مما نابيه من هجركم
وهو كالعصفور غريداً على
وترى العاشق فى لوعاته
وهو كالبحر وللحب جلال

لم يجد من حبيكم وجه المآب
كأنين الريح فى الربع الخراب
غصنه والغصن يزهو كالشباب
أبدأ بين سكون واصطخاب
كجلال البحر مخشى العباب

وقطوبٌ كقطوب الليل إن
وله بشر كبشر الفجر إن
وهجير كهجير القيظ إذ
وهو آناً عزةً مثل السهى
وهو مثل النار من أشجانه
يحسب الكون إطاراً دونه
أو كتاباً فُصّلت آياته
الهوى والمال والجاه سواء
فهى تلهى المرء فى دنياه عن
لا ترح بالصحو من كاساتها
اسقنى خمراً المساعى والهوى

أقبل الليل كإقبال السحاب
سرّه وعد حبيب باقتراب
غلواء الصيف ريعان التصايب
وهو آناً ذلةً مثل التراب
أبدأ بين اضطرام والتهاهب
رسم من يهوى مضيئاً كالشهاب
وحبيب النفس معنى للكتاب
نشوة العيش وغايات الطلاب
عبث للعيش خداع السراب
فترى العيش بألحاظ غضاب
فجمال العيش فى ذاك الشراب

نرجس

نرجس أنت الحسن يا نرجس
ترضعك الشمس بأضوائها
تحنو على الغدران مستأنساً
تبصر وجه الحسن فى مائها
حتى إذا البدر بدا ضوءه
أفقت فى جسم كجسم الدمى
كالدّر من أصدافه خارجاً

تشقائق الأبصار والأنفس
واليوم صحو أفقه مشمس
يا زهرة فى روضها تفرس
بحسنه كل امرئ يأنس
يزينه فى ثوبه الحندس
يلتذ منه الشم والملمس
والدرّ فى أصدافه يحرس

عند غديرِ شَـبِـمِ ماءؤه
لكي ترى حسنك في مائه
تدلّ بالحسن على بدره
فأنت والبدر على مائه
وتستحمان على مائه
تقوم قرب البدر في مائه
تعم كالنشان من حسنه
نرجس أنت الحسن يا نرجس
أشهى من الروضة إذ تنثني
وطرفك الأدعج يا نرجس

خلعت من ثوبك ما يلبس^(١)
تخلص منه العين ما تخلص
والبدر دان فوقه يلمس
بدران قد حقهما الحندين
وأنت من بدريكما الأنفس
لكي ترى أيكما الأملس
تسكر من خميرته الأكؤس
يقيس منك الطرف ما يقيس
قدك من أغصانها أميس
يشوق فيه الحسن إذ ينعس !

الخطاب والحشرة

أو

دين الكون

خرجت من حجرات الـ
ذات ذل وخشوع
داسها العابرُ قدماً
فرآها حطاباً يسـ
قال بالظن وقدماً

أرض والعمى تراها
تحتسب الخير نماها^(٢)
فهى لا يُخشى أذاها
على لحاج قد بغاها
كان ما ظن سفاها

(١) الشبم : البارد . (٢) أى تحسب أنها تنسب إلى الخير .

قَالَ لَا يَسْمَعِي إِلَى الشَّ
بَلِّغِ الْإِشْفَاقَ مِنْهُ
قَالَتِ الْحَسِيَّةُ قَوْلًا
إِنَّمَا الْحَمْدُ قَبِيحٌ دَالٍ
بُنِيَ الْكَوْنُ عَلَى الْخَسَدِ
كُلُّ نَفْسٍ ذَاتُ مَكْرٍ
كَمْ مُسَدَّاجٍ وَجَسَدِ الشَّ
بَلِّغِ الْقَصَصَ وَلَمَّا
بَلِّغِ النَّجْجَ وَلَمَّا
لَدَعَسْتَهُ لَدَعَسَةَ الْخِ
فَسَرَّمَسَاهَا تَحْتَ رَجْلِي
لَيْتَ وَطْأَ مَا عَدَاهَا
رَبِّ خَبٍّ دَفَنَنَاهُ
لَا تُصَبِّ بِالْخَيْرِ نَفْسًا
قَدْ يُضِلُّ السُّوءَ حَتَّى
فَتُزَجَّيَ كُلُّ خَسِيرٍ
إِنَّمَا الرَّحْمَةُ ضَعْفٌ

رُضِعَ عَيْفٌ قَدْ تَنَاهَى^(١)
مَبْلَغًا حَتَّى حَمَاهَا
حُجَّةٌ فِيمَا عَرَاهَا
بُلْهٌ مَفْكُوكٌ عَسَرَاهَا
عَسِيَّةٌ لَا دِينَ سَسَوَاهَا
حِينَ تَسْتَدْنِي مِنْهَا
رُطَايَا فَسَامِ تَطَاهَا
يَعْبُدُ التَّقْوَى إِلَهًا
يَبْلُغُ الْحَسَنَى رِضَاهَا
سَبٌّ فَسَأْ خَطَاهُ أَذَاهَا^(٢)
هَ هَوَانًا وَقَلَاهَا
لَيْتَ طَرْفَسًا مَا رَاهَا
تَحْتَ أَرْضٍ قَدْ حَشَاهَا^(٣)
لَيْسَ لِلْخَسِيرِ هَوَاهَا
تَبْلُغُ النَّفْسُ عَمَمَاهَا
فِي الذِّى فَسَيْسَهُ رَدَاهَا
إِنْ تُصَبِّ مِنْ لَا يَرَاهَا !

(١) أى بلغ الغاية فى الضعف . (٢) الخب : الماكر المخادع . (٣) حثاها : هالها .

الوتر المفقود

من شجوها كعود
بالنغم السديد
روحاً لذى الجمود
من محكم القصيد
فى عسودها المشدود
ووتر المسعود
بالمطلب البعيد
تطلق من ركود
ووتر السعيد
من جننة الخلود
أحسان بالتسرديد
فى فرح وعيد
بلابل التسفيد
من شقوة الجدود ؟
وغردى وعودى
من طرب المنشيد
ذو الوتر المنشود
كجنة الخلود

أحسست أن نفسى
أوتارها مليئة
تخلق من أحسانها
أحسانها معان
لكل مسعنى وتر
فللشقاء وتر
ووتر يشهدو لها
كأن ريحاً إن شدت
ووتر الحزين
ووتر متفتن
قد وقعت عليه الد
كأنها من لحنه
تسمع فى أحسانه
يا نفس ما دهاك
فوقى على عليه
واحسى الغناء وانتشى
هيهات أين منى
قد كان فى فؤادى

لشد ما أعاني للموتر المفسق سود !

أغاريد شاعر

نغمات البلابل	أم أغاريد شاعر
لعبت بالسسائر	واستبدت بخاطرى
نقعت غلة الفؤا	د برى الهسوامر
وغسيوث مواطر	من غسيوث البصائر
أخصب القلب بعدها	من صنف الأزاهر
بعد ما كان مجدبا	من قشيب وناضر
إنما الشعر نغمة	كحنين المزامر
أو رعسود الرواعد	أو أنين الأعاصر
ومسعدان خوالد	كسسالنجوم الزواهر
إنما المرء ذرة	فى رياح المقادير
إنما العيش نغمة	فى زفير الزوافر
نغمة الخفض والنعي	م ونحس مسخامر
إنما العيش قصيدة	أو أحاديث سامر
فأجز عني الهممو	م بالحسان شاعر
نغمات شجيرة	هى خمير المشاعر
كل أمر نحسه	فرصات لشاعر
إنما الشعر فى الحيا	ة كمنظار ناظر

يُصِفُ النَّاسَ كُلَّهُم
يُشْعِرُ الْمَرْءَ حَالَهُم
يَرْفَعُ النَّفْسَ سَحَرَهُ
لَسَمَاءِ الْعِظَائِمِ
فَسَهَسُوا دِينَ لَطَامِحِ
يُصِفُ الْعَيْشَ فِي الْكَمَا
فَيُحْنُ الْوَرَى إِلَيْهِ
فَيُفِيهِ إِغْرَاءُ وَارِدِ
يَجْعَلُ الْيَأْسَ وَالطَّمُو
يُدْفَعُ النَّفْسَ بِالْخِيَا
يُبْلَغُ النَّفْسَ أَفْقَهَا
لَا تَقْسُ النَّفْسُ بِالِ
وَهُوَ دِينَ الضَّمَامِ
يَفْتَحُ النَّفْسَ ضَوْوَهُ
مَثَلَمَا يَفْتَحُ الصَّبَا
يُلْقِحُ النَّفْسَ وَقَمَعَهُ

مِنْ تَقَى وَفَسَاجِرِ
مِنْ صُرُوفِ الْمُقَادِرِ
عَنْ وَهَادِ الْحَقَائِرِ
عَنْ حَضِيضِ الصَّغَائِرِ
مِنْ مَصِيبِ وَعِثَائِرِ
لِ عَدِيمِ الْمُحْسِنِينَ
عَنْ حَنِينِ الْمُسَافِرِ
وَبِهِ حَتَّ صَادِرِ
حَ دَوَاءِ الْمَغَامِرِ
لِ لِسُورِ الْمَآثِرِ
كَسَجَنَاحِ لَطَائِرِ
مَالِ فِي ذَخِرِ ذَاخِرِ
لَا مَقَالِ الْمُنَابِرِ
مَثَلِ ضَوْءِ التَّيَاشُرِ^(١)
حُ زَهْيِ الْأَزَاهِرِ
رَبِّ نَفْسٍ كَعِاقِرِ

(١) التباشير : أول الفجر ، قال الشريف الرضي :

ورب سنا أرقّت له يخادعني قباشره

صوت الله

نجوى المؤمن

فسيان صوت الله دانٍ كريمٍ
وكل روح حين يصفو عظيمٍ
يضئها الله بنورٍ عميمٍ
والنفس إن لم تصف مثل الجحيم

* * *

صداه في الأنفس صوت الضمير ؟
ومطلب الخير وكره الشرور ؟
لبيك فالقلب كعبدٍ أسير
تضيء في العيش ظلام الأمور
من نشوة الفكر وسكر الغرور

* * *

فقربه للنفس قرب الرجاء
وفي الأسى نبصر منه الضياء
والوهن في الأنفس داء عياء
من عنت العيش ووقع الشقاء

* * *

فيرفل العيش ببردٍ قشيبٍ

أنصت ففي الإنصات نجوى النفوس
وكلنا موسى لدى ربّه
وإنما نفسُ الفتى معبدٌ
والنفس بيتُ الله إن طهرت

أنصت أما تسمع ذاك الدعاء
من ذا الذى أودع فيك الرجاء
يا هاتفًا في جنح ليلٍ بهيم
أنت رجاءُ النفس في أسرها
وأنت صحو الروح في بحشها

إن كثرت الخطب وعمّ البلاء
ففى الأسى يبدو ضياءُ المنى
والوقر عن نجواه وهن النفوس
نجدواك نجدواك دواء الأنام

تسكب منك الضوء في الأنفس

يعبدك الناسُ بأعمالهم
وبالأسى فى عيشهم والندم
طوبى لمن روض من نفسه
وما يعانون لوقع الخطوبُ
عبادة الندب الجليد المصيب
فإن صوتَ الله منه قريب

وارحمة للناس

تعلمنى الأقدارُ أن أرحمَ الورى
وأنظر فى نفسى وأعرف عذرهم
وإن جميعَ الناسِ أهلى وإخوتى
فما ويح هذا الخلق مما يصيبهم
وليس خصيمى من يريد شقاوتى
أليس أسير الشرِّ أولى برحمةٍ
أليس أسير السوءِ يغدو معذباً
وأحسنُ ما فات امرأً حسن نفسه
وليس شقاءُ المرءِ رهناً بشره
فوارحمة للمرءِ حتى حياته
وإن أشدَّ اللؤم لؤم ابن طعمة
وليس يبالى الناسُ هلك نفوسهم
فنونٌ وآداب وفقهٌ وصنعةٌ
فقلبى لكل العالمين رحيمٌ
على شرهم داءُ النفوس قديمٌ
وإن كان فيهم جارمٌ وذميم^(١)
مقادير يتلوها أذى وهموم
فإننا جميعاً للقضاءِ خصوم
وأى امرئٍ مما يُذم سليم
به من حزازات النفوسِ كلوم^(٢)
وإن خفيت عمن يودُ وصوم^(٣)
وليس على قدر العقولِ نعيم
تناهب قسوت إنه للئيم
يبيع بها من نفسه ويسوم
إذا سلمت طول الحياةِ جسم
وفضلٌ وجاه واسعٌ وعلوم

(١) الجارم : المجرم . (٢) الكلوم : الجروح . (٣) الوصوم : جمع وصم والمقصود آثار عيوب النفس .

يريم به في عيشه ويقيم^(١)
 وكل الذي يبغي الشرور سقيم
 هو العزم إن حال القضاء عقيم^(٢)
 يحن إلى ورد المنى ويحسوم
 وسيان فيهم واجدٌ وعديم^(٣)
 فيسقم فيها أشيب وفطيم
 فكل لكل عاذرٌ ورحيم

وسائلُ يستدنى بها رزقَ يومه
 فوارحمة للمرء من سقم نفسه
 ووارحمة للمرء من عجز نفسه
 ووارحمة للمرء إن بات عانيا
 ووارحمة للناس من سخر عيشهم
 حياةً كمستشفى السقام أليمة
 خليق بنا أن يرحم المرء صنوه

جهاد المصلحين

فسيخرس داع بيننا ومجيبُ
 حرّوب على آثارهن حرّوب
 فإن شقاء العاملين حبيب^(٤)
 أصلحه في العاملين طيب؟
 فعادت بأدناس الحياة تطيب
 يرى أن أحلام النفوس لغوب^(٥)
 وأن مساعي المصلحين تخيب
 ووحى النفوس الساميات مريب
 وأن أساليب الحياة ضرّوب

أسائلُ عن هذا الورى ومآله
 أفى كل يوم معرك بعد معرك
 ولو كان يجدى أن تطيح ضحية
 خليلي هذا الكون من أولياته
 وكم من نفوس ساميات أذلها
 ترى دنس الأشياء رؤية ألف
 يظن جهاد المرء في العيش ضلة
 يرى أن خير الكون ما هو كائن
 ويحسب أن الشرّ ضربة لازب

(١) يريم : يمكث . (٢) عقيم : عديم النتيجة . (٣) لواجد : تعنى الغنى . والعديم : المعدم الفقير .

(٤) تطيح : أى تهلك . (٥) اللغوب : أشد التعب .

ويصبح في مجرى الحوادث ريشةً
ويطفئ نور النفس حتى كأنما
ويحسب نشدان الكمال حماقةً
لئن فشلت للعاملين أولى النهى
فإن شرور العالمين كثيرةٌ
وهمة باغى الخير كالدهر صبرها
وإن أمانيّ النفوس كثيرةٌ
وكيف يرى سارى الحياة سبيله
ولولا ضحايا العاملين لأرهقت
فلا تعجب أن الشرور كثيرةٌ

تجوب به الأيام حيث تجوبُ
دواعى النفوس الساميات عيوبُ
وأن دعاء المصلحين ذنوب
مساعٍ وذلت أنفسٌ وقلوب
وإن الخطوب العائقات تنوب
وقلب الذى يبغى الكمال رحيب
ترك ضياء النجاح وهو قريب
إذا حان من نجم الرجاء غروب
شرور على إثر الشرور تصيب
ولكن بأس العاملين عجيب!

الروح السوداء

يا سوءة ما مثلها سوءة
يا سوءة كالدهر فى وسعه
تنقص من خيرٍ ومن عفةٍ
لو أطلقت روحك وسط الضحى
كأنما ينساب منها الدجى
ما خلق الرحمن من خصلةٍ
إلا على وجهك مكتوبة
خاتم إبليس على جلده

ما بك من حقدٍ وأوغام
تنمو بمرّ العام والعام
وعيبك المستنبت النامى
لأبستته ثوب إظلام
يزخر فى ديجوره الطامى
يطير فيها لوم لوم
كأنها من خط أقدام
بينةً فسيه لأفهام

روحك كانت قبل في ناهق
فلسفة لا شك في صدقها
في كل فضل قادم واقع
وذاك برهان على صدقها

ريض بأسراج وألجام^(١)
فلم تكن أضغاث أحلام !
تنهشه في نابك الدامي
والصدق ذو وقع وإحكام !

سنة العيش

التنافس أم التعاون

إني لأفكر ، والأيام موعظة ،
من عهد آدم من أنفسي شقيت
في النور قوم ، ضياء العيش خمرتهم
ظن السعيد شقاء النحس متهماً
فإن طعمة المسعود يمزجها
ما نال طعمة قوت ساغها سغب
لا تسمع مقالاً قال قائله
اضحك ولذ فإن العيش منتهب
فذلك القول حرب للنهي أبداً
ظنوا الحياة محالاً أمرها أبداً
وإنما ملجأ النفس التي كرهت

في السابقين وفي التاليين من أمم
وكم عيون بكت من شجوها بدم
وكم أناس شقوا بالعيش في الظلم
مرأى الشقاء لدى المحدود كالتهم
عيش المناكيد بالأسقام والألم
إلا كأن مزجت في صنعها بدم^(٢)
وما أصاب صواب الرأي في الكلم :
وأضيع الأمر عيش حيط بالعدم
قد صير الناس للذات كالخدم
إلا على الحق والبغضاء والنقم
عزو الأمور إلى الأقدار والقسم

(١) أسرج : وضع السرج . وألجم : وضع اللجام . وفي البيت إشارة إلى الاعتقاد بتناسخ الأرواح

(٢) السغب الجوع .

إنَّ المحالَ لديها كل ما كرهت
هذى المقابح طراً في تنافسهم
طبع قديم سينضو المرء خلعتَه
لأبد من فشلٍ من بعده فشل
انظر إلى الناس ما في عيشهم أربٌ
ظنوا التقاتل فيه سنة أبداً ،
انظر إلى الناس هل يبدى تنافسهم
وكلما قام فيهم ناصحٌ وجلٌ
العيشُ حربٌ ولكن في عدوهم
حربُ الطبيعة حربٌ لا انتهاء لها
إن كان يُخشى على الأرزاق أن كثروا
أتحمل الزوجُ كي يفنى الألى حملت
لا يسعد الناس سن الحرص سنتهم

ليس المحالُ محال السعى والهمم
إنَّ التنافسَ داءُ الجائع النهم
مثل الأديم نضته صِمة الصمم^(١)
حتى يفيق سوادُ الناس من صمم^(٢)
داء الخماص وداء الهم والتخم^(٣)
فعل الوحوش على الأدناس والرم
غير التباغض والأوجال والسام
قالوا هو الغريرعى روضة الحلم^(٤)
حرب الطبيعة حرب الخير والحكم
حسب العقول وحسب العزم والهمم
فأحسن الداء داء العقم في الرحم !
بين المصانع والأسياف والسقم^(٥) !
حتى يطهر داء الحرص بالندم !

الكونان

قلب اليائس :

ضيق قلبي بما يجـ
فهي كالبیتِ مسغلقٌ

من ونفسي بما تشا
نازع الأهل قد خوى

(١) الصمة : الحية (٢) الصمم بالفتح : زهاب السمع . (٣) الخماص : الجياح .
(٤) أي كلما ظهر مرشد قالوا إنه يريد تحقيق الخيالات والأوهام . (٥) الزوج : كلمة تقال للمرأة والرجل ، أي الفرد المزاوج .

رَاكِبُ الدُّجَى قَدِ انْقَلَبَ
 يُفْزَعُ الْمَرْءُ مِنْ صَدَا
 يَحْسِبُ الْجَنُّ قَدْ ثَوَى
 أَغْسَبُ الرُّبُوبُ عَابِسُ
 ضَاقَ صَدْرِي بِمَا يَجِدُ
 فَهِيَ كَالْبَيْتِ مَفْزَعُ
 أَهْلَكَ النَّفْسَ جَسَارُ
 أَصْبَحَ الْبَيْتُ خَالِيَا
 يُسَمِعُ الْعَابِرُ الْمَجْدَ
 أَسَكَتَ الْقَلْبَ وَقَعَمَهُ
 ضَاقَ صَدْرِي بِمَا يَجِدُ
 فَهُوَ قَبْرٌ لِعَالَمِ
 كُلُّ رُوحٍ وَذِيْلَةٌ
 فَتَسْرِى الْعَيْنُ مَا يَجِيءُ
 كَأَن كَانَ الْكَوْنُ وَاسِعَا
 قُضِيَ الْأَمْرُ فَاِنْقَضَى
 ضَاقَ قَلْبِي بِمَا يَجِدُ

قلب الآمل :

فَمَتَى يَصْبِحُ الْخَرَا

فَاسْدُ الْمَاءِ وَالْهَوَا
 هَذَا إِذَا رَدَّدَ الصَّيْدُ
 جَمْعَهَا فِيهِ مَا ثَوَى
 مَظْلَمُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 مِنْ وَنَفْسِي بِمَا تَشَاءُ
 يُفْزَعُ الطَّرْفُ بِالْذِمَاءِ
 فَاتَكَ النَّفْسُ مَا ارْعَوَى
 مَسْكَنُ الْبِسْمِ وَالْجَدِ
 هَذَا صَاحِبُ الْخَلَاءِ إِذَا دَنَا
 رُوحُ الْأَمْنِ وَالسَّكْرَى
 مِنْ وَرُوحِي بِمَا يَشَاءُ
 قَبْلَ ذَا الْكَوْنِ قَدْ مَضَى
 تَهَبُ الْعَيْنُ مَسَا يُرَى^(١)
 وَيَبْدُو الَّذِي انْقَضَى
 لَا يُرَى بَعْدَهُ مَسْدَى
 بَقِيَ السَّعْيُ وَالْمُنَى
 مِنْ وَنَفْسِي بِمَا تَشَاءُ

بُ جَنَانًا كَمَا مَضَى ؟

(١) الوذيلة : المرأة .

ومستى تبلغ النفوس
ومستى ينزعُ الورى
ومستى ينجلى الظلا
ومستى تطهر النفوس
ضباق صدرى بما يجد
تبتغى عالماً جديداً
خارجاً منه مثلهما
حدث الناس أنه
قبر ذا الكون مهدد كـ
حدث الناس أنه
ضباق صدرى بما يجد
أيظل الورى كـ
عبثاً يحلم الورى
أم لأمرٍ مقدرٍ
حلم الخبير مُبلغ الـ
فلئن كان خدعةً
ضباق صدرى بما يجد

س مداها من الحسبى ؟
قسوة السوء والخنى ؟
م عن الفجر والضحي ؟
س من الشسر والأذى ؟
ن ونفسي بما تشا
داً من الكون قد نشا
تخرج الليلة الضحي
حلم النفس فى الكرى
ن جنين مسسا إن بدا^(١)
قول غرق قد انتشى
ن ونفسي بما تشا
بئس ما يفعل الورى !
حلم الخير والنهى
فهو للكون كالحدا^(٢)
كون ما ينقع الظما
عبثاً ننقل الخطى
ن ونفسي بما تشا !!

(١) أى أن كل كون بمكانة البذرة يخرج منها كون آخر أرقى منه .

(٢) أى أن الأنبياء والشعراء والمصلحين يسمعون ألحان الخير والنهى والكمال ؛ فكانت تلك الألحان حذاء بهم إلى منازل . والحذاء للناقة الغناء لها كي تتجشم السير .

نظرتان فى النفس

إذا جعل الإنسان نصباً لحاظه
فبيأس حتى يحسب الخير خدعةً
ويصبح لا يرجو صلاحاً لنفسه
ويحسب كل الناس خباً وماكراً
ويحسب أن الخير والشر كذبة
فيلتذ ما قد كان بالأمس كارها
وإن جعل الإنسان نصباً لحاظه
فيصبح مغروراً يتيه بخيره
وإن صفات السوء ما ليس ربها
كأن محالاً أن يجيء بريئة
وإن هوان الفضل ينأى بلبه
وإن هوان الإثم يسعى بعزمه
وكم مغرم للمرء فى بعض غنمه

مآثمه هانت عليه مكارمه
وينحل عنه صبره وعزائمه
كأن سراب الخير ما هو شائمه
يداريه عن آثامه ويكاته
وأن خيال الحق ما هو حاله
فتعدو عواديه وتسرى أراقمه
مكارمه هانت عليه مآثمه
يرى أن كل الخير ما هو عالمه
وإن فتكت أسيفه ولهاذمه
وإن لآمه فى الخلق من هو لائمه
عن الفضل حتى يغرم الفضل غارمه
إلى الإثم حتى يأتى الجرم جارمه
وكم مغرم تزجى إليه مغارمه

تم

(١) لهازم : سيوف قاطعة . (٢) أى بعض ما يصيب الإنسان ويعده غنماً يعود عليه بالخسر ، وبعض ما يعده غرماً يعود عليه بالكسب والفائدة .

الجزء الخامس

الخطرات

والشعر من نبضاتها	إن القلوب خـــــوافقُ
ة تطلُّ في مـــــراتها	والشعرُ مرآة الحـــــيا
وتراه في لذاتها	فتـــــراه في آلامها
والشعرُ في ضحكاتها	والشعرُ في عـــــبراتها
تى النفس في يقظاتها	والشعر كالإلهام يا
يأتى بمـــــكراتها	والكون آية شـــــاعـــــر

« من قصيدة (الشعر) فى الجزء الرابع لصاحب الديوان »

عن الطبعة الأولى للجزء الخامس

عام ١٩١٦

مقدمة

لصاحب الديوان

(فى الشعر ومذاهبه)

يقولون إن الشعر ليس من لوازم الحياة . ولو جاز لنا أن نعد الإحساس غير لازم للنفس ، أو التفكير غير لازم للعقل ، لجاز لنا أن نعد الشعر غير لازم للحياة . أليس مجال الشعر الإحساس بخوارج النفس وشرح ما يعتورها ؟ ويقولون إن الشاعر ينبغي أن لا يجعل الشعر مائلاً لحياته . كأن الشعر ليس ضرورة الشاعر ودينه . فإن الشاعر الصميم يرى أن الشعر أجل عمل يعمل فى حياته ، وأنه خلق للشعر ، فليس الشعر متمماً لحياته بل هو أساسها . هل العطر كمالى متمم للزهر ، أم العذوبة كمالية للماء ؟! كلا . فإن الزهر يراد لعطره ، والماء لعذوبته ، والنحل لشهده ، والشاعر لشعره .

ولو جئت بنفس ليست من النفوس المنغومة الموسيقية ، وأردت أن توقع عليها ألحان الشعر ، ما أفلحت . ولكن الشاعر إذا لم يتعهد بالتهذيب ، بقى كالحديقة التي طغى عليها كلؤها ومات زهرها . وينبغى للشاعر أن يتذكر كى يجىء شعره عظيماً ، أنه لا يكتب للعامة ، ولا لقرية ، ولا لأمة ، وإنما يكتب للعقل البشرى ، ونفس الإنسان ، أين كان . وهو لا يكتب لليوم الذى يعيش فيه ، وإنما يكتب لكل يوم وكل دهر . وهذا ليس معناه أنه لا يكتب أولاً لأمته ، المتأثر بحالتها ، والمتهىء ببيئتها . ولا نقول إن كل شاعر قادر على أن يرقى إلى هذه المنزلة ، ولكنه باعث من البواعث التى تجعل شعره أشبه بالمحيط - إن لم يكن محيطاً - منه بالبركة العطنة فى المستنقع الوبىء .

ويمتاز الشاعر العبقرى بذلك الشره العقلي الذى يجعله راغباً فى أن يفكر كل فكر ، وأن يحس كل إحساس . وهذا هو الدافع الذى يدفعه ، بالرغم منه ، إلى أداء ما قد خلق له من التعبير عن حقائق هيئاته لها الطبيعة . فهو يقدر أن يتحمل جهل الناس ، لأن الشاعر الكبير يخلق الجيل الذى يفهمه ويهيئه لفهم شعره . ويعين الشاعر العبقرى فى أداء فرضته عليه الطبيعة ثقته من شعره بالرغم من كثرة إساعة ظنه به . فإن إساعة ظنه بشعره ، إنما سببها رغبته فى الكمال . وهى سائقة به إلى منازل . والشاعر العبقرى يعلم أن حياة

الشاعر حرب أدبية ينجلي بعدها النقع ، فيعرف الظافر والمنهزم .

ولقد فسد ذوق المتأخرين فى الحكم على الشعر . حتى صار الشعر كله عبثاً لا طائل تحته . فإذا تغزلوا جعلوا حبيبهم مصنوعاً من قمر ، وغصن ، وتل ، وعين من عيون البقر ، ولؤلؤ ، ويرد ، وعنب ، ونرجس ، إلخ .. ومثل ذلك قول الوأواء الدمشقى ، وهو البيت الذى ينسب ظلاماً إلى يزيد بن معاوية :

فأمطرت لؤلؤاً من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

ونوق الأمويين برىء من أمثال هذا القول . ولا أريد أن أجمع على يزيد جرمين : قتل الحسين ، وقول هذا الشعر الذى لا بأس به ، إذا أريد للفكاهة والعبث ، لا للغزل الذى يشرح عواطف النفس ويشعرك إياها . وإذا أراد المتأخرون وصف الحب ، أكثروا من ذكر الدموع ، وقالوا إن دموعهم تغنى عن المطر ، وإن البحر قطرة إذا قيس بها ، وإنهم سلخوا عاماً لم ينوقوا فيه النوم ، وإن جسمهم صار أقل من القليل ، حتى إنهم يخشون أن يطيروا مع الهواء لنحولهم . وإنهم لا يريدون أن يروا حبيبهم بالليل ؛ لأن طلعتة تجعل الليل نهاراً فيفتضحون ولكنهم يريدون أن يروه نهاراً ؛ لأن طلعتة من نورها تجعل ضوء النهار ظلاماً ، فيخفون عن العذال . إلى آخر ماذكروا من هرائهم . وإذا رثوا قالوا إن السماء كادت أن تسقط لموت المرثى . وإن الليالى لابسة حداداً عليه . وإنه قد شاعت تعازى الشهب باللمح بينها حزناً على النير الهاوى إلى القلوات . وإن القمر به كلف حزناً عليه . وإن الرياح تتوح أسفاً على موته . وإن الملائكة لبست السواد حداداً عليه . وإن القبر لا يسعه لأنه بحر . وإذا صلب أحد الأمراء ، قالوا إن قاتليه أجلوه فلم يرضوا له القبر . وينشدون أبيات الأنبارى التى يقول فيها :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجوقيرك .. إلخ ..

ويقولون : انظر إلى مهارة الشاعر فى قلب الحقائق ، وإظهار الذميم مظهر الحسن . وإذا مدحوا قالوا لممدوحهم إن وجهك قمر ، ولحييتك ذهب يطرز هذا القمر . وأنت بحر ، وأسد ، وغمام ، وإن الدنيا لو دخلت فى صدرك لوسعها لأنه رحيب ، وأنشدوه قول المتنبى :

وقلبك فى الدنيا ولو دخلت بنا وبالجن فيه ما درت كيف ترجع

وقالوا له : إنك لو غضبت على النجوم ، لانطفأت من غضبك . وإنك لولا انقطاع الوحي لنزلت فيك الآيات والصور . وإذا مات للممدوح قريب ، لم يكن في بيته حينما أدركته المنية ، قالوا إن المنية لم تجرؤ عليه إلا لأنه كان غائباً عنك .

وقد فسد ذوق القراء حتى إنهم إذا رأوا خيالاً يفسر حقيقة ، لم تتملكهم هزة الطرب التي تنويعهم عند قراءة الخيال الفاسد ، إنما يعجبهم من الخيال استحالاته وبعده عن المألوف عقلاً . وإذا وضحت لهم فسادهم قالوا : إذاً كل خيال فاسد . وزعموا أن حلاوة الشعر في قلب الحقائق ! وإخراجنا من هذا العالم إلى عالم ليس للعقل فيه سبيل . عالم يرخص المرء لعقله أن يتنزه فيه أينما شاء من غير خشية رقيب . كما يفعل الموظف كل سنة حين يترك فروض الحياة . ومن أجل ذلك شاع عندهم أن الشعر نوع من الكذب ، وليس أدل على جهلهم وظيفة الشعر من قرنهم الشعر إلى الكذب . فليس الشعر كذباً ، بل هو منظار الحقائق المقلوبة ، ووضع كل واحدة منها في مكانها ، ولئن كان بعض الشعر نزاهة ، فإن بعض النزاهة فرض . ولئن كان بعض الشعر رحلة ، فهي رحلة إلى عالم أجمل وأكمل وأصدق من هذا العالم . رحلة إلى عالم يحس المرء فيه لذات التفكير ، أكثر مما يحسها في هذا العالم الأرضي .

وإذا تدبرت ما ذكرته ، عرفت فساد ذوق الجمهور في حكمه على الشعر . وكيف أنه يقبل على الشعر المرذول وبعده جيداً . ويعاف الشعر الجليل ، الصادق الخيال ، الكثير الحقائق . وبعض القراء يرى أن الشعر مقصور على التشبيه ، مهما كان الشبه الذي فيه متوهماً . ومثل الشاعر الذي يرمى بالتشبيهات على صحيفته من غير حساب مثل الرسام الذي تغره مظاهر الألوان ، فيملأ بها رسمه من غير حساب . وليس الخيال مقصوراً على التشبيه ، فإنه يشمل روح القصيدة وموضوعها وخواطرها ، وقد تكون القصيدة ملأى بالتشبيهات ، وهي بالرغم من ذلك تدل على ضالة خيال الشاعر . وقد تكون خالية من التشبيهات ، وهي تدل على عظم خياله . وقيمة التشبيهات في إثارة الذكرى أو الأمل ، أو عاطفة أخرى من عواطف النفس ، أو إظهار حقيقة . ولا يراد التشبيه لنفسه ، كما أن الوصف الذي استخدم التشبيه من أجله لا يطلب لذاته ، وإنما يطلب لعلاقة الشيء الموصوف بالنفس البشرية وعقل الإنسان . وكلما كان الشيء الموصوف ألصق بالنفس ،

وأقرب إلى العقل ، كان حقيقاً بالوصف . وهذا يوضح فساد مذهب من يريد وصف الأشياء المادية لأنها مما يرى ، لا لسبب آخر . وهذا الوصف خلق بأن يسمى الوصف الميكانيكى . فوصف الأشياء ليس بشعر إذا لم يكن مقروناً بعواطف الإنسان وخواطره ، وذكره وأمانيه وصلات نفسه .

فالخيال ليس مقصوراً على التشبيهات . والشاعر الكبير ، ليس هو ذا التشبيهات الكثيرة ، الذى يكثر من مثل وكأن . ولو كان ليس بعدها إلا المعنى المتضائل ، والصورة المضطربة ، غير المتجانسة الأجزاء . فإن الخيال هو كل ما يتخيله الشاعر من وصف جوانب الحياة . وشرح عواطف النفس وحالاتها ، والفكر وتقلباته ، والموضوعات الشعرية وتباينها ، والبواعث الشعرية . وهذا يحتاج فيه إلى خيال واسع . والتشبيه لا يراد لذاته كما يفعل الشاعر الصغير . وإنما يراد لشرح عاطفة أو توضيح حالة ، أو بيان حقيقة . وإن أجل الشعر هو ما خلا من التشبيهات البعيدة والمغالطات المنطقية . انظر مثلاً إلى قول مويك يرثى امرأته وقد خلفت له بنتاً صغيرة ، فقال يصف حالها بعد موت أمها :

فلقد تركت صغيرة مرحومة لم تدر ما جزع عليك فتجزع

فقدت شمائل من لزامك حلوة فتبيت تسهر أهلها وتفجع

وإذا سمعت أنينها فى ليلاها طفقت عليك شئون عيني تدمع

فهو لم يعلمك شيئاً جديداً لم تكن تعرفه . ولم يبهر خيالك بالتشبيهات الفاسدة ، والمغالطات المعنوية . ولكنه ذكر حقيقة . ومهارته فى تخيل هذه الحالة ووصفها بدقة . وهذا أجل التخيّل . وأجل المعانى الشعرية ما قيل فى تحليل عواطف النفس ، ووصف حركاتها كما يشرح الطبيب الجسم . ومن أمثال هذا الغزل قول ابن الدمينه فى وصف حياء الحبيب :

بنفسى وأهلى من إذا عرضوا له ببعض الأذى لم يدر كيف يجيب

ولم يعتذر عن البرىء ولم تزل به سكته حتى يقال مريب

مثل هذا الشعر يصل إلى أعماق النفس ويهزها هزاً . والشعر ما أشعرك وجعلك

تحس عواطف النفس إحساساً شديداً ، لا ما كان لغزاً منطقياً ، أو خيالاً من خيالات معاقري الحشيش . فالمعاني الشعرية هي خواطر المرء وأراؤه ، وتجاربه وأحوال نفسه ، وعبارات عواطفه . وليست المعاني الشعرية - كما يتوهم بعض الناس - التشبيهات والخيالات الفاسدة والمغالطات السقيمة ، مما يتطلبه أصحاب الذوق القبيح . فإذا لم يجد هؤلاء في الشعر مغالة سخيفة ، أو مغالطة معنوية ، أو ألعوية منطقية ، أو تشبيهاً بينه وبين الخيال مثل ما بين لعب الأطفال بالألوان . وبين رسم تسشيانو ومهارته في استخدام الألوان . أقول : إذا لم يجدوا ذلك في الشعر قالوا إنه ليس فيه معنى ، فإذا سمعت هؤلاء يصفون قصيدة بأنها ملأى ، حسبت أن قائلها ذو ذهن خصب ، وعقل راجح كبير ، ونفس عظيمة . وأنه جعلها ذخيرة الحقائق ، والآراء السامية الشريفة . ولكن الأمر ليس كذلك ، إذ إنهم يعنون أنها مملوءة بالخيالات والمغالطات المضطربة ، وأن خيال صاحبها بهلوان شعري ، أو مشعوذ يغرك بحركاته . فينبغي أن نميز ، في معاني الشعر وصوره ، بين نوعين : نسمى أحدهما التخيل والآخر التوهم . فالتخيل هو أن يظهر الشاعر الصلات التي بين الأشياء والحقائق . ويشترط في هذا النوع أن يعبر عن حق . والتوهم أن يتوهم الشاعر بين شيئين صلة ليس لها وجود ، وهذا النوع الثاني يغرى به الشعراء الصغار ، ولم يسلم منه الشعراء الكبار ، ومثله قول أبي العلاء المعري :

واهجم على جنح الدجى ولو أنه أسد يصول من الهلال بمخلب

فالصلة ، التي بين المشبه والمشبه به ، صلة توهم ، ليس لها وجود . وكذلك قول أبي العلاء في سهيل النجوم :

ضرجته دماً سيوف الأعادي فبكت رحمة له الشعران

أي أعادي ، وأي سيوف ؟ في مثل هذا البيت ترى الفرق واضحاً بين التخيل والتوهم . أما أمثلة الخيال الصحيح فهو أن يقول قائل إن ضياء الأمل يظهر في ظلمة الشقاء ، كما يقول البحتري :

كالكوكب الدرى أخلص ضوءه حلك الدجى حتى تائق وانجلي

فهذا تفسير لحقيقة وإيضاح لها . وكذلك قول الشريف :

ما للزمان رمى قومي فزعزعهم تطاير القعب لما صكه الحجر^(١)

فهو يشبه تفرق قومه بتطاير أجزاء الإناء المكسور . وهذا أيضاً توضيح لصورة حقيقة من الحقائق ، وهي تفرق قومه .

فتكلف الخيال أن تجيء به كآته السراب الخادع ، فهو صادق إذا نظرت إليه من بعيد ، وهو كاذب إذا نظرت إليه من قريب . وبينه وبين الخيال الصحيح ، مثل ما بين الماس الصناعي وماس كمبرلى . وقد يكون سبب هذا الخيال الكاذب ، التأليف بين شيئين لا يصح التأليف بينهما . ثم إن بعد وجه التأليف وخفاء الصلة ليس بمعيب إذا كان وجه الشبه بين الشيئين صحيحاً صادقاً ، وكانت الصلة التي بينهما متينة . فليس ظهور الصلة لكل قارئ دليلاً على متانتها . فقد تكون ظاهرة ضعيفة ، وقد تكون خفية سليمة صادقة . فليس كل ما يخطر على أذهان العامة من الخيالات صادقاً صحيحاً . وهذا سبب من أسباب اشتباه العظيم من الشعراء بالضئيل . وعجز الناس عن التمييز بينهما . فإن العبقري قد يغرى باستخراج الصلات المتينة الصادقة بين الأشياء ، فتقصر أذهان العامة عن إدراكها . وهذا ليس مذهب الناظم الوزان الذي يولع بأن يوجد صلات سقيمة بين حقائق ليس بينهما صلة . ولكن الشاعر الضئيل يشبه الشاعر الكبير من حيث إن الشاعر الضئيل يعرف أنه ضئيل بحسناته ، كما يعرف أنه ضئيل بسيئاته . وكذلك الشاعر العبقري يعرف أنه عبقري بحسناته ، كما يعرف أنه عبقري بسيئاته ؛ لأن سيئاته سببها أنه واسع النفس ، حر الذهن ، غير مقيد بقيود المحاكاة في فن الشعر .

إن القراء من الجمهور إذا قرأوا قصيدة جعلوا يلتقطون منها ما يناسب أذواقهم ، ثم يذبون ما بقي من غير أن يبحثوا عن السبب الذي جعل الشاعر ينظم في قصيدته هذه المعانى ، فهم كالمرضى الذى فقد شهوة الطعام ، يأخذه متكرها . فهم لا يفتقرون للشاعر أن يكون أوسع منهم روحاً ، وأسلم ذوقاً ، وأكبر عقلاً . ويريدون منه أن ينزل إلى مستوى عقولهم ونفوسهم وأذواقهم . ويحكمون على قصيدته بأبيات منها تستهوى أنفسهم إما بحق

(١) القعب : القدح والإناء .

وإما بباطل ، لأنهم يعدون كل بيت وحدة تامة . وهذا خطأ ؛ فإن قيمة البيت في الصلة التي بين معناه وبين موضوع القصيدة ؛ لأن البيت جزء مكمل ، ولا يصح أن يكون البيت شاذاً خارجاً عن مكانه من القصيدة ، بعيداً عن موضوعها . وقد يكون الإحساس بطلاوة البيت وحسن معناه رهيناً بتفهم الصلة التي بينه وبين موضوع القصيدة . ومن أجل ذلك لا يصح أن تحكم على البيت بالنظرة الأولى العجلى الطائشة ، بل بالنظرة المتأملة الفنية . فينبغي أن ننظر إلى القصيدة من حيث هي شيء فرد كامل ، لا من حيث هي أبيات مستقلة ؛ فإننا إذا فعلنا ذلك وجدنا أن البيت قد لا يكون مما يستفز القارئ لغرابته ، وهو بالرغم من ذلك جليل لازم لتمام معنى القصيدة . ومثل الشاعر الذي لا يعنى بإعطاء وحدة القصيدة حقها ، مثل النقاش الذي يجعل نصيب كل أجزاء الصورة التي يتقشها من الضوء نصيباً واحداً .

وكما أنه ينبغي للنقاش أن يميز بين مقادير امتزاج النور والظلام في نقشه ، كذلك ينبغي للشاعر أن يميز بين جوانب موضوع القصيدة ، وما يستلزمه كل جانب من الخيال والتفكير . وكذلك ينبغي أن يميز بين ما يتطلبه كل موضوع . فإن بعض القراء يقسم الشعر إلى شعر عاطفة وشعر عقل . وهي مغالطة غريبة ؛ إذ أن كل موضوع من موضوعات الشعر يستلزم نوعاً ومقداراً خاصاً من العاطفة والتفكير . فبعض شعر الشاعر تكون العاطفة فيه أوضح وألزم ؛ وفي بعضه تكون أقل وضوحاً . ولاريب في ذلك ؛ إذ أن الغزل مثلاً يستلزم نوعاً خاصاً من العاطفة غير العاطفة التي تبعث على خواطر الحكم والوعظ .

والأدباء في مصر يخلطون في الكلام عن الأساليب خلطاً كثيراً ؛ فهم يتناسون أن أجل الشعر العربي وأفخمه ، وأجزله وأسيره ، وأكثره نفعاً وتوكيداً لبقاء اللغة ، هو الشعر الذي لم تتكلف فيه الغرابة . فإن المعلقة أسلس وأجزل شعر الجاهليين (ماعدا الغزل) وأقله غرابة وتعقيداً . وشعر الشريف أجله وأفخمه مالم يتكلف فيه الغرابة . إن في شعر الشريف صفتين : حسن الديباجة والفخامة والسلامة في أكثر شعره ، وتكلف الغريب في بعضه . فصار الأدباء يخلطون بين الصفتين ، ويزعمون أن الغريب من لوازم حسن الديباجة ، ولوقرات شعر الشريف لعلمت كذب ذلك .

وإذا نظرت في شعر الحريري ، وجدت أنه مترع بالغريب ، ولكنه بالرغم من ذلك ، ليس من حسن الشعر . وهذه قصيدة ابن زريق ، ليس فيها شيء من الغريب ، ولكنها من أجل الشعر وأقضمه . وإذا شئت فقل وأضخمه ؛ لأن الضخامة صفة في الأسلوب الملتهب الذي يشبه الصخور الذائبة ، التي تسيل من قم البركان . ذلك الأسلوب الذي تؤججه العواطف القوية . وهذا الأبيوردي مغري بالأساليب الغريبة ، ولكن شعره ليس عليه طلاوة ، وليس فيه مجتتى . فللشاعر أن يستخدم كل أسلوب صحيح سواء كان غريباً أو معهوداً أليفاً . وليس له أن يتكلف بعض الأساليب . ولا أنكر أن الشعر من قواميس اللغة ، ولكن له وظيفة كبيرة غير وظيفة القواميس . وعاطفة الغريب ، الذائعة بين فئة خاصة منا ، هي رد فعل سببه ولوع شعراء القرنين الماضيين بالركيك من العبارات والأساليب . وقد وجدت بعض الأدباء يقسم الكلمات إلى شريفة ووضيعة . ويحسب أن كل كلمة كثر استعمالها صارت وضيعة . وكل كلمة قل استعمالها صارت شريفة ! وهذا يؤدي إلى ضيق الذوق ، وفوضى الآراء في الأدب . قرأ أحد الأدباء قول الشريف :

إن غدا مجدوعة أشرافه فالبنى وافية والمجد عالي

فقال : المجد عالي ، عبارة وضيعة من عبارات الفقهاء كثير استعمالها . ولو أردنا أن نحذف من شعر الشاعر ، سواء كان الشريف الرضى أو امرأ القيس ، العبارات الكثيرة الاستعمال ، لحذفنا أكثر شعره !

إذا فامتهان الكلمة أو العبارة لكثرة استعمالها رأى غير رجيح . فإننا نجد أجل الشعر كانت عباراته كثيراً استعمالها . أفتريد أن نحذف ونمتن كل ما كان من نوع قول المتنبي :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

أو قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

أو قول أبي العلاء :

خفف الوطأ ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد

أو قول ابن زريق :

لا تعذليه فإن العذل يولعه .. إلى آخر القصيدة .

أو غزل جميل ، وكثير ، وابن الدمينه ، وغيرهم ..

هل يرى القارئ في أسلوب ما ذكرنا شيئاً غريباً ؟ كلا ، ولكنه بالرغم من ذلك أجل وأفخم وأروع الأساليب . فإذا قولهم الروعة في الغريب هراء المتكلفين الوزانين ، الذين يسرقون معانيهم . وجعلهم حسن الديباجة في الغريب مغالطة تكذبها كل دواوين أشعار العرب . فإن الشاعر الكبير يأتي بالأسلوب رائعاً جليلاً من غير تكلف للغريب . أما المبتدئ فهو الذي يتكلف الغريب ، كي يخفى به ركاكة عبارته . وكذلك الوزان يتكلف الغريب ، كي يخفى به جمود طبيعة وقلة معانيه . وقد سمع أحد الأدباء قول مصطفى المنفلوطي في وصف العامل : «كأنه الآلة في العمل» : وهذا وصف بديع لبؤس الصانع . فقال : الآلة من الكلمات الوضيعة ؛ لأنها تبعث الذكر الوضيعة ! ولو أخذنا برأى أمثال هذا لقضينا العمر في مجادلات لفظية ليس تحتها طائل ، فإن الغرابة لا تستعصى على أحد . وإنما الصعوبة في الجمع بين المتانة والسهولة . وليس لشاعر بد من استعمال الكلمات المستعملة ؛ إذ أن ثلاثة أرباع اللغة من هذا القبيل .

وقد تكون العبارة الملأى بالكلمات الغريبة أخس أسلوباً وديباجة ، وأقل متانة من العبارة السهلة ، التي ليس بها غير المألوف من الكلمات . فينبغي للشاعر المبتدئ أن يتطلب المتانة ، وأن لا يخلط بينها وبين الغرابة ؛ كي لا تضله الغرابة عن المتانة فيقنع بها . انظر مثلاً إلى قول المتنبي :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهنتي لم تزدني بها علما

هذا أسلوب فخم جزل ، رائع متين . ولكن ليس به غريب . ومن عجيب أدبائنا أن بعضهم إذا قرأت شعره لا تجد فيه شيئاً غريباً ، ولكنه يأتي أحياناً في بعض شعره بكلمات قليلة غريبة بعض الغرابة كي تجيز له ادعاء الغرابة . كأن الغرابة تستعصى على أقل الناس ذهنأ واطلاعأ ! فإن الجزالة والمتانة تتطلب من الاطلاع أكثر مما يتطلبه

استعمال الغريب ؛ لأن المتانة تستلزم درس أداب كل العصور التي مرت على اللغة العربية حتى يكون نوق الشاعر واسعاً صحيحاً . ولو فرضنا أن في الكلمات ، الوضعية والشريقة ، كان للكلمة الوضعية منزلتها من الشعر مثل الكلمة الشريفة . وإنما العيب في استعمال الكلمات في غير مواضعها . فينبغي للشاعر أن يتعرف أية كلماته تعبر عن المعنى أو العاطفة التي يريد وصفها أتم تعبير . فالكلمة قد تكون شريفة أو وضعية حسب الاستعمال . فشرف الكلمة في دلالتها على المعنى ، وفي وقوعها موقعها الخاص بها من الشعر ، لا في غرابتها . فلو كانت الكلمات وضعية تلوكها الألسن فيزرى بها ذلك ، لأزرى باللغة العربية أن لاكتها الألسن هذه العصور الطويلة . فضعة الكلمة إذا هي غطت على المعنى والعاطفة وزادتهما غموضاً ، وأفسدت نغمة الشعر وروحه وخفة طبعه ، وموهت غثاثة المعنى والعاطفة ، وأخفت ضعف الشاعر وعجزه .

والذى يجنى على بعض شعرائنا تعصبهم لشاعر دون شاعر أو لعصر دون عصر . فى حين ينبغى تطلب صحة النوق التى أساسها سعة الاطلاع . فإن الشاعر ينبغى أن يتميز الأساليب كما يتميز الخمر المعتقة ، ويطرشفها كما يطرشف الكؤوس ، ولكنه يلتذ منها جمالها لا غريبتها . فإن الأساليب الصحيحة مهما تبينت فى غرابتها وسهولتها ، من قماش واحد وذات لون واحد ، هذه حقيقة يعرفها الطبع ، وإن كان ينكرها التصنع .

والاطلاع شراب روح الشاعر . وفيه ما يوقظ ملكاته ويحركها ، ويلقح ذهنه . ونفس الشاعر ينبوع ، والاطلاع هو الآلة التى يرفع بها ماء ذلك ينبوع إلى الأماكن العالية . والشاعر فى حاجة إلى محركات وبواعث . والاطلاع فيه كثير من هذه المحركات والبواعث . والأديب الذى لا يغرم بالاطلاع كالماء الأجن العطن ، الذى لا يحركه محرك . وإنما عمل الشاعر فيما يطلع به عمل النحل فى قول أبى العلاء المعرى :

والنحل يجنى المر من نور الربى فيصير شهداً فى طريق رضابه

فالعالم الماهر يخرج من الجيد جيداً ، ولكن العبقرى يخرج أيضاً من الردىء جيداً . ولكن بعض القراء يقىء على صحيفته ما قد قرأه بدل أن يخرج من أزهار ما قرأ شهداً . وهذا هو الفرق بين العبقرى وغيره من الناس . نعم إن المطلع بأدب لغة من اللغات ، لا بد

أن يجتنى بعض ما يقرأ من المعانى والخيالات من غير أن يشعر . وإنك إذا أدمنت قراءة المتنبي مثلاً علقت بذهنك بعض معانيه . وأما المعيب فهو أن يأخذ الشاعر المعنى عمداً . أما إثبات العمد فليس من الصعوبة بمكان ؛ فمن مظاهر تعمد السرقة دقة النقل والأخذ لا المشابهة والتوليد . فإن المشابهة والتوليد لاتعد سرقة . ومنها تسلسل المعانى كما فى الأصل . وكثرة المتشابه وعجز الشاعر عن الابتداع والتوليد .

وشعراء العرب لم يكونوا جهالاً بآداب غيرهم وعلومهم وحضارتهم . فليس كل التربية مدرسية . انظر إلى زهير بن أبى سلمى وحكمه ، وانظر إلى امرئ القيس وعلاقته بالحضارة البيزنطية ، وعدى بن زيد وتفكيره وعلاقته بالحضارة الفارسية . وانظر إلى رواج العلوم فى أيام الدولة العباسية ، وتأثر أبى العتاهية وابن الرومى والمتنبي والشريف الرضى وأبى العلاء المعرى بهذه العلوم . فإن هذا التأثر واضح فى أشعارهم كل الوضوح ، وإنما فسدت آداب العربية حين ساد الجهل فى الممالك العربية فى العصور الأخيرة . فإن سنة التقدم تقتضى الاطلاع بما يستحدث فى الآداب والعلوم . وكلما كان الشاعر أبعد مرمى وأسمى روحاً ، كان أغزر اطلاعاً ؛ فلا يقصر همته على درس شىء قليل من شعر أمة من الأمم . فإن الشاعر يحاول أن يعبر عن العقل البشرى والنفس البشرية ، وأن يكون خلاصة زمنه . وأن يكون شعره تاريخاً للنفوس ، ومظهر ما بلغت النفوس فى عصره . وما عجبت من شىء عجيب من القوم الذين يريدون أن يجعلوا حداً فاصلاً بين آداب الغرب وآداب العرب ؛ زاعمين أن هناك خيالا غريباً وخيالا عربياً .

نعم ، إن كل لغة لها خصائص وذوق . ولكن بالرغم من ذلك نجد الخيال الجليل والمعنى الرائع المصيب محموداً حيث كان . إذ أنه ليس رهناً بخصائص اللغات ؛ وإنما مرجعه العقل البشرى والنفس الإنسانية . إنما المغالطات المنطقية والتشبيهات المتوهمة رهينة بخصائص اللغات . وتختلف فى كل حسب ذوق الجماهير فيها . وإذا قرأ الشاعر العربى آداب الأمم الأخرى أكسبته قراءتها جدة فى معانيه ، وفتحت له أبواب التوليد . فإن الشاعر الكبير ، كى يعبر عما فى نفسه من العبقرية تمام التعبير حتى لا يبقى بعضها مكتوماً مجهولاً ، لابد أن يجدد ذهنه دائماً بالاطلاع . وأن يحرك به نفسه ، وأن ينوع من ذلك الاطلاع . فإن شره الإحساس والتفكير هو ميزة العبقرى . فإن مذاهب القول التى

تستلزمها حياتنا تقتضى درس آداب العناصر الأخرى التى عمرت العالم ، وأنشأت لها حضارة وعلومًا وفنونًا . فإن درسها يوسع عقولنا ، ويجدد آمالنا وقوانا ، ويهيىء وحى ذكائنا ويعلى خيالنا ، ولكن ينبغى أن لا نكون ناقلين ، بل ينبغى أن نكون مفكرين باحثين فيها . ومن دلائل هلاك الأمم نظرها دائما إلى حياة أجدادها واحتذاؤهم فيها احتذاء روح لا قوة فيه ، ولا نكاء ولا فطنة . ولقد بدأ الناس يتهمون نوى الاطلاع بالنقل والأخذ والسرقة . وهذا الاتهام شىء لاغربة فيه ؛ فإن دخول الآراء الجديدة والمذاهب والأغراض والمسالك الشعرية الحديثة ، واتخاذ الآداب شكلا غير شكلها المعهود ، يدعو إلى الظنة والاتهام .

ولكن مما زاد الطين بلة ، أن بعض الأدباء لا يرعى حرمة ، ولا يردعه ضميره عن السرقة الفظيعة . وأمثال هذه الأفعال قد بثت فى أذهان كثير من القراء أن كل شىء جليل معناه ، غريب موضوعه ، مسروق لا محالة . وروج هذا الرأى طلاب فوضى الآداب الذين يمرحون فى ظلامها مرح الخفافيش فى الظلام . وهؤلاء هم الغلمان المغرورون والجهلاء ، وأهل الحسد والحقد والكذب ، ومغلقو الأذهان ، ممن يكره كل جديد ، ويتهمه ، وشعراء المسلك القديم الذين ظهر عجزهم ونقص تعليمهم ، وفسدت معانيهم ، وجهال القراء الذين يزعمون أنهم من الخاصة . ولكنى أعتقد أن الشاعر العبقري الكبير يخرس هؤلاء حتى ولو بعد موته ، بكثرة مايجيد ، ويزيحهم من طريقه كما يزيع الخنفساد بنعله عن قارعة الطريق وهو يعلم أن عداهم له سنة طبيعية لا مناص منها ، كانت لها مظاهر فى كل عصر من عصور الآداب فى الأمم كلها . ولكن ، بالرغم من ذلك ، ينبغى للقراء أن يميزوا ما يقال . فإنه ليس السبيل لمعرفة السارق أن يتهم كل المطلعين من غير حق . فإن هذه الزحمة فرصة السارق . فيزاول مهنته فى خفاء وأمان . فالاتهام الذى أساسه سوء الظن والجهل والحسد والسفالة وقلة التبصر والكسل ، والذى ينأى بالمتهم عن البحث والتدقيق ، يؤدى إلى الفوضى التى هى فرصة ينتهزها اللص . ولو فرضنا أن أحد المتهمين (بالكسر) نظم قصيدة بديعة فأتهم أنه سارقها ، بئى شىء كان يحارب المتهم ؟ أبادعاء الجهل وقلة الاطلاع ؟ إنه قد يكون جاهلا ، ولكن الجهل لا يمنع من السرقة ، كما أن الاطلاع لا يمنع من الأمانة .

وقد لفتنى أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الشاعر المحتضر» اليابانية التى نشرت فى عكاظ ، واتضح لنا أنها مأخوذة من قصيدة أدونى للشاعر شلى الإنكليزى . كما لفتنى أديب آخر إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «قبر الشعر» ، وهى منقولة عن هينى الشاعر الألمانى . ولفتنى آخر إلى قصيدة المازنى «فتى فى سياق الموت» ، وهى للشاعر هود الإنكليزى . ولفتنى أيضاً أديب إلى قصيدة المازنى التى عنوانها «الراعى المعبود» ، وهى منقولة عن الشاعر لويل الأمريكى . وقصيدة المازنى التى عنوانها «الوردة الرسول» ، وهى للشاعر ولر الإنكليزى ، وأشياء أخرى ليس هذا مكان إظهارها . وقرأت له فى مجلة البيان مقالة «تناسخ الأرواح» وهى من أولها إلى آخرها من مجلة السبكتاتور لأدسون الكاتب الإنكليزى . ومن مقالاته فى ابن الرومى التى نشرت فى البيان ، قطع طويلة عن العظماء ، وهى مأخوذة من كتاب شكسبير والعظماء تأليف فكتور هيجو . ومن مقالات كارليل الأدبية ، وقد ذاعت هذه الأشياء . ولو كنت أعرف أن المازنى تعتمد أخذها ، لقلت إنه خان أصحابه بهذه الأعمال ، ولكنى لا أصدق تعتمد أخذها . ولو أنى رأيت عفريتاً لما عرانى من الحيرة والدهشة قدر ما عرانى لرؤية هذه الأشياء ! ولا أظن أنى أبرأ من دهشتى طول عمرى . وفى أقل من ذلك مبرر لمروجى الإشاعات والتهم . ولا أظن أن أحداً يجهل مدحى المازنى ، وإيثارى إياه ، وإهدائى الجزء الثانى من ديوانى إليه ، وصداقتى له . ولكن كل هذا لا يمنع من إظهار ما أظهرت ، ومعانيته فى عمله ؛ لأن الشاعر مأخوذ إلى الأبد بكل ما صنع فى ماضيه . حتى يداوى ما فعل ويرد كل شىء إلى أصله وليس الاطلاع قاصراً على رجل دون رجل حتى يأمل المرء ظهور هذه الأشياء . ولسنا فى قرية من قرى النمل حتى تخفى !

الصنع والكسب

قد حدثوا عن صانع حاذق يرى من الحسن الذى لا يرى كأنما ينظر فى عالم والحسن فى الصنعة طيرٌ بدأ يا راقى الصنع إلى منزلٍ يحسارُ لبُ المرءِ فى أمره الناسُ فى السهل يرون الذرى ويحمدون العقل فى جزره كلُّ امرئٍ يبغى هوى نفسه فاصنع له إن شئت ما يبتغى إن كان هذا الصنع قد صغته فالصنع وادِ أنت آجسرته ولا تشكُّ الدهر فى فعله ما حيرة المرءِ دليلاً على يا شاكياً من قومه جهلهم واستنزل الأرزاق من أفقيها فقد يحبُّ الصنع من حسنه

قد فاق كلُّ الناس فى صنعه سواء مما جلَّ من بدعيه يحسر طرف الناس عن علمه إن يرمه عن عزمه يُصممه^(١) يرتدُّ لحظ الناس عن سمته ويعجز الناعتُ عن نعمته كما يرون الأفق فى بعده ويكرهون العقل فى مدّه وإن أصاب القبح من نفسه تستهولب المرء فى حسه كيما تنال الخير من بيعه : للناس ما يخرج من ريعه قد حار كلُّ الناس فى فعله فساد هذا الكون فى عقله اعذر سواد الناس فى جهله^(٢) كالغيث يحيى الأرض من وبه وقد يحبُّ الصنع من كسبه

(١) أصمى السهم : أصاب الرمى (٢) سواد الناس : جمهورهم .

وقد يُرادُ الحقُّ من نفسه^(١) وقد يُرادُ الحقُّ من نفسه
قد عَنَفَتْه نفسه مرةً قد عَنَفَتْه نفسه مرةً
وعنكبوت من خمول به وعنكبوت من خمول به
فمَوْه الصنعَ وجارى الورى فمَوْه الصنعَ وجارى الورى
فسازدحم الناسُ على بابه فسازدحم الناسُ على بابه
باللو والليت رموا صنعه باللو والليت رموا صنعه
لكنه باتَ على لوعسةٍ لكنه باتَ على لوعسةٍ
أثرى فلم ينفعه إثراؤه أثرى فلم ينفعه إثراؤه
وعاد يبكى صنعه خائباً وعاد يبكى صنعه خائباً
وكان ذاك الصنع رباً له وكان ذاك الصنع رباً له
فنال ما قد نال من رزقه فنال ما قد نال من رزقه
وصار عبد الوقر فى خفضه وصار عبد الوقر فى خفضه
وخَفَضت من قدره نفسه وخَفَضت من قدره نفسه

نجى النجوم

رأيتُ عقوداً أم رأيتُ الداراريا رأيتُ عقوداً أم رأيتُ الداراريا
كأننى فى بحرٍ من الليل غارقٌ كأننى فى بحرٍ من الليل غارقٌ
أم الزهر منشوراً على الأفق زاهياً أم الزهر منشوراً على الأفق زاهياً
طفَّت فوقه زهُرُ النجوم لآلِيا طفَّت فوقه زهُرُ النجوم لآلِيا

(١) بعض المفكرين لا يريد منك أن تثبت أن الحق حق حتى تثبت أولاً أنه نافع .

(٢) التموية : إظهار الشيء مطلباً بطلاء غير حقيقة . (٣) لأن مدح الجاهل ذم للممدوح .

(٤) الوقر : الإثراء . والخفض : التعيم والترف .

وَإِنِّي إِذَا مَاطَارَ بِالنَّفْسِ طَيْرُهَا
أَبَيْتُ فَسْلاً أَدْرَى أَتِلْكَ أَزَاهِرَ
وَيَبْعَثُنْ نَحْوِي بِاللِّحَظِّ كَأَنَّمَا
فَغَضَى عَيُونُ اللَّيْلِ لِحْظاً بَعَثْتَهُ
أَذَاكَ بِرَيْقِ اللَّحْظِ لِحْظَ رَأْيِ الْأَذَى
وَلَا عَجَبُ أَنْ صَارَ لِحْظُكَ قَاسِيَا
أَمْ اقْتَدَحْتَ فِيكَ الْحَوَادِثُ رَحْمَةً
وَقَدْ كُنْتَ نَدْمَانِ الْحَزِينِ وَرَاحَةً
وَكَمْ كُنْتَ هَدِيًّا لِلرَّجَاءِ وَلِلْمُنَى
وَكَمْ عَشَقْتَ نَفْسِي النُّجُومَ لِأَنَّهَا
وَكَمْ كُنْتَ نَجْوَى عَاشِقٍ وَسَمِيرِهِ
وَكَمْ لَحْتَ لِي وَالدَّمْعُ فِي الْعَيْنِ حَائِرٌ
وَقَبَّةٌ رَمَسَ فِي السَّمَاءِ نَجُومَهَا
أَزَاهِرَ آمَالٍ مَضَتْ لَا يَعِيدُهَا
فِيَا مَنْ لَمِيتَ بِالْحَيَاةِ مُعَذَّبٌ
وَيَاتَاكِ مَلِكُ اللَّيْلِ تَهْنِئِكَ نَعْمَةً
كَأَنَّكَ فَرْدُوسٌ تَقْضِي نَعِيمَهُ
تَضِيءُ هُمُومًا فِي الضُّلُوعِ مَقِيمَةً

وَحَلَّقَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ خِيَالِيَا
مَفْتَحَةً أَمْ قَدْ رَأَيْتُ الدَّرَارِيَا
يَرْدُنَ لِيَعْرِفَنَّ الَّذِي فِي فِؤَادِيَا
فَإِنَّ بَرِيقَ اللَّحْظِ أَصْمَى جَنَانِيَا
وَعُودٌ حَتَّى صَارَ كَالصَّخْرِ قَاسِيَا
فَقَدَمًا رَأَيْتُ الشَّرَّ فِي النَّاسِ فَاشِيَا
فَعَاطِي حَنَانًا قَدْ أَصَبْتَ حَنَانِيَا
وَحِيدٌ فَسَلَّى خَائِبَ الْقَلْبِ عَانِيَا
إِذَا صَارَ عَيْشُ الْمَرْءِ كَاللَّيْلِ دَاجِيَا
إِذَا أَبْصَرَتْهَا الْعَيْنُ تَحْيَى الْأَمَانِيَا
إِذَا غَابَ صَبٌّ عَنْ حَبِيبٍ لِيَالِيَا
أُودِعَ آمَالِي وَأَنْدَبُ حَالِيَا
نَثَرْنَ عَلَى قَبْرِ الزَّهْوَرِ الزَّوَاهِيَا^(١)
بِكَاثِي وَهَلْ يُغْنِي لَدَيْهَا يَكَاثِيَا
وَمَنْ لِي بِمَيِّتٍ طَامِعٍ فِي حَيَاتِيَا
وَإِنْ كَانَ قَلْبِي عَاظِلَ الْعَرْشِ خَالِيَا^(٢)
وَخَلْفَ أَطْلَالٍ لَدَيْكَ بِوَالِيَا^(٣)
حَنَانِكَ خَلَّ الِهْمَ أَسْوَدَ خَافِيَا

(١) الرمس : القبر ؛ أي خيل له أن السماء رمس والنجوم حليتها من الأزهار .

(٢) تشبيهه النجوم بتاج الليل . (٣) أي كأن النجوم أطلال فردوس .

فإنى أدارى النفسَ عما تكنه
أبيتُ كأنَّ النفسَ ليلٌ وظلمةٌ
أفبك أناسٌ للشقاءِ حياتهم
لعلَّ حزيناً فيك يرثى لشقوتي
أبيتُ فلا أدرى لعيشي علةٌ
أسألك هذا النجمَ والنجمُ لا يعى
فيا عين ما لحظ النجومَ بنافعٍ
وما فى مريرِ الذكرِ أنسٌ ولذةٌ
أتلک نجوم كن أبصرنه معى
أم استحدثت بعدى السماءُ درارياً
أم العينُ غيرَ العينِ أم أنا حالماً
فما لحظها مثل اللحاظِ التى مضت
وتلحظنى لحظَ الغريبِ جليسه
كأننى لم أرعَ النجومَ بمقلةٍ
وقد كان يصبينى الهلالُ إذا بدا
وكم لى من نجوى لديها أسرها
ولم أعرفِ الأحبابَ حتى فقدتهم
وما كنتُ أدرى الحبُّ حتى بدت له

وأخشى بريقاً يترك الهمَّ ياديا
وضوؤك يفشى سرها فى الدجى ليا
فإن شقاءَ العيشِ أصمى حياتيا^(١)
وليس شقاءُ النَحسِ للنحسِ شافيا
فيا بؤسَ أيامى وطول ملاليا^(٢)
وماذا يقول النجمُ لو كان واعياً ؟
فيا ربِّ ذكرى هنَّ قد هجتها ليا
إذا كان من أهواه أصبح نائياً
وأبصرن مغبوطاً من العيشِ حاليا
سوى أنجم زنَّ السنين الخواليا
وهيهاتَ ليس النحسُ حلماً بدا ليا
إذ القلبُ لا يلقي على الحبِّ عاديا
كأننى ما كنت السميعَ المدانیا
بها كنت أرعى الحسنَ فينان زاهيا
ويرتاحُ قلبى أن سهيل رنا ليا
وأثأت قلبٍ تترك الليلَ شاديا
وأصبحتُ منبوذاً عن الناسِ ساليا
ليالٍ وأيامٌ تخال لياليا

(١) التساؤل عما إذا كان فى النجوم سكان أشقياء تعساء كما فى الأرض .

(٢) علة : أى سبب .

وودعت آمالي وودعت عزمتي ولذات عيشي والحبيب المصافيا
فهل تنضر الأفلاك كالزهر حقة وتذبل حتى يصبح الكون ذاويا ؟
وهيهات ! إن القلب أصبح ذاويا وأصبح نور الحسن في العين داجيا

سحر اللحاظ

أسرتنا منك بسحر حلال أم ذاك لحظ نافذ كالنبال ؟
أم تلك خمر من عصير النهى أم ذلك النجم البعيد المنال ^(١) ؟
يا هل لطرفي منك من نظرة فرب لحظ فيه رجع السؤال
يقول قلب قد رماه الهوى ياعين ما أقتل هذا النضال
يا عين رفقا بفؤاد عليل تكسرت فيه صدور النصال
قد عشق الحسن فلم يجده غير علالات حكاها الخيال ^(٢)
قد لج هذا القلب في خفقه باليته يجهل سحر الجمال
فالحسن في العين طير غرير والحب في الأحشاء داء عضال
آه على خيبة قلب طروب شقاؤه في الحب حال فحال
أعبتني يا قلب ، يا طائرا يحسب أن الحسن ماء زلال ^(٣)
يا طائرا بين ضلوعي ثوى يحلم بالغصن وبرد الظلال
هذا جناح منك أدميته على ضلوع نصبت كالخجال ^(٤)

(١) النهى : أى العقول . أى هل الذى يسحر فى اللحاظ ويسكر منها أنها مظهر من مظاهر العقل .

(٢) أجدى أى نفع (٣) تشبيه القلب بطائر يحاول أن يفلت من قفصه .

(٤) الخجال : الحجب .

هيّهات أن تُفلتَ من أسرها
وأنتِ ياعينُ عِداك الكرى
يا حسرةً ما مثلها حسرة
يا عين من أهوى رعاك الكرى
يا نجمة الآمال قد أشرقَت
عودى بلحظٍ صادقِ ضوؤه
يا طاقة أبصرُ منها النعيم
كأنّهما بابٌ إلى جنّةٍ
عودى بلحظٍ أحتسى خمرة
ولا يكن برقك لى خلباً
مهما تناءت بك عتّا الديار
فأنتِ أدنى من نجى الرجاء
فإنّ فى ذكراك برء العليل
فى لحظِ عينيك عقالُ الهوى
تطلّ فى العين معانى النفوسُ

يا قلبُ كم تبغى سرابَ المحال
شوقاً إلى طلعة ذاك الجمال^(١)
نهوى عيوناً لحظها كالتّصال
فليلتى منك ليلالٍ طوال
أبصرها فى الحلم مثل الذُّبال
يجلو دجى العيش وليل الخبال
فى جنّة الخلد وريف الظلال^(٢)
ليس بها من شقوةٍ أو ملال
فالكوثر العذبُ شهىّ المنال
أهكذا حظّى آل فلّال^(٣)
وطال من ذاك العشير احتمال^(٤)
وأنتِ أحلى من كئوس الثّمال
وربّ ذكرى مثل شوك السلال
نفوسنا فى أسر ذاك العقال
والنفسُ أسمى ما يحبُّ الرجال

قوة الفكر

أسرى من العقل إلى القلوب أكاد أن أعرفَ فى الوجيب^(٥)

(١) عداك أى جازك وتعداك .

(٢) تشبيه العين الجميلة بطاقة أو باب نبصر منه حسن النفوس الذى يشبه بالجنة .

(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى لا يعقبه غيث . (٤) احتمال : أى ارتحال .

(٥) الفكر يحس به المرء إحساساً شديداً فيصير عملاً .

أبتَ فيها الهممَ الصليبة
كالكهرباءِ فعلها يبين
لكنها عن العيونِ خافية
ألوى برب الفكر عن ذويه
طوراً وطوراً راحة وسلمما
وأرخص العزيز والكبيراً
أليحُ بالمطامع البعيدة
وربُّ غرٍّ كان عيلاً عمره
كان صغيراً فغداً عظيماً
رفعتَه عن لذةٍ وألم
مشهوراً بين الأنام معلماً
حملته مؤونة العظائم
الكونُ بردى والزمانُ دارى
والكونُ كالنَّشوانِ من كئوسى
آمالها من طربِ الخمار
كم حقةٍ قد اختمرت فيها
أقسوى على الأيام والدَّهور

وأنزَع العزيمة المغلوبة
يخبر أين سرها المصون
ساكنة طوراً وطوراً عادية
وأذهل العازم عن أخيه^(١)
أجبر عظماً وأهيض عظماً
حتى يصير هيناً حقيراً
وأهلكُ الجحافل العديدة^(٢)
زودته من خيرِه وشِرِه
كان يرى عيشَ النهى أليماً
فصار ناراً أضرمت فى علم^(٣)
مبغضاً طوراً وطوراً مكرماً
حتى استبان صابر ونادم^(٤)
أكتب فيها سيرَ الدرارى
ألا ترى تطرَّبَ النفسوس ؟
فلذة الحياة من عقارى
وكان كأسى قبلها كريها
كما صفت عتيقة الخمر

(١) نعم فكم فرقت المذاهب والآراء بين الأقارب
(٢) ألاح بالشئ : أظهره ، ولاح الشئ : ظهر .
(٣) العلم أى الجبل ، أى صار يهتدى به
(٤) استبان الشئ : ظهر ووضح ، واستبان أيضاً
بمعنى عرف .

والناسُ قد غرَّهُم خمودى
نبهتَهُم للحادث العظيم
فأشعل النيرانَ واللهيبا
طويتُ جيلاً ونشرتُ جيلاً
وكم رماني الجورُ في الأخدودِ
واستبشروا بمقتلى وهلكى
وأوسعوا من نالنى عذاباً
فصار لى فى قتله انتشار
وصار لى من دميه مسدود
الفكرُ عدوى ما لها من راقى
يذر ذرّاً البذر فى الرياح
سأغمسُ الأنام من ميساهى
إن الخطوب سنة التجدد
وأولُ الفكر الكبير خطب
وهو كطفلٍ قد بدا ضعيفاً
يوسعُ من جـالده عناداً
يا برما بالفكر يبغي خنقه
الفكرُ نورُ الله فى الوجود
يلبسُ برداً ثم ينضو برداً

وهم على غرتهم وقودى
كما تشبُّ النارُ فى الهشيم
وأشغلُ الأحمقَ واللبيبا
وكم بعثتُ فيهمُ رسولا
وقيدونى فوهت قيودى^(١)
وبينهم لو يفطنون ملكى
وقطعوا من لحمه عتقابا
يقام لى من قبره منار
يخط فى الدهر به السداد
وليس منها حاسفٌ وواقى
فيسعد النفسَ باللقاح
فلا ترع أن صلت بالدواهى
فلا ترع من سهمها المسدد
ثم يظلُّ خـيسره يرب
ثم اغتدى مجالداً عنيفاً
مضرباً من عزمه جهادا
أأنت تدرى سره وخلقه؟^(٢)
فعمره كخلده المديد
إن لكل زى منه حسدا

(١) الأخدود : الحفرة (٢) البرم : المتأنف من الشيء الضجر منه .

فهو كثيرُ اللونِ كالحريرِ وهو كثيرُ اللونِ كالضياءِ
إن حققوا بالفعلِ منه جانباً أجدُّ من أعماقه مطالباً
فكن كسيفٍ في يديه ماضٍ فهو علينا حاكمٌ وقاضٍ !

الذكر

قد يفعلُ الذكرُ بالنفوسِ ما تفعلُ الخمرُ بالرؤوسِ
يعيد لي الذكرُ ما تقضى من الهوى مُترَع الكئوسِ
فيقدح الشوقِ في فؤادي كالنَّارِ في عودِها اليسيسِ
فإنَّ ذكراكِ في فؤادي كالنَّارِ في معبدِ الجوسِ
راحةُ عيشي ونومُ عيني خُصّاً لقربانها النفيسِ^(١)
والحسنُ كالنَّارِ في ضياءِ والحبُّ من جمره القبيسِ^(٢)
فالذكرُ رمزٌ إلى حبيبِ والنارُ رمزٌ إلى الشموسِ
أصغى إلى الذكرِ في فؤادي وأحسبُ الذكرَ كالهسيسِ^(٣)
كأنما شدوه خيرير أو نعمة المطرب الأنيسِ
كأنما شدوه أتيَّ قد غمر اليأسُ بالطموسِ^(٤)
كأنه الريحُ حين هبَّتْ بالروضة الغضة الميوسِ
والذكرُ كالريحِ في شذاها وعطره نشوة النفسوسِ
كم قُرب الصبِّ من حبيبِ حتى يُرى داني الحسيسِ

(١) القربان : ما يتقرب به إلى المعبود في المعبد من الهدايا . (٢) القبيس : المقتبس .

(٣) الهسيس : من الأصوات الخافتة . (٤) الآتى : السيل الشديد .

فَيَنْشَقُّ الْعَطَرُ مِنْ حَبِيبٍ يَكَادُ يَنْقَادُ لِلْمُوسَى
 حَتَّى كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَعِيداً وَلَمْ يَكُنْ طَعْمَةً الرَّمُوسِ
 كَأَنَّهُ سَاحِرٌ قَدِيرٌ يَدُوفُ مِنْ نَعْمَةٍ وَبُوسِ
 يُلَيِّحُ لِلْعَيْنِ مَا تَقْضِي كَأَنَّهُ خُطٌّ فِي الطَّرُوسِ^(١)
 يَمْزُقُ السِّتْرَ عَنْ خَفِيٍّ وَيَصْدَعُ الْقَيْدَ عَنْ حَبِيسِ
 وَيُرْجِعُ الدَّهْرَ عَنْ فَرِيسِ وَالنَّاسُ لِلدَّهْرِ كَالْفَرِيسِ !

المجرم

يَرَى النَّاسُ أَنَّ النَّوْمَ أَمٌّ رَحِيمَةٌ وَلَكِنَّ نَوْمَ الْجَارِمِينَ عِقَابٌ^(٢)
 يَسْلُ عَلَى الْحُلُمِ أَسْيَافُ نَقْمَةٍ فَأَحْلَامُ نَوْمِي كَالْجَحِيمِ عَذَابُ
 وَكَمْ هَدُّ مِنْ عِزِّ صَلِيبٍ عَذَابُهَا وَشَيْبٌ وَرَأَدُ الذَّنُوبِ فَشَابُوا^(٣)
 فَيَا بَلَسَمَ الْأَحْزَانِ أَصْبَحْتَ عَوْنُهَا عَلَى قَبْطُلٍ مَا وَعَدْتَ كِذَابُ
 أَمَا يَهْرَبُ الْمَسْكِينُ فَيْكُ مِنَ الْأَذَى فَيَسْكُرُهُ مِمَّا تَدُوفُ شَرَابُ
 شَرَابٌ مِنَ النِّسْيَانِ يَحُلُو لَذَائِقَ لَهُ مِنْ وَمِيضِ النِّيَّاتِ حَبَابُ^(٤)
 يَبِيتُ فَلَا وَقَعَ الصُّرُوفُ بِكَارِثِ وَلَا تَزْدَهِيهِ عِزْمَةٌ وَطَلَابُ
 وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا نَوْمَةٌ رَاعَ حُلْمُهَا وَوَقَعَ سَوْالٍ مَا عَلَيْهِ جَوَابُ
 وَغَيْرَنِي عَمَّا عَهَدْتَ جَرَائِرِي فَلَيْسَ إِلَى الْحَالِ الْقَدِيمِ إِيَابُ

(١) أَلَا شَيْءٌ : جَعَلَهُ لَانْحَاً وَاضِحاً . (٢) الْجَارِمُونَ : أَيْ الْمَجْرِمُونَ .

(٣) أَيْ أَنَّ النَّوْمَ نَوَاءُ الْأَحْزَانِ ، وَلَكِنَّهُ يَعِينُهَا بِأَحْلَامِهِ عَلَى الْمَجْرَمِ .

(٤) أَيْ يَنْسِيهِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النُّجُومَ الَّتِي يَرَاهَا عِنْدَ نَوْمِهِ وَيَقْطَعُهَا .

فلا تحسبن الشرَّ يُمحي بتوبةٍ
كذلك فعلُ الطُّبِّ يشفى دواؤه
ولكنَّ بعضَ الضعفِ فى المرءِ كامنٌ
وروعٌ عنى الوزرُ كلَّ محبِّبٍ
وقد غاب بشرُ الناسِ عنى وأنسهم
ألوح فيبدو الخوفُ فى وجه مبصرى
أو أن دماءَ الهالكين جعلتها
ويسكت عنى الناسُ سكتةً مبالغٍ
ولا أنس إلا أن يكون مخافهً
فبينى وبين الخوفِ ودُّ وألفة
ويلحظنى المغرورُ لحظةً جاهلٍ
رجوتُ من الإجمامِ نفعاً وإنما
ولو لم يجد فى الخيرِ نفعاً لعافه
وإنَّ رواءَ الطُّهرِ حيلةٌ ماكرٍ
وإن يلق ما لا قيتُ أصبحَ خيرُهُ
يواقع كلُّ الناسِ بالفكرِ شرهم
وكم حدثت بالشرِّ ذا الخيرِ نفسه
ولكنه فى النفسِ إثر يشوبها
ظمئنا فخلنا الشرَّ فى العيشِ منهلاً

(١) الإهاب : الأديم .

وإن غفرَ الجرمَ العظيم متتابٌ
فيحمد من مرأى السقامِ ذهابٌ
وإن حسنت حالٌ وراقَ إهاب^(١)
فقد بان أحبابٌ وفاتَ شبابٌ
كأننى على ضوءِ النهارِ سحابٌ
كأننى سيفٌ والرقابُ قرابٌ
على راحتى مما سفكتُ خضابٌ
فما لى لديهم إن دعوتُ جوابٌ
على أنهم مما يخافُ غضابٌ
وبينى وبين العالمين حجابٌ
يسرُّ بما أرمى به وأعابٌ
هواه من الفعلِ الحميدِ ثوابٌ
وأصبح يُخشى شره ويُهَابٌ
يُصيب بها من عيشه ويُثَابٌ
ضئلاً وقال القائلون وعابوا
وقد عابنى أنى جرؤت وهابوا
وذاك حديثٌ ما عليه عقابٌ
وكلُّ ضميرٍ بالمعيبِ يشابٌ
ولكنَّ وردَ الجارمين سراب !

ليلة الحسن (١)

أحيا اللواعجَ ماضٍ من أمانينا
وكان عهدُ الهوى يا حُسن يُضحكننا
ما لى وللمحسنِ لا أمرى بمقتبَلِ
ما العيشُ إلا ليالٍ فى الهوى سلفت
فى ذكرها نفحاتُ الحبِّ عاطرة
إن تنسَ لا أنسَ ليلاتٍ لنا سلفت
يا مَنْ رأى حلماً بالحسنِ مرتدياً
يرنو إلينا فلا وهمٌ ولا خُدع
حسن تائق فيه خالقٌ لبق
كأنه صاغكم كيما يحبكم
كأنه صاغكم من عسجدٍ بهج
فجاء حسنك رى النفسِ ماظمئت
هل صاغَ من ورقِ الأزهارِ حسنكم
أم من قطوفِ جنى الفردوسِ صاغكم
نرى الثمارَ كأنَّ الشَّهْدَ فى فمنا
وفيكِ فاكهةُ الأبصارِ يانعةٌ
هل أنتَ من فلتاتِ الخلقِ معجزةٌ
فعاود القلبَ عهداً كان مدفونا
فصار عهدُ الهوى يا حُسن يُبكينا
ولستُ بالعيشِ واللذاتِ مفتونا
واها لها حسناتٍ لا تواتينا
تهفو علينا فتصبيننا وتحيينا
إذ أنتَ حلمٌ لذيدٍ فى ليالينا
نسعى إليه ويسعى فى مساعينا
وإن يمسَ فلا تخطيه أيدينا
راضَ الفنونَ فلبَّسته أفانينا
يا فتنةَ الحسنِ قد جار الهوى فينا
ومرمرٍ ناصعٍ باللونِ يسبيننا
فالعيشُ يظمئنا والحسنُ يروينا
فكنتَ فى جنةٍ ورداً ونسرينا
إن القطوفِ إلى الفردوسِ تشهينا
وأنَّ رؤيتكم كالشَّهْدِ تشفينا
يكاد يأكلها لحظُ المحبينِ
تعى ذوى الفنِ خير الحسنِ يعيينا

(١) يتخيل الشاعر فى هذه القصيدة أن صفة الحسن مجسمة كالأفراد .

ياصورة صاغها ذو الصنع متعداً
وبثَّ فيها معاني الخلدِ أجمعها
تسمو إليك نفوس الناسِ كلهمُ
ففيك من كلِّ نفسٍ خيرٌ ماضمت
تدعو النفوسَ فتأتى غيرَ كارهةٍ
يا حُسنُ كيف سرت بي نشوةً لعبت
في بعضٍ سكرِ الهوى عن بعضه عوضُ
يا حُسنُ من لى بسحرٍ مثلِ سحرِكُم
يا حُسنُ من لى بسحرٍ أتقيك به
يا حسن هل أنت ناسٍ ليلةً سلفت
خمرُ الغرامِ وخمرُ الحسنِ تُسكرنا
كأننا نغمةً في الليلِ سارية
كأننا نغمةً بالنفسِ آخذة
ورقٌ فيه أديمُ البدرِ مؤتلقاً
قد باتَ يلحظنا ريباً ونلحظه
وبتُ ألحظكم طوراً وألحظه
أبديت أحسن منه صفحةً وسنا
وصار يصقلُ وجهاً منه ذا كلفٍ
وصار يغمرنا باللحظ في مهلٍ

ودمية بثَّ فيها الحسنَ واللينا
فصار حسُنك بالأرواحِ مقرونا
حتى يبيت تقى النفسِ مفتونا
أنت الحبيبُ إلى كلِّ المحبينَا
فأنت كعبه أرواحِ الملبينَا
بالقلبِ منى قد داويتها حينَا
كالخمرِ تصرعنا حيناً وتحينَا
سحر العيونِ الذي قد باتَ يبلينا
فالحسنُ يسحرنا والسحرُ يرقينا
طاف الغرامُ بها يا حسن يسقينا
وخمرة الكرمِ تروينا وتصبينَا
تهفو وللليلِ أذنٌ فيه تبغينا
فإنما الحبُّ ضربٌ من تغنينا
حتى كأنَّ سناه من تصافينا
حتى كأنَّ ضياءَ البدرِ واشينا
وفوق وجهك ضوءُ الحسنِ يشجينا
فغمارٌ حتى لكاد البدرُ يأتينا
وفتر اللحظ ، لحظ الحسنِ يسبينَا
فعل الحسانِ بسهمِ اللحظِ تصمينَا^(١)

(١) أي أن البدر غار منك فصار يتحجب إلينا كي يشغلنا عتك . وأصمى : أصاب المقتل .

هيهات يا بدرُ إنَّ الحسنَ أجمعه
يا حُسْنُ لا تحسبنَ البدرَ يشغلنا
لم أنسَ قولي له يوماً أمازحهُ
مذ أُلِّفَ جيلٍ مضتَ قد كنتَ أعرفكم
لا تُخفِ عَنَّا الذى ندرى فإنَّ لكم
فأنتَ أنتَ إلهُ الحسنِ كم سجدتُ
جاذبته كفه كى لا يفارقنى
وقوله لى فى دلٍّ ومعتبةٍ
فصف لنا ليلنا شعراً تقلَّ عجباً
هذا قليلٌ مقالٍ أنتَ باعشه

يسعى لدينا فنبغيه ويبغينا
يا حُسْنُ لولاك ما ابيضَّت ليالينا
كيما أضاحك ثغراً منه يلهينا
ولم أدنِ غيرَ حُبِّ حُسْنكم دينا
سيما تعزَّ وأوصافاً أفانينا
لك النفوسُ ولَبَّاك المحبونا
فمنهلُ العيشِ حلواً فى تدانينا
أظمأتنا من قريضٍ منك يروينا
فإنما الشعرُ إلهامٌ يناجينا
إن شئتَ زدتك منه لو تواتينا !

البطل المنتظر

عليهم بأسرارِ القلوبِ خبيرُ
فيحكمها حكمَ المطربِ عوده
وقد كان سرّاً فى الطبيعة كامناً
وهل مخبر عن نابغٍ كيف خلقه
تمر دهورٌ والحياةُ كساجنٍ
إلى أن يحلَّ الغيثُ حبة مائه

تناجيه منّا أنفسٌ وضميرُ
أمينٌ على وحيِ النفوسِ أميرُ
فقد حانَ من ذاك الكمينِ ظهورُ
فذلك سرٌّ فى الوجودِ ستمير
أمرٌ وقدماً كان وهو طهور
فيترع منه جدولٌ وغدير^(١)

(١) حبة : أى عطاء من حبا يحبوا أى أعطى . ويترع : يملأ .

كذلك حالُ الناسِ فالناسُ آجنٌ
وبارقة تجلو الظلامَ وصساعق
فيضطرمُ القلبُ الذي كان خامداً
لذاك يُرجى بينهم كلَّ حقيقةٍ
ليصبح عزمُ الناسِ وهنا بعزمه
وقد كان مزجُ النفسِ بالنفسِ باعثاً
كأنْ نفوسَ الناسِ طيرٌ تشردت
فيا ساكناً في الغيب هل أنت مسعد
فإن نفوسَ الناسِ قد مات جدّها
وصارت حياةُ القومِ مزحةً عابثٍ

مسريرٌ ، ومساءُ النابغين تمير
يشبُّ لهيباً ، والأنام قشور
ويصبحُ روضُ النفسِ وهو نضير
يشيرُ لمن يبغى العلى ونذير^(١)
فيحمد منهم أسرٌ وأسير^(٢)
يجدُّ بها نحو العلى ويسير
وللطيرِ من نفسِ العظيم وكور
أما آن من خلف الغيوب سفور ؟
وليس لها إلا لديك نشور !
وقولك طبٌ للنفوسِ قدير !

خميلة الحب

تمهل رعساك الله أقض لبانتى
فإني تعلمتُ الهوى في ظلالها
تمهل خليلي في رباها فعندها
نظرتُ إلى زهرين ، زهر نباتها
هنا قد عرفتُ العيشَ جمّاً ضياؤه
هنا نالني سحرُ الهوى في نسيمها

وأتلُ على تلك الرياض تحيتى
وفيهما رأيتُ الحسنَ أول رؤيةٍ
نظرتُ فلم أملك على الحبِ نظرتى
وزهرة حسنٍ ناضرٍ أى زهرة
وقد كان قدماً في سوادِ الدجنة
هناك كان بدءُ الحبِ قدماً ونشوتى

(١) الناس عندما يشعرون بحاجة إلى مصلح كانوا من قديم الزمان ينتظرون ظهور نبي أو مهدي أو شاعر أو حكيم .
(٢) الذي عزمه غالب يكون بمنزلة الأسر ... إلخ .

هنا مهدُ آمالي ، هنا حلم يقظتي ،
هنا قد جرعت الحب حتى كأنني
هنا زادَ هذا القلبُ خفقاً كأنه
وكم ليَ فيها من أمانٍ لذيدة
وناجيتُ فيها كلَّ غصنٍ لعله
وساءلتُ فيها الطيرَ هل مرَّ صنوه
وناجيتُ فيها كلَّ شادٍ وأعجمٍ
وهل تنفعُ النجوى وقلبك صخرة
نعم يسمع النجوى الذي طاب روحه
وتدني أليفاً من أليفٍ موافقٍ
فيا دعوةً بالروضِ لم تلق سامعاً
إلام يُحبُّ القلبُ من لا يحبه
لعلك يوماً بعد شحطٍ من الصبا
تري في قريضي ما مضى من نضارةٍ
فإن قريضي جنةُ الخلدِ حسنه
فلا تنسَ حبي عندها ولواعجى
أيرضيك شعري فيك أنك وحيه
فمرني أن أهواك أزدد محبة
فإن نعيماً أن أبثك لوعتي
وإن نعيماً أن تراني باكياً

هنا سكرت نفسي غراماً وجنتِ
جرعتُ به من خمرةِ أي خمرةٍ
جناحُ قطاةٍ في الضلوعِ أجنتِ
وكم ليَ فيها من لقاءٍ ونظرةٍ
رأى خطرةً من شبهةٍ أي خطرةٍ
فغنني مغنى الطير في كل أيكَةٍ
وأنت بعيدٌ لست تحنو للقيتي
ألا خابت النجوى لدى كل صخرة
فتعدى على بعدٍ يروع وغيبة
كأن لم يرع قلبيهما شحطُ غربة
ويادعوة بالليل ، يا طول دعوتي!
وحتى متى يحنو على غير منصت ؟
وبعد مضى من جمالٍ ونضرة
لوجهك إن الحسنَ يجلى بذكره
وحسبك فيه خالدٌ غير مفلت
وهل نافعى حبي هناك ولوعتي ؟
وأنتك سحري يا حبيبُ ورقيتي ؟
وإن كنتُ قد أحببتُ كل محبة
فتضحك جذلاًنا بيثي وعبرتي
فتمسح أجفاني وتوقف دمعتي

فيا ليت شعري هل يروقك أننى
فإن تكن الأخرى فإنى مُهلك
فإن هلاك الحب حب لكاره
فيا ليت لى من صخر قلبك آلة
يئن أنين العود من شجو ضارب
فيا صبوة القلب العفيف وهمه
بك العيش حلو والحياة شهية
وأنهل فيه من رحيق وسلسل
وأنت جنان أنبت الحسن زهرها
وأنت ربيع ليس يخشى انقضاؤه

أحبك أم تقرى الهوى كل بغضة
من اجلك حبي يا حبيب ومهجتى
فإن تمقت النفس المشوقة أمقت
فأتلو عليها نغمة أى نغمة
فيسعد قلبى فى حنين وأنة
أعيدك من صد يروع وجفوة
فأقطف من أثمار عيش جنية
وأبصر فيه جنة أى جنة
وأنهلها من كوثر فتروث
فأين ربيع القلب ، ياطول حسرتى ؟!

علالة العيش

أيا طالبا من عيشه ما يوده
سفاه سؤال المرء لو قدرت له
ولو شاءت الأقدار لم يشك خطبها
وهل يحمد الأقدار من كل عيشه
فلا تحزن من ضجة العيش ، إنها
لعلك بعد الموت تبغى ضجيجها
ستسكن بعد الموت حتى تملة
وإن ضياء العيش يزهر رواؤه

أحق وملك يستغنى ويرام
خطوب فما يجدى لديه ملام
ولكن أطماع النفوس قوام
أمانى تدعو للكمال عظام ؟
سيخرسها مما يتأخ حمام
وهيهات لا يصبى الرميم مرام
وليس بمن تطوى المنون سأم
لأن حياطه بين الأنام ظلام

ظلامٌ من الأحداث والخطب والردى
 وما العيشُ إلا خمرة أنا شاربٌ
 وهل يفرق النشوانُ من صرف دهره
 ومالى لا أرضى وفى الخوفِ لذةٌ
 مغالبةُ الأخطار سكرٌ ولذةٌ
 وقد لا يزيل الهمُّ إلا تعتب
 وإن صروف الدهر تأسر جراحها
 ومن رحمة الأقدار كُرَّ خطوبها
 فسر فى غمار العيشِ تعتد خطوبه
 ولا تحسبن الحزنَ تبقى قروحه
 كأنَّ وجيعَ الحزنِ حلمٌ إذا مضى
 وإن شقيتْ بالعيشِ نفسٌ كليله
 ولولا الأذى ما ذقتْ فى العيشِ لذةٌ
 ولا شرًّا إلا فيه للخيرِ مألَفٌ
 لقد وسعتنا الحادثات إراحة
 فمن ضلَّ فى خرقٍ من العيشِ لبَّه
 يبيت ضياءَ العيشِ فيه يشام^(١)
 فهل رأتعى أن الخطوبَ أمامُ
 ويشقيه من وقع الخطوبِ لمأم^(٢)
 وليس لأدواءِ الكلومِ دوامُ
 وإن شُبَّ منها فى الضلوعِ ضرام
 فلاتنك من ذاقوا الصروف فلاموا
 وتظمى فيروى بالأوام أوام^(٣)
 ومن عادة ضيمٍ فليس يضام^(٤)
 ويسهلُ بميدان الحياة مقام
 فليسَ لحزنٍ ما بقيت دوام
 وذكرى دموع البائسين غمام
 فللمرمد من لون المتنون جمام^(٥)
 فكلُّ نقيصٍ بالنقيضِ يُشام
 كما تألف الماء الطهورَ مدام
 لأنَّ قـادنا مما تريد زمـام
 هداه زمـامٌ جاذبٌ وخطام^(٦)

(١) يشام أى يرى . (٢) يفرق : يخاف . أى أن السكران لا يخاف ما يقع حوله ، وكذلك من سكر
 من خمرة الحياة لا يخشى مصائبها . (٣) يروى بالأوام أوام أى أن طول الصبر على الظم يعلم الإنسان
 تحمله حتى كأن قد زال . (٤) أى أن الإحساس بالقيم هو الضيم . وذلك الإحساس يزيله ترادف
 ضيم الحوادث . (٥) جمام : راحة . (٦) الخرق : المهمة والقفز . أى أن فى انتفاء التخيير راحة .

وهوَن وقع الخطبِ أنا ذرائع الـ قضاةٍ فلا صون لديه يرام

لص أم أديب

أتسرقُ من شعري وتقذحُ في شعري
كمن يسرق الدهماء من تحت راكبٍ
وإنك كالزمارٍ أخرس أبكم
وإنك كالزمار ما لك منطقُ
فلا تحسبن الصبرَ في استكانة
خلقتك من لا شيء لو شئتُ لم تكن
ورمت غروراً كنتُ فيك نفثته
وهل يصلح الإنسانَ لو لم يصيبه
يظن غيبى جهله في سُبَّة
إذا ما غباءٍ فيه قصر عن شعري!

تزاوج النفوس

إن النفوسَ لأسراراً مخبأةً
وكلُّ روحٍ على الأيام منفرد
إن كان روحك لغزاً أنت باحثه
مجاهل النفس هل من كاشف قطنٍ
فكلُّ روحٍ عن الأدين مستترُ
إن النفوسَ لدى أسرارها جُزُرُ
فكيف تعرف نفساً دأبها الحذرُ^(٢)
لقد بعدتِ فلا ركب ولا سفر^(٣)

(١) سرقة الفرس من تحت راكبه من غير شعوره : يراد به أن مهارة اللص الموصوف معجزة .

(٢) أي إذا كنت لا تعرف نفسك فكيف تعرف نفوس الناس ودأبهم الحذر منك وإخفاء صفاتهم عنك .

(٣) المجاهل : الأراضي المجهولة .

مُجاهِلُ النفسِ هل من باحثٍ يَقْظُ
والحبُّ تَكْشِفُ بعضَ النفسِ هَبْتِه
كأنما النفسُ تبدو خلفَ كلِّته
للنفسِ بالنفسِ تَلْقِيحٌ يَطِيبُهَا
وفى النفوسِ دروعٌ للنفوسِ فلا
أهوتِ إلى النفسِ نفسٌ تبتغى سَكْنًا
يولّدُ الحبُّ نفسًا غيرَ ماضِمنا
وكلُّ قلبٍ يعيشُ الدهرَ منفردًا
واخبُّ كالنَّارِ زانَ النفسَ صِيقله
كم خائفٍ جاءه من حيث يدفعه
الخلدُ فى وحشةٍ كالموتِ نجنبه
لا يبتغى الخلدُ إلا والهوى سَكْنًا
ويبتغى المرءُ وردًا فى الهوى أبدًا
والنفسُ للنفسِ زوجٌ طاب عرسهما
من لى بنفسٍ أرى نفسى بها مزجت
والنفسُ فى عيشها شتى منافذها
والحبُّ فى الناسِ ذنبٌ لا اغتفار له
يشير فى النفسِ ما قد كان ذا سِنَّةٍ

طال التساؤل لا راوٍ ولا خبرُ
وأكثرُ النفسِ كنزُ صانهِ المدرُ
سحابةُ الصيفِ فيها البدرُ يستترُ^(١)
كما يلقحُ فى بستانهِ الشجرُ
ترقى إلى كيدِها الأقدارُ والغيرُ
حتى تطايرَ من حُبَّيهما الشرُّ^(٢)
فالرماقون بما قد عاجلوا كثروا
كالبيدِ والبيدُ لا ماءٌ ولا شجرُ
والحبُّ كالنَّارِ لا يُبقى ولا يذرُ^(٣)
خوفًا وكم حاذرٍ لم يجده الحذرُ
فكلُّ روحٍ إلى الأرواحِ مفسّقرُ
فالخلدُ لولا الهوى الزقومُ والصَّبْرُ
وقلبه جاهلٌ لم يدر ما الصَّدْرُ
ومهرُها الحبُّ لا يغلو لها المهرُ
كما تمازج فى وديانها الغُدْرُ
منها القلوبُ ومنها السمعُ والبصرُ
لكنه فى صميمِ النفسِ مغتفرُ
تبدو اللآلى ويبدو ماؤها العكْرُ^(٤)

(١) الكلة : ستار خفيف تحمل فيه النساء . (٢) السكن : الأليف الذى تسكن النفس إليه أى ترتاح .

(٣) الصيقل : الذى يصقل الشيء . (٤) السَّنة : النوم الخفيف .

والحبُّ كالنهرِ يغرى الروحَ رونقه
والنفسُ كالركبِ في الصحراءِ سيرتها
هذي العظامُ على الصحراءِ قد نخرت
وربُّ نفسين مثل اللجنتين إذا
أو مثل قطر الحيا قد ضمَّ شملهما
تسرَّبت أنفُسٌ في أنفُسٍ فمضت
ورب نفسين حال الدهر بينهما
كصخرةٍ هدد منها اليمُّ فانشطرت
وإنَّ أوجعَ ما تمنى النفوسُ به
وللنفوسِ مطافٌ بالنفوسِ كما
والدهرُ للنفسِ بحرٌ زاخرٌ أبداً
فما تألف منها فهو منتظمٌ

روح المحبِّ به عريانٍ منحسرٌ
تمضي الشجونُ ويبقى بعدها الأثرُ
والحبُّ آثاره الآمالُ والذكرُ
تهاوتا نحو شطِّ اليمِّ يُبتدر
ودُّ كما ضمَّ قطرَ المزنَةِ الزهر^(١)
آمالها أمل أوطارها وطر^(٢)
كما يدين لصدع اللجة الحجر
شطرين والنفسُ دون النفسِ تنشطر
صدعُ الزمانِ وسوءُ الظنِّ والضجر
تدورُ حول النجوم الأتجم الزهرُ
بحرُ النفوسِ ومنها العُشب والدُّور
وما تناكر منها فهو منتشر

عيش الأدباء

أخشى عليك مصارعَ الأدباءِ
لا بل وقيتَ من الصروفِ وغدرها
فالشعرُ ينفثُ في ذويه سمومه
لاتنحِتَنَّ من الفؤادِ قصيده
واجعل لنفسك ساعةً من لهوه

فالنحسُ رهنٌ معيشةِ الأدباءِ
ونعمتٌ في حرزٍ من الأرزاءِ
ويسعُرُ النيرانُ في الأحشاءِ
فالشعرُ يأكلُ جدةَ الأحياءِ
وارفق بنفسك إنَّه كالداءِ

(١) الحيا : المطر . (٢) التاء في مضت تعود على النفوس لا على الآمال .

والصيتُ وهمٌ في الحياة مخادعٌ
هيهات ما هجرَ القريضَ مطاوعاً
يتهافتون على المحاسن كلها
ذهبَ الخيالُ بحزمهم وحلومهم
يستخلص الألمُ الوجيعُ نضارهم
فإذا خبرتهم وجدتَ لديهم
لفتت درارى النجوم عيونهم
فُتنوا بلذات الحياة فعيشهم
ياويح من حسب الحياة ذخيرةُ
فمخيب محت العقارُ ذكاءه
وأخوهوى فتك الغرامُ بلبه
لا عزم يهدى فى المسالك خطوه
متواضعون فإن ألت ذلةُ
ويرون وحى الشعرِ فرضاً واجباً
وكأن فيه غذاءهم وشرابهم
بل ليت فى نشق الهواءِ غذاءهم
إن الذى حلّى الحياة بشعره
عرفوا الحياة نعيمها وشقاءها

مثل التماع الآلِ فى الصَّحراءِ^(١)
إلا امرو ما كان فى الشعراءِ
والنَّحلُ لصُّ الروضة الغناء
فحلومهم رهنٌ لدى العليا^(٢)
كالنَّارِ تذكى العودَ بالإصلاء
شيمَ الملوكِ وحالة الفقراءِ
فتعثروا بمعاول الغبراءِ
مهّدُ الردى وقرارةُ الأدواءِ
تنمو على الإسرافِ والإمضاءِ
من ذا يعين ذكاءه بذكاءِ
ورماه حيثُ تنازعُ الأهواءِ
كالذرِّ دان لعصفه الهوجاءِ^(٣)
ألفيتهم فى منزلِ الجوزاءِ
فرض يؤود وليه بأداء^(٤)
باليتهم لم يخلقوا لغذاءِ
وشرابهم من خمرة الأضواءِ
أحرى بحلى محاسن النعماءِ
فمضوا بكلِّ لذاةٍ وشقاءِ

(١) الآل : السراب .

(٢) الحلوم : العقول .

(٣) الريح الهوجاء : المجنونة .

(٤) يؤود : يثقل .

جرعوا الحياةَ وليس يسأر جارع
كم ماتَ منهم خاملٌ ذو شقوة
فاحذر مصارعهم ولا يكُ عيشهم
وإذا استطعتَ فداوِ نفسك وانتبذ
منهم فإن ماتوا فموتُ ظمَاءٍ^(١)
عيش الأديب وموتُه كالداء
عدوى تجيء بشقوةٍ وعناء
خلق الأديب وخلّة الأديباء

(١) يسأر : يبقى : والسؤر : بقية الشراب فى الكأس .

إلى المجهول^(١)

مقدمة :

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون . والشغف باستطلاعـه وكشفـه ، هو الذى أخرج الإنسان من المعيشة فى الكهوف ، ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة ، وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ؛ فأخذ يبحث تلك المظاهر .. وهو الذى أدى إلى كشف القارات والبحار ، وزاد علمه بالسماـء ، وعلمـه ركوب الهواء فى الطائرات ، حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك . وذلك الولوع بالمجهول هو الذى جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومنتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغالـيق الكون والحياة والطبيعة ، ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك ، فى أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون . والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتـها قوة واستعلاء . وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة ، عن أبناء الأمم المتأخرة التى لا تزال تعيش فى الكهوف أو الغابات ، أو فى المدن ، أو الأحياء المتهدمة القديمة الفقيرة ، المربوعة بالأسقام والأقذار ، المغلوبة على أمرها ، لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السعيدة المسيطرة على الحياة والناس ، هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم فى كشف مغالـيق المجهول من أمور الحياة . والأمة التى تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس ، ينبغى أن تهـيئ لأبنائها نوعاً

(١) أعاد الشاعر نشر هذه القصيدة بمجلة «الرسالة» فى عدد ٢ مايو سنة ١٩٢٨ وأضاف إليها

المقدمة .

من التربية والتعليم يبت في نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذي لا يبت هذه الصفة في النفوس ، فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم في حياة الخمول من المؤلف الذي أصبح كالمخدرات . وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة ، كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التي تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول في نفوس النشء ؛ لأن نفوس النشء تحب الاستطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها . وترى لذتها في ذلك قبل أن تعلمها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمأوف . ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية ، وأنها قوة طبيعية في الأمم القوية فحسب .. لا .. بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التي هي أساس الرقي العلمى والاجتماعى الصحيح ، وهذا الأسلوب من التربية ألزم في الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه .

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منك بحرٌ لستُ أعرفه ومَهْمَةٌ لستُ أدرى ما أقاصيه^(١)

(١) المهمة : القفر .

أَقْضَى حَيَاتِي بِنَفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُهَا
يَا لَيْتَ لِي نَظْرَةٌ فِي الْغَيْبِ تَسْعِدُنِي
أُخَالُ أَنِّي غَرِيبٌ وَهُوَ لِي وَطَنٌ
أَوَلَيْتَ لِي خُطْوَةٌ تَدْحُو مَجَاهِلَهُ
كَأَنَّ رُوحِي عُودٌ أَنْتَ تَحْكُمُهُ
وَالرُّوحُ كَالْكُونِ لَا تَبْدُو أَسَافِلُهُ
وَأَكْبَسُ الظَّنَّ أَنِّي هَالِكٌ أَبَدًا
مِنْ حَسْرَةٍ وَإِبَاءٍ لَسْتُ أَمْلِكُهُ
وَأَنْتَ فِي الْكُونِ مِنْ قَاصٍ وَمُقْتَرَبٍ
كَأَنَّني مِنْكَ فِي نَابٍ لَمْفَتَرَسٍ
كَمْ تَجْعَلُ الْعَقْلَ طِفْلًا حَارَ حَائِرُهُ
لَوْ النَّبَالُ نِبَالُ الْقَوْسِ مُضْمِيَّةٌ
أَوْ كَانَ لِلْسَّحَرِ سَهْمٌ نَافِذٌ أَبَدًا
يَا مُصَلَّتَ السَّيْفِ قَدْ فُؤِتَ مُضَارِبُهُ

وَحَوْلَى الْكُونِ لَمْ تُدْرِكْ مَجَالِيهِ^(١)
لَعَلَّ فِيهِ ضِيَاءَ الْحَقِّ يَبْسُدِيهِ
خَابَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَرْجُو مُقَاصِيهِ^(٢)
وَتَكْشَفُ السُّتْرَ عَنْ خَافِي مَسَاعِيهِ^(٣)
فَابْسِطْ يَدَيْكَ وَأَطْلُقْ مِنْ أَغَانِيهِ^(٤)
عِنْدَ اللَّيِّبِ وَلَا تَبْدُو أَعَالِيهِ^(٥)
شَوْقًا إِلَيْكَ وَقَلْبِي فِيهِ مَا فِيهِ^(٦)
يَأْبَى لِي الْعَيْشَ لَمْ تُدْرِكْ مَعَانِيهِ
قَدْ اسْتَوَى فِيكَ قَاصِيهِ وَدَانِيهِ^(٧)
الْمَرْءُ يَسْعَى وَلَغَزُ الْعَيْشِ يُدْمِيهِ^(٨)
وَرَبُّ مُطْلَبٍ قَدْ خَابَ بَاغِيهِ
كُنْتُ أَذْرَيْتُ بِسَهْمِ الْقَوْسِ أَرْمِيهِ
لَكَانَ لِي مِنْهُ سَهْمٌ صَالٍ رَامِيهِ
وَرَامِي السَّهْمِ قَدْ خَابَتْ مَرَامِيهِ

- (١) المجالي : مباديه .
(٢) قاصاه : باعده ، والمراد بالغيب هنا المجهول لاغير .
(٣) تدحو : تبسط .
(٤) يخيل للمفكر أحيانا أن خواطر النفس وأفكارها ربح تهب عليها ، أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده .
(٥) لأن الليب أدري من غيره بعظم الروح .
(٦) أي شوقا إلى ما يجهله العقل وتتوق النفس إلى معرفته .
(٧) أنت : الخطاب كله موجه إلى المجهول .
(٨) ذلك لأن جهل الإنسان أسرار الحياة وعجزه عن حل مسائلها قد يوقعه في الهلاك .

قلبى يحدثنى أن لا يليق به
 قد ثارَ ثائرُ نفسٍ عزَّ مَطْلَبُهَا
 كالنَّسر لا حاجبٌ للشمسِ يحرقه
 وأنتَ كاللَّيلِ والأفهام حائرة
 ليل مهيب كليل البحرِ حنْدَسَه
 فليتَ لى فكرة كالكونِ واسعة
 ليس الطموحُ إلى المجهولِ من سفهٍ
 إن لم أنلُ منه ما أروى الغليل به
 والقانعون بما قد دان عيشُهُمُ
 يا قلبُ يهنيك نبضُ كلِّه حُرق
 فالعيش حب لما استعصت مسالكه
 كم ليلة بُثَّها ولهان ذا أملٍ
 لعلَّ خاطر فكر طارقي عرضاً
 يوضح الغامض المستور عن فطنٍ
 رضا بجهل ذليل اللب يُرضيه
 وطار طائرُ لبٍ فى مراقبه
 ولا الصواعق والأرواح تُثنيه^(١)
 مثل العيون علاها منك داجيه
 تكاد تسمع منه صوتَ طاميه^(٢)
 أدحو بها الكون تبدو لى خوافية
 ولا السمو إلى حق بمكروه
 قد يحمد المرء ماءً ليس يرويه
 موت فإنَّ خضوعَ اللب يُرديه^(٣)
 إلى الغرائب ممَّا عزَّ ساميه
 تجارب المرء تُدْمِيهِ وتُعْلِيهِ
 لم يُسلِ قلبى أن غابت أمانيه
 يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
 وأفهم العيشَ تستهوى بواديه

(١) الأرواح : الرياح .

(٢) أشد ما يكون الليل روعة الليل فى وحشة البحر ، ولذلك يشبه به المجهول .

(٣) دان : خضع وذل .

إلى ماضٍ من العمر

شكا قلبي إلى يومٍ - شى ما ألقاه من دهرى
وقال : لقد تركت هوا - فى ماضٍ من العمر
فدعنى أقتفيه عسى - أقساد إليه بالإثر
وإن سبيل ما يمضى - سبيل المسلك الوعر
فراح القلب ولهانا - وظل بخفقه يجرى

إلى ماضٍ من العمر !

فسقّال اليوم يا قلبُ - على مَ تروغ من أسرى ؟
ومالك غير ساعتك ا - لتى تلقاك فى الدهر
لأمسك قلبك الماضى - ومسا للأمس من كـر
لقد جشمتَ نفسك ما - عييت به من الضر^(١)
غسدت تقساد بالذكر - وفى التذكار ما يغرى

بما قد فات من عمر !

فيا ماضى دع قلبى - فمالي عنه من صبر
وإنك قبر أمالى - فهل لى فيك من قبر ؟
فساه لو يجسول المرء - فـيـمـا شـاء من دهر
لطار القلب كالصفو - ر عاف تريث السـير

(١) جشمت : حملت .

وحنٌ لروضة النضرِ وما آواه من وكرٍ

لدى ماضٍ من العمر !

إلى الريح

يا ريحُ هيجتِ قلباً شجوه وارى
يا ريحُ رفقا بقلبٍ هجتِ لوعته
كم قد نسيت شجوناً نارها خمدت
يا ريحُ أى زئيرٍ فيك يفزعنى
يا ريحُ أى أنينٍ حنٌ سامعه
يا ريحُ ما لك بين الخلقِ موحشة
أم أنتِ ثكلى أصاب الموتُ واحدتها
يا ريحُ ما لك من إلفٍ فُجعت به
يا ريحُ كم لك من نفعٍ يجىء به
وهبة منك تحيى النفس من عُرض
يا ريحُ فيك جنونُ النفسِ يفزعنى
يا ليت نفسى ريحٌ لفتح لافحها
وتنثر الخيرَ نثرَ البذرِ يحمله
أو ليت لى فيك نفساً حرة أبداً
هيهات ما لك فيما شئت مُنطلق
أو ليت أن جناحاً منك يسعدنى

كما تهيجين عودَ الغابِ بالنارِ (١)
يا ريحُ أفسيتِ أشجاني وأسرارى
فهجتِ قلبى بإغراءٍ وإذكارٍ
كما يروع زئيرُ الفاتكِ الضارى
فهل بليت بفقد الصحبِ والجارِ ؟
مثل الغريب غريب الأهل والدار !
تظلّ تبغى يدَ الأقدارِ بالشارِ ؟
مثلى ولا لك آمالى وأوطارى
حدو السحابِ بصوبٍ منه مدار
بنفحةٍ من شذى الأزهارِ معطار
إذا سطوت بعصفٍ منك إعصار
يطهر الكونَ من شرٍّ وأشرار
نسمُ الرياحِ على زهرٍ وأثمار
الكونُ بيتى وما أهقر به دارى
تجرى الرياحُ بأحكامٍ ومقدار
كيما أطيروا إلى أفنان أشجار (٢)

(٢) الأفنان : الأغصان .

(١) الوارى : المشتعل .

فأنشد الشعر كالغريد في فنٍ
ياريحُ هل أنت طيسرٌ طائرٌ أبداً
يا ريحُ يا صنو نفسٍ طالما شقيت
فليت لها ملكٌ في الجوِّ دولته
أشكو إليك همومَ العيش قاطبة
يا ريح ما لك من عطفٍ ولا مقة
لا تسألين عن الحادى وحكمته
وليس يعنيك لا سؤالٌ ولا سببٌ
وتحملين أغاريدى وأشعارى
أما تقرين في روض وأوكار ؟
قد خان نفسي أحبابى وأنصارى
في جحفلٍ من جنود الريح جرّار
شكوى الضعيف لبادى البطش مغوار
فما حنوى لقياسى القلب جبار
ولا تنوحين من صولات أقدار^(١)
فليت مثلك إيرادى وإصدارى^(٢)

طيف الجنون

أقلبُ طرفى في وجوهٍ كثيرة
وأبغى بديلاً من هواك يتاح لى
وكيف وعندى من خيالك حارسٌ
فيهمسُ فى أذنى ويسرى بخاطرى
ويشغلنى عما سواه فإن أرد
كأننى أسيرٌ وهو فى السجن حارس
وأقزعُ حتى تشعرَ النفسُ جنةً
وأعجبُ من أمرى وكيف عشقتكم

وأكثر من تلحاضها وأطيلُ
وهيهات مالى من هواك بديلُ
تجسمُ حتى ما يكادُ يزولُ
ويسمعُ ما أشدو به ويقول
سلوا تصدئ دونه فيحول
فمالى إلى وجه الخلاص سبيل
وأرجو مُجيراً فى الممات يقول
وقد كنتُ لا يقوى على غليل

(١) الحادى : السائق الذى يحدو الإبل ؛ والمراد هنا الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الريح تنساق بأمره .

(٢) أى : ليتنى أورد وأصدر أمور الحياة من غير تشك للأقدار ، والسؤال عن حكمة الله فى خلقه .

وأرخصني حبيبك من طول هجرة
فأبكي على نفسي وليس بِنافعي
وأبكي على العزم الذي أنا ناشد
أناديه هل من سلوة فتريحني
فيا جنة العشاق ظلك وارف
لئن لم يرحني الطيف منه بهجرة
فإن اقتراب الطيف سخر وشقوة
تملك أرضي رحبها وفضاءها
ويسخر بي طوراً وطوراً يهش لي
وأحسب شيطاناً من الجن آثماً
وكيف يفر المرء من ظل جسمه
وأستعطف النسيان في الحب إنه
فمن لي بكأس منه تمحو لواعجي

فإن عزيز العاشقين ذليل
إذا تلفت نفسي لديك عويل
فعزمي شريد في هواك ضئيل
وقد صم عزم من هواك قتيل ؟
وإنني في حر الغرام أقييل
جننت فهل يبكي على خليل ؟
وخبل أليم في الفؤاد دخيل
وأصبح في أفق السماء يجول
فأنت قطوع والخيال وصول
يليح بحسن منكم ويصول
فطيفك لي ظل لدى ظليل
طبيب وقلبي من هواك عليل
فحبك داء للضلوع أكل ؟

المهوه

شهادة للكريم يبغضه الـ
ولست أخشى زور المقال إذا
يحزنني المرء ذو الفطانة والـ
قد تسفل النفس والحجي صعد
وأنت لا فطنة ولا أدب

وغد صيال اللئام بالتهم
أودت بما يخلقونه شيمي
لب بنفس شنعاء كالظلم
في راجح العقل ساقط الهم
يكبح شين الخصال باللجم

إِن أَخَا اللُّؤْمِ يَتَتَشَى بِأَذَى الدِّ
 يَغَالِطُ النَّاسَ عَنْ مَقَابِحِهِ
 بِحَسَبِ خَفَضِ لُشَانِهِ عِظْمًا
 لَسْتُ مَلُومًا إِذَا عَلَوْتُ وَأَخْ
 بِحَسَبِ قُدْرَى رَهْنًا بِسَبْتِهِ
 هِيَهَاتَ مَا سَبَّهَ الْحَقِيرَ أَذَى
 وَلَيْسَ قَوْلُ السَّبَابِ مَعْجِزَةً
 وَغَادِرٌ قَدْ غَفَرْتُ زَلَّتْهُ
 وَعَادَ يَبْغَى بِشَتْمِهِ أَلْمَى
 وَيُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ مَلِكٌ
 بِحَسَبِ رَأْيِ الْأَنَامِ نَهْبَةً خَدَّ
 يَزْعُمُ مَا سَطَّرَ الْوَرَى كَذِبًا
 بَلْ فِي ادِّعَاءِ الدَّبِيبِ إِنْ خَدَعَ الدِّ
 يَحْوِكُ مِنْ نَسَجٍ كَذِبِهِ كَفْنًا
 أَوْ عَنكَبُوتَ ذَمِيمَةٍ سَكَنْتِ
 الْكَذِبَ أَحْبُولَةً يَصَادُ بِهَا الدِّ
 لَتَقْضَمَنَّ الْبَنَانُ مِنْ نَدَمٍ
 وَالشَّرُّ قَدْ تَجْتَوِيهِ مِنْ نَدَمٍ

شَتَمَ وَيَبْغَى الْخَلِيلَ بِالْأَلَمِ^(١)
 وَهُوَ كَنَابٌ مَسْخُضٌ بِدَمٍ
 هِيَهَاتَ مَا كَانَ ذَاكَ مِنْ عِظَمِ
 طَاكَ عِلَاءٍ فَالذَّنْبُ لِلْقِسَمِ
 هِيَهَاتَ لَيْسَ الْحَضِيضُ كَالْعِلْمِ
 كُلُّ أَمْرٍ قَادِرٌ عَلَى التَّهْمِ
 حَتَّى تَبَاهَى بِالْهَجْرِ فِي الْكَلِمِ^(٢)
 فَمَا رَعَى لِي فَضِيلَةَ الْكَرَمِ
 يَا خَبُّ، مَاذَا تَلَدُّ فِي أَلْمَى ؟
 وَأَنْنَى لَسْتُ رَاعِي الذَّمِ
 لِدَّاعٍ وَأَنَّ الصُّوَابَ كَالْحُلْمِ
 وَالْفَضْلَ وَالنَّقْصَ لَيْسَ فِي الشِّيمِ
 نَاسٌ جَمِيعًا بِيَاظِلِ الْكَلِمِ
 لِلنَّفْسِ ، وَالنَّفْسُ مِنْهُ كَالرَّمِ
 بَيْتًا مِنَ الْكَذِبِ حَيْكَ فِي الظُّلَمِ
 قَانَصٌ فِيهَا عَدْلٌ مِنَ النِّقَمِ^(٣)
 لَوْ كُنْتُ تَدْرِي فَضِيلَةَ التَّدَمِ
 يَدْعُو نَفُوسًا لِأَحْسَنِ الشِّيمِ^(٤)

(١) يَتَتَشَى : يَسْكُرُ .

(٢) الْهَجْرُ بِضَمِّ الْهَاءِ وَسُكُونِ الْجِيمِ : السَّبُّ فِي الْكَلَامِ .

(٣) الْأَحْبُولَةُ : حَبَائِلُ الصِّيَادِ .

(٤) تَجْتَوِيهِ : تَكْرَهُهُ .

لا يندم المرء نفسه خبيثت فأنكرت خبيثتها من السقم
تحمّل الناس وزرها أبداً وذاك يغري بزلة القدم^(١)

شقوة العيش

حياتي ! أما للنحس حدٌ ولا مدى
حياتي ! إن الجسم يبلى ودونه
إلى مَ حياتي أذرف الدمعَ حسرةً
وبين ضلوعي للتصبرِ لوعةً
وحتى متى أبلو نفوساً ضئيلةً
وحتى متى يُبغون ضرّي وشقوتي
يهيجون أقدارَ النفوسِ بشرهم
فيكدرُ ماءُ العيشِ والعيشُ منهلاً
وليس لهم نفعٌ يرجّسون نيله
كأنَّ عذابَ المرءِ للمرءِ ضحكةً
ينالون من قلبي بنابٍ ومخلب
كأني ربيبُ النحسِ ليس يجوزني
إذا كان في نحسِ الفتى شرفٌ له
يقولون بؤس العيشِ نبل لصابرٍ

فإني كرهت العيشَ في أول الصبا !
فؤادٌ شجيٌّ ليس يدركه البلى
ولا ينفع المحزون أن ردّد البكا
تحمّلني ما لا أطيق من الأسي
أبين لها ودّي فتبدي لي القلي ؟
ومالي لو خيّرت في الناس من عدّي ؟
فما يقنعون الدهرَ مني بالصفاء
إذا ما طفا من كدرة الشرِّ ما طفا
إذا ما كوى قلبي من الهمِّ ما كوى
فقد أغرم الإنسان بالشرِّ والأذى
وماراعهم أن خضبوا القلبَ بالدماء
فياشرّ ما راعٍ يجور إذا رعى^(٢)
فمالي لم أشبع من المجد والعلا ؟
فلا مجد إلا في ذوى النحس والشقا

(١) أي ذاك يغري بالآثام .

(٢) يجوزني أي يتعداني .

فإن كان في هذا العذاب مهذبٌ
 حياتي ! أعفوا جئت أم عمد عامد
 ولو أننى كالناس لؤمًا وغلظةً
 فيا موت أقبل لا كإقبال رائع
 ولكن كسترنيق النعاس بمقلةٍ
 وكن لى على الأحزان عونًا ورحمةً
 وما طلبى للموت تطلاب كاذب
 فإن حياتي غلةً ريها الردى
 فتحمد نارٌ كان جمًا ضرامها
 فيا قلبُ كن فى الصدر كالميت واسترح
 لعلك إن نهنت يا قلب رغبةً
 فيا ليت أن المرء إمًا دعا الردى
 أما يصطفينى الدهرُ إلا لحسرةٍ
 ويشعل فى قلبى جحيمًا ، وناسه
 أداريهمُ جهدى وما ذاك نافعى
 فأصبحت أخشى الناس فى كل خطرةٍ
 ومن شقوة الإنسان أن حار ليه

فأغدق على راجيه يا عيشُ مارجا^(١)
 قضى من صروف الدهر فى الخلق ما قضى
 جريتُ على شرع الزمان كما جرى
 مرير كطعم العيش يؤلم من حسا^(٢)
 طواها الكرى أو مثلما تفعل الطلاب^(٣)
 فما نافعى فى العيش لومٌ ولا رضا
 رأى الموت ينحوه فأبكاه ما رأى^(٤)
 وخيرُ شراب المرء ما نقع الظما
 إذا ما خبا من لوعة العيش ما خبا^(٥)
 كفى من مرير العيش يا قلبُ مامضى
 وعفت طماح العيش يدركك الردى^(٦)
 أتاه فلا نحسُ يرور ولا أسى
 فهلا اصطفى لى عيشةً غير ما اصطفى
 شياطين ، فيه تضرع لهم والجوى
 وأمنح منهم مدعى الفهم ما ادعى
 وأفسرق من داعى المودة إن دعا
 وأصبح خفاق الأضالع والحشى

(١) على راجيه أى على راجى هذا التهذيب الذى فى المصائب . (٢) حسا يحسو : شرب .

(٣) الطلاب مقصور الطلاب الخمر . أى أحب الموت الذى يحس به المرء كما يحس بلذة النعاس وراحته

أو لذة الخمر ونشوتها . (٤) ينحو : يقصد . (٥) خبا : خمد . (٦) نهنت : زجر .

كأنتى بين الناس من أهل عالم
فما لى من عطفٍ لديهم ورحمة
يعيبون نفسى ضلةً وجهالة
إذا ما أراد المرء إخفاء عيبه
وما قومى القوم الذين أراهم
كأنَّ حياة الناس ضجةٌ أخرق
وأوجع ما لاقيت جاء مصدق
يخال ذووها فى كمالٍ وعفةٍ
يصدق رأى الجمع والجمع ظالم
بذا قضت الأخلاق ما بين أهلها
وكم من جموعٍ ليس تعدل واحداً
فيا شقوة الأيام هل منك مهربٌ
كأنَّ همومَ المرءِ ذنبٌ مراوغ
وبعض دواعى العقل حربٌ لبعضها
أليس الحجى والحق لغزاً ومجهلاً

جديدٍ غريبٍ أخطأ الأهل والحمى
ولا لى فيهم من إخفاء ولا هوى
ويرمونى بالسوء والمكر والخنى
رمى غيره بالعيب لم يعد من رمى^(١)
ألا إن قومى فى البعيد من الدنى^(٢)
وعيشى فيهم نغمة البؤس والأسى
كأن ثياب الجاه خيطة من الحجى
وتحت ثياب الجاه ما شئت من خنى
ويحقر رأى الفرد ريان من نهى
وما تنفع الشكوى ألا خاب من شكا !
فإن ظلام الجهل فى الناس كالعمى^(٣)
فأعدو وهل ينجو من النحس من عدا ؟
فيا بؤس مقتولٍ ويا بؤس من نجا^(٤)
فلا يعرف الإنسان فى العيش من دعا
فهل سعد الإنسان بالعقل واهتدى؟^(٥)

أهل ميت

لحبك من عمرى أخيراً وأول
وإنك فى قلبى حبيب مسجل

(٣) أى لا توازى واحداً

(٥) المجهل : الأرض المجهولة .

(١) لم يعد : لم يتعد (٢) الدنى : جمع دنيا

(٤) لأنه لا ينجو إلا مقروحاً ممزقاً

فحظك من حبي فؤاد ومقول^(١)
وعرضت نفسي للذي ليس يجمل
وشوقني الودّ الأغر المحجل
وحسني م أذوى في ثراك وأذبل ؟
وتترك قلبي والهأ يتململ
فأصبحت أبكي إن ذكرت وأعول
جزاؤك عندي نعم ما أتبدل
لأغتر بالآمال لولا التسعلل
فإخراجه بالمرء أحرى وأمثل
وفي اليأس ما يلقي الفتى حيث يأمل
لهم عزيمة في كل يوم تقلقل
فلا العهد محفوظاً ولا القول يفعل

قصرت عليك الأنفسين محبة
وإن كنت قد قطعت قلبي صباية
وذكرتني العهد القديم الذي مضى
فحتي م أرجو منك ما ليس واقعاً
سفاهة أحلام تغر وتنشئ
وبشرت نفسي منك بالسعد والمنى
خذ اليأس مني مدحة لك إنه
لفظت الأمانى كالْبُصاق ولم أكن
هو الرغب مثل الريق إن ساء طعمه
ولكن يأس الحب حب وذكره
وهل أنت إلا كالأنام وحالهم
يريدون أمراً طرفة ثم غيره

التفاهم في الحب

فأخو الملام كثيرة تهمة
نوحو قلب هان فيك دمة
وهواك دون القلب مضطرمه
لا عيشه تدري ولا عدمه
ضاعت لديك من الهوى ذمة

إن خبّروك بسلوّة كذباً
ولقد رأوك على جفائك تح
فتحدثوا أني استعصت هوى
ساموك نسياناً لذي سقم
إن كنت أنت وأنت ذو فطن

(١) المقول على وزن مبرد بكسر الميم : اللسان .

أعنى ولا محمودة كَلِمُهُ
 لبُّ ولا حَسُنْتَ بكم شَيْمُهُ
 وجوى الحبُّ مشفَعُ قَسَمُهُ
 تَبَدُّ لَدَيْكَ مِنَ الْهَوَى حِكْمُهُ
 قلبى فتخصب قلبكم دِيْمُهُ
 حتّى يفيضَ على الورى كَرَمُهُ
 إنَّ الرِّجاءَ مُحِبُّ حُلْمُهُ
 تنجّابُ عَنَّا فى الْهَوَى ظُلْمُهُ
 ويطيّبُ من شجنِ الْهَوَى نَعْمُهُ
 إنَّ الْغرامَ كَثِيرَةٌ نَعْمُهُ

أفمنصفى من ليس يفهمُ ما
 أفمنصفى من ليس مثلك فى
 أقسمتُ بالأشواقِ نحوكم
 فـانظُرْ إلى روحى وروحكم
 فلقد خلقتكم كى يحبكم
 والحبُّ يخصبُ قلبَ صاحبه
 قلبى على الْهُجرانِ ذو أملٍ
 بينى وبينك حاجبٌ فمتى
 ومتى أحقق فيكم حلمى
 ولقد عشقتُ فما عشقتُ سدى

ملك القلوب

ونفّوك عن قلبى وأنت أميرُهُ
 الحسنُ فيك غريبه وغريرة^(١)
 لم يأنَ فيها من سناك سفوره^(٢)
 تغدو عليه تميره وتثيره^(٣)
 حتّى يروع من العُباب زئيره
 لك من هواى جليئه وستيره

حجبوك عن طرفى وأنت سميره
 فوحدَ حسنك وهو خير أليّة
 ووجدَ حسنك ما انتفعت بعيشة
 كالليل، والبحر الخضم، وصرصر،
 ظلمَ على لجج تجىء وتثنى
 يأيها الملك البعيد بوْدُهُ

(٢) أنى يأتى : أى حان وأن .

(١) أليّة بتشديد الياء : أى قسم .

(٣) هذه العيشة مثل اجتماع الليل والبحر والعاصفة .

القلبُ فوضى وهو مُلكٌ واسعٌ
فارفقُ بملكك في فؤادي واحتكم ،
والحبُّ خرقٌ والوفاءُ سرابه
والحبُّ كأسٌ قد شربتُ عقاره
أو ما أويتُ لعاشقٍ مُتعبٍ
إن كنت أنت مع الزمانِ عدوهُ
والشعرُ مثلُ الروضِ باكره الحيا
وبعثتُ قلبي قاطفاً من روضه
فجنيتُ من ثمر القريض أطايا
هذي قصائدِي التي يُزهى بها
ذهبَ الوفاءُ فلا حبيبٌ صفوه

وَكَلِيتُ إِلَيْكَ شَأْنُونَهُ وَأَمْرَهُ
فَالْمَلِكُ مَلِكُكَ تَاجُهُ وَسِرِيرُهُ
هَبْهَاتِ مَا نَفَعَ الْحَبُّ غَدِيرُهُ (١)
لَمْ يُغْنِ فِيكَ صَغِيرُهُ وَكَبِيرُهُ
لَجَلِيلِ حَسَنِكَ دِينُهُ وَضَمِيرُهُ
مَنْ ذَا عَلَى جُورِ الزَّمَانِ يَجِيرُهُ ؟
يُجْنَى لَذَى الْحَسَنِ الطَّرِيرِ نَضِيرُهُ
وَالْقَلْبُ يَسْعَى فِي هَوَاكَ أَسِيرُهُ
يُجْنَى لَغَيْرِكَ يَا حَبِيبَ مَرِيرُهُ
وخيَالُ شَعْرِ الْجَلالِ خَطِيرُهُ (٢)
يَرْجَى وَلَا أَمَلٌ تَذُرُّ دُرُورُهُ (٣)

الحق المكتوم

الحقُّ حملٌ يؤود النفسَ محمله
إذا كستمت ، فداءً لا دواءَ له
كأنما النفسُ منه اليمُّ مصطخباً
والفكرُ كالنارِ في الأحشاءِ كامنة
لا تكتنم النفسُ حقاً أبصرت أبداً

إِذَا مَضَيْتِ بِشَلْوٍ مِنْهُ مَقْبُورُ (٤)
بَلْ طَبَهُ حِينَ يَبْدُو غَيْرَ مُسْتَوِرِ
يَظَلُّ يَضْرِبُهُ وَقَعُ الْأَعْاصِيرِ
حَتَّى يَذَاعَ فَيَسْبَدُ سَاطِعُ النُّورِ
فَلِلْأَجْنَةِ حُدُودٌ فِي الْمَقَادِيرِ (٥)

(١) الخرق : المهمة والقفز (٢) أى تستدعى العجب والزهو (٣) الدور : الكثيرة
اللين (٤) الشلو جمعه أشلاء : وهى أعضاء الجسم بعد التفرق والبلى
(٥) الأجنة جمع جنين : أى أن الحق المكتوم مثل الجنين ، وكما أن الجنين إذا نما لابد أن يخرج كى
لا يقضى على الحامل ، كذلك النفس لابد أن تخرج ما تحمل من الحق .

هو الوليدُ وليدُ النفسِ تحمله
 إن كُتِّمته على رغمِ لذلتها
 والحرُّ إن لم يُطقِ إرسالَ فكرته
 قد حدثت نفسهُ عيسى بقلتها
 أشقاهما من لجاجِ الحقِ شدتهُ
 والحقُ يقتل نفسَ الحرِّ إن كُتِّم
 والحقُ تدعُر نفسَ الحرِّ روعته
 والحقُ إن لم يُجبِ كالوحشِ مفترساً
 ويوسعُ النفسَ لسعاً حين تكتمه
 والحقُ منكتماً كبل وجامعة
 وليس ينفيه نكران ولا فَرَق
 كأنه الطفلُ يُغذى في المقاصيرِ
 عاشت بحالٍ بغيضِ العيشِ مصدورِ
 راع الأنامِ بدامي الصدرِ منحورِ
 وكاد أحمدُ يقضى غيرَ مذكور^(١)
 والحقُ في الناسِ خافٍ غيرَ مشهور
 ندائه خوفُ إقدامٍ وتشميرِ
 وغافلُ القلبِ ميتٌ غيرَ مذعور
 كأنما وقعُ الأظافرِ
 كأنما لسعُ الزنابيرِ
 غُلَّت على خاشعِ الآمالِ مأسور^(٢)
 وليس مندفعاً بالزورِ والجورِ

بلاغ الحب

أيا نفس من نفسي إليه مشوقة
 أحبك حباً ليس يدركه قلبي
 إلى مَ تحول الحُجُبُ بيني وبينكم
 ولو كنت تدري قدرَ حبي كله
 ومن هو في نفسي أميرٌ وحاكمُ
 قلبي الحب ما أدت إليه المآثمُ
 كأنك أحلامٌ وإنِّي نائم
 لأبديت لي النفس التي أنت كاتم

(١) إشارة إلى حادثين في حياة محمد وعيسى عليهما السلام : إذ اشتد بهما لجاج الحق فكاد يدفعهما إلى الموت .

(٢) الجامعة : قيد يجمع أعضاء المرء بعضها إلى بعض .

فلا تُخَفِ عني يا حبيب سريرة
وكن لي مثل الماء يبدى ضميره
بذاك يصحُّ الحبُّ بيني وبينكم
فلو كنتَ بينَ الناسِ ربًّا معززاً
لألفيتُ غفراناً لديك ورحمةً
وإنك لو أصبحتَ فيهم مرجماً
ستعلم يوماً أننى لك عاذرٌ
فإنى قتلتُ العيشَ علماً وخبرةً
ولستُ كمن يرجو على الحبِّ رشوةً
بسطتُ لكم عرضي مجناً يقيكم
نظرتُ إلى الأعمال كيف ابتعائها
وما قسموا الأفعال قسمةً عادل
فللمرءِ فينا خادمٌ من ضميره
يرى أنه في فعله غير آثم
وما العيشُ إلا خدعة بعد خدعة
وما دنس أن تمنح الحبَّ ما كراً
يعيبك أن محضته الحبُّ جاهداً
وما خيرُ حبٍ أحكم الكيدُ أمره

فلستُ بشارٍ للنفوسِ يساومُ^(١)
ولاتك مثلَ الليلِ ، والليلُ قاتم
وتثبتُ منه في الخطوبِ الدعائم
ونادوك أنى فاتك النفسُ جارم :
فما يغفر الزلاتِ إلا الأعظم
فإن فؤادى ناصرك راحم
وإن كان بين الناسِ عادٍ ولائم
فما راعنى فى الناسِ خبٌّ مسالم
وينفتُ فيها ما تكيد الأراقم
وأنف الذى يسعى لكيدك راغم^(٢)
فما راعنى إلا النفوسُ الرواغم
وهل حاكمٌ بين السرائر حاكم
وما لسواه منه عونٌ وخادم
وأن سواه فاتك النفسُ آثم
وما الناسُ إلا مستغيبٌ وظالم
إذا أنت غرتك الثنايا البواسم
أينقم أن محضته الحبُّ ناقم
سيدهمه صرفٌ من الدهرِ هادم

(١) شرى : تستعمل فى الأضداد ، يقال شرى بمعنى اشترى ، وشرى بمعنى باع .

(٢) المجن : الترس .

فتعدو عواديهِ وتسرى المظالم
وأن هدلت في وكرهن الحمائم
شريكك في أفعاله ومقاسم
نصيبك من قلبي مجير وعاصم^(١)
وإنك لا تجديك أنك نادم^(٢)
فتحمد بين الناس منك العزائم
وأمنحك العزم الذي أنا عازم
ولم ترو نفسي من هواك المكارم
ولم يزوج نفساً نحو نفس تفاهم
كما يمزج الصهباء بالماء ناعم^(٣)
ولم تطبيني من هواك العظائم^(٤)
علا الحب ما تبغى النفوس الكرائم

وكلٌ لئيم يجعل الحب سبباً
وهل سبباً في الزهر أن فاح نشره
وألوم من عاداك من هو حقبة
فلا تأس أن الناس خبٌ وكائد
وإنك لا تجديك خشية كائد
فياليت لي عزم القضاء وحوله
أعلمك الأمر الذي أنا عالم
فإن أنت لم يكسبك حبي رفعة
ولم أخل من شك تعالج مثله
ولم تمتزج نفسي بنفس أحبها
ولم يبتعث حبي للبك فطنة
فوا أسفاً لا حب يجدى لديكم

الآمال الذاتية

محال علينا أن نلذ بك النوم
فقد صارت الأيام أغربة سُحماً^(٥)
وإن ألد العيش ما خلته حلماً
وأن لا يكون الحسن إلا كذا وهما

أيا فتنة الأحلام قد لاح كذبها
لقد كنت في عيشي مصابيح حلية
فيا حسن مرأى العيش لو عاد حلمه
عزيز علينا أن نقول بكذبه

(١) لا تأس : أي لا تخزن .

(٢) لا تجديك : لا تنفك .

(٣) ناعم : أي سودا .

(٤) اطبى : استمال .

لقد كنت زادى فى الحياة ونهلتى
أرثيك أم أقلاك لو ينفع القلى
كأنى غريقُ اليمِّ قد لاحَ حينه
فيا لائذاً بالزهر خابَ تشبث
يرجى غريقُ اليمِّ حتى عدوه
فيا حسنَ أحلامٍ تقضت لذينة
وكانت حبيباً مات أنكرت هلكه
عسى أن تعودَ الروحُ جسماً أحبه
وهيهات يُعفى النتن جسماً نحبه
كذا أنت آمالى التى غالها الردى
على مَ ترى الأقدار ما لا نناله
إذا لم يكن فى منهل العيشِ طيبها
أعيرى جناحاً كى أنالَ به المنى
فإن سنا الآمالِ أعشى لواحظى
وما فتنةُ الآمالِ إلا كفسادةٍ
وقد تسعدُ الآمالُ بعدَ فسادها
ولو كان قلبُ المرءِ بالعقلِ حكمه

فلما استبان الحقُ زودتنى الهماً
كلا ذين فى قلبى يجدد لى كَلماً^(١)
ألودُ بزهرٍ منك أعلو به اليمماً
بوهن فما وهن لدى مهلك عصماً
ويحسبُ زهراً طافياً أجبلاً شماً
ويا طيبها خدناً ويا طيبها خلماً^(٢)
أقلبه طوراً وأوسععه لثماً
فأكلا من وقع البلى ذلك الجسمما
فكم ذلَّ جسمٌ لم ينل قبله وصماً
وكم غالَ آمالاً يلاذ بها قدماً
وترجى نفوساً كى تتوق وكى نظماً
فيا ربَّ أطماعٍ تدوف لها السما^(٣)
ونبلاً لكى أرمى به مثلماً أرمى
فيا طيبها رؤيا تهيج بى السقماً
تلين لنا كذباً وتوسعنا صرماً^(٤)
كذاك ثمارُ السوءِ أخبثها طعماً
لما زودَ الأقدار مدحاً ولا ذماً!

(١) الكلم : الجرح

(٢) الخلم : الخيلة .

(٣) تدوف السم : أى تمزجه

(٤) الصرم : الهجر .

شكوى

حياة كدمع العين أما مذاقها
وإن الأماني التي أنا ناشد
تقدمني في الناس من لم يجارني
وأخبرني أن اللبيب محسد
كأنني بجاري النهر صخر تجوزه الـ
يمر لداتي واحداً بعد واحد
وأوجع ذل النفس طاعة سائد
أيخشون مني خلة عبقرية
ويبغون أن لا يجتلي البرق في الدجى
فيا نفس صبراً إنما العيش لوعة
وإن حياة الطامحين عواصف الـ

فمر ، وأما وقعها فوجيع
فقاقيع ، طرفي نحوهن نزوع
وأخبرني أن الذكاء يروع^(١)
على فطنة يعصى بها ويطيع^(٢)
حمياه وما للجاريات رجوع
أمامي ، وعيشي في الهوان يضيع^(٣)
تعلّى ، وقدماً كان وهو مطيع
فيغلو مقالاً أو يسوء صنيع^(٤)
بعين ولا طيب النسيم يضيع
وما للذي يشقى القضاء شفيح
شتاء وعيش القانعين ربيع !

العلم وعزة النفس

رأيت بيوتاً كالوجار ذليلة
رضاء بعيش البهم والخصب وافر
ألا إن عيش الجاهلين عليل^(٥)
ومركب من يبغي العلاء ذلول

(١) أي أن الناس تسيء الظن بالذكي وتحار فيه وتخشاه ، فلا تسعى في تقديمه ونفعه إلا إذا كان عنده من الدهاء ما يمكنه من مداجياتهم وخذاعهم .
(٢) إذ إنهم يريدون المرء للطاعة فقط لا للفطنة مهما جشمته الطاعة من الضعة والنذالة
(٣) لداتي : قرنائى
(٤) الخلة : الخصلة والصفة (٥) الوجار : بيت الكلب .

يعيشون كالأنعام في نفع ربها
ويعلو الفتى بالعلم عن كل ذلة
وفي الجهل أسر للنفوس ورهبة
ويرضى جهول بالقليل مهابة
وتعظم نفس المرء حتى كأنها
على قدر علم المرء عزة نفسه
وأكثر ذل العاقلين خديعة
وما العلم إلا قوة واستطالة
فلا تحسن الحرب سهماً ومغفراً
وكم بلغت شأواً العلا في منية
وكم أخطأ العلياء غرّاً ونالها
وفي ملك أهل الجهل جين وذلة
وفي العلم حسن للنفوس وبهجة
ويفزع أهل الجهل من كل حادث
وكم خفض الأقدام أن زال علمهم
وكم ترف للعلم والعز قاتل
فلا علم إلا عابث كل ذهنه
كذلك حال الغابرين فلا ترى
فيان صروف الدهر في وثباتها

ولكن مرعى الجاهلين وبيل^(١)
وكل جهول لو فطنت ذليل
هو الجهل داء للنفوس قتول
ولا يطبى المرء العلیم قليل
عوالم فيها الكائنات تجول
فأهل النهى في الصاغرين قليل
وأكثر ذل الجاهلين خمول
يحكمه أهل النهى فيصول
فيان سلاح الصائلين عقول^(٢)
نفوس على حد السيوف تسيل
سريع إلى داعي المنون عجول
تراه إذا ما لم يزل سيزول
وعيش نبيل لو فطنت جميل
كما خاف طفل في الظلام يجول
فأصبح صرح العلم وهو ظلول^(٣)
يزل خميات النهى فتزول
ألا إن ذهن المتسرفين قليل
علاء مضى إلا عليه دليل
سيول على آثارهن سيول

(١) الأنعام : البهائم الراحية . (٢) المغفر : زرد للرأس . (٣) الصرح : القصر المتين .

فيا مَنْ لَغَرَقِي أَثْقَلَ الْجَهْلُ ظَهْرَهُمْ
 كَأَنَّ ظِلَامَ الْجَهْلِ بَيْنَ عَيُونِهِمْ
 لَقَدْ أَرَمَدَتْ شَمْسُ الْعِلَاءِ عَيُونَهُمْ
 هُمْ يُحْسِبُونَ الْمَجْدَ نَهْبَةً بَاخِلٍ
 وَمَا عَلِمُوا أَنَّ النُّفُوسَ وَسَائِلُ
 وَمَا غِنَى الْأَقْدَارِ بَاغِي طَلِيبَةٍ
 عَلَى قَدَرٍ مَا يُعْطَى الْفَتَى هُوَ آخِذٌ
 وَيَبْذُلُ مِنْ أَعْمَالِهِ وَحَيَاتِهِ
 وَقَدْ يَضْجَرُ الْيَقْظَانُ مِنْ سَقَمِ عَيْشِهِ
 فَصَبِرُ الْجَهُولِ الْقَدَمُ نَوْمَةٌ رَاقِدٍ
 وَلِلْجَهْلِ حَمْلٌ فِي الْحَيَاةِ ثَقِيلٌ^(١)
 سِتَارٌ عَلَى مَا يَكْرَهُونَ سَدِيلُ
 فَطَرَفَهُمْ دُونَ الْعِلَاءِ كَلِيلُ
 يَقْتَرِفِي مَسْعَاتِهِ وَيَكِيلُ
 يَجُودُ بِهَا بَاغِي الْعِلَا وَيَصُولُ
 ضَنِينٌ بِمَا يَدْنِي الطَّلِيبُ بِخِيلِ^(٢)
 فَمَجْدُ الَّذِي يُعْطَى الْجَزِيلَ جَزِيلُ
 عَظِيمٌ بَنِيْلُ السَّامِيَّاتِ كَفِيلُ
 وَلَيْسَ بِجَمْعِ الْجَاهِلِينَ مَلُولُ
 وَلَكِنْ صَبِرَ الْعَاقِلِينَ مَقِيلِ^(٣)

نجم الحياة

أَنْتُمْ رَجَاءُ حَيَاتِي يَا طَيْبِيبُهُ مِنْ رَجَاءِ
 وَأَنْتُمْ نَجْمُ سَعْدِي يَضِيءُ وَجْهَ سَمَائِي
 لَوْلَاهُ كَانَتْ حَيَاتِي كَاللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ
 مَالِي لَدَيْكَ شَفِيعُ إِلَيْكَ غَيْرُ فَنَائِي
 لَا تَتْرَكْنِي حَيَاتِي فَرِيْسَةٌ لِلشَّقَاءِ
 فَإِنْ نَبِهْتَ ذِكَاءً فَسَأَنْتِ وَاقِي ذِكَائِي

(١) الجهلاء لا يحسون ثقل الجهل ، ولكنهم يحسون سقم العيش وسوء الحال الذي سببه الجهل .

(٢) الطليب : المطلوب . (٣) القدم : الغبي .

وإن بلغت عـلـاءُ فـئـانـت أصلُ علـائـي
وأنـتـمُ نجـمُ حـظـي من شـقـوةٍ ورخـاءِ
إن شئت وقـيـت عـيـشـي مـصـارـع الأـدبـاءِ
فـلا تـكـلـنـي لـقـوم لا يـسـمـعـون دـعـائـي !

ذل المشيب

تمـر بـي الأيـامُ حـتـى تـرو عـنـي
وأخـشـي مـزـيـدَ العـمـرِ يـسـلـب جـدـتـي
ولم أُلـفِ خـلـاً فـي الشـبـابِ مـصـادقـاً
فـيـا خـيـبـةً لـلـمـرءِ قـارـبـه الرـدـى
يـجـوبُ فـيـافـي الشـيـبِ والمـوتُ رـاصـدُ
يـرى فـيـه أشـبـاحَ السـنـينَ الـتي مـضـت
وكم نـهـزـةً فـي العـيـشِ يـبـكـى ضـيـاعـها
تـجـدُ لـه يـالـيت شـجـواً وحـسـرةً
ولم أـحـمـد الأيـامَ أيـامَ شـرـتـي
أظـلُّ غـرـيـباً بـين أهـلـي ومـعـشـرـي
وأصـبـح كـلاً فـي العـشـيرـة مـقـعـداً
لذل مشـيـبـي لا لوقـع شـعـوب^(١)
فأشـقـى بـوهـنـي واتـصـال عـيـوبـي
فكـيـف أـرجـى فـي المـشـيـبِ حـبـيـبـي ؟
يـقـول لأيـامَ الشـبـيـبـة : أوبـى
كـما يـرـصـد الغـرـيـان هـلـك غـرـيـب
كـما رـوعَ السـفـاحَ رـوحُ سـلـيـب
ولم يـرو من جـمـاتـها بـذـنـوب^(٢)
وهـل قـولـه : يـالـيت ، غـيـر لغـوب ؟^(٣)
أأحـسـب سـؤـر العـيـشِ غـيـر مـرـيـب ؟^(٤)
وكم أشـيـب فـي قـومـه كـغـرـيـب
يـقـتـر رـزقـي أو يـمـلُ قـرـيـبـي

(١) شعوب : أى الموت . (٢) الذنوب : النصيب وأيضاً الدلو المملئ ماء ، والجمات : المقادير الكبيرة من الماء . (٣) اللغوب : التعب والإعياء . (٤) السؤر : ما يترك في الإناء من فضلة الماء ، وشرة الشباب : نشاطه .

وبهزأ بى الأهلون من بعد هيبة
وأصبح منسياً وإن كنتُ شاهداً
وكم قائلٍ ما باله طالَ عمره
ويخطيء سعى الرزق أيام مرَّتْ
فزرني في ليل الشباب كسارقٍ
وأخشى وقدماً كنتُ غيرَ هيوبٍ
كأنى خفىُّ الجسم غيرُ قريبٍ
سها الموت أم ما عمره لشُعوبٍ
فكيف إذا أصبحت غيرَ كسوبٍ؟^(١)
ولا تنتظرُ ياموتُ ذلَّ مشيبي !

خطوة عن عالم الحسن

خطوة لا خطوتها أبدَ العمم
أخرجتني من عالم الحسن حتى
غاب عني الوجودُ واستشعر الح
خلت أنى في النوم أبصرُ حلماً
رحتُ أسعى كمصحريان عنه ال
أو كذى الجرم حين طال به السج
عالم غير عالم الحسن أبغى
حيث تبدو النفوس فيه جهاراً
فنفس ملساء كالغداة الرو
وأرى فيه كلَّ أمرٍ تقضى
وأرى ما دفنت من خطرات
وتكاد الأشباح يلمسها المر
ر خطت بى في عالم الأرواح
خلت أنى أقضى بحينى المتاح^(٢)
سُ اغتراباً عن صرفِ دهرى الوقاح^(٣)
كيف أغفى والقلب يقظان صاحي
صحب فرداً ذا وحشةٍ وإطراح
من يضلُّ الطريقَ عند السراح
فيه عوناً على الصروفِ الشحاح
عاريات من جسمها والوشاح
دِ وأخرى قد أدميت من جراح
من سرورٍ وخيبةٍ ونجاح
وأرى فيه ما مضى من طماح
لها جرس فرحة أو نواح^(٤)

(١) المرة : الشدة والقوة . (٢) الحين : الأجل . (٣) الوقاح : الشديد . (٤) الجرس : الصوت .

وأرى أوجهَ الدُّهور التي فـا
وأرى أوجهَ اللَّيالي التي مـ
وأرى عيشي الذي قد تقضى
وأرى وجه من عرفت ومن ما
فعراني القنوطُ من صولةِ المو
وابتغيت الطريقَ أرجع للحـ
غير أني أضللتَه ومضى بي الـ
خطوةُ إثر خطوةٍ فيه حتى
خذُ بقولي ولا تضلْ عن الحـ
إنما الفكرُ خطوةٌ تنقلُ المر

تت بسلم من أمرها وكفاح
رئت سراعاً بنا كمرَّ الرياح
في صلاحٍ أو غيبةٍ وجماح
توا ووارهمُ أديم البطاح
ت وما لاحَ في رباه الفساح
سُ فأشفي به أوار التياحي^(١)
خطو حتى أنكرتُ وجهَ رواحي
قد هداني خطوي لنهج النجاح
سُ فياربَّ نعمةٍ في انتصاح
ء فحاذرُ إضلالٍ وجه المراح

الحسن الكاذب

وددتكم جهدي فما نفع الودُ
فلا ترحموا قلباً يحن إليكم
لئن لم أبت خلواً من الشجو والجوى
فإنني خليقٌ بالتنقص والجفا

ولم يُدني منكم وفاءً ولا عهدُ
فإن فؤاداً ليس يهجركم وغدُ
أقرُّ وأهلٍ ليس يكرثنى البعد^(٢)
وإنني خليقٌ أن يتيه بك الصدُ

وعنفتُ قلبي أن عتبتُ عليكم
أتعذّل من أبدى لك الغدر والقلبي

فبعضُ عتابِ المرءِ يبعثه الحبُ
وأنتَ ملومٌ في حنينك يا قلبُ

(١) الأوار : حرارة العطش . (٢) يكرثنى : أي يحزننى .

وقد عابني أنى حننتُ إليكمُ لديكمُ صدقتُمُ أنَّ حُبَّيكمُ عيبُ
ولو ودَّ قلبي غيركم لعذرتمُ ولكنَّ حبًّا ليس يعدوكم ذنبُ

★★★

وقد خلت أنَّ العقلَ عندك وافرُ لقد كان ذاك الظنَّ من سفه الحبُّ
فلا تحسبن أنى عنيتك بالهوى فقد كان خلق غير خُلقك فى قلبى
وقد كنتُ أهوى فيك ما قد ظننته وقد كنتُ أهوى ما خلقت من اللبُّ
فما أنا إن جافيت بالواله الجوى ولا أنا إن باعدت بالهالك الصبُّ^(١)

تمثال سوء

يا خبُّ ما لحظات البغضِ قاتلةُ فارجع بلحظك مقهوراً ومخذولاً^(٢)
وقطع اللحظ دونى لا ترى رجلاً تحنى له الرأى تعظيماً وتبجيلاً
لقد تقمتُ عليه الفضل أجمعه فصار بغضك تضليلاً وتغفيلاً
سلاحك الجهل لاتهناً بمضربه وسيفك الحمق لا تتركه مسلولاً
وفى غبائك لو تدريه معذرةُ عذرُ البهائم محقوراً ومرذولاً
لو ضمُّ شمل لئام الناس ملكهمُ أعطيت فى ملكهم تاجاً وإكليلاً
فأنت تمثالُ سوءٍ صاغه لبق يمثل الشرُّ والأحقاد تمثيلاً!^(٣)

★★★

(١) الجوى : العاشق .

(٢) الخب : الخداع .

(٣) اللبق : الماهر .

يقظة في الفجر

قم فإنَّ الدَّهْرَ غَفْلَانُ
رقُّ ليلٍ أنت راقِــدُه
إنَّ جُـرْمَـاً أن تنامَ بهِ
إنَّ حَسَنَ اللَّيْلِ مَكْرَمَةٌ
قد أراقَ البدرُ بهجتهِ
خذ نصيباً من أشعتهِ
وهمومى منه فى سنةِ
وهو للأشجان أنغامُ
قم فإنَّ البدرَ زائرنا
ربَّ حَسَنِ كُنْتَ أنشدُه
اسقنى من ضوئه جُرْعاً
لى منه خَمْرَةٌ لطفَت
قد نسيتُ العيشَ أجمعه
باعَ أهلُ الحُسَنِ حَسَنَهُمْ
لُذْباً يعطيك من مُلَحٍ
كم رأى من قبلنا أُمّاً
فتمتّعَ إنَّها فرصٌ
قُمْ فإنَّ النفسَ يؤنسها

وقضاءُ النُّحسِ وسنانُ
فكأنَّ الليلَ ولهـانُ
ما لهذا الجُرمِ غفرانُ
بغضُّها لله نكران
وجحودُ الحَسَنِ كفران
إنَّ روحى منه مـِـلَّان
وفسؤادى منه يقظان
وأناشيدُ وتحنان
إنَّ عَمَرَ المِرِّ عَجْلان
فى ضياءِ البدرِ عريان
أنا منه الدهرَ نشسوان
وعـِـلَّـلاتٌ وسلوان
إنَّ طيبَ العيشِ نسيان
ما لحسنِ الليلِ أثمان
كلُّ ما يعطيك مجان
وكأنَّ القسومَ ما كانوا
وطبـاعُ الدَّهْرِ حرمان
من نجومِ الأفقِ جيران

ونجومُ الأفقِ تنظمها	فوق رأس الليل تيجانُ
وهي جناتٌ لذى أملٍ	وهي للأرواح أوطانُ
وهي للمفلوكِ عقيان	وهي للمهجورِ سلوان ^(١)
وكأنَّ النفسَ طائفةٌ	فلها في النجم بستان
إنَّ حسنَ الليلِ آيته	في ضمير الكونِ وجدان
وقصيدُ الكونِ يطربنا	منه أشعارُ وألحان
قم فإنَّ الفجرَ طارقنا	إنَّ وجهَ الأفقِ عريان
في احمرار الخدِّ رونقه	فكأنَّ الأفقَ خجلان
ونسيمُ الفجرِ يلثمكم	ففؤادى منه غيران !

قبر في القلب

وجعلتُ أبحثُ في الفؤادِ كأنني	في الأرض أنكتُ جاهداً لا أفتُر ^(٢)
حتى رأيتُ هناك قبراً غائراً	للحبِّ قدماً كان غدرك يحفر
وعليه مكتوبٌ بحرفٍ من دمٍ	الحسنُ خداعٌ يغرُّ ويغدر
قبرٌ دفنتُ به الصبابةَ والمنى	ولذيذُ عيشي في جوارك يزهر
وجزعتُ حتى قيلَ ليس بصابر	وصبرتُ حتى قيلَ لا يتذكر
وخبرتُ حالاتَ التسلي والهوى	فرأيتُ خيرَ الحسنِ ما لا يُخبر ^(٣)

(١) المفلوك : الفقير المعدم ، والعقيان : قطع الذهب الصغيرة . (٢) نكت الأرض : نشر ترابها .

(٣) أي خير الحسن ما لا يجرب ويختبر .

فالحسنُ ثوبٌ باللجينِ مطرُزٌ^(١) والقبحُ في ثوبِ المحاسنِ يُستر^(٢)
يا قبرُ هذا الشعرُ فوقك حليةُ والزهرُ في قبرِ الأحبةِ يُنثر
يا قبرُ أنت قرارةٌ أرمى بها ما لا أطيع من الهمومِ فتُغمِر
والقلبُ مثلُ البحرِ يفرعُ قاعه أهنا قلوبُ الخلقِ ما لا يُسبَر^(٢)
كم فيه من أثرِ العواصفِ راسبٌ أبداً به لا يُستطاعُ فيُنظر
فاطوِ الفؤادَ على الهمومِ كأنها رم على رمٍ به لا تُنشَر
لو كُشفتْ سِيرُ النفوسِ لراعها منها علاماتُ تسوء وتذُعر !

صرصور الشعر

يا أيها الشائىء المفرور يشتمنى ارافق بنفسك ليس الشتمُ يؤذيني !
لذَّ بالجبالِ وضعها فوق فضلى واشد تمنى كما شئتَ شتمُ الوغدِ يعطيني
واجهد على إذا ما شمت محمدةً منى فكلُّ خفاءٍ ليس يخفيني
واذم مقالى وأزعم أننى رجلٌ مغرى بكل ضئيلِ الرأى مافون^(٣)
وانسب إلى عيوباً لست محصيتها وصلُّ بكل رهيف الحدِّ مستون
فإن فضلى مثلُ الشمسِ مشتهراً يبين نقصك من نتنٍ ومن دون
أبعد شدوى بالآياتِ يا عجباً وبعد مسعاى فى الغر الميامين :
يتاح لى منك صرصورٌ يناوئنى بالرجس والتنِّ يا صرصور ترمينى ؟
لو شئت صبتُ عليك النعل مسكتة صوتاً يغرد فى بيت المساكين

(١) اللجين : الفضة . (٢) أى أسعد الناس من لا يسير قلبه ، والسير : معرفة الغور ، أى من لا يعرف كل ما فى أعماق قلبه . (٣) المافون : المكذوب الباطل .

بيت من النظم لا شعر فتحكمه ولا نثير متين غير موزون !
لكن نعلی يا صرصور طاهرة عن لمس كل قبيح الشكل ملعون !

لوازم الحب

عبثاً أحاول قرب روحكم سفيه بقلبي ظل يوهمه
أفمنصفى في الحب من زمني من ليس يفهمني وأفهمه ؟
لا السن دانيئة ولا فطن وتشابه في الحب يحكمه
وتغايير في السن ينقضه وتفاوت في العقل يهدمه
فاظفر بظئر درها عمم إن الصغير ذكاؤه فمه^(١) !

النقد القذر

نقدك هذا وضّر الزيت لوث به ما شئت من بيت^(٢)
يغسله الدهر بأمواجه إذ أنت فيه طعمه الموت
شعري مثل الدهر في صوته وأنت غر خافت الصوت
إن تعب الناقد في نقده بادره باللو والليت !

إيكاروس

العبد الروماني

(حادثة في حياة الرومان)

مضى العبد إيكاروس في بيت سيد يرى الظلم حقاً ليس فيه ملام
فيا شقوة العبد الدليل ونحسه وفي الظلم لذات الظلوم ترام

(١) الظئر : المرضع ، والدر : اللبن ، والعمم : الكثير التام . (٢) وضّر الزيت : قذارته .

فلما طغى بالعبدِ نحسٌ وشقوةٌ
تأبطَ سيفاً مرهفاً وسعى به
فأورده من سيفه موردَ الردى
وأشعلَ ناراً ليس تخبو ضرامُها
وجندله بالسيف أنصار ربه

وما كلُّ نفسٍ في الحضيضِ تقام
إلى حيثُ مولاه الظلوم ينام
وذلك في حكم الأنام جُسام^(١)
فأصبحَ ذاك القصر وهو ضرام
فقال وقد أهوى إليه حمَام :

قول العبد :

حلالٌ أباحوا ورده وحرام
قيودٌ بها يشقى الضعيفُ ذليلة
وكم خدرت نفسٌ بخشخاش مَينهم
أخالوا حلالاً أن أذلوا بحولهم
فإن قدرُوا جوراً فقد قُدرَ الإبا
وإن جميعَ الناسِ في الضعفِ إخوةٌ
ألا إنَّ دفعَ الشرِّ بالشرِّ سنةٌ
هو العبدُ عبد النفسِ من عاش راضياً
وما ظلمَ المظلوم إلا رضاءه
وبعضُ الثَّقَى والحزمِ جبنٌ وذلةٌ
وما الناسُ إلا مالكا غير عادِلِ

وليسَ على العبدِ الذليلِ حرامٌ
لها في أنوف الخانعين خطام^(٢)
فصالوا وجاروا والنفوسُ نيام
نفوساً ولا مثل المذلة ذام
وذلك في حكم القضاءِ نظام
إذا لم يخف مرعى الحرام سوام^(٣)
ومن جنٌّ من جورٍ فليس يُلام
ولا يُخضع القلبُ الأبيَّ زمام
وفي كل ظلمٍ للنفوسِ مدام
وفي الشرِّ نبلٌ والحياةُ عرام^(٤)
وآخر يرضى بالأذى ويضام

(١) الجسام : العظيم الجسيم .

(٢) الخانعون : الخاضعون .

(٣) السوام : التي ترعى .

(٤) العرام : الشدة والقوة .

وما كلُّ ذى ذلٍّ على الشرِّ قادراً
ولو خوف الإنسان من شرِّ غيره
رضينا « بنىرون » فكُنَّا بناره
وهل نافعى لو عاش فى الناسِ ناعماً
وهل كلُّ مَنْ مِمَّ الهوان سنام ؟
لما قادَ ذاك العَير منه لجام^(١)
جديرين إنَّ الأتقياءَ حطام^(٢)
وعشتُ وحظى فى الحياةِ أوام ؟^(٣)

★★★

قول الواعظ :

قضى الله أنَّ الجرمَ للجرمِ باعثٌ
فلا تحسبنَّ الشرَّ فرداً فإنه
وللشرِّ عدوى كالوباء وعدوة
فلا تقصدنَّ بالشرِّ نفساً بريئةً
وإنَّك لا تدري بما الشرُّ واقعٌ
فأنتَ قسىمى فى اتقاء مصابه
ألا إنَّ درأ الشرِّ عنك رهينةٌ
فلا تعدُّ مظلوماً ولا تعدُّ ظالماً
وربُّ بريقٍ شُبُّ منه ضرامٌ
تؤام إذا جدَّ الردى وتؤام
هو الشرُّ فى هذى النفوس سقام
فقد ينتحيك الشرُّ وهو سهام
وفى أى دارٍ للمصائبِ مقام
وإنَّا لا كفءَ عليه كرام
بدرثك عمَّن كان منك يضام
فكلُّ عرامٍ يقتفيه عرام

دعابة

(أى مواقع التقبيل أحسنها؟)

رأى دلهـا أن لا تضنَّ بقبلةٍ
أقبل منها الحسن فى خير موقعٍ
لأنزل لثمى فى أعزِّ مكان !
برغم حسودٍ راح بالشنآن !

(١) العير : الحمار ، أى لو خاف الحمار من حماره لما أذله
المشهور ، وينسب إليه حرق روما .
(٢) نىرون : الإمبراطور الرومانى
(٣) الأوام : العطش .

فيا ليت أن الناس تُغفى عيونهم
فوالله ما أدرى أخذك أحسن
أم الشفة الحمراءً أطيبَ موقع
أم العنقُ المعقودُ بالنَّحرِ أطيبُ
أالشمها في الخدُّ والفم طيبُ
لقد حرتُ حتى ما أرى لى حيلة
دعيني أقبل كل ما لاح حسنه
خليلى فى التقبيل أطيب متعة

فالشمها فى خفيةٍ وأمان !
أم العين أم ما تحجب الشفتان ؟
به الشمُّ والتقبيل يستبقان ؟
أم الصدرُ حلّى وجهه جبلان ؟
ولى فى لذيذات النُّحورِ أمانى !!
وليس لمثلنى بالسُّلُو يدان !
فكلُّ مكان فىك خيرُ مكان !
ولست أرى فى الحبِّ ما تريان !

العيش والرجاء

لو أدرك الإنسانُ آماله
ولم يعد يعرف ما يبتغى
لكانَ أشقى الناسِ فى عيشه
لا عيش إلا بطلبِ المنى

وصابه منها كقطرِ المطر^(١)
ولم يجد فى العيش ما ينتظر
حتى تقولَ النفسُ أينَ المفرُ
لولا المنى فى عيشه لانتحر!

بعد زينة

ابتعد عمن أحبك
أنت فى البعد جميلُ
قد حمدنا منك بعدا
للفقاقيع بهاءُ

لا تُرح بالقرب صَبَّك
لست أبغى منك قسربك
إذ حمدنا منك غيبك
قد حكّت فى الحسن قلبك !

(١) صابه المطر : أنزل عليه صويه .

فاعتصم بالصمتِ كي لا يعرف العاشق لبك
وإذا لحت قـريبـاً ما بعثتُ اللحظ صوبك^(١)
خشيةً أن يأخذ اللحظ إذا ما لحت عيبك !

الروضة المنتهية

غرستُ روضاً زاهياً زهره
فجاءه الغلمانُ في طيشهم
وهدموا الأسوارَ من قفزهم
كأنما نيلُ العلاء لعبه
أكثر من طيشهم جهلهم
حتى يرى في عقله ظلمة
إن يسألوا عمّا بأيديهم
أو يسألوا عن روضتي جمجموا
ولو ثوا الزهرَ بأيديهم
ثم ادعوا كي يعذروا نهـبهم
فكلهم يسرقُ من روضتي
من يرجي الشكرَ لدى أحـمق
وحطته من خشية بالبنا
والطيشُ ضربٌ من غرور الصبا
وانتهبوا الزهرَ وطيبَ الجنى
ما لهم لو عقلوا والعلا !
يعدون من عاشرهم بالغبا
يضلُّ فيها الرأي إمّا سرى
قالوا اشتريناه كما يشتري
أن ليس في أغصانها مجتنى
فهان حتى صارَ لا يُجتنى^(٢)
أنى لم أغرس بها ما زها
وكلهم ينكرُ ما قد جنى
يبدله عدواناً بما قد رجا !

(٢) يجتنى . ينفع ، يعطى .

(١) الصوب هنا الناحية .

حلم وردة

وردة في الشتاء تحلم بالصيف

وردة في غصنها طال كراها
مثل أنفاس حبيبٍ راقدٍ
مسا لها وسنانة ذابلة
حلمت بالصيف في ريعانه
وحبيب من هواها صادح
لا أرى البلبلَ جسمًا طائرًا
لو بدا للنفس صوتٌ وفمٌ
بات يشكوها بشعرٍ ساحرٍ
يا عروسَ الروضِ رفقًا بمحبٍ
وهي من أشجعجانه حائرة
تحمل الأنفاس عنها نشرها
أى شيءٍ قد نفى عنها كراها
فرأت أن شتاءً لم يزل
حلم ما فيه من شين سوى

عبق في نومها طيبٌ شذاها
نشرت نفس محبٍ في سراها
هل ترى في النوم أحلامَ هواها !
وبضوءِ البدر يسقيها طلاها
بأغانٍ ينتشى من قد حساها
هو نفس تشتكى ما قد عناها
كانَ شدو الطير معنى في لغاها^(١)
شجو نفسٍ قد نأت عنها مناها
نفسه في شدوه فاض جواها
خجلًا تحمرُّ منه وجنتاها
كلما غنى لها في الشدو آها^(٢)
أترى البلبلَ قد قبلَ فاها ؟
حولها يا ويحَ ما منى كراها
أنه غادرها حيث بداها

(١) جمع لغة . (٢) أى إذا تأوه من حبه تأوهت رحمة له فينشر تأوها نشرها .

الهوى حلم العمى

كان عهدى بالأمانى فى الشباب	كالغوانى راقصات من هيام
صار عهدى بالأمانى كالسحاب	فى دجى العيشِ ظلامٌ فى ظلام
كنتُ أرجو العيشَ حلو الثمراتِ	صرت أخشى إن دعا داعى الأمل
كنت ألقى الموتَ مرَّ الجرعات	فحلا لى بعدكم مرَّ الأجل
إنَّ عيشى بعدكم مثل الظلام	أنتم كنتم ضياء البصر
احملنى يا ريح عن قلبى سلامى	وارجمى عنهم بطيب الخبر
عاد فجر الحب ليلاً داجياً	إن أضواء الهوى حلم العمى ^(١)
بعد ما كنتُ زماناً راضياً	أرتجى من حبكم ما أرتجى

تم

(١) أي يحلم المرء بالحب كما يحلم الأعمى بالضوء .

الجزء السادس

ديوان

الأفنان

عن الطبعة الأولى للديوان السادس

عام ١٩١٨

فصل فى أن الشعراء كماليون

مقدمة لصاحب الديوان

يحكى أن نوناتلى الإيطالى صنع دمية فأجاد صنعها ؛ فلما رآها أستاذة قال له مازحا : ما ينقصها غير أمر واحد . ثم كتمه عنه حتى مرض نوناتلى من الأسف عليه ، والفكر فيه ، وحتى أشرف على الهلاك . فدعا أستاذة وقال له : قد رأيت ما بى من الداء ، وأنى هامة اليوم أو غد . فأخبرنى أى نقص رأيت فى دميتى ؟ قال : ما ينقصها غير الكلام ! فقام المريض محموماً حتى أطل على دميته وقال : تكلمى ، تكلمى ، فما ينقصك غير الكلام . ثم وقع ميتا !

وكل ذى فن فى فنه مثل نوناتلى فى طموحه إلى مرتبة الكمال . وإنما يجيد حسب فضل الملكة المهدبة التى يسترشد بها من نفسه ، لا لأنه يقصد إلى ما أولع به الناس ، مما يستفز إعجابهم ؛ فإن إعجاب الناس - وإن كان حبيباً - يتطلب بإرضاء ملكته المهدبة لا بإرضائهم ، ويأمل أن يقنعهم ما أقنعه من نفسه . وهذا سبيل أثره فيهم الذى يأمله فى حياته أو بعد موته . وسواء أأكبر الناس شعره أم أصغروه ، فإنه يعيش بحسرة على ما يعجز عنه ، ويلهفة على ما لم يقل ، وإن جل ما يقول .

ومن هنا ولج التحاسد إلى أفئدة الشعراء ؛ فإن الشاعر يعالج حسرة على كل فوز لم يفزه ، وطائر أمل لم يقنصه . فإن نفس الشاعر طماحة أبداً . وخلق بمن يعرف أن فوق كل إجابة إجابة أن لا يدع للحسد سبيلاً إلى قلبه ، وأن يعد كل قصيدة جليلة فوزاً يزهى به عالم الحسن على عالم القبح ، ونصراً أصابته الحياة على الموت ، غير مفرق بين قائل وقائل فى الإعجاب الذى لا يتقاضاه الشاعر ، بل يتقاضاه شعره .

ألا وإن أجل شعر شكسبير هو ما كان يحلم به شكسبير ، ويود لو قيده بقيود الكلام ، وليس أجل شعره ما يعجب به الناس ويعجب منه ، فإن كل حسن فى الفنون عنوان لحسن ، وكل فوز وعد بفوز . فإن الشاعر ليرى فى نفسه القصائد التى يحلم بها كما يرى العاقر أبناءه الذين لم يلد لهم . أو كما كان ميشيل أنجلو يرى الدمى التى لم ينحتها كأنها محبوسة فى الصخر الأصم الذى لم يلمسه بعد . وقد ورد عن كثير من كبار نوى الفنون ما يثبت هذا الظماً الذى هو خير لشعر الشاعر شر لنفسه .

ولو كانت الحياة شجرة لكان الجمال زهرها والشعر طائرها . ولولا الشعر افتقد جمال الحياة ، وكل حى شاعر بمقدار ما يحس الجمال فى الأشياء والأخلاق والأعمال التى ينشدها . والعالم عالمان : عالم الجمال وعالم القبح ، وكل منهما ممتزج بأخيه ، منعدم فيه . والشاعر رسول الجمال يسعى فى تحقيق عالمه . وإنما الخير ضرب من الجمال ، والشر ضرب من القبح . والشاعر يعرف أن الشر محتوم ولكنه يعرف أن من الحتم أيضاً الطموح إلى ما وراء الشر المحتوم من الخير المحتوم . ومن أجل ذلك كان كل شاعر كمالياً سواء أعرف أم لم يعرف . وهو إذا نبذ عقيدة اقتران الجمال والخير ، إنما ينبذها شوقاً إليها ، كما يهجر المحب عشيقته من هجرها إياه ، وإنما الحياة أو الحق كالميزان ، لا يعتدل أعلاه إلا إذا استوى جانباه . ومن أجل ذلك صار الشاعر يعدل بطموحه وخياله وجمال شعره جانب الذين لا يعرفون فروض الشعر ومنزلته من الحياة ، كما يعدل كل نقيض نقيضه ، وهذا أساس الحياة . ألا ترى كيف عدل عيسى ، عليه السلام ، روح الأثرة فى دولة الرومان ؟ وكيف أن رفض شوينهور للحياة يعدل تقديس نيتشه إياها ، وتقديس كل ما تغرى به ؟ ومنزلة السعادة فى الحياة كمنزلة الشعر من النثر . والذين يسعون فى نصرة الخير واستخلاص السعادة التى فيما دون المحال ، يأخذون نثر الحوادث فيجعلونه أوزانا وأنغاماً .

ومن أجل ذلك يتغنى الشاعر بالبطولة ورجالها الذين يشايعونه فى مداواة قبح الحياة ولو لم يكن من المكافحة كى يستخلص من الحياة جمالها إلا التغنى بما يلهى المكافحين ، ويليح لهم بمثال الجمال المنشود أو تحذيرهم باليأس والسخر إذا استنابوا إلى الأمل ، أو اتخذوا منه موقفاً لكفى .

ولا ريب أن شعر الشاعر ابن طبعه ومزاجه ، وأن الشعر ضروب متغايرة . وذلك لا ينفى ما ذكرنا . هذا شكسبير ما ترك جانباً من جوانب النفس وهو من رحب النفس بحيث يسع الجرم والمجرم ، ولكنك لا تجد فيه تزييناً للباطل إلا على لسان أهله وصفاً لهم . كما أنك لا تجد فيه وعظ من لا يرى إلا جانبه من الحق . وإنما نريد بذكر ما ذكرنا ، أن الرغبة فى الشعر من أجل أنه شعر ، لا من أجل مقصد خلقى حق إذا عنى الراغب أن الشاعر ينبغي أن لا يتجاوز أصول فنه التى يهين بها لذات الفنون ، كى يبلغ من النفس مبلغه من التأثير فيها بتلك اللذات . وأما إذا قيل : إن الشعر لهو ساعة ؛ فهذا قول من اللغو !

الحياة والحق

هات اسقنى الذكّر الخوالد هات ،
ياساقى الذكرى ، كئوسك أضرمت
أصحوت من خمير الحياة وإنما
والعقل أليق بالفتى من غفلة
لولا فروض العيش لم أعبأ له
وتكاثّر الحاجات ينبىء أنما
وهى المنى صوت ، صداه صرخة
والياس ينبىء أن فوق جهودنا
لولاه لاستوت المطالب كلها
إنّ الفضيلة والرياسة لذة
لا تسعد المجدود منك برحمة ،
وهى التجارب للعقول صياقل
إنّ التجارب كالأزهار جمّة
يا قلب لا يغنيك ذعرك للأسى
والموت ظلّ الله أبشّر إن دنا
ثبتّ الزمان ونحن نعدو عمرنا
كالراكب العجلان ينظر حوله
والعيش كالحرباء يخدع لونه

إنّ النفوس كثيرة اللفتات
من ذا الرحيق النار فى لهواتى
طيب الحياة يصاب فى الغفلات
للسعد تحكى غفوة النشوات
جيشاً من الآراء والعزمات
خلق النفوس لأعظم الغايات
لليأس ، ثم الموت كالسكتات
خير المال وأعظم الرغبات
حيث الحضيض ووهدة الوهدات
خير الجنى يعنى خير جناة
أهل الجحيم أحق بالرحمات !
صفحاتها للغيب كالمرآة
أو ما اغتفرت الشوك للزهرات ؟
فالخوف أول مهبط المهواة
فى ظلّه أمن من الحسرات
ونخال أن الدهر ذو نقلات
فيرى الشخصوس سريعة العدوات^(١)
والحسّ بعض حبائل الخدعات^(٢)

(١) العدو : الجرى .

(٢) الحرباء : دويبة تتلون ألوانا مختلفة .

فالمرء يسرى وهو قيد مكانه
والحق مثل الشمس يهلك آله
أم الهدى لكن بعض ضيائها
والحق مثل الشمس يجعل ضوءه
والمرء فى دنياه خابط حندين
كم حكمة فيها الدواء لعاقلي
والعزم شىء لا يباع فيشتري
والموت بحر والنفسوس لآلىء
لسنا نصيب الحق فيما نبتغى
نبغى من الدنيا نظام محدد
فنظامها ألف النقيض نقيضه
والعيش غيم والعقول جلاؤه
نظر الأنام إلى الحقائق فى الدنى
كالطفل ينظر فى الأضائة فينثنى
والفكر دائرة يظل يدورها
فلكل دهر دورة معلومة
والفكر يعظم وهو فى دوراته
والحق فى الأضداد يلقى سره
كالمرء ينكر فى الوجوه غريبها
والحق مختلف المقاطع والنهى

سكن الوجود لشدة الحركات
والشمس أم الخير والآفات
رفع السراب وغر فى الفلوات
بعض النفوس قرارة الحشرات
آراؤه ضرب من الخطوات (١)
لو يدرك المعلول عزم أساة
من للشقى ببائع العزمات
والعيش فوق الموت كالموجات
لكن كظل الحق فى الصفحات
فى رحبها برء من الغايات
ونقائض الأيام كالأخوات
كالشمس تنقش جانب المزنات (٢)
كتطلع الحمقاء فى المرآة
متسائلاً عن روضة وأضائة
فى دهره متقارب الدورات
ومطالب موصوفة المسعاة
كالماء حول مواقع الحصبات
ولقلمنا ندرية بين عداة
ويحن نحو أحبة ولدات
متباين الأسباب واللهجات

(١) الحندين : الليل الشديد الظلمة .

(٢) المزنة : القطعة من السحاب .

والعيشُ مثلُ الشمسِ يعمى ضوءه
ولعل في ظلم الحمامِ زواهراً
احزن ولذّ وقلّ لكلّ مقدرٍ
وخذ الأنامَ على عوائد كيدِهِ
عن أنجمِ تزدانُ بالظُّلُماتِ
تجلو الظنونَ وتكشف الغمّاتِ
يامرحباً بالحزنِ والفرحاتِ !
واغنم صفاءَ العيشِ في الفلتاتِ !

أبو الهول (١)

أنختَ فوق الدهرِ بالكلّكلِ
عند فلاةٍ قلّ قطائنها
مضى الألى شادوك في مجدهم
فهل مللت العيشَ من بعدهم
ثقل من الدهرِ تحمّلتَه
فهل يدّر العيشُ من بعدهم
وأنت مثل الخانِ في لبثه
غداً ترى عيناك من بعدنا
وكنت مثلاً الواعظ المرسلِ
هل باختيارٍ كنت في معزلٍ ؟
كأنه منك لدى موئلِ
كأنما جُلّلتَ بالمشقّلِ (٢)
لو حلّ بالأطواد لم تحمّل (٣)
أم ما ضرّوعُ الدهرِ بالحفّلِ ؟ (٤)
ونحن مثلاً الراكبِ المعجّلِ (٥)
غدير حلول الحى والمنزلِ

(١) أعيد نشر هذه القصيدة بمجلة الرسالة عدد ١٥٩ فى ٢٠ يولييه ١٩٣٦ ، مع تبديل ضئيل فى بعض الألفاظ المشار إليها فى هذا الهامش .

(٢) جلّه وتجلّه : علاه . والمتقل : أثقال الدهر .

(٣) الأطواد : الجبال .

(٤) الضرّوع : الشدى . والمراد بدر الدهر (بفتح الدال) خيره : أى هل سيعود لمصر خيرها ومجدها الماضى ؟

(٥) الخان : المراد به المنزل أو الفندق .

كم أمسية من بعدها أمسية
فأنت سفيرُ الدهرِ خطت به
فساتلُ لنا من آيةِ آيةٍ
كم وعظَ الدهرُ فلم نزدجرُ
قيدنا العجزُ ونرجو عُلا
نعاف مستطرف ما يُرتجى
فيا مثالَ الدهرِ يا رمزه
كأنَّ روحَ الدهرِ في جسمه
تحسبه من هيبةٍ عاقلاً
كأنما في طي الحساسة
كأنه في صمته حارس
يا عجباً أبصرتَ ما قد مضى
أبصرتَ أكلَ الدهرِ أبناءه

قصد رحلت عنك ولم ترحل
يُدهاه آى المحكم المنزل
لعلنا نجنب ما يبطل^(١)
وكم سما الناسُ ولم نعتل^(٢)
يسمو الذى فى الطير لم يكبل
كأننا فى العيش لم نُجبل
كم صنم فى القلب لم يبطل^(٣)
إن تره من نحسوه تمثل
من حسب المرهوب لم يعقل^(٤)
ذكرى لعهد الزمن الأول
يحرسُ بابَ القدرِ المقفل
ونظرات منك لم تقبل^(٥)
ألم تُرعَ من ذلك المأكل ؟

(١) أى أعطنا مما رأيت من تجارب الدهر كي نتجنب الزلل .

(٢) فى الطبيعة الأولى - فلم نرعو ... ولم نبطل .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول المعري :

والقلب من أهوائه عابد ما يعبد الكافر من بده

أى وثنه وصنمه . فعبادة الأوثان إذن لا تزال قائمة فى القلوب .

(٤) الخوف من إنسان يجعل الخائف يكبر عقله .

(٥) لم تقتل من هول ما شاهدت عينه .

بينكما نجوى على صمته
عشش فيك الحادث المجتوى
مرت بك الأيام مخشية
فابعث لنا من عزمها عدة
ولو نهيت الدهر لم يعتد
والدهر كم تسحر أحداثه
أى حكيم قد رأى ما رأت
يا ناظراً ينظر هذا الورى
انظر إلى الأقدار فى غيبها
أغابر الأيام فى صرفها
أمالك عوجل عن ملكه
والناس حلّى القاهر المعتلى
يصوغهم كل غلوب على
كم عبرة للناس أبصرتها
فهل دموع النحس تحيى الورى
أراك لا ترثى لمانابهم

وصمتة فى فيك كالمقول^(١)
وكنّت عرش الرمية الضئيل^(٢)
كأنها مرت على هيكلي^(٣)
فلو سألت الدهر لم يخل
ولو زجرت الدهر لم يقبل
لبّ غضيض اللبّ والمفصل
عيناك فى الدهر ولم يذهل ؟
نظرة طرف الناظر المعضل
واذكر مآل العيش فى المقبل
كمضمر فى الغيب مستقبل
كذى علاء بعد لم ينزل
يألم نار الحاذق الصيقل^(٤)
سنّة ملك الرمح والمنصل
وعبرة للهاتل المسبل
مثل عقيب المطر المرسل ؟
يا ليتنى مثلك لم أحفل !

(١) القول : القوال : اللسان .

(٢) هذا البيت لم يطبع فى القصيدة المنشورة بمجلة الرسالة .

(٣) أى تمر بك خاشعة ولو أنها مخشية من الناس .

(٤) فى الطبعة الأولى - القاهر المجتوى .

ومقلة تُخبر الحاظها
والدهرُ وهو الساهر المعتدى
وربَّ لحظٍ منك قد رشتَه
فابحثْ خباياه وأحناءه
كأنَّ روحَ الدهرِ تبغى به
تحسُّبه لو جئته ناشداً
يا من سؤال العيش في صمته
كم امتطى الأيام تجرى به
كم عبَّ لجَّ الدهرِ ثم انثنى
كأنَّه منتظر موعداً
لو فاه يوماً ذاكرة سره
أو أنه المسحور في صمته
فخاف صرف الدهر من فتكه
فزاده بالسحر عن نطقه

أنَّ عيونَ الدهرِ لم تُسمل^(١)
يُغضى وعينُ لك لم تغفل
في قلبِ هذا الدهرِ كالموغل^(٢)
واكشف لنا عن ذلك الغيطل^(٣)
وكُنَّا لها أحكمَ كالمعقل^(٤)
معنى حياة الناس لم يجهل
اسأل ومن لم يدره فاقتل^(٥)
كأنَّه والخلد في منزل
إلا بقايا الماء في الجندل^(٦)
حُسينَ كى ينطق بالمِقْبول^(٧)
لم يعجب الرائي ولم يعجل
قد كان يمشى مشية المشبل^(٨)
وعلمه بالحوادث المقبل
حتى تناسى عيشه المنجلي

(١) تسمل : تفقأ . (٢) راش السهم : هياه - أى كأن الحافظك سهام تتغلغل في قلب الدهر .

(٣) الغيطل هنا كالغيطل : الظلمة المتراكمة . (٤) الوكن : الوكر .

(٥) في البيت إشارة إلى أسطورة قديمة تقول : إن أبا الهول كان إذا مر به إنسان سألَه في معضلات الحياة ، فإذا لم يجب قتله . (٦) الجندل : الصخر ، أى كأن الدهر بحر ، وأبا الهول الصخر على شاطئه يصد أمواجه . (٧) أى كأن سكوت سكوت المتأهب للقول في حينه .

(٨) الشبل : أبو الأشبال ، أى كأن أبا الهول كان حياً يسعى كالأسد أبى الأشبال ، فسحره الدهر خوفاً منه .

هرم خوفو^(١)

ياموجةً للدهر لم تهزم
وما رأينا قبلها موجةً
ما الناس والآثار من بعدهم
موج لبحرٍ ما له ساحل
كم عند شط الموت شلّو ردى
هل أنت شلّو لزمانٍ قضى ،
لم يبق من عمران من قد مضوا
كأنما يدخر من مجدهم
كيف نرجى الدهر ذا عفةٍ
لا يسمع الدهر سوى منصت
همهمةٌ يطلقها عارمٌ
هل خاف هذا الدهر صرف الردى
لا يجرؤ الموت على بيته

تعلو علو الجبل الأعظم
تعلو فلا تحدر للمحطم
إلا كموج إن علا يهزم
غير الردى فى حده المظلم
يقذفه الدهر إلى ضيغم^(٢)
رفساته الآثار لم تُردم
إلا بقايا الجلد والأعظم
ما يدخر النمل من المطعم
إن ذاق طعم اللحم لم يقرم^(٣)
بالروح إن يصغ له بكم
إن يمضغ المودى به يبيغم^(٤)
فشاد صرحاً منك لم يثلم ؟
فى هرم كالجبل الأدهم^(٥)

(١) أعاد الشاعر نشرها بمجلة الرسالة - عدد ١٥٧ فى ٦ يولية ١٩٢٦

(٢) الشلّو والجمع أشلاء : العضو من أعضاء اللحم ؛ وما أكل منه شىء وبقيت منه بقية والضيغم : الأسد .

(٣) قرم الحيوان إذا ضراه طعم اللحم . وفى هذا البيت وما بعده تشبيه الدهر بحيوان .

(٤) العارم : الشرس ، ويبيغم : لم يقصص .

(٥) فى الأصل : لا يدخل الموت ... والأدهم : الأسود .

أم شادك العقل لكيما يرى
 بعيدة لم تبد أشخاصها
 كى يؤذن الناس بإقبالها
 إن أرزم الرعد على شاهق
 أو كملت هامته ديمة
 فوقك أرواح عصور خلت
 هدت يد الدهر مشيد البناء
 كم أنزل الدهر شأبيه
 كالمزن فوق الزهر يحيا به
 كأنما الأيام ظئرب به
 كأنما ينمو على مرها
 قد شمع الترب به عزة
 أم قلصت وجه الثرى كبرة
 أم كسفتى ماله راكب
 من فوقك الأقدار لم تهجم ؟
 تهفو لنا فى يومها الأيـوم^(١)
 من قبل أن تُفجأ بالمقدم
 ففوقك الأيام كالمرزم^(٢)
 وطفاء مثل الجسد المسهم^(٣)
 كسديم سوداء لم تحسم
 وهو إذا أمك كالأجذم
 على جبين منك لم يهرم
 زهر الربى من غيثه المرهم^(٤)
 تغذوه منها بسليل الدم^(٥)
 فيسرتدى تاجاً من الأنجم
 كشامخ بالأنف لم يخطم^(٦)
 فأنت من تجمعيدها الأقدم
 يمنع ظهر المكرم المقرم^(٧)

(١) الأيـوم : الشديد .

(٢) أرزم الرعد : اشتد صوته . والمرزم : ما يريزم ويشد به كالحبل .

(٣) ديمة : مطر يدوم فى سكون . وطفاء : أى مسترضية الجوانب لكثرة مائها . والجسد :

القميص . والمسهم : الهزيل المغير اللون . (٤) المزن : المطر أو السحابة .

(٥) ظئر : مرضع (٦) يخطم : يقاد من خطمه أى أنفه كالبعير . يقع على أنفه .

(٧) الفنىق : الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب . والمقرم : ما لم يمسه حبل ، والفحل إذا ترك عن

الركوب والعمل .

أم ثدى مصر إنها ناهد
 أم أنت ناب الأرض ذا شحذة
 أخرج صخر الأرض طياته
 أم كيف شاد القوم أحجاره
 كأنما روح زمان مضى
 يا معبداً يُعبدُ فيه الحجى
 أجل ما تعبد فيه النهى
 قد حملتك الأرض فى بطنها
 تمخضت عن علم أروع
 ثم تردى بعلمها بعده
 يا علم الدنيا الذى قد غدا
 علت بك الأرض كمن قد علا
 رفعت رأساً منك ما طاله

عشيقه للقدر الأزم^(١)
 خُلف فى شدى فم الأهم^(٢)
 حتى بدت كالهزم المقعم
 حتى بدت فى عظم المخرم^(٣)
 معشش فوقك كالقشعم^(٤)
 إلى الحجى فى صنعه ينتمى
 سليلها فى صنعه المحكم
 كأنها المقلات لم تعقم^(٥)
 مفزة فى الحمل لم تُثم^(٦)
 كيف نرجى النسل من أيم^(٧)
 عجوبة الغائر والمتهم
 برأسه الكبر فلم يهضم
 رأس البناء الشامخ الأقوم

(١) الأزم : المقطوع طرف الأذن .

(٢) الأهم : من تكسرت أسنانه .

(٣) المخرم : منقطع أنف الجبل

(٤) القشعم من التسور والرجال : المسن ، أو الضخم .

(٥) المقلات : المقلّة من النسل . قال الشاعر : (وأم الصقر مقلات نزود) .

(٦) المفزة : التى تأتى بالفذ الوحيد فى النسل . والمتنمة : التى تأتى بالتوأم .

(٧) الأيم : التى مات بعلها .

كأنما كلّ البنا سُجِّد
يا ملكاً ما انحَلَّ سلطانه
كم دولةٍ قد ضاع سلطانها
كم شابكت كفاك أيدي الردى
يا غيبر الأيام في كرّها
تباعدى إن شئت أو فاهجى
هيهات لم يبدُ له مقتل
كم خال فيك الناس سرّاً طوا
خلوا الألى شادوك قد أودعوا
ما أودعوا إلا كنوزاً غدت
وكلُّ ما لم يبدُ كنهه له
والمرء يبغى الحق في خدره
ورمّة خبائها كاهن
رمّة ربّ رائع عزّمه
جلال روح منه ذى همّة
لا تحسبن الناس لم يُجدهم

من هيبّة للملك الأعظم
قد هدم الماضى ولم يُهدم
ودولة الأهرام لم تهـرم
ثم انثنى عنك ولم تُكلم
من أبيض نأمن أو أسحـم^(١)
على شبيهه البطل المـعلم^(٢)
قد أخطأ الرامى فأشوى الرمى^(٣)
هـ الدهر لم يُكشف ولم يُعلم
فيك رموز المطلب الأكرم
نهبة كف الصائل المجرم
يُخال كنز الحق والمغنم
ولسوّ بدا فى أعين الأنجم
لفاتك الآراء والمخـذم^(٤)
قد أخرجت من بعد للمرجم^(٥)
مُجسّم فى صنعه المحكم
غير منال البُرد والمطعم^(٦)

(١) أسحـم : أسود . (٢) فى الطبعة الأولى - تليشى إن شئت

(٣) أشوى الرامى إذا أصاب الشوى ولم يصم أى لم يصب المقتل .

(٤) الرمة : العظام البالية . والمخزم : القاطع من السيوف . وأيضا المقر بالذل .

(٥) المرجم : المتكلم بالظن (٦) البرد : الثوب .

فالنفسُ تبغى أن يرى كنهها
لم يُصلح الناسَ لذي أمرهم
أظلمهم مَنْ سَاغَ طعم الأذى
كلُّ ضعيفٍ خيره علةٌ
مَجَسَّمًا في صُنْعِهَا الأعظم
غيرُ شَفِيعِ السَّيْفِ والدرهم
ليس الذي يظلم بالأظلم
من ذا الذي صَحَّ فلم يعمر؟ (١)

الليل

يا جوهرًا نفسي له صورةٌ
كالنَّجمِ في البحرِ يرى نفسه
قَمٌ حَدَّثَ الليلَ حديثَ الكرى
كأنَّه المرآةُ مصفولة
الكونُ وكَرٌّ والدجى واقع
يصيخُ قلبي تحت استناره
كأنما أحسبُ استناره
أكاد أن أسمعَ في جنحه
وناطق بالصمتِ كانت له
أحسبه قد شاب مما رأى
كلا هو الخالد في ملكه
لأنتَ عندي بالمكان المصونُ
في كوكبِ الأفقِ القصي الشطون (٢)
فطيره قد عششت في الجفون
تصقله الأحلامُ صقل القيون (٣)
كالطير تؤوى فرخها في الوكون (٤)
كالطفل يصغى لدعاء القرين (٥)
مسدولة فوق اليقين المبين
وجيبَ قلبٍ منه جمُّ الشجون
هذى الدراري مكان العيون
فالشهبُ فيه شعرات السنين
متزوجاً بالنجم فوق الجبين

(١) في الطبعة الأولى - كل سقيم .. ويعمر : يشتد ويفسد .

(٢) الخطاب موجه إلى رفيق - الشطون - البعيد .

(٣) القين : الحداد والجمع قيون . (٤) الوكن : عش الطائر ، والجمع : وكون

(٥) القرين : العشير والمصاحب .

تكاد تبدو النفسُ في جُنْحِهِ
تشدو لك النفسُ بأنغامِهِ
في فحمة الليل وقودُ النهي
كأننى في جُنْحِهِ مفرداً
كأن روحَ الموتِ في جُنْحِهِ
الصمتُ سجنٌ والدُّجى حارس
أو كوليِّدٍ كلِّ من ضحكته
أو هو صبُّ عاشقٍ للدُّجى
كأنما هذا الدُّجى معبّد
أو كضريحِ النورِ يخفى به
هل ذهلة الأصواتِ أن قد رأت
تلفَّت الريح به خيفة
كأنه ظلُّ ظليلٌ بدا
أما ترى أثمارها في الدُّجى
أم هو ظلُّ الموتِ إماماً دنا
أم هامة اليوم الذى قد مضى
فالكونُ منه خاشعٌ حائر
وخلفاً روحيهما في الدُّجى
قلبي عودٌ خافق قلبه

كالوضع يبدى من خفى الجنينُ
كالريح تشدو في حفيف الغصونُ
وفي دُجى الليل ضياءُ الحزين
سحابة الحزن بقلب الركين
تخطرُ في أثناء هذا السكون
والصوتُ مأسور عليل الأنين
تحصنه أم رؤوم حضون
تناجياً باللحظ بين الجفون
وفي خشوع الحى صمتُ اليقين
قد خُطَّ فيه للنهار الدفين
ما أودع الليل غلاة الظنون ؟
هل عادها من دعرها كالجنون ؟
لدوحة الفردوس ذات الغصون
نجماً تناءى مثل ذخر الضنين ؟
سغبان يسعى لاقتضاء الديون ؟^(١)
يهيج من روع الجبان الظنين ؟^(٢)
مات به الصوتُ ومات السكون
كما يروع الحى روحُ الدفين
أوتاره تنبض نبض الوتين^(٣)

(١) سغبان : جائع . (٢) الهامة : روح الميت القليل : والظنين : المتهم .

(٣) الوتين : عرق فى القلب يجرى منه الدم إلى العروق كلها .

تهفوبى الذكـرة فى جنحه
أو دميةً ينحتـها ناحـتـ
أو كـهدايا هالكـ غابر
الليلـ مثلـ الماء فى ركـدة
كأنها هامة ماضى السنين
يحكى بها من أمس هلـكى الشجون
تطير عنها خطرات المنون
والصبح يبدو مثل ماء معين

سور العيش

يمربى زمنى كالصل منفلتاً
أمسى كنهى أرى فى قاعه دُرراً
حتى لقد صار لى عُشاً ألـوذ به
كم طارت النفس فى رآد الصبا مرحاً
مثل الندى وجناح الضوء يحفزه
قد تهبط النفس مثل الطير عاجلها
أحارس كان هذا الموت من قدم
وكان حية حواء التى خدعت
ولذة العيش أثمار مهـدلة
إن الصبا معبد للعيش نعبده
ظل الجنان رفلنا فى غضارتها
والموت كالأسد العداء تلقمه
لا بل هو الظئر والأرواح فى يده
من بعد ما كان كالأطيار وثاباً^(١)
تذكى اللواعج أن قد غاب ما غاباً^(٢)
والقلب إن ذيد عن أوكـاره آبا
كالطير يبغى بنهى الشمس تـشرباً^(٣)
يسمو بخاراً فإن حط الدجى آبا
نسر الظلام فكان النسر غلاباً
أغفى فأقلت صل العيش وانساباً
بلذة العيش أوابا ولعاباً
تبقى رماداً إذا ذيقت وتوراباً^(٤)
على مضاضته بوركت محراباً
حتى تقلص ظل الخلد وانجاباً
لذائد العيش تخشى منه أنياباً
كالطفل فى المهد لا تألوه إطراباً^(٥)

(١) الصل : الحية

(٢) نهى على وزن فعل : غدير . اللاعج : الهوى المحرق

(٣) الراد : الضحى . (٤) التوراب : هو التراب . (٥) الظئر : عاطفة المرأة على ولد غيرها ، أو المرضعة له

والعيشُ كالنردِ ترمى غير محتكم
أدلى لى الدهرُ خيطاً من حبائله
كالخوت أفلت مكلوم اللهاة فإن
كم عشى القلبُ فى ضوء الصبا فمضى
والظلُّ والشمس لا يبغي افتراقهما
فاجعل همومك بيتاً غال قاطنه
كزائف الذخرِ قلب ليس ينفق فى
وما انتفاعى بخيرِ كلّه فشلٌ
والمرء يغفل عن أمر الحياة وما
ضمائرُ الناس كالرعد يد يزعجها
يندس فى غمرات العيش جارمهم
كذلك المرء يخشى أن يرى أبداً
قارضٌ مُضيفك من بشرٍ ومن كرمٍ
والسخرُ مرآة إبليس التى نصبت

فيطلع العيشُ حرماناً وإنهابا
فعدت ما عاد هيباً ووثابا
أدليت خيطك ألفى فيه آرابا^(١)
كخابط الليل أعمى بات جوابا
فما ابتغاؤك عيشاً لم يذق صابا^(٢)
عادي الوباء فلا تطرق له بابا
سوق الحياة وإن أثرى وإن طابا
يأسى الصفى ويمضى الخبّ خلابا
جنباً يطامن بل حزمأ وإصحابا
صوت السكون فتبغى فيه صخابا
وقد يبيت لوى النفس هيبا
مفكراً خاب تسالاً وتطلابا
إن الزمان إذا ريبستسه رابا
إن تبصر الحق فيها عاد كذابا

ذكرى أمس

مدت لك الذكرى وجيع القيود
كأنها ذو إحنة ماكر
وقبر أمس شاحب مائل
والذكر دوح فوقه باسق

مخبوءة فى خدعات الجدود
يهدى صلالاً تحت زهر نضيد^(٣)
كذى حياة راکع بالوصيد^(٤)
أفنانه مثمرة بالوعود

(١) مكلوم اللهاة : أى جريح الحلق . وآراب : حاجات . (٢) صابا : مرا .

(٣) الإحنة : الحقد . والصلال : الحيات . (٤) الوصيد : فتاء الدار أو عتبتها .

والذكرُ صلُّ لاذعِ نابِه
كالحية الرقطاء تنضو ردا
والذكرُ كالجرذان في خفية
مطية الذكر على نهجها
كأنما إذ عفت باب الردى
كى تتخطى أزلاً ماضيا
كم تبتغى أمسك إن ساءك الـ
يا مخرج الملحود من قبره
أمس الذى فات على قربه
وإن يسؤك اليوم ترجُ غدا
فانظر إلى أمس مضى واستعن
الشيخُ يبغي ضلة أمسه

ياليته يخلع رث العهود
ء أمس كى تكسى الرداء الجديد
ينخر من قلب الأبي الجليد
معكوسة المسعى خلف تحيد
تبغى خلاصاً من سبيل الوليد
ترجع منه عن طريق الخلود
يوم وأمس معجز من يعيد
لم يبق منه غير عظم ودود
كالأبد الأبد قاص بعيد
إن غداً ليس بيوم جديد
منه على اليوم برأى سيد
وفى غد اليافع حلم سعيد

نعسة الطرف

عيناك عيناك منبت الذكر
فنعسة الطرف أنه أبدا
بالله ما تذكر العيون أأل
أم تذكر العهد حيث لا عدل
أم طرفك الناعس النؤوم يرى
لواعج العاشقين ذخرك والـ

كالزهر فى قناع رائق القدر
كذاهل قد أصاخ للفكر^(١)
حافظ مشوق بالصبر مستتر ؟
يلوى بصادٍ عن مورد خصر ؟
مامن من فتنة ومن سكر ؟
مذكرى وعاءٍ لخير مذكر^(٢)

(١) أصاخ : استمع . (٢) اللاعج : الهوى المحرق .

تنظر في أنفسي وفي مُهْج
أم رحمة غضت اللواظم
أم لوعة رنقت لحاظك إذ
أم غَضَّة في لواظ حلم
بعمالم أنت من بشائره
يخفي اقتدار العيون إن نعست
كم صائل سيفه تشفعه
قد تقصفُ الريحُ كلَّ عاتية
عينك من لمحمة الزواهر أم
أم من غدیر الحیاة حفَّ به
كم جاءك العاشقون من نذر الـ
فكيف تُرعى لحبٍّ محتضر
ولست أرضى لمثل وجهك قد
نفسى بحرٌ ظلمت أسبره
والذكر كالبحرٍ كم رمى جيفاً
فانعم فإنَّ الحیاة دائية

فعل غنى يرنو إلى الذُخْرِ
ما يشتكى العاشقون بالنظر
عشقت عشقاً لحسنك العطر
بعمالم الحسن طيب الخبر !
بشري طيور الربيع بالزهر
كصولة في الخفاء للقدّر
وصائل بالحياة والخفر
وتعجز الريحُ عن أذى الخور^(١)
مقبوسة الضوء من سنا القمر ؟
من هدب عينيك باسق الشجر !
حبٌّ بخير الزهور والثمر
ينبت من قبره على مَدَر ؟
بأ بين جنبى غائض العُذر^(٢)
كما يغوص الغواصُّ للدرر
تبدو كغرقى السنين من عمرى
قطوفها ، وامضها على غرر !

قيس الحسن

شعري بحرٌ وأنت ساحله قد صدّه عنك قلبك الحجرُ

(١) الخور : الضعف والجبن . (٢) جمع عذرة ، وهى أول الشيء ويكرته .

يأليت أن الخلود لي قبس
كيما أنير الحياة قاطبة
كالبدريكسو الأشياء حلته
فاكس بأنوارك الوري أبدا
ياشمس حسن حياتنا ثمر
ويخصب القلب إن رآك كأ
أشعل بالحافظك الحياة في
ياعار حسن جلوت غرته
وأنضب الناس فطنة وحجي
عطرت برد الحياة قاطبة
أنت أعرت الحسان روقتها
والحسن روح الحياة يستمره
أو مثل لمع البريق آونة
يا بارق الحسن في الحياة أما
ود شحيح رأي جمالك لو

من حسنك الغض ناله الشرر
أوضحها من جذاك والغرر
وشى من السحر حاكه القمر^(١)
كي لا يبين الشقاء والعسر
ينضج في ضوء حسنك الثمر
ن الحسن إما جلوته مطر
ن الصخر إما رمقته درر
إن لم يرق في قريض الأثر
تنبع فيه من حسنك الغدر
فكل شئ لمستسه زهر
كأنها منك أنجم زهر
للقيح ستر كالقشر يندثر
لناظر ، والظلام معتكر
تبصر من شاق قلبه النظر؟
تصاغ منه الحلي والبدرا^(٢)

درع الحياة

البس على السمع درعا
فالناس شاك وعاد

والبس على العين درعا
يبلغون في الدرع صدعا^(٣)

(١) وشى الثوب : زانه بالالوان ونقشه .

(٢) جمع بكرة ، وهي مقدار من النقود .

(٣) شاك : أي حامل السلاح مستعد للقتال .

والمرءُ جسدٌ شـَقِيٌّ
واقـهـر فلست بناج
تقلَى من الصـحـب مما
إنْ نـعـمـمـة بك حلّت
حتى كأن لها في
تكاد تخطم أنفـسـا
فليس يبـرأ صـدرا
تخـسـال في العين منه
يرومُ خـفـضـك كيـمـا
وليس يـرحـم إلا
أو من يـسـرّ بأن قد
فإن رجوت رحيمـا
عدوا الشقاء اجتراما
فالبس على الصدر درعا

إن ضـاقَ باللؤم ذرعا
إن رمت باللين طوعا
نرضى من النفس خـدعا
سألت لدى الإلف وقعا
حشاه نهشاً وقطعا
منه وتثقب سمـعا
إلا إذا شـامَ نـفـعا
أفـعى وفي الشـغـر أفعى
ينال بالخـفـض رفـعا
من هاب للشـر وقـعا
عداه مـا بت ترعى
في الخـطـب ألفت قـدعا^(١)
والخـفـض فضلاً وصنعا^(٢)
والبس على القلب درعا

طائر السعادة

لعمرك ما اللذات إلا حمائم
نشدتك ياطير اللذاعة والهوى
وإن الذي يرجو السعادة واثب

تنوح على أفنانها وتطير
أما لك في هذى الحياة وكور؟
على ظلّه لو أن ذاك يجـير

(١) القذع : نو الفحش والشتم

(٢) الخفض : النعيم والرخاء .

وبعض مساعى المرء حمى وخيبة الـ
ومن لم يجد فى نفسه ذخراً عيشه
وهل يستقيم السعد للمرء فى الدنى
وليس شقاء المرء فيما يصيبه
هو العيش كالحسناء تبغض محجماً
ومهما يتح فى العيش فالخوف خادم
ومن صان عن رق المطالب عنقه
قلى العيش حب العيش قد شط رغده
كمن يبغض الحسناء يقلى دلالها
إذا أخطأ المرء السعادة خالها
وليس عجيباً أن يرى العيش مجهلاً
وما السعد إلا حكمة وتجاوز
تكيد بصفو الصفح من يبتغى القذى
ومن لم يجد فى عيشه فرض آمل
ومن ضم قلباً أخطأ السعد ، خاله
أمانى خلف الموت ظل حياته
بدا لى أن لا سعد إلا تصبر
وعزم ، وإيمان ، وطبع ، وحكمة ،
وإن أجل الخلق ما هو مقبل
وإن الأذى سبر القلوب ، وصيرف الـ

مطامع براء للحجى ونشور
فليس له بين الأنام نصير
ومطلبه بين الضلوع سمير
ولكنه طبع له وضميمير
جباناً ، ويحظى بالوصال جسور
وكل جريء فى الحياة أمير
رأى أن خطب الدهر ليس يضير
كما يبغض المهجور وهو أسير
وفى الصدر منه لوعة وزفير
سراباً يغر العين منه غدير
فإن الحجى طرف لديه ضرير
وإنك رب فى الأنام غفور
لوردك ، إن الشائبين كثير^(١)
رأى أن سعداً فى الحياة عسير
يتاح له بعد الممات حبيبور
يقيل بها والحادثات هجير
تقر به فى النائبات صدور
ورأى بآلاء الحياة خبير
تهيئه بعد الدهور دهور
نفوس ، وقين للعقول ، وظير^(٢)

(١) القذى : القدر

(٢) القين : الصقل ، والظئر : المرضع .

مَشار تنال النفس منه حَرور
وذاك محالٌ في الدُّنْيِ وغرور
يُضنُّ بعيشٍ ليس فيه سرور
أهاب الفتى بالموت وهو قرير^(١)

وراجى حياةٍ ليس للشرِّ بينها
كمن يرتجى أسبابَ أمرٍ يعافه
وليس أعزَّ الرغبِ سعداً فإنه
ولو أن خلداً كان أمراً مقدرا

لا مرحباً بالآقدار

أيرحمنا من لا يساء ويجذلُ ؟
كما ينقم الظلمَ الأسيرُ المكبلُ ؟
وإن كان حمل الحتم بالصبر يجمل ؟
فإمرته حملٌ على النفس يثقل
ولكنه نوءٌ من الشرِّ مسبل
توهمه طوعاً إلى الدار يرقل^(٢)
بليت به ما كان للصبر موئل
لأصبح لا يصمى ولا يتغلغل
كأنى في نار الشقاء سمندل^(٣)

ألا ليت للأقدار قلباً وفطنةً
وهل نافعى ذمُّ القضاء وجوره
وهل يملك المظلومُ إلا شكاته
ولو كان هذا الحتم قرناً قتلتَه
ولو كان سعداً خلت أنى ملكته
إذا فر نحو الدار طرفاً لراكبٍ
ولو أن صبراً كان روع بالذى
ولو أن خطباً نابَه بعض شره
فمن لى بنفسٍ في الشقاء نعيمها

مرحباً بالآقدار

حملَ الهموم فكلُّ الأمر أقسامُ
أو كان بى سَقَمٌ فالعيشُ أسقام

إن الذى بثَّ فى الخوفَ علّمنى
إن كان بى جزعٌ فالصبرُ غايتهُ

(١) أهاب به دعاه .

(٢) الطرف : الفرس

(٣) السمندل : دابة يقال إنها لا تحترق فى النار .

وإن دمعى حتمٌ لست أدفعه
فإن تربت فعميشُ المرءِ متبريةٌ
وإن مدحت فأمر كان عن قدرٍ
يا مرحباً بالذى يأتى القضاءُ به
حزْمُ المزورِ إذا ما زاره ملكٌ
أدرُ على كؤوسِ العيشِ قاطبةٌ
إن كان عيشٌ فإن العيشَ محتملٌ
الظمءُ والجوعُ ، والأسقامُ قاطبةٌ
وإن لجسأت إلى موتٍ ألودُ به
فإن فررت فمن حتمٍ إلى قدرٍ
والجسمُ فى العيشِ لا يعيا بمؤله
هذى مرارةٌ كأسٍ لذَّ شاربها
والنفسُ كالخيلِ والأقدارُ رائضها
مادمت تعدو من الأقدارِ عدوك من

إذا ابتلاتنى إثخانٌ وإيلامٌ
وإن غرمت فبعضُ الغرمِ إنعامٌ
يجرى القضاءُ فيسرى اللومُ والذامُ (١)
حظَّ المحكم ترحيبٌ وإعظامُ
أن لا يلوح به حقدٌ وأوغامُ (٢)
سعدٌ ونحسٌ وإهوانٌ وإكرامُ
أو كان موتٌ فما لى عنه إحجامُ
والذلُّ ، والفقرُ ، تقديرٌ وإرغامُ
فالموتُ عن قدرٍ والعيشُ أعوامُ
قد استوى فيه إحجامُ وإقدامُ
وإن أتيسح له نوحٌ وإرزامُ (٣)
خمارها فهو عباسٌ وبسامُ
فالبؤسُ ركضٌ ورغدُ العيشِ إجمامُ (٤)
ضارى الفواتك فالأقدارُ آلامُ !

خلود التجارب

وكم ساعةٍ كالخلدِ فزت بخيرها
بلغت بها أقصى منى النفسِ كلها
نفوسٌ تودُ العيشَ نهزةً لاعب

هو الروح حراً لا يذلُّ لتحكيم
كأنَّ قضاءَ الدهرِ ليس بمحتومٍ
فتحسب أنَّ العيشَ أضغاثٌ محموم

(١) الذام : الأمر المعيب . (٢) الوغم : الحقد الثابت فى الصدر ، والجمع أوغام .

(٣) إرزام : اشتداد الصوت . (٤) أجم الفرس : ترك يمرح ويستريح .

ترجى سنى العمر كالنحل ضمنا
ترجى خلوداً وخلوداً عناؤها
وما الخلد إلا ساعة تقنع الحجي
وقالوا بأن العيش فرض مبغض
وعذر على حب الحياة ولهفة
يعيش شقى الناس من خير عيشه
يظل فتى فى نفسه ذخر ذاخر
فما العيش إلا حكمة وتهادن
ويخلط حلواً فى الحياة بحنظل
وقد صح أن الجد يلهى عن الأسى
وكم نهزة بالحس لم أحس خمرها
هو الروح مثل الحس فى كل لذة
وطالعت فى سفر الحياة كأننى
فما نفع هاتيك التجارب هديها
ولكنها لذات نفس تمرست
فمنها مصيف للنفوس ومربع

لعيش كأرى النحل ليس بموهم
وأى بقاء خالد غير مسؤوم
وتسعد نفساً لا تدين لتهموم
وذلك حرص منهم غير مكتوم
وأى امرئ فى العيش ليس بمكلوم
وإن كان يسعى فى الورى جد مهموم
وإن كان محروماً كأن غير محروم
فيخلط مجهولاً لديه بمعلوم
ويأخذ من عيش حميد ومذموم
وإن كان جداً لا يجىء بمغنوم
حسوت بنفس تستقاد بتكريم
وليس نعيم نال روح بمحلولوم
ظفرت بسفر فى التجارب مرقوم^(١)
وليس أخو التجريب فينا بمعصوم
بوقع مرجى أو مواقع منقوم^(٢)
ومنها كعام المحل ليس بمرهوم^(٣)

(١) مرقوم : مكتوب . (٢) الواقع : المكان المرتفع من الجبل ، والسحاب المطمع ،

والمنقوم : المكروه . (٣) المحل : الجذب . والرهوم : المطير .

المثل الأعلى

يزعم الزاعمون أن أخس الـ
كيف لا يخلد الخسيس من النفـ
مرحبا بالمحال فك عن النفـ
يشرق المرء بالزلال فهل كا
إنما التذت الحياة لأن كا
كل معنى عرفته كان مملو
إنى ولعتُ بروقة الأحلام
دنيا يشطّ بها المنام إذا نأى
ومن استنام إلى الحقائق لم يجد
عجبا نعا ف الخير وهو محبب
جهل الورى فمضى الورى فى الشرا
ما فى الوجود حقيقة غير النهى
أتنا ل أوهام الحقائق قانعا
والعيش إن لم تبغه لعظيمة
لفررت عن دار المذلة والأذى
وبدا له بين الحقيقة والكرى
فيفر منه إلى الفضائل والنهى
إن خلت أن الذام ضربة لازب
والنفس إما شئت كانت عالما

خلق فى النفس لازب لن يزولا
س إذا ما اعتقدت أن لن يحولا
س من العجز والقنوع كبولا
ن زلال من أجله مسرذولا
ن ستير من أمرها مجهولا
لا ومعنى جهلته مأمولا
ألام فى طربى وفى استغرامى ؟
صد الحبيب يشطّ بعد لمام
عزما سوى ناب لديه كهام
حتى كأن الخير فى الإحجام
ن الخير كل الخير فى الأحلام !
فاطمح بنفسك للذرى والهام
وتعاف خير حقائق الأوهام ؟
فالعيش حلم طوارق الأعوام
لو فر بعض الناس فى الأحلام
باب لولأج العوالم سامى
وينال ما يغلو على المستام
فى النفس كيف تعاف ضرّ الذام ؟
يسع الدنى فى طوله المتشرامى

فكأنما جزعَ الزمانَ جناحُها
وكأنما حدَ الفضاءِ يحدها
فإذا سكنتَ إلى مجالى عيشها
ورأيتَ عالمها الواسعَ كعالم
لو كنتَ تعرفَ قدرَ مقبل علمها
وعرفتَ ما العرفان لا يلوى به
والمرءُ يضمّرُ للبعيد مهابة
ويرى المحبّ بين ذين يرومه
ولربّ نفسٍ كالخشاشٍ مطارها
أنى يكون معبّد لحياته
ولربّ مصفودٍ بلذة عيشه
ومن النفوس ذوات أجنحة ترى
ولذاذة الآثام فى ندم عليه
إنّ السكينة قد يملّ نزيلها
بئست حياة قد رضيت براكدها
فالنفس للمثل الأجل طموحها
طوراً كما رقص السراب وتارةً
كالبدْرِ فى ليل العواصف ساطع

فرأته من خلفٍ له وأمام^(١)
يا طيبه من منزل ومقام !
ذلّلتها بخزامة وزمام
للنمل يصغر عن مدى الإعظام
أو جهلها لكشفت كل قتام^(٢)
أقصر فليس مرامه بمرام
فسإذا دنا أفساه حظّ طغسام
بالنصر آونةً وبالإكرام
زحف الصلال تدب فى الآجام
بين الأباة الصيد والأعلام^(٣)
كالنحل يصفد فى الجنى بحمام^(٤)
كالطير ناهضة على الآطام^(٥)
هنا قد أتيح لجدّة الآثام
حتى يلد العيش فى الآلام
من أمرها وقنعت بالإجمام^(٦)
كالنجم يهدى من وراء ظلام
يشفى به من غلة وأوام^(٧)
فى أفق مخشى الزماجر طامى

(١) جزع المسافة : قطعها (٢) القتام : الغيار والسواد (٣) المعبد : المذلّل

(٤) المصفود : المقيد (٥) الآطام : الحصون (٦) الإجمام : الإراحة (٧) الأوام : العطش .

يبتغي به الملاحُ هَدًى سفينه
كم صان من جاشِ الحزين وكشفت
من زاد عنه النفس يخشى هلكها
صنو الذي لم ترضه لمحاته
لولا وقوع شعاعه في نهجها
والمرءُ إن نبذ الكمال وهديه
ورأى الأنام فريسةً مذخورة
ولقد يعود قذى يصيب به العمى
كالنار يهلك حرّها وضياؤها
يحكى أضاميم السقام ولوعه
ولطالما خاض الفتى من أجله
أقسى الأنام من استبد به الحجى

فى زاخر بالبحر كالأكام
لمحاته من سُدفِة الإِظلام
كمعالج للظمءِ خوف جمام^(١)
من يبتغى فى النجم فضل ضرام
ضلت عليه طليقة الأيام
شقّ العصا وأحلّ كلّ حرام
لموفقٍ فى شرّه عزم
فبينال من عزمٍ ومن إقدام
يعشى وفيها من هدى وقوام
فكأنه سقمٌ من الأسقام
كيما يكون زواخر الآثام
فسها عن العبرات والآلام !

الفصول^(٢)

طيرى أمانى النفوس وغرّدى
هذى عيون للطبيعة قد رنت
بسط الربيع على الحياة رداءه
بل ليتته بُردٌ نخيطُ على هوى

فلقد دعاك الروض خير دعائه^(٣)
فى الزهر من أكمامه وخبائه
ياليتّها أبداً تُرى بردائه
هذى النفوس لكى تُرى بروائه

(١) الجمام : مقادير المياه أى خوف الفرق ينبى أن ينقع غلة

(٢) أعيد نشرها بمجلة الرسالة عدد ٢٤٩ فى ١١ أبريل ١٩٣٨ بعنوان « الفصول » : وكانت

فى الأصل بعنوان « الصيف » . (٢) فى الأصل - دعاك الصيف

والشيء لولا أن يرُوعَ بفسقده

* * *

لا كالشتاءِ تزايلت أوراقه
تتناثر الأزهار عن أفنانه
وتخال إذ دلفَ الشتاء كائما
هربُ الضياءِ من السحاب وريحه
فرّ الخريف من الشتاء وخلفه
مثل المريض يفرّ من عادى الردى
راع الشتاء بقُسرهُ فكائما
والريح مثل فم الشتاء وصوتها
نقم العقوقُ فقام يشكو أمره
والأرضُ تنظر في فروج أديمها
من بعد ما نفذت نفائس كتزه
وكائما دجنُ الشتاء مقطّبا
وكائما دوح الخمائل في الدجى
شربت من الإظلام حتى أكثبتُ
في كل غصنٍ في الظلام نواظر
وكائما دوحُ الظلام ثواكل
تحنو عليك غصونُها فكائما
والدوحُ يهفو كالمؤرق في الكرى

ما شاق عند قدومه بلقائه

كتزايل المهجور عن قرنائهِ
كتتناثر اللذات من أهوائهِ
سباق السنّا بدُّوره ورُخائهِ
هرب الكعاب من الهوى وقضائهِ (١)
عاد يريد لحاقه بجرائهِ
هيهات ذا ، والذهرُ من أعدائهِ
أنفاس ثغر الموت قُر هوائهِ
شكوى العجوز يخاف من أبنائهِ
للناس ينشد آسِياً لبكائهِ
نظر الفقير إلى ثقب رداءهِ
سرفاً وشحّ العيش بعد سخائهِ
ذكرى العجوز لزهوه وفتائهِ
نشوى شياطين انتشت بسقائهِ
تبغى النهوض كُمكُثبٍ من دائهِ
كنواظر للغيب خلف كِفائهِ (٢)
لبست حدادَ الشكل فعل نسائهِ
تبغى سرار السمع من إصفائهِ
يلوى على الأفنان فضل كسائهِ

(١) فى الأصل : هرب الضياء من الرياح إذا سطت .

(٢) الكفاء هنا : الغطاء .

تترددُ الأرواح في أفنانه
وكان في إطراقها وسكونها
يأليت بعض العمر تُقطع بيده
كالسُفر تقرأ بعضه مُترشاً
أوليت حادي الأرض يعكس سيرها
أوليت هذا الدهر عقرب ساعة
آمال أمس كزهرة قد صوّحت
يانفس لا تأسي لعمر قد مضى
تتشوفين إلى قديم عهوده
بُشراكِ خلف الموت لو تردينه
كالطير بعد الصيف تترك عشها

* * *

كتنفس الرعد في لأوائه (١)
فكر المصيح لروحـه وندائه
وثباً ويمهل في سنى رخائه
جذلاً وتطوى بعضه لهرائه
عن بعض دورتها بوقع حدائه
يلوى به عن نحسه وشقائه
عود الربيع مجدّد لرجائه
بربيعـه زمن أتى بشتائه
نظر الغريق إلى السهى وسمائه
نبت الربيع يروق في غلوائه (٢)
نحو الجنوب ترود أرض ثوائه

عطف النسيم على الأزاهر هامساً
إن الربيع أخا الصبيحة مقبل
كالظئر بشرت النؤوم بأن بدا
والقلب مثل الطير في وضح الضحى
وكانما أم الخلائق دوحه
تشدو كشدو الأم ناح وليدها
والريح طير شاد في أفنانها

أن الربيع سعى إلى ندمائه
إقبال وجه الحب في لآئه
فجر لعيد كان قيد رجائه
يتلو على الإصباح آى غنائه
من قبل آدم فهى من قربائه
تحنو عليه لصونه ووقائه
وكرأ كأن الزهر من أبنائه

(١) اللواء : الشدة . وفي الأصل : .. في أفنانها (٢) في الأصل - أرض الربيع ..

وكان أجنحة الملائك نسمة
 وكان ينبوه ٥٠٥٥٠ الحياة غدورها
 والقلب مثل النهر بأشرف ماءه
 أهواك ياروح الربيع فهبي
 ثم ارقصى بين الخمائل في الضحى
 فلعل في قبلات ثغرك برء ما
 أرد الخلود بقبلة وبضمة
 والزهر يبعث بالطيور إلى الضحى
 الأرض أم للخلائق كلهم
 فالناس والأطياف في وضوح الضحى
 النار والأمسسواه من آبائنا
 يهنئك يادوح الخميعة بعده
 تنسى الربيع كأنه ٥٠٥٥٠ زقه
 لا تمنع المشتاة عود زهوره
 يا ليت طيب العمر ينسى ورده
 لكن طيب العمر ليس بعائد
 وترى كحالات النفوس تغيراً
 فكأنما للكون روح خلقه
 تتغير الأشياء فوق وجوهه
 من لى بأجنحة الزمان أهيضها

نسم يطب برفقه وصفائه
 خلد الصبا في جرعة من مائه
 جسم الحبيب تراه في سودائه (١)
 جسماً كجسم الغيد في لأائه
 رقص المدل بحسنه وبهائه
 أعيا الأنام بحكمه وقضائه
 تروى ظمء الخلد من لمائه (٢)
 تفضى إلى الآفاق من أنبائه
 والشمس بعل شاقها بفتائه (٣)
 والزهر في الأكمام من أبنايه
 والنار والأمسسواه من آبائه
 نسيان نيسان وطيب هوائه
 نغم البلايل في مثير حداثه
 وأريج نسيمته وحلى كسائه
 فسأبيت مثلك لا أحن لمائه
 لأخي صدى يظميه صوب بكائه
 في روضه وسمائه ونهائه (٤)
 يبدو لنا في غيمه وضياهه
 لتغير الأشجان في حو بائه (٥)
 كي لا يطير بصفوه ورخائه

(١) سوداء : قلب (٢) لمياء : شفة (٣) فتاء : سخاء وفتوة

(٤) النهاء جمع نهى : الغدير . (٥) الحوباء : النفس .

أُولَيْتَهُ الْغَرْدُ الْحَبِيسُ أَقِيمُهُ
 كَى يَذْكُرَ الْعَهْدَ الْأَنِيْقَ وَأَوْجَهَا
 خَلَعَ الْجَمَالَ قَنَاعَهُ وَسَعَى إِلَى
 وَالْمَرْءُ لَوْلَا صَيَّفُهُ وَرَبِيعُهُ
 وَالرَّوْضُ بَابٌ لِلْجَنَانِ وَثَغْرُهُ
 وَكَأَنَّمَا صَبَغَ الْأَزَاهِرَ صَابِغٌ
 وَالضُّوْءُ غُدْرَانٌ تَرْقِرُقُ تَبْرِهَا
 وَاللَّوْنُ شِعْرٌ لِلطَّبِيعَةِ وَقَعُهُ
 شَهِدَ الشِّتَاءُ بِأَنَ أَفْقَ سَمَائِهِ
 وَالنَّفْسُ تَعْظِمُ فِي الرَّبِيعِ كَأَنَّهَا
 وَالضُّوْءُ خُمُرٌ لِلنَّفُوسِ وَنَشْوَةٌ
 وَالْأَرْضُ كَالْحَسَنَاءِ قَدْ قَمِصَتْهَا
 فَكَأَنَّمَا رَفَعَ الرَّبِيعُ حِجَابَهَا
 وَالضُّوْءُ كَالْحَسَنَاءِ بُزَّ رِدَائُهَا
 وَالْقَلْبُ مِثْلُ الطَّيْرِ هِيْضُ جَنَاحِهِ
 وَالطَّيْرُ أَفْوَاهُ الرِّيَاضِ فَشَدَّوْهَا
 وَكَأَنَّمَا نَغَمُ الْخَفِيفِ هَوَاتِفِ
 وَالضُّوْءُ مِنْ خَلَلِ الْغُصُونِ كَأَنَّهُ
 وَكَأَنَّهُ وَالْقَلْبُ يَذْكُرُ شَجْوَهُ
 نَشَرَتْ ذِكَاؤُهُ عَلَى الْبَسِيطَةِ عَسْجَدًا
 وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَنْطِقٌ يَشْدُو بِهِ

كَيْمًا أُرَاحَ لَشَدْوِهِ وَغَنَائِهِ
 كَانَتْ تَطْلُ عَلَى وَذِيلَةِ مَائِهِ (١)
 عَشَاقِهِ وَعَفَاتِهِ وَظُمَائِهِ (٢)
 مَا ذَاقَ حُلْمَ السَّعْدِ فِي لَأَوَائِهِ (٣)
 مِنْهَا تَرَى الْفَرْدُوسَ خَلْفَ فَنَائِهِ
 فَتَكَادُ تَأْخُذُ مِنْهُ إِثْرَ طَلَائِهِ
 وَأُرَاقُ مِنْهَا الْأَفْقُ فَضْلُ إِنَائِهِ
 فِي الْعَيْنِ وَقَعَ اللَّحْنُ فِي سَوْدَائِهِ
 أَدْنَى إِلَيْنَا مِنْ قَصِيٍّ فَضَائِهِ
 فِي زَهْرِهِ وَنَسِيمِهِ وَصَفَائِهِ
 وَدَمُ الْحَيَاةِ يَشَامُ فِي أَثْنَائِهِ
 فَبَدَتْ مُحَاسِنُ جَسْمِهَا وَوَضَائِهِ
 فَانْجَابَ سِتْرُ الْحَسَنِ عَنْ حَسَنَائِهِ
 فَأَمَاطَ عَنْهَا الْعُرَى سِتْرَ غَطَائِهِ
 فِي نَزْوِهِ وَحَنِينِهِ وَغَنَائِهِ
 أَبَدًا يَزْجِي الدَّهْرَ وَقَعَ حَسَدَائِهِ
 فِي الْقَلْبِ دَوَّتْ مِنْهُ فِي أَنْحَائِهِ
 طَيْرُ الْفَرَاشِ نَرَاهُ مِنْ شَجَرَائِهِ
 شَرَرُ الْغَرَامِ يَطِيرُ مِنْ حَوْبَائِهِ
 فَاذْخُرْ لِيَوْمِ الدَّجْنِ كَنْزَ ثَرَائِهِ (٤)
 وَالنَّفْسُ تَعْرِفُ كَنَّهُ سَحَرِ غَنَائِهِ

(١) وذيلة : مرآة (٢) عفاتة : طلاب فضله (٣) لأواء : شدة (٤) الدجن : الغيم المظلم .

تتلو عليك الطير طيب ثماره
والحسن ظل للسعادة في الورى
ظل الجنان على البسيطة واقع
ينسى الحياة وبؤسها وشقاءها
فكأنه كيون حلمت بحسنه
هذى الطيور صوامت كنواطق

* * *

وكأنما زهر الخميلى إن بدا
والطير أرواح الزهور وصيفها
ضحك الزمان فذاع من ضحكاته
والقيظ يزفر بالهجير كأنما
فكأنما مرح الحياة وحسنها
وكأنما نغم الطيور أريجها
فيحيله نشرأ يضوع ورونقا
ودت ذوات الحسن أن حليها
مرح الكعاب الرود في خطراتها
والريح تعبث بالغصون كأنها
وترى جذور الدوح مثل أصابع
وكأنما نغم البلابل مطرة
تندى على القلب الجديد فينشئ

وأريج روضته ورقته مائه
إن السعادة لا ترى بفنائها
فاستقبل اللذات من آلائه
حتى يخال الحلم أصل شقائه
حتى نقلت إلى ذرى خضرائه
ذخر النسيم نشيدها لهوائه

* * *

حلم الهوى في طيبه ووضائه^(١)
عهد الشباب يروق في لآئه
صيف يعيد الحب في غلوائه
يتنفس الولهان من برحائه
لهب ترقرق في خفي دمائه
يسقاه زهر الروض في أندائه
يشتر منه النحل أرى عطائه
كحليته ورداءها كـردائه
كالنهر يرقص في ترقق مائه^(٢)
طفل يعيث على رؤوس إمائه^(٣)
بسط الشحيح يصون كنز ثرائه
فوق اللجين شجاً مرن إنائه
روضاً يرف بزهره وأضائه

(١) الأصل : فى طيبه وسنائه (٢) فى الأصل : عدواتها (٣) فى الأصل : على شعور

والزهرُ في وَضَحِ الصبيحة قد صحا
وجلّت ذكاءُ ندى الزهور كأنها
حتى إذا اشتدَّ الهجير حسبته
وإذا الأصيل علا السماء حسبته
وحمى على قُبَلِ الظلامِ ثغوره
وتراه يرنو للنجوم كأنها
كالطفل يُبصرُ في الوديلة وجهه
تحكى النجوم الزهرُ في دوراتها
والنجم من خلل الغصون كأنه
درس السماء صفاءها وضيائها
والحي يحيا كالذى هو ناظر
والزهر يحلم بالفرداس طرفه
حسب الطيور تحاملت عن قلبه
والقلب مرآة الزمان فصيفه
والكون مرآة القوادر فقبحه
والضوء مثل دم الربيع فلا تعف
هذى الطيور لسانه وغناؤها
والزهر في حرّ الهواجر نائم
والأرض تحلم بالجنان فصيفها
بسطَ الجمال على الفضاء جناحه
فكأنه ملكٌ يُخلق فوقها

صحو المفيق من الكرى وقضائه
أم الوليد تزيل فضل بكائه
نشوان أثمله اللظى بسقائه
ذا لوعة حانت نوى قربائه
كمعشوق متسّتر بردائه
حلمٌ يُطلُّ عليه في حوْبائه^(١)
فيخال ذاك الوجه من قرنايه
رقص المدلّ بعيشه وروائه
ثمرٌ تدلّى من على سمائه
حتى جرى بعروقه ودمائه
كالأفق يرسم في متون نهائه^(٢)
حلم الغريب بأهله وفنايه
وبدت تبوح بشجوه ورجائه
في صيفه وشتاؤه كشتائه
وجماله في نحسه ورخائه
جرعاً تنيل الخلد من ضدائه
مستأنف من شدوه وغنايه
سحرته باللحظات عين ذكاءه^(٣)
حلمٌ يزيح القلب من ضرائه
فالصيف من لآلئه وروائه
فتصيب من آلائه وعطائه

(١) الحوباء : النفس (٢) النهاء على وزن فعال : القدران (٣) ذكاء : هي الشمس .

ياليت أن المرء في أرجائها
حتى يصير من الجمال بمنزل
وتظل تسمو النفس في آفاقه

متفرق في أرضه وسمائه (١)
في مائه ونسيمه وضيائه
كالطير خلق في أديم فضائه

خواطر الأرق

ياليل أين أليف الهم والذكر
وصاحب الهم يبغى صنوه أبدا
فقل لأحلامك اللاتي نراح لها
خاض الزمان مياه الحب فاعتكرت
مراسم لك دون القلب يدرسها
وعنكبوت من النسيان ناسجة
جلت عن القلب ذكرى منك طارقة
فابعث بذكراك في قلب نبت به
فإن زهرة حسن أنت لأبسها
والذكر كالطرف إما نابه أرق
خواطر كطيور الروض سانحة
إن غربت فإلى ذكراك عائدة
قد قلت للحب لا تعتب على سكنى
كم لى وكم لك من يوم لنا بهج

مسهد القلب عون لى على السهر ؟
كساهر الليل يقضى الليل بالسمر
قولى لمن هو روح الضوء والبصر
كخائض النهر أبدى كدرة العكر
كالريح تمحو ظلال الزهر فى النهر (٢)
خيطاء على القلب يخفى أنفاس الذخر
كمن يزيح القذى عن شرعة الغدر
كالجذر مستوثقا فى منبت الشجر
تسقى دمي مثل رى الماء للزهر
يا عازب النوم أسدل حاجب الذكر !
تستدرج القلب أخذ الطير بالنظر
عود الطيور إلى الأوكار فى الشجر
لنيسوة منه فى أيامك الأخير
بطلعة منه تحكى طلعة القمر

(١) فى الطبعة الأولى : فى أرجائه متزايل فى أرضه (٢) يدرسها : أى يمحوها .

وأُسعد الناس من يَأتم بالقدرِ
ودون ذلك يُبْسُ من نوى الثمرِ
فإن تُفرك كَأْس العابس الأَشِر^(١)
فإن قلبك مثلُ الماس في الحجر
للناس رجم كرجم القرد بالمدر^(٢)
حتى أقول تخرجُ من دمٍ هدير
أقسى من الصخر فعل الراجم المكر
بها شياطينُ تبدى صورةَ البشر
من غاص فيه على الأصداف والدرر
كخالط الكأس أخطا لذة السُّكر !

غل السرائر

ومن لم يسغه فهو أجنب بائن^(٣)
وليس رضاء النفس ما هو كائنُ
وما عاب نفساً جائر القول مائن^(٤)
وتحسب أن البصقَ لله شائن ؟
ألا إنه قفلٌ على القلبِ صائن
يكاد المبادى والصديق المداهن
وإن قلت لليث اضطبر هو ساكن !
ومن حوله فى الناس باكٍ وحائن^(٥)

إن يقس قلبك فالأقدار قاسية
أو يجف قلبك فالأثمار يانعة
أو كان قولك مرُّ الطعم لا عجبا
فارجم بقلبك قلباً أنت مالكة
ولست أول من أصمى فلا حرج
لم يترك الناسُ من قلبى له رمقا
يرموننى بقلوبٍ فى مودتهم
كأنها بعض أحجار الجحيم رمت
والحبُّ كالبحر لا يخشى به غرقا
وخالطُ فى الهوى لم يدر لذته

لقد عابنى للناس أن عفت لؤمهم
وإن رضاء النفس ما ينبغى لها
فيا عائباً نفسى بقولة كاذب
أتبصق فى المحراب وهو مطهر
يقولون : رزق المرء مفتاح قلبه
فدع عنك هذا الناس إن كنتَ فاعلا
أقولك للأنعام عزي يعزها
وكيف يطيبُ العيشُ للمرء وحده

(١) أَشِر : بطر (٢) المدر : الطين (٣) بائن : فاسد

(٤) مائن : كاذب (٥) حائن : مصاب : محروم

يُضِيرُ شَقَاءُ الْخَلْقِ مِنْ حَيْثُ لَا يُرَى
يَقَارِبُ فِي بَغْضَى عَدُوٍّ عَدُوهُ
وَلَحَّتْ صُدُورُ الْعَجَمِ تَضُمُّرَ بَغْضَتِي
وَمِنْ نَغْصِ الْحَسَادِ نَعْمَى يَسِيغُهَا
سَخَائِمُ لَا يَدْرِي سِوَى الْمَوْتِ سَلَهَا
لَعْنُ بَلِغِ الْإِنْسَانِ أَفَقٌ وَهَادَهُ
وَقَدْ يَعْجِبُ الْإِنْسَانُ مِنْ غَلٍّ غَيْرِهِ
وَكُلُّ أَمْرٍ فِينَا حَسُودٌ مُحَسَّدٌ
لَعْنُ كَانَ فِي نَفْسِي عَدُوٌّ أَخَافُهُ
حَيَاتِي حَيَاةٌ إِنْ يَلْحَ لِي حَسْنُهَا
تَضِيءُ شَمُوسُ الْمَجْدِ آثَارَ مِنْ مَضُوا

كَمَا تَطْرُقُ الْعَدُوَى وَإِنْ قِيلَ آمَنُ
كَمَا اقْتَرَبْتُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ الضَّغَائِنُ
فَقَدْ شَاكَلَتْهَا فِي الْأَنَامِ الْقَرَائِنُ^(١)
رَأَى أَنْ لَحَظَ الشَّمْسُ فِي الْأَفَقِ عَائِنُ^(٢)
إِذَا بَشَمَتْ مِنْهَا النُّفُوسُ الْبَوَائِنُ^(٣)
تَعْجِبُ مِنْ غَلٍّ طَوْتُهُ الْبَوَاطِنُ
وَقَدْ عَمَرْتُ فِي الصَّدْرِ مِنْهُ الْمَوَاطِنُ
وَلَكِنْ عَلَى قَدْرِ النُّفُوسِ التَّبَايِنُ
فَلَا غُرُوٌّ إِنْ النَّاسَ عَادٍ وَلَا عِنُ
يَهْشُ لَهَا مِنْ سَادَرِ الْمَوْتِ مَا جُنُ
أَتَدْفَأُ مِنْهَا فِي الضَّرِيحِ الدَّفَائِنُ ؟

آلَةُ الضَّمِيرِ

أَلَا مِنْ لَدَهْرٍ وَأَيَّامٍ —
يُودُّ عَشِيرَ الْوَرَى صَنُوه
وَلَيْسَ الضَّمِيرُ خَيْرٌ سِوَاهُ
لِيَمْنَعِ إِتْيَانَهُ مَائِثُمَا
فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فِيهِ هَلَكًا يِعَافُ
فَلَا تَبْتَغِ النِّصْفَ مِنْ خَيْرِ

وَحَبَّ يَكِيدُ بِإِيْهَسَامِهِ
لَكَيْمَا يَسِرَّ بِإِيْلَامِهِ
وَلَكِنْ لِيَسْحَظِي بِأَحْكَامِهِ
يَرَى مَهْلِكًا دُونَ إِنْْعَامِهِ
تَنَاءَى الضَّمِيرُ بِآلَامِهِ
يَرَى الطَّهْرَ فِي رُوثِ آثَامِهِ^(٤)

(١) لَحَّ : التفت مضايقه ، اختلط عقله (٢) عائِن : محتبس (٣) السخائم : الضغائن

بشمت : أتخمت ، البوائن : المتباغضة . (٤) النصف : العدل .

دماء تصيح بإجرامه ؟
 برئ شقى بأحلامه
 يخفّض من حقّ إكرامه
 لتفلت من ظنّ لوأمه !
 ر ينقع من غلّ تهيامه
 ك ضير النقيض بإمامه (١)
 يذلّ البرئ بأسقامه
 ونور المغذّ بإلهامه (٢)
 ر لؤم الضمير وأوهامه
 س ، والشسر يثنى بإبرامه

هل التبر يحمر من سفكه
 وما الناس إلا أخو خجلة
 وذو لوثة ماله من حياء
 فداو الحياء ببعض الشرور
 وما كلُّ باغٍ لخير الشرو
 بقدر تُقالك يضيرك شرّ
 وبعضُ الضمائر داءُ عياء
 وآخر كالسيفِ حرب الخطوب
 ومن لذة العيش جهلُ المغام
 وذلك من خير هذى النفو

دعوة المصلح

قها المحتث في الوادي
 ر فـينا طي أبراد (٣)
 ر زهر الفن البـادي ؟
 بصـوب الرائح الغادي
 بغـصن منك مـياد (٤)
 لك مخـبوء لميعاد
 لك مثل الضيغم العادي (٥)

ألا يا صـيحة أطل
 لئن كنت طواك الدهـ
 أما يزجي خفاء البـ
 سقـاك السامع الواعـي
 وغنـي هاتف النفس
 فسـفي النفس بلاغ من
 وفي النفس اقـتدار من

(١) ضاره ضيراً : أضربه (٢) المغذ : المسرع في سعيه (٣) البرد : ثوب مخطط ، والجمع

أبراد . (٤) المياد : المتمايل (٥) الضيغم : الأسد ، والعادي : العدو .

غسداً ينفجج الصخرُ
وصمتٌ منك قد يحدو
وإنَّ الدهر بانيك
وخصمت لك في الغيب
وكم من دعوة قُبلت
وكم من خافت الأصوا
سيسعى لك أفواج
ويهتفون منك في الأقوا
ويحكى صنادير عنك
وكم من مخفف ينخد
ألا يا صيحة خيلت
وظلت وهي كسامة
كما تختمر الخمر

برى الهالك الصادى^(١)
بإسراق وإرعاد
بأطناب وأعماد^(٢)
مقصادير بمرصاد
مقام الماء والزاد
ت ذى وعد وإيعاد
بإتهام وإنجاد
م من غي وإرشاد
إذا مـر بوراد
رفى صرح وأطواد
أضلَّ طريقهما الحادى
كمون الصل فى النادى
ة فى الدن لميعاد^(٣)

الشهرة بعد الموت

ما أحسن الصيت لو أن الفتى
أما ولا نفع يرجئ به
يهدم من لذات أيامه
وما رأينا بائعاً من غسدٍ
بشهرة من أزلٍ غابرٍ

يزاد عمر الصيت فى عمره !
واغلبة الميت فى ذكره
كيما يُشاد الذكر فى قبره !
بما مضى بالذكر من دهره
ليومه المعنق فى فصره^(٤)

(١) صدى : عطش عطشاً شديداً فهو صاد (٢) أطناب : حبال تشد بها سرايق البيت ، عروق الشجر

(٣) الدن : الوعاء . (٤) المعنق : المسرع .

سيان صيت قد مضى عهده
والذكر ظل الحياة مضت
ورب ظل خلف ساع سعى
صيت يعيد الدهن كالمنتضى
والنفس تبغي الخلد في وهمها
فالبطل في إيمانها نافع
تحتال بالأهرام طورا وبالا
سفائن لا بد من هلكها

والمقبل المرجو من أمره
يخفيه جرم الدهر في مره
والظل كالمتعنى في أثره
والسيف راق العين من شهره^(١)
والوهم مثل الحق في صدره
إن لم يربها الوهم في صدره
قرطاس يحوى اللب في سفره^(٢)
إذا استفاض الدهر في بحره

دلال الربيع

أنت روح الربيع حين تلالا
غسير أن الربيع وهو عزيز
إن أتى كان قرة ووصالا
أيها المعرض المدل بطرف
زد مطالا فلست أبكى وصالا
أنا كالليل يفرع الغر منه
ويرى الرأي في الدجنة مالا
هو نعم الطبيب إن كثر الخط
وابتدار الربيع عائقه كا
وسريع كر الزمان فإن فا

يا ربيعاً زاد الربيع جمالا
ليس يسلى عن الحياة رجالا
أو مضى كان ذكرة ومقالا^(٣)
وبشفر يحكى لنا الجريالا
ته دلالاً فلست أخشى دلالا
ويزيد الحكيم فيه جلالا
تبصر العين حكمة ومقالا^(٤)
حب وأنحى على اليتيم وطالا
نون أرعى من أن يطيل زبالا^(٥)
ت شتاء حدا الربيع زوالا

(١) انتضى السيف : استلته من غمده ؛ وشهر السيف : سله فرفعه .

(٢) السفر : الكتاب الكبير (٣) قرة العين : ما تسكن إليه وتسر .

(٤) الدجنة : الظلمة (٥) زايله : فارقه .

وطلوعُ الربيع وهو قرين
ضمّ قلبى من الحوادث ذخرا
ياشبيه الربيع إنك حال
وفؤادى كالكون لا بل هو الكو
فابتعد إن قدرت هل يجد الب
وائتنى فى الشتاء أرتجع الصي
بزفير يحيى الغصون ويلقى
فيفسر الشتاء فى غابر الده
غير أنى أقلى من الصيف إن جا
يا ربيعاً مضى وخلف فى القل

لشتاء أرجى وأجدى نوالا
تارة مطرة وطوراً هلالا^(١)
وفؤادى قد شام حلاً وحالا
ن حوى منك نضرةً وجمالاً
لدر عن البحر والسماء مجالا
فإذا شئت قيظه والظلالا
فى رواء الزهور سحراً حلالا
ر ارتياعاً وحيرةً وضلالا
ء وقد آذن الربيع ارتحالا^(٢)
ب غراماً كالصيف أوفى وغالى

ربيع القلوب

ربيع القلوب وعهد الزهور
تضمّ لنا الإلف بين الوكـور
وخادعنا عن صروف الدهور
وخيرُ زمانٍ زمان الزهور
وياربُّ عهدٍ كوجه البشير
وهلى يصقلُ العيش غير الغرور
تمر علينا بلفح الحـرور
وتخلف ذكرى كشـدو الخـرير

مطارك مثل مطار الطيور
معللنا بالرجاء القصير
وخير الخمار خمار السرور
وعهد الهوى ونجى الصدور
كثير الأمانى جم الحبور
وهل يشبه الزهر غير الثغور؟
وطيب الزهور ونفح العبير^(٣)
ربيع القلوب وعهد الزهور

(١) المطرة : الدفعة من المطر ، والهلال : أول المطر وقليله (٢) قلا : أبغض

(٣) الحرور : الريح الحارة .

فقم واستمعْ نصيحَ هذى الطيور
ولا تغبنن في الشباب القصير
فيا قمرأ في ليالى الحبور
لتغرب في ظلمات القبور
فمكثك فينا كمكث الزهور
وعادى الردى يده في النحور
وكم ثمر عطن في الثغور
ولا يندمُ المرءُ قبل القتير
فإن الشبابَ كثيرُ الغرور
وهل ينفعُ المرءُ وعظُ النذير

حقيقة أم وهم

إن يكن ريع من خرائب نفسٍ
فيما قد أفاض من وضح الحسد
أو أكن قد بكيت للنأى فالأر
ولو أن الأيسامَ تدرك وداً
أنت نفسى وليس من حق نفسى
أشقاء في الحب قد صار سعدة
فكأنى أحببتُ منك خيالاً

تقول اغتنم صفو عيشٍ نضير
فعهدُ الشبابِ كعهد الزهور
طلعت علينا طلوعَ البدور
تمتع بضوئك قبل المسير
وملكك في ضوء هذا السفور
وفي كل جيدٍ ممر الجرير^(١)
ويعبث بالزهر عصف الدبور^(٢)
وقبل انجلاء غشاء الأمور^(٣)
وفعل الرجاء كفعل الخمر
إذا فات عهدُ الشبابِ النضير؟

في ضلوعٍ من الحسوات درسٍ
من عليها كالبدور فوق الرمس^(٤)
ض تريق الندى لنأى الشمس^(٥)
لبكى لى من حرقه النأى أمسى
أن يقول العذول أبغضت نفسى
أم هو السعد حائل للنحس
خلت إياك غير جسمٍ وجرس^(٦)

(١) الممر : المحكم القتل ، والجرير : الحبل (٢) الدبور : الموت (٣) القتير : الشيب .

(٤) الرمس : القبر والتراب (٥) النأى : البعد (٦) الجرس : الصوت .

وكاننى لم ألف بعد لقاءً
فلعلنى إذا لمستك لم ألد
إن تكن قد نفيت عنى أما
فالأسى لا كانت إلفاً ودود
فهو عندى وديعة فاطرحها
لو عدانى نحس شقيت به مذ
وشقى الهوى ليشقى ولو أخ
إنما السعد والشقاء من النف
سن سنّها القضاء فقد أص

أتقرى اليقين منك بلمس
فك فينا إلا مجاجة شمس
لى وجرعتنى مرارة يأسى
أنت خلفته فأكثر أنسى
فى ضلوع على الصبابة حبس
ك لما خف من أساى ونحسى
طأ منه صبابة المتحسى^(١)
س فمالى أنحى على غير نفسى
بح حربى من كنت أعتد ترسى^(٢)

عالم الحسن

ذرانى أبيع الحسن قود عنانى
وأكبر ما ألقى من الموت أننى
فسفى كل معنى فتنة ولذاذة
فمن لى بخلد أبصر الغيد كلها
وأبصر حسناً أطفأ القبر نوره
وترنو عيون سوف يملك سحرها
وتبدو وجوه فى الغيوب مهودها
كانى بتربى يعرف الغيد إن سعت
فيا عاشقيها إن فى القبر عاشقاً

فهذى عيون للمنون ترانى
إذا مت لم أبصر وجوه حسان !
وفى كل وجه للجمال معانى
سواء أقاص فى الدنى وأدانى
وأبصر ما لم يبصر الملوان^(٣)
عنان قلوب نحسوهن روانى
وأسمع ما لم تسمع الأذنان
عليه فتدوى الأرض بالخفقان
وأى قلوب فى التراب حوانى

(١) الصبابة : بقية السائل فى الإناء ، والمتحسى : الشارب

(٢) الترس : صفحة من الفولاذ تحمل للوقاية . (٣) الملوان : الليل والنهار .

وقلبي عودٌ أحكم الحسنُ لحنه
تقاطر ماء في المناقع من علي
أحسن إذا ما أبصر الطرف حسنه
كأن وجوه الكون نغمة منشدي
فيا مَنْ ضياء الشمس بين عروقه
ويامنُ رحيق الخلد من خمر ثغره
فلو نال منه خائف الموت جرعة
جمعت صفات الحسن والخلد كلها
سواء حسان بعد لم يبد حسنهما
فما عشق العشاق من عهد آدم
رميت جميلاً والوليد بفتنة
دعاني دعاء العيش والموت دونه
دعاني دعاء الليل رق نسيمه
دعاني دعاء البحر يشجو خريره
دعاني دعاء الذكر والذكر هاتف
دعاني دعاء العود في البحر ليلة
دعاني دعاء الزهر والطير روحها
دعاني دعاء الفجر والفجر شائق

فحسب الهوى من نغمة ومثاني
تقاطر حسن الكون دون جناني
كأن بسمعي أنه لحناني
يرتل آمالي بغير لسان
دماء تضيء الوجه بالجران
يداوى به من غائل الحداث
إذا لأصاب الخلد كل جبان
فلم يبق منها في الحسان معاني
وأخرى حداها الموت بالوخدان^(١)
سوى لمعات منك غير دواني !
وها إن سهماً من هواك رمانى^(٢)
فلبيت فيك الشوق حين دعاني
ورب صموت ناطق ببيان
ويحكى عباب الدهر بالنهضان
ويارب ذكر هاتف بأمانى^(٣)
رعى البحر فيها بدرها ورعاني
تشوق فؤاد الصب للطيران
كان انفجار الفجر خلق كيان

(١) الوخدان : الإسراع بالجري

(٢) جميل بن معمر العذري ، والوليد هو البحتري ، وكلاهما حلوا الغزل (٣) تخفيف الأمانى .

فلا تدعون قلبى إلى الحب دعوة
دعوتك بالحسن الذى أنت ربّه
ولا تنقمن أنى نقيمت خديعة
ولا يكُ فوضى قلبك الغض أنه
فإن كان لى فى بعض خلقى ومنطقى
فحسبك فاصدع حاجب الود بيننا
وإلا فنا كرنى على الحب يسترح
سواك يهز القلب كالظئر طفلها

لكيما تشيب الحب بالشتان^(١)
لكى لا تخال القلب نهزة جانى
من الناس غالت مهجتى وجناتى
فؤاد على رعى الأمانة حانى
شفيع إلى لقياك ليس بوانى
بإمرة معبود الجملال مدانى
فؤاد حبيس فى حبالك عانى
وأنت تجن القلب بالخفقان

اختفاء الحق

لو عددنا متاجرا
تاجر الحق بالمعصيا
كان يشرى نسيئة
فاختفى خشية القضا
كتم العيش منزل الـ
هو طب بأمره
علمسوه خط ابن مسق
وسلوه يخط فى الـ
أو فصصوا له الشرا

حق ألفيت مفلسا
نى فققد نال واكتسى
فرأى التجر أبخسا
فهل ناله الأسى ؟
حق إذ كان أخر مسا
فحماه ليبلسا^(٢)
للة إن كان البسسا
طرس أسرار عسى
ب ليفشى إذا احتسى

(١) الشتان : البغض (٢) أبلس : تحير وينس .

لمت قـومى لجـعلهم
ذلك الحق بينكم
صاح فى القوم قائل :
وهو إن عاش مفلسا

صفقة البطل منفسا
بعد ما كان أشوسا^(١)
إنه عاش مفلسا
كان بطلا مقـدسا !

زورة الملائكة

مرحباً بالملأ الأعلى الذى
حُلماً فى النوم أم حقاً أرى
يا ولادة الحق يا أهل النُهى
أسمعـونى أقتبس من نوركم
ملك الفضل حـيى لحظه
ملك الطهر صبيح وجهه
ملك الحق اختفى فى نوره
ملك الرفق دواء لحظه
ملك الجود ضحكوك بشـره
ملك العفو رجـيح رأيه
يرحم الجانى عليه كذبا
ظهرت نفسى فى أضواءكم
وشممت الخلد من أنفاسكم
أسمعـونى منطقاً أحيا به

شـرفت دارى منه والفناء
يا ولادة الحق يا أهل السماء
تبعثون البرء فى جرح القضاء^(٢)
بلغـة النفس ورى للظماء
وعـمىم الفضل قرن للحياء
إن وجه الطهر معبود الرواء^(٣)
ما أضل الطرف فى ذاك الضياء
إن بعض اللحظ يشفى كالدواء
مثل ضحك التبر فى وجه الشقاء
إنما النـقمة ضرب من غباء
ويرى الأفعال فى غيب القضاء
مثـلما تطهر أجسام بماء
نفس يشفى من الداء العياء
يطرب النفس بالحن العلاء

(١) الأشوس : القوى (٢) النهى : العقل .

(٣) الرواء : ماء الوجه ، وحسن المنظر .

منطقاً كاللحن حلواً رجمه
 زورة فكّت أخيراً عانيها
 وأرى في النفس رسماً منهم
 وعبيراً كشذا الأزهار إن
 خلفوني وادعياً من بعدهم
 لو وعته الريح في سمع الهواء
 بحبال اليأس مصفود الرجاء
 مثل رسم النجم في متن النُهاء^(١)
 خلفت في الأنف ذكرى كالذماء^(٢)
 أحمد العيش وأستقصي البقاء

الأم المسكينة

أمنّا الأرض كالعجوز التي تشد
 فإذا ما غدت تدلل طفلاً
 كلنا ودّ لو تمدّ له الأر
 وتغنّي له بما يطرد الهـ
 وهي عمياء لا ملام عليها
 لا ترى أدمع الشقي ولا تبـ
 وهي صماء ماوعت صرخات الـ
 فهي أولى برحمة وبإشفا
 قى وتسعى لرزق نسل كثير
 ضجّ طفل من خلفها بالنعير
 ضُ فراشاً من النعيم الوثير
 ثم كهرّ الرؤوم مهد الصغير
 لا يصيب الصواب غير البصير
 صر وجه المحزون والمصدور
 نحس في الخلق من شقاء الأمور
 ق عليها من مشفق وعذير

جد أم لعب

يبكى برئ الوري لذنبه
 ذا صولجان القضاء منقلت
 فقل لراجي القضاء ريع به
 أما ترى الليل ظلّ مضربه

(١) النُهاء : الارتفاع في النهار أو الماء (٢) الذماء : بقية الروح .

هذى كسرات الدنى تدار به
 فلا تقل حقه وحكمته
 يا حية الخلد كم لبست وكم
 كأن هذى الحياة غانية
 كأنما الناس بردها أبدا
 ثوباً فثوباً تظل تخلعه
 كأن مرآتها الكمال فما
 يا ضيعة الخلد لهو غانية
 وهكذا المرء عيشه طلب
 هل لنفوس الورى الظماء وهل
 أم ظمؤها قاطع بأن لها
 أم ظمؤها غلة الجريح أخى الـ

لعبة من جسد فى تطربه
 أتبتفى الحق بين ملعبيه ؟
 نضوت جلداً يشقى الأنام به (١)
 تعاف برداً من بعد مطلبه (٢)
 تعاف ملبوسه لمعجبه
 إذا خصى الحمام آب به (٣)
 ترضى بما لم يرق بمذهبه
 يقضى به الخلد فى تسربه
 حتى ليسؤذى بنيل مأربه
 للعيش من ناقع يبل به ؟
 خسير منال تظمى لمشربه
 داء هلاك لابرء منه به

اصبر

اصبر لعل النحاس فى لونه
 لعل دمعاً منك لم تحتسب
 لعل دمع النحاس در له
 والصبر طرف مجهد أعرج

إذا دجا ظل لجرم النعيم
 ينبت زهراً فى الباب العقيم
 يسلك فى عقد الرخاء النظيم
 لكنه يبلغ شأو الظليم

(١) أى كأن الحياة ثعبان والأحياء جلده الذى يغيره (٢) البرد : الثوب .

(٣) أى كأن الحياة فتاة من أهل الثراء تتعشق ثوباً ثم تعافه وتلقيه إلى خادمها الموت .

كمبتغٍ بالزفر طرد الغيوم
بنفسخة يرسلها في النسيم
يرجع عنها وهو عين الكظيم
لك الرعب في بحر الأسى والغموم
أهوجُ تدمي قلبه بالكُلوم^(١)
أنا ويعنو للبيب الحليم
ءِ احتاجت الأطماع نار الهموم
للنهر لولا الصخر خطو السقيم^(٢)

ومبتغٍ محو الأسى بالأسى
أو مبتغٍ إطفاء شمس الضحى
أو ناصب للريح أشراكه
وهل زفير الحزن هادٍ لفلد
أطماعنا كالجن إن رامها الـ
كالكلب يدمي قلباً كلاً به
إذا هدى الناس ضياء الرجاء
كم خيبة تعقد عزم الفتى

صلع الدهر

من شعر الصخر

قَدْ ذَالَهُ لَوْ جَزَةٌ أَصْلَعُ^(٣) !
لَعَلَّهَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْقِعُ !
لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِهَا أَقْرَعُ !
وَحَسْرَةً مَا خَلْفَ الْمَطْلَعِ !
فَإِنَّمَا يَصْلَعُ إِذْ يَصْفَعُ !
وَإِنَّمَا يَقْرَعُ إِذْ يُقْرِعُ !
حَلَّ اللَّوْنُ مِنْ رَوْقَتِهِ يَخْدَعُ !

ناصٍ صروف الدهر مستقبلاً
فَجَزَ مِنْ لَمَّتِهِ خِصْلَةٌ
فَالدَّهْرُ إِنْ أَقْبَلَتْ ذَوْلَةٌ
مَطْلَعُهُ مِثْلُ طُلُوعِ الْمُنَى
وَلَا تَرْمِ بِالذَّمِّ صَفْعاً لَهُ
قِرَاعُهُ مِثْلُ قِرَاعِ الظُّبَى
فَإِطْلُقْ قَفْصَاهُ بِمَدَادٍ لَع

(١) الكلوم : الجروح (٢) لولا اعتراض الصخر في النهر كان النهر بطينا ، ولولا اعتراض
العوائق كان سعي النفوس بطينا (٣) القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس جز الشعر : قطعه .

وغيض عنه نظراً واعياً
وإن جرى في الدم كره له
حجامة لا شك في نفعها
ولا تعف صحتته ، إنه
واحن له الرأس لكى لا ترى

قرد النهى

أو الفلسفة الحديثة

فإنما يعيدك ما يطبع !
فخير ما يجدى لك الميضع !^(١)
وقد يضر المرء ما ينفع !^(٢)
بالرغم من صلعتيه أروع !
فإنها من خلفه تلمع !

لئن كان خلق القرد والناس واحدا
فسائل بهذا الدهر إن جدَّ جدُّه
مقيم على الدقعاء يسمو برأيه
وقل لبغيضٍ بحسب الحق جرعة
جهلت ، ولكنى بجهلى عالم ،
ودعهم ولج بالرأى فى كل مغلق
ولو كان ذاك العقل نقلاً حمدته
ولكنه كالآل يظمى غديره

وصدق ما خالوه من ذلك القول :
أيا دهر ما للقرد ويبك والعقل !^(٣)
إلى خير ما جاءت به حكمة الرسل^(٤)
مقال رشيد القول والخلق والفعل^(٥)
وإنك لا تدري بما فيك من جهل
فإنك يا قرد النهى معوز المثل
ليهنك يا قرد النهى مطعم النقل
وإن نلت من جدواه نبلاً على نيل^(٦)

قبلة الوداع

قبلة ثم فرقة وتنائى
وعناق كملتقى اللج فى اليد

أعيد الزمان عهد اللقاء ؟
مً وضم الغريق وجهه الماء

(١) الميضع : المشرط لشق الجلد

(٢) الحجامة : المعالجة بالمشرط .

(٣) ويبك : كلمة تعجب كويك

(٤) الدقعاء : الأرض

(٥) إشارة إلى سقراط

(٦) الآل : السراب .

وانثناء عن العناق كما يند
قُبَلُ كالطيور تصدح بالح
عابقات كأنها الزهرُ الغ
خالدات كأنها النجم في الأف
وهي في ظلمة الحياة نجومٌ
قُبَلُ صوتها ككلحبة النير
فهى روح العهد القديم وهل تؤ
يسمع العابرُ المجدُّ صداها
فيخال الهواء قبل إلفا
وحماه عن العيون فما يخ
كذب الظن إنها ذكر الما

هارُ عن بعضه مشيدُ البناء
بُ فتنصغي قلوبنا للغناء
ضُ تذيع العبير في الأرجاء
ق تزين النفوس باللائ
هن هدى الهوى وهدى الرجاء
ران في يابس الغضا والإضاء (١)
تى نفوس من ميتة وعفاء ؟
فوق هذا الثرى وتحت السماء
لقه من نسيمه في رداء
طرُ إلا في طي هذا الهواء
ضى ونفس كثيرة الأصداء (٢)

تبر النفوس

لو أن لى حكمةً مثل التمام أو
فعل الفتى هو شطرٌ من تفكره
داو النفوس بلذات الجسوم ودا
نار الأسى شعلة تهدي النفوس كما
والبغض في زهرات الحب ريقته

رقى سعدت بها لو ينفع الراقى (٣)
أجل شطريه من أفكاره الباقى
و الجسَم بالنفس فعل الحافظ الواقى
يهدى المغلس من لمح وإبراق (٤)
كالصبل يجمع من سم وترياق

(١) الكلحبة : صوت النار المشتعلة في الحطب (٢) أى كان للهواء نفسا تتذكر القبل التى أطلقها العشاق فيها فيسمع العابر صدى ذكراها فيحسب أن الهواء قبل حبيباً له .

(٣) الراقى : من يصنع الرقى والتمايم في فنون السحر (٤) المغلس : السائر في الغلس ، ظلمة آخر الليل

أنت النعيمُ وروحي في جحيم هوى
شوق إليكم يحيل النفسَ مثلكم
فاطرد مثال كمال في الضمير ، له
بطلعة منك مثل الشمس رافعة
يطلُّ في النفس مزهواً بصورته
الضوءُ تبرُّ ولكن ما له لمع
والتبر ضوء يطيع اللمس رائقه
فأنت تبرُّ وضوء الحسن وهجته
فلا تكن لك روح في وضاءته
الزهرُ زهرٌ وإن لم يلق ناشقه
لئن مضى الزمنُ الماضي برواقته
وخلف الذكر روحاً منه شائقة

ليت شعري

ترى الفسرادس من دمع وآفاق
شكلاً بشكلاً وأخلاقاً بأخلاق
لمع السراب لعين الراكب والناق
ذاك المثال على لآلئ رقيق
كمن يطلُّ على الأحياء من طاق
على خصاصة إقتار وإملاق^(١)
يذلُّ بالحرص من هام وأعناق
وأنت شمسٌ تعلت بعد إشراق
مثل الدميم بقصر جدِّ براق
وعاطلُ الحسن كالحالي بعشاق
عدلاً تقضى بأحزان وأعلاق^(٢)
كالبدري يهتك من إظلام آفاق !

ألا ليت شعري فتنة من جمالكا
ويا ليتته من سحر لحظك نشوة
ويا ليتته عطفٌ كعطفك نافع
دع اللحظ يسقي القلب منك ، ولا تخف
أتنقص من رشف العيون كأنما
ويا ليت شعري خطرة من دلالكا
أداوى بها قلباً بحبك هالكا
ويا ليتته مستأنف من وصالكا
على منهل الأحاظ رشف نهالكا^(٣)
تبقى مثلاً ناعلاً من خيالكا ؟

(١) أي كما انقضت نفائسه كذلك انقضت أحزانه (٢) الخصاصة : القليل الباقي .

والإقتار : الضيق . والإملاق : الفقر (٣) المنهل : موضع الشرب . والنهال جمع ناهل : الشارب

والعطشان .

وقد تصقل الوجه الصبيح لو اخط
وما لضيء الحسن ظل على الثرى
إذا اسطعت فاجحد ما عشقناه نتخذ
إذا كان رب الحسن بالحسن كافراً
تبالة بالنكران كيما يفرنا
أتنكر أن الحب أنت سننته
جمالك ولاج إلى القلب بالغ
فلا تجعل النكران كلما ولوعة
ولا تجعلنى خاطر السوء فى الورى
ولا تترك قلبى كأطلال معبد
وإن خلت بى الكفران فاسأل محاسنا
جمالك أشراك القضاء فما لنا

تبث الهوى بث الهوى من صقالكا
ولكنها روى ترى فى ظلالكا
على الحسن عوناً ناصراً من مقالكا
فذلك سهم قاتل من نبالكا
دالك ياويح الهوى من دالكا !
وأوردتنا ورد الهوى فى عقالكا ؟
سريرة قلب برؤه فى جمالكا
فحسبى كلوم جمّة فى نزالكا
تضنّ عليه أن يلّم ببالكا
يرى الناظر العجلان عقبى زبالكا (١)
لديك ألقى مقلت من حبالكا ؟
فكاك فقد أحمى علينا المسالكا (٢)

أنت والربيع

« أغنية »

أما كفى الربيع يهيج إذ يضوع ؟ (٣)
وقلبي الصديع فى نشوره يذيع

أنت والربيع ؟

جـلاك لى السطوع يا قـمـراً يـروع
من حسنه شفيع جـدّ بى الـولـوع

أنت والربيع ؟

(١) زبال : فراق وبعاد (٢) أحمى عليه المكان أو الطريق بالهمز : منعه عنه .

(٣) يضوع : تنتشر رائحته .

روح ليه سَنَنِيع منك له طَلُوع^(١)
اليأسُ والطُمُوع والحبُّ والسُريُّع

أما كفى الربيع ؟

وعيشنا شَرُوع يالهف من يضُمِّع
أطياره وقُـرُوع زيا لها سُسُريِّع

آنت والربيع ؟

ها شملنا جَمِيع وعيشنا وديع
ومما له رَجُوع وأنت لى قُـطُوع

آنت والربيع ؟

تعيىنا به الضلوع من شَجِو ما يذيع
قلبي له سَمِيع إذا دعانا يطيع

آنت والربيع ؟

نافسك الربيع من غيرةٍ يضُوع
فُغَرُ وصلُ تُلِيع حسناً له يضُمِّع

آنت والربيع ؟

حلم بالأزواج الطليقة

تعموم فوق النور كالغيد فى الغدير
مرسلة الشمعور كسفقاتنا الحور
فى فلك مسحور ترح كس الطيور

(١) سنع : حسن وطال فهو سنيع .

والخلد كـالوكـور	على ذرى الأثير
ترقص مـثل النور	وكلة الخـدور
ومائه الطهر	فى روضه النضير
فى صفحة القدير	كرقصة البـدور
كنفحة الزهور	تنفح بالعـبير
كلمعة البلور	صافية الضمير
فى عيشها المنير	مـثل ندى الزهور
وطارق المقـدور	لم تـعنى بالأمـور
كصولة النـور	وصولة الدهور
ما عيشة المأسور	لم تدّر فى الحـبـور

فى نطفة الفجور !

الوحدة

وأسمع بالقول المضيق وأوقعا	عذيرى من باغ أغد وأوضعا
إذا صار بين الناس شلوا مبضعا	وماسرني أن نلت منه بسبة
وهوت عندى الحادث المتوقعا	لسهلت لى غدر الحياة بغدرة
بصبرى على ماقد أمض وأوجعا	وعلمتنى الصبر الجميل على الأسى
وقد كنت لا ألقاك إلا مروعا	وقد صرت لا ألقاك إلا براحة
ويا رب شر عاد بالخير ممرعا	وكم نعمة للناس فى جنب غدرهم
ولكن ياسا حين لم يبق مطمعا	ساهجر هذا الخلق لا هجر عائد

وإني رأيتُ العقل كالضوءِ حليةً
وإن كنت بين الناس ظل مفرقا
وما جامعات الضوء إلا كوحدةٍ
فيشعل نيران الذكاء اقتترانه
وكنتُ إذا ما خلتُ فيك مودةً
وحتى تصيرَ الأذنُ عينا بصيرة
فكنت كمن يرمى إلى الطفلِ درةً

لروضٍ فإن يسطع على القبر روعا
فإن عفت هذا الخلق كان مجمعا
تجمع من ضوءِ النُّهى ما تذعذعا^(١)
وقد كان بين الناس نهبا مضيعا
أحبُّك حتى أحسب الحبَّ مصرعا
وحتى تصيرَ العينُ للقلب مسمعا
ويأمل منه أن يشاق ويهرعا !

من الحى إلى الميت

من الحى بميت يتـرجى
خبيرنى نفائس اللحد هل قد
توأمان استسرف فى الجدث الدو
خبيرنى نفائس اللحد أم ك
هل الحى من مـيت هاتف يو
هل عدته الحياة أم ليس يدرى
ربّ مـيت يسائل الحى عنها
خبيرنى عن الحجى أين يمضى
أين يمضى الذكاء والأملُ الحد

عنده الحق أبلجـا لا يفسوت
جة تلك السماء والتابوت :^(٢)
د وفوق الأجداث حى يموت^(٣)
ل رميم فى لحد صمـيت
ضح أمر الحياة وهو مقـيت^(٤)
تلك حلم وما الحلم ثبوت ؟
وهو فى اللحد حائر مكبوت
أين تمضى عرامة وقنوت ؟^(٥)
و وأين المعشوق والمنعوت ؟

(١) تذعذع : تبدد . (٢) يعنى تابوت النعش . (٣) الجدث : القبر .

(٤) مقيت : مقتدر . (٥) عرامة : اشتداد ومرح . قنوت : طاعة وخشوع .

أين نارُ الحياةِ كالنارِ في رهـ
أين ذكرى في النفس تمضي وتثنى
أمحأها الحمامُ كالريح تمحو
أم وعأها الحمام كالدرُ في الظل
أم تُرى هذه المشاعر أوهـ
ليس إلا كما يقولُ ركينُ
فوقنا الأنجم الصوامتُ لا تد

ط مجوسٍ ما خيف فيها الخبوت (١) ؟
ربَّ عهدٍ يمضي وذكرى تفوت ؟
نؤى دار والشمل شملٌ شتيت ؟
حمة يرنو لضوئه السبروت ؟ (٢)
م فلسنا نحيا ولسنا تموت ؟
لا يفيت الصواب منه مفيت (٣)
رى وتحت الرجاء صمٌ سكوت (٤)

سجن الفضيلة

إنَّ الفضيلةَ مأساةٌ
صونَ الشحيح لفلسه
صونَ الجبان لنفسه
صونَ المثمّر ماله
صونَ الشفيق فئاته
واجعل لها بين الضلو
فضيأؤها كالحق أف
وصفأؤها كالخمر تص
إنَّ الفضيلةَ زهرةٌ

صنّها عن الرائي الحسود
حذر المداهن والحسود
حذر البوارق والرعود
حذر المؤمّر والجنود
حذر الوعيد أو الوعود
ع خبيئة الذخر التليد
تن وهوفي ظلم الجسود
قل في الدنان على الخلود
تدوى بأنفاس الحسود

(١) خبت النار مثل خبت ، قال المعري :

وفارس قد شبت لنا النار وانعت * لنيرانها أن لا يحين خبوتها (٢) السبروت : المحتاج ، والجمع سباريت

(٣) إشارة إلى جيتى الشاعر (٤) الرجاء : القبور .

ونسيمُها كالعطر فاحذِر أن يذيعَ فلا يعود !

بيت اليأس

بنيتُ بيتَ الحَيَاةِ أبغى
جرى غرابُ القضاءِ نحوى
فأرعشتُ كفُّ من بناه
يغيبُ قننى طارقُ الرزايا
اعتادنى الهمُّ غيرُ غبٍّ
كشاربِ السمِّ كى يصادى
يا بيتَ سوءٍ على ذراه
يادهرُ لمْ لمْ تبعِ جنانى
خصصتنا بالنهى فهلاً
أودعت فى الناسِ كلَّ طبع
من يشتري نُهيَةً بطبع
ألحتْ لى بالسرابِ حتى
كمن بنى بالترابِ بيتاً
كذاك صرَحُ الحَيَاةِ أمسى
ودكُ بيتَ الحَيَاةِ فوقى

فى ظلُّه مسكناً فسيحاً
ولم يكن طائراً سنيحاً^(١)
فلم يكن أسُّه صريحاً
من بعد ما علنى صبحاً^(٢)
فلم يمت قلبى القريحاً
من علُّه سمُّه صريحاً
ذو نعيبةٍ هم كى يصيحاً
إلى سبيلِ النُّهى جنوحاً ؟
جعلتها عزمةً نصوحاً ؟^(٣)
يعنوا له عيشهم ربيعاً
يمضى إلى نفعه نجيحاً
عشقتُ ضوءاً له لموحاً
فانهار حتى غدا ضريحاً
رسم فلاة بها طريحاً
وقمتُ من تحتَه جريحاً !

(١) السفيع الذى يأتى من جانب اليمين . (٢) يغبق : يسقى بالعشى ، والصبح : ما يشرب صباحاً

(٣) النهى جمع نهية : العقل .

لغز الحياة

الشكُّ أول منزل العرفان
مدٌّ وجزرٌ في النفوسِ كأنما
والعقلُ فوق الخلدِ مدٌّ جناحه
والعقلُ ريحٌ صرصر تهفو به
تبدو إذا ماهاج من أعماقه
والشكُّ مشعال الحكيم وربما
كونٌ ترقرق في منادح رحبه
سرُّ الحياة لحسُّها ولعقلها
روحُ الحياة كذى البرائن رابض
يلقي على الأحياءِ قولة سائل
إنَّ الحياة لغادةٌ معشوقة
وتصدُّ عن متسائلٍ متشوفٍ
يا عاشقَ الحسنةِ كيف أغرتها
روح الحياة على العقول مؤمر
مثل الوصيِّ على الوليد إذا نشأ
كى يستبدَّ بماله وعقاره
ثار الحبيسُ على الوصيِّ وظلمه
ورأى به لَمَمًا وليس كما رأى

إنَّ اليقينَ هو المكانُ الثاني
يتنازعان سريرة الوجدان
كالطيرِ هابطة على الأوكان
والدهرُ بحرٌ فائض الأزمان
قنص الردى وجواهر الدهقان^(١)
أضحى حريقاً للجهول الوانى^(٢)
سرٌّ جرى كالماءِ فى الأغصان^(٣)
يحكى دماء القلب فى الأبدان
دامى الخالب شاحذ الأسنان
يا هول عيش فريسة الحدّثان
تصبو إلى التماجن الفتّان
للحقِّ ينشده بكل مكان
أو كنت تبغيها بقلب ثانى
يعتزُّ بالأضغان والأشجان
يلوى عليه جوامع السجان
ويليح زخرف خدعة المتّان
فرماه بالعصيان والتكران
لو كان يغنى العقل بالعصيان^(٤)

(١) الدهقان : رئيس الإقليم (٢) الوانى : الضعيف .

(٣) المنادح : الأراضى الواسعة . (٤) اللمم : طرف من الجنون .

ماذا أرجى في العقول وصوبها رشح الطبع وغلة الظمآن ؟
ولرب غرُّ بالغ بطباعه ما ليس يبلغه ذور الأذهان

خواطر في الحياة

(أرسلت إلى الأستاذ الأتيب الشيخ محمود محمود^(١))

أنت على خلتيك محمود
وإنما العيش هكذا نُقل
وخير ما يطلب الرخاء به الـ
والدهر مثل الشحيح في عدة
كلُّ رجاءٍ نرمى الطليب به
وربُّ رامٍ أصاب مهجته
والسخطُ غربال جاهد قصد الـ
آمالنا هامة نراع بها
وحيرة النفس كالظلام وقد
والرغب عجب النفوس تخذعها
وقد تزين الحسناء دمعها
كم عدة في الحياة خائنة
كخازن الحب للمشيب وما
يبخر في خيبة لنا أمل

فعدُّ بيمن الحياة محمود
والدهر خرق سنَّيه القسود
صبر ، ومن قد عداه مكدود
أصدق آلائه المواعيد^(٢)
فهو قنا في الضلوع مقصود^(٣)
سهم رجاءٍ إليه مردود
سيل كأنَّ الآتي مسدود
للسعد وهو الطليب ملحد^(٤)
يهدى ويقلى الضياء مزوود^(٥)
مرآتها والطماح معبود
والنفس تجدى سنيها السود
كما يخون الخميس رعديد^(٦)
يعطف من أجل ذخره جيد
بحر الندى والظمى مسجود

(١) كان أستاذا بالمدارس الثانوية وزميلا وصديقا للشاعر (٢) آلاء : نعم

(٣) قنا : رمح . (٤) الهامة : روح الميت . قال الشاعر : « أضريك حتى تقول الهامة اسقوني » .

(٥) الزود : الفرع . (٦) الخميس : الجيش . رعديد : جبان .

ما لي أهدى إليك من حكم
 أحبوك من حكمة القريض كما
 وأنت أحسجى بأن تزف لنا الـ
 وخير ما يبعث الفتى طرف
 ياليتها الدرّ وهو منضود
 يهدى لروض الربيع أملود^(١)
 حكمة فيها اليقين مشهود
 من عسقله والمزیدُ تاويد^(٢)

الشجرة والغراب

رأيت الحوادث في وكرها
 كأن غراباً على فرعها
 إذا ذدته آب يهوى بها
 فقلت له : أبق من خيرها
 وإلا فأرسل عليها الطيور
 وهل أزجر الطير عن دوحه
 فقال : أأكل من حلوها
 إذا أنت ما ذقت من ضرها
 خذ الحلو والمر من رطبها
 ومن صبر النفس في ضيقها
 وفي الصبر صبرٌ يريك الدنى
 تظلّ مطلاً على دهرها
 يريك مساوئ خود الحياة
 ونبت المقسادر في برها
 يحطّ فيأكل من خيرها
 على دوحها وعلى نهرها
 تذوق إذا جمعت من شرها
 أبابيل تقضى على أمرها^(٣)
 تذوقت سامسراً من تمرها
 وتترك للدهر من مرها ؟
 أتعرف ما الخير من شرها ؟
 أقاسمك السوء من ضرها
 رأى الرغبة أوجع من صبرها
 كأنك رقعت عن أمرها
 كأنك أعفيت من مرها
 كأنك ما بت في خدرها

(١) أملود : لين . (٢) تنويد : ميل واعوجاج . (٣) الأبايل : الفرق .

ونافست رهطك في برها
ولا كنت تسعى إلى نكرها
ولا تفت دهرًا إلى سرها^(١)

كأنك ما التحت من ثغرها
كأنك ما كنت من ناسها
ولا بت يومك في درعها

يا شاعر الكون

تحية إلى صديقنا العقاد لظهور ديوانه الثاني

نور الحياة فشعر منك يذكى^(٢)
فما نأت بمقال أنت باغيه
تجنى وخير الجنى ما أنت جانيه
والعقل أعدى على غمر يدانيه^(٣)
الفكر عدوى وجار المرء يعديه
ويمدح الفضل بين الناس باغيه
وغاب عنهم جلال أنت تدريه
أو ينظروا فبطرف أنت ثانيه
يخال خير مكان بيته فيه
والكون أكبر من زعم أناجييه
كأنما فاه ذاك الخلد من فيه
حتى لشدة ما تذكىه تقنيه
يفنى الذكاء ولا تفنى معانيه
لولا بريق خيال أنت موريه^(٤)

يا شاعر الكون أطلق من سرائره
لك الخليفة والأيام ماثلة
كأنها لك بستان وفاكهة
الفضل أغلب من غر يصاقبه
فلم يضرك جوار من أخى جهل
قد ينكر الفضل بين الناس صاحبه
كم أكبر الناس أمراً أنت تصغره
إن يعظموك فبالنفس التى صغرت
كالمرء وهو قعيد رهن عرصته
لو أنصف الأرض قال الأرض واسعة
يا ناطقاً يذر الأبواب صامته
تذكى الذكاء بسحر أنت نافثه
تقصي المعان لا انتهاء لها
حتى يظل ولا ذهن يراك به

(١) تفت : اشتقت . (٢) يذكى : يوقد . (٣) يصاقب : يقارب . (٤) يورى : يضررم .

كمن يرى الشيء لا ينحو سواه فيخ
إطار شعرك خلد أنت زائنه
أصورة الكون أم ذا الكون صورته
أو كالغدير يرى في الماء مرتسماً

فى عنه حتى كأن قد زال باديه
كواحة الخرق زين فى صحاريه
كالآل يحكى ضياء أنت مبديه
رسم الدرارى يحكيها وتحكيه

كعبة النفس

أيا كعبة الآمال ذات المحارم
فلا تأخذونى بالرجاء فإنما
وהל تسجد الأرواح إلا لذى النهى
وأكرم سؤل النفس ما كان وقعه
ولولا احتذاء الفضل فى الشعر ما غدت
ومن كان ذا روح برىء من الأذى
ولم يدر ما يلتذه الناس من أذى
يرى المرء أن النفس خيل لراكض
أظل رقيب السوء حتى يمسنى
وأى امرئ فى العيش يحمد خلقه
فكم راجم بالغيب نفساً بريئة
وهل يعدل الإنسان فى بعض فعله
وما النفس إلا تربة ليس ريتها

مكانك من قلبى كمحراب صائم
رجائى إيمان النفوس الحوائم
وتعبد إلا ساميات العظام
على الفضل من أهل النهى والمكارم
صروح المعالى باديات المعالم
كروحك لم يعرف وجوه المظالم
ولو كان ناراً فى لهة الحلاقم^(١)
وإن كان محذور الردى فى الشكائم^(٢)
وأجعل أنفى نهبة للخواطم^(٣)
إذا لم يعود من حقود الرجائم
ورب مقال مثل لذع الأراقم^(٤)
إذا كان فيه مدرج للنمائم ؟
من العيش إلا بالنفوس السواجم^(٥)

(١) الحلقوم : الحلق (٢) الشكائم : الطباع . (٣) خطام : ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به

(٤) الأراقم : الحيات . (٥) السواجم : الباكية .

الصنم المكسور

عابدٌ يبكى على صنمِهِ
عابد من حسنه صنمًا
حطمته قولة فهو
كنت لي حلمًا ألوذ به
إن رضيت العيش بعد كم
أو بكى شعري فلا عجب
كنتم للعين باصـرها
كم لأهل الفكر من ذمم
كان قلبي معبدًا لكم

عافَ وردَ العيش من سقمِهِ
خالَ كلَّ الفضل في صنمِهِ
ك ٥٣٨٥٣٨ يم الجص منهشمه
خاب من يبكى على حلمه
فحياة المرء في ألمه
بعض شعير المرء من لممِهِ (١)
وجلاء العيش من ظلمه
كيف لم تُبقوا على ذمه
ويح قلب ريع في صنمِهِ !

غلة النفس

رأيت محمقًا يجرى
يكلّمه ويسـأله
يقول له : أعن سبب
ويحسب في الخـرير له
تريد النفس رؤيتـها
سـؤال ليس يسـأله

يحاذى الماء في النهـر
ويحسب أنه يدري !
ومن أرب إلى أرب (٢)
لسان الناطق اللـجب
مخارجها، وغايتها
مسيح النفس نشوتها

(١) اللعم : الخبل . (٢) الأرب : الغاية .

رَأَيْتُ مُحَمَّمًا يَفْدُ
وَزَمَّ رُ الريح يطربه
كسـسـذاك المرء في الزمن
ولكن ليس ينفعـه
وما من غلةٍ عرضت
فأين الرى تطلبـه
أجـز للعيش معركـه
ضميرٌ ما استبان له
ولولا ظلمـة الحـين
لبغضت الحـياة له

وراء الريح تطردُ
يحـدثه فلا يجـدُ
يسـداوى غـلة السفـطين
شـرابُ الآل في الدمن
بغير دوائها خلقتُ
نفـوسٌ طالما ظمـئتُ
لعلَّ الكونَ يدركـه
يرؤـضـه ويملكـه
وجسـن المرء لسـبـين
وخصـ الموت بسـالـين !

الجزء السابع

ديوان

أزهار الخريف

عن الطبعة الأولى للجزء السابع

عام ١٩١٩

الإهداء

أهدي هذا الديوان إلى إخواني القليلين في أنحاء القطر المصري ، الذين أيدوني
بثقتهم ورسائلهم ، وأعانوني بها في الحياة على بعد الشقة ، ومن غير سابق لقاء ،
وبالرغم من عداوة السفهاء ، وسباب الأخساء ، الذين يقول فيهم المتنبي :

وأنه المشير عليك في بضلة فالحر ممتحن بأولاد الزنى !

والذين يقول فيهم أيضاً :

أتنكر موتهم وأنا سهيل طلعت بموت أولاد الزناء ؟

مقدمة

لقد ذكرنا في مقدمة الديوان الرابع أن الشاعر لا يهتم الناس إلا لأنهم باعث من بواعث الشعر ، ولم أعن بذلك - كما زعم بعضهم - أن القصيدة الواحدة يبعث إليها إنسان خاص ، يكون موضوعاً لها ويستثير في الشاعر جميع الخواطر التي دفعت إليها . فإن الشاعر ليس بالراسم . ولو كان راسماً لاستفاد أيضاً من أفراد كثيرين في عمل رسم فني خيالي كبير .

ولقد رأى القارئ في بعض هذه الدواوين قصائد في شرح أخلاق السوء كالحسد أو البغض ، فحسب بعض الناس أنه المعنى بها . ولعمري لو كان غير ذكي لقلت إنه يريد أن يشرف بهذا الادعاء ؛ ولكنه أجل من هذه المرتبة . فلم يبق إلا أن يكون ذلك منه وسيلة لإظهار كيده وشافعاً له ، وكما أنني لا أعنى أحداً بقصائد الهجاء ، كذلك لا أعنى أحداً بقصائد النسيب . ولا أنكر أن الأفراد من الناس هم الذين يستثيرون خواطر الشعر ، ولكن هذا القول لا يستدعي أن تكون كل قصيدة في فرد معين . نعم ، الأمر يستدعي ذلك عند المداحين والهجائين ومن جرى مجراهم ، ممن لم يضع لنفسه سنناً عامة في فنه ، يجرى في نهجها . أما القول في أفراد ، فهذا أول مذهب وأول عصر من مذاهب الشعر وعصوره . وأما المذهب الحديث فهو أن تكون الطبيعة البشرية ماثلة أمام الشاعر ، يأخذ منها لقصيدته ما يقتضيه الفن . ومثل ذلك أن قصيدة « صرصور الشعر » في الجزء الخامس بعث إلى كتابتها صرصور من صراصير الحقيقة لا صراصير الخيال ولا صراصير البشر . وقصيدة « سم الخسنة » مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها في كتاب اسمه « مجالي الأخلاق » ، لم ينشر ؛ وكثيراً من قصائد الغزل في هذا

الديوان خواطر كانت تخطر لى فآقيدها فى رسائل سميتها : « رسائل الحب » لم تنشر . ولذلك أرى من العبث والجهل بفروض الشعر ، قول قائل إنى أعنى أحداً بما أقول فى أى باب من أبواب الشعر .

ولى كلمة أريد ذكرها فى العقيدة ، ومن يذيع بين الناس أنى على غير هدى ! وأكثر أمثال هذا إما من الجهلاء الأغبياء وإما أهل الحقد والحسد . فليس التساؤل والامتنعاض من مظاهر الشر ، قلة فى الإيمان . بل إن ذلك غاية الإيمان . وإن الذى يتهرب من الله إلى نفسه ، وينكر آياته فى الوجود ، يجد الله فى نفسه فى خير نزعاتها . وإن فى الله حاجة من حوائج النفس البشرية ، وكلما خفيت عنا أدلة وجود الله لعظم الشر والإثم ، كان ذلك الخفاء أدعى إلى تطلبه ونشدانه والإيمان به على الوجه الصحيح .

فالإيمان بالله والخير ضرورة وحاجة ، لعظم الشر والشقاء . إذ أن الزيغ وقلة الإيمان لا تعين على الشر والشقاء . بل تزيد الحياة اختلالاً ؛ كما ذكرت فى قصيدة : « صوت الله أو نجوى المؤمن » فى الديوان الرابع . وقد أساء بعض الناس فهم قصيدة « ليتنى كنت إلهاً » فى الديوان الثانى ، ولا أعرف كيف فات من صفت نفسه من سوء النية من القراء ، أن نسبته سوء الفعل إلى ذلك المتطلب مرتبة إله ، خرافة من خرافات الوثنيين ، والذى يريد أن يصلح نظام الحياة والكون ، هى غاية الإيمان لبيان أن المرء ينتقد ويتسخط الشر والإثم ، حتى إذا حكم أتى الشر الذى نقمه . ولو أنى جعلت أفعاله فى القصيدة حميدة ، لكان ذلك اعترافاً منى بأنه مصيب فى نقده وأنه رشيد عادل !

هذه قصيدة « الملك الثائر » لقد حاول غبى أن يقرأها مرة ، فقرأ منها أبياتاً ، ورأى عصيان الملك ، فأخذ منه الغضب كل مأخذ ، ولم يتم قراءة القصيدة ، فلما قرأت له ما لاقاه الملك الثائر من العقاب لعصيانه ، انشرح صدره وقال : « إنه جدير بهذا العقاب » !

وهذه الحادثة تشرح السبب فى سوء الفهم الذى يعتور بعض الناس فى قراءة القصائد التى تشرح أمثال هذه الخواطر والعواطف النفسية التى لها علاقة بالحياة والخلق . فإنه لا يحاول تفهم مغزى القصيدة الذى لا يستخلص من أبيات مفردة من القصيدة ، بل يستخلصه بأن يفهم وحدة القصيدة الفنية وما تقضيه المقابلة الفنية من اختلاف جوانب الرأى فيها واختلاف حالات النفس التى ضمننتها القصيدة .

آية الحسن

يا قلبُ قصرك لا تولع بإنسانٍ
قد صار لى ألف عينٍ بعد رؤيتكم
مذ صار حسنك فى الإمكان منشأة
ومعجز الحسن فى خلق خصصت به
وصار لى ألف قلب أر تجيك بها
كى لا يضيع جمالُ منك أبصره
بل ليتنى الكون طراً ليس يبصركم
هل نافعى أننى فى الحب منفرد
بل ذاك ضائرُ قلبٍ لست راحمه
ما كان مثلك فى الأكوان منشأة
استخلصتك دهارير كما خلص الـ
مجاهلُ الزمن الماضى وحاضره
فجئت آيته الكبرى التى خشعت
ليت الكواكب تعنوا لى فانظمها
إخالها ما بدت إلا لتبصرها
والطيرُ ما نطقت إلا لحسنكم
يا سالب الكون أشهى ما يراد له

لقد كلفت بساجى الطرفِ وسمانٍ
من بعد ما كان لى كالناسِ عينانٍ
فكلُّ معجز أمر رهن إمكانٍ
كمعجز الحب فى شعرى وتحنانى
يالىتنى زدت فى روحٍ وأشجانٍ
ورقة اللفظ فى سحرٍ وتبيانٍ
سواى فى الخلق من وحشٍ وإنسانٍ
فليس فى الخلق تحنانٌ كتحنانى
وكيف يرحمُ نضواً قلبٌ غفلانٍ
إلا بخبرة أزمانٍ وأزمانٍ
عطرُ الزكى فى عطرٍ لأكوان^(١)
لصنع حسنك فى بدعٍ وإتقانٍ
لها القلوب ولم تدحض بكفرانٍ
لأنك لك تحكى عقد أشجاني
مرآة حسنك لا يمنى بنكرانٍ
فانت للكون طراً خير عنوانٍ
ماذا تركت لأحقابٍ وأزمانٍ

(١) الدهارير : أول الدهر فى الزمان الماضى .

عميتُ عن كلِّ حُسْنٍ غيرِ حُسْنِكُمْ
أعشيت طرفي بِشَمْسٍ مِنْكَ طالعة
لا أَكْثُرَنَّ مِنَ الْإِلْحَاطِ أَرْسَلَهَا
وَهَلْ أَخَافُ وَقَدْ سَقَى الْفؤَادَ هَوًى
أَوْ الْقَضَاءَ وَمَا يَخْشَى الْوَرَى أَبَدًا
كَلَّا لِعَمْرِكَ إِنَّ الْحَبَّ يَرْفَعُنِي
إِنِّي أَهَابُكَ مِنْ حَسَنِ تَجَوَّرَ بِهِ
مَاذَا يَضِيرُكَ مِنْ حَبٍّ تَزَانُ بِهِ ؟
هَبْهُ الْمَقَادِرُ مِنْ يَأْبَى الْمَقَادِرَ لَا
فَاضْحَكْ فَضَحَكَكَ أَنْغَامُ مَرْتَلَةٍ
لَمْ يَبْقَ فِي الْكُونِ مِنْ شِدْوٍ نَسْرُ بِهِ
فِي كُلِّ نَظْرَةٍ عَيْنَ ذِكْرَةٍ لَكُمْ
حَبِيكَ لَا شَكَّ يَعْرِوهُ وَلَا جَدَلَ
فِي مَنْزِلِ اللَّهِ مَكْلُوءٌ بِهِيْبَتِهِ
وَلَنْ يَضِيعَ رَجَاءٌ فِي الْحَيَاةِ إِذَا
أَخْلَفْتَ وَعْدَ لِحَاطٍ أَنْتَ مَرْسَلُهَا
لَا تَنْكَرَنَّ مَقَالَ اللَّحْظِ مِنْ خَجَلٍ
الْحَبُّ أَقْوَى مِنَ الْأَغْلَالِ تُحْكِمُهَا
قَدْ بَعْتُ رَاحَةَ أَيَّامِي وَصَحَّتْهَا
أَحْمَلُ جَنَايَةَ حَسَنِ لَسْتُ خَالِقَهُ

كَأَنَّنِي غَيْرِ صَاحِي الطَّرْفِ يَقْظَانِ
مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ عَيْشِي رَهْنَ إِدْجَانِ^(١)
إِنَّ الْبَلَاءَ لَطَرْفِ الْعَاشِقِ الرَّانِي^(٢)
الْعَيْشُ وَالْمَوْتُ فِي صَرْفٍ وَحَدَّثَانِ ؟
مِنْ قِسْمَةِ الدَّهْرِ فِي رِبْحٍ وَخَسْرَانِ
عَنِ الْحَيَاةِ وَعَنِ عَيْشٍ لَهَا فَانِي
حَتَّى لِأَقْلَاكِ فِي أَثْنَاءِ أَحْيَانِ
فَالْحَبُّ لِلْحَسَنِ نَشْرٌ حَوْلَ أَفْنَانِ
يَرَى الْحَيَاةَ بَعَيْنِ النَّاعِمِ الْهَانِي
أَوْتَارَهَا قَلْبٌ صَبَّ مِنْكَ وَلَهَانِ
إِلَّا جَمَعْتَ بِحَسَنِ مِنْكَ مِرْنَانِ^(٣)
وَكُلِّ نَبِضَةٍ قَلْبٍ جَدَّ حِرَّانِ
كَأَنَّمَا هُوَ مِنْ أَرْيَابِ أَدْيَانِ
سِرُّ الْإِلَهِ وَسِرُّ الْحَبِّ سَيَّانِ
مَا ظَلَّ حَبِي مَكْلُوءًا بِإِيمَانِي
تَقُولُ لِي أَعَشَقُ فَإِنِّي جَدَّ فِتَانِ
كَمْ حُجَّةٌ لَكَ فِي تَبْيَانِ وَسَنَانِ
عَادَ الْحَيَاةَ لِقَلْبِ الْعَاشِقِ الْعَانِي
بِنَظْرَةٍ بَدَّلْتَ سِرِّي وَإِعْلَانِي
كَمَا تَحْمِلُ مَقْدُورًا لَهُ الْجَانِي

(١) إيجان : ظلام . (٢) رفا : أدام النظر . (٣) مرنان : كثير الرنين .

ولا يكفّر عن لحظٍ تصول به
لو فرّق الدهرُ حُبِّي في مجاهله
ولو خبرت بحبّي العيش أجمعه
ما مسَّ حُبّيك أمراً خسَّ معدته
ما أضال العيش لولا ما يتاح بكم
خير لنفسك إن لم تدرِ ما ضمنت
إذا لأفرطت من سكرٍ ومن خبل
وكيف ترحمني إن لم تجد أرباً
يا هل تراني إذا ما جاء يسعدني
حتى ليوشك أن تكسي مراسمه
أكاد أنشق أنفاساً يردّها
ياليت أنى أناجيه ويسمعني
حولي خيالات حسن أنت صورتها
لا بل شقائي أوهام أغرّبها
أنسى فناء جسمال أنت لا بسه
يروع حسنك في حبٍّ أعالجه
لو قسم الدهر بين الناس قاطبة
وفرحة لي إما لحت عن عرض
غاض الشقاء وغاض التحس أجمعه
لو صور الخلد كانت منك صورته

إلا ترفق عطف منك يرعاني
لعناد منه بمثل الخلد ملآن
إذا لباء بسرّ منه ضحيان
إلا أضاء كمارٍ عند دهقان^(١)
من الهوى وطماح ليس بالواني^(٢)
من فتنة الخلق في حسن وإحسان
ورحت تنعم في ظلم وعدوان
في أن تكون حبيباً جدّ فتان ؟
طيفٌ لحسنك ألقاه ويلقاني
جسماً فيامن رأى طيفاً بجثمان
وأحتسى منه من كاسات ندمان
على النوى ورجاءٍ ليس بالداني
طوبى فإنك جيرانى وأقسرائى
مثل السراب إذا أودى بظمآن
حتى كأن لم يكن حالٌ له ثانى
كروعة الحسن في نيران بركان
لذائذاً لي في قرب ولقيان
تجلو همومي وتأسو كلم أحزاني
وعطل الدهر من منع وحصرمان
شكلاً بشكلٍ وعنواناً كعنوان

(٢) الوانى : الضعيف .

(١) الدهقان : رئيس الأقليم .

قد قلت للحب في قلب أضرب به
لئن أضاعك وسنان بغرته
لم يحل بالغيد في بادي ترائبها
وأنت في لجة للقلب منغمر
ما أنت أول حب عز مطلبه
فأين أخبأ طرفي عن محاسنكم
وإنما الحب كالمقدار مدخله
لو كانت البيد تنجى منك ما رضيت
بل ليت أنى حلم في الكرى بهج
أقول للمناصح المغرى بتعزية
والكون كالميت لا ماء ولا شجر
إن لم يبل ظمى الحب غلته
ولا أتيح لقلب قلب ذي مقعة
كأنما الكون لم يخلق له سبب
فاهبط مع اليأس في قلبي فإن له
وما ألت ليأس مثلما حزنت
استنفذ الكذب آيات الكمال فما
فليت لي لغة ما شابا كذب
وما لحبي في الأكوان من مثل
فكيف يشفع لي لفظ يغرب به

برح الهوى وطلاب المعوز الداني
كم في الزواجر من در ومرجان
ولم يحد بميزان وأثمان
ما أمك الرائح الغادي بنشدان
ولا بأول قلب غير جذلان
وأين أخبأ قلباً جد ظمآن ؟
رغم الأواخي من عزم وإيقان
نفسى قيودك في أهلى وأوطانى
يأتى إليك بأزهار وريحان
انظر أفى الكون ما يغرى بسلوان ؟
ولا جمال تراءى حول أفنان
ولا تصافى بصفو الحب روحان
ولا تدانى بنجوى الحب صنوان
أو أنه حلم بادی الهم أسوان !
فى القلب منزل صدق غير بهتان
نفسى على أمل كالآل حليان
أرضى لحبي منها أى تبيان
ترضى الملائك لم تخلق لإنسان
ولا رموز ولا شبه ولا داني
من الخليفة شيطان بشيطان ؟

ولستُ الحاك إن لم تُلفَ ذا عوزٍ
كانَ حسنك من إبداع ما ضمنت
يا من به قد نسيتُ الشرَّ أجمعه
ما خلتُ أن مكاناً ضمَّ حسنكم
دنياك دنيا رخاءٍ لا شقاء بها
أبعد معرفتي الأيام يا عجباً
أبغى الحياة وأبغى منكم مقعةً
نزلتَ يا قلب عن غالى نفائسها
حتى فرحتُ بصبرٍ منك عن خُدعٍ
وقلتُ لى الآن لا شجوى ولا جزعُ
فعدتُ لا صبر تبديه ولا جلدأ
يا دوحة الحب لا شمس ولا مطر
فكيف أينعتِ فى قلبٍ أضرب به
أتى الربيعُ فهب لى منك مكرمةً
ونسَمع الطيرَ تبدى سرَّ أنفسنا
ذخر لمقبل أيامى إذا بردت
لا تنس حبيبى إذا ما الموتُ عاجلنى

إن الودادَ لقلب الناقص الفسانى
منك الخوالجُ من صدقٍ وإحسانٍ
لا يجتلى الحسن والأرزاء فى آنٍ
يحوى من الشرِّ ما يودى بثهلانٍ
كأنما الشرُّ لم ينزل بإنسانٍ
وأوجه الدهر من طلقٍ وطخيان : (١)
إن الحياة حياة الناعم الهانى !
لما عرفتَ الليالى أى عرفانٍ
من الحياة وعن إلفٍ وخلصانٍ
على الحياة ولا إعياء وجدانٍ
حتى كأنك لم تسكن لسُلوانٍ
من اللقاء ولا وافٍ ولا حانى (٢)
جذبُ الزمانِ وإلف غير معوان ؟
يوماً نقضتْ به بين السرو والبان
حيث الهوى ورواء الزهر سيَّان
نارُ الحياة ونارُ الحب فى آنٍ
لعلَّ ذكرك دون القبرِ سلوانى

(١) طخيان : مظلَم .

(٢) الوافى من الوفاء . والحانى : المتعطف .

وسائل الليل عن روحى فإن لها
لا بل دع الذكر لى إنى به قمن
ولا تُعننى بذكرى منك خاطرة
عذب فؤادى بالآلام قاطبة
وارحم أواقس ولا تخرجك معتبة
وليس فى الحب خسران ولا فشل
ألم أعش غير عيش الناس قاطبة

فى الليل خطرة حى الهم أسوان^(١)
وانعم بحسبك فى غدر ونسيان^(٢)
حسبى حبورى بقلب منك جذلان
الحب ذخر منى يشرى بأثمان
ماذا تضيرك آلامى وأشجانى ؟
وإن منيت ببعدي أو بهجران
وأقطع الدهر فى فرحات نشوان ؟

الشلال^(٣)

فلعل الحياة كالماء تجرى بين هذا الثرى وبين السماء
(من القصيدة)

يا أخا الصمت فى الجلالة والرو
إن فى القلب لوعة ما تقضى
أحسب الخلد مثل مائك ينها
أنت فجرت فى ضلوعى ينبو
ليت أن الحياة مثلك تعدو

ع وصنو النكباء والهوجاء^(٤)
أنت حاكيت همتى ورجائى
ر ونفسى فى مائه كالهباء
عاً من الشجو مسرعاً فى دمائى
لا تراخى مثل الجياد البطاء

(١) أسوان : حزين (٢) قمن : خلىق وجدير .

(٣) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » - عدد ١٦٣ - فى ١٧ أغسطس ١٩٣٦ .

(٤) أى أن صوت الشلال فى روعته كالصمت التام فى روعته ، فإن لكل منهما روعه ، وهو شبيه
بالرياح الأعاصير فى صوته .

إن للعيش كدرةٌ تذرُ النفس
 فسأعني على الأواسن من نف
 يا ابن ماء السماء هل تذكر الرعد
 وهل البرق لا يزال خفياً
 أنت ريح الأمواه أم أنت روح الـ
 قد هددت الصخور تنشد خصباً
 إنما أنت ناغمٌ ينصف السُّهـ
 تجعل السهل والحزون سواءً
 مَرِحٌ أنت أم كما يُسرع الفا
 لك بالشَّم مولدٌ وعلى صد
 غير أن الميلاذ في قمم الشـ
 فلعل الحياة كالماء تجري
 لك في النفس نشوةٌ مثلما استشـ
 ويفيض النفوس مرأى جلال
 س ركوداً كآسنٍ في نهاء^(١)
 سى بفيضٍ ينهارُ مثل البناء
 دَ تحاكي إرزامه في الغناء؟^(٢)
 في ثنايا صدرٍ كصدر الغماء
 ماء يمضي في مائه كالهواء؟
 أم لذخر تبغيه في الدُّعاء^(٣)
 لَ بفضل الشواهِق الشَّماء^(٤)
 ليس نجسد ووهدة بسواء^(٥)
 رسُ في نجدةٍ إلى الهيجاء
 ر أببك المحيط وقعُ الفناء^(٦)
 م حِمَامٌ لهساطل الأنواء
 بين هذا الثرى وبين السماء
 رف راءٍ من شاهقات العلاء^(٧)
 لك حتى تطير كالأنداء^(٨)

-
- (١) النهاء : القدران . وأسن الماء : أجن وتغير . (٢) الشلال ابن ماء السماء : أى المطر . وإرزام
 الرعد : صوته . (٣) اللقعاء : الأرض . (٤) فضل الشواهِق : أى فضلات الجبال من
 صخور وغيرها . (٥) الحزون : الأراضي غير المستوية . والنجد : الأرض المرتفعة .
 (وفي الأصل تجعل الوعر) . (٦) المحيط أبو النهر لأن النهر من سحب . والسحاب من المحيط .
 (٧) استشرف : أطل من مكان عال ، والمرء يشعر بذهول أو نوار وروعة وخوف إذا أطل من مكان
 عال كما يشعر وهو يرى تنفق الماء من علٍ في الشلال .
 (٨) مناظر الجلال الهائلة تتضاغل أمامها النفس حتى كأنما تنعدم ، أو كما يتبخر الندى .

وكأننى فى كلِّ دانٍ ونائى
 ن فخلتُ الأكوان طراً ردائى^(١)
 كرنى عزمى وماضى مضائى
 من حبور النعيم والسَّراءِ
 منك كالظئر هاتف بالغناء^(٢)
 ووَضاءٌ أحبب به من وضاء
 تُك رمزاً رُمِزته للقضاء
 حتى تعيده بالحباء^(٣)
 زرع لذكر الشقاء والأرزاءِ
 بحديث العلى وصدق السناء
 فوق صدر العشيقة الحسناء^(٤)
 نهر تسعى بهمة شمطاء
 كل شىءٍ لطيفة وفناء^(٥)

فكأننى فى مائك الغمر أمضى
 أنت أيقظتنى وقد كنت وسنا
 هاتفٌ فى خيرير مائك قد أذ
 أنت أصفى من الوداد وأنقى
 أنت أرجوحة لنفسى وصوت
 أنت مثل الشباب عزمًا وبطشًا
 لك وقع الأقدار حتى لقد خلد
 أنت كالدهر تأخذ الترب والعسجد
 لم تهب ككرة الدهور ولم تج
 ياسليل السماء حدث طويلا
 تبعث الصخر من صخورك يزهو
 سوف تغدو كالشيخ فى أخريات الـ
 فاغتبط بالمضاء وامرح طويلا

(١) الإنسان فى غفلة من الأثرة والأنانية فتوقظه مناظر الروعة والجلال من غفلة أنانيته ،
 إذ يتضاغل أمام تلك المناظر فيحس وحدة الوجود .

(٢) كأنما حركة الماء فى الشلال تهز النفس كما يهتز الطفل فى الأرجوحة ، وصوت الشلال يجلب
 للنفس راحة كراحة الطفل فى غناء المرضع (فى الأصل وشبو منك كالظئر هاتف بالدعاء) .

(٣) الحباء : العطية .

(٤) إشارة إلى بطن النهر عند المصب (فى الأصل - فوق نحر العشيقة) .

(٥) المضاء : المراد به نفوذ العزيمة وقوتها . لطية : لغاية يستقر عندها .

يا وضيء البسمات

يا وضيء البسمات
ليت لي منك اثتلافاً
أنت في الدهر ابتسام
كل حسن أمل فيه
فإذا الشمس تعلت
صف لنا حسن الفراديد
عذروا صمدك من سد
أنت عنيوان لما أن
كل كيون كان أو لم
فليك لي منه أمـان
أنت شئ منك بلفظ
هو موصول بقلبي
خلت أن قد كنت أحبيب
هات لي خلداً على خلـد
إنما الخلد كقصيد
أنت كسالم سوء وهل ير
إن تخل دمعي نجوماً
فأسر في ضوء نجومى

وحسبي الوجنات
كائتلاف النغمات
كابتسام الزهرات
لك وبشري للعفاة^(١)
قلت حبي سيؤاتي
س بحسن القسمات
موك بدرأ في السـمات
شده في الخطوات
يك من مـاضٍ وآتى
سي النفوس الساميات
مثل طيب النفحات
في وجيب الخفقات
تك من قبل الحياة
د لأرضي صبيواتي
للأماني الرائعات
ضيء الأكف الناشدات؟
في ليالى الجفوات :
وائتني في الفلـمات

(١) العفاة : جمع العافى ، كل طالب فضل .

أَوْ تَخْلُ دَمْعِي دُرّاً
أَوْ جَبِيبَ الْقَلْبِ مَا قَدْ
لَسَوِي عَدَّ الرِّزَايَا
سَأَلُوا : فِي أَيِّ حَالٍ
قُلْتُ : أَحْلَى مِمَّا تَرَاهُ
فَإِذَا أَرَخَى لِحَافاً
وَهُوَ أَحْلَى مِنْهُ إِنْ فَصَا
وَهُوَ أَحْلَى مِمَّا تَرَاهُ
وَإِذَا صَدَّ فَمِمَّا أَحَدُ
فَإِذَا لَانَ فَمِمَّا أَحَدُ
كُلُّ حَالٍ مِنْهُ أَشْهَى
إِنْ حَسِبِي دُرَّةٌ تَجِدُ
إِنْ حَسِبِي مِثْلُ حُبِّ اللَّهِ
كَيْفَ تُلَحِّقَانِي عَلَى حَدِّ
إِنَّمَا الْحُبُّ ضَيِّقَاءُ
تَبَسُّعُ الْحُبِّ إِلَيْنَا
يَعْذِرُ الْحَسَنَ وَإِنْ قَدْ
رَاحِمَاً يَفْسِدُ اتِّقَاءُ
إِنْ يَكُنْ حَسِبِي خُلْداً
وَأَرْحَنِي مِنْ خُلُودِ الْبَدَنِ

فَادْخِرْ مِنْ عِبَرَاتِ
عَدْرِ لِي فِي النَّبِيضِ
وَالْهَمِّومِ الطَّارِقِ
هُوَ أَحْلَى فِي الصِّفَاتِ
فِي حَسْبِ اللِّحَظَاتِ
كَأَنَّ أَحْلَى فِي السُّبُحَاتِ
وَأَحْلَى فِي الصُّمُوتِ
عَاطِيَةً بِالْفَتَاتِ
لَا هُمْ النُّظَرَاتِ
لَا طَلِقَ اللَّمَحَاتِ
حَسْبُ فِي الْحَسَنَاتِ
عَلَوْ دِيَاجِي الْجَفَوَاتِ (١)
غَفَرَاتُ الْعَاتِي (٢)
سَبِّ بِهِ تَبْلُو أَنَاتِي (٣)
مِنْ صَبِيحِ الصَّفَحَاتِ
كَابِتِ اللَّحَظَاتِ
تَطْبِ نَضْوِ اللَّهْفَاتِ
لَهْنَةِ الرَّحِمَاتِ
أَعْطَنِي خُلْدَ الْمَمَاتِ
شَجِّو مَوْفُورِ الْأَذَاتِ !

(١) الجفوة : الغلظ في المعاشرة (٢) العاتي : المستكبر : المتجاوز الحد .

(٣) لحا : لام وعاب . والأناة : الحلم والصبر .

إنما الخلد تجسأء الـ
 لا تُرد لى سلوة تشـ
 إنما السلوان هامـا
 آه لو يرشق قلبىـاً
 لحظات لك تمضى
 آه لو تألم أخىـذ الـ
 وترى حسنك نهيباً
 وترى آثار أقـدا
 وترى الأرض كـأنا
 وترى الأرض كـأنا
 لا ترى للمحسن إلا الـ
 فتؤاتينى بعطف
 لا يرى القسسوة دينا
 والذى يبصر كـر الـ
 لحلىـق أن رآه
 ولئن خـاتلنا العـيـ
 ولئن خـاتلنا الحـ
 فلعل الموت مكـذو
 ولعل الحب يُجـزى

بنفس من وخـز الشكاة
 عل نار الحـرقـات
 ت الشـجون الهالكـات (١)
 لك سـهمـ اللحظات
 بالسهم المصمـيات (٢)
 دهر من زاهى الشـيات (٣)
 للخطوب المقـبـلات
 م الصـروف الدالفـات (٤)
 فى العـصور الخـالـيات
 فى العـصور القـادمـات
 حبّ فرض الفـرصـات
 منك يجلو حـسـراتى
 غير قن الغـسـفـلات (٥)
 دهر جمّ العـسـدوات :
 باختـلاج الرحـمـات
 شـ بـال الطـيـبـات (٦)
 سـبـ بغضـ القـسـمـات
 بـ كـتـلك الخـدعـات
 صـالحـاً بعـد الحـيـاة !

(١) الهامة هنا : روح القتيل : أى أن السلوان على ذكره روح الحب القتيل .

(٢) المصميات : السريعات الصائبات (٣) الشيات : الألوان .

(٤) دلف : مشى وتقدم (٥) القن : العبد . (٦) خاتل : خدع .

وسائل الحب

إِنَّ الَّذِينَ وَدَدْتَهُمْ وَوَرَضِيَتْهُمْ
نَالُوا رِضَاكَ بِمَنْحَةٍ أَمْ خَدَعَةٍ
اتَّقَرَّبُوا بِالْبَغْضِ إِنَّ مُحِبَّةً
مَرْنِي لِأَفْعَلِ مَا تَشَاءُ فَإِنَّمَا
إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَرَدَ السَّمَاءَ وَرَدَّتْهَا
أَوْ شِئْتَ أَنْ أَهْذَى بِكُلِّ فِكَاهَةٍ
لَقَرَأْتُ وَاسْتَظْهَرْتُ كُلَّ فِكَاهَةٍ
وَسَمِعْتُ مَا أَعْيَا السَّمِيعَ سَمَاعَهُ
أَوْ شِئْتَ مَدْحِي لِلثَّامِ مَدْحَتُهُمْ
أَوْ شِئْتَ أَنْ أَرَدَ الرِّيَاءَ فَإِنِنِّي
أَوْ شِئْتَ أَنْ أَهْوَى الْكِلَابَ عَشَقْتُهَا
هِيَهَاتَ لَوْ أَنَّ الْمَحَالَ فَعَلْتَهُ
فَعَلَانِ يَرْبِحُ وَاحِدٌ وَلَرَبَّمَا
ذَاكَ الْقَضَاءُ فَإِنْ أَصِيبَ بِجَنَّةٍ
وَالْعُطْفُ مَقْمُورٌ بِعَيْرِ كَفَايَةٍ

نَالُوا رِضَاكَ بِآيَةٍ لَكَ تَذْخِرُ
أَمْ بِالرُّقَى تَرْقِي النُّفُوسَ وَتَسْحَرُ^(١)
أَقَصَّتْ فُؤَادًا وَافِيًا لَا يَغْدُرُ
لَكَ مِنْ هَوَى نَفْسِي الْمَكَانَ الْأَكْبَرَ
لَيْلًا لِيَقْنَصَ دَبَّهَا وَالْأَنْسَرَ
كَالْآلِ لَا حَقَّ يَصُوبُ وَيَغْمُرُ
وَذَكَرْتُ مِنْ عَيْثِ النُّهْيِ مَا يَذْكَرُ
مَنْ صَامَتْ ، وَرَأَيْتُ مَا لَا يَبْصُرُ
وَحَسِبْتُ أَنَّ الْفَضْلَ غَرَّ يَزْمُرُ
لَكُمْ تَشَاءُ إِلَى رِضَاكَ مَسِيرُ
وَلَقُلْتُ كَلْبٌ تَرْضِيهِ غَضَنُفَرُ^(٢)
لَوَدِدْتُ مَا بَعْدَ الْمَحَالِ وَتَعَذَّرُ
يَمْضِي أَخْرَهُ عَلَى السَّوَاءِ فَيَخْسِرُ
كَمْ مَاقٍ سُلْطَانٌ وَجَنٌّ مُؤَمَّرُ^(٣)
وَنِبَالَةٌ ، وَالْحُبُّ ذَاكَ الْمَيْسَرُ^(٤)

(١) الرقى : جمع رقية (٢) الغضنفر : الأسد (٣) ماق : حمق . (٤) الميسر : القمار

حجة النائي

إيه يا قلب هل أمنت من النائي
قل لمن قد هويته أى حاله
ولو أن الحياة خلدٌ مديد
غير أن الحياة كالحلم تمضي
أنت لو كنت فى الشغاف من القل
رحمة بي بعدت أم لحياء
يا شفيقاً علىَّ بالبعد كم إش
أم لإغراء ظامى رعت بالناء
خطوات النفوس فيك عباديد
ولأنت الحياة فى القرب تظمي
إن تكن مشفقاً فلا تبد طرفاً
وابتعد إن لقيتني ، إن مرأ
أو تكن مغرباً بنايك فارحم
ليت قلبى تحنو عليه ضلوع
خلت نارا أججتها زينة في
ياشبية الثمار والزهر والفج
إن من جمل الحياة محييا

س حبيباً يرعى وحباً جديدا
لك يعيد المشوق نضوا عميدا
لأسفنا فى الحب نأيا مديدا
إنما العمر طائر لن يعودا
ب رجونا من اقتراب مزيدا
خفت لى فى الجمال منك وعيدا
فماق ناء قد جر خطبا شديدا
ى وخلفت بعدك التصريدا^(١)
فسيان دانياً وبعيدا^(٢)
وظمأء المودى أحس وقودا
منك يسجو لحظاً وثغراً برودا
منك يوحى فى القلب نبضاً وثيدا
ليت لى فى هواك قلباً جليداً
منك حتى تخشى عليه الزنودا^(٣)
ه كضوء المصباح حلياً وعيدا
ر تمل العيش الرخى الرغيدا
ه خليق بأن يكون سميدا

(١) التصريد : العطش (٢) عباديد : أى شتى متفرقة (٣) الزنود : تاجع النار .

أنت أشهى من الخلود وهل تد
فادُ كَر في الرخاءِ نضواً طليحاً
إن يمت تبكه اللواعج والهـ
وسل الليل والكواكب هل كا

في لنفسٍ فوق الخلودِ مزيداً ؟
بات يدنيك ذكرة وسهوداً
م فقد كان للشقاء عقيداً
ن دعائي إلا القريب البعيداً ؟

فطنة الحسن

يا ذكيُّ الفؤادِ هذا فؤادي
وأشدُّ الهوى هوى كتم الصد
ما ترى فرحتي إذا ما تراءى
ما ترى الدمعَ حائراً في جفوني
ما ترى لحظةً يرق لها الصخ
لحظات في إثرها لحظات
خان عهدي الخلان حتى لقد أص
كم رجوت الإخاء دهرأ وكم أح
فإذا الحب والإخاء سواء
ومن العدل أن يحب صبيح
ولو أن القلوب تآلم للأح
لرأين الحياة جنات عدن
يا ذكيُّ الفؤاد لبك طب
فلعلني أبهمت منه كلغزاة

انتجع فيه من هوى مكتوم
رفأضحى كالمرجل المختوم
منك طرف يوحى لقلبي الكليم
حيرتي في سواد حظي البهيم
ر كسهم براه وقع الهموم
هائمات يحكين لحظ السقيم
بسحت لا أرتجى إخاء كريم
بببت، آه لقلبي المكلوم
خدعات يقتلن لب الحكيم
حسنه كي يكون جد رحيم
يأ طراً من أجنب وحميم^(١)
رافلات في نضرة ونعيم
بسوى لوعتي وحبى القديم
عيش واستعجمت حصة الفهيم

(١) أي لسعيهم في إصلاح ما فسد من أمورهم ولإعادة بعضهم بعضاً .

أَمْ شَقَائِي لَذَاذَةٌ لَكَ فَنانعم
وسل الشعر والأصالة عن صد
مَتَّ مِنْ شَعْرِهِ إِلَيْكَ بِأَسْبَا
لِكَ لِحَظٍّ يَأْسُو وَيَكْلَمُ يَا لَهـ
كَمْ طَوَى الدَّهْرُ مِنْ غَسْرَامٍ وَمِنْ
وَمِنْ الْخُطْبِ أَنْ يَزُولَ جَمَالُ
مَا عَذَابِي بِخَالِدٍ فِيكَ حَتَّى
فَلَتُنْ مَتَّ كَسَانُ مِنْكَ فَكَأَكِي
نَعْمَةً مَوْتِي الَّذِي لَيْسَ يُؤْسِيكَ
وَلَتُنْ عَشْتُ فَالْحَيَاةُ هُمُومُ
مَا شَقَائِي بِخَالِدٍ يَا حَبِيبِي
وَلَتُنْ غَضُ مِنْ جَسْمَالِكَ دَهْرُ
يَا ذَكِي الْفُؤَادِ تَفْدِيكَ نَفْسِي

بِبِكَائِي وَلَوْ عَتَى يَا ظَلُومِي
تَبَّ مَصِيخٍ لِحَسَنِكَ الْمَنُومِ
بِ وَمِنْ قَلْبِهِ بَدَامِي الْكَلُومِ
فِي لَاسٍ يَزِيدُ سَقَمَ السَّقِيمِ !
حَسَنٌ وَمِنْ مَغْرَمٍ وَحِبُّ نَدِيمٍ
كَسَانُ رِيَا وَغَلَّةُ لِلْحَلُومِ
أَشْتَكِي مِنْهُ قَاتِلِي وَغَرِيمِي
مِنْ حَيَاةٍ كَحَرْقَةِ الْمَظْلُومِ
وَمَا أَنْتَ كَالْحِمَامِ حَمِيمِي
لَسْتُ فِيهَا بِزَائِدٍ مِنْ هُمُومِي
لَا وَلَا حُسْنٍ وَجْهَكَ الْمَوْسُومِ
لَمْ يَبْخَ حَرَّ غَلَّةِ الْمُحْرُومِ
مِنْ طُرُوقِ الرَّدَى وَوَقَعَ الْغَمُومِ !

الآماني والذكر

الذكرُ يشجوه والآمالُ تخذعه
يسائلُ الذكرُ عن عهدٍ لنا خضل
فقال سائلُ به الآمالُ إنَّ لها

قلبُ تلوى إلى مغناك أخدعه؟ (١)
لعلَّ مقبلُ هذا الدهرِ يرجعه
في مقبلِ العيشِ حكماً لست أدفعه

(١) الأخدع عرق في الرقبة . وفي البيت تشبيه حنين القلب بتلفت الإنسان إلى دار حبيبه .

وما انتفاعى بآمالى التى حرمت
جعلتُ بعدك آمالى محرمةً
نأيتُ من بعد عهدٍ جفَّ يانعُهُ
غير اذكار ترانيم إذا تُلِّيتُ
والحسن شدوً لمن أصغتِ جوانحه
قد أصبح الذكرُ قبر الحبِّ وانتثرت
وعزة الغابر المذکور مؤذنة
فهل تغضن وجه المرء مبتسماً
فيا سمائى إن غامت فإن لها
قد نَمَّقَ القلبُ حسناً أنت طلعته
القلب مرآة ما أبديت من مُلَح
تذوى الزهورُ فلا عهد يعود بها
أصبحتُ فى البعد مثل الروح محتجياً
أو كالقضاء إذا ما صال صائلُهُ
والحبُّ كالموت يأتى فى فجاءته
إنى أحبك حباً لست أفهمه
يا راصدَ النجم مزهواً بخبرته
وارصدْ لحاظاً لمن أهواه ماضيةً
الحبُّ روحٌ من الفردوس هبته
والحبُّ كالخلد لا يلقاه ذو عدم

على فؤادى إذ لا عطف ينفعه
إنى لأبغض ورداً لست تُنبعه
كالعود فى الصمت لاشدوً فنسمعه
من ذكر عطفك أعشى الطرف مدمعه
له صدى تنهاوى منه أضلعه
عليه منى المنى كالزهر تمرعه
بذلة الحبال إذ لا رى ينقعه
كى يجد الدمع مجرى منه يتبعه
فى نهر عيشى غيم أنت تطبعه
أغرَّتْ حتى بصد منك تصدعه
فاصقله بالقرب عل القلب يبدعه
لكن للوصل روحاً منه يرجعه
وأمره الأمر مغداه ومرجعه
فى خفية ونفوس الخلق مرتعه
من غير إذن ولا ساع يشفعه
أيفهم الكون منشاه ومنزعه
ارصدْ هلالاً بأفق السعد مطلعه
بقسمة السعد تعطيه وتمنعه
ليوقظ النفس شدو لا يوقعه
إلا فواقاً لعيش حان مصرعه

سيحبس الدنُّ عنا من يشعشه
هذا الأنام لغاض النحسُ أجمعه
فى من حنين هزار للربيع بأو
بل الحياة وما أبغى وأمنعه!

خمرُ الخلود فنادمنى على مهلٍ
لو قسّمت فرحتى إمّا أراك على
فمّا حنين هزار للربيع بأو
وأنت شمسى وقطرى والنسيم معاً

الحب والشفاعة

كانما أنت لم تخلق من البشرِ :
يبغى المهابة فى ستر وفى صغر
تنفى العيان وليس الخبر كالخبر
نسمعُ بذكّك فى الأمثال والسور
منك الوفاءُ وفاءٌ غير مقتسر
بشافعٍ غير مردود ومنزجر
من كل مكتتم منه ومشتهر
من النفاق ومن كذبٍ ومن نكر
ما إن رأى لك ذنباً غير مغتفر
أدعوك بالفضل والإحسان والغرر
فهل شفيعى خلق الغادر المكر
عن حرقه الحبّ كى تقفو على أثرى
إلى اللقاء ولا روحى بمدكر
واقرب وأشعل فواداً غير منصهر

لما رفعتك عن ذا الخلق قاطبة
نأيت عنى كما ينأى المؤتمر إذ
أخفت فى القرب ما يردى بتكرمة
لو كنت إبليس لم تعد الكمال ولم
إن أستغثُ بخصال الحمد أعوزنى
لعلّ بعض خصال السوء يسعدنى
بما بخلقك من عيبٍ ومنقصةٍ
وما يعيش به الأحياء قاطبة
أدعوك دعوة ذى خُبر وذى مقةٍ
فإن غضبت فلا عتبٌ ولا عدل
لا بالحميد ولا المرذول أنشدكم
أم هل شفيعى أن أسلوك منصرفاً
إن كان ذاك فما قلبى بمناطر
فاغضب لحسنك وارم القلبَ عن كُتبٍ

فما يزينك قلبٌ غير مذكر
فاحلف بحسبك أنْ تدنو لترجعني
ولا تقل رحمة تنأى فلى كبد
أغر الجمال بنا كيما نكفر عن
فإن فشلت فبئست تلك منقصة
وإن ظفرت فقد دانيت منعظاً
لا تحسب الحب أعمى ضلُّ رائده

من العبادِ وخدٌ غير منعفرٍ
إلى اللواعج والأسقام والذكرِ
لم تخش منك صيال اللفظ والبصر
وزر الجحودِ جحودِ الحسنِ والغرر
تنفى الجمال وبئس العجز فى العُرر
فأثار لحسبك واعرف لذة الظفر !
الحبُّ أبصر بالأخلاقِ والسَّير !

نجوى المحتجب

حجبوك من حذرٍ عليك صيانة
ولئن حجبت ففى الرحيقِ مشابه
أو فى اللآلىء وهى أنفُس ما يرى
لولا ظنون السوء وهى كثيرة
لحججتُ معتمراً ببيتك طائفاً
ياويح أهل الدار لو علموا الذى
هم يحسبونك واحداً فى أمةٍ
لو يعلمون مخاوفى ومحاذرى
ولقد وقفت على ديارك بعدما
نجوى وثقت بدينها وبربها
إذا أمَّ قلبى شطر قلبك حاسباً

يا ليتهم فى مهجتي حجبوكا
فى الدنَّ أو ما يحتويه فوكا
عيفت لها الأصداف واختصوكا
يغرى بها من خشيةٍ أهلوكا
أبغى إليك من الطواف سلوكا
تحوى إذا سجدت لديك ذووكا
ولأنت دنيا الحسن لو عرفوكا
حرسوك فى عينى إذ حرسوكا
هَجَعَ الخليفةُ سوقة وملوكا
ربَّ المحاسن خاب من يدعوكا
نجوى المحبةٍ منهجاً مسلوكا

كيما تجيء على الوفاق وما نأى
يا قلبُ مالك لا تبوء بسلوّةٍ
يا ساحراً خابت وسائلُ سحره
لا تبلغ النجوى أغص مرقفها
ياليت أن الوحي كنت ملكته
إني اتهمتُ محبتي لما نأت
يا مَنْ به افستن القضاء كأنما
ويلي من الآمال فيك فإنها
يا أين منك ودادة للقلب لا

نأى إذا سلك الدعاء سلوكاً
علّ الحبيب بهجره يبلوكاً
أو ما عرفت على اليقين شكوكاً
غفلان يجهل دمك المسفوكاً
حتى تناجى غافلاً يجفوكاً
بك عنى النجوى فلا تدعوكاً
صرف القضاء بحسنه يرشوكاً
زفت إلى حديثها المأفوكاً
تألوه مصطفياً ولا يألوكاً

الحب والحذر

كيف لا أغرى بك الحذرا
تبت من ودٍ ومن مقلّةٍ
صرت أخشى منك طارقةً
ربّ مأمون بغرته
كم وسعت النفس معرفة
فأنت ما لست أعرفه
ما عجيب أن صبرت فكم
إن قلباً لم يدن بهوى
إن مخدوعاً على ثقة

إن تكن تغرى بى الحذرا
فأقل من تاب واعتذرا
مشمتاً بى كل من أمرا
حير الألباب إذ غدرا
أتقصي الفعل والسّيرا
وكأنى لم أصب خبيرا
جازع من كارث صبرا
قط شر من جو خسرا
زين خب لم يثق حسدرا

إِنْ مِنْ صَحْتِ طَوَيْتَهُ
عَجِبَ أَنْ لَسْتَ تَأْمِنُنِي
آمِنًا مِنْ لَيْسَ بِأَمْنِهِ
أَنْتَ مِمَّنْ عَاشَ فِي كَلِمِ الْ
إِنْ حُبَّ السَّوِّ مَكْتَتَمَا
خَلَّتْ أَنْ النَّاسَ لَوْ كَشَرُوا
كَنتَ لِي خَدْنًا الْوَذِ بِهِ
حَبِيبُوا لِي الْعَيْشَ إِذْ قَذَعُوا
كَنتَ أَرْتِي حَسَنَ رَأْيِكَ لَوْ
كَمْ صَدِيقٍ بَتُّ أَكَلُوهُ
أَوَّلَ الرَّامِينَ مَعْتَدَرًا
لَمْ أَلَمْ خُلِقْنَا نَأَيْتَ بِهِ
قَدْ أَمِنْتُ الدَّهْرَ أَرْقُبُهُ
وَأَمِنْتُ الصَّيْتَ أَنْشَدَهُ
خَلَّتْهُ شَهْدًا لِمَقْتَطَفِ
وَأَمِنْتُ الْحَقَّ أَعْبَيْدَهُ
ثُمَّ الْقَبْلَانِي إِلَى نَفْسِي
فَسَامِضٍ مِثْلَ الدَّهْرِ لَا وَطَرَا
وَامِضٍ مِثْلَ الصَّيْتِ إِنْ بِهِ

لَمْ يَكْتُمَ حَبِّهِ ذَعْرًا^(١)
قَدْ أَمِنْتَ الْبَدَوَ وَالْحَضَرَ
سَابِرٌ يَدْرِي الَّذِي سَابِرًا^(٢)
نَاسٌ يَقْفُو فِيهِمْ أَثَرَا
بِزَّ حُبِّ الطَّهْرِ مَشْتَهَرَا
شَاخِذِينَ النَّابَ وَالظُّفْرَا
تَسْدُرِي الْآلَامَ وَالسَّكْدَرَا^(٣)
كِي أَنَالَ الْفَضْلَ مَقْتَسِرَا^(٤)
لَمْ أَعَالِجَ قَبْلَكَ الْغَيْرَا
مِنْ عَدِي أَغْرَى بِي الْحَجْرَا
مِنْ صَفَاءٍ كَانَ لِي ذَخْرَا
بَلِ الْوَمُ الدَّهْرَ وَالْقَبْدَرَا
فَدَجَا بِالسَّوِّ وَاعْتَكْرَا
فَشَاتَى الْغَرَّ وَابْتَدَرَا^(٥)
فَسَقَانِي الصَّابَ وَالصَّبْرَا^(٦)
فَحَمَانِي الْوَرْدَ وَالصَّدْرَا
يَعْبِدُونَ الْكَذِبَ وَالنُّكْرَا
مَالِيَّ قَلْبِي وَلَا خَطَرَا
فِي الْوَرَى عَنْ هَامِنَا قَصْرَا

(١) الطوية السريرة وزناً ومعنى (٢) سابر : مجرب ومختبر (٣) الخدن : الصاحب

(٤) قذع : أفحش في القول (٥) شاتى : عابثنى (٦) الصاب والصبر : المر -

وامضِ مثل الحق لا شَجَنًا بعده ألفى ولا دُعرا
وامضِ مثل العيش إن لنا بعده فى راحة وطرا

موارد الحب

يا رائد القلبِ يحدو بى إلى حسنِ
الأرضُ تهْدَى بأعلامِ وأوديةِ
وفى السماءِ رياحُ جدِّ معملةِ
فما الضلال بحسن لا دليل به
لا بالحنين ولا بالصدق أدركه
وانت كالحق مخبوء ومطلبُ
ولاموتُ يظمى إلى حسن وإن صبرت
لئن نأيت كئأى الشمس عن دنفِ
لم يخرس الطير أن الشمس نائيةُ
لا تحسب الحسن مثل الشمس يسعدنا
فالحسن يحرق فى هجر وفى بُعدِ
يأليت للشعر آلاماً فتبصرها
أو ليت لى مسلماً كالفكر أسلكه
أو ليت أنى قسضاء لا مرد له
أو ليت أنى شجون منك قد نزلت
وما صبرت على صدّ قسوت به

انزل بقلبي فى خصب من الدمن^(١)
والأفق يبعث بالأضواء للسفنِ
تحدو الطيور إلى الأوكار فى الفن^(٢)
إلا مصارع قوم لسن بالسنن
وكيف أدرك ألا غير ذى من^(٣)
والحق ذو صلف يجتن بالجنن
عن شرعة الحق نفس الهالك الضمن^(٤)
يرنو إليك رنو المرء للموطن
إذا بدا الصبح تتلو آية اللسن
فى البعد بالضوء إذ يؤذى على قرن^(٥)
ويبهج القلب فى قرب من السكن
كيما ترق لما يحكيه من حزنى
يخفى عن الناس فى حل وفى ظعن^(٦)
أتى إليك بنعماء من الزمن
فى صدرك الغض قلباً ضاق عن شجنى
كلا لعمرك إن اليأس صبرنى

(١) الدمن : الموضع القريب من الدار . (٢) الفن : الغصن . ومعملة : عاملة .

(٣) المنن : العطاء والنعم (٤) الضمن : نو مرض يلزمه ويشتد عليه

(٥) قرن : اتصال (٦) الظعن : الرحيل .

إِنْ عَذَّبَ السَّهْدُ عَيْنًا غَيْرَ مَغْفِيَةٍ
يَا بَاخِلًا بِلِقَاءِ لَيْسَ يَحْرِبُهُ
مَا كُنْتُ أَشْقَى بِأَمَالٍ أَعَالِجُهَا
وَإِنْ نَأَيْتَ فَقَدْ أَرَخَيْتَ لِي طَوْلًا
لَوْ كُنْتُ أَطْطِيعُ سُلُوءًا عَذَرْتُكُمْ
وَكَيفَ تَمْنَعُنِي وَجْهًا تَلُوحُ بِهِ
أَنْتَ الْمُقَادِيرُ كَالْعَشْوَاءِ خَابِطَةٌ
فَأَنْتَ تَوْحِشْنِي مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبَ
نَامَ الْخَلِيُّونَ تَمَنَّى قَدْ رَأَوْكَ وَمَا

إِفْكٌ مَقَالِي إِنْ الطَّيْفَ يَتَوَسَّنِي
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْحَبَّ يَبْعِدُنِي ^(١)
لَوْ أَنَّنِي عَاكِفٌ أَحْنُو عَلَى وَثْنٍ
لَكِنْ قَلْبِي مَشْدُودٌ عَلَى الرَّسَنِ ^(٢)
وَكَيفَ أَسْلُو وَأَنْتَ الرُّوحُ فِي الْبَدَنِ ؟
لِلنَّاسِ طَرَأَ بَلَاءٌ مَنْ وَلَا ثَمَنُ ؟
بِالسَّعْدِ وَالنَّحْسِ مِنْ نَعْمَى وَمِنْ مَحَنٍ
وَأَنْتَ تَتَوَسَّسُهُمْ بِالْمَنْظَرِ الْحَسَنِ
نَامَ الشَّجِيُّ وَقَدْ بَاعَدْتَ يَاسْكُنِي !

الصبر والجزع

يَا لَابِسًا حَلَلَ الرَّبِيعَ مَخَايِلًا
مَنْ لِي بِصَبْرِ عَنْكَ لَيْسَ بِكَائِنٍ
صَبْرَ الْقَتِيلِ عَنِ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا
مَنْ لِي بِصَبْرِ الدَّهْرِ مِنْ أَزَلِ الدُّنَى
مَنْ لِي بِصَبْرِ الْغَصَنِ أَجَجَ عَوْدِهِ
صَبْرَ النَّيَامِ عَنِ الضُّيَاءِ وَحُسْنِهِ
صَبْرَ السَّمَاءِ عَنِ الطَّيُورِ تَصْوِيتِ
أَوَّاهٍ أَعْسُوزَنِي اصْطَبَّارًا لَا تَنِي
مِثْلَ الذَّبَالَةِ نَوْرَهَا بِفَنَائِهَا

فِي خَلْعَةِ الْفَرْدُوسِ مِنْ لَأَلَاءِهِ
صَبْرًا يَدَاوِي الْقَلْبَ مِنْ بُرَحَائِهِ ^(٣)
وَعَنِ اقْتِسَارِ الثَّارِ مِنْ أَعْدَائِهِ
صَبْرًا عَلَى الْمَقْدُورِ مِنْ عَدَوَائِهِ !
صَبْرَ النُّجُومِ عَلَى السُّرَى وَعَنَائِهِ ^(٤)
وَعَنِ الرَّجَاءِ وَنَجْوَاهِ وَرَخَائِهِ
صَبْرَ الْعَيُونِ عَنِ الْغَمَاءِ وَمَائِهِ ^(٥)
تَفْنِيهِ نَارَ الْحَسَنِ فِي إِعْيَائِهِ
قَمْنٌ وَصَبْرُ الْمَرْءِ عَقِبَ شَقَائِهِ

(١) حربته : سلبه ماله وتركه بلا شيء (٢) الرسن : حبل الدابة (٣) البرحاء : الشدة والأذى .
(٤) السرى : السير ليلاً (٥) الغماء : الغمام .

ولئن أصابك في حياتك مثلما
لرثيت للصديان من حُرْق الجوى
إني لبعدك كاليتم تباعدت
ولكم جزعت لجفوة لك أفرطت
لعرفت ما جزعى لو أنك خابر
جزع الشكالى غال أو حدها الردى
جزع لباغى العدل روع جأشه
لا بل جزعت وليس يعرف جازع
غلان فى جىدى لحبك واحد
إن غبت عنى ظلت ناشد حاجة
متلفتاً حولى كائن مشعر
وأرى الفضاء بلحظة هوجاء لا
فكأنما أبغى عوالم خلفه
لحظات عين لا تراك كطائش
إن لاح إنسان حسبتك طالعاً
حتى أحب الخلق إنك منهم
فإذا استبان علمت أنى مبصر
إن غبت عنى خلت أن عوالم
كالسيف إن صدى الغرار وطالما
وأكاد أهتف فى الندى بذكركم

فزع الجريح إلى نقيع سقيائه
ورحمت هيماناً لفرط بكائه
انصباره فبكى على آبائه
جزع الجبان يفر من هيجائه
جزع المريض من الردى وقضائه
فوددن طعن الموت فى أحشائه
طاغ يخال العدل من إجرائه
جزعى لبعد شبيهه وعنايه
ولصولة المقدور فى غلوائه
مجهولة لم يدر وجه دعائه
روحاً يحس وإن نأى بخفائه
تبغيه بل تبغى ضمير هوائه
سترت بغيب غطائه وكفائه
من نبل أخرق حاد فى إجرائه
أو لم تكنه فأنت من قريائه
وأقيل جرم الدهر فى عدوائه
من لا أسر بوده ولقائه
خسفت خسوف البدر فى ليلائه
راق العيون بطبعه وروائه
قهراً أذل لأمره وقضائه

لولا مغالبة اللسان وصونه
وأودُّ لو تدنو إلى بزلّة
بل ليت لي منك ائتلافٌ مسعدٌ^(١)
إلف الأزاهر والمياه تصافيا
فلطرفة تمضي ولست بشاهدٍ

زورة المباعد

يا زائري أعبقتَ منك محاسناً
أخصّبت تربة أنفسي ظمآنه
وأفضت شؤبوب المحاسن والنهي
يا زورة كالعيد إلا أنها
ياليت أن الدهر أوقف سيره
لهفي عليك أعائد بك ما مضى
عجباً أما صابت لحاظك مهجتي
كتقاطر الرحمات عقب سوابق
طرف تالق منك حتى خلته
لوددت أن أرعاه رعية عابدٍ
ياليت أن النفس دُرّة غائص
النفسُ مرآة فقارب وجهها
كوذيلتين تحاذتاً وتصافتا

بان اختبالُ اللب من بُرحائه^(١)
أهلاً بجرم نلتقي بعدائه!
إلف القصيد لعوده وغنائه
وجرى الربيع عليهما بجلائه
خلدُ الجحيم بنحسه وشقائه

كالزهر يترك نفحة المرتاد
شامت سناك فكان خير عهد
طيباً على المهجات والأكباد
جلّت عن الفرحات والأعياد
حتى تحين قيسامة وتنادي
أم كلُّ عهدٍ فات غير معاد
صوباً يبل به أوام الصادي^(٢)
من نقيمة والحادث المرعاد
قبسُ الجسوس يُضيء للعبياد
يبغى الخلود له على الآباد
أهديك من نفسي أعز عتاد
يخلص ضمير النفس من أضداد
ما إن ترى غير الشكول بوادي^(٣)

(١) البرحاء : شدة .

(٢) الصادي : العطشان

(٣) الوذيلة : المرأة .

أترى ظلال الموت تسحب ذيلها
سأسوم قلبى عنك سلوة صابر
قد يلهم القلب الشجى عزاءه
ها رحمت القلب رحمة مبصر
أم لست تعرف أن حسنك مهلك
أم أنت متهم هواى فلم تخف
وحسبت أنى عابث بدعابة
اجحد حياتك ما استطعت جحودها
لو كنت شاهد عبرتى وصبايتى
وصدعت أبواب السماء بدعوة
لعلمت أنك بالسلو وبالقللى
لو قلت أنت قتلتنى لضحككت إذ
ولرب باغ سعد خل هالك
فاعط الصبا فرض المراح ولا تصل
واهنا بأتراب حنوت عليهم
فغصونهم كغصونك الفيحاء مو
لو كنت لم أبل الحياة وصرفها
أما وقبرى بالوصيد موطأ
سفه بمثلى أن يلوم على الجفا
لو كنت تجهل ما أعانى من جوى

وتظل رهن قطيعة وبعاد ؟
القلب أحجى منك بالإسعاد
هجر أطلت لسلوة ورشاد
لمسا نأيت بريه والزاد
بز المهالك فى ردى وعوادي ؟
منه على لواعجى وصفادى ؟
فلهوت بالتقريب والإبعاد
فلئن قدرت فلوعتى ووداى
لما برمت بصدك المتمادى
كادت تهد شواهد الأطواد
أحجى ولكن لا يطيع فؤادى
كساراً وإن أهلكت بالإبعاد
منه بخلق غير ما إسعاد
حذراً على من الشقاء العادى
وتركتنى خلوا من الأوداد
رقة وغصنى عاد شوك قتاد
لقصدهم بالغل والأحقاد
ألفى لديه راحتى ووسادى
إلف الهوى بقوامه المناد
إن غبت عنى آخذاً بفؤادى

لرجوت منك مودةً لم ألقها
لكن علمت فلم تعد لي حيلةً
أدنوت كي تنأى ولنت مخادعاً
رحمك يا غرض المحاسن لم تكن
ماذا اجترمت فكدتني بخديعة
إن المروءة والشهامة غير ما
قد كنت أحسب كل حسن فطنة
فمنيتُ منك بغير ما أملت
يا ليت أنك صخرة مهجورة
أدعوك بالآلام وهي مضيئة
أدعوك بالعبرات إن رقرقتها
وبكل ما عانيت من حرق الجوى
أدعوك بالزفرات إن صعدتها
وبوقع خفقة قلبك القاسى إذا
وبما أملت من الشقاوة والأذى
وبما يتاح من المهود إلى الردى
أدعوك كي تدرى حنين جوانحي
وبكل ما عالجت من صرف النوى
كيما ترق للوعتى ولواعجى
يا قلب بعض الحب ليس بفطنة

وصبرت للبلوى كصبر إباد^(١)
لولا سراب رجائي المياد
لأسام خفضاً بعد عز قيادى
عندى بأهل خديعة وعناد
تبغى عذاب فؤادى المنقاد
يأتى المصادق من أذى الأوداد^(٢)
تودى بقسوة وحشة الأضداد
أسفاً لقلب منك غير جواد
ليست تغر بفطنة وفؤاد
مما خبرت لفرفة الأنداد
من مقلة حرى بغير رقاد
وبروعة الأحلام والتسهاد
من غدر أحباب وغل أعادى
حذر الردى ومراكب الأعواد
والخوف يقدح فى الحشا بزناد
من لوعة الإصدار والإيراد
بحنين قلب منك غير جماد
والمرء رهن روائح وغواضى
وتزيل دولة صدك المتماضى
فاجنب هواك لفطنة وسداد

(١) إباد : قوى ثابت أو الجبل (٢) أوداد : محبين .

لو أن شجورَ القلب يبعث مثله
أيقنت أنك مولعٌ بمباعدةٍ
فاقرن يقينك بالعزاء ولا تقفُ
وارجع إلى يأسٍ سكنت لجنحِهِ
في صنوه لبلغت كلَّ مراد
هانت عليه حرارة الأكباد
بالشكِّ موقوفَ حيرةٍ وتمادى
زمناً ، فكان أبرُّ بالأنداد !

ياضوء (١)

تضيء ما يستتر الظلام من الـ
وأتمك النارُ وهي صائِلَةٌ
كسوتَ وجهي وخاطري حُللاً
لولاك لم يرحم الذي حمد الـ
تلوح للهالك السقيم فيبع
تلوح للجارم الحبيس كما
تفسدوه أم في عينها أبداً
وهو وليد قد أولعت يدهُ
وكلُّنا ذلك الوليس إذا

قُبُح وتكسوه حُلَّة البدر (٢)
للخير والشر صولة الغير (٣)
وكنت للعين علة النظر
حسن أخاه ذا الآفة الكدر (٤)
تذك خير اللذات والذُخْر (٥)
يلوح ماضى النعيم في الصور (٦)
سحرُ حنانٍ يضيء في البصر (٧)
يخطفة الضوء حلية الحجر
لاح سراب الرجاء والوْطر !

(١) أعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ١٦٥ في ٢١ أغسطس ١٩٢٦ بعنوان - « ياضوء » وكانت في الديوان بعنوان « الضوء » . وحذف منها بعض أبيات أعيدت هنا كما كانت في الأصل .

(٢) البدر : جمع بكرة مقادير من النقود (٣) غير الدهر : صروقه (٤) ذا الآفة : أي الكيف . (٥) لأن الهالك يعد الضوء رمزاً للحياة التي سيفارقها .

(٦) يرى الحبيس الضوء في سجنه فيذكره بعهد وهو طليق برى .

(٧) المجرم الحبيس يتذكر ضوء سحر الحنان في نظر أمه وهو طفل طاهر .

وأنت في المعبد المشيد كضوء
أو مثل ضوء الضمير محتبس
تبعذك الطير في الصباح بما
تهبط فوق الغدير في مرج
أم أنت روح الحبور قد برزت
كأن في الأرض قلباً والهة
سنابل النبت ، أنت صغت لها
ترقص رقص الحسناء إن لها
يا علماً للحياة ينشره الـ
ورب فجر بشقته بهج
أو مثل فجر الآمال إن لها
فطرز السحب مثلما حسن الـ
كأنما أنت سلم لعل
أو أنت حسن الجنان تبصره
ترمد طرف الحزين ، إن أخاك
تليح بالسعد والمني أبدا
وأنت كاليم ، درة الفلك الـ

ء الله في صالح من الخير^(١)
في النفس أو كالصفاء في السير
تتلوه من آية ومن سطور
مثل هبوط الطيور في الشجر
تنير وجه الحياة في خفر
نسبي عشيقاً بحلة الزهر
من عسجد ، حلة من الحبر^(٢)
رقصاً كرقص الضياء في النهر
كون فيقضي القلوب عن خور^(٣)
كفجر حب في القلب منفجر
فجراً وليلاً يضاء بالذكر
نحس بضوء الرجاء في الكدر
ء النفس تسمو لآية العمر
منبعثاً خارجاً من الشفر^(٤)
الليل بر بالخساطر الكدر^(٥)
لذي طموح بالترب منعفر^(٦)
دوار أو فساقع من الزهر^(٧)

(١) سطوع الضوء في معابد الصلاة له جلال وأثر في النفس .

(٢) الحبر : الوشي والزينة (٣) الخور : الضعف والجبن . الأصل - فيقضي الكمي (٤) جمع

ثغره : أي فتحة . (٥) في الأصل : طرف اليتيم (٦) في الأصل : تليح بالحب ... لذي هموم .

(٧) يقمر الضوء الفلك والأزهار فكأنه بحر وكأنهما دره .

ويا بشيراً بما نخال من الـ
 حكيت ذخرَ الآمالِ تبعثها
 تخال من رقعة المراسم معـ
 أشهى ضياءٍ يكسو الحبيبَ خِماً
 تستبق الطير في أشعتك الـ
 وضاءة الماسِ منك قد قبست
 والضوء في المنزل الخراب كقلـ
 خواطر الخير كالملائك أو
 كلُّ جليلٍ مشبّه بك في الـ
 فالحقُّ والحسن والمطامع أشـ
 أضىء إن استطعت ما يخال من الـ
 كم ذا رأيت الأنام في عنت الـ
 فلم تُقطب على الشقاء ولم
 كالشيخ شام الخطوب قاطبةً
 خبّر وما ينفع الوري أبداً
 أثغرة ذا الحمام نبصر منـ

آلاءٍ في مقبل من الغير^(١)
 للوهم يزهو كالتبّير في الذخر
 ننى لا يراه البصير بالبصر^(٢)
 رأ نعم ذاك الكساء في الخُمُر^(٣)
 غراء فعل الحسان في الغُدر^(٤)
 وأنت في الروض خمرة الزهر
 حب الندب يشقى بالجسم في الكبر^(٥)
 كالضوء يزهو في قمة الشجر
 مدح ، وليس التراب كالدرر^(٦)
 بـاهك في قول ناعت الغُرر
 غيوب والطارقات والقدر^(٧)
 عيش نشاوى من غير ما سُكّر
 تبد كوجه الليل معتكـر
 يذخر غفراً لزلّة البشر^(٨)
 طلاب ذاك الطليب في الخبـر
 ها الضوء ، أم حفرة من الحفر ؟

(١) استقبال الضوء كاستقبال البشرى من بهجة وجلد . (٢) أى من لطافته يخيل للرائى أن
 أثره في النفس لافى العين . (٣) الخمر : بضمّتين جمع خمار . (٤) الغدر : جمع غدير .
 (٥) التّدب : المرجو في الأمور لنشاطه . (٦) كل جليل مشبه بالضوء فيقال نور الحق ونور الحسن
 ونور الأمل ونور الطهر الخ .. (٧) استطعت : أى استطعت والخطاب للضوء . (٨) كما أن الشيخ
 قد يفريه علمه بالحياة أن يغتفر للناس أخطاءهم فلا يعيب ، كذلك أنت لا تعيب بالرغم من عنت الحياة
 وشقائها .

الصدق المنشود

إليك يا من قضيت العمر أنشده
همو مثالُ سرابٍ لاح عن عرضٍ
وأى شيءٍ إذا جسدَ الطلاب به
أو كالأجاج إذا أظمى بجرعته
ياسى من الخلق يحدو بى إلى أملٍ
عرفت أنى لن أهنأ بلقيته
يا يؤس نفسى لا صبرٌ ولا صلةٌ
يا لائمى أننى لم أُلَف ذا مقبةٍ
أحمد زمانك فى جدٍ حَبَاك به
ما إن أبیت حباءَ الدهر لو صدقت
يا مغرباً لى بخلقٍ لا أشاكلة
وكيف أنقم إفكاً منهم ، ولكم
أقول علٌّ بعيداً لست أعرفهُ
لم يغنِ قلبى فيكم ما يعالجه
لو كان للعيش عَوْدٌ كان لى أملٌ
لكنه مرةٌ فى الدهر واحدة

فى الناسِ ، لو أن فيهم من يضافينى
وأنت أنت سرابُ الحسنِ تظمينى
لم أُلَفِ آلاً من الأهواءِ يردينى^(١)
وطالما خلت كاساً منه تروينى^(٢)
فى ذى جفاءٍ إذا دانيت يقصينى
فلم أصب برء أحلام تناجينى
ولا عزاءٌ يؤاسينى ويأسونى
أفضى إليه بأمر منه يشجعونى
لقد حبانى بجدٍ منه مدجون
الآؤه ، وحسانى بالميسامين
أبغيك فى كل نأبى الطبع مافون
كذبتنى بحديثٍ منك يغرينى ؟
يوماً يجىءُ بخلق لا ينافينى
هل تعلمون بديلاً منه يغنينى ؟
فى أن أصيبك فى عيشٍ يضافينى
ثم العفاء على آمالٍ محزون !

(١) الال : السراب .

(٢) الاجاج : المالح الطعم .

الملك الثائر (١)

مقدمة :

هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهوين أمرها على النفس ؛ لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الإحساس الذى يحس السعادة لا بد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ؛ إذ الخير فى محاربة الشر ؛ ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة ملك عصى ربه وهبط إلى الأرض ، كى يدعو الناس إلى محو الشر فأتوه وألحقوا به كل شر ؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم . والمراد العظة وتحبيب الحياة والثقة بالله .

* * *

نُبئتُ أن ملاكا ثار من حزنٍ	يسائل الله فى خلق الرزيئات
(قول الملك الثائر يناجى الله) :	
تكلمَ الشر فابعث منك هاتفة	من الجوامع تُرضى فى المناجاة ^(٢)
الأرض منبره وهو الخطيب بها	يدعو النفوس إلى هُوج المطيَّات ^(٣)
فارحم مسامع لم تسمع نحيك أو	نفساً لضوئك ترنو فى الخصاصات ^(٤)
وارحم عيوننا إلى مرآك ظامئة	آبت من النحس فى شكّ كليلات ^(٥)

(١) أُعيد نشرها بمجلة « الرسالة » عدد ٦٨٠ فى ١٥ يوليه ١٩٤٦ وأضيفت إليها المقدمة والهوامش .

(٢) تكلم الشر : أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع منه الحكمة الفاصلة المقنعة .

(٣) منبره : أى منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة .

الهوج : جمع أهوج ، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٤) نحيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل ، والخصاصات : الثقوب ، أى أن النفس تتطلع إلى

ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوئه .

(٥) آبت : أى عادت ورجعت ، وكليلات : أى متعبة .

إِذَا أَعْرَهَا لِحَاطًا مِنْكَ صَادِقَةٌ
وَابْعَثْ لَنَا حِكْمَةً مِمَّا خُصِّصْتَ بِهِ
نَدْرِي الْوُجُودَ كَمَا تَدْرِي الْوُجُودَ بِهَا
فَمَا الْخُلُودَ وَلَا الْفِرْدَوْسَ مِنْ أَرَبِي
حَتَّى أَرَى النَّاسَ لَا دَمْعَ وَلَا حَزْنَ
سَأَبْلُغُ الْأَرْضَ آسَى مِثْلَمَا حَزَنُوا
إِنْ الْجِهَادَ عَلَى النِّقْصِ الَّذِي طَبَعُوا
فَالسِّيفَ أَفْضَلَ مَشْهُورًا وَإِنْ صَدَّتْ
(صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ) :

تَدْحُولُهَا الْعَيْشُ مَحْمُودَ الصَّحِيفَاتِ
فَحِكْمَةٌ لَكَ تُطْفِئُ حَرًّا غَلَّاتِ
وَنَرْتَضِيهِ بِأَرْوَاحِ أَبِيَّاتِ
وَلَا كَمَالٌ لِمَعْصُومِ السَّجِيَّاتِ (١)
وَلَا شَقَاءٌ بِإِجْرَامِ وَغَمَّاتِ
وَأُبْرَى النَّاسِ مِنْ جَرَحِ الْبَلِيَّاتِ (٢)
عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ عَصَمِ السَّجِيَّاتِ
بِالصُّونِ مَا دَرَنْتَ مِنْهُ بِإِصْلَاتِ (٣)

كَمَا تَشَاءُ عَلَى تَقْوَى وَإِخْبَاتِ (٤)
وَدَاوٍ مَا اسْطَعْتَ كَلَّمَ الْمَصْمِئَلَاتِ (٥)
إِلَى الدُّنْيَا طَبْعًا غَيْرَ مَنْصَاتِ (٦)
فِي الْخَلْقِ حِكْمَةٌ مَخْبُوءُ الْعَلَامَاتِ

أَهْبِطْ إِلَى النَّاسِ وَانْدَبْهُمْ إِلَى خَلْقِ
وَارْغَبْ بِهِمْ عَنْ شُرُورٍ أَنْتَ نَاقِمُهَا
أُورِدْهُمْ الْخُلُقَ الْأَعْلَى لَعَلَّ لَهُمْ
فِيَّانَ فَشَلَّتْ فَلَا غَرْوًا فَإِنْ لَنَا

(مَسْعَى الْمَلِكِ الثَّائِرِ وَاضْطِهَادِ النَّاسِ إِيَّاهُ وَفَشْلُهُ) :

سَعَى إِلَى النَّاسِ سَاعَ نَحْوِ خَيْرِهِمْ يَدْرُ لِلْخَيْرِ أَرْوَاحًا بِكِيَّاتِ (٧)

(١) أَيْ أَنَّ الثَّائِرَ يَأْتِي كُلَّ هَذَا الْخَيْرِ ، وَالنَّعِيمِ مَا دَامَ الشَّرُّ وَالشَّقَاءُ فِي الْحَيَاةِ .

(٢) آسَى : أَيْ أَحْزَنَ مِنَ الْآسَى .

(٣) أَصْلَتِ السِّيفُ : جَرَدَهُ مِنْ غَمَدِهِ وَصَدَىءَ الْحَدِيدِ : عَلَاهُ الْوَسْخُ وَالصَّدَأُ ، وَدَرَنْ : أَصَابَهُ الدَّرَنْ أَوْ الْوَسْخُ ، وَالتَّاءُ فِي صَدَنْتَ إِشَارَةٌ إِلَى صَفْحَةِ السِّيفِ . وَالْمَعْنَى : هُوَ أَنَّ مُحَارَبَةَ النَّفْسِ لِلشَّرِّ مَعَ مَا طَبَعَتْ عَلَيْهِ مِنَ النِّقْصِ أَفْضَلُ كَمَا أَنَّ السِّيفَ الْمُسْتَعْمَلَ أَفْضَلُ مِنَ السِّيفِ الَّذِي لَا فَضْلَ فِيهِ وَإِنْ أَصَابَهُ الدَّرَنْ مِنَ الِاسْتِعْمَالِ . (٤) أَخْبَتَ إِلَى اللَّهِ : خَشَعَ لَهُ .

(٥) الْكَلَمُ : الْجَرَحُ . وَالْمَصْمِئَلَاتُ : الْمَصَانِبُ وَالْكَوَارِثُ ، وَاسْطَعْتَ أَيْ اسْتَطَعْتَ .

(٦) أُورِدْهُمْ : أَيْ اجْعَلْهُم مَوْرِدًا لَهُمْ ، وَمَنْصَاتٍ إِلَى الشَّيْءِ : أَيْ مُنْقِتَادَ إِلَيْهِ .

(٧) النَّاقَةُ الْبَكِيَّةُ : الْقَلِيلَةُ اللَّبَنِ ، وَيَدْرُ : يَسْتَنْزِلُ الدَّرُّ أَيْ اللَّبَنُ ، وَالْمُرَادُ خَيْرُ النَّفْسِ .

فيا لسعدهم لو أنهم جَنَبُوا
عزیز عاداتهم للشرُّ رائدهم
تبغى المُحال فتبغى الخير أجمعه
كشفتَ عيب نفوس أنت ناصحها
ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم
وحملوا خلقه من سوء خلقهم
ومزقوه بأظفار كما خُضبتُ
وعلقوه على جزعٍ وقيل له :
ما راعه أن رأى الأشرار ترجمه
حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه
بكى لبغض ذوى خير وما منيت
من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ
تلك النفوس التى عاف السماء لها
يُكفِّرُ الناس بالآلام قاطبة
وعن رضاء بعيش جلُّه نقمٌ

ما يجنب السعدُ من حرص المِباراة^(١)
كم قدسوا العادَ تقديس الديانات^(٢)
هيهات لو عزيت نفس بهيهات
فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات^(٣)
إليه كل عريق فى الجهالات
وكم رمسوه بأدناس الرمايات
فواتك الوحش من دامى الفريسات
اصعد كما رمت فى مرقى السجيات^(٤)
وإن توجّع من وقع النكايات
غرارةً وانصياعاً للسّمايات
نفس بأوجع منه فى العداوات
يدجو عليه بتقطيب السخيمات^(٥)
وثار يُغضب جبار السماوات^(٦)
عن الخطايا وعن شر الدنّيات
وعن ولوع بنعماء ولذات^(٧)

(١) أى إن جشع التنافس فى الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيراً ما يؤدى إلى ضياعها .

(٢) تقديس العادات ليس مقصوداً على العادات الفاضلة ، والعاد العادات .

(٣) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم ، واحمل عنهم : أى بدلا منهم .

(٤) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر . (٥) السخانم والسخيمات : الأحقاد .

(٦) عاف السماء لها : أى من أجلها ومن أجل تعاستها .

(٧) جلّه : أكثره .

هم يعذرون بمدح الخير شرهم
لسان برّ بثلب الشر منطلق
ما أنكر الناس شراً غير ضائرهم
تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات^(١)
مثل الأفاعى وما قلب بعزهاة^(٢)
أينكرون شهيات الغريزات ؟

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه فى النار إبليس فقال له :
قد شاء ربك إن الشر عدته
أنا الشقى بما لم أجنه أبداً
هوّن عليك ولا تُكع بإعنات
فى صيغة الخير فى قدرٍ وميقات^(٣)
من خلق نفسى ومن آثام زلاتى
(قول الثائر الساخط) :

فقال ذو شقوةٍ بالجزع منتصب
أنزل على شقاء الخلق قاطبة
إن يظلمونى فمن بالشر يجبلهم
هل يعذر الشر أن الخير غايته
يكلّم الله فى نجوى السريرات
وطهر الناس من ضمير الجريرات
أو يصلبونى فمن بارى الجنايات ؟^(٤)
أم هل تهوّن آثام بغايات ؟
(مصير الثائر) :

فخلّفت روحه كالطير سابحة
طارَت إلى الملاء الأعلى فما لقيت
فى الجو تنشد مخضرّ النباتات
لهما قراراً ولم تظفر بمهوّاة

(١) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم ، وهذا لا يتفق أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .

(٢) عزهاة : أى زاهد ولها معان أخرى ، والتلب : الذم والانتقاص .

(٣) فى الطبعة الأولى : فى صنعه الخير .

(٤) فى الأصل : فمن جاني الجنايات .

لا فى الجحيم ولا الفردوس مسكنها
ترى الملائك حول العرش آسية
(صوت من السماء) :

يا ناظم الشر هلا كنت مُضْطَلَعًا
عصيت ربك فى كبر وفى جهل
الخلق للخلق ربح لو فطنت له
والشر والخير لا يُرْجى افتراقهما
حتى العقول وحتى الفضل أجمعه
ومُرتضى الخير لو يسعى إلى دنس
ومُرتضى الزهد مسعود بعفته
برحمة قد نماها الشر تنقمه
إن كان سخطك خيراً فى مراحمه
فالشر للخير مردود وإن أُسيت
وباحث سرّ عيش غير مُدركه

حيرى المسالك من فقد القرارات^(١)
تأسى الملائك من إثم وزلات

بالجزع والصلب قبل الكارث الآتى
لما برمت بإيلام الملمات^(٢)
كمغنم الحى من أسلاب أموات
فأرفض إذا اسطعت نعمائى ولذاتى
والذة النفس فى بذل المروءات^(٣)
لبساء منه بإخلاف العلالات
ولذة المنع إنماء الخسيسالات
ورحمة المرء من وخز المصيبات^(٤)
أجزت خلقي بأرواح رحيمات^(٥)
منه النفوس بأنات وآهات
كالطفل ينشد أفلاك السماوات

(١) فى الأصل : ولا الفردوس موطنها .

(٢) برم بالشئ : ضجر وسئم .

(٣) ذلك لأن نمو العقل البشرى كان بسبب مكافحته المصائب والآلام والشرور ، فالذى يريد حياة لا شر فيها يريد إنساناً لا عقل له وكذلك الفضائل إنما نعت لأنها هى محاربة الشرور .

(٤) الرحمة تنتمى إلى الشر أى لو كانت الحياة لا شر فيها لما عرفت النفس الإنسانية الرحمة .

(٥) فى الأصل : أجزت شرى .

الموت

أيا معبدًا قرباننا فيه عيشنا
ويا منصفَ المظلوم من كل ظالم
ويا مبررًا كلم الحياة بطبّه
ويا سترُ لم يصدعك همٌ ولوعة
فيا موت يا أمّا أطالت تصاممًا
ألا أرضعيني منك يا أمّ درة
فيا موت أقبل باسط الوجه طلقه
تقارب من أمسى لطيفك قاليا
أتجمع بين الصاحب أم أنت فرقة
وكلُّ لهيفٍ يبتغي فيك نجوة
فما التاح من ألفى من الموتِ موردا
أتسمع صوتَ الرعدِ كي أستعيره
أحبك حبَّ الصبِّ وجه عشيقه
وكم طربت أذنى للحن أجده
وأنت شبيهُ الله في خيرِ نعته
لأعزّزت من قد كان في الناس صاغرا
وليس يعزّ المرء مثل افتقاده

نضحى به لذاتنا والأمانيا
ويا مهربَ الملهوف يخشى الأعاديا
جلالك أن قد راق ما كنت شافيا
ويا حصن عطلت الدروع الأواقيا
أمالك قلب يرأم الولد حانيا ؟
لأذكر ما قد كنت في العيش ناسيا
فإن حميم الصحب ما كنت لا قيا
وتبعد من يرجوك في النحس راضيا
تقول لها الآباد أن لا تلاقيا ؟
وكلٍ لديغٍ يبتغي منك راقيا
ولا اعتل من لاقى من الموت شافيا
لأوقظ طرفاً منك وسنان ساجيا^(١)
لينقع ثغرا منك صديان ظاميا
أعد منك لحنًا يترك السمع واعيا
فإنك رحمن وإن كنت قاسيا
وأرخصت من قد كان في العيش عاتيا
وإن كان معشوقاً لدى النفس غاليا

(١) الوسنان : النعاس . والساجي : الساكن اللين .

جوارك مأمونٌ وملكك رحمة
 خلقت قلبَ الخوفِ يخشى حمامه
 وأين دموعُ النحسِ من عهدِ آدم
 وكم حرس الموتِ الودائعِ بعدما
 إذا لم يكن للميت شجورٌ وحسرة
 فأين وعيدُ منك ياموت نتقى
 وللخفّض أيامٌ وللنحسِ مثلها
 توالى فصولُ الحولِ عن قدرِ موعدٍ
 وليست حياةُ المرءِ إلا كنفحةٍ
 وما بى خوفِ الموتِ بل حرّ حسرةٍ
 رزقنا فلم لا يرزق الدود بعدنا
 نسرّ على قبرِ العصورِ التى خلت
 هو الحىُّ عبدُ الموتِ يسعى لطعمه
 وما العيشُ إلا طائراً فى دُجّةٍ
 كفى شرفاً بالموت أن كان عائش
 حمدنا مهودَ النومِ أن شابه الردى

لمن كان قد أعيى الضبيب المذاويا
 فجارك لا يخشى من الخوف ساريا
 محاها من الأحيان ما كان ماحيا^(١)
 أحالت صروفُ العيشِ إلّفاً معاديا
 ولم يك للفقْد الذى ناب واعيّا
 ونزوى إذا ما لحت منه النواصيا ؟
 ودهرك مثل الخلد أروع ناميا^(٢)
 فهل منذر ينبى عن الموت آتيا ؟
 سل الموت عنها والسنين السوافيا^(٣)
 لفقْد حياة فيه لم أدر ما هيا
 أليست فضولُ العيش خلقاً ذواليا ؟^(٤)
 كما يضحك المجنونُ أخطأ الملاحيا
 فيغذى دماه والمنى والمساعيا
 توهمه برقاً على الأفق نائيا^(٥)
 يصولُ لنيلِ الرزقِ باللؤم شاكيا^(٦)
 وإن لم يرع بالحلم من كان كاريا^(٧)

(١) الأحيان : جمع حين بالفتح وهو الموت . (٢) الخفّض : التعميم (٣) أسفت الريح
 التراب : بددته فهي سواف (٤) أى مرة لهذا ومرة لذاك .
 (٥) الليلة الدجّة : المظلمة . (٦) شاكيا : للسلاح والعدة لابسها .
 (٧) كاريا : نائعا .

فكيف نعا ف النوم لا نوم مثله ؟
وما العيش إلا عادة غال قئدها
ولو فهم الحى الحمام وطهره
غدا يستوى الجانى ومن ذاق شره
حبتك صروف الدهر بالحسن والهوى
ألم تر أن المرء فى عظم سعده
سوا حر لذات يرى العيش بعدها
يخاف عليها من عقيب يمرها
كما ائتلف الإلفان فى صفو طرفه
فودا لو ان الموت نسمة عاطر
وهل يعدل الأحياء خير الأولى مضوا
فأهون بهذا العيش قد جاز داره
سل الملك الجبار ينقع غله
وما العيش إلا ميتة بعد ميتة
وما العيش إلا الظئر تؤذى وليدها
فأهون بأحلام الحياة وطيبها
فيا ليتنى كالزهر صيف حياته

سل القبر عنه والعظام البواليا
وأى امرئ يلفى لدى العاد عاصيا ؟
لما أوجر الحقد الكمين الأعاديا (١)
كأن لم يكونا مستكيننا وجانيها
سل الموت أن يحبوك ما كان حابيا (٢)
كما فى أساه ، يرتجى منه آتيا ؟
خلاء ، فيرجو لو رأى الموت باديا
فيكره من سوء العقيب اللياليا (٣)
يخالن أن لم يبق فى العيش باقيا
تطير بروح منهما كان هافيا (٤)
تنادوا حين واستجابوا المناديا ؟
ذو اللب شتى يدلفون تواليا
من الموت لو ألقى على الموت عاديا
وما الخير واللذات إلا عواريا
إذا لم يكن فى النحاس جذلان لاهيا
فإن عناء سؤر كأس رجائيا (٥)
فأفنى ولم يعنف على شتائيا

(١) أوجره : جعله فى فيه . (٢) حباه : منحه . (٣) العقيب : العاقبة ويمرها : يجعلها مرة
(٤) هفا : خف وطار . (٥) السؤر : ما يبقى فى الإناء من الشراب .

على العيش واللذات منى تحية
أرى ظلمة في العيش أخشى غيوبها
أنخشي ظلام الموت والعيش مثله ؟
وما يضحك المسرور إلا لخوفه
تقطع أوتار المودات والهوى
أعجب ذاك الميت من حزن واله
تدرع بالصمت الذى ليس مثله
وصمت على الأموات يدنى كأنما
سواء مقال الإلف أو جرس سبة
فمن مبلغ الأموات عنى تحية
فما أعوزتهم رحمة في قبورهم
لعادوا وفي الأرواح منهم بقية
وقد أصبحوا رزق الحياة وطعمها
سواء لديهم صبحنا ومساؤنا
وسيان لمح الطرف مرأ وحقبة
خليلى خطأ لى من الأرض حفرة
ولا تسمعانى الطير تشدو بنغمة
ولا تمهدا للغيد فوقى موطئاً

وألف على موت يريح جنانياً^(١)
وربّ وليد خاف ما كان خافيا
إذا ضاء سر العيش فاعدده داجيا^(٢)
وكم ضحكة فى ثغر من كان خاشيا
تقطع خيط العود أشجى الأواليا
أم الميت لم يسمع من الناس داعيا
مقال ، أليس اللب للصمت واعيا ؟
يسقى الندى زهراً على الترب ناديا
فقد أمنوا منه الأذى والمخازيا
سلام عليهم ، بل على سلاميا !
كما أعوزتنى رحمة فى حياتيا
وفى الماء موروداً وفى الزهر زاهيا^(٣)
أيدعى قوام الحى ميتاً وفانيا ؟
وسيان ما يسمى الأذى والأمانيا
ويبطى لنا النحس السنين البواقيا
أريح بها قلباً عن الناس ساليا
فأسى على العيش الذى كنت قاليا^(٤)
فأحنو لحسن لم أزل منه صاديا !^(٥)

(١) الجنان : القلب . (٢) داج : مظلّم . (٣) الأرواح : أى الرياح .

(٤) أسى : حزن . قلا : أبغض . (٥) صدى : عطش .

عزائي أن الزهر تسقيه حفرتي
حبيبي ، أرح منك الجنان فيأني
وهيهات لا يسلو عن العيش جارع
وحتى يموت الحب والذكر والمنى
وحتى يموت الموت لولاه ما بكى
فياليت أن العيش يخلف ميتة

ذعر المحب

تعزل قلبي كل شجر وفرحة
وما كنت أدري أن للحب عودة
أخاف عليك الضر حتى كأنني
كتمت الهوى في القلب حتى أذاعه
فأحسرتا مالي وللحب بعدما
يبتك في رغد السلامة لم يخف
ولم أدري ما ذعر المحب ولم أبت
ويسعدني من شدة النحس أنها
أعالج آلام الدهور التي خلّت
فليتك تدري ما القيت ولو درى
وياعجباً لو كنت تجهل أننى

دمى ويروح الحسن بالزهر حاليا
تبدلت منك الموت حباً مؤاخيا
من العيش حتى يصبح العيش ماضيا
وتتلو نواعي الشائقات المناعيا
حريص على دنياه يخشى المرازيا
دراكاً كما يطوى النهار اللياليا

فقراً كما قرّت رفات المقابر
إلى القلب حتى خفتُ صرف المقادر
أخاف على قلبي وسمعى وناظري
وجيب وإشفاق لأنباء ذاعر
وهى منه قلبي بين جان وناقر !
عليك شفيق من صروف الدوائر
أبعد عن قلبي مخوف الخواطر
نذير بإقبال الحمام المغامر
كانى مناكيد الدهور الغواير^(١)
جنائك ما ألقاه ما كنت هاجري
لأجلك أقضى الليل رطب المهاجر^(٢)

(١) نكد : أى عسر شؤم والجمع مناكيد . (٢) أى دامع العين .

ويا عجباً لو كنت تجهل أننى
أما خبرت عيناي عينيك أننى
فقد خبرت عيناك عينى إنما
شهيدى ليل سامرتنى نجومه
وكم بت أبكى أسأل الله راحة
أبن لى ألفاظاً من النار عليها
وكل بيان عاجز اللفظ كاذب
وليستك روح طى روحى خابر
وما إن كتمت الحب إلا مخافة
فيا وبع قلبى لا صديق مصادق
أمن أرب أحيا لآسى كأننى
فيا نائياً أغدق على القلب رحمة
وعطفك عندى نهزة ليس بعدها
فيا دهر كفر عن همومى كلها
اليس قليلاً نهزة لو ينالها
فيا لبلائى لاعزاء أصيبه
وإن كنت أدري أن عيشى خدعة
أرى الزهر غضاً يانعاً طله الندى
فأحسبه دمعاً لذكرى غرامنا

أبيت وقلبي فى مخالب كاسر
أحبك حب النحس خصب المصادر
تراءت لتشفى عاشقاً جد عاثر
كم التحت من برح الهيام المخامر
من الموت لو ألقى لدى الموت ناصرى
تؤدبك ما يلقيه قلبى وناظرى
فليتك تلقى خاطراً طى خاطرى
وليستك رب عالم بالسرائر
لفقدك من مسعاة لاح وغادر
ولا حب إلا عاد عون المقادر
غذاء لأفواه الشجون الجوائر
بعينين نجلاوين من صنع ساحر
إلى أبد الأباد إسعاد خاسر
بمراى حنان الحسن من طرف هاجرى
أخو الموت من خلد اللهى والذخائر
عن الحب والخيل الحبيب المؤازر
وحلم تقضى أو أكاذيب سامر
ملياً بأن يشجرو ظمساء النواظر
وأنفاس أيام اللقساء الغواير

أتذكر وعداً باللقاء بذلته
وليلاً طرقناه سميرين في الدجى
طرقتك ياليل اللقاء فرقتنى
فهل من معيد لى لقاء مضى لنا
ولا تتركنى ذاكرة عهد ما مضى

بمجمع الأطياف بين الأزاهر
كما جال سر الوحي بين السرائر
بلذات حب كالنجوم الزواهر
وعهداً تقضى بين إلف وناصر؟
كعناد يرجى الذخر بين المقابر

طيرة الفرخ

جناحك واهن فيالى م تبغى
أقم فى وكر غصنك مستريحاً
ألا طر حيث شئت فغير بدع
لطيرة من يؤم الشمس أجدى
لقد جعل الطموح لكل ندب
وقد يبكى الجبان على جرى
أرى الآلام يحملها خفيف
أنفـرق من ديون هن حتم
ووقع النحاس فى الأجسام وخز
فسل قلب الشهيد عن البلايا
وما من مهجة هانت وذلت

بذاك الوهن مطلب النسور
من الأحداث والقدر المغير
إذا غالتك عادية الصقور
على الزلات والجذ العثور
كما جعل القوادم للطيور
كما يبكى الجزوع على الصبور
على الضعفاء والبطل القدير
على النفساء والطفل الصغير^(١)
كوخز اللذة من وقع السرور
يخبرك الشهيد عن الحبور
بغير مخافة الألم الذعور

(١) النفساء : المرأة إذا ولدت .

حب العزوف (١)

ليس الوجودُ وأنتَ بعضُ كيانه
والندبُ يحملُ بينَ جنبيه الدنى
إنَّ الذى درسَ الزمانَ وفعله
ويشيمُ أسرارَ الحياة بحكمةٍ
هبُ حسنك الأقدارَ تطرقَ بالأسى
أو ما نما الأمرُ الصغيرُ فأصبحت
هبه الخطوبُ حقيرها وجليلها
عَبِثُ ومنَ عبثٍ مَقَالِي إنه
عَبِثَ عداؤُ الحاسدينَ ومثله
عَبِثُ نعيمى والشقاءَ ولوعةُ
عَبِثُ جمالكُ فى الصدودِ وفى الرضى
أو بعدَ ذا حالِ أخافُ صيالها
لنَ تعرفَ الغيدَ الحسانَ إذا قضت
ومنَ العجائبِ أنَ جهلتَ وطالما
كمَ مدَّعٍ خَبَلًا لتَحسبَ أنه
يلقاكُ بالدمعِ الغزيزِ ولم يكن

أسراً لقلبِ العاشقِ الغطريفِ (٢)
روحُ الغريبِ وراحة المألوفِ
لأجلَ من حَدَثَ الزمانُ الموفى
تعدى على المجهولِ والمعروفِ
ما إنَّ يعابُ أخو الأسى بصروفِ
تتلى قروفاً قراعه بقروفاً (٣)
عبثُ صيالِ جمالكِ الموصوفِ
عبثُ ملامة ذى قُلَى وصدُوفِ (٤)
نعتنى لُحلةِ جسامِ وعَسزوفِ
تفضى إلى بعلَّةٍ وحتوفِ
عبثُ هيامِ فؤادى المقروفِ (٥)
ولقد برمتُ برائقٍ ومخسوفِ
أنَّ الهيامَ أشده لعفيفِ
ذخر العزوفِ هيامه لحصيفِ
خبلُ الهوى واعجُ الملهوفِ
دمعى بخدعة ماذقِ مطروفِ (٦)

(١) العزوف : الذى لا يكاد يثبت على مودة خليل (٢) الغطريف : السخى

(٣) القروفا : الجروح (٤) القلى : البغض ، والصدوف : الانصراف عن الشيء .

(٥) المقروف : المجروح . (٦) ٥٧٤٥٧٤ ماذق : غير المخلص فى الود .

إني أجلك عن سوافح عسيرة
يخشى على الباكين وقع جماله
ولأنت أعظم في الفؤاد محلة
يارب مضطغن يحبك إن لي
الآن لما خلت صفوك بالغى
كيما أبيت علي جفائك حيث لا
كيما يقال حيوته بمودة
أسفأله لم يلق حيلة سابق
حتام أبلو كل يوم خلّة
أو كلما قلت الحضيض بلغت
حسبي اغترارك بالمناقب ملهما

عبئت لمغرور الحصاة سخيّف (١)
فبيببت نهزة خادع ومروّف (٢)
من أن تغرّ بمدمع مرصوف
شوقاً إليك ألح غير طفيف
يسمي إليك بمدمع المشغوف
يخشى الحسود على الصفاء وقوفي
وتركتني للعذل والتعنيف
بالمجد يسبقني بغير طريف
للناس تغسرى عنهم بوجيف
من ذى النفوس عدوته لألوف
صبراً فتثلج حرقّة الملهوف

العدل والكسب

إذ كان رزق المرء كيداً يكيده
فما ينتحي حتى سوى نفع نفسه
يزود قلوب الناس عن كل سابق
أبيت على الأسقام نضواً محسداً
وهل ذاق لؤم الناس إلا أخو ضني

فأى يقين في النفوس الكواذب ؟
وإن خاض منه في خبيث المكاسب
كما زيد طير في الرياض بحاصب
وأحسب أني ناعم بالمآرب
تكنفه الأعداء من كل جانب ؟

(١) الحصاة : الرأي والعقل . (٢) المؤوف : الفاسد .

أناسيهم أحقادهم غير جاهل
وما الناس إلا ظاهراً غير باطن
يخالون خير الناس من رام نفعهم
وإن أخس الناس من عاف شرهم
تجارب قد زهدتني في إخوانهم
وخلفتني في العيش لا عيش رائق
فطوبى لمظلوم رأى العدل معوزاً
هل العدل إلا خوف سر تعافه

وأسألهم من صفوهم غير عاتب
حماة الأفاعي في جلود الأرناب
وإن كان ذا نقص خسيس المعائب
وإن كان ذا فضل نبيل المواهب
وروعن لبي بالأمور العجائب
وإن قيل إن الحزم حمد التجارب
قضى أن فوق العدل صبر المحارب
حذار العوادي من مهيب العواقب ؟

سفر اللؤم

حاولت مني بغضة
إن الحساسة أعم ش
فكأنها باب الجحيم
الناس سفرى كيف أق
تبدى وتنكر بغضة
لو باخ حر البغض لاند
فكأنما نار الحساسة
فلئن بلغت به الحساسة
فأفخسر بأتك الأم ال
فضل خصصت به وك

لما نظرت إلى شسزرا
رأ من لحاظ منك تتسرى
م تبين منه ما استسرا
لى نعمته لؤماً وشرراً
ولشد مسسا أنكرت نكرا
طفقات حساة منك حسرى
ة تشب من غل وتورى
ض فميزة لك ما استقرا
ثقلين حسبك ذاك فخرا
ل خصيصه عند ذخراً

نَفْسٌ بِقَيِّءِ الْمَرْءِ إِنْ
فَكَأَنَّمَا زَخْرَفَتْ إِذْ
بِئْسَ الْعَقَّارِبُ وَالْأَسَا
وَالْمَرْءُ يَغْفِرُ لِلظَّلُومِ
فَلَيْتَن أَهَانَ خَلِيلَهُ
إِكْرَامُهُ الْمَظْلُومِ إِقْد
جَنْمٌ يَحْأُولُ سَتْرَهُ

جُلَيْتَ فَضَعُ لِلنَّفْسِ سَتْرَا
أَلَيْسَتْ نَفْسُكَ مِنْهُ قَبْرَا
وَد بئسست الأرواح بئسرا
م إِذَا تَبَغَّى مِنْهُ خَسِيرَا
لَمْ يُلَفِّ لِلْمَظْلُومِ غُفْرَا
رَار بِجَرَمٍ مِنْهُ أَسْرَى
جَعَلَ الشُّكَاةَ لَدَيْهِ عَذْرَا!

ويل للشجي من الخلى

هَلْ لِلْجَوَى وَقَعٌ بِقَلْبِكَ رَائِقُ
أَمْ كُنْتَ مَعْرُوفاً بِإِكْيِ فِي الْوَرَى
أَمْ أَتَتْكَ كَذِبٌ فِي الْحَدِيثِ وَفِي الْهَوَى
فَحَسِبْتَ أَنَّ الْخَلْقَ مِثْلَكَ خَادِعُ
خَلَّتِ الْأَتْنِ تَرْتِمَاً ، وَلَوَاعَجَى
أَنَّى اتَّهَمْتَ فَصَاحَةَ كَذِبَتِهَا
فَدَلَّ نَى بَعْضَ الْفَهَاهَةِ شَافِعَاً
يَالَيْتَ أَنَّ الشَّعْرَ لَيْسَ بِجَيِّدِهِ
كَذَّبَ وَلَوْ عَى بِالْفَضَائِلِ وَالنُّهَى
وَارْتَبَ بِصَدَقِي فِي الْمَقَالِ وَلَا تَدْعُ

تَرْضَاهُ لِي بِعَادِكَ الْمَمْلُولِ ؟
فَوَضَعْتَ صَدَقِي مَوْضِعَ التَّضْلِيلِ !
إِمَّا شَكُوتَ لَوَاعَجَاً لَخَلِيلِ ؟
يَحْكِي الْهَوَى بِبَيَانِهِ الْمَبْذُولِ (١)
إِفْكَ الْقَرِيضِ ، وَمَشْتَكِي الْحَمُولِ (٢)
مَنْ ذَا يَعِيرُ فَهَاهُ الْمَفْضُولِ ؟ (٣)
يَأْتِي إِلَيْكَ بِحَنْجَةٍ وَدَلِيلِ
غَيْرُ الشَّقَى يَلْوَعَةُ الْمُتَبُولِ (٤)
وَبِكُلِّ أَمْرٍ فِي الْحَيَاةِ جَلِيلِ
لِلشُّكِّ مَسْرَى فِي شُكَاةِ غَلِيلِ (٥)

(١) المَبْذُولُ : المَبْقُذُ الرِّكِيكَ (٢) الْحَمُولُ : الصَّبُورُ الْحَلِيمُ (٣) الْفَهَاهَةُ : الْعِي

(٤) الْمُتَبُولُ : مَنْ تَبَلَّهَ الْحُبَّ فَتَسَقَمَهُ (٥) الْغَلِيلُ : حَرَارَةُ الْحُبِّ أَوْ الْحُزْنِ .

أشقى الأنام من استريب بصدقهِ
أفئن رأيت على الطريق مبضعاً
ولئن رأيت أخا السقامِ رحمته
أو ناحت الشكلى رثيت لرزئها
وإذا اشتكى العافى الضريك بررته
وتودّ لو تنفى الأذى عن أنفسي
رحماتُ نفسك قد وسعن منادحا
ولأنت أبصر بالفؤاد ودائه
أفكلُّ حى منك أقربُ شقة
من عاشقٍ قد خبّرتك لحاظه
فاقرن لحاظَ العاشقيك بلحظتى
هيهات فات الناظرين لواعجى
الحبّ كونٌ لم تسمعه برحمةٍ
لو كان أمراً هيناً لو سمعته
قد كنت أبغى منك سمعاً واعياً
وبعثت شعري موقظاً لك من كرى
تالله لست بمسعدٍ لى فى الهوى
لم يبق إلا أن أنيم خواطرى
تشدو له الظئرُ الرؤوم فينشنى

فى نحسِه من مشتكى وعويل
ترجوله لو راح غير قتيل
ووددت لو يلقاك غير عليل
تبغى فداءً وحيدها ببديل
وكشفت ضرّ المجتدى المخدول^(١)
راحت بجسدٍ فى الحياة ذليل
للكون غير فؤادى المعلول
وألطُ منك بثاكلٍ وقتيل^(٢)
وأحقُّ بالرحمات والتأميل :
ما لم تخبر قبل عين خليل
واظفر لها من لحظهم بمثيل
ومضوا بسؤر صبابتى وغليلى
ياويح حبّ ظلّ غير قليل
ورحمت قلباً منه غير عليل
فظللت بين اليأس والتأميل
عن لوعتى ولواعجى وغليلى
ولئن دعوتُ بيوقِ إسرافيل
كالطفل راح بحسرةٍ وعويل
طلق المحيّا ، قانعاً بقليل

(١) الضريك : الأحمق .

(٢) ألط : أى لصق ، أى أنك ألصق بالفؤاد منك بثاكل أو قتيل لا تعرفه .

لهفى لو أن القلبَ مثلٌ وليدها
لا يخذعَنَّك أنْ بدوت تجلدى
ولكم ذخرتُ للقية لك ، قولةً ،
وأودُّ لو أدعوك إمّا لحت لى
لهفاً لصادٍ خيل غير محنوم
وبوده لو كنت أنت جليسه
ظفر الخلىُ بنهزةٍ ما نالها
إن الخلىُ هو الجرىء على المنى
حُرْمَ الشجى تصافيا وتدانيا
والصبُّ مسبوب ببادى حبه
ولعلُّ مسعوداً أحقُّ بخيبةٍ
جور القضاء وهل يجيرك غافلٌ

نسى الأسى وأصاخ للتعليل
ما ذاك إلا حيرتى وذهولى
فإذا بدوت نسيتُ كلُّ دليل
فسأرد عنك بحيرة الخببول
ولمقبلٍ قد خيل جد ملول
فى ليلةٍ وصبيحة ومقيل^(١)
أحجى رعاة الحسنِ بالتنويل^(٢)
حيث الشجى لخيبة المخدول
ومضى الخلىُ بغاية التأميل
حيث الخلىُ لعزة التبجيل
من عاشقٍ عف الغرام نبيل
عن جوره بفطانةٍ وكفيل ؟

صحو ولا صحو

لقد أصبحت لا عتبا
وقدمساً كنتُ إن أذنب
لا قرب منك بالغفرا
وفى الأعتاب لى وردٌ
فسفى الأعتاب لى عود

ولا عذراً فيبتدرُ
تَ مما جئتُ أعترُ
ن ، ذنبُ الحُسنِ مغتفر
وكيف وهمي الصنُدرُ
وذاك الصابُ والصبير^(٣)

(١) المقيـل : متصف النهار

(٢) النهزة : الفرصة (٣) الصاب والصير : المر .

وحسبى منك أن الح
 رعى الله البسماد ل
 أحمده وهذا العي
 وأخشى أن يكون المو
 فمسا فى العيش لى منجى
 وكسيف أصيب لى منجى
 نوازع نفسى اللاتى
 أغرك مقول المتنبو
 إذا مسس الج بى ولله
 ومسا نفس بأفطن من
 ألا غفراً بنفسى لا
 فليس الذنب ذنبى بل
 فكن فى ذروة الأكوا
 وكن حيث الخضيض فلي
 ومسا أدرى سوى أن ل
 حبسبى وامق جساءت
 بفيتك غيير من أبغى
 ولو أنى حسببتكم
 رضيت شقاء نفسى إذ
 شفقائى أننى أهوى

ب مخذول ومعتكر
 ن صبراً عنك يقتصر
 ش قرب منك والذكر
 ت فبسه ، منك لى خبر
 ومسا فى الموت لى وزر^(١)
 وأنت النفس والقدر ؟
 تؤوب بهسا لك الفكر
 ل : أنت الشمس والقمر
 فترب بقبيعة درر^(٢)
 وليد شاقسه المدر^(٣)
 يماز الشهد والصبر^(٤)
 هى الأرزاء والغير
 ن حط بمهجتى قصر
 من قولى ساقه الصعر^(٥)
 ت من قد كنت أنتظر
 به الآمال والذكر^(٦)
 وأنت السمع والبصر
 جلاكم حلمى العطر
 يهون العيش والقدر
 حبسباً غير الوطر

(١) الوزر: الملجأ . (٢) البقية: قطعة الأرض . (٣) المدر: الطين . (٤) يماز : يفرق
 والصبر : المر . (٥) الصعر : الميل أو الكبر . (٦) الوامق : العاشق .

أَتَحْسِبُنِي أَغَارُ إِذَا
وَكَيْفَ أَغَارُ مِنْ فَضْلِ
أَذَلِكَ سَوْءُ رَأْيِكَ فَـ
وَهَلِ الْفَيْسَتْنِي غَرًّا
جَفَاءُ الْحَسَنِ مِنْجَبِرٍ
بُودَى أَنْ تَشْمِيمَ الْفَضـ
بُودَى أَنْ تَشْمِيمَ النِّقـ
لَكَيْمًا تَعْرِفُ الْوَاشِينَ
وَأَقْبَحُ مَا يَرَى حَسَنٍ
فَهَلْ عَوِذَتْ حَسَنُكَ بَانٍ
لَتَدْرَأَ حَاسِدًا لَكَمَا
وَكَلَّا إِنَّهُ الْخُور

أَتَتَّكُ بِآيَةِ غُرْرٍ؟
لَفَيْرِي شَامَمَهُ النَّظَرُ؟
يَ أُمِّ وَاشٍ فَيَنْزَجِرُ؟
بِمَا أَحْسَنْتَ أَفْتَخِرُ؟
أَسَوْءُ الرَّأْيِ يَنْجَبِرُ؟^(١)
لَ أَجْمَعُهُ فَتَبْتَدِرُ^(٢)
صَلَا يَخْشَفِي لَهُ أَثَرُ
مَا أَبَدُوا وَمَا سَتَرُوا
بِرَأْيِ الْخَبِّ يَأْتَمِرُ
خَدَاعُ كُلِّهِ عَرَرُ^(٣)
لَ حَسَنِكَ لِحْظُهُ شَرَرُ
فَيَأِينِ الْحَزْمُ وَالْحَذَرُ؟

العظيم

لَمَعَاتُ رَأْيِكَ مَقْلَةُ الْعَرْفَانِ
لَوْ كُنْتَ قَدْ أُعْطِيتَ فِي الدَّهْرِ الْمُنَى
لَتَعَطَّلَتْ سَبِيلُ الشُّرُورِ وَبَرَّدَتْ
وَمَسَحَتْ بِالرَّحِمَاتِ أَمَاقَ الْوَرَى

فَاحْكُمْ كَحْكَمِ الْحَقِّ فِي الْبِرْهَانِ
أَوْ كَانَ مَا قَدْ شِئْتَ لِلْحَدَثَانِ
وَقَدْتَ قَلْبَ الْضَرِيكِ الْعَانِي^(٤)
حَتَّى تَعُودَ قَرِيرَةً الْأَجْفَانِ^(٥)

(١) جبر الشيء : أصلحه (٢) تشميم : تظن أو تقدر . (٣) العرر : العيب أو الشر .

(٤) الضريك : الفقير (٥) الأماق : العيون .

من غير أن يوبى الحياة ركودها
 نزعاتُ نفسك رحمةً مرجوةً
 وجلائلُ تذر الحياة كأنها
 وعلوت عن حسدِ الحسود وربما
 هيهات ما أسر الحسود تكرم
 وفضائل ليست لغير مجرب
 وأجلُّ خيرِ النفسِ بعد بلائها
 وترى الفرائض كالحقوقِ حبيبة
 دينُ الحياة وربُّ فرض غالق
 وعزائمُ تمضى الحياة غلبةً
 لفناء ما دفعت من الحدثان^(١)
 رحمت مقتدر الأناة معان
 خلدُ يعبّ بزاخر الأزمان
 حسدُ الحسودُ الشمسُ فى الأعنان^(٢)
 إنَّ التكرمَ وقد غلُّ الشانِ
 إنَّ التجاربَ حجةُ الرجحان
 فالعيشُ حربُ فضيلةِ الغفلان
 أو كالديون رهينةُ الإيمان
 إلا لديك بمطلةِ الليان^(٣)
 وخواطِرُ كملائك الرحمن

الشمطاء الفتية^(٤)

قد بلوت الصروف فى حالتِها
 ورأيت الأطماع كالطير صرعى
 واحتسيت الحياة فيضاً وسؤرا
 وإذا المقبل المرجى كما فا
 وشهدت الأنام سلما وحرباً
 ورمستك السراء والضراء
 ثم عاد الرجاء وهو غشاء
 فإذا الذكر والرجاء سواء
 ت به الدهرُ والحديث ضراء^(٥)
 فإذا السلم والحسروب عناء

(١) أى تمحو الشر من غير أن يكون ذلك سبباً فى محو الخير وركود الحياة ، لانتفاء الفضائل التى فى محاربة الشر . (٢) أعنان السعاء : نواحيها .

(٣) الليان : الخلف (٤) يرثى الشاعر لوطنه فى عهد الاحتلال والجمود ، وقبل ثورتها وتحررها ، ويهيب بها إلى الانتفاض واليقظة (نشرت قبيل عام ١٩١٩) .

(٥) الضراء : المشى فى خفاء فهو من أجل ذلك بطيء . والحديث : المشى السريع .

وَإِذَا الْعَيْشُ وَالسُّنُونُ جِهَادُ
إِيَّاهُ يَا مَصِيرُ مَا تَقْضِي جَمَالَ
الليالي التي عَهِدْتَ حَسَانَ
وَذُكُاءُ التي أَطَلَّتْ عَلَى مَجْدِ
وَجَرَى النِّيلُ فِي أَدِيمِكَ قَدَمَا
فَانْشَرَى أَهْلُكَ الَّذِينَ تَقْضُوا
فَكَأَنَّ الْأَطْمَاعَ وَالسَّعْيَ فِيهِمْ
سَحَرَتْكَ الْأَيَّامُ يَا مَصْرَ أُمِّ نُو
الْغَلِيلِ الَّذِي عَهِدْتَ مَقِيمُ
أَبْغَضِيْنِي أَوْ أَحْسَنِي ، أَنْتِ أُمُّ
لَكَ مَنِي الْغَدِيرُ فِي نَوْمَةٍ ، مِنْ
نَصَبٍ خَالِدٍ وَأَعْظَمَ مِنْهُ
وَرَجَاءٌ هُوَ الْعِبَادَةُ ، وَإِلَّا يَدِ
أَبْغَضِيْنِي إِذَا هَزَزْتَ مَنَاماً
مِثْلَمَا يَبْغِضُ النَّثُومُ الْمَسْجِي
مِلُّ قَدْ عَرَكَ مِنْ عَنَتِ الْعِي
قَدْ كَرِهْتَ الرَّجَاءَ وَالذِّكْرَ طَرَا

لَيْسَ يَدْرِي أَسْبَابُهُ الْأَحْيَاءُ
تَرْتَضِيهِ الْأَمْثَالُ وَالْأَهْوَاءُ
وَالسَّمَاءُ الَّتِي عَهِدْتَ سَمَاءَ
بِكَ دَهْرًا عَلَى الْقَصُورِ سَنَاءَ
يَتَسَهَّادِي كَأَنَّهُ الْحَسَنَاءُ
إِنَّ عَيْشَ الْبَاقِينَ مِنْهُمْ فَنَاءُ
عَبْتُ غَيْرُ نَافِعٍ وَعَنَاءُ !
مَكَ قَدْ طَارَ عَنْهُ الرَّجَاءُ !
فِي نَفُوسٍ كَمَا عَهِدْتَ تَشَاءُ
بِرَّهَا لَوْ تَعَقَّ وَلَدًا قَضَاءُ
بَعْدَ جَهْدٍ قَضَى عَلَيْهِ الْعَفَاءُ
اعْتَقَادُ تَزِيدُهُ الْأَرْزَاءُ
مَنْ دَرَعٌ يَرْتَدُّ عَنْهُ الْفَنَاءُ
عَطَرَتُهُ الْأَحْلَامُ وَهِيَ رُخَاءُ
مَوْقُظًا إِذْ يُمَاطُ عَنْهُ الرَّدَاءُ
حَسْرَةً ، بَلَاءُ أَنْ الطَّمَسَاحَ بِلَاءُ
إِنْ بِالذِّكْرِ تَأْرَقُ الشَّمِطَاءُ

قد سمعت الذى نقول قديما
دعوة بعد دعوة من صروف الـ
إن يكن باء بالزمانه من أهـ
أو عنا كيب عيشها ورداها
أبغضينى فليس ذاك ببدع
غرك المرجفون ميناً وحقداً
لم أقصر فى دعوة غير أنى
ليس إلا الأحقاد يبعثها العجـ

وتقضى الدعاء أين الدعاء ؟
دهر لبيتها وعاد النداء
ملك رهط كأنهم أشلاء
يتقاضاهما بليل قضاء
آه لو جرّ نفعك الشهداء !
وحماني عن قلبك الجهلاء
خذلتني مسامع صماء !
زُ وغلُّ يعدو به السفهاء

بعد عشرة أعوام

إلى حبيب غاض جماله

يا أليف الصبا عليك سلام
أين وردُ الخدودِ كالجمر يذكى
أين قد ينقصد من دونه القلـ
وثنايا مفلجات عذاب
أين مدُّ الشفاه من عبث الدـ
واختيالُ الطاووسِ يافتنة الطا
أين غمزُ اللحاظِ والكف واللفـ

أين تلك اللوعات والآلام ؟
حرقلت يشقى بها المستهام ؟
بُ ويطغى عليه منه الهيام ؟
هن رى للمستقى وسلام
لُ وثغرُ يبيل منه الأوام ؟
ووس يورى الهواء منك ابتسام
ظ ، وأين العهد أين الذمام ؟

أين ذاك الضحك المرن الذي حـ
أين سحر الحديث واللحظ والد
نشرت عنك كالثمار وقد هـ
أين خصر يهتز كالغصن اللد
إذ ذراعى نطاقسه ونطاق الـ
ولقاء كأنه رشفة الطير
واختيالى على الزمان بعطف
أين أين الوشاة والوصل والهـجـ
يا أليف الشباب هل تذكر العهد
أسى القلب منك للغابر الفا
أم نسيت الدلال والملك والدو
لنقيم مائماً حول حسن
ثم أكسوه من قريضى زهراً
مثلما جمل الأزاهر بيتاً
ذائع حسوله من الحب نفح
وكان الهيام هالة بدر

رك قلبى كأنه الأنغام ؟
ل ، وسحر تحوكه الأوهام ؟
زتك ريح والغصن منك القوام
ن ، وقد يهوى عليه الحمام ؟
جيد منى ما تضر الأكمـام
رو هجر كأنه الأعوام
منك والحاسدون بلة نيام
رو أين الآمال والأحلام ؟
د وحولى وحولك اللوام ؟
نت من حسنك الذى لا يدام
لة إذ أنت أمر وإمام ؟
استوى الصمت دونه والكلام
مثلما حبيب الزهور الرجاء
هدمسته الأحداث الأيام
كالشذى والجمال زهر يشام
فيه وجه الحبيب بدر تمام !

سم الخسة وسعار الغرور

لو أن كلباً عضه فى جلده
وثائر لطبعه الخسيس

لمات كلباً عضه من خسته
من كل خلق رائق نفيس

وغسافرُ لنفسه الجريرة
وقلبه جهنمُ الأحقاد
إن رعبته بجانب الهجاء
فإن تلن الفسيت جدّ نابي
فعميشه ونفسه بضاعة
إذا شهدت أمره فمادح
ولؤمه في طبعه ديانة
طريد أهل الموت والقسيور
مفاخرأ بعث الكلام
ويدعى من سفه نجابة
ووجهه من رقعة النعال
تخاله مزرداً ثعباناً
وعقله كصرر الأطفال
ياصافعيه صفعه مبرور
إذا اشتكى ممن شكاه أمرا
إن قطع الغلمان من آذانه
يثأر من آذانهم لسمعته
جسد به في أهله الدلال

ويأخذ الجليس بالصغيرة
وإن بدا في الصمت كالجماذ
لقيت منه جانب الرجاء
أو رمت منه صفوه فآبى
وخلقه ووده رقاعة
أو غبت عنه طرفة فقادح
وعميشه لصحبه خيانة
مشرداً من ثقل الغرور
كأنما يهذى من الأسقام
وهو ضئيل الشأن كالذبابة
أو قطعة من أخمصى بلال
أو ماضغاً في شدقه أتاناً
تجسم بين التهرب والنمال
وعمل في خيره مشكور
كالهر أو كالكلب إمهرا
يصمُّ أهل الدار من جيرانه
إذ ذاق مر فقده بقطعه
(والقرد عند أمه غزال) !

قربان القلب

لا تخجلن إذا علمت محبةً
هل أنت تخجل أن ربك راحم
أم من أب يحنو عليك مدافعاً
تحكى الصلاة وتشبه قربانا !
يهوى الجمال ويعشق الإحسانا ؟
يهوى لنفسك في الزمان أمانا ؟

أذنب الخسة

ياعا ثباً نفسه عندي بلا خجل
كى لا أصدق في قول تعاب به
ما زلت أرجو لهذا الناس منصلحاً
فربما فقد الإنسان خسسته
يرى الحلیم أحسن النفس إذ رفعت
ذهبت تقسح في ناء بلا وزر
وإن أتيت بمأثور من السور
على استفالك في لؤم وفي نكر
مثل افتقارك للأذنب والوبر
عنها الرياء ولم تقصده بالحر

حقوق الفرائض

الحق مثل الشمس يشرق نورها
ويلوغ أفق الفرض يظهر غيره
فذر الحقوق إلى الفرائض إنها
لن يبلغ المرء العلا بحقوقه
لتغايير الألوان طي شروقها
أقصى سماء تطبي لسحيقها
لذات معبود الخصال عريقها
إلا إذا بلغ العلا بحقوقها !

درسى من الطبيعة - اللينوفر

زهر يعبد الشموس فلا تخ
يتبع الشمس لحظه أين دارت
دعه لمعة تضيء سواها
ويرى الضوء حليمة وإلهها

غير أنا نرى الرياء كممالا ونرى الطهر خدعةً وسفاها
هل رأيت الرياضَ وهي ظمساءُ ضلةً تحسب السرابَ مياها ؟

نوح الحفيف

يا حفيفَ الغصونِ هل أنت تحكى الـ نوحَ أم أنت مشبه للغناء ؟
أنت قلب الأديبِ يشدو ويبكى كدموع الندى وقطر السماء !

محارب الخرافات

نقضت خرافةً لتشيد أخرى وخلت الحقَّ أجمعه مشيدا
كهادم شامخ العرنين سامٍ ليسرفع عنده جبلاً جديدا

يهودا

لست من عباد عيسى لا ولا تعمس يد بوذا
أنت فيما جئت من عد بساد ذى الخبّ يهودا !

البطل

ترمى الحوادث بالظلال أمامها فيرى خطي الأمر الذى هو آتى
حتى كأنَّ الدهرَ فى آباده يلقيه بين عشية وغداةٍ
كشف الزمانُ لك الخفى وقلمما يعصى المذلل نافذ النظراتِ

سحرُ البصيرةِ رائضٌ ومحكم
وخواطِرُك في الأنامِ تجيلها
يا حكمة فاه الزمانُ بسرّها
فاه الزمانُ فكنت أصدق منطق
شَتان بين صدى يردد ضلة
نظر الأنام الدهر في أعقابهِ
ورموا مساعى المجد في أقدامها
بعزائم للشسر تنقض أمره
أفعال من صحت سريرة صدره
إِنَّ العظيمَ إلى الصراحة ينتمى
سيرٌ كما شاء الكمال وضيئة
والدهرُ ليلُ المدلجين ومجدكم
ومعاقل النعماء إنْ هي أعوزت
لا يصلح التدبير إلا أروع
أعبقت في الأيام أزكى نفحة
والفضلُ مثل العرفِ يحيا نشره
ترمى إلى الغرض البعيد بعزيمة
هيهات ما جاد الزمان بمثلها
فكأنها قد جمّعت لموفقٍ
لاتصلح التدبير إلا أنفس

بلواظظ للرأى مقتدرات
تجلو الشكوك وتبلغ الغسايات
من بعد طول تصامم وصمات
والناس أصداء بجوف فلاة
ومقاول مرضية الأصوات
ونظرتم الأيام في الجبهات
ورميتم المسعاة في الهامات
وعزائم للخير مبتدرات
لا يعقد التدبير بالخدعات
والغمير للتدليس في الغفلات
مثل الهسداة وآية الآيات
وفعالكم في الدهر كالمشكاة^(١)
كنتم معاقل منعة ونجاة
ينأى به عن ضيعة وشتات
وخلعت من أردانها عطرات
بنسائم العبقات والنفحات^(٢)
تصميه بين تمهل وأناة
عقم الزمان بتلكم الحسنات
من سالف الآباد والحقبات
الحق يغلبها على النزعات

(١) المشكاة : ما يوضع فيه المصباح (٢) العرف : الرائحة الطيبة

إنَّ المقادِرَ تنتَحِيكَ لأنها
كالخيل تعرف راضياً ومذلاً
يا راكب الأيام تجرى تحته
العقل أغلب والحزامة والنهي

ريضت لديك بحكمةٍ وحِصاةٍ^(١)
عند اقتعاد السرج والصهوات
مأمونة الخطوات والعدوات
بموفق في العدل والرحمات!

في فكسه

ارفق بنفسك لك مسزاحة
واطو مزاحاً ليس ذا وقته
كانون أم قطب الشرى أم أعا
بردت حسنى صرت ذا وقدة
والشيءُ إن أربى على حسده

لا تفلتن في مزحةٍ شاردة !
فصيفه أيامه عائده !
لى الشمّ أم أنفاسك الجامدة ؟
يا ثلج تكوى نارك الباردة !
صفاته عن طبعه حائده !

في شاب يدعى الفكاهة والظرف

ثقلت على النفوس فكنت سداً
فكلُّ ناراً ولا تطعم سواها
وكلّ لا تذوق جمرات نارٍ
كذاك الغاز يخفى منه جِرمُ
سيظفر منك إبليس بنفسٍ

وفسقت سسوائل الأرواح برداً
لعلّك أن تحبّ وأن تُودا
فتشعل منك أضغاناً وحقداً
فإن أجسجت نيراناً تبدى
تقاطر من مخازيها وتندى

(١) الحصاة العقل والرأى .

ويغسلُ بعدها يده بحمضٍ
وإن النار تمحو كل نتن
لكان القردُ أكبر منك شأنًا
ولو قول وجيع الذم مُسرٌّ
وعقلك مثل قطب الأرض فيها

ويحرق حولها عوداً وندا
سوى نتنٍ عمدت إليه عمدا
لو ان يجلده صلاً وقردا
أريق على قفاك لعاد جمدا !
حكي أقطاره ظلمسا وبردا !

مر العمر

إن تباطأ ساعة طرقت
كم عدوتُ العمر منتهيا
عندو أحلام أقاربها
أتبغى العمر من أمم
يا بطيء العمر من وسن
لهب الأطماع في كبدى
كم خليل قسود وثقتُ به
وحبيب كنت آمله
نحن والأيام تنقلنا
كرهين السجن مرتقباً
رقبتي للموت آن لذي
لا جديد في الحياة ولا
وأعدّ العمر إن دلفت

فبما قد أوقرتُ حزنا
خلت أنى أسبق الزمنا
أججت من عودى الغصنا
فكأنى هارب جيبنا
قد هنت السعد والوسنا
آض وخط الشيب والشجنا
عابىء فى خفة إحنا
لم أصب فى خلقه حسنا
ونعى الموت سنذرنا
قاتلاً يفتال من سُجنا
لهفة أن يدرك السكنا
أمل يجلو لى المننا
ساعة الفيتها محنا

قلت : ليت الدهر زابلنا
بأله بالسعد يطلنا ؟

وهي بشري الموت إن نفدت
أغريم ذا الحمام فما

قصة هزّ الاتوف

حمته العوالي والسيوف الشواجرُ
فكان قضاءً أن تهزّ المناخرُ
وليلاً وفي وكر الكرى منه طائر
مطيعاً تولته السيوفُ البواتر
ومن ذمّ شراً أزعجته المقادر
مطيعاً إذا لم يعص ما سنّ أمر
أطلّ عليهم جارح منه كاسر
وقال وقد مدت إليه النواظر :
فلا بد يوماً أن تساغ الكبائر !

لقد جاء في الأخبار أن مملكاً
رأى في يسير الظلم خُبراً خابراً
صباحاً إذا ما الشمس ذرّ شعاعها
ومن لم يرد في يومه هزّ أنفه
فقال جبان القوم في الحزم عصمة
وماذا على من هزّ ياقوم أنفه
فلما رأى الطاغى هواده صبرهم
فقام إليه ناغم هزّ أنفه
إذا نحن طامناً لكل صغيرة

تم

الجزء الثامن

ويتضمن القصائد التي نشرها الشاعر
في الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩
ولم تجمع من قبل في ديوان خاص

الطبعة الأولى للجزء الثامن
في ديوان خاص
عام ١٩٦٠

الطفل^(١)

من عالم الروح وهو الخلدُ والقدم
سرُّ الحياةِ وسرُّ الموتِ ما برحت
يُطلُّ من عينه معنى يزاوله
وحيرةٌ هي بعضُ اللبِّ يبرزها
صفو الغرارة أبهى ما رأي بشرٌ
ولم تشبهُ تجاريب الحياة بما
ضعف الوليد وهل فى القلب مبتعثٌ
لأى أمر بدا يفتر مبسمه
وكلمًا بدرت للشربادة
يودُّ كل رجيح العقل مكتهل
وليس يبصر أن الشرُّ مُقْتَبِلٌ
لكنها مهلةٌ للقلب ينشدها
فلا عداً ولا مكر ولا حيلٌ
حيث الحياة كببت الله طاهرة
أو جنة الخلد لا إثم لساكنها
إن الأزاهر والأطفال ما اجتمعا

وكان بالأمس يطوى جسمه العدمُ
تطويه عن فكر همت به الظلمُ
معنى التفهيم لم ترصد له كلمُ
صفو من العين لا خب فتتكتمُ
ما رنق العين لا شر ولا ندم
يدجو له اللحظ والأفكار والشيم
نبع الحنان كضعف ليس يتهمُ
وما حباه بزعم الأشيب الفهمُ
قلب المسن لها حيران يضطرم
أن لو يعود وليداً أمره أممُ
يعود منه إليه الهم والهرم
حيث الصفاء وعيش ماؤه شيم
ولا حقود ولا غدر ولا جرم
لدى الطفولة وهى المعبد الحرمُ
وما تجاوز ذو عجز ومُجترمُ
صنوان والحسن فيها طهره عممُ

(١) نشرت بمجلة الهلال فى عدد أول أغسطس ١٩٣٢ بتوقيع ع . ا . ش . ثم بمجلة الرسالة عدد ١٤٩ فى ١١ مايو ١٩٣٦ بتوقيع الشاعر كاملا .

مرأى يُطهر ما بالنفس من دنسٍ	حتى يعود بها والخير مُفْتَنَمُ
كم ناقر سلً منه الطفل عادية	من الضغائن إذ يرنو ويبتسم
قد يحزن الزهرا إذ يذوى أمن شبه	بمصرع الطفل رائيه له يجمُ
ما أعظمَ الفقدَ لو أن الورى خُلِقُوا	خلق الرجال وكالأطفال ما وسموا
لما تملَى أناسٌ طهرَ ما فقدوا	ولا أحبوا ولا أحنوا ولا رحموا

شهداء الإنسانية^(١)

مقدمة :

شهداء العلم والإصلاح يزدهمون على باب الحياة ويسألون كل هالك :
هل تحقق الخير الذى بذلوا حياتهم من أجله ؟ فتدركه الحيرة ! أيكذب كى يدخل على
قلوبهم الاطمئنان ، أم يصدق فيفجعهم فى آمالهم ، أم يغريهم بالصبر الطويل
كصبر الأحياء على الشر ، أم يُغريهم بالعودة إن استطاعوا إلى كفاح الحياة .
وإذا استطاع أن يُعزى الشهداء الموتى فماذا يقول للشهداء الأحياء ؟ :

الناظم

* * *

على باب الحياة أرى زحاماً	من الأشباح عَجَّ بهم وسالا
من العسهد القديم إلى زمانٍ	حديث قد مضوا زُمراً توالى
هُمُ ضَحَّوْا بهذا العيش كيما	يطيبَ العيشُ للأحياء حالا

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - عدد ١٠٩ فى ٥ أغسطس ١٩٢٥

إِذَا مَا هَالِكُ الْفُورِ ظَلُّوا عَلَى شَغَفٍ يُعِيدُونَ السُّؤَالَ

* * *

بِرَبِّكَ هَلْ مَضَى قَدْرُ بَشَرٍ
وَهَلْ جَفَّتْ دُمُوعُ النَّاسِ طُرّاً
وَذَلَّ الْجُوعُ هَلْ قَدْ زَالَ عَنْهُمْ
وَجَهْلٌ يَفْتَدِي بِالنَّاسِ بِهِمَا
وَهَلْ غَلَبُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ مَا قَدْ
أَصَارَ الْعَيْشُ مِنْ مِقَّةٍ وَأَمِنْ
أَعَادَ الْعَيْشُ عَدلاً وَاعْتَدَالاً
بِرَبِّكَ لَا تَقُلْ إِنَّا غَسَبْنَا

وُخْبِتُ النَّفْسُ هَلْ أَوْدَى وَزَالاً ؟
وَهَلْ بَلَّغُوا مِنَ الْعَيْشِ الْكَمَالاً ؟
وَكَانَ سَوَادُهُمْ هَمَلاً مَذَالاً ؟
يُصَرِّفُهَا يَمِيناً أَوْ شِمَالاً
عَدَا سُلْطَانَهُ فِيهِمْ وَغَالاً ؟
وَكَانَ الْعَيْشُ لَوْ مَا وَاقَتْنَا ؟
وَكَانَ الْعَيْشُ مَكْرَماً وَاعْتِيَالاً ؟
وَإِنْ هَزَى الْحِمَامُ بِنَا وَصَالاً ؟

* * *

أَيَفْجَعُهُمْ بِأَمَالٍ عِزَّازٍ
يَقُولُ لَهُمْ : لَقَدْ رُمْتُمْ خِيَالاً
أَيْسَكَّتِ وَالسَّكُوتُ لَهُ مَعَانٍ
أَيَغْرِيهِمْ بِصَبْرٍ مِثْلَ صَبْرِ
أَيَأْسَى أَنْ مَسُوتَى لَمْ يَنَالُوا
أَيَغْرِيهِمْ بِبَسْخِ النَّفْسِ يَأْساً
أَيَسْخَرُ أَنَّهُمْ - وَهُمْ رَفَاتٌ -
فِيَا عَيْشَ الْوَرَى مَاذَا تَرَاهُ

وَمَا نَالَ الرَّدَى مِنْهَا مَنَالاً ؟
وَأَسَدَيْتُمْ وَضَحَّيْتُمْ ضِلَالاً
أَيَخْدَعُهُمْ وَمَا أَلْفُوا احْتِيَالاً ؟
لَدَى الْأَحْيَاءِ دَامَ لَهُمْ وَطَالاً ؟
مِنَ الْعَرْفَانِ مَا يَرَعَى نَوَالاً ؟
إِذَا اسْطَاعُوا عَنِ الْآخِرَى انْتِقَالاً ؟
أَبَوُا لِلْعَيْشِ سَقِماً وَاعْتِلَالاً ؟
يَقُولُ لَهُمْ إِذَا أَلْفَى مَقَالاً ؟

* * *

يقول لهم : إذا استطعتم فعودوا
إذا الأحياء لم يرعوا عهداً
دفاعاً للنوائب أو صيالا
لأحياء فلا تشكوا انخدالا

* * *

يقول لمعشر الأحياء منهم
أيفدح أن تقاسوا العيش نحساً
ليقضوا العيش صبراً أو نزالا
ليُسعد بعدكم صحباً وآلا
وكم من نعمة لولا شقاء
فكم خبر الأوائل من شقاء
قديماً لم تكن إلا وبالا
فنلنا من شقائهم نوالا ؟

العصر الذهبي^(١)

مقدمة :

أولع الناس من قديم الزمن بالتفكير في عصر الإنسانية السعيد : عصر الخير
العميم الشامل ، فبعضهم كان ينشده في الزمن القديم ويكي انقضاءه ، وبعضهم
ينشده في المستقبل من العصور يُدنيه رقى الإنسان . وكثيراً ما استخدم شعاره أهل
الحرص لنيل أطماعهم واقتياد الناس لاستثمارهم واستذلالهم . وكثيراً ما علق
الأذلاء بكماله حتى إذا تحكموا ساروا على نهج الطغاة ، وهو مثل عال ، ولا تحلو
حياة الإنسان إلا به . ولئن صدق ما يقوله بعض المفكرين الذين يزعمون تحققه
نذير الفناء ، فمرحبا بالفناء يكون نذيره الخير والسعادة الشاملة والمثل العالى ،
وقد لا يصدق تشاؤمهم .

الناظم

عصر السلام تحية وسلام خلعت عليك رجاءها الأقوام

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - عدد ١١٠ في ١٢ أغسطس ١٩٣٥

من كل عصرٍ في نسيجك لُحمة
إمّا دنوت وما عهدتك دانيا
نستقبل الأيام وهي كوالح
خالوك في الماضي - ولم تك ماضيا -
ويرون في غدّهم سراباً نائيا
تتغير المثل التي شاققتهم
حسب الورى من حُسْنِ عهدك قدوة
ما فاتهم طبّ الطبيب وإنما
ولأنت في سير النفوس إذا صَفَتْ
عطف النفوس على النفوس ولن تُرى
هيهات يكرم فاضلاً ذو خِسة
اسْتَبْطَأوك وأنت بين جنوبهم
ورأوك في الدهر البعيد ولو دروا
لرأوا مشيئتهم تُشاء ولا تُشا
ومن المشيئة ما يجي فجاءة
ونأى بهم عن ورد خيرك أنهم
أمباغتاً بالخير بعد تمنع
ولقد يَنُوب أخو المجانة بغتة
ويُثوب هذا الخلق من شرٍّ ومن
كم فتنة أججت نار جحيمها

الأجل صنعك تدلف الأعوام ؟
عَفَى على نقص الأنام تمام
مستبشرين إذ التمام إمام
إذ زان منه البُعْد والأوهام
فيطول نحس العيش والإجرام
تتبدّل الآمال والأحلام
علياء ما إن شأنها استبهاهم
تتباين الأرواح والأفهام
يدنى إليك البرّ والأكرام
أبدًا ، ونفس في الأنام تضام
أو يغفر الجاني شأه كرام
وتنظّرون ودأبك الإمام
أن لو أرادوا كان منك لِمَام
هاموا وتحسب أنهم ما هاموا
ليست تُجزئ أمره الأيام
للحصر حسادٍ بينهم وزمام
حبّ الأنام لعهدك استقدام
من بعد عيش كلّه آثام
إثم فتحمد خيرك الأيام
شوقاً لعهدك والأنام حطام

وشعار حقّ كم غداً أحبولة
وإذا العبيد تحكموا في فتنة
أترى العبيد بابل وبطيبة
لو أنهم ملكوا لعافوا مسلوكا
ولطالما حنّ اليهود لشرعه
وتنظر المهديّ قوم أمّلوا
ثار الفرنس وخيرهم يبغى له
يبكى ويعتق الغريب مبشراً
ما زال شر - لا - ولم يمهّد به
أنّى تكون وفي الأنام تفاوت
غرّ وذو مكر فلست بكائن
فمتى يدين لسنة لك جمعهم
لا يصدق الكهان إنّ هم أنباوا
كم من عهد كان يحسب أهلها
نسّى الأنام عهودهم فعهودهم
فقد الأنام صفات أجداد لهم
والطبع في غدد الجسوم فعلها
وتعود من فرط الصفاء حياتهم
خير مرى الحرص الخسيس أقلّ من
والنحس عدوى ليس يقصى شرها

أثرى بحققك في الأنام لئام
ساروا على نهج الظلوم وضاموا
أغسرتهم بكمالك الآلام
يُدنى إليك وطاشت الأحلام
ودعا المسيح له وريم سلام
ركباً له يحدّو به الإسلام
عهداً تدين لشرعه الأحكام
بالشر زال وبالكمال يشام
نهج السلام الحكم والحكام
أُسدّ لها في الصّاغرين سوام
حتى تسأوى في الأنام الهام
ويراك خيراً شرهم فترام
بدوام ما لم يُلَفَ فيه دوام
أنّ زلّ عنها النقض والإبرام
أقصى وأدنى منهم الأوهام
وتحولت وتبدلت أجسام
يوماً تصحّ فلا يكون أثام
ذهبية أيامها والعام
خير لديك تروده الأحلام
إلا التضافر شاذّه الاقوام

كذبوا فما أبقى التقاتل بينهم
خلفت في سير النفوس مباهجاً
كفناً حادى الركب رفقه عنهم
حلم هو المثل الأجل ، وإنهم
ولعل عمر الشر ليس بدائم
قالوا : إذا ما جاء خيراً كله
لولا جهاد في الشرور تعطلت
إن لم يكن نقص فقيم رجاحة
لا يطعم السعد الشهى وشهده
والوهن يسعى للفناء ديبه
لغز الحياة وليس يفهم لغزها
والشر أهون بعضه من بعضه
أهلاً بفائلة الفناء نذيرها
إن لم يصح العيش إلا أن ترى
فعمسى التنافس في المحامد ينثنى
يدنو إذا بطلت ضرورة كائد
إن نال كل مطمئناً رزقه
دين التنافس في المكارم رتما
فترى الورى دين الورى وصلاحهم

إلا الضعيف وقد قضى المقدام
وتجملت بجمالك الأيام
نعم النشيد ونعمت الأنعام
لولا مثال كمالك ، الأنعام
ينمو سناك فينمحي الإظلام
لم يبق خير في الحياة يشام
سبل المكارم واستنام أنام
وبضدّها تتميز الأقوام
من لا ترود فزاده الآلام
إن لم يكن حذر وعم سلام
بين الأنام مفرهم علام
فاطلب كمالاً كى يقل الذام
عهد يشوق سلامه وتنام
شرع التنافس في الأنام يقام
طبعاً وإن قيل الأنام لنام
يُزجى بها رزق له وحطام
فعلام لئوم للورى وخصام ؟
أنماه نصح فيهم وحسام
فرض يدين لشرعه الأقوام

الشباب^(١)

مقدمة :

مستقبل الإنسانية رهناً بطموح الشباب إلى المثل العليا ، وعزوفه عن حقيرات الأمور ، وإيائه الضيم للناس ولنفسه ، وبئس ما يقنع من الحياة بما يرى ، وبأن يحاول أن يبلغ من جليلات أمورها البعيد الدانى إلى قلبه ونفسه وبأن يحاول أن يقهر طاغوت الأمور وجبروتها ، وأن يستنقذ الدهر من عبث العابثين الذين جعلوا الحياة مهزلة رخيصة ومأساة وضيعة .

(الناظم)

عَطِرُ الروائح ناصع الألوان
نُورَ الربى وأطايب البساتان
تغدو الحياةُ به رياضَ جنان
إنَّ الشبابَ من الخلود لدانى !
كثر العِثار وزلت القدمان
مستأنفاً للعيش بالنسيان
كأساً تذيب القلب من ذيفان
حيث الشباب لغرة الأسوان
نشوان لا من خمرة النشوان
تغنيه عن نشوات بنت الحان
عنه وما للدهر من سلطان
فكأنه خِلُو من الأحزان

إنَّ الشباب حديقة الأزمان
مثلُ الربيع إذا جَلَوَتْ بسحره
روحٌ من الفردوس يُشمل نَشْرُهُ
ما راعه حُكْمُ الحِمَام وصَوْلُهُ
لا اليأسُ يضمنيه ولا جزعٌ إذا
ينسى الذى يمضى لينشد مقبلاً
ولو أن رفضاً للقضاء يذيقه
والشَّيبُ بالتسليم يكسر سمَّها
وهو المغامرُ فى الحياة بنفسه
نشوان من خمر الحياة وكأسها
فكأنما فكُّ الزمان قيوْدَه
ويَصُوغ من أحزانه نغمأ له

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١١١ فى ١٩ أغسطس ١٩٢٥

يسمو إلى الغرض البعيد طموحه
مُتَحَصِّنٌ منه بامنع معقل
ويكاد من قَرطِ الهناءِ والهوى
والشيبُ يرسب في الحضيضِ تخلفا
ما أرقته ذكرة من أشيب
وله على إِدبارِ دهرٍ عِزَّةٌ
كِبَرُ الشبابِ ولا اعتدادُ مُسَوِّدٍ
إِنْ كَانَ صَعْلوكاً فليس بخانع
إِنَّ العزیزُ هو العزیزُ على الصُّبَا
ذَلَّ الجَنَانُ لو هُنَّ جِثْمَانُ وَلَا
ورث المراح ذخيرةً لمبذر
لذاتِهِ دَيْنٌ يُؤدِيهِ إِذَا
تتعادل اللذات في ريعانه
عهدُ الصراحةِ والمروءةِ والندی
عهدُ المحبةِ والإخاءِ وربما
عهدُ إِذَا طَلَبَ الكرى لم يُعِيه
عهدُ الصُّبَا عهدُ المنى فإذا مضى
وتكادُ ذكراه إِذَا فَاَت الصُّبَا
أطماعه علويةٌ ، أحلامه
عهد الصيال ولا صيال لأشيب

ويرد خطب الدهر بالإيمان
مستكفل إيمانه بأمان
يدع الثرى ويهم بالطيران
وترى الشباب كذرورة الأكوان
جم التردد خطوه متداني
تنأى به عن ذلة وهوان
بالجاء والأجناد والأعوان
فكأنه ذو التساج والإيوان
والشيب مهما عز ذل جنان
ذل كذل الوهن في الأبدان
خال الحياة رخيصة الأثمان
حل المشيب وهد من جثمان
ولواعج للشيب في ميزان
وتألف الخلالن بالخللان
تلفيهما في القلب بمتزجان
وكرى المشيب مؤرق الأحزان
لم يبق إلا مُرُّ سُورِ دنان
تحیی الصُّبَا وترد غرب زمان
ذهبية الآمال كالعقيان
هاب الحياة وصولة العدوان

والخطبُ أن يهوى المشيب بصائل
حتى تراه بالحياة مُروَّعاً
والخوفُ طبعٌ فى المشيب وقلماً
ولربما جمحَ الشبابُ بسادرٍ
ولربما عَبَدَ الحياةَ أخو النهى
قالَ المشيبُ ورُبَّ قولة صامتٍ
ما سَرَّنِي أنى فطنت وإننى
ونسيت ما نشرُ الجنان وخلدُها
ولقد علمتُ الآن ما عهد الصبا
والآن عالجتُ الحياةَ كما أرى
وعددت من سنن الحياة وحكمها
فى حِرْصه أو قَسْوِه أو رِقِه
وفزعت من ظلم الحياة وظالما
وتلوت فى التاريخ آيات الأسى
فعسى الشباب بمقبلٍ من دهره
ويَسَنُّ للدنيا الوسيلة سنة
يستنقذ الأزمان من عبث الورى
ويذل طاغوت الأمور فيحتذى
ويُحيلُ ظلم العيش عدلاً سائغاً

ما كان يخشى جولة الحدثان
قلق الضلوع مؤرق الأجفان
تلقى الشباب على غرار جبان
عَبَدَ الحياةَ عبادةَ الشيطان
كعبادةِ الله والأوطان
تعظ المصيخ له بغير لسان
والحلم والتبيان فى أكفان
وذكرتُ أن العيش مهلة فانى
من بعدِ جهلى فيه والنسيان
لا ما أريد من البعيد الدانى
ما يفعلُ الإنسانُ بالإنسان
من فستكه بالروح والأبدان
ذُلْتُ منها أيما طفيان
مسطورةٌ بمدامع الأحزان
يبلو الحياة بعزيمة وأمانى
لا سنةً للحرص والحسрман
ويطهرُ الأحشاء من أضغان
شرعُ الحياة شريعةَ الرحمن
يُنْسَى به ما كان من عدوان

نحو الفجر^(١)

مقدمة :

إن الذى يأمل للإنسان فجراً تتجاف فيه ظلمة الضيم والشر ، يرى فى فجر كل
نهار رمزاً له ووعداً به ، فيتعلل بهذا الرمز ، وينتظر إنجاز الوعد ، آملاً أن النومة
التي يحدث فيها للإنسانية كابوس من الأضغان والأذى ، والتناؤ والكيد ،
والاستهتار فى العبث بالحق ، يكون فيها أيضاً نسيان لخصالها الوضيعة يدركها
من طريق سنة النوم ، فتستيقظ فى خلق الحق والخير .

(الناظم)

* * *

أرقتُ فطال الليلُ أم طالَ بيَ عمرى	كأن انجياب الليل فى موعد الحشرِ
كأننى فى لجج من الليل غارق	سوى هداةٍ لم تُلفَ فى لجج البحرِ
كأننى غريبٌ من حراكِ لواعجى	بعالم صمت غاله الصمت من سحرِ
كأن غصون الدوح فى حندس الدجى	رعوس ثكالى أرسلت أسود الشعرِ
كأن النجوم الغانيات ترهبتُ	تبست طوال الليل تعبد فى ديرِ
أو الفلُ مزروعاً بحقل بنفسج	وكالارورد الأفق رُصع بالسدرِ
أو أن ثقبوا فى جدار زبرجد	تطلع منها الغيدُ بشرفن من خدرِ
أقلبُ طرفى بينها متفهماً	تفهم معنى اللفظ فى صفحة السفرِ
كأن الدجى دبر به البدر راهب	جميل المحيا حوله هالة الخبرِ
كان صقيعاً قد كسا الأرض نوزه	أو أن عليها أبيض الطهر ما يمرى

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١١٢ فى ٢٦ أغسطس ١٩٣٥

كَأَنَّ فَرَّاشاً أبيضاً قَدْ نوره
أَمَّا يَذْهَلُ الرَّأْوُونَ مِنْ سِحْرِ ضَوْثِهِ
وَإِنْ تَكْ أَحْلَامُ فَأَوْهَامُ خَاشِعِ
أَيَحْلُمُ هَذَا الدَّوْحُ فِي سِحْرِ ضَوْثِهِ ؟
كَأَنَّ حَفِيفَ الدَّوْحِ أَضْفَاثُ حَالِمِ
أَدُورُ بَعِينِي لَا أَرَى غَيْرَ سَاكِنِ
وَأَيْنَ نَشَاطُ الْقَوْمِ لِلْهُوِّ وَالْهُوَى
أَلَا لَيْتَ نَسِيَانَا كَذَا النَّوْمِ سَافِيَا
لَتَذْهَلَهُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ
خَوَاطِرُ آمَالٍ أُسْلَى بِهَا الذَّجَى
فَلَمَّا تَقَضَى اللَّيْلُ وَانْجَابَ جَنَحُهُ
تَشُوبُ اخْضِرَارَ الرُّوْضِ صَفْرَةُ سَاطِعِ
كَمَا تَبْنَعُ الْأَثْمَارُ شَابَ اخْضِرَارَهَا
كَأَنَّ نَبَاتَ الرُّوْضِ مِنْ نَبْتِ جَنَّةٍ
أَظْلَ وَطَرَفِي فِي مَدَى الْأَفْقِ ذَاهِلِ
وَيَرْنُو إِلَى الْفَجْرِ مِنْ خَلْفِ ظَلْمَةٍ
كَأَنَّ مَمَاتَا فِي الدَّجَى أَهْلَكَ الدُّنَا
كَأَنَّ كَيَانَ الْكَوْنِ يُخْلَقُ ثَانِيَا
تَخَالُ تَبَاشِيرُ الصَّبَاحِ أَزَاهِرَا
فِيخْتَلِطُ الزَّهْرَانُ حَسَنًا وَمَنْظَرَا

مِهَادًا لِرُوحٍ أَوْ شِبَاكََا مِنْ السَّحْرِ
وَقَدْ تَحْسِبُ الْأَحْلَامُ تَسْرَى وَمَا تَسْرَى ؟
عَرَاهُ جَلَالُ الْحَسَنِ فِي اللَّيْلِ وَالْبَدْرِ
فَقَدْ خَلَّتْهُ مِنْ هِدَاةِ النَّوْمِ فِي أَسْرِ
أَوْ إِنَّ حَدِيثًا بَيْنَهُ خَافَتْ السَّرِ
فَأَيْنَ احْتِيَالُ النَّاسِ بِالْغَدْرِ وَالْمَكْرِ ؟
وَأَيْنَ مَسَاعَى النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ ؟
يَدِيرُ لَهُمْ كَأْسًا أَلَذَّ مِنَ الْخَمْرِ
فَيَسْتَيْقِظُ النَّوَامُ فِي خَلْقِ الطَّهْرِ
وَتَمْضِي مُضَى اللَّيْلِ أَوْ طَيْرَةُ الطَّيْرِ
رَأَيْتَ صَبَاحًا يَصْبِغُ النَّبْتَ بِالتَّبْرِ
مِنْ الضَّوِّءِ مِثْلَ الْغَيْدِ فِي حُلِّ خُضْرِ
لَدَى النَّضْجِ لَوْنٌ فِي غَلَائِلِهَا الصُّفْرِ
رَمَى مَلَكٌ مِنْ أَفْقِهَا الْأَرْضَ بِالْبَذْرِ
أَحَاكَ عَلَيْهِ الْفَجْرُ وَشَيْئًا مِنَ السَّحْرِ ؟
بَنُورٍ كَمَا شَفَّ الرَّمَادُ عَنِ الْجَمْرِ
فَتَبْعَثُ فِيهَا الرُّوحَ فِي وَضْهِ الْفَجْرِ
فَإِنْ انْفَجَارَ الْفَجْرُ كَالْخَلْقِ وَالنَّشْرِ
إِذَا مَا بَدَتْ فَوْقَ الشَّجِيرَاتِ كَالنُّورِ
وَيَزْدَادُ نَظْرُ الْحَسَنِ مِنْ مَشْهَدِ النَّظَرِ

تحدثُ أنباء السماء بمشرق
تُبَادِهنا منها محاسنُ جمّة
تفضّ ختام النفس عن كلّ ذكره
تذكرنا الآمالَ والحب والصّبا
كذلك يغدو منظر الحسن ذكره
وتستيقظ الأرضُ النّوم إذا حنا الصّ
كما استيقظ الطرف المغمض بعدما
تحنّ إليه النفسُ من بعد ظلمة
ترى الصّبح يجلو النهر كالقَيْن سيفه
أُطلّ بأفكارى على النهر مثلما
تصبُّ عليه الشمسُ رقراق مسجد
ترى تارة في متنه الماء راجفاً
وتحسب أن النهر يشعر بالذى
ترى النهر مثل العين سحراً وبهجة
يسوح بسرّ الحسن لونٌ مجدّد
وأروعه ما كان منه فجاءة
وليس رُواء الكون فى الصّيف وحده
جلالٌ يريح النفس من بعد رونق
على أن ذكرى الصّيف فيه جلية
وقد يحلم المحروم باليسر واللهى

من الضّوء مثل الرُّسل تُبعثُ بالخير
كما باده الأذهان من حسن الفكر
وكم ذكرى فى الضّوء والزهر والعطر
كأن رُواء الصّبح ضرب من الشعر
وخاطرة فى النفس تُسعد فى الضّر
سباح عليها ، يلمسُ الثغر بالثغر
أريقَ عليه ساطع من سنا البدر
فتحكى حنين الطير تهفو إلى الوكر
ويذكرى الندى فوق الشجيرات كالدر
لَدُنْ هداة يحنو النبات على النهر
فيعلو لجين النهر نهر من التبر
كما ارتعدت أبشار غيد من القر
يعالج من حاله فى القر والحر
ويملأ مثل العين بالصّور الكثر
ولولاه ما ألقيت فى الكون ما يغرى
فجاءة صبغ النهر من سحبٍ حمير
فربّ شتاءٍ نائر أيما ذخّر
نصيبك من سحرين فى الحرّ والقر
ففى النهر من ذكرى وفى الروض من ذكر
كذلك حلم الأرض بالصّيف واليسر

وذكرى طيور الصيف تهزج في صدرى
فنهنت آلامى وأرخت من صبرى
سيكشف عنها ظلمة الضيم والشر
ووعده به يحدو إلى الزمن النضر
وننشده فيما يكون من الدهر

فلما تقضى الليل يحدو لواعجى
أخذت نصيباً من جدى الفجر وافرأ
وأملتُ للدنيا صباحاً مؤجلاً
فكل صباح رمزه ومثاله
نسر بنعماه وإن لم تكن لنا

مناجاة الأمل^(١)

فمطلقك مغفور وخيرك راجح
ووحيك أسخى ما تضم الجوانح
له عنك أو تغنى المنايا اللوافح ؟
وأمدح من يرجوك من هو قادح
كؤوساً فتفتّر الشغور الكوالح
إذا ضياء نجم منك فى الأفق لائح
إذا لم تكن والمرء بالعيش رازح
إذا فنيت فالعيش فان وطائح
فلا شيد البانى ولا كد كادح
كذاك سواد الليل للنجم قادح
فمن ذا يريد النجم والصبح واضح ؟

الأعد وأخلف أنت بالوعد مانح
ولم تك مثل الآل فالآل مهلك
وكم ناقم من خلف وعدك لاغنى
واعشق من يهواك من هو ناقم
نشاوى هموم قد تُدير عليهم
سلام على الدنيا ورضوان راحم
عفاء على الدنيا وهلك ونقمة
وكم فى ثنايا اليأس منك كوامن
أيا بهجة العمران لولاك لم يكن
إذا اشتدت اللاواء زدت تألقاً
وليس بعيب أن تُراد لمحنة

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٦ فى ٢٣ سبتمبر ١٩٢٥

أيا بلسمَ الأحزان لولاك لم يَعشْ
مُعِينٌ على البلوى ، مُعِينٌ على الضنى
ويا حادى الركبان فى العيش مثلما
ويا رحمة الله التى عَمَّت الورى
على صاحب الكوخ المهْدَم مشرق
وأسعد ما تُلفى إذا كنت ماطلا
رَسَتْ بك فى لجّ الحياة نفوسنا
لشيئدت للإيمان فى قلب أمل
ثباتٌ وصبر ، واعتزام وهمة
ولولا مساعٍ أنت عاقدُ أمرها
تكادُ تنير الليلَ إمّا توقدت
تأرجُ من ذكراك نفحة خاطر
وإن غنى الناس من أنت ذخيره
وسائلُ من جدواك أنت استشرتها
وكم لك دون النفس وحيٌ وهمة
وكم من غريق أسقط الجهدُ كفه
منحت حياةً مرةً بعد مرة
وربَّ حبيسٍ أنزل السجنَ ظلمة
أيا طائراً يشدو وفى النفس أيكهُ
ويا آسى الأحزان والظلم والضنى

على عنت الدنيا لهيفٌ ونائحُ
إذا لم يكن فيه معينٌ وناصحُ
حدا الركبَ فى الصحراء حادٍ وصادح
ولم يخلُ منها جارم النفس جامع
ببشرى ورب القصر راجٍ وطامحُ
فكلّ طليبٍ شائقٌ وهو نازح
فلم تتقاذفها الهموم السوارحُ
معابدٌ قد ضُمت عليها الجوانح
فضائلُ نفسٍ كلها أنت مانح
لأثر عقر الدار غادٍ ورائح
أمانىٌ تذكو حين تخبو المصابيحُ
أأنت أريجٌ من شذا الزهر فائح ؟
وأى غنى تغنى وضوؤك نازح
وتفتق إن لحت النهى والقرائح
إذا نطقت تعيا اللغات الفصائحُ
فما لحت إلا وهو فى اليم سابح
وتبخلُ بالعيش النفوس الشحائح
عليه ونورٌ منك فى السجن لائح
فيخفتُ فيها يأسها المتناوح
ولولاك أعياء الطبِّ مودٍ وطائح^(١)

(١) الضنى : سوء الحال ، ومود : ميت .

تخلّل أنات الشقاء ونوحه
خلعت على الأيام أحسن خلعة
سقيت فأنسيت المؤجل من ضنى
وأنسيت أن الشر حتمٌ مقدر
تضاحك في يأس ونحسٍ وكربة
بها مؤنسٌ من طيب عهدك عامر
وتخلق منك النفس دنيا سنية
مباديك شتى كالأزاهر جمّة
أيا سحر إن لم تُغنِ فالسحر كاذبٌ
تعلمنا بالسعد من بعد ميتة
فتعذب في الأسماع حتى المنائح
فيخفى بعيش شرّه والمقابع
ومن وخط شيب في غدٍ وهو واضح
وأن المنايا غسّاديات روائح
كأن الرزايا عابثات موازح
بشائر في لأوائها ومفارج
وفي أفق منها النجوم اللوائح
ففي كل حال موطن منك صالح
مغاليقه فيما تريد مفتح
فتحسن في مرآك حتى الضرائح^(١)

فن الحياة^(٢)

مقدمة :

إن للإنسان في الحياة نشوة كنشوة الفنان عند الصنع ، أو كنشوة المطلع على الفن عند الاطلاع عليه ، فإذا عدم هذه النشوة صعب عليه أن يسوغ الحياة ، وأن يلتذها . ولا يمنع عدة الحياة فناً جميلاً من نقدها أو الرغبة في إصلاحها ، كما ينقد المطلع على الفن ما يشاهده من الفن وكذلك لا تمنع الرغبة في إصلاح الحياة من النظر إليها كأنها ممثلة حسناء تمثل الخير والشر ، فلا يكرهها من أجل

(١) الضرائح : جمع ضريح .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١١٧ في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٥

تمثيلها الشر ، وهذا خير من أن يظل يبكى ويندب ؛ لأن نمر الشر الذي فى كل نفس لم يتحول إلى هرة وديعة كالتى نراها فى المنازل ، وهو لو تحول ما تجاوز أصله ولا فصيلته ، إذ النمر والهرة من فصيلة واحدة ! (الناظم)

أيا حُسن هذا العيش لو كان قصّة	يُسَرِّبها سارى الورى وهو يسمرُ
على ما بها من ضجّة بين شقوة	وكم عاشقٍ للنقص يهوى وينكرُ
فليت الفتى يبدو له صرفُ عَيْشِهِ	كعيش غريبٍ قصّةٌ تتدبّرُ
وياربّ مأساة إذا ما بدت له	تُمَثِّلُ إنْ يحزن لها فهو يصبرُ
وفى فنّها ملهى وحسنٌ وسلوة	ولولا فنون العيش ما كان يعذرُ
وإن كان ربّ الناس يقضى اقتتالهم	فما شأن مثلى ، وهو أعلى وأقدر ؟
وما قصرت بى رغبة عن محاسن	أريدُ لها عيشاً سوى العيش يُقدّرُ
حياةً كحسنة المسارح شرّها	إذا ما حكته عاد بالفن يبهرُ
ممثلة حسنة كم مثّلت أذى	وغدراً أجادت فنّها وهى تغدرُ
فما زادها إلا بهاءً وحظوة	لدى عاشقيها وهى بالفن تأسرُ
تملّستَها لما ولعتَ بقنّها	ولولاهُ تزرى بالحياة فتكدرُ
حنانيك إنَّ العيشَ فنٌّ فلا تُرع	وإن ناب خطبٌ فهو محكى ومخيرُ
تُعانُ بهذا الرأى إن كنتَ قادرا	وإن أمكن الإصلاح لم تكُ تُقصرُ
يمثّل كلُّ دوره فى حَيّاته	فإن راقَ فنٌّ فهو شأؤ ومظهرُ
إن نمرُ فى النفس لم يمس هِرةً	تظلّ على الأسقام تيكى وتسخرُ
وما نمرٌ عن هِرةٍ بمُباعِدٍ	ويطغى وديع حين يبغي ويقدرُ

سر الحياة^(١)

عبء لغز الحياة يا قلب ما أفدح
لغز عيش ولغز عقل وما أعجب
كلما رمت بالمجاهل خُبْرًا
عبث العيش كلما قال لا سرًا
قد خبرت الأنام يا قلب هل تنشد
وحياة بالسر أحجى حياة
خدعة العيش أن يُلَوَّح بالسر
فتزيد الحياة حسنًا ومأمولا
مثلما حُجِّبَتْ فتاة ليرجى
لو بدت عاطلاً لما خَلِبَتْ لُبًّا
كم سعيد يلهو ويعمل لا ينقض
وعلى غدرها أحب حياة
عاشقًا للحياة بعضا وكلا
فإذا شاكه من العيش هم
عبء لغز الحياة يا قلب ما أفدح
سرُّها أنك السعيد إذا لم
ضلة ما أقول كم لاح من كشف

عبثا يُحْثِي عليك وثقلا
لغزا يروم للغز حلا
زادك العيش بالمعالم جهلا
أعدت السؤال جدا وهزلا
سرا من بعد ذاك وسؤلا ؟
هي أحلى مما تراه وأعلى
إذا عاف عاثشوه وملا
وتغوى الحياة نشأ وكهلا
سر حسن لها استسر وقلا
ولا استعبدت عشيقا وخلا
فعملا وليس ينكر قولا
وحباها في الحب أهلا ونسلا
راضيا بالحياة فرعا وأصلا
قال قولا ورام للغز حلا
عبثا يُحْثِي عليك وثقلا
تذر أن لا سرا لديها فيجلى
وقد كان خافي السر قبلا

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١١٩ في ١٤ أكتوبر ١٩٣٥

ولعلّ الحياة أكبر لولا
فهي من فرط رفعة في انخفاض
باء بالياس من علاها وقد غالى
ويعيد الحياة فرضاً وحسناً
مُعْظَمٌ للحياة غالى وأعلى
تلك علياً إن يُعلها فهي سُفلى
فقال الحياة بالخط أولى
ومتاعاً مَنْ يأخذ العيش سهلاً

بعد الإخاء والعداء^(١)

حنوتُ على الودّ الذي كان بيننا
حنوتُ ولو أنى حنوتُ وما حنا
ولا أكذبُ الناسَ قلبى كقلبه
كلانا جنى شراً فعاد إخاؤنا
فيا طيبَ ذكراه ويا بُعدَ عهده
مَضَى حيثُ يمضى عابر بعدَ عابر
مضى حيثُ يمضى كلّ رأى ومذهب
إذا أنا أنسيتُ الإساءة من أخٍ
وأيقنتُ لا ينسى عدائى وما جنى
أيلتئم الصّخران فى اليمّ بعد ما
ويتفق الخِلاّن من بعد ما بدت
وكنا على ما كان من قرب أنفسٍ
وإن صدّ عنه ما جنينا على الودّ
ولو أنه يبغى هلاكى من الحقدِ
له آنة ميلٌ عن النّصف والقصدِ
محالاً حكى ذكرى الشباب على بُعدٍ
وأيّن قديمُ الودّ من حاضر الصّد
من الأهل والأصحاب والذخر والولدِ
له أجلٌ كالنّاسِ ظعنٌ بلا عودِ
ذكرتُ له منى إساءة ذى عمد
عدائى عليه من عناءٍ ومن جهد
تردّد موجُ اليمّ بالصدع والهدّ ؟
به بغضة من مين قول ومن نقد ؟
كنهرين فى وادى الغضارة والورد

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٠ . ٢١ أكتوبر ١٩٣٥

قد اقتربا مجرى وماءً وعسجدا
حياة شباب عسجد أي عسجد
إلى أن دعا داعي الحياة وإفنها
وغير منا القلب والنفس والمنى
هو البغض مثل الحب لحظ فمنطق
وإن كنت تدري الحب كيف طروقه
فياليت أني قد غفرت جفائه
ويذكر لي صبري على الضيم والأذى
وتكسبني منه الندامة ألفة
أعيش بصفو منه يوماً فإن جنى
وأذكر نفسي منه عند انصرافها
أبعد بلأى العيش أبغى مبراً
يروقك حسن الفجر والنجم في الدجى
وأحسن منها البشر في وجه صاحب
فياليت لي دنيا أبيع حطامها
إذا الحب لم يخلص من البغض والأذى
وخلأنا مثل الجوارح أيهم
أحق طلاب الود من نقص طالب
لتكمل بالخل الذى أنت ناشد
ويا طيب قلب غره الود حقبة

من الشمس للاء كالألة الود
وعهد إخاء لا يغيض ولا يكدى
فمال بنا قصد السبيل عن القصد
وزاد طماح النفس بعداً على بعد
فنار لها بين الأضالع كالوقد
ولم تدره أيقنت ما جاء بالحق
ونبوته حتى يصد عن الصد
فيأسى على ما كان منه من الكيد
وإن كان لي من قبل كالحجر الصلد
على إثره غدرًا ذخرت له ودى
شمائل تستدعى المغيظ إلى الحمد
وكيف ونفسي لي كما الضد للضد
ومرأى رياض من عرار ومن ورد
حليفك منه ما استسر ولم يبد
بود أخ لو يشتري الود بالنقد
فكيف خلاص الود من عنت الحق؟
فقدنا ، فبعض النفس في ذلك فقد
إذا قمن نشدانك الود بالحمد
كما كمل النصفان تجمع في العد
كما عظم المخدوع بالفضل والمجد

وإنك لا تدري أقلب مـسـراوغ
وإنَّ ودادَ المرءِ من بعضِ غُـنـمـه
تعيش بمخـلوف الرجاءِ وكـذبـه
رحيق الحياة الودَّ ، لو دام صفوه
وأحسنه ما كان من عصرة الصبا
فمن لى بعود الدهر للودِّ والصبا
يخال الصبى ودًا وودَّ الصبا صبا
وإن فقير الناس من خان خله
أبغى إخاء لم تشبهه عداوة
كأننى لم أدر الأنام وخلقـه
أبعد فراغى من جنازة ودنا
متى أرتضى الخلان صحواً وغيمة
أغالط نفسى فيهم وأغرها
وأكتم من آلام نفسى عزةً
فيا ساقى النسيان عا طـ صـحـابـتى
وهيهات ما أمرُّ إذا جدَّ جده
إذا انفلت السهم الطليق فما له
ويعجز هذا الدهر عن نقض فعله

أسرُّ أم القلب المغرَّر بالودِّ
ولو أن مخـلوف الوفا غاض لم يُجد
قطامٍ فإنَّ الودَّ يا قلب لم يُرد
— وكالخمـر — أصفاه المعتق ذو العهد
ولم يحلُّ بعد الشيب مُستحدث الود
أليفين ما كانا كما الندَّ للند
كبانهما المزوج كالجوهر الفرد
وإن نال حظاً من طريفٍ ومن تلد
وأنقم عفو الغدر أو غدره العمد ؟
ولم أدر أن الضد يولع بالضد
أروم خلود الود من عادم الخلد ؟
فأمنحهم غيثى وأمنعهم رعدى
وإن لاح منهم غدر أعدائى اللد
إذا لم يُتخ لى ما أزيل به وجدى
وهات لى النسيان رفداً على رفد
لئنسى ولو واروه فى مُشبه اللحد
ولو أنه سهم التميرى من رد
ألا وهو الدهر المـصـرّف ذو الأيد

وفى وصف الطباع^(١)

ما ازدریتُ الأنام إلا وهان الـ
وتفردت لا أصولٌ بكيد
ومن الناس مَنْ إذا ما ازدراهم
ولو أتى أكبرتهم لم يرونى
ولو أتى أكبرتهم لم تر الرحـ
ودهم مثل بغضهم فيه عدوى
ويرى المرء أنه كلُّ شىءٍ
مركز الكون حوله دائرة الأفـ
ولقد تحمد الخليل طويلا
فإذا الغدرُ شيمةً وطِباعُ
وإذا النفسُ جانبٌ مُدْلهمُ
وإذا المرءُ يحمد الصَّحب منه
ومع الخُبْر بالأنام فقد يعـ
كلُّ يومٍ يخال منه جديداً
قلْبُه الأمل المضلل بالود
ومع اليأس منهم كرمُ الصَّفـ
كلُّهم يشتكى ويشمت بالشا

كيدُ منهم وهانُ منهم عداؤُ
وتزهدتُ واستقام العزاءُ
كان منه الإِجرامُ والاعتداءُ
غافراً واحتوتنى البغضاءُ
حمة دينى وما بهم رُحماءُ
مثل عدوى تسفى بها الثوباء
هو تبرُّ وما عداه هباء
ق وبهو من فوقه وسما
ثم يبدو ما كان منه انطواء
وإذا الودَّ والوفاء رياء
بالدنايا وجانبٌ وضَّاء
جانباً والكريمُ منه خفاء
رو الفتى عند غدرهم إعياء
وهو رثٌ وما طواه العفاء
يقود الأسى إليه الرجاء
ح إذ الحتم ما جنوا والقضاء
كى وكلُّ كما يسئ يساء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٢١ فى ٢٨ أكتوبر ١٩٣٥

كلّهم يندبُ الوفاءَ وكلُّ
كلّهم قانصٌ يرى في وفاءِ الخلِّ
كلّهم لا يودُّ للناس ما يرى
ويُسِرُّ الفتى ويبدي اكتئاباً
صادق العطف كان أو كاذب العطـ
وارتيح أن لم يُصَبْ مثل خلِّ
وسواءٌ خبٌّ وغِرٌّ ولا غرٌّ
كلّهم إن يرقك منه ذكاء
فكانُ الذكاء منه وميضُ الـ
كلّهم يبغض النقيصة حقاً
واكتساباً للحمد والربح يقلّ
كلّهم يلبسُ النقيصة منه
يفضّب المرء للفضيلة كيما
وسواء نقصٌ وفضلٌ لديه
ومن الناس من يَبْـوَحُ بنقصٍ
كالذي قال إنما أفقدته الخـ
يمدح الحلم مغرباً وهو يَسْطُو
حذراً للشرور يمدح خيراً
قسم النقص والمحامد بين الذـ
فلئيم من كان منه جفاء

يتأذى وطبَّعُهُ الإيذاء
صنيئداً وليس منه وفاءُ
غيب فيه لنفسه ويشاء
إن الملت بصاحب بأساء
سف فسفى نحسّ خله سراء
نزل الحزن دأره والشقاء
فللغسر صولة وعداء
بعد حين يرقك منه غباء
برقٍ ، والعقل كله ظلماء
حذر الناس بغضه إخفاء
ها ولولاهما لعسف الرياء
حلة الخير وهو منه براءُ
يحسب الناس أن ذاك نقباء
إن تدانت من كسبه النعماء
وكثيرٌ من قوله إطرأ
لم منه صراحة وإساء
مغنم الخبّ في الوري الحُلماء
ذاك جبنٌ في طبيعته واتقاء
ناس منه الأحقاد والأهواء
وكريمٌ من كان منه إخاءُ

ذاك ميزانه وما الحق إلا
ويرى الأخرق الذى يرحم الله
كى يمدّوه بالذى ضمنّ عنهم
كلّ حى يصون منه حياة
حاطها بالصّيال والمكر والقصد
وبإنكار كـيـده وأذاه
يتدنّى يبغي العلاء ولا يثـ
غير من آثروا على أنفس منـ
وعجيب أن كان أظهر ما فى الله
وأشدّ القساة ينكر لؤم الله
وهو يطرى الحياة بقاء على الكيـ
بين أمرين يدرج الناس طرا
ومن الجوع أو حذارا له أو
وامتلاء يصير شهوة جسم
هين بعدها إذا ما الضحايا
خمص بطن ، ونهمة وحذار
ذلك العيش ثم ما كان من خيـ
وقتل على الحياة دعاه الحـ
ذاك فضل إذا أساء ولكن
ولو أن السبيل للموت سهل

ما رأى الحق يأسه والرجاء
أس وإن ودّ أنهم رحماء
بجداه وهكذا الأحياء
ولئن غال ما عداه العفاء
وولو عمّ ما سواه الشفاء
وبدعوى الكمال وهو طلاء
فيه عمّا يحطّ منه إباء
هم نفوس الورى وقد قيل داء
فس داء والحرص منه الشفاء
أس كيما يكون منه مضاء
عد وذعرا يكون منه الثناء
جوع بطن أو أن يكون امتلاء
خشية الموت كم قسا الأحياء
يهتك الطهر حفزها والمضاء
نال منها نحس ونال شقاء
واحتيال ، وقسوة ورياء
ربكى لولاه عيف البقاء
سّ فضلا يبغي به ما يشاء
وهو نقص فى الناس حين يساء
لم تكن عنه نجوة أو عزاء

فاحمد العيشَ إنَّ حبَّكَ للعد
إنَّ أقوى الرجاء ما تعرف النفس
لم يعفها وإنما شاء أن يُب
دائبٌ بصَّير الأنام بما جَـ
والذى يَكُلُّ الحياة على العد
يمدح المرء مثل ما حاز من فضـ
فقليلٌ ما نصدق النفس قولاً
مُهْجَةً الحاسدين من سورة الأحـ
ساء فعلٌ منهم فساءت ظنون
سوءٌ ظنُّ الأنام طبعٌ ولكن
كلُّ حيٍّ أمامه ما جنى الخصـ
وعجيب أن يحسد المرء حتى
أى نفس من أنفس الناس عافت
لابل الفضل إن تضاعل ما فى الد
كلهم ذلك الحسود ولكن
لو ينال الأنام ما حسدوه
حسبوا اللؤم من ذكاءٍ وعقل
وتباهوا بقدرة اللؤم فيهم
وقليل ما يندم المرء إن لم

يش ملحٌ مَهْمًا تَمَادَى العناءُ
س وإن قَبَّحَ الحياةَ الذكاء
صرَ قدما من حسناتها ما يشاء
مَلَّ عَيْشًا ووصفهُ إغراء
م بها لا تروعه الأشياء
لِ فإن زاد كان منه هجاء
وكثيرٌ من أجل ذاك المرء
قَادِ والبُغْضُ مهجة هوجاء
والورى فى طباعهم شركاء
مقلة الظن مقلة حواء
م يراه ومسا جناه وراء
بعد أن لم تَدُم له النعماء
حسداً للقلوب منه اكتواء
فس من له ولم يكن إيذاء
هينٌ ما بدت به الفضلاء
حسدوا ضده ولیم القضاء
فادعاه الطغام والأعلاء
واستشاطوا إن قيل هم لؤماء
يك جرم من بعده الازدراء

فإذا الناسُ زَيَّنوا منه جرماً
ومضى سادراً يرود من الآ
يبستغي المرء أن يرى الناس طراً
وهو لا يستطيع تغيير ما في
وحقيقٌ بالشك من رأيه يتد
رأيه مثل خلقه وهواه
في قنوطٍ ومطمع ، وانقباض
لو بدا الشرف في النفوس تعادت
وإذا الشر أعوز المرء عجزاً
ومُقِرُّ بالشر كي يُغفر الشر
واعتداءً بالجود حرصٌ وكسبٌ
ولقد يحقدُ العشيرُ إذا خد
يجرؤ الفرد بالجميع على الشد
شدّ من أزر سافل أن شُراً
فجبانٌ يشدُّ أزرَ جبانٍ
ولقد يفعلون خيراً ليخف الشد
والشقيّ الجزوعُ من شر قوم
مستنيمٌ إلى الولاء ويكوى
جاهل بالأنام يخدعه المط
لقنوه أن المروءة أن يغـ

شملتته من مدحهم خيلاء
ثم مرعى ودأبه الكبرياء
حيث يرضى ، وخلقهم ما يشاء
نفسه كي يكون منهم رضاء
بيع ما خولجت به الحوباء
حاكم فيه جوه والغذاء
وارتياح ، تناكرت آراء
رحم الله فاحتواه كساء
ادعى أن عجزه استعلاء
رؤكوما يعود منه اعتداء
وهو منه استزادة لا وفاء
سلاك رزء وكان منه رثاء
رولولاه غياله استخذاء
جمعت في مناله الجبناء
وعداءً يكون منه عدا
رمنهم وذاك منهم رياء
جر نفعم منه إليهم رجاء
قلبه أن يفيض منهم ولاء
رى نفوساً لهم وحق الهجاء
ترب الناس وهو منه غباء

لا بل الفضلُ خيرُه وهو يدري
مطمئناً بعدَ اصطناعِ جَمِيلِ
كلهم ظالم وإن كان مظلوم
يشتفى من لواعج الغيظ والذ
يظلم الصاغر الضعيف كما يظ
طبقاتٌ مقدرات من الطغ
ومع الشرِّ والأباطيل في نفـ

إن بلاهم أن قد يعز الجزاءُ
عندهم إن دهاه منهم بلاءُ
ما رأى أن قسوة استشفاء
لُ بظلم الأذلِّ ، بيئس الدواء
لمه من له عليه اعتلاء
بيان ما إن يُخال فيها انتهاء
سِ فللخير آنة سيماء

الصحراء^(١)

أرحبُك أم صمتٌ على الأرض غالب
كصمتِ الخشوعِ المطرقين نزوعهم
وصمت لذي المحراب في بيت ربّه
توقّع مَنْ قد غاله الصمتُ هاتفا
كمخترقِ الظلماء لاح لعينه
حدٍ أن يُناجى النفس فيك أخو الحجى

غدا مُصْحَرٌ من روعه وهو هائب^(٢) ؟
مقابرُ صرعى للردى وخرائبُ
يقاربه في صمته ويخاطب^(٣)
يكلمه من فرط ما الصمتُ راعب
إذا جال فيها اللحظ ما هو غائب
ويخشع صمتاً راكب فيك ذاهب^(٤)

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » عدد ١٢٦ في ديسمبر ١٩٢٥ وفي كتاب « ديوان الاسكندرية » في

أكتوبر ١٩٢٥

(٢) الرحب : السعة . ومصحر : من أصبح خرج إلى الصحراء . (٣) نو المحراب : أى

العاكف على الصلاة . والضمير في يقاربه وصمته يعود على البيت ، ويخاطب أى مع صمته يخاطب ربه .

(٤) حرى : جدير وخلق ، والمجى : العقل .

ويخشع من رَحْبٍ كأن لا مدى له
ويخشع أن لا شيء إلا مُجَانِسٌ
وكم راع رأى العين إن كان لا يرى
حكي خدعة الآمال آلك رافعاً
سرابُ الأمانى فى الحياة خديعةٌ
وَمَنْ ضَلَّ فى خَرْقٍ من العيش لبّه
تَفْتَحُ أبواب الجحيم عن اللظى
سموم كدْفَاع البراكين أو لظى
ويصلاه ركب خال دنيا تقلّصت
ويسودُّ وجه الأفق حتى كأنما
وكم حار ركب من فجاءة صحوة
إذ الجو كالبلور أخلص لونه
كذلك غب الغيث ريعان بهجة
كأن ضياءً فى سواد سحابةٍ
تفجر ينبوع من النور غامرُ
ضياءً ترى المألوف من كل منظر
وما فرحة الولهان عاد حبيبه

حكى أبداً ما حده الدهر حاسبُ
فلم يلف إلا مُشَبَّهٌ أو مُناسِبٌ^(١)
سوى الشبه يتلوه الشبيه المصاقب^(٢)
على الأفق بُشرى كذبتها العواقب
وقد تهلك المرء المُنَى والرغائب
كمن خذلتَه فى الفياض المذاهب^(٣)
كأن شَوَاطِ القِيظِ يسفيه دائب^(٤)
الحرائق يصلاه الحصا والنجائب^(٥)
عن النار لو يسعى جحيم مقارب
دُكَّاء دجت أو يكسف الشمس حاجب
كما راع مرأى الحسن والعُرى سالب
وصبَّ عليه من سناء الشمس ساكب
كأن طلاءً قطره وهو صائب
تكاثر حتى ثَقُب الدجن ثاقب
كما غمر الأرض المياه السوارب^(٦)
به فإذا المألوف منه الغرائب
بأصدق منها فرحة وهو آيب

(١) مجانس : مشاكل ومشابه .

(٢) المصاقب : المقارب . (٣) الخرق : القفر . (٤) الشواط : اللهب ، ويسفيه : يذروه

(٥) صلى بالنار : وجد حرها ، والتجب : القشر (٦) سرب الماء : جرى .

نهارك أم ليل الدُّرارى نائل
أديم سماءٍ يُبرِّزُ الشَّهَبَ صَفْوَه
أما يخشع السُّمَّارُ من كثرة الدنى
يَبِيتُ يُناجِي النجم والنجم سامر
كأنَّ لحاظ النجم من لحظ عاقلٍ
يُسأِّلُهُ عن عيشه أين سرّه
إذا خطَّ فيك الدهر سطرًا محوته
وترقل فيك اليعملات وإنما
وللبحر أمواجٌ ؛ وللبيد مثلها ،
فيغرق في لجج من الترب حائنٌ
ورحبك رَحْب البحر يطويك هائب
بأفقكما للشَّهَب رهب وروعة
وذى دولة فى اليمِّ قد دال أمره
ويَصغر عيشُ المرء فى اليمِّ مثلما
لمحلك يلقى مكرم الضيف ضيفه
وتشحذه الأخطارُ حتى كأنما
لقد صقلتها نار قينٍ وصيقل
تنسَّكت فى بُردِ التقشف لم يكن

من اللب نيلاً لم تنله الكواعب
فأحسبها تدنوه وتقاربُ
ويذهل من رحب الفضاء المراقب ؟
فتفضى إليه بالحوار الكواكبُ
وأنَّ رقيباً فى السماء يراقب
كأن وراء النجم ما هو طالب
كذا اليمُّ لا يقوى على اليمِّ كاتب
سفائن لجج البيد تلك الركائب^(١)
إذا هبَّ إعصارٌ على الركب كارب
كما احتشدت فوق السفين السوارب^(٢)
ويركبه ذو مطلب وهو هائب
جلاً لكما شِبْه وشِبْه مقارب
وآخر أردته لديك المطالب
تضاءل فيك عيشه والרגائب
بخيرٍ وأما خصمه فهو سالب
بُنوك سيوف ينتضيها المحارب
كما صقلتهم فى الحياة النوائب
معاش ولا ترجى لديك الأطايب

(١) اليعملات : جمع يعملة أى الناقة السريعة ، وترقل : تسرع .

(٢) الحائن : الهالك .

الشاعر البابلي المجهول^(١)

يا غريب الدار عن وطني
هل سمعت اسمي وما نقل الـ
انكت الأطلال على بهـ
قد وصفت الحسن أجمعه
وبحثت النفس قاطبة
ولكم أجمت مضطغنا
سهر الأقوام واختصموا
كل ما قد صاغه عرب
صغته من قبلهم فعفا
لم يعيش بالصيت شاعرهم
دول أودت بها غيير
لم أدع مسعنى لذي أدب
فاستباح الدهر من أدبي
بابل الأملاك ما عمرت
درست من بعد ما لبثت
بعد ما كانت خمائلها
بعد ما دان الزمان لها
واستوى في الثرب ذو لسن

ناظراً في غابر الزمن :
ركب عن شعري وعن فطني ؟
أثراً قد خط في الدمن
لم أدع في الكون من حسن
لم يفتني أيما شجن
عائياً قولي من الإحن
في من راض ومضطغن
أو من الإفرنج ذو لسن
وكان الأمر لم يكن
عمر صيت كان لي وفني
وردي اسمي بعد لم يحن
عالي بالشعر مرتهن
ما استباح الدهر من وطني
مثلها في سائر المدن
حقباً مشهورة السنن
فتنة تربو على الفتن
فكان الدهر لم يدن
وذو الإعياء واللكن

(١) نشرت بكتاب « ديوان الاسكندرية » لجامعة الأستاذ علي البحراوى - أكتوبر ١٩٣٥ ص ١١١

نم طويلاً يا أخا الزمن	وادعاً في اللحد والكفن
بعد آلافٍ من الحقب	قم وسلّ عن صولة المحن
لا ترى اسماً كنت تكبره	سلّ عن الأوطان والسكن
سلّ عن المشهور من قدم	وعن المعبود كالوثن
عن عظيم كنت تحسبه	خالداً كالدهر والزمن
فإذا أنتم وشئانكم	حلّم قد كان في الومن
يا غريب الدار عن وطن	باحثاً في دارس المسدن
هل سمعت اسمي وما نقل الـ	ركب عن شعري وعن فطني ؟

النشوء والارتقاء^(١)

أراك فريسة الجوعين سفهبانا وشهبوانا	
بربك أيها الإنسا	نُ لِمَ أصبحت إنسانا ؟
بمقل يبلغ الشمس	وأقصى الكون عرفانا
وجدت لكل ما كا	ن من الأكوان ميزانا
كأنك خالق الخلقين	أكواناً وأزمانا
وسخّرت الرياح مطي	ة والبرق فرسانا
وقد أعليت عممرانا	وقد قدّست أديانا
وردت العيش عرياناً	وترجع عنه عسريانا

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول نوفمبر ١٩٣٥ .

وملء حيناتك الأحزان والآلام ألواننا
 وتبليك الحياة كما يفت الجوّ صواننا
 وتصارعك الجسراثيم كسمالو كنت ديدانا
 وقد تهلك غرثانا وقد تهلك مبطاننا^(١)
 وقد تغدو إلى اللذات فتأكأ وخزيانا
 فبين الجوع والشهو ة قد أجريت ميدانا
 وللتحلّيل والتحرّيم قد أعددت تبياننا
 فما أصلحت حاليك ولا طهرت أدراننا^(٢)
 وفقت الطير والحيوان آثاماً وأشجانا
 وزنت الذرة الصغرى وما أعددت ميزانا
 لعيشك كى يكون العيش إسعاداً وإحسانا
 بربك أيها الإنسا ن لم أصبحت إنسانا ؟ !

النجاح^(٣)

أنت ربُّ الأوشاب والأعلياء وجماعُ الجهود والأهواء
 تلبس المرء منك حلة فضل يلهج الناس حولها بالثناء
 أى فضلٍ للمرء إن لم تحكه وذكاءٍ إن لم تكن فى الذكاء

(١) الغرثان : الجوعان ، الميطان : الكبير البطن .

(٢) الأدران : الأوساخ .

(٣) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٣ فى ١١ نوفمبر ١٩٣٥ .

فُرِصَ العيش كلها لك جند	والعطايا مسواثل كالإماء
وصروف الأقدار طراً عبيد	للذى تصطفيه للآلاء
لا يضيرُ الذى اصطفتِ عداً	لا ولا يُزْدِرَى لفرط الغباء
ويودّ الذكى لو كان غيراً	ثم تكسوه خله الأذكىاء
أنت سحرٌ يكسو القبيح جمالاً	وينيلُ الوضيع أفقَ العلاء
وينيل القمىءَ أجنحة النسب	فيغدو لقومه كسماء
يرتجى الناس غيثها وعلاها	بخششوع وذلة ورياء
إيه يا مالك القلوب قلوبُ	الناس طراً طوع اللها والعطاء
رُبَّ قلبٍ مُماكسٍ لك فى البـ	ميع وذاك المِكاسُ غير الإباء
تنثر التبر مثلاً تبعث الشمس	بأضوائها على الأرجاء
فوق وغدٍ أو فوق غير حَظِيٍّ	أو على ظافرٍ من الفضلاء
لك ثوبٌ يخفى العيوبَ ويحبو الـ	فضل فضلاً من روقة اللآلاء
قَدَرٌ حاكه وليس صناعٌ	كصناع يدعونه بالقضاء
معدنُ الخير والفضيلة والحكمة	من يرتدى بذاك الرداء
أى فضل تعطى القوى قواه	إن عداه النجاحُ فى الأحياء ؟
أى صيت يجدى الذكى بيانٌ	لم يُصبْ نهزةً من الإصغاء
أى فضل تحبوا الحكيم نُهاه	وهو لولا الأنصار كالأغبياء ؟
سَرَفٌ أن أضاعه الدهر لا يفقر	دهراً أضاعه من ثراء
أترى التَّيسر لو يظل دفيناً	كان يُجيبى أطايب الأشياء ؟
أترى الحسن كان يعتد حسناً	وهو فى خفية عن البصراء ؟

يغتم الظافر السعيد وإن كذب منه النقاد بطل الطلاب
وهو في أعين الأنام نضار وسواه في الخلق كالدمع
يغسفر الناس شره وأذاه ويمدونه بحض الولاء
إنما الحق ما رأى الناس حقاً ثابتاً في عقيدة الأهواء
والشريف الذي يرون شريفاً نال أو لم ينل مدى الشرفاء
والكريم الذي يرون كريماً حاز أو لم يحز هوى الخبراء
صاح لو يُنبذ المزيف طراً حارب الناس كل هذا الإباء
ثم باءوا بحيرة وضلال في دعاوى العقول والآراء
وإذا النجح لم يكن منه ميزان فكل مزيف الأنبياء إنما الحق قد آله الأدياء
كن جديراً به وإن لم تنله صد عن خير مطمح وعلاء
ويضير الأنام كيد حقود فدع الناس يكلفون بما شاءوا وعش في حقيقة الأشياء
فدع الناس يكلفون بما شاءوا وعش في حقيقة الأشياء إن تجدها أو لم تجدها فللمع وللجد نشوة الصهباء
وَيَضِيرُ الْأَنَامَ كَيْدُ حَقُودٍ نشوة النجاح نشوة السعي والخاسر من لم يقر له بطلاء
فَدَعِ النَّاسَ يَكْلِفُونَ بِمَا شَاءُوا وَعَشْ فِي حَقِيقَةِ الْأَشْيَاءِ ولعل الأحقاد ما صفّر النجاح وأنحنى عليه بالأزواء
إِنْ تَجِدَهَا أَوْ لَمْ تَجِدَهَا فَلِلْمَعَى وَلِلْجِدِّ نَشْوَةُ الصَّهْبَاءِ ورجاء للنجاح خير من النجاح فعش من طلابه في رخاء
نَشْوَةُ النَّجْحِ نَشْوَةُ السَّعْيِ وَالْخَاسِرُ مَنْ لَمْ يَقْزُ لَهُ بِطُلَاءِ إن بعد الرجاء أن تبلغ القصص ولا قصد بعد نيل الرجاء
وَلَعَلَّ الْأَحْقَادَ مَا صَفَّرَ النَّجْحَ وَأَنْحَنَى عَلَيْهِ بِالْأَزْوَاءِ ولقد ينكب النجاح أناساً بالذي فاق نكبة للشقاء
وَرَجَاءُ لِلنَّجْحِ خَيْرٌ مِنَ النَّجْحِ فَعَشْ مِنْ طُلَابِهِ فِي رَخَاءِ والسعيد المحروم من أسلم الأطماع طراً لصرف حكم القضاء
إِنْ بَعْدَ الرَّجَاءِ أَنْ تَبْلُغَ الْقَصْدَ وَلَا قَصْدَ بَعْدَ نَيْلِ الرَّجَاءِ ويود الذي تود له الأقدار يبغى فيها رخاء الرضاء

ذاك خُبْر يغرى الحكيم وإن شقَّ قُلُوبُ رِخَاءَ فِي الْعِزَاءِ
 وَلَقَدْ يَحْبِطُ الطَّمُوحُ إِذَا زَحَزَحَهُ الْهَمُّ عَنْهُ بِالْإِعْيَاءِ
 وَفَرُوضُ الْحَيَاةِ أَخْلَقَ بِالسَّعْيِ وَأَحْجَى مِنْ اقْتِعَادِ السَّمَاءِ
 إِنْ أَعْلَى مِنَ الْعِثَاءِ خَلِيقًا بَعِثَاءَ لَا حَائِزًا لِلْعِلَاءِ
 وَالسَّعِيدُ الْحَظِيُّ مِنْ رِزْقِ الْجِسْدِ وَفِي الْجَدِّ مَصْرَعُ الثُّبَاءِ
 هُوَ طَبَّ الْمَلَالِ إِنْ أَعْنَتَ الْعَيْشُ وَغَالَتِ غَوَائِلُ الْبِئْسَاءِ
 وَسَوَاءٌ نَجَحَ وَقَسُوتَ إِذَا أَحْمَدَتْ مَا فِي مَسْعَاتِهِ مِنْ دَوَاءِ
 وَالشَّقِيُّ الْمَحْرُومُ مَنْ لَا يَرَى فِي الْعَيْشِ فَرْضًا يَنْأَى بِهِ عَنْ شَقَاءِ
 ذَاكَ مَنْ مَاتَ قَلْبُهُ وَهُوَ حَيٌّ وَغَدَتْ نَفْسُهُ كَقَفْرِ خِلَاءِ
 خَاصِمَتُهُ النِّعْمَاءِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَبَدَتْ فِيهِ وَحْشَةُ الْبِيدَاءِ
 خَيْبَةُ الْمَرْءِ أَنْ يَمْلَأَ مُنَاهُ لَا تَمَادِي الْحَرَمَانَ وَالْإِبْطَاءِ
 وَلَعَلَّ الْإِبْطَاءَ فِي النِّجَاحِ أَهْنَا وَقَصَّارِي الْمَبْدُولِ لِلْأَزْرَاءِ
 وَيَمْلَأُ الْعَطَاءَ بَعْدَ أَوَانٍ كَعُزُوفٍ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْغَدَاءِ
 وَالسَّذَى لَا يَمْلَأُ فَرْضًا مَعَادًا كُلُّ يَوْمٍ مُوَفَّقُ السَّعْدَاءِ
 لَا يَنَالُ الْبَعِيدُ مَنْ لَا يَرَى الْأَدْنَى سَبِيلًا يُدْنِي إِلَى الْبَعْدَاءِ
 خَطْوَةٌ إِثْرَ خَطْوَةٍ هَكَذَا سُنَّةُ عَيْشٍ وَسُنَّةُ فِي الْجِسْرَاءِ
 وَامْتِنَاعُ الطَّلِيبِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَنْدُبَ الْمَرْءُ خَيْبَةَ الْأَهْوَاءِ
 هُوَ خَطْبٌ أَدَهَى مِنَ الْقَوْتِ وَقَعَا وَهُوَ دَاءٌ أَشَدُّ مِنْ ذَا الدَّاءِ
 كَالَّذِي يَسْتَطِبُ بِالْخَطْبِ مِنْ خَطِّ سَبِّ وَيُقْصِي الْأَدْوَاءَ بِالْأَدْوَاءِ
 لَيْسَ يُدْعَى الرِّضَاءُ يَأْسًا فَكَمْ رَاضٍ وَفِي سَعْيِهِ دَيْبُ الرِّجَاءِ

والذى يستدر نَجْحًا من الخيبة أحجى برفعة وعلاء
فإذا ما نكصت فى العيش فاعلم
يدخلُ المرء نفسه فى الرزايا
مثلما أسمعوا الجياد صليلا
صاح ، ما العيشُ بالمخلد فى
وإذا ما ارتخست ما هو مبذو
فالهواءُ الحياةُ وهو مُذالُ
لا تقلُ خيبة الرجاء سموم
إنَّ بعضَ السمومِ منه دواء
وإذا ما هممت بالخير لا تولع بكسب الإجلال والإطراء
ليس بين الإطراء والذم إلا
واللبيبُ العليم بالناس لا يغتر بالمدح منهم والهجاء
غايظوا الراجح السعيد بمن خباب ولو فاز كان فى البغضاء
يزعمون الخُيَّابَ أحجى بفوز
زعموا الدهر يظلم النذب إذ يسمو بشأو اللئام والأدنياء
فإذا النذب نال شأوا أعدوا
ولعمري لو بينَّ النقص والفضل
باتفاقٍ أو باقتدارٍ نجاح
ولو أن المفضول لم يلف نَجْحًا
نابهُ النقص من قضاءٍ فإن خباب فغن مضاعف فى الجزاء
ليس فوزُ الأبهة قدرَ شقاء
هزم الذلُّ نخوةَ الأحياء

لا بل الفوزُ صَحَّةٌ واقتدارُ وببذلٍ للذَّخرِ أو للحياءِ
 وبأن تطبِّي رضىــــــــــــــــاء ذوى الجِـاهِ وأهلِ الجدودِ والأقوياءِ
 وبإحباطِ مَنْ يَكِيدُ بِكَيْدِ رَبِّ فوزٍ مستجلبٍ بالدهاءِ
 وبإطراءِ مَنْ ترى منه نفعا وبإرضاءِ كلِّ دانٍ ونائى
 واحتذاءِ الحَيَاةِ تَرْضَى السَّدى ترضاه من شِـمَةِ ومن سِـمَاءِ
 وبأن لا تعافِ كَسْبًا ولا خُلُقًا يُدائى من مطلبٍ ورجاءِ
 فإذا عِفَّتْ كانَ سَعْدُكَ فى الخِـيْبَةِ والنَّجَحِ من صنوفِ الشَّقَاءِ
 رَبُّ قُوتٍ للمرءِ منه سَقَامٌ وهو فى جِـسْمِ آخِرٍ كالِدَوَاءِ
 وكذا النَّجَحُ منه عِـزٌّ ونِعمَاءُ ونَجَحٌ يُلَمَّ بالبُـرْحَاءِ

(١) الجبل

- ذكرى -

جلالُكَ أهدى من ضياءِ المنائرِ ومنبـسـرُكَ الأعلى أجـلُّ المنابرِ
 لقد كنتَ عرشَ المجدِ فى الأرضِ عِزَّةً ومسكنَ أربابِ الدهورِ الغوابرِ
 فىا معبدًا سَقَفُ السَّمَاءِ غِطَاؤُهُ وعمداته الدوحاتِ ملءُ النواظرِ
 جلالُكَ يُلْهِى المرءَ عن كلِّ زائلٍ فيخشعُ مسحورَ النهى الضمائرِ
 توحدتْ كالرهبانِ ياربُّ راهبٍ رأى عصمةَ الأطوارِ طهرَ السرائرِ

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » - عدد ١٢٥ فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥

تطلُّ على السهل الفسيح كأنما
 ألا إنَّ للأهرام مجداً وروعة
 فأنْتَ بناء الله لم يَبْنِ مثلهُ
 ومعتصم في معقل منك مانع
 علوت برأس في السماء مباعد
 وينساب فيك الماء جذلان لا هيا
 عليك اعتراك للعواصف رائع
 وأنت وقور لم تُرغ من رعوها
 يغيّر مرّ الدهر حيّاً وهامدا
 فيما ملكا بُردُ الجليد كساؤه
 تشاهدُ جيلاً بعد جيلٍ كأنما
 ترى مولى الدولات ثم مماتها
 خلطتُ بك النفس الطموح إلى العلا
 تفكر في عيش القرى والعمائر
 ولكنّها إن لُحِتَ لهو الأصاغر
 قديرٌ ولم تعبث به يدُ جائر
 كما اعتصم الملاح بين الجزائر
 أكيماً تُناجى السحب أم كبر قادر ؟
 وأنا له روعٌ كـروعة هادر
 وبرقٌ ورعد طي سَحَب مواطر
 ولم تنهـيب دورةً للدوائر
 سواك فهل أوقفتَ خطو المقادر
 ومن فوقه تاجُ النجوم الزواهر
 تمرُّ بك الأجيال مرّ العساكر
 وتبصر مجد اليوم بعد الغواير
 ومرأى جلال منك ملء الخواطر

المستقبل^(١)

كهانة

خطراتُ الأحلام ستبقى في الأيام

(١) نشرت بمجلة (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة في عند أول ديسمبر ١٩٢٥ ص ٢٥

أَقْـوَالٌ وَفِـمَالٌ هـى رَهـن الأوهـام
- الآن -

وَيَكُونُ الْمَمْنُوعُ هُوَ حَقٌّ مَسْمُوعُ
وَيَكُونُ الْمَنْبُودُ هُوَ عَرَفٌ مُسْتَبْعُوعُ
- الآن -

وَجْهٌ هَوْدٌ مُشْكُورٌ سَتَفَادَى مَنْكُورٌ
آرَاءٌ وَمَعَانٍ حَبِيبَاتٌ مَسْبُودَةٌ
- الآن -

وَتَرَى فِي الْأَجْيَالِ مِنْ حَالٍ وَمِـيَالٍ
وَسَبِيلًا مَطْرُوقًا كَخَيْـيَالٍ وَمَسْحَالٍ
- الآن -

وَأَمْسُورٌ مَجْهُولٌ سَتَفَادَى مَمْلُوءٌ
مَنْ فَرَطَ الْعَرْفَانَ وَتَرَاهَا مَأْمُوءٌ
- الآن -

خَطَرَاتُ الْأَذْهَانِ وَضُرُوبُ الْعَرْفَانِ
تَهْدَى إِنْ لَمْ تَصْمِ فَتُتَكَاتِ الْإِنْسَانِ
- الآن -

وَوَلُوعٌ بِبِقَاءِ كَكْفِيلٍ بِنَجَاءِ
مَهْمَا صَالَ الْمَوْتَ فِي حَرْبٍ وَعَدَاءِ

حالتان للنفس^(١)

- ١ -

طلب السكينة

يا ليت قلبي غداً خلاً	كـعالمٍ كلّه بحارٌ
على انتفاء الحياة منها	في خضم ماله قرار
فلا مهودٌ ولا قبورٌ	ولا سـفـينٌ ولا منار
ولا حبيبٌ ولا عدوٌ	ولا نموٌ ولا احتضار
ولا رخاءٌ ولا شقاءٌ	ولا رجاءٌ ولا اذكار
أو كان كالنجم في سُرّاه	الوادي السائر المدار
أو كان كالليل في هدوء	يُخال في صمته حوار

- ٢ -

طلب القوة

يا ليت قلبي على أساه	أقوى من الشرّ والشقاء
وليت نفسي على هواها	أقوى من الحبّ والرجاء
وليت لبي على حجاجه	أجلد من غفلة الغباء
لا يضطّنيه عداً عادٍ	وليس يغترُّ بالإخاء
يأخذ صفو الزمان عفواً	ولا يُعنى من القضاء

(١) نشرت بمجلة (المقتطف) عدد أول ديسمبر ١٩٣٥

وليت صبرى على بلاء أشد من أروع البلاء
فداو داء الحياة فينا لو تسعد النفس بالدواء
بالصبر والسعى والأمانى والحلم والعزم والوفاء

عجز التجارب^(١)

ما زاد مر حياتى غير أشجائى فزودتنى رجحانا كنفصان
يا دهر لا تنسنى فى ضيق عادية محاسن العين من صبر وغفران
وقسوتى بتجاربى أزاولها فإنها لم تزدنى غير عرفان
وكيف يلهم خبر صبر مصطفى يمرى له الخبر عرفانا بإيهان
يزيده العمر من وهى ومن كبر ما زاده العمر من خبر بحدثنان
فكيف ينفع تجريب ومناحه يوهى جلادة أعصاب وجثمان
بعض التجارب ينسى ليدكر زمنا إذا تعاور لب المرء ضدان
فإن تيقظ فى تجريب طارقة فإنما هو يقظان كومنان
ضرورة العيش أن ينسى ليدكر ما يغدو يعالج من أمر له ثان
فالمرء ما عاش من حال لثانية منقل بين نسيان ونسيان
فإن تذكر أمرا واحدا أبدا قضى الحياة غريرا جد غفلان
وإن تناس فلا نفع لخبرته وكيف يجديه منسى بغنيان
فإن تذكر منسيا تباده منه فجاءة ما يقضى الجديدان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٧ فى ٩ ديسمبر ١٩٣٥

كأنه مستَجِدُّ لم يَلَمْ به
 وربُّ طبع بلا خُبِرٍ وتجربةٍ
 دُخِرَ التجاربِ دُخْرًا لا رواجَ له
 دُخِرَ الأَقاصيصُ مسحورًا ومختزنًا
 إلَّا تجاربُ علمٍ يستجدُّ بها
 لولا انتفاعُك من عَادٍ مُفضَّلةٍ
 لما خُدَعْتَ بأشباهٍ إذا اختلطت
 والخُبِرُ ليس بِنَافٍ عَادَةً شَنَاتٌ
 يزيدُك الخُبِرُ علمًا بالحياة وما
 حتى تسير على مجرى سجيّتهم
 فإنَّ أبيت سجايا الناس من شمرٍ
 إلَّا إذا ما لبست الدهر عافيةً

ولم يحسُّوْا إلى طبعٍ وديْدَانِ
 أسخى على المرءِ من خُبِرٍ وعرفانٍ
 ولم يخص بأرباحٍ وأثْمَانِ
 فليس للعين منه غير ريعانٍ
 ما يملأ العيش من حسن وإحسانٍ
 قد تجتبيها مع التجريب في آنٍ
 فعادةُ المرءِ والتجريبُ أمرانٍ
 ولا يداوى به من وهى أبدانٍ
 تغرى به الناس من شرٍّ وطغيانٍ
 فلا يزيدك فيها غير إمعانٍ
 قضيت عيشك في همٍّ وأحزانٍ
 فهَيَّاتْ لك من صبرٍ وغفرانٍ

ليلة حوراء^(١)

رقُّ الظلامِ بـلـيلةٍ حوراء كالطرف الكحيلِ
 سحرُ العيون كسحرها بين الشواهد والشكولِ
 هي فتنة الحَدَقِ المـلاح ونعمة الطرف العليلِ
 رقُّ الظلامِ كـأنَّه متفئًا الظل الظليلِ

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) - العدد ١٢٨ في ١٦ ديسمبر ١٩٣٥

فى روضة فينانة هجر الهجير بها المقييل
 وصفنا الدجا فكأنما مزج النهار به الأصل
 فتمازجا كتمازج الماء المصفى والشَّمس
 فى جناحها وصفائها قرن الجليل إلى الجميل
 وتصالحا من بعد ما افترق السبيل عن السبيل
 تحنو علينا مثلما يحنو الخليل على الخليل
 وتخالها حلما بسعد جل عن قيد العقول
 ولرب ليل فسا حمر فيكاد يقطع أو يسيل
 لا مثل ليلتى التى تندى على الوجد الدخيل
 فى سحرها وصفائها ونجومها برة الغليل
 عم السكون كأنه ملك على الدنيا نزيل
 فكأنها رسم بدا وكأنها حلم مخيل
 فى مثلها من هداة سكن القضاء فلا يصول
 وكهداة فى معبد للخاشعين به مشول
 وكأنما أغفى الهواء كغضة الطرف الكليل
 والبسدر طيف فى المناسم يطيف كالحب الوصول
 فى مثلها من ليلة عبد الدنا أهل الحلول
 ورأوا تجلى الله فى كسوف عسراه له ذهول
 والزهر كالمسحور وسنان المحاسن فى ذبول

والنهر غافٍ راكداً نسي الترقُّقَ والمسيل
وسنانٌ يحلم بالرياض وظلّها فيه الظليل
في مثلها من ليلةٍ يقفُ الزمانُ فلا يحول
يُصنِّغني إلى نجوى القلوبِ وذكرها العهدَ المحيل
كوقوف نجم سمائها يثنيه من سحر ذهول
كذهول مسحورٍ بما تجلو من الحلم الجميل
يا ليل بل يا سحر بل يا حلم ليتك لا تزول

الشتاء في إنجلترا^(١)

مقدمة :

يسقط الثلج في إنجلترا شتاءً على شكل حبات الدقيق . فيعلو الأرض والمنازل والأشجار ، فيخيل للرائي كأنما قد كُسيت الدنيا كساء من القطن . وكأن النهار ليلة مقمرة ، وكأنما بياض الثلج من أثر بياض أشعة القمر . وتذكي النار في المواقد في البيوت ، فكأن ألوان النار ألوان الأزهار الزاهية في جنة الربيع ، وتذكي نار المواقد وجنات الوجوه فكأن في المواقد جمرأ وفي الوجوه جمرأ ! وتبحث في القلوب فتري نار الحياة وشرتها ، وتري الحب والآمال لم يغض منها برد الشتاء وتلجه !

(الناظم)

* * *

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٩ ، في ٢٣ ديسمبر ١٩٣٥ .

نَشَرَ الضَّرِيبُ عَلَى البَـمِـيـطَةِ حَلَةً
يَسْعَى عَلَى وَضَحِ النِّهَارِ كَأَنَّمَا
فَكَأَنَّ نَوْرَ البَدْرِ مَا حَلَّى الشَّرَى
غَلَبَ البَيَاضُ عَلَى اصْفِرَارِ أَشْعَةٍ
وَعَلَى المَسَاكِنِ كَسُوءٌ مِنْهُ كَمَا
فَإِذَا مِثَابَهَةُ المَشِيبِ كَدَعْوَةٍ
وَإِذَا اسْتَبْرَاحَ لِمُقَمَّرٍ فِي لَوْنِهِ
وَكَأَنَّمَا فِي عَالَمِ الأَرْوَاحِ يَسْعَى مَنْ سَعَى لَا عَالَمَ الدَّقْعَاءِ
وَكَأَنَّ زَهْرًا أَبْيَضًا غَطَّى الشَّرَى
وَلِكُلِّ لَوْنٍ حَسَنَةٍ كَاللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ أَوْ كَالْقَبْـبَةِ الزَّرْقَاءِ
وَلَرُبَّمَا اخْتَلَفَ الجَمَالُ ، وَفَعَلَهُ
وَإِذَا المَوَاقِدُ فِي البُيُوتِ تَضَاحَكَتْ
خَلَّتِ الرِّبِيعُ سَعَى إِلَيْكَ بِحِفْلِهِ
يَذْكِي الوجوهَ لَهَيْبِهَا فَتَرَاهُمَا
مَا غَضُّ مِنْ دَفْءِ الحَيَاةِ وَنَارِهَا
الحُبُّ وَالْأَمَالُ فَوْقَ مَتُونِهِ
وَالْقَلْبُ قَلْبٌ حَيْثُ كَانَ إِذَا ذَكَتْ

بِـيـضَاءِ تَمَحَّوْ غُبْرَةَ الغُبْرَاءِ
يَسْرَى الفَتَى فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءِ
بِرَوَاءِ تِلْكَ الحَلَّةِ البِـيـضَاءِ
تَهَبُّ النِّهَارُ مِنْ اصْفِرَارِ ذُكَاءِ
تَعْلُو المَفَارِقَ شَيْبَةَ الشَّمْطَاءِ
لِلنَّفْسِ أَنْ تَنْأَى عَنِ الأَهْوَاءِ
رَأَى تَرَى الأَحْلَامَ عَيْنُ الرَّائِي
بِرَوَاءِ ثَوْبِ الرُّوضَةِ الغِنَاءِ
مِثَابَهُ فِي أَخْذَةِ الصَّهْبَاءِ
مِنْ شِدَّةِ الإِيقَادِ وَالْإِذْكَاءِ
وَالنَّارَ زَهْرَ الجَنَّةِ الفِيحَاءِ
جَمْرَيْنِ يَشْتَعْلَانِ فِي الظُّلْمَاءِ
ثَلَجَ الشِّتَاءِ عَلَى ثَرَى الغُبْرَاءِ
كَالحُبِّ وَالْأَمَالِ فِي الصَّحْرَاءِ
نَارُ الشَّبَابِ وَشِرَّةُ الأَحْيَاءِ

بحر الحسد^(١)

مقدمة :

الحياة هي بحر الحسد . ويسعى الناس في الحياة لأرزاقهم وجاههم بالكيد والمكر ، كأنما يسبحون في بحر من الحسد . وقد يدفع بعضهم بعضا كي يظهر الدافع على متون أمواجه . وقد يعين بعضهم بعضا في الأحياء . أما المجاملة في الحياة والتحيات ، فقد تكون أشبه بلألاء الشمس على سطح الماء يخفى بجماله ما في البحر من قبح وبلاء !
(الناظم)

* * *

يسبح الأحياء في بحر الحسد	فاعتصم بالصبر فيه والجلد
واقشعده صهوته مستبشرا	سباحا في الموج منه والزبد
ضاحكا من عنت الأمواج ، لا	يدفع الغائل منها بالكمس
انظر الأمواج في الشط ، تجد	لجها منهزم الأمر بدد
إن علت موجة حقد فاصطبر	أي موج في ذرى اليم خلد ؟
وإذا مارئة لاحت ، فلا	تحسب الرمة فيه كالسند
وإذا لآلت الشمس على اليم	أخفت قبح ما دون الزبد
كمقال الخب يخفى كيده	إن سطا في العيش في لؤم وحقد
وإذا غار بك الماء فسقل :	كم حسام في قراب قد غمد !

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٠ في ٢٠ ديسمبر ١٩٢٥

رُبُّ دَرْ فِ سِيهِ لَا تَأْمَلْهُ إِنَّ مَنْ غَاصَ عَلَى الدَّرِّ وَجَدَ
دَرَّةً مَسْخُوبَةً أَنْتَ إِذَا مَا طَفَا بِاللُّؤْمِ إِنَّ أُغْرِقْتَ وَغَدَ
أَنْجِدِ السَّابِحَ إِنْ حَارَ وَكُنْ لِلَّذِي أَشْفَى عَلَى الْهَلْكِ عَضُدَ
لَيْسَ مَجْدُ الْغَدْرِ أَحْجَى بِالْفَتَى أَيْ مَجْدُ نَالِهِ الْأَوْغَادِ مَجْدُ ؟
أَحْمَقُ النَّاسِ جَهْلُهُ خَائِفُ كُلُّ مَا لَاحَ لَهُ بَرْقُ رَعَسِدِ
لَيْسَ فِي الْعَيْشِ وَلَا الْمَوْتِ أَذَى إِنَّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَرَدَ
لَا يَلْذُ الْمَوْتَ إِلَّا مُسْتَعَبٌ سَهَرَ الْعَيْشِ وَفِي الْمَوْتِ رَقْدُ
رَقْدَةٌ يَا طَيِّبَهَا مِنْ رَقْدَةٍ بَعْدَ أَنْ عَانَى وَأَبْلَى وَسَهْدُ !

الصدى (١)

أَمَازُحُ أَمْ سَاخِرٌ يَا صَدَى تَرَدَّدَ الصَّوْتُ وَلَفْظُ الْمَقَالِ ؟
الصدى : مقال - مقال - مقال !
أَمْ قَائِلٌ ذُو خَبَلٍ لَا يَعَى أَغْرَاهُ بِالْتَرْدِيدِ مَسُّ الْخَبَالِ ؟
الصدى : خبال - خبال - خبال !
أَمْ أَنْتَ طِفْلٌ عَسَابَتْ لَا يَنْى يَلْهُو وَيَحْكِي مَا يَرَى مِنْ فَعَالِ ؟
الصدى : فعال - فعال - فعال !
أَمْ بِيْغَاءُ مَا لَهَا فِطْنَةٌ كَمْ رَدَدَتْ مِنْ حِكْمَةٍ أَوْ مِثَالِ ؟

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) بالقاهرة ، عدد أول يناير ١٩٣٦ السنة الخامسة ص ٤٨

الصدى : مثال - مثال - مثال !

أم أنت روحٌ لا ترى تبتغى أمراً لدى الأحياءِ صعب المنال ؟

الصدى : منال - منال - منال !

أم أنت بعضُ الجنِّ فى خدعةٍ تسكن فى الأطلالِ أو فى الجبال ؟

الصدى : جبال - جبال - جبال !

أم أنت شيخٌ أفنٌ إن سها ردد ما قيل له من مقال ؟

الصدى : مقال - مقال - مقال !

أم كأصمٍ رامٍ إخفاء ما به فلا يطلب رجع السؤال ؟

الصدى : سؤال - سؤال - سؤال !

أم أنت مثل الناسِ فى غيهم كم ردد الجهال قولاً يقال ؟

الصدى : يقال - يقال - يقال !

يخشون إن شذوا بإنكار ما قد ألفوا من ترهات الضلال !

الصدى : ضلال - ضلال - ضلال !

فرددوا بغياً على ألفةٍ بينهم ، أو رددوا من كلال !

الصدى : كلال - كلال - كلال !

فقولهم مثل الصدى رجعة وعيشهم ما بين قيل وقال !

الصدى : وقال - وقال - وقال !

حكيتهم فى عيشهم ساخراً أذلك العيش وعقبى المال !

الصدى : مآل - مآل - مآل !

صمت الشك^(١)

علم أم ضعف ؟

ألا لا أبيعُ العيش مدحاً ولا ذماً
ولا يستقيم القولُ إلا لمنتشٍ
مللتُ أساطير الحياة فإن أفق
حلمتُ بحسن العيش والصدق والنهي
وإن لم يكن عيشُ الفتى حلماً حالماً
فإن شئت كان الشكُّ ضعفاً وخيبةً
وإن كان أصلُ الوحش والناس واحداً
وكيف أرى في مستقبل الدهر للورى
إذا كان صدق الناس كذباً وفضلهم
صحوت كصحو الموت من نوم عيشه
كما يلحق الآسى العليلُ دواءه
وهل ثقةٌ بالعيش والناس تشتري
وإن كان مدح المرء للعيش خشيةً
يسوغ بيان السخط إن كان من هوى الـ
وإلا فإن الصمت أولى بقائل

سكتُ فلا عذراً نطقت ولا لوماً
من العيش والآمال لا من صحاح غما
فمن لى بحلمٍ قد حلمت به قدماً ؟
أمانى لا صماً تبدت ولا بُكماً
فما عذرُ قولى إن حسبتُ الدنى حلماً
وإن شئت كان الشك منطوقه علماً
فلم فقدوا ظلفاً وقد كسبوا لوماً
علاءً ومحياً يجمع الخلق والفهما ؟
رياءً ، وودٌ منهم الغدر والسُّما
أترجعنى للعيش ألغقه رغماً ؟
وإن مجّ منه علقماً قد نبا طعماً
لأنشرها نشرأ وأنظمها نظماً ؟
من اليأس كان المدحُ من وجلٍ ذماً
حياة وإن أغرى بك الأمل الجمأ
إذا قال قولاً جدّد اليأس والهماً

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٢ فى ١٢ يناير ١٩٣٦

على تافسه لا ينقع الدهر غلة
رأيت زوال الكائنات فلا أسى
سيحدث بعد القول قول يُدِيلُه
وما الخلد إلا عِزَّةٌ وطماعة
يكون الفتى فى الياس دهرًا وفى المنى
وقد حلّ بى دهر إذا ما مدحته
وإن لم يُنلِكَ القولُ إلا مَذْمَةٌ
فمن شاء فليَنطق ومن شاء فليكنْ
مللتُ نضالَ الناس فى غير طائلٍ
وكم شَبَّهوا فهما بسهم ومورد
فيا ليت هذا العيش يبدو كصورةٍ
كما تهدأ الهيجاء فى رسم راسم
ترى حسن إحسان وتجويد صانع

ولم يك بين الناس ربحًا ولا غنما
إذا لم أُخَلِّدْ لى مقالًا ولا نظمًا
وإن زال أقوام تجدُ بعدهم قوما
وأنبل كذبٍ يخدع اللب والفهما
(كأرجوحة بين الشقاوة والنعمى)
أظل كحاسى المرُ يفتعل البسما
فمن برّ نفسه أن ترى تركه حزما
صموتا فحسبى أن أرى الحمق والخلما
وإن كان شرًّا يصقل الذهن والفهما
ويأ طالما أشوى الصواب وكم أظما
لعينى أو خطأ على الطرس أو رسما
تراها فلا قتلاً تراها ولا كَلَمًا
وقدرة فنّان وجهدا له ثَمًا

سحر الطبيعة^(١)

كثوسٌ من النور هذى الزهو
وليست بحُلْمٍ ولكنها
وما خلّفت لفنون الخيا
وماء الحياة ونبع الخلو
رأم هى أخيلة الشاعر ؟
أجل من الحُلْم البَـسَاهِرِ
ل فتنة حسن لدى الخابر
د فى مائها السلسل المائر

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٣ فى ٢٠ يناير ١٩٢٦

وعشب قشيب وظلّ ظليل
ومما يزيد رواء الزهور
لقد خفت أن تنطوي مثلما
فأسلمت نفسي لسحر الخيال
وغبتُ عن الحسنِ حسن الوجود
كأنّي نقلت إلى عالم
كأنّي نُقلت إلى جنة
ومما يزيد رواء الزهور

أدنياً أرى أم مُنى الساحر ؟
أذى العيش والقدر الجائر
يزول الخيال عن الناظر
لأخلد في حُسْنِهَا الزاهر
كأنّي روح لدى العابر
سَيُنْشَأُ في الدهر أو غابر
نأتُ عن سطا القدر الدائر
أذى العيش والقدر الحائر

الغابة^(١)

قد حكيت الآباد كالبحر والصحر
وحجبت الأفق البعيد عن
فكأنّ لامدى لدوحك يُرجى
ورياح تشدو على ورق الدو
منطق لم يدع لنفس شجونا
ثم تبدو الغصون في هدأة الري
وكأنّي أصغى إلى غابر الدهر
وكان المساء ظلل دوحا
وكان الظلام دسّ كميناً

راء من طول أرضك الشجراء
الطرف فأنسيت منتهى الأشياء
حين تُدحى مطارح الغبراء
ح بالحنّ شدة أو رخاء
لا يُحاكى صفاتها في الغناء
ح كنّاي معلق بالهواء
ومما كان فيك من أزراء
يتسامى ولات حين مساء
رابضاً في آجامك الدُكْناء

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٢٤ في ٢٧ يناير ١٩٢٦

خَطَرْتُ فِي ظِلَامِ دُوحِكَ أَرْوَا
لَيْثَ الْقُومِ فِيكَ دَهْرًا فَنَاجَا
عُمْدًا شَيَّدُوا وَسَقَفًا لِبَهْرِ
حِينَ شَادُوا لِلدِّينِ بَيْعَةً إِيْمَا
صِرْتُ مَلْهُيٌّ وَكُنْتُ غِيْلًا مَخُوفَا
وَارْتَضَيْتُ الْأَمَانَ مِنْ بَعْدِ دُعْرِ
غَابَةِ شَادَهَا ابْنُ آدَمَ نَزَلَا
رَبَّمَا عَرِشَتْ وَضَاقَتْ فَلَا شَمَّ
وَمَخُوفٍ مِنَ الْفَجَاءَةِ فِيهَا
وَاحْتِيَالٍ لِيُقْنَصَ الرِّزْقُ وَالصَّيِّدُ
كَمْ وَحِيدٌ لَا يَعْرِفُ الْأَنْسَ فِيهَا
ضَاقَ ذُرْعًا بِنَفْسِهِ فَغَدَا يَنْدُ
عَذْبَتَهُ لَوَاحِظَ الشَّمْسِ حَتَّى
وَأَفْسَاعٍ فِي دُورِهَا وَقَرُودِ
وَعَرِيبٍ وَمُسْعَدٍ وَطَرِيدِ
فَكَأَنَّ الْأَقْوَامَ لَمْ يَخْرُجُوا مِنْكَ
سُنَّةً قَدْ سَنَنْتَهَا فِي نَفُوسِ

حُ وَنَاجَتْ مَسَامِعُ الْقَدَمَاءِ
هُمْ سَرَارُ الْفَنُونِ بِالْإِيْحَاءِ
وَاسْتَمَدُّوا مِنْ غَابَةِ وَسَمَاءِ
نِ تَبَّدَتْ كَالْغَابَةِ الْإِفْهَاءِ
وَمَلَاذَ اللَّصِصِ وَصُورِ الطَّرْدَاءِ
لَمْ يَزَلْ فِي الْمَدِينَةِ الشَّمَاءِ
دُوحَهَا مِنْ قَصُورِهَا الزَّهْرَاءِ
سُ لَدَيْهَا وَلَا مِرَاحُ الْهَوَاءِ
كَمَخُوفٍ فِي الْغَابَةِ الْقَتْمَاءِ
سَوَاءٍ فِي مَكْرَةٍ كَسَوَاءِ
أَصْبَحَتْ نَفْسُهُ كَقَفْرِ خَلَاءِ
شُدُّ طِيًّا فِي مَعْرِضِ الْأَحْيَاءِ
أَخَذَتْهُ لَوَاعِجُ الظُّلُمَاءِ
وَوَحُوشٌ مِنْ نَاسِهَا بِالْعَرَاءِ
قَدْ عَدَاهُ حَتَّى خَدَاعِ الرَّجَاءِ
وَلَا زَالَ عَنْهُدُكَ الْمُتَنَائِي
إِنْ دَعَتْهَا كَانَتْ جَوَابَ النَّدَاءِ

الحق والحسن^(١)

عصيت الحسن من همّ ونحس
وقلتُ الحق خير منه عقيبى
وقلتُ أيا رُواء الزهر بُعِدا
ويا مُلح الخُمائل لا تكونى
ويا شمس اخبئى ضوءاً صبيحاً
أليس الناس فى عنتٍ وشُرٍّ
سلى أهل الشقاء ومآدهام
رمى بالنسل للآفات طُراً
وقالوا النسل فرضٌ أى فرضٍ
ديار النحس كالجنات حُسناً
ورنق من مناقع آسنان
وحيث ترى نعيم الحسن داء
وهل ترجوه لاستصلاح أمر
فإن الحسن يلهى المرء عما
ولولا سلوة للحسن ، عيقت
فقال الحسن هل أنا غير سلوى
أنا الأمل الذى لولاه كانت

ينيخ على الورى فى الطارقات
وأولى بالنفوس الساميات
ويا سحر العيون الساحرات
حبائل قانصات آخذات
يفازل حسنه حسن النبات
سلى الأيتام والمتسرملات
وهل طابت لهم خدع الحياة
نشاوى لذّة لا الواجبات
جديرٌ بالنفوس المؤمنات ؟
لدى العشاق فيها والهواة
ألذّ مع الغرام من الفرات
ترى فقد النفوس الأبيات
صرّيع عقار حسن الفاتات
يحاول من صلاح الحادثات
حياة فى حضيض الهاويات
تعين على كفاح النائبات
حياة المرء شراً من ممات

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » - عدد أول فبراير ١٩٣٦

أنا الحقُّ الذى تبغى جداه	وتنشد كونه فى الكائنات
أنا المثل الأجلّ ، إلى مَرَقى	خُطا الراقين من ماضٍ وآت
أنا الحادى الذى يحدو نفوسا	فتطرب طربة المستوقرات
أنا الصبر الذى يودى بنحس	ويسعد فى الهموم المضنيات
أنا الحبُّ الذى لولاه كُانت	وجوه الكون أشبه بالرفات
فلَمّا أن تبدى منه سحر	أضاء بنوره وجه الحياة
ولمّا أن تبدى منه سحر	أعاد النفس فى مثل السُّبات
خشعت وما ملكت قياد نفسى	وقلت : الحقُّ حُسنٌ لو يؤاتى
وإن لم يزو نفس المرء عما	يحاول من صلاح الحادثات

ما وراء الأمن^(١)

« ولكن ما وراءك يا عصام ؟ »

(شاعر قديم)

أما فكَر هذا النّا	سُكّم من قاتلٍ عاتى
لو أن لكلّ ذى حقدٍ	مناه فى الرممسايات
لو أن الأمرَ فوضى لا	حسيب على الجريرات
لكان الأمر ما كان	قد يما فى البداوات
إذ الأشـره فى الأرحـ	م مقضى المشيئات
ودامى النّاب من لحم	أخيه أو السخيمات

(١) نشرت بمجلة « بالمجلة الجديدة » بالقاهرة عدد أو فبراير ١٩٢٥ ص ١١ .

وغير الناس ما يخذ	عُ من بذل المروءات
وغير الأمن والسلام	وآيات السموات
ومن يصغي لآيات	وأرواح رحيمات
وخلف الأمن والسلام	كحرب الذئب والشاة
قتال بالنكايات	وأخر بالسعيات
وبالكذب وباللؤم	وأرجاس الغريزات
سلاح كل ما أسعد	ف في حرب المباراة
ولو تقتل الحساظ	نمت قتلى العداوات
أسهم ما بدا في اللح	ظ أم سهم الحزازات
وقسوم الزمن الماضي	كقسوم الزمن الآتي

* * *

سألت الله أن يخلد	ف ظنى عند مسيقات
بأن يخلد أقواماً	كراماً في السجيات
فمن فجار مهواة	إلى أظهار مرقاة
ومن رجس المباراة	إلى طهر المؤاخاة

نذالة التعاسة^(١)

كدت أنسى دواعي الرفق مما	قد أرثنى نذالة التّعساء
يقضمون اليد التي تنتحيهم	بسساء ونجسدة وإخاء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٢٦ في ١٠ فبراير ١٩٢٦ .

ويكيدون في الخفاء أو الجَهْ
عشش اللؤم حيثما عشش البؤ
ليس بدعاً ، أليس ما نغص العبد
كل قلب تبیت من حسك البؤ
يتلظى شراً ويرشح غدرًا
يلؤم المرء وهو غير شقي
ليزيدنه اغتيالاً وحقدًا
وسُعَارًا لو أنه نال من أر
وهو غلّ لو حاق بالشمس أمسى
ليس شر البأساء قصرًا على النحر
وحقودٍ وخسّةٍ وسعار
تفسد الأنفس الكرائم حتى
ضاع عطف الرحيم إذ ضاع حسن الـ
وعظيم ما أفسد النحس من خلد
كم شقاء يمضي وفي النفس منه
من عوادي سخائم لست تدري
أم هي النفس سقمها مثل سقم الـ
مثل ذل الشعوب خلف لؤما
وصفات الشعب الضعيف لتلفى
من رياء وإحنة واحتيال
شيم يدرأ الدليل بها من
أصبحت شيمة النفوس وإن لم

رة أَلِئِم بِجَهَرِهِم وَالْخَفَاءِ
س سوى في القليل من كرماء
ش من البؤس باعث الشحناء
س مليئاً بخسّة الأدياء
ويُداجى خوفًا بشوب رياء
كيف ينأى عن لؤمه في الشقاء
وافتراساً على حطام الرّخاء
ضِ الْجُنَّتْ زَلالزل الغسبراء
مثل ذرّ الرماد وجهه ذكاء
س ولكن كم أشعلت من عداء
واغتتيال ومكرة ورياء
تغتدى مثل أنفس اللؤماء
خلق في خيم أنفُسِ التعساء
ق هضم ورحمة الرحماء
أثر واضح لغفـير فناء
هي بالمرء علة الأدواء
جِسْم من إحنة ومن شحناء
بَعْدَ فَوْتٍ من عهده وانتهاء
في جسومٍ صحيحةٍ أقوياء
وتعادي تخاذلٍ وافتراء
عجزه سطوة من الأعداء
يك ذل ولم يكن من عداء

فسمتني يلبس الخلائق طراً طيب نفس في شملة النعماء ؟
ليس إلا بها نجاء نفوس الـ ناس طراً من خسة الغبراء
فاطلبته فيها وإلا فدع نشد ان أمر بغير داعي الرجاء

بين الثريا والثرى^(١)

الحمل الجدى والسرطان : هي الأبراج المعروفة بهذه الأسماء ، والمعنى هو أن
الشباب لا يهتم بما يخبئ له القدر ؛ كما يهتم من يرصد الأفلاك والأبراج ليعرف منها
ما يُخبئ له القدر .
(الناظم)

١ - الشباب

تذكرني الشباب وقد علونا به فوق المجسرة والنجوم
ونحن الخالدون وكان حقاً خلواً الخالدين من الهموم
سوى الحزن الذي عقباه ضحكٌ يرنّ صدهاء في ضحك الهزيم^(٢)
وطئنا فوق أطلال الدراري وأشرفنا على بيد السديم
فلا حملٌ ولا جدى رقىنا ولا السرطان ذو البرج العظيم
وما من صولة الأقدار خفنا ولا لاحت لنا مثل الغسيم
بأرواح لها في الأفق مسمى وتحلىق على العيش البهيم

(١) نشرت بمجلة الرسالة - العدد ١٢٧ في ١٧ فبراير ١٩٢٦

(٢) ضحك الهزيم : يُراد به صوت الرعد .

رَكَّضْنَا فِي السَّمَاءِ لِكُلِّ نَجْمٍ
وَحَوَّلْنَا وَجْهَ الْكَوْنِ كَأَسَا
وَلَمْ نَعْبَأْ بِمَا تُخْفِي اللَّيَالِي
وَأَسْلَفْنَا الزَّمَانَ نَعِيمَ عَيْشٍ
وَكُنَّا فِي اثْتِلَافِ الشَّمْلِ نَحْكِي
حُنُوءَ الطَّيْرِ لِلزَّهْرِ الْعَمِيمِ
حَسَوْنَاهَا وَلَمْ تَكْ مِنْ كَرُومٍ
وَلَمْ نَخْشَ الْمَنِيَّةَ فِي الْهَجُومِ
وَلَمْ نَحْذَرْ مَقَاضَاةَ الْغَرِيمِ
نَظَامَ الشَّهَبِ وَالذَّرِّ النَّظِيمِ

٢ - المشيب

سَكَّنَا الْأَرْضَ بَعْدَ الْأَفْقِ دَارَا
وَأَفْهَمْنَا الْقَضَاءَ وَمَا فَهَمْنَا
وَكُسِّرَتِ الْقَوَادِمُ وَالْخَوَافِي
صَحَّوْنَا لِلْحَيَاةِ وَمَا تَرَاهِ
فَمَنْ حَازِرٍ إِلَى بَخْلِ وَذُلٍّ
أَطْلَ الْمَوْتَ مِنْ كَثَبِ عَلَيْنَا
تُرَوُّعَنَا الصَّرُوفِ بِكُلِّ خَطْبٍ
وَضَاعَتِ جِدَّةُ الدُّنْيَا وَصَارَتْ
يَحْأَرِبُنَا التَّذَكُّرُ وَالتَّمْنَى
وَقَدْ مَا قَدْ نَعَمْنَا بِالتَّمْنَى
وَلَيْتَ الذِّكْرَ ، وَهُوَ نَذِيرُ شَجْوِ
سَنَنْسَى أَنَّنَا كُنَّا قَدِيمَا
وَأَنْزَلْنَا إِلَى بَطْنِ الْأَدِيمِ
وَقُلْ مَا شِئْتُ فِي لَغْوِ الْعَلِيمِ
وَهِيضَ الْعَظْمِ فِي الْجِسْمِ الْكَلِيمِ
مِنْ الْخَلْقِ الْمُقْبَحِ وَالذَّمِيمِ
وَسَوْءَ الظَّنِّ بِالْخَلِّ الْحَمِيمِ
وِظِلُّ الْمَوْتِ أَصْبَحَ كَالنَّدِيمِ
وَخَطْبُ الْمَوْتِ أَهْوَنُ لِلْفَهِيمِ
كَأَطْمَارٍ عَلَى جِسْمِ الْعَدِيمِ
كَلَّا الْأَمْرَيْنِ يُفْضَى لِلْهَمِيمِ
وَأَمَلْنَا الْخُلُودَ عَلَى النِّعَمِ
يَدُومُ بِرُوقَةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
عَلَى هَامِ الشَّرِيَا وَالنَّجْمِ

بيان ماض وحاضر^(١)

أنشودة

عهدى بالعيش على رَغْدٍ	عذباً كالماءِ حَسَاهُ صدى
نغمٌ والدهر يُوقِّعُهُ	يسرى كالنَّشْوَةِ فى الجسدِ
يالىت الدهر كمن يشدو	بأغـانٍ إن يُطربُ يزدِ
إن قلتُ أعدْ نغمى عادت	كترنم ذى النغمِ القردِ
حسناات كنت بها ثملاً	ذهبتُ فى الدهر فلم تُعدِ
آمالٌ كنت بها شغفاً	نظرَ الولهـانِ إلى الخـردِ
أحلامٌ كنت بها جـذلاً	قصد شحَّ النوم ولم تجـدِ
وشباب ذقت به خلداً	فى طرفـة عينٍ من أبـدِ
لو دام دوام الخلد لما	نقع الظمآن من الصَّفـدِ
لو عباد بذلتُ له ذخرى	من مُطرَ فى أو مُـتـلدى
بشعاعٍ منه أعيش مدى	دفعاً للشـمس على بُعدِ
آبَ التذكُّارُ له شبحاً	أو قَبِراً شـيدَ لمُفتَقـدِ
مما خَلَّفَ لى دهرٌ ثِقـةً	بمآلِ فـيـه أو أحـدِ
يانبـع الماضى لو عـساد الـ	ورأدُ إليك على جـددِ

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ١٢٨ فى ٢٤ فبراير ١٩٢٦ .

لرجعتُ إليك رجوعَ صدِّ لم ينهلُ قسبُ ولم يردِّ
وغداً ماذا يادهرُ ترى قد قَدَّرَ لي بضمير غد ؟

صور الصداقة والعداوة^(١)

وفى غادرٌ سمحٌ حقود
أمدحك لي انتقام من عدو
وفاؤك كي أبادلك التّحايا
وكيما أضطلي وأشنّ حربا
أتخدعني ولم تلحق بسني
وتمدق لي إخاءك مدق حقد
تجاربنى وتحسب أن ستخفي،
كشأن نعامه للرأس تخفي
ولست بأول المُخَفِّين بُغْضاً
عرفتُ الناس قبلك يا خليلي
فإن كان الولاء كما أراه
وبُعْداً للمسديح وإن تغالى
سل الخلان ما فعلوا بقلبي

أرى الأضدادَ فيك إلى لقاء
أساءَ إليك أم محض الثناء
أذا سببُ التقرب والتنائي ؟
على من مدحه لك كالهجاء
ولم تظفر بخبري أو بلائي ؟
على وما أصبتك بالعداء^(٢)
عداؤك ليس يظفر بالخفاء
وتحسب ما لها في الناس رائى
نما بين المحبّة والإخاء
وذقتُ الغدر من حلو الوفاء
فسويلى من وفائك والولاء
وسُحقاً للمروءة والصفاء
وهل أبقوا الشدقك من غداء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٠ في ١٦ مارس ١٩٣٦

(٢) بمنق الإخاء : أى لا يخلص .

وهل أبقيوا لبطنك منه شلوا
أعيذك أن أراك شبيه قوم
وهم فقيدوه من ذل وعار
وكم أخفوا رجاوتهم بهجر
وهم مثل الهلوك رمت رجالاً
على الأبواب واقففة تنزى
وتحسب أنها نفضت خناها
فلا يعديك خلقهم فيانى
صفحت ولو أردت بلغت تارى
فإن يابوا وإن تابى سكوتى
ولا عليك بين الناس خفضى
لتنزلنى إلى حيث استقرت
تخبرنى اللحاظ بغل قوم
وكنت أظنه حسداً لقولى
ولو سمعوا بموتى ما استراحوا
أرادوا إلى الممسات ولو دهانى
فلا يرضيهم عيشى رخيلاً
وفى الدنيا الدنيئة هان سمح
إذا ما أخرجوا سمحاً كريماً
دعونى صامتاً فالصمت أوقى

مسيراً لا يساغ على عداء ؟
رجولة بعضهم فقد الحياء
وهم فقيدوه من فقد الإباء
كمن فقد الحياء من النساء
بما قد صح فيها من هجاء
وترمى القسوم من دان ونائى
كجلد الكلب هز لنفض ماء
رأيت الخلق يعدى كالوباء
وقد عرف اقتدارى فى الرماء
فما صمتى بغير الأدعياء
ولم تبعد بأفكك عن مسائى
بك الدنيا تفتن فى العداء
على ما نلت من فرص الرخاء
فخلت الصمت أقرب للنجاء
ولا يشفى حقودهم فنائى !
لفرط الحق قد أحسد للفناء !
ولا يرضيهم منى عفسائى
تعالى عن سلاح الأدنياء
تدرع بالقسواذع فى الرماء
لكم إن لم تصولوا بالغيباء

أداجى الناسَ ما داجوا وإنى
ولكن الحياة لها قضاء
وما أدرى لدن ألقى عدواً
أخوفاً أذى أخو دهاء
أتمق وعده بالخير إتما
أسعى سعيه أم قول واش
أرجاه مُرجى الخوف منى
أعدوى فى التثاؤب من كسول
أرشح اللؤم فى رهط وضيع
ومن عرف الأنام رأى أمورا
أراها كلها صورا تنزى
سراب لست أتبعه فإخشى
أنا المرء الذى عرف البرايا
ومن خبر الأنام لصنع فن
تراموا بالهجاء فإن أصابوا
أليس الرهط فردا ثم فردا
نعمتُم رهطكم لما نعمتُم
نفوسكم معرة كل رهط
ومهزلة المكارم والمعالي
لعلكم حسبتُم كل شر

لأزهد فى الدهان وفى الرياء
فمن ياباه يزهد فى البقاء
أبلى أم تباليه بالعداء ؟
أخوفاً ذكائى واعتلاى ؟
تمادى من تمادى فى الجفاء ؟
يحكمه المحكم فى الخفاء ؟
ضلالاً نيل عونى أو ثنائى ؟
كعدوى فى العداوة والإخاء ؟
يفيض بما يشاء من الأداء ؟
مرعبة كرميلة الكساء^(١)
تنزى الآل فى الخرق الخواء
هلاكاً لا ، ولا هو من رجائى
فلا يردى لعدا أو لشائى
فكل الخلق من صور الأداء
فرهطهم الملطخ بالهجاء
وأوصافاً لها عدوى الوباء ؟
نفوسكم بأضرار الرماء
ومدرجة الشعوب إلى الفناء
وهل لؤم يثول إلى علا ؟
إلى عود بخير وانتحاء

(١) الرملة : الثوب البالى .

الهاربون من القضاء^(١)

أتظُلُّ موهونَ الجنانَ مروّعا
تخشى الحياة ولست تخشى ميتة
قلقاً تطلّ على الحياة كأنما
تخشى الحياة وكذبها وسفالها
والحيّ يأكل من حياة مثيله
وتطاول المغمور ينحو نابها
متشبثاً منه بعِطْفَى سابع
كلُّ يخال الدهر إن هو عاقه
والموتُ يعصف بالدهور وأهلها
فعلام تخضع للتناكص والأسى
والقلب يلمسه الأسى فيهزه
وعلام ترتقبُ الزمان وصرفه
عمرى لو ان الغيب عاجل وانقضى
فمتى ترى صور الحياة صحائفاً
لا إنها أمرٌ تُزاولُ صرفه
أو تغتدى بين الأنام مغموراً
فإذا أسيت أسيت طرفه ناظر

قلقاً من الآفات والأفسار
هبها نصيب الموت فى الإصغار
منها وقفت على الشفير الهارى
وصيالها فى قسوة الغدار
لحس الضواري للدم المدرار
كتطاول الغرقان فى التيار
ليجره لمهالك وبوار
خطب الجميع بقاصم الأعمار
فكأنها صور الخيال السارى
وتخاف حكم الله فى المقدار
وكان أنه وترٌ من الأوتار
والغيبُ وهو مُحجَّبٌ متواري
لقراءته خبراً من الأخبار
وكانها سفر من الأسفار
وتظّل تعدو منه فى مضمار
تسعى على سنن لهم وشعار
وإذا نسيت نسيت كل عثار

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤١ فى ١٦ مارس ١٩٢٦ .

وكذبت ما كذب الأنام ولم تجد
ونسيت ما جلب الزمان لأهله
فتقول للقلب المروع إذا نزا
يا هارباً من صولة المقدار
اهرب إذا ما استطعت في أزل الدنى
أو في الممات وما تلاقى خلفه
تعدو ويدركك الذي خلفته
كل من العيش المروع هارب
بالفن أو بالعلم أو بمجانة
فإذا القضاء مآلهم ونفاذه
سل صفحة التاريخ كم قوم به
أقوام أدهار مضت بعض لها
قد أبدلوا طبع السفال بأنفس
صاروا إذا غضبوا وإن سرّوا وإن
يتمرغون مجانة فنفسهم
وصموا الشباب ولم يكن من طبعه
إن الشباب مروءة وسذاجة
تخذوا السفال مجنّهم ليصونهم
فغدا السفال سعادة ومسرة
نبذوا الحياء وكيف ترجو أمة

في قسوة من خسة وشنار
من محنة أو مهلك ودمار
حذر الحياة وصولة الأشرار:
أترك تفلت من يد الأقدار!
أو في مسدى الآباد والأدهار
بين الفناء ومعقل الأسرار
كالليل ليس يفر منه السارى
لو فساد خلق في الدنى بفرار
أو بالسطا والجند والأنصار
كحصار كل وسائل المختار
أجراه مجرى الدهر في مضمار
ذكرى وبعض مالها من دارى
من طبعها المتصاعد السوار
درجوا لأمير ثالث بمدار
وجسومهم كمزابل الأقدار
خلق اللئيم العاجز الغدار
وترفع ينبو عن الأوضار
من صولة الغلاب والمغوار
عبث الخنا ومجانة الفجار
للنائبات مجانة العهار

قد خيلَ في فقدِ الحياة رجولة
طبعُ المجانة عمَّ حتى خلته
أم ورثوه عن الجدود غنيمه
ويذل من عنت الحياة وضميمها
وتكايدوا كيد العبيد ولم يكن
واستمرءوا مرعى الغباوة والخنا
هزموا الدهور الغازيات بهزلهم
فإذا الدهور جديدة قهَّارة
درجوا على درج الحياة إلى الردى

فقدُ الحياء رجولة الدُّعار
كيداً يحاك عليهم بسرار
يطفرو الذليل بها على الأقدار
بسعادة التجان والفجار
كتنابذ بطبائع الأحرار
إلف السجون لطول عهد إيسار
فمضت وظلوا رهن عقر الدار
وإذا اللئام فريسة الأدهار
من بعد جهل راقهم وصغار

صديق البلاء^(١)

يغدرُ الناس في الشقاء ولكن
إن تفسدْ نعممةً على تلظى
فإذا الدهرُ مال بي كان بكاء
المواسى في الحزن حتى إذا ما
في سقامي حلو الحديث شهى
فإذا ماصححتْ عاودَ بغضى
لدهاه الأسى وطال عليه الـ
إن هجاني العدو أحسن قولاً

عذره في الرخاء لا في الشقاء
حسداً لي وكان من أعدائي
ء على مسحنتي وطول بلائي
كنت في غبطة سطا بالعداء
وهو يرجو أن لو يُخلدْ دائي
ويله لو أعدُّ في الأقوياء
هم حتى يموت بالبرحاء
دافعاً فريّة العدا بالثناء

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٢ في ٢٣ مارس ١٩٢٦ .

فإذا ما مُدِحَتْ هَمَّ بِقَتْلِي
يا صديقَ البلاء عطفُك في النحر
إليه يا قلب ما دهاك من الخـ
خلت أن الصديق مثل نسيم
لا تنال الحياة إن لم تنله
إن تقدّمت لا يعسوقك منه
ويعى ما تقوله ثم لا يـ
من مديح تطرى به مجدك الأمـ
إن تُردّه تجدّه أو لم تردّه
ما اختفى في دخيلة منه إلا
ويك إن النسيم قد يُرمد الطر
وهو مثل الصديق حراً وبردا
وله عذره إذا اعتكر الجـ
وعلى غيرة يبلّك بالمطـ
وهو خدن الممات واسطة العد

ورماني بقذعه والهجاء
س رياء أبغض به من رياء
لأن أدهى من صولة الأعداء
نافع لازم قليل العناء
بره كالإخاء خير غذاء
عائق في منادح الأرجاء
بث حثى يذيع في الأنحاء
جـد أولبك السنن الذكاء
لم تخف منه زورة الثقلاء
ما بدا ظافراً به كل رائى
ف بسا في التراب والأقذاء
في اختلاف الحالات والأجواء
وأنحى بالصّرصر الهوجاء
رة من بعد رونق وصفاء
وى رسول الوباء والأدواء

عجائب ما لوفة^(١)

اليس عجيباً أن أحد بميتة
ورأى أتى للخلود نظير؟

(١) نشرت (بالمجلة الجديدة) في أول أبريل ١٩٣٦ من ٦٠ .

وإننى أقضى العمر فى جدّ أمل
وإن دهوراً بعدنا ، ثم بعدها
وإن على هذا الثرى عاش قبلنا
ولست ترى من لا يرى أن نفسه
فلم يُجده إغزازه النفس إن دنا
ويعلم كلّ الناس هذا ولم يكن
وأن ارتضى للطرس ما أنا قائل
وأغضبُ إما سبنى فمُ هالك
وأرهب صرف الدهر فى كل طارقٍ
وأعلم لا يبقى سرور ولا أسى
أليس عجيباً أننى اليوم عاجب
وأن لا أرى الشرّ الذى لا يمسنى
وإن كان علمٌ فهو أنى أخاله
وأنكر ما قد كنت فى السعد مادحاً
أليس عجيباً أن تناط بمعجبٍ
وإنّ وجوه الكون فكرة ناظر
وأبغى صلاح الكون والناس مثلما
كأنى خلقت الكائنات وأننى

وأعلم أنى للفتاء أسيرُ
دهور ، توالى بعدهن دهور
شقى بما نسعى له وأسير
لباب لهذا الكون وهو قشور
رداه فلم ينجد عليه نصير
ليردع عن بغى الحياة مغير
وإن راعنى أن الحياة غرور
وأعلم ما يؤذى الغداة هرير
وأعلم أن الدائرات تدور
أحلّ حبيبور أم أناخ ثيبور
وعلى حياة ما حكاه سمير ؟
وأحسب أنى عالمٌ وخبير
دهانى وإلا فالبعيد يسير
به الناس إلا أن يعود حبيبور
من الرأى والمزجى الفعال شعور ؟
سيفنى ، وكنه الكائنات ستير
مضى فى بناء مالك وأجير
على الناس قاضٍ حاكمٌ وأمير !

عند بحر موسى شتاء^(١)

كمّ خشع العابر من قبلنا
أو في مساءٍ إذ تُرى ظلمة
وربما كنّا الألى قد مضوا
وما الذى ينأى بنا عنهم
كم منظرٍ تحسب إمّا بدا
أنك - والقلبُ خبيرٌ به -
الدوحُ كالمفكر فى هدأة
أو ثاكلات طال ثكلٌ بها
أو صممت من طولٍ ما عمّرت
والنهر كالزئبق فى لمعة
عهده فى صيفه لؤلؤا
والسحب كالأشجار قد عرّشت
أو قطع من حلم غامضٍ
والجسود قد روع من قره
أنفاس ثغر الموت فى قره
والأرض غبراء سوى ما بدا
كأنما الدجن غدا تُربها

على ضفافِ النهر وقت الأصيل
قد عشّشت فى الدوح دوحا كفيل
وإن نأى الظنّ وعزّ الدليل
من منظرٍ أو خاطرٍ أو ميول؟
من أخذة الفكر ووهم الذهول
أجلت قدما فيه لحظ المجيل
إذ سكن الجوّ سكون الكهول
فسكّنت من شجوها والعويل
كصمّة الشيخ الوقور الجليل
وركّدة ما إن بها من مسيل
لو أن للؤلؤ سَيْلاً يسيل
فى الأفق تبدو مثل ظلٍ ظليل
أو كمشار النقع أو كالطلول
كأنه قرّمات يصول
تخرج من ثغر لجسمٍ محيل
من عشها منتثرا كالفلول
وتربها الجهم كدجنٍ سدّيل

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٤ فى ٦ أبريل ١٩٣٦
وبحر موسى : ترعة كبيرة تمر بالزقازيق ومديرية الشرقية فى مصر .

فى صيفها ، واللون غير القليل
زاهية الأصباغ شتى الذبول
وهو كعقب العرس حتم البديل
وفى الشتاء الحُسْنُ جم الفصول
لكنه زاد جلال الجميل
كرهبة البرق وعادى السّيول

قرب الموتى^(١)

قُومى اسألى عن أليف الهمّ والسهرِ
لو كانَ للميت من شوقٍ ومن ذكرِ
كالطير تهبط فوق الوكر فى الشجرِ
ورحلة العيش تحكى رحلة السفرِ
وتشعر النفس طهرًا ليس فى السيرِ
ياشراً ما خَلَفَ الأحباب من نفرِ
إذا عداك الردى عن مهبط البشرِ
لا بل غرار فؤادٍ غير ذى نُكرِ
وقُدُسِ طهرٍ كصون المرء للذخرِ
على الدنى وهى من ضيرٍ ومن أشرِ

تشابهتْ فى اللونِ عهدي بها
عهدى بها كالحود فى غرسها
خيلَ حداداً إذ دَجَا لونها
خلاعة للصّيف خلافة
تباينَ الحُسْنان فى روقه
كم متعة جاءت بها رهبةٌ

يارُوحَ إلف أليف الموت والحفرِ
أو فابعثى هاتفاً بالليل يُؤنسنى
وَحَلَّقَى فوق قوم كنت زينتهم
فإنَّ نورك نور النجم يرشدنا
أو كالملائك تهدى وهى خافية
عجزٌ عن الشرِّ لم أبصره فى نفرِ
غرارة ربما لو عشت ما بقيت
هل تلك طبع الصبا تودى الحياة به
فصانك الله فى أمن وفى كنفِ
كأنما أنتِ ذخراً لا يجود به

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ١٤٥ فى ١٣ أبريل ١٩٢٦

ما أقرب الميت من حى وإن بعدت
 إن الأولى خلفونا بعدهم ومضوا
 هم فى الأماني والأرواح والذكري
 فكيف تجزع من فقد وما انتقلوا
 يا قرب دارهم من واصل لهم
 ووحشة النفس من حى يغايرها
 من حاضرين وإن ماتوا وإن بعدوا
 ورب ذكرى تعيد الميت فى شبح
 ماضٍ من الدهر والأقوام يُخبرنا

مكانة بين هذا الورد والصدر
 ما خلفونا وإن غابوا عن النظر
 منا وفى القلب والأشجان والفكر
 إلا إلى النفس حرزاً ريم من غير
 بالنفس إن لم يكن بالعين والأثر
 أشد من وحشة فى السمع والبصر
 وإن غدوا كحديث الركب والسمير
 يكاد يلمس لولا رادع الحذر
 أن لا مسافة بين المهد والخفر

نحن والزمن^(١)

مقدمة:

الزمن كما يفهمه الإنسان فكرة من أفكاره ، ونسبة ومقياس من صنعه ،
 فهو يقيسه بإحساسه بأمور نفسه ، وبالمرئيات والمحسوسات وما يعترىها من
 تحول ، وفكرة الزمن هذه أمر نسبي شأنها شأن الإحساس بالحرارة والبرودة ،
 أو بالأبعاد والحجوم والألوان والأشكال ، ومن المستطاع أن يتصور العقل
 مخلوقاً آخر غير الإنسان يختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه الأمور فى
 نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى حواسه ، فتختلف كل هذه
 الأمور فى نظره عنها فى نظر الإنسان ، وهى أيضاً قد تختلف فى نظر الإنسان

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) فى ٤ مايو ١٩٣٥ - العدد ١٤٨

فى حالاته المختلفة من شقاء أو سعادة ، أو مرض أو صحة ، والعجيب أن الإنسان فى خياله ينسب إلى الدهر مثل هرمه لقدمه ، فيصوره كأنه شيخ مُفْن فى يده منجل ، يحصد به الناس والخلقة ، جيلاً بعد جيل ، والدهر خَلِيق أن يُمثل بفتى فى ريعان الشباب !

فالإنسان يهرم ، والدول تشيخ وتفنى ، والأجيال تنقرض ، والدهر هو الدهر . ومن أجل ذلك تصور بعض المفكرين الدهر كأنه زمن حاضر لا ماضى فيه ولا مستقبل ، وأما الماضى والمستقبل فى الناس ، والحقيقة أن هذه الفكرة فى كنه الزمن لا تختلف عن الأولى ما دام الزمن نسبة يقيسها الإنسان بإحساسه . وإذا كان الزمن كذلك فمعاداة الناس للزمن معاداة لأنفسهم ، ونسبتهم الحيف والظلم إليه هى نسبة الظلم إلى أنفسهم ! (الناظم)

* * *

ينشد البحر خرير الحقب	أم خُفُوقُ القلب نَبْضُ الزمن ^(١)
أم ترى الأفلاك فى دوراتها	رتلتُ منه خُففى اللَّحْنِ ؟
فرش الناس له منهم وجوهاً	خَدَّدَ الدهرُ بها ما خَدَّدَا
أثر فى سيره من قدم	جَعَّدَتْ ما كان بَضًّا أمرداً ^(٢)
زعم الناس إذا أمضاهم الـ	لدهر أن أمضوا من الدهر سنين

(١) فى البيت تشبيه للدهر بالبحر ، وكأن له خريراً من تعاقب أجياله كخرير البحر من تعاقب أمواجه ، وكأن الدهر أيضاً قلب ، نبضاته كدقات الساعة التى يقاس بها الزمن ، أو كنبضات قلب الإنسان الذى يقاس الزمن بإحساسه . (الناظم)

(٢) كأن أخاديد التجعد فى وجه الإنسان آثار قدم الدهر ، وهى كثار قدم الإنسان فى الرمال .

يَسْتَطِيعُ الْبَذْلَ مَنْ يَقْوَى عَلَى
كَمْ مَلُوكٍ وَدَّهْمٌ لَوْ تُشْتَرَى
سَنَةً ، أَوْ سَاعَةً ، أَوْ طَرْفَةً ،
إِيَّاهُ يَا دَهْرُ لَقَدْ شَاطَرَكَ الـ
أَرْدَهُ يَا دَهْرُ وَاعْقَدْ غَيْرَهُ
كَمْ شَقِيٌّ أَبْطَأَ الْمَوْتُ لَهُ
سَلَّمَ الدَّهْرُ عَلَيْهِ مَثْقَلًا
وَسَعِيدٌ يَجْتَنِي مِنْ عَيْشِهِ
فَسَوَاءٌ مُتَّعَسٌ أَوْ مُسْعَدٌ
نَحْنُ نَبْغِي مِنْ زَمَانٍ فُسْحَةً
لَوْ يَعُودُ الدَّهْرُ مُرْدُودِ الْخُطَى
وَصَفُّوا الدَّهْرَ بِشَيْخٍ حَاصِدٍ
وَهَمُّوا فِي شَيْبٍ دَهْرٍ يَافِعٍ
يَسْرِقُ الدَّهْرُ بِهِاءَ رَائِعاً
فَهُوَ كَالرَّسَامِ يَمْحُو صُورَةً
وَتَرَى الدَّهْرَ مُغَيَّراً أَسِيّاً

خَزَنَهُ ، هِيَهَاتَ ذَا مَنْ هَالِكِينَ
مَنْهُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِالذَّخْرِ التَّلِيدِ
فَإِذَا الدَّهْرُ قَضَاءٌ لَا يَحِيدُ
حُكْمَ فِي النَّاسِ قَضَاءٌ لَا يَحُولُ^(١)
إِنَّمَا الْقِرْنُ عَلَى الْقِرْنِ يَصُولُ
وَدَّهٌ أَنْ لَوْ يَكُونُ الْأَسْرَعَا
ثُمَّ مَا أَبْطَأَ حَتَّى هُرْعَا
زَهْرًا يَرْجِسُو لَوْ الدَّهْرُ تَأْنِي
أَيْنَ مَنْ يَحْمَدُ خَطْوَ الدَّهْرِ أَيْنَا؟
هَلْ رُبْحْنَا مِنْ زَمَانٍ قَدْ قَضَى؟^(٢)
لَفَعَلْنَا فَعَلْنَا فِيمَا مَضَى^(٣)
أَشْيَبَ فِي يَدِهِ كَالْمَنْجَلِ
ذِي فَتَسَاءٍ خَالِدٍ لَمْ يَنْصَلِ
وَيُعِيرُ النَّوْءُ حُسْنًا أَرَوَعَا
ثُمَّ يَسْتَنْبِطُ رَسْمًا أَبْدَعَا
يَدُهُ تَأْسُو وَأُخْرَى تَجْرَحُ

(١) فالقضاء لا يحول عما يراد بالخلقة.

(٢) فسحة من الزمن : أى زيادة منه ، وقضى : أى مات واندثر ومضى .

(٣) كثيراً ما تمنى الإنسان نفسه بآئله لو عاد إليه ماضى عمره لفعل به غير ما فعل وهذا وهم .

(الناظم)

ولا يغير أفعاله إلا إذا تغيرت نفسه .

والذى فى القوم بالرزء يصول
ولعل المضمّر الخبوء من
مصرع الدهر مماتٌ للدنى
موته موتٌ لمن قد قاسه
عجباً نحن خلقناه فما
يمنح السلوان فيما يمنح
مصصرع الدهر يرى بالأعين
كيف ينفيه الورى بالإحن ؟
باتصال الفكر أو خفق القلوب
نسبة الظلم إليه والعيوب^(١)

أقوام بادوا^(٢)

مفتاح القصيدة :

جعلوا لطبع اللؤم كل قداسة
و تحرزوا من سنة المختار
المختار هو النبى صلى الله عليه وسلم ، وكل من نبذ سنة الله ورسوله ، لا بد
أن يصير إلى ما هو موصوف فى هذه القصيدة من الصفات ؛ ونعنى بالنبذ نبذ
القلب وإن لم ينبذ اللسان ، ولا نعنى أحداً بالذات ، وإنما هى صفات يعرف كل
متصف منها أنها شائعة حيث الاضمحلال والبوار . (الناظم)

* * *

(١) خلقناه : بمعنى أنه فكرة نسبية يتخذ الإنسان لها مقياساً من حواسه وهى ليست كل ما يمكن
أن يكون من الحواس .

(الرسالة) ربما كان لبعض العروضيين فى أبيات القصيدة رأى لا يتفق مع حرية الناظم .

(٢) نشرت بمجلة « الرسالة » فى ١٤ فبراير ١٩٣٨ . وقد أضاف الشاعر فى ختام هذه القصيدة

١٩ بيتاً كان قد نشرها من قبل فى قصيدته « الهاربون من القضاء » (ص ٦٥٧) لتشابه موضوع
القصيدتين . فحذفت هنا لتكرارها دون أن يخل ذلك بالمعنى .

تركوا اللُّبابَ وشاقهم ماشانهم
 عاشوا عبيد كلامهم لم يدلفوا
 جعلوا حطام اللؤم أعلى مكسبا
 يخفون أوزار النفوس بمنطقٍ
 حسبوا اغتياب الغائبين مطهراً
 كلُّ يغار من الإجادة جُهدُهُ
 يحكى عظيمهم الحقيق سقالة
 يخشى البرىء قضاءهم من خطةٍ
 العدل فيهم أجر كل مملق
 كلُّ يعاقب من يريد أليفه
 الكذب عجز فيهم وخساسة
 ندم المجيد على إجادة قوله
 الضيم ما يجزى اللئام مجوداً
 سبق بمضمار الحياة يحوزه
 وتفرقوا إلا لدى التهويش والتضد
 وتخالهم حشرات روث مالهم
 وكأنَّ كلَّ إجادة قد دهورت

من بهرج في مطلب غرارٍ
 من خلفه لحقائق الأفكارِ
 وأعزَّ محمداً ليوم فخارٍ
 فينم فاضح خافي الأوزار
 لنفوسهم من خزية أو عار
 مثل النساء تغار كل مغار^(١)
 متكثراً بدناءة الأنصار
 لم تُعفِ ناساً من هوى الأصهار
 جعل النفاق عصاة الأَبصار
 ضرراً له لا الكره للأشرار
 والصدق عبد مزدري متواري
 أو فعله من ضيعةٍ وضرار
 فيصنون كلَّ عجزه لفخار
 متخلفٌ بالغش في المضمار
 ليل فهو مؤلف الدُّعار
 إلا به حظٌّ من الإكثار
 من عقلهم في بؤرة الأوضار^(٢)

(١) تغار النساء في أمور الجمال واللباس ، أما ضعاف العقول من نوى النفوس المسفة ، فتغار من كل إجادة في القول والعمل ، وهذا أعظم أسباب تأخر الأمم ؛ لأنهم يحاربون كل مسببات التقدم ، ويهنر من يقول إنها لا تهزم في أماكن الانحطاط .
 (٢) الأوضار : الأوساخ .

فكأنما أذهانهم بالوعسة
كلُّ يلوذ بإثرةٍ ويخالها الـ
ففعاله ومقاله وسكوته
دأبوا على إخفاء حقٍّ ، مالهـم
لؤمٌ لعمر ك لا مـدى لصيالهـ
الطيش أغلب للتأمل فيهمـ
سبق اللسان حصاتهم فكأنما
رانت على مهجاتهم وقلوبهمـ
شيمٌ تورثُ حقبةً عن حقبة
أوما دهي أوصالَ جسم من ضنى
جعلوا لطبع اللؤم كلَّ قداسةٍ
هات المرئى للكبار ولا تقلُ
هيهات يصلح نشء قوم لم يجد
عدوى الضؤولة والخساسة فيهمـ
قومٌ إذا ابتدروا السباب رأيتهمـ
متعاضمين على نجاسة أنفسـ
ستر الخسيسُ خساسةً بخساسةٍ

أخفت نفيسَ الدرّ في الأغوار
إيثارٌ بثس مزيف الإيثار
للؤم لا فضلاً وحسن جوار
فى حجبـه من مكسبٍ ونضار
وضؤولةٍ تحدو لسفل قرار
حتى لدى العظماء والأخيار
سكر العقار لهم بغير عقار^(١)
وعلى الحجا والسمع والأبصار
كتخلف الأرجاس فى الأنهار^(٢)
يمضى ويتـرك باقى الآثار
وتحرزوا من سنة المخسار^(٣)
يا أين مـغورٌ رشده لصفار
خلق الكبار يضىء مثل منار
عدوى الوباء تسير كل مسار
يطلون موضع عـرهم بالقار^(٤)
نتجت نتاج الدود فى الأقدار
فى أنفس الأعوان والأنصار

(١) الحصاة : العقل والرأى . (٢) الأرجاس : الأقدار

(٣) أخلاق اللؤم لم تعد نصيرا يبررها من مذاهب الفلسفة الحديثة فضلاً ، وإنما هو اللؤم الذى يبرر اللؤم بالفلسفة .

(٤) العر : هو الجرب ، والقار : هو الزفت .

متعظماً يبدو كريماً سامياً
وترى الوقار ولا وقار وإنما
ودعوا إلى الإصلاح دَعْوَة مَائِق
هم يبتغون الجاه إن لم يبتغوا
لم تدرِ وَحْيَ المصلحين حصاتهم
صارت وسائل عيشهم ما غاله
فقد الحياء صغارهم من ضيعة
صنعوا الأذى من غير ما سبب ولا
ضلت غرائز شرهم عن أصلها
فغدت دناءة أنفس وخساسة
وحديثهم كالحك يهتك عرهم
العدل ما وهب السمير سميره
جرؤت صعاليك على مالم يكن
فوضى لعمرك لاصلاح لشأنها
عادوا الذكاء خساسة فكأنما
إلا الدعاوى الباطلات فإنها
يتمرغون مجانةً ، فنفوسهم
كتمرغ المفلوك دغدغ جلده

متحلياً بفضائل الأطهار
أخفوا دعارة أنفس بوقار
يسعى إلى الأرباح سعى تجار
مالاً بدَعْوَة مصلح ثرثار
فتشبهثوا بزوائف الأفكار
من طبع لؤم سائق لبوار
فغدوا كبار الفخر غير كبار
يؤذى لغير القوت وحش ضارى
فى صون عيش أو لدفع ضرار
كيداً بلا كسب ولا أوطار^(١)
فأخو السفاهة منه كاس عارى
والرأى للأوشاب والأغمار^(٢)
فى فهمهم ، فقضوا بغير تمارى
كيف الصلاح لأمرها وهارى؟^(٣)
نبذ الذبالة فى الظلام السارى
عادت كعود مزيف الدينار^(٤)
وجسومهم كمزابل الاوزار^(٥)
عض من البرغوث فى الأقدار^(٦)

(١) الوطر : البقية والحاجة . (٢) الأوشاب : أخلاط للناس وأوباشهم .

(٣) الهارى : السئ الخلق .

(٤) العملة المزيفة تطرد العملة الصحيحة من السوق كما يعرف الاقتصاديون ، وكذلك الذكاء

المزيف كثيرا ما يطرد الذكاء الصحيح من سوق الحياة .

(٥) مزابل : جمع مزيلة . (٦) المفلوك : هو الفقير المعدم .

العداء والفناء^(١)

عفا الجاني وقد بلغ التشقى وبعض العفو من فرح الشّمات^(٢)

(لِلناظم)

قد يُعزّيك شامت يتشقى باجتلاء الآلام لا بالعزاء

(لِلناظم)

مقدمة :

إن العفو لا يكون من المظلوم المجنى عليه وحده ، بل قد يكون أيضاً من الجاني الظالم إذا أقنع نفسه أنه المظلوم ، أو إذا أقنع الناس كي ينال عطفهم ومساعدتهم له في ظلمه وشره . وكثيراً ما يساعد الناس الشرير في شره ، اعتقاداً منهم أنه هو المظلوم . أو لأن مساعدته في الشر ضد المظلوم فرصة لإراحة ميل كثير من الناس لالتذاذ القسوة ؛ كما هي الحال في مرض « السادزم » عند إطلاق هذا المصطلح عليه في المعنى الأعم . وهذا النوع من العفو الذي يجود به الظالم إنما هو من فرح الشّماتة ، وهذا الشعور يشبه شعور الشامت الذي يعزى المصاب ، ويخفى فرح الشامت ويظهر الأسف . وهو إنما يعزى كي يرى آلام المصاب أثناء التعزية . وهذه القصيدة تصف النفس الإنسانية بين عواطف الخير والشر . وقد تجتمع الأضداد منها في نفس واحدة من غفران وشّمات ، ومن حقد الحياة وصفح الممات ، كما تصف عبث شقاء الحروب بين الأمم التي يتحالف بعدها الخصوم ويتعادى الأصدقاء .

(الناظم)

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » في ٢٨ مارس ١٩٢٨ . (٢) الشّمات : الشّماتة .

إذا ما دنا الموت من هالكٍ
 وقد زال ما كان من نشوةٍ
 ولا ح له عيشه مائلاً
 وأفهم ما كان من حرصه
 يرى أسفاً أن عداً أو جنى
 وليس يرى أسفاً لا غتفار
 فليس على صفحه أسفاً
 أيأسف أن ضاع ثأر سدى
 عدوان عاشا على إحنةٍ
 أباحا التفاق وكيد اللئام
 إذا ما دنا الموت من واحد
 أيفرح مثل الجبان استراح
 أيطعنه طعن نذل خصيماً
 ومرأى الحمام كمرأى السقام
 هو الموت يشفى قلوب العدا
 وقد يُطلب الصلح من فرحة

وأيقن ألا يطول البقاء
 ومن شرة نال عنها العزاء^(١)
 وقد بز عما جناه الرياء^(٢)
 وأبصر ما قد طواه الخفاء
 وإن كان منه الأذى والعداء
 دعاه قديماً فلبى الدعاء^(٣)
 ولكن على النيل ممن أساء^(٤)
 ومُتّع خصم له بالبقاء؟^(٥)
 وباعا السماحة بيع الإماء^(٦)
 لنيل الحطام وكسب الهباء
 أيشمت خصم له بالفناء؟
 وبُشّر بالأمن بعد العدا؟
 صريع التراب مُراق الدماء؟
 يذل العُتل ويُخزى الجفاء^(٧)
 ويختم بالصلح حرب البقاء
 تعير الشماتة ثوب السخاء^(٨)

(١) نشوة الحياة : سكرة غورها ، والشرة بكسر الشين : نشاط الشباب الحيوى .

(٢) بز : خلع ونزع .

(٣) أى لا يأسف إذا فقد شرة الحياة على قلتات اغتفاره الماضى .

(٤) النيل من العدو وإصابته بالشر .

(٥) هذا التساؤل معناه هل يخالط اغتفاره أسف الحقد بضياغ ثأره وبقاء خصمه وقد قلنا في

المقدمة إن الصفات المتضادة قد تختلط فى النفس .

(٦) الإماء : الجوارى . الإحنة : الحقد .

(٧) السقام بفتح السين : السقم . العتل : الغليظ الشديد الجافى .

(٨) السخاء : الكرم ، أى أن الصلح قد يكون من فرحة الشامت بالظفر فيظن العفو كرماً . (الناظم)

وكم من عدااء غدا أُلْفَة
كم احتريت أم ثم عادت
ألم تسمع الأرض نوح الجريح
أما اختلطت بالصدید الدماء
وكم عنقٍ لقتيل ، به
عضاض يحاول خلد الضَّ
فيا عيشاً لجهود الأنام
ويُصبح من كان خصماً لدوداً
فيا عيشاً إذ تراق الدماء
كأن لم تذق في الحروب الشقاء^(١)
يودّع حتى جنون الرجاء ؟
أما أفعم الموت نتنَ الهواء ؟^(٢)
عضاضُ عدو صريع العدااء^(٣)
غائنٍ في جسد خلَّقه للفناء
سيمضي الرخاء ويمضي العناء
عزيزاً ويُبغضُ إلفُ المساء^(٤)

مرأى الجمال وذكرى الجلال^(٥)

مقدمة :

لمناظر الطبيعة الرائعة الجليلة لذة في النفوس مثل مناظر الجبال الشاهقة ، والهاويات العميقة ، والأعاصير وأثرها ، والبحار وأمواجها ، وهي تبعث اللذة في النفس حتى في مخاوفها إذا لم تملك مخاوف مناظرها النفس بالذعر والرعب ، وقد ينقلب الحنين المقهور في النفس إلى الجمال فيصير ولوعاً بمناظر الجلال والروعة ، كما أن مناظر

(١) احتريت : تحاربت . قال البحترى : (إذا احتريت يوماً ففاضت دماؤها) .

(٢) الصديد : هو القيح . وأفعم : ملأ وأترع ، والنتن : خبث الرائحة .

(٣) العضاض : العض . وقد لوحظ بين القتلى بعد المعارك قتيل أنشبت أسنانه في عنق قتيل آخر قبل الممات واستمر في الموت على هذه الحالة .

(٤) أي بين مساء وصباح يصير العدو صديقاً والصديق عدواً ، وكأنما قد ضاع شقاء القتلى سدى .

(٥) نشرت بمجلة (الرسالة) في ١٤ مارس ١٩٣٨

الجلال والروعة قد تشحذ الحنين إلى الجمال وتذكر المرء به ، وقد تطفئ كل من العاطفتين على الأخرى ، ولهما أيضا صلوات أخرى غير ما ذكرنا . ومن مسيرات التفكير والفنون أن يتتبع الإنسان صلوات العاطفتين في نفسه . وهذه القصيدة من قبيل هذا التتبع . (الناظم)

* * *

ذكرتك في البحار الزاخرات	وفي مجرى السفين الجاريات
كأنَّ السحرَ حيٌّ ذو جنان	وموجُ اليمِّ نبضُ النابضات ^(١)
وفي ذاك الجلال بلاغٍ راءٍ	وروعٌ للنفوس الواعيات
ولكنني ذكرتكَ يا حبيبى	كما حنَّ المريضُ وإلى الحياة
كما جنَّ الهزارُ إلى ربيع	وأفنان الرياض على الأضائة ^(٢)
وكم غلب الجمالُ على جلالٍ	كما غلب الرقادُ على التفات
ذكرتك والقبور تردُّ طرفي	وتسخر من هيام بالشيات ^(٣)
وتخببرني بأن الحب فانٍ	وأن العيش صنو للممات ^(٤)
ولكنني ذكرتكَ يا حبيبى	وذاك الذكر خير الذكريات
ذكرتك والسقام يبيد لبي	ويسلى النفس عن ماضٍ وآت
ويلهى النفس عن حبٍّ وشعر	وعن سحر العيون الساحرات
ولكنني ذكرتكَ يا حبيبى	كذكرى للسنين المقيلات
ذكرتك في الطلول الدارسات	وآثار العصور الغابرات ^(٥)

(١) الجنان : القلب .

(٢) الهزار : طائر - الأفنان : الغصون - الأضائة : غدير الماء .

(٣) الشيات : ألوان الحيوانات .

(٤) الصنو بكسر الصاد : القريب من أصل واحد .

(٥) الطلول جمع طلل : آثار المباني .

أرى الأهرام كالأعلام تزهو على عبث الصروف المهلكات^(١)
فأبصر من مضوا وأرى اعتزازاً لهم بالمصيبات الفانيات
فيضوّل عيش هذا الناس حتى لينسى المرء ذكر المصيبات
ولكنى ذكرتك يا حبيبى كذكرى للأمور الخالدات

حواء الخالدة^(٢)

من شعر الصبا

أنتِ يا مَنْ ألفتُ بين الفنون وهى لولا ما جنتُ منك ظنون
دوحة الفن التى تحببو الورى بجناها من قطوف القاطفين
كل لحنٍ أو قـريضٍ أو دُمى نُحِيتُ أو صورة ، منك تكون^(٣)
كلّ من قد خلبت لبّ الرصين من حسانٍ جمعتُ سحر الفتون
كُنْتِهَا للناس حالاً بعد حال تحفة فائنة للناظرين
فلبست الحسن شكلاً بعد شكلٍ وخبرت الحب حيناً بعد حين
ورأيت الكونَ فى ضحوته وفهمت الناسَ فى ضيقٍ ولين
كنتِ أمّاً ، كنتِ أختاً ، كنتِ زوجاً ، كنتِ فى البؤس عزاء البائسين
فعلى صدرك يبكى همّهُ وأساه موجد القلب حزين
كم نفوسٍ وقلوبٍ بسطتْ لك ما تضرع فى ماضى السنين

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) نشرت بمجلة « المقتطف » فى أول إبريل ١٩٢٨ - وقد خرج الشاعر فى هذه القصيدة على بعض القيود العروضية مع علمه بها رغبة فى التجديد .

(٣) الدمى : التعائيل .

وعرفت النفس والسر الكمين
وبلوت الخلق في مر القرون
أى سر للورى لا تعرفين ؟
يندب الفردوس كل العالمين
يفقد الخلق جنان الخالدين
ناعماً بالجهل في خفض^(١) ولين^(٢)
في ثمار العيش والسر المصون
أكذا الغبن ، فيا نعم الغبين
نفسه من حسنك الغض ، شئون
وثقى في الله خير الغافرين
كى يلذ الناس سعد الهالكين
قد أحسّ الهم في القلب الحزين
خربت طروادة ذات الحصون^(٣)
يهلك الأبطال في الحرب الزبون
عنق كسرى وهو ذو الملك المكين^(٤)
خفق القلب كطير في وكون^(٥)

فعرفت القلب ما ينشده
وقرأت الروح دهرا بعد دهري
أى قلب مغلق لم تفتحي
كنت حواء التى من أجلها
وقليل لك يا حواء أن
آدم كان بجهل قانعاً
ليس يستطلع أمراً غامضاً
بك شام الكون غرضاً زاهياً
جذوة الفطنة فى اللب وفى
كفرى فى النسل عن إثم مضى
لم يكن إثمك إلا قدراً
لا يحسّ السعد إلا هالك
كنت هيلين التى من أجلها
وقليل لك يا هيلين أن
كنت شيرين التى قد ذلت
كنت تاييس إذا ما خطرت

(١) خفض العيش : نعيمه ولينه ، والمراد بإثم حواء المذكور في القصيدة أكلها من الشجرة المحرمة وحث آدم على الأكل منها .

(٢) هيلين : الإغريقية الحساء التى كانت سبب حصار طروادة وتخريبها .

(٣) شيرين : من حسان الفرس .

(٤) تاييس : ممثلة إغريقية فاتنة .

كنت سيفو إذ رمت بالشعر كالـ
كنت اسبزيّا التي قد فتنت
كنت ليلي ، كنت بثنا ، كنت عزّا ،
كنت ما كنت ولكن أنت أنت
وغدا كيف تكونين وما اسمك
بين الناس في الآتى الشطون ؟^(٤)
جَمْرٌ تُذَكِّي لَفْطُهُ لِلْسَامِعِينَ^(١)
بِاقْتِرَانِ الْحَسَنِ وَالْفَهْمِ الْفَطِينِ^(٢)
بِاعْتِثَاتِ الْوَجْدِ وَالشَّعْرِ الْمُبِينِ^(٣)
لَكَ سِحْرُ الضَّوِّ وَاللَّيْلِ الدَّجِينِ !

جنون الاقوياء^(٥)

ملكوا الأرض واستباحوا حمّاها
وسعوا ينشرون في الأرض سرّاً
تارة في الخفاء بالمكر يعدّو
أهون الوزر ما أتوه جهاراً
والذى في الخفاء أقتل للنف
إن رأوا نقص أنفس في خصوم
واستطالوا بجنة الأقوياء^(٦)
منكرا في شريعة الأتقياء
ن وطوراً في جهرة العظماء
من صيال وقسوة وبلاء
س وأقسى لصوله في الخفاء
استزادوه بالأذى والدهاء

(١) سيفو (سافو) : شاعرة إغريقية اشتهرت بالغزل .

(٢) اسبزيّا : حسناء في عهد بركليز اشتهرت بالعقل .

(٣) ليلي : صاحبة قيس ، وبثينة : صاحبة جميل ، وعزة : صاحبة كثير ، وقد ألهمن عشاقهن

الشعر الرفيع .

(٤) الشطون : البعيد .

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » في ٢١ نوفمبر ١٩٢٨

(٦) جنة : أي جنون بكسر الجيم .

أفسدوا أمرهم وفسدوا دُعَاةً
واستمالوا سمع اللئيم بِلُؤْمٍ
كصيال الشعوب بالمكر والكي
حلَّلُوا للوشاة أن تشتفي من
خدعتهم أرصادهم أم رَأَوْا أَنَّ
مَكَّنُوهُمْ مِمَّا أَرَادُوا مِنْ
ذَاكَ أَنْ الْعَدُوَّ أَرْخَصُ شَأْنًا
قَرَّطُوا الْعِلْمَ وَالْحَضَارَةَ جَهْرًا
ثُمَّ سَاسُوا بِالْخُتْلِ فِي السِّرِّ مَا شَاءُوا
لَا رَقِيبٌ عَلَى الْخَفَاءِ وَلَا الصُّوَرُ
عَدِمُوهُ لِلْكَفْرِ بِاللَّهِ وَالنَّاسِ
عَلَّمَ الْعِلْمُ صَوَائِلًا إِنَّمَا النَّاسُ
زَعَمُوا زَعَمَهُمْ وَسَمَوَهُ عِلْمًا
وَأَبَاحُوا الْحَقَّ كُلَّ وَلِيٍّ

كى يهيجوا تشاحن الأشقياء^(١)
زاده خَسَّةً عَلَى الْأَدْنِيَاءِ^(٢)
مد وإن أحرزت صفات العلاء
لاعج الحق بالآذى والعداء
سماحا بشرهم كالجزاء^(٣)
الشَّرَّ جَزَاءَ كَخُونِهِمُ وَالرِّيَاءِ
مِنْ تَحَامِي الْإِجْحَافِ فِي الْإِيذَاءِ^(٤)
وَتَقَاةً لِلَّهِ أَوْ لِلْقَضَاءِ^(٥)
عوا وشاءت جوامع الأهواء
لَهُ فِيهِ وَلَا عَدِيمُ الْحَيَاءِ
س سَوَى مَا رَجَوْا مِنَ الْآلَاءِ
س كَنَمَلٍ سَوَاؤُهُمْ كَسَوَاءِ
وَاسْتَطَالُوا بِلُؤْمِ ذَاكَ الذِّكَاةِ
مُثْلَجًا نَارَ إِحْنَةِ الْأَحْشَاءِ^(٦)

(١) هؤلاء الدعاة هم عمال السياسة الذين يعملون في السر .

(٢) أى يدرسون أماكن الضعف في أخلاق الأمم ويحاربونهم ، ويستدرجونهم ، ويخدعونهم ، ويؤثرون فيهم بأساليب السياسة الخفية من طريق أوجه الضعف في الأخلاق .

(٣) الأرصاد : الجواسيس .

(٤) تحامى الإجحاف : التفادى من الظلم . وتحامى متعدية وتفادى لازمة ، والمعنى : أن العدو أهون من أن يمنعوا أعمالهم السياسيين من إرضاء شهوات أحقادهم .

(٥) تقاة : تقوى بضم التاء .

(٦) الولي : المناصر المخلص للوالي . أى أباحوا لأعمالهم السياسيين أن يشتقوا بأعمالهم في السر .

ثم قالوا وسَطَرُوا فِي ضَمِيرٍ
قَسٍّ عَلَى مَا بَدَأَ مِنَ الشَّرِّ جَهْرًا
مَا أَجَنُّوهُ وَهُوَ أَبْلَغُ فِي الْكَذِّ
وَقَدْ يَمَّا جُنَّ الْقَسْوَى بِمَا طَا
وَضَعُوهُ فِي مَنْزِلِ اللَّهِ كُفْرًا
وَرَأَى الْخَيْرَ وَالْفَضِيلَةَ مَا شَا
وَرَأَى الشَّرَّ وَالْكَبَائِرَ مَا عَا
وَكَذَا الْمَرْءُ وَهُوَ لَيْسَ وَلِيَّ الْ
وَسْوَءٍ شَعْبٌ وَفَرْدٌ وَذُو السُّدِّ
صَنَعُوا الشَّرَّ حَسْبَةً وَلَوْ جَهَ اللَّهُ،
أَوْ لِحَقْدٍ قَدْ مَوَّهُوهُ بِخَيْرٍ
أَوْ بِرَأْيِ الْأَحْرَارِ صَاغُوا قِيودًا
وَجَنُّونَ الْقَسْوَى أَقْبَحُ مِنْ قَسٍّ
إِيَّاهُ لَغَزَّ الْحَيَاةُ هَلْ دَوْرَةٌ لَدَّ
لَعِبَةِ مَا أَرَاهُ أَمْ خَيْلُ الْأُنْ
إِحْنٌ فِي الْحَيَاةِ مِثْلُ خُطُوطِ

إنه من ضرورة الأشياء
في حروب ونزوة وعداء
ب وفي كل قسوة واعتداء^(١)
ع له من تزلف الضعفاء^(٢)
فطغى واستباح سفك الدماء^(٣)
ء وإن كان من أذى الأدياء
ف وإن كان سيرة الأبرياء
حكم يطغى بنصرة اللؤماء^(٤)
طان أو سادر من الدهماء^(٥)
شاهت وجوهم من رياء !
وتباهوا بحسن ذاك الطلاء
واستباحوا في الناس سفك الدماء^(٦)
وة حسن يقسو بغير ذكاء
شر والخير غير ذات انتهاء؟
فس أم نزوة من الحمقاء
نسجوها في البردة السيراء^(٧)

(١) أجنوه : أى أخفوه .

(٢) مثل بعض الفراعنة أو أباطرة الرومان مثل كاليجولا أو غيرهم . وطاع ثلاثى لازم بمعنى دان له
أما أطاعه فرباعى متعد .

(٣) لأنهم يقدسونهم في العبادة .

(٤) أى أن جنون الطغيان والقوة ليس مقصورا على الإمبراطورة والفراغة بل يشمل كل من يجد
نصراء يستعز بهم حتى ممن صغرت مرتبته .

(٥) ويستوى في جنون القوة والطغيان الشعوب والأفراد ، والسادر : المستهتر الخليع ، والدهماء :
عامّة الناس .

(٦) برأى الأحرار : أى باسم الديمقراطية .

(٧) السيراء : المخططة بكسر السين وفتح الياء .

فغدت نهضة الفنون ، هو الفن
هل لسحر الفنون أن دلف الدهر
سحرها يترك اليبابَ عماراً
ويُحيل الخسيسَ من معدن العبد
كنحل يشتار أرى الشقاء^(١)
سروساغ الأنام لؤم البسقاء^(٢)
حافلاً بالنعيم والآلاء^(٣)
ش شريفاً بصنعة الكيمياء^(٤)

خطرات في الحياة والموت^(٥)

عند رؤية جمجمة

رحيقك ياكأس النهى والمشاعر
أكأس الحجا أين الرحيقُ ترشفتُ
أجرعه ثغر من الموت ظامئُ
حوتها عوادي الدهر إلا أقلها
بدا الناس جيلاً بعد جيل كأنهم
وما تدرك الأبواب منهم عديدهم
ومهبط سر الله بين السرائر^(٦)
علا لاته نشوى النهى والبصائر^(٧)
طوى ما طوى من فطنة وخواطر
إذا خط لفظ في بطون الدفاتر
تهاويل سحر أو سمادير ناظر^(٨)
إذا استجمعتهم بين ماض وحاضر

(١) نهضة : فرصة ، يشتار : يجمع العسل أو مادته . والأرى : العسل أو المادة التي تصير عسلاً والمعنى هو أن الفنون في الحياة تستخرج من ألام الحياة أقاصيص وعبر أو حكمة تصير لذة فنية تهون شقاء الحياة .

(٢) دلف : تقدم ، أى هل يسير الدهر أو العيش سيرتهما لكي يتمكن الفنون من ابتكار سحر جمالها ، وهل يرضى الأنام بلؤم الحياة من أجل لذة الفنون .

(٣) اليباب : القفر المجذب .

(٤) أى أن للفنون كيمياء تحول مظاهر الحياة الخسيسة إلى مظاهر رائعة جميلة ثمينة ، فكأن الفنون في عالم المحسوسات والمعقولات في حجر الفليسوف المنشود في عالم الماديات .

(٥) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ٢٨٤ في ١٢ ديسمبر ١٩٢٨

(٦) الخطاب موجه إلى الجمجمة . والمراد بالرحيق رحيق الفكر والإدراك .

(٧) كأس الحجا : أى الجمجمة .

(٨) التهاويل : الصور والرسوم والنقوش . والسمادير : ما يرى الوستان أو الأعشى من الأشباح .

كان لم يَلُحْ منهم إذا الموتُ غالهم
ولم يعرفوا الآلام تُحَسَّبُ أنها
فأين مضت أحقاد قوم كأنها
وأين ولوعُ بالجسم مال كأنه
وأين فعّالٌ يحسب الناس أنها
وأين جيوش دكت الأرض خيلها
وأين الغزاة الفاتحون وقد بدوا
فهل أنت ممن قد جنته سيوفهم
أم ازدان تاجٌ قد لبست بحكمة
وهل أنت ممن دبّر الشرُّ لُبَّهُ
أم الخيرُ ما حنت إليه نوازع
لقد كنتِ وكر اللبّ لو أن عادياً
بك ارتاع مسعود إذا ارتاح يائس
قد اختلف الأقوام في العيش والردى
هنيئاً لكل ما يرى من عُلالةٍ
وما علّلت نفس الفتى بمنيّةٍ
سوى رغبة في العيش يرهب صرفه
بذكرى الختوف الجاليات على الورى

ومسيض الثنايا أو يكاء المحاجر
ستخلد في جسمٍ إلى الموت صائر
لهيب جحيمٍ خالدٍ في السرائر؟
زعيم بتخليد الوجوه النواضر؟^(١)
على جبهة الأيام من وشم قادر؟
مضت حيث لا تمضى خواطر شاعر؟
كما تبعث الأشباح نفثةً ساحر؟
وداسته خيلٌ تحتها بالخوافر؟
بها اسططعت صريف الصروف الدوائر
وأحكم زهرُ النفس جرّ الجرائر؟
لديك وإن لم تحتقب خير غادر؟^(٢)
من الموت لم يهبط عليه بكاسر؟^(٣)
بذكرى الردى يرجو عُلالةً صابر
فمن ظافر يهوى الحياة وخاسر
بحسن حياةٍ أو بنجوى المقابر
ستطوى هموم العيش طي الدساكر؟^(٤)
فيعدو على البؤسى بذكرى الغواير؟^(٥)
من الراحة الكبرى أجلّ البشائر

(١) زعيم بكذا : أى كفيل به .

(٢) احتقب : ادخر أو حمل معه . يقال احتقب خيراً أو شراً .

(٣) الكاسر : الطائر المفترس ، والمراد بوكّر اللب : الجمجمة . والوكر : عش الطائر .

(٤) الدساكر : جمع نسكرة وهى فى هذا المعنى بيوت للهو والشراب ، وتأتى بمعنى القرى الصغيرة .

(٥) البؤسى بياء فى آخر الكلمة : البؤس .

يوم مطير^(١)

نهار تدأنى الدجنُ فى علو أفقه
خبت شمسهُ كالجمر يخبو لهيبه
دجا مثل وجه الهم إلا جلاله
ثقل على القلب البهيج عبوسه
كما كان بعض الحزن للنفس شائقا
ترى قطرات الغيث كالخيل أطلقت
وتحسبها كالطير تهفو تنزياً
كأن الصلال الزاحفات على الثرى
كما عاج حيراناً يمينا ويسرة
على الأرض والجدران والدوح قطره
أيسطو عليه الغيث يغسل نحسه
كلهو غلام ملأ القسو قلبه
سجية كل الناس من هاب شرهم
ويعزو خيال المرء للكون روحه

مبلة أرجاءه ومناكبهُ
وعاد رماداً حسنه وعجائبهُ
فللدجن سحر يحزن النفس خالبه^(٢)
ولكنه قد يسحر القلب كاره^(٣)
تعاقره فى نشوة وتقاربه
لكسب رهانٍ أحرز السبق كاسبه
تنزى الدبى إن أهرق الغيث ساكبه^(٤)
تجوس إذا ما الغيث جاست سواره^(٥)
من الذعر، شر الذعر ما عاج صاحبه^(٦)
ويدفع فى وجه المشرّد حاصبه
أم الغيث من لهو تراه يداعبه؟
إذا حيوان هابه فهو ضاربه^(٧)
رموه ببأس اللؤم والخوف شائبه^(٨)
مناقبهِ تجلى به ومثالبه

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) عدد ٢٨٦ فى ٢٦ ديسمبر ١٩٢٨ .

(٢) أى الخالب منه الذى يأخذ القلب بالخلاية .

(٣) البهيج : هنا الدائم السرور وقد تأتى بمعنى الجميل . والكارب : مسبب الكرب .

(٤) التنزى : التذبذب والاهتزاز . والدبى : صفار الجراد .

(٥) الصلال ، جمع صل : الثعابين . فى البيت تشبيه انسراب مياه المطر على الأرض بسير الأفاعى .

(٦) الهارب الحيران يعوج يمينا وشمالا من الحيرة فسيره فى ميله يمينا وشمالا كسير مياه الأمطار

على الأرض المنبسطة .

(٧) القسو معناها : القسوة .

(٨) شائبه : مخالطه .

إذا رنق التربُّ الهواء انبرى له
تري البرق فيه مُصلِّتاً سيف نعمة
إذا خف كان الغيث لهواً ونعمة
ويطغى على الوادى بجيش عَرْمَرَمٍ
يخف على لوح الزجاج فصوته
وطوراً يلح الودق منه فصوته
ويرنو إليه المرء من ثقب بيسته
وطوراً ترى الغلمان تُلْقِط طَلَّةُ
تري كلَّ لَوْنٍ بعسده قد زها به
يُعلِّق قَرطاً فى ذرى الدوح قطره

من الودق طَهَّر يغسل الجو صائبة
لها الرعدُ صوت يذهل اللب رابعة^(١)
وإن لجَّ لاحت للعيون خرائبه
مسالكه مدمومة وعواقبه
طنين فراشٍ مرَّ باللوح حاصبه
خريزٌ كما يستحلبُ الدرَّ حالبة^(٢)
كأنَّ غريباً يتقى منه هائبه
يداعب صنوُ صنوه ويلاعبه^(٣)
كأنَّ طلاءً فوقه لجَّ خاضبه
فتحسبه قد نَظَّم الدرُّ ثاقبه

السكون بعد النغم^(٤)

أفحَمَ الشجرُ مقولَ النغم العذ
مثلما تفحم الشجون خطيبا
كسكوتِ العشاقِ فى نشوة الـ

ب فأمسى هذا السكونَ المهيبا
صار فى صمته قوولا خطيبا
حُبُّ تناجى فيه القلوب القلوبا

(١) مصلتا : شاهرا .

(٢) الدر : يفتحان اللين ، والودق : قطر الغيث .

(٣) الطل : ضد الوايل والأول هو الخفيف من المطر ، الصنو : القريب النسب .

(٤) نشرت بمجلة « المقتطف » عدد يناير ١٩٣٩ .

ويخشى من حسننها أن تخيبها
مالٍ من قبل أن تُعاني المشيبا
لحوات القلب صار البعيد منه قريباً
وابنهما نائم حمته الخطوباً
في مساعيه جيئةً وذهوباً
ها له نعمة وسعداً وطيباً

* * *

دقَّ عن أن تصيبَ سمعاً طروباً
رِ من اللحنِ أملٍ أن تؤوباً
وهى في نفسه تدبُّ ديباً
خلفته فكان سحراً حبيباً
يناجى في ذا السكون الغيوباً^(١)
فس تشدو وتستثير الوجيباً
بائع بالهوى ويخشى الرقيباً
خشوعاً لها وسحراً عجيباً
شع راءٍ والشمس تحدى غروباً
كسكون الردى رهيباً مهيباً

أو سكوت اللهيف فوجئ بالبشرى
أو سكوت الشباب في حلم الآ
أو سكوت الخشوع في صل
أو سكوت الأم الرءوم حناناً
حلمت حلمها بما سوف يسعى
من ثمار الحياة تختار أحلا

نغمٌ خلفت بواراً للحنِ
وكان لم تزل بمسمع مسحور
فهو يُصغى لعودة الصوت منها
سحر القلب شدوها أم سكون
عجب يسحر السكوت أم اللحن
وكان الأصدا من بعدها في الذ
هامساتٍ في النفس همش مسرّ
في سكون كسائما هدأ الكون
هدأة الكون في المساء وقد يخ
فكان الحياة عادت سكوناً

(١) وكان المسحور من أثر اللحن يناجى في ذا السكون الغيوباً . (الناظم) .

تَحْسِبُ الدَّهْرَ سَاعَةً دَقَّهَا قَدْ مَنَعَ الصَّمْتَ صَوْتَهُ أَنْ يَجُوبَا
سَاعَةَ تَوْهَمِ الْوَرَى أَنْ هَذَا الـ كَوْنِ قَلْبٍ مَا إِنْ يَحْسُ وَجِيبَا
تَحْسِبُ الدَّهْرَ مَسْقُطَ الْمَاءِ غَا لَ الْمَاءِ فِيهِ جَمُودُهُ أَنْ يَصُوبَا
فَدَوَىُّ بِالذِّكْرِ فِي النَّفْسِ مِنْهُ وَسَكُوتٍ فِي الْأُذُنِ يَسْبِي الْقُلُوبَا

قيد الماضي^(١)

أَخَذْنَا عَنِ الْمَاضِي قَلِيلًا مِنَ النَّهْيِ وَأَكْثَرَ مَا نَلَّنَا الْهَوَاجِسَ فِي النَّفْسِ
فَمَنْ غَامَضَ لَا يَدْرِكُ الْفَهْمُ فَهْمَهُ وَمَنْ وَاضَحَ كَالْخَطِّ فِي صَفْحَةِ الطَّرْسِ
فَمَنْ قَسَوْ ذِي خَوْفٍ مِنَ الْمَوْتِ وَالْأَذَى وَمَنْ ضَغْنٌ مَهْمُومٍ مِنَ الْفِكْرِ وَالْحَدْسِ^(٢)
وَمَنْ حَقْدَ ذِي حَقْدٍ يَرَى الْعَيْشَ كُلَّهُ ظِلَامَةً مَغْلُوبٍ عَلَى الْغَدِّ وَالْأَمْسِ
وَمَنْ كَيْدَ لَاهٍ أَشْرَبَ الْعَيْشَ قَلْبَهُ لَذَاذَةً صَنَعَ الشَّرَّ فِي الْجَهْرِ وَالْهَمْسِ
وَنَلَّنَا ، وَمَا زَالَ الذِّي كَانَ كَائِنًا يَدَافِعُ عَنْهُ الْمَرْءُ بِالسَّيْفِ وَالْفِلَسِ
يَدَافِعُ عَنْهُ الْمَرْءُ بِالْحَقِّ وَالْهَوَى وَيَسْعَى لَهُ الْأَضْدَادُ نَدْبًا إِلَى نَكْسِ^(٣)

* * *

(١) نشرت بمجلة « المقتطف » في مارس ١٩٣٩ .

(٢) الحدس : الظن والفراسة .

(٣) الندب : الشهم الذي ينتدب للأمور . والنكس : المرنول الذي لا خير فيه ، والهوى هنا : الميل للباطل .

ويغري به حتى الذين شقأؤهم
حقود قلوب لا يُداوى فسادها

* * *

يريدون منع الحرب والحرب سنة
فهل يدركون الطهر من قبل عمرة
ويا ويلهم شبت عن الطوق حربهم
وظلوا حيارى خشية من دمارها
وكل يعاف العدل إلا لنفسه
وتأبى سجايا الشر طهرة عادل
سواء لعمري طبع فرد وأمة
وكيف تزول الحرب ، والسلم بينهم
وكم قدسوا قدساً لتطهر أنفس
خميرة عيش شرهم وحقودهم
بناء المعالي كان بالشر قائما
وما شربوا من لذة العيش شربة
غفلنا ونام الهامدون ، وفوقنا

بأن يخذل الإصلاح ضغن ذوى النحس
فتدعو ذوى الآمال فيهم إلى اليأس

إلى أن تُفريق النفس من إثرة النفس
وطينتهم معجونة الدم بالرجس ؟
وأزرت بفعل السيف والروح والترس
وكل يرجى نفع أحداثها الخمس^(١)
سجية لؤم هل تزول من الجنس
تغير فيهم مآثم العيش بالعرس
هم الأنس ما أبدوا سوى نجس العرس
كحرب طغت بالقهر والمكر والخلس ؟
فأزرى جوار النفس بالدين والقدس
فكيف يراد العيش للأمن والأنس ؟
وما طربوا إلا إلى نغم النحس
صفا مأوها من كدرة الهم في الكأس
نجوم الدجى زهر على قبة الرمس

(١) الحمس : الشديدة .

فإن كان خلق الناس للعجز والاسى
وأعجز أوصاف الأطباء داؤهم
وإن قبسوا من شعلة القدس قبسه
فإن ارتهان المرء فى سجن شره
وإن انغماس المرء فى لُجّ أمسه
وإن رسيف النفس فى قيد شرها
يقولون إن الحق فى الناس قوة
ولم يستطيعوا البرء من خطئ المس^(١)
ولم يشفهم من شرهم عمل النطس^(٢)
فما صانها العادى ولا فاز بالقبس
إذا جدّت الأحداث شر من الحبس
كما يفرق الغواص من نهكة القمس^(٣)
كما يخلد المحموم فى خطأ الحس
وأقوى من الحق الجهالة فى النفس

صوتك^(٤)

صوتك صوت السلام تألفه الأذ
أو مثل صوت الطيور فى وضّح الصب
صوتك صوت الربيع يبعث فى الرو
أو مثل صوت الحياة ظافرة
يطرب مثل الصدى الخلوب إذا
أو مثل شدة الشجى يسمعه السّا
فس بعد الكفاح والظفر
ح نشاوى من غير ما سكر
ض حياة الطيور والزهر
عابثة للجمل والصبور
ردده الريف فى سنا القسم
هر فى هدأة من السحر

(١) المس : الجنون .

(٢) النطس بفتح وسكون : المجرب .

(٣) القمس : القمس فى الماء .

(٤) نشرت بمجلة « الهلال » عدد أول سبتمبر ١٩٥٠ ص ١٧ .

من عالم الخلد خيلَ منبعثاً	لعالم الفانيات والغير ^(١)
تنال منه الأسماعُ فتنته	وتقتضي مثلها من الأشر ^(٢)
فهو كمعنى يُضفي لسامعه	مـوارداً ثرةً من الفكر ^(٣)
أو عَيْنٍ دعجاءَ ، في محاسنها	عمقُ كعمق البحارِ والدررِ
تأخذ منها العيون أقربها	وأبعدُ الحسنِ أطيب الأثرِ
صوتك صوت الشباب والعمر ماداً	مَ فان فاتَ فاتَ بالعُمرِ
أو مثل صوت المُنَى السحيقة	والحبُّ وصوتُ الداعي من القدرِ
كلاهما نافذٌ يلبي على	ما كان من قسمةٍ لمؤتمر ^(٤)

شفق الغروب^(٥)

شفقُ الغروبِ وإنه	سحرٌ تُراح له القلوبُ
وكأنه الأنماطُ أعلى	صنعتها فنٌ عجيب ^(٦)
خدرت ذكاءُ كأنها الخ	سناء يرقبها الرقيب ^(٧)

(١) الفانيات : الأمور الفانية . الغير : تقلبات الدهر وصروفه .

(٢) الأشر : الشره والطمع .

(٣) يضفي ما ضفا الحوض : أى امتلاء ماء . وثرة : أى يفيض مياها .

(٤) يلبي : أى يطاع . المؤتمر : الذى يطيع الأمر .

(٥) نشرت بمجلة « الهلال » فى أول نوفمبر ١٩٥٠

(٦) النمط هنا : شبيه بالبساط والسجاد .

(٧) خدرت ذكاء : دخلت الشمس خدرها ، والمراد الشفق .

وكانها الملك المحجَّبُ
 بسائر مُلكٍ حاكِ رو
 عباتُ مسفاتن لونها
 والحسن أبهى حين رو
 روعٌ لمهلك كل يوم
 كم ممرٌ في يوم ماضي
 وأسى يُخسّال مُخلدا
 والعيش ألوانٌ وبعض الـ

* * *

شفقٌ على أفق البسحاحا
 سواد تشابهه عنبراً
 وكان صفحة مائه
 من منبع الذهب استنقى
 أسفائنا قد حملت
 شوقنا إلى وهج على
 والنفس تنشد مرتقى

* * *

وعوالم للسحر تعمر
 لاحت على شفق الغمر
 نارٌ توجج في الغمسد
 والشمس تبعدو في المنا

في تحجبسه رهيبُ
 نق حسنه الحذق الأريبُ
 والحسن معشوق مهيب
 ق الحسن روعٌ لا يريب
 لا يُقسيهم ولا يؤوب
 أملٌ يحقق أو يخيب
 فإذا به ذكرى تنوب
 عيش من بعض قسريب

ربه سفائنه تغيبُ
 في يمه ذهبٌ صيبُ
 نور عيسى نور يذوب
 أم أنه ورد يصوب^(١)
 ما يحمل الرائي الطروب
 أفق كمنحرف الغريب
 كلٌ على وطن يلوب^(٢)

* * *

فها وتنشدها القلوبُ
 وب كائنها الحلم الحبيبُ
 يروحلية المرج العشيب
 قع ماسمة مثل اللهيب

(١) يصوب : يسيل .

(٢) يلوب : يحوم .

ماءٌ ونارٌ جُمُعا
وتوهجٌ كـدم يلسو
كسدم الرحيق بنشوة

* * *

وعلى المزارع هابطٌ
وهدوء ذى السمع المصيح
وعناق أرض والسما
وعلى البهائم وحشة

فى المنظر العجب العجيب
ح بلا قتيل أو حريب^(١)
رد الكهُول عن المشيب

بجناح ذى الريش الخضيب^(٢)
وراحلة القلب المجيب^(٣)
به وبالذغش العقيق^(٤)
من غير مكروب كثيب

مفتاح القلوب^(٥)

هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ
فهبه لى أتقّ الأعادى
من قبل أن أنقم العوادي
فأعرف الخافِزات طراً
يا طالما غرّنى ابتسامٌ
قد حرتُ دهرًا وحرار منى
هل عندك الخُبْرُ والخَبْرُ
ليقرأ العاذلون غيبى
واحرّر قلبى إذا تناءتْ

عن معلن السرّ يا قدر؟
وأعرف الصادق الأبر
والعق الصّاب والصّبر
إلى المودات والسمير
كم باسم قلبيه كشر
قوم تهابّ الذى استسر
عن معلن السرّ يا قدر؟
ويأمن الحبّ إن نفسر
وخالننى الغادر المكر

(١) الحريب : هو السليب

(٢) الإشارة إلى اختلاف ألوان الشفق فى أفق المزارع .

(٣) المصيح : المصغى .

(٤) الذغش : ظلمة المساء .

(٥) نشرت بكتاب « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد .

أصطفى من العذب في الغُدر
وأخفق اللحظ والبصر
تبلى على الحسازم الحذر
عن معلن السرِّ يا قُدر؟

الاندلس العربية^(١)

بمَشَلِّيلٍ ، جنة الأندلس
في ظلام الدهر مثل القيس
في ضلال المسلك الملتبس
موحشاً في البید وسط الخندس
بالنهي منهم عنان الشمس
وزها كالسحر نبت اليبس
جعلوا الطهر قرين الدنس
مواطن الفضل الشهى الأنس
في نعیم العز أو في الأبوس
في لظى الحرب وطيب المغرس
أن ينالوا منه أعلى منفس
علمت قوماً صفاء الأنفس
في ظلال السعد أو في التعس
وابتكاراً لم يكن بالأكس
صنعوا ، عزت على الملتمس

فيعرف الخل أن قلبى
قد أخفق الحب في بيان
وأخفق العيش وهو سفر
هل عندك الخبر والخبر

جنة لم يظفر الدهر لها
إذ دجت أقطار أوربا بدت
أو كنجم يهتدى السارى به
أو كناد يأنس الضيف به
أهلها الغر الألى قد ملكوا
عمروا الأرض وأجروا ماءها
لم يهابوا بهجة العيش ولا
أفسحوا للفكر فيهم موطناً
كللوا بالمجد هامساتهم
في خلال البحر أو في المصنع
لم يكونوا مثل قوم أنفوا
نجدة الفارس فيهم شيمة
ووفاء بعهدود وثقت
أخذ الإفرنج عنهم فكرهم
نهضة الأحياء لولا صحف

(١) أو « حلم بالاندلس » - لم ينشرها الشاعر في حياته .

لم يكن مصرعهم من وهن
شجعوا في ضحوة المجد كما
دبت الفرقة فيهم كاللظى
صيرت بهجة أيام لهم
وإذا شمل أناس لم يكن
قاتلوا قوماً بقوم منهم
بربر من تحتهم والقوط من
تأنس النفس إلى عهدك يا
كنت أوحى من خيال طارق
فعلى القوم سلام إنهم
وهى أعباء حياة ونهى

بهاء الحياة^(١)

لا ولا من لذة لم تحبس
شجعوا في أخريات الفلس
تتلظى في الهشيم اليبس
ماتما من بعد حسن العرس
معقلاً هانوا على المفترس
عن قلوب نفرت لم تسلس
فوقهم مثل رحي المندرس
حلم الأحلام بالأندلس !
في الكرى أوقبله المختلس
حملوا شعلة نار القدس
وكفاح ثم نوم المرمى !!

كان أنساً وكان للنفس أهلاً
فنرى الزهر في الحدائق حولاً
ليس يفنى الربيع ضوئاً وظلاً
أبدأ سادراً إذا الشيخ غلاً
خالداً لا يزول رسماً وشكلاً
حسن والعيش يتبع اليوم ليلاً
من حلاه يحلو إذا الرث ملاً
ش ونيل الجديد حلواً محلى

كم أسبينا على زوال بهاء
ووددناه خالداً ليس يفنى
ونرى بهجة الربيع دواماً
ونرى عارم الشباب جديداً
ونرى كل ما نود ونهوى
فأسبينا إذ الفناء طريق الـ
كل آن يجدد الكون وجهها
لذة العيش في القلب في العبي

(١) لم يسبق نشر هذه القصيدة .

أبدًا يبسط الزمان ويطوى
جدة الحسن رونقًا تأخذ الطر
ورأينا مفساتنا ربما مرر
غفل الطرف عن سناها فلما
أعجمت في حياتها ثم عادت
ثم عادت يحبو البيان حلاها
حسرة للبيان بعد فوات ال
وإذا بالفناء فينا ينادى
بهجة العيش في زوال بهاء
وإذا خافت النفوس على فـا
فوددنا الزمان حيا عليه
أبدًا وارديس زوالا
غير ما قانعين أن حياة
وقفة الكون ميتة وفناء
فرضينا وما رضينا ولـ
ثم عدنا إلى الأسي والتعنى
وودنا خلود كل مـراد
واستطبنا المحال من بعد مالا
وأسينا على زوال بهاء

ملحًا لا تدوم إلا لتسلى
فأطريفا وما استجد ليقل
ت سراعًا كالطيف حين اضمحلا
غربت ضياء حسنهما وتجلي
في ضمير الآباد أشهى وأحلى
حجة توضح البهاء وقولا
حسن لو قد غدا أليفًا وخلا
لو يدوم الجمال هان وقلا
ملا النفس طرفة ثم ولى
ن تحلى وكسان أشهى وأغلى
لا جسد يدأ يرجى ورثا أملا
نهلا جارعين منه وعلا
وقفت في الزمان تعتد بطلا
لا حياة به ولا حسن يلقى
كنا عرفنا الأمور فهما وعقلا
أبدًا غالبين فرعاء وأصلا
ودوام الجمال شكلاً وشكلا
ح بنور اليقين بطلا وجهلا
كان أنسا وكان للنفس أهلا !

مقطوعات شعرية^(١)

صلاح الحياة أم غايتها

قل كيف نحيا ولا تقل لي : ما حكمة العيش والبقاء
فمطلب للعلاء يحدو وآخـــــر كله عناء
كم سأل السائلون قديما ما الكون ، ما العيش ، ما الفناء ؟
مسألة مالها جواب وليس يُلفى لها غناء
كسـاخـطٍ من طروق داء وتاركٍ خلفه الدواء

ود الأسى

يارفـاقاً طالما أنستهم لذة العيش حزيناً يارفاق
قد وجدت الصّدق في ود الأسى مِقة اللذات كسبٌ ونفاق

غبي ذكي

يا غبيّاً رأى الذكاء شقاء ورأى النّحس أن يكونا أريباً
أنت أذكى من الذكي الذي يحـ يا شقيّاً لكى يكون أديباً
وإذا كانت الغباوة نعمى فمن الحمق أن تكون لبيبا^(٢)

البصير الأعمى

ياقلب صَبِراً ولا تعتب على قِسَم قد استوى الناس فى عتب على القسم
الحظّ أعمى لدى من لم ينل أربا وهو البصير لدى من فاز بالنعـم

خطة الضعة

فى كل نفسٍ من نفوس الورى شىءٌ من الحِقْد وسوء الظنون
إن كذبَ المُثْنى على نفسه صدقٌ من يزرى بفضـل القرين

(١) نشرت بمجلة « الرسالة » العدد ١٦٠ فى ٢٧ يوليو ١٩٢٦

(٢) للمعري وإسكندر بوب مثل هذا المعنى . (الناظم)

لذلك يعلى الخبّ من نفسه إن هدّ من فضلٍ بمدحِ قمين^(١)
أكثر من إعلائه نفسه بأن يزكّي النفس عند الفطين

ناجح

كل بشـر منه فـخٌ كل لفظ منه غـدرٌ
بلغ النُّججَ بلـؤمٍ إنَّ بعض النـجج وزرٌ

الكذب

للكذب فى الناس أوساط مجنحة والصدق يسعى لديهم كالسلحفاةٍ
يهوون ما لا يسيغ العقل من كذب وينبذ الحق من حرص الحجارة
كأنما الكذب ملح يستلذ به طهى الحديث وإشباع السخيمات^(٢)

إخفاء السريرة بالنطق

أتحسب أن الله أعطاك منطقاً لتبسط من لغو الكلام على الصدق
وأنّ لساناً بين فكيك ناطقاً لإخفاء ما دون السريرة بالنطق
وتكتُم ما قد يظهر الوجه أمره بقولك قولاً باطلاً شبه الحق

عجائب الحقد

عجبتُ للمرء فى بُغضٍ وفى مقة هما العجيبان إن آخى وحين عدا
يرمى النّفاية لا يبغى لها ثمنا حتى إذا ما حداها راغب حسدا
ويغفر الذنب من إحسان فاعله حتى إذا نفدت آلاؤه حقسدا

(١) جدير

(٢) الأحقاد .

فخر الناجح

قبسبحُ نجاحُ المرءِ إن هو شأنه بفخرٍ فلا يقبحُ نجاحُك بالفخرِ
كأن لم يكن أهلاً له حين ناله هو الصمت قد يطرى إذ الفخر لا يطرى
جلا منه عيب النفس من بعد ستره كذاك حديث العهد بالمال واليسر
ويارب نجح يسلبُ المرء رشده ويبدى خصالاً منه تقتل أو تزرى

نذالة الحسد

عدوك مرجوٌّ فإن كان حاسداً فلا رحمةٌ ترجى لديه ولا عدلُ
وليس بنذلٍ كلُّ من صال أو عدا وتاب ولكن الحسود هو النذل

مفضل لمفضل

قالوا الأنام إذا اختبرت أمورهم وبلوت من أحوالهم ما يبتلى :
غرَّ يخادعه لئيم عاقل ولبئس حظُّ المرء إن لم يعقل
كذبوا ، فما عيش الأنام وهزله إلا خداع مغفل لمغفل !
يتهارشون على الحياة ورجسها فعل الكلاب على خبيث المأكَل !

باقعة غزل من شعر الصبا^(١)

يا أيُّها الخاذل النائي بجفوته
خلعت حسناً على عيش كما خلعت
خلفت في العيش سحر المنظر البهج
شمس الغروب على الآفاق من وهج

* * *

فمرص الحياة قليلة
بيننا جمالك يانع
إذ لا جمال ولا صبا
والعيش خلد في الشبا
أحسست إقبال الردى
فترى الحياة قصيرة
وإذا الحياة كنغمة الـ
متلفتاً يحسرو ويخـ
بيننا تراه على الغديـ
فإلى م صدك يا حبيبى
فينان كالغصن الرطيب
يصبى القلوب إلى الوجيب
ب فإن دنوت من المشيب
كخشوع قلبك فى المغيب
كتلالؤ البسرق الخلوب
عصفور روع بالرقيب
شى أن يفاجأ من قريب
ر تراه فى الأفق الرحيب

* * *

خلفت فى القلب يا معذبه
ذكراك فى نفس منصت يقظ
كأنما القلب نحسوكم أبدا
ما خلفت نغمة من الجرس
ذكرى غناء فى الأذن كالهمس
لينوفردائر مع الشمس

* * *

(١) نشرت بمجلة (الرسالة) العدد ٢٥٦ فى ٢٠ مايو ١٩٢٨ - وقد أضاف إليها الشاعر مقطعات

أخرى من نواوينه السابقة فحذفت هنا لتكرارها .

كنت روضي والعيش صيف وفيّ
فلئن عادت الحياة شتاء
فهي محبوبة وأندادها كثر
وهي أشهى إلى النفوس وأحلى

حسافل بالنعيم والآلاء
أنت فيها كزهرة في الشتاء
رومحوبة بقفر عراء
لافتقاد الأنداد والأكفاء

أعسر البدر طلعتك
وأمنح الصيف من روا
وهب الطير شددو صو
وإذا ما هفا النسبي
أمنح الكون نشوتك

علم النجم نظرتك
ثلك والزهر نضرتك
تك والفجر غرتك
م فعلمته خطرتك
علم السحر قدرتك

ملاحظات

- * ١ - طبع الشاعر عبد الرحمن شكرى ، الجزء الأول من ديوانه : « ضوء الفجر » عام ١٩٠٩ ، ثم أعاد طبعه عام ١٣٣٣ هـ (١٩١٤ م) فى ثمانين صفحة - بلا مقدمات .
 - ٢ - وطبع الجزء الثانى عام ١٩١٣ فى ١٠٨ صفحة مع شرح للكثير من الألفاظ والأبيات فى الهوامش . وكتب مقدمته الأستاذ عباس محمود العقاد .
 - ٣ - ونشر الجزء الثالث عام ١٩١٥ فى ٧٦ صفحة . وصدره بعبارة إهداء إلى صديقه الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى . وكتب الشاعر مقدمة عن « العاطفة فى الشعر » .
 - ٤ - ونشر الجزء الرابع عام ١٩١٦ بعنوان « زهر الربيع » - فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر » .
 - ٥ - ونشر الجزء الخامس عام ١٩١٦ فى ٦٤ صفحة . وصدره بمقدمة : « فى الشعر ومناهبه » .
 - ٦ - وظهر الجزء السادس عام ١٩١٨ فى ٦٤ صفحة ، بعنوان : « ديوان الأفنان » وصدره بفصل « فى أن الشعراء كماليون » .
 - ٧ - وظهر الجزء السابع عام ١٩١٩ بعنوان : « ديوان أزهار الخريف » فى ٦٤ صفحة . وصدره بعبارة إهداء ، ومقدمة ، رداً على بعض الحملات التى اعتاد البعض كتابتها عنه فى الصحف .
- وقد طبعت الأجزاء الستة الأولى بمطبعة غرزوزى بالإسكندرية . وطبع الجزء السابع بالمطبعة المصرية بشارع فرنسا بالإسكندرية سنة ١٩١٩ .
- ولم يضع الشاعر أسماء للأجزاء : الثانى ، والثالث ، والخامس ، كما وضع للأجزاء : الأول ، والرابع ، والسادس ، والسابع ، ولكنه أعلن على غلاف كتابه النثرى « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ ما يلى :
- ديوان عبد الرحمن شكرى : الجزء الأول : « ضوء الفجر » - الجزء الثانى : « لآلى الأفكار » ، والجزء الثالث : « أناشيد الصبا » ، والجزء الرابع : « زهر الربيع » ، والجزء الخامس : « الخطرات » - وقد وضعت هذه الأسماء على دواوينه كما سماها هو .
- وكان الشاعر قد أشرف على طبع هذه الدواوين السبعة الأولى بنفسه . ووضع لكل جزء منها فهرساً وكشفاً بالأخطاء المطبعية ، صححت فى هذه الطبعة .
- ولم يهتم الشاعر بوضع الشكل على الحروف ، أو بتفسير الكثير من الكلمات والأبيات .
- ٨ - أما الجزء الثامن فلم يجمعه الشاعر أو يفكر فى طبعه ونشره فى حياته ، وتركه للزمن . وقد سبق أن قال :
- أرمى بشعرى فى حلق الزمان ولا
أبيت منه على هم ويلبال
- ويتضمن هذا الجزء « الثامن » ما نشره الشاعر فى حياته من القصائد فى الصحف والمجلات بعد عام ١٩١٩ . ومعظمها فى الواقع نشر بعد عام ١٩٣٥ . ولو أنه نظم قبل هذا التاريخ . وقد جمع منها هنا ٥٣ قصيدة . وقد تكون هناك أبيات أو قصائد أخرى مطوية فى بعض الصحف القديمة . وللزمن أن يظهرها للطبعات القادمة . فقد علمنا أن الشاعر نشر قصيدة بعنوان : « فى القافلة » بجريدة عكاظ عدد ٦١ فى ١٢/٤/١٩٢٠ . كما علمنا أنه نشر بالمقطم قصائد : « الإنسان والكون » و « الأبد فى ساعة » و « الخلق العظيم » و « إلى المجهول » . وبالأهرام : « المثل الأعلى » . وأن له قصيدة بعنوان « سنة ١٩١٩ » بأحد الكتب . وبعض هذه القصائد منشور فى هذا الديوان بالعناوين نفسها .
- وكان الشاعر قد نشر قصيدة « الطفل » بمجلة « الهلال » فى ١/٨/١٩٣٢ ، ثم أعاد نشرها بلا تبديل بمجلة الرسالة فى ١١/٥/١٩٣٦ .

كما نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « ديوان الإسكندرية » لجامعة الأستاذ على محمد البحراوى ، والذي صدر منه الجزء الأول فى أكتوبر ١٩٣٥ . وهى : « الصحراء » و « الأمل » و « الشاعر الباهلى المجهول » . وأعاد الشاعر نشر القصيدتين الأولى والثانية بمجلة الرسالة عام ١٩٣٥ ، وكلها منشورة هنا .

وكذلك نشر له ثلاث قصائد بكتاب : « مشاهير شعراء العصر » للأستاذ أحمد عبيد . وهى : « البحر » و « مرأى الجمال وذكرى الجلال » و « مفتاح القلوب » . وأعاد نشر الأولى والثانية بالرسالة . وكلها منشورة هنا أيضا . وكان الشاعر قد بدأ ينشر قصائده المنشورة فى الجزء الثامن متلاحقة بمجلات : الرسالة ، والمقتطف ، والهلال ، والمجلة الجديدة ، والمقطم ، والأهرام فيما بين ١٩٣٥ ، ١٩٥٠ : منها ٣٥ قصيدة بمجلة الرسالة و ٦ بالمقتطف و ٤ بالمجلة الجديدة و ٣ بالهلال . ثم كف عن التنظيم والنشر منذ عام ١٩٥٢ لإصابته بالشلل النصفى .

وبين قصائد الجزء الثامن قصيدتان لم ينشرهما الشاعر فى حياته وهما : « الأندلس العربية » (أو حلم بالأندلس) ، و « بهاء الحياة » . وكان فى خلال مرضه الأخير قد أعارهما لأنسة بجامعة عين شمس ، كانت تنوى إعداد « ماجستير » فى شعر شكرى ، ثم عدلت عن ذلك وتزوجت ، واحتفظت بالقصيدتين حتى عثرنا عليهما ، وهما منشورتان فى هذا الديوان (ص ٦٦٧ ، ٦٦٨) . كما أنه أعارهما مع كثير من الصحف والمجلات التى نشرت قصائده ، لأديب آخر بالقاهرة كان ينوى إعداد رسالة جامعية عنه ، ولم يعدها للآن . ولهذا خلت مكتبة الشاعر قبيل وفاته من جميع آثاره .

* * *

« أعاد الشاعر نشر تسع من قصائد دواوينه السابقة ، وذلك بمجلة الرسالة ، ولم يدخل عليها غير قليل من التعديل فى بعض الألفاظ . وقد أشير إلى ذلك فى هوامش تلك القصائد . وهى :

١ - « هرم خوفو » - أعيد نشرها بالرسالة (عدد ١٥٧ فى ١٩٣٦/٧/٦) من ديوانه الجزء السادس . ص ١٠ ط - ١ (و ص ٤٤٤ هنا)

٢ - « أبو الهول » - الرسالة (عدد ١٥٩ - ١٩٣٦/٧/٢٠) عن الجزء السادس ص ٧ و ص ٤٤٠ هنا .

٣ - « الشلال » - الرسالة عدد ١٦٣ - ١٩٣٦/٨/١٧ عن الجزء السابع ص ١٤ - و ص ٥١٢

٤ - « ياضوء » - الرسالة . عدد ١٦٥ - ١٩٣٦/٨/٣١ عن الجزء السابع ص ٣٤ و ٥٣٣ - وحذف منها أربعة أبيات أعيدت إلى مكانها هنا .

٥ - « وصف البحر » - نشرت بالرسالة بعنوان « البحر » - عدد ١٦٢ - ١٩٣٦/٨/١٠ (عن الجزء الثانى ص ٢٠ - و ص ١١٨ هنا) - وأضاف الشاعر إلى القصيدة القديمة ٢٥ بيتا جديداً فى أولها - ذكرت هنا كلها (ص ١١٨) .

٦ - « الفصول » - الرسالة . عدد ٢٤٩ - ١٩٣٨/٤/١١ (عن الجزء السادس ص ٢٧ - و ص ٤٦٢ هنا - وكان عنوانها الأول : « الصيف » وحذف من الأول ستة أبيات أعيدت إلى موضعها هنا .

٧ - « الباحث الأزلى » - الرسالة عدد ٢٥٠ - ١٩٣٨/٤/١٨ . عن الجزء الرابع ص : ى وهنا ص ٢٩٢ - ونشرت بالرسالة بعنوان « الباحث ش فقط .

٨ - « إلى المجهول » - الرسالة . عدد ٢٥٢ فى ١٩٣٨/٥/٢ (عن الجزء الخامس ص ٣١ وهنا ص ٣٩٦ - وحذف منها البيت التالى :

فليتهن خفافيش تلوح لها مجاهل الحق خافيه وباده

وذلك بعد البيت الذى يبدأ : « ليل مهيب كموج البحر »

وختمها بهذا البيت :

هيهات ما كشفت لى الحق خاطرة ولم يجب لى سؤالا ما أناديه

- ٩ - « الملك الشاعر » - بفتح الميم واللام - بالرسالة (عدد ٦٨٠ - ١٥ / ٧ / ١٩٤٦) عن الجزء السابع ص ٣٧ - و ص ٥٣٧ هنا - وأضاف إليها مقدمة وبعض الشرح فى الهوامش .
- ١٠ - أما « باقة غزل من شعر الصبا » - ص ٦٧٣ فهى أبيات مختارة من بعض قصائده المنشورة فى دواوينه السابقة . وقد حذف منها ما سبق نشره فى الديوان .

* * *

* أعلن الشاعر على غلاف كتابه : « الثمرات » المطبوع عام ١٩١٦ أن له كتابا (تحت الطبع) وهى : « رسائل الحب » و « مظاهر القوة فى الحياة » و « أدب الشعر » . كما وأضاف إليها عام ١٩١٨ على غلاف كتابه : « الصحائف » أن له كتاب « المدارس » (تحت الطبع) . وجاء على غلاف ديوانه السادس (الأفنان) عام ١٩١٨ ما يلى : « سيطيع بعد قليل الجزء الثانى من « حديث إبليس » و « كتاب المدارس » - وهو آراء فى التعليم والقائمين به ، وفى المدارس ونظارها » . ثم كتب فى مقدمة الجزء السابع من ديوانه عام ١٩١٩ (ص ٥٠٤) ما يأتى : « ... وقصيدة (سم الخسة) مأخوذة من مسودات كنت قد ألفتها فى كتاب اسمه (مجالى الأخلاق) لم ينشر ، وكثيراً من قصائد الغزل فى هذا الديوان خواطر كانت تخطر لى فأقيدها فى رسائل سميتها « رسائل الحب لم تنشر ... » .

والواقع أن الشاعر كان يعد فصول هذه الكتب لينشرها ، ولكنه لما توقف عن طبع الدواوين والكتب النثرية بعد عام ١٩١٩ عدل عن إتمامها أو تأليفها ثم اكتفى بنشر فصولها فيها بعد فى الصحف والمجلات ، ومنها الرسالة والثقافة والمقتطف والهلل ، وعدل فيها بحيث خرجت كتباً جديدة بأسماء أخرى ، كما يرى فى قائمة مؤلفاته المنشورة فى أول الديوان ...

* نشر الشاعر فى آخر كتابه من حديث إبليس « - ١٩١٦ - مختارات من شعره بعنوان « حكم وأمثال » استغرقت ٢٣ صفحة . وكلها من دواوينه الخمسة الأولى » . ونشر فى آخر كتابه « الثمرات » - ١٩١٦ - قصيدة « وصف البحر » المنشورة من قبل فى الجزء الثانى من كتابه .

* الأبيات الشعرية التى على وجه بعض الدواوين ، وضعها الشاعر بنفسه واختارها من بعض قصائده السابقة .

* الهوامش المذكورة فى هذا الديوان أكثرها بقلم الشاعر ، وأقلها أضيف فى هذه الطبعة لتفسير بعض الألفاظ .

* لم نعر على قصائد للشاعر بمجلة « أبو اللو » التى أنشأها الشاعر أحمد زكى أبو شادى ، وإن كان قد نشر بها مقالة عن الرمزية ، كما أن له بها حديثاً عن مطران أفضى به إلى أبى شادى . كما نشر بها أبو شادى كلمة عن شكرى . ونشر بها الدكتور رمزي مفتاح عدداً من المقالات عن شكرى والعقاد . (١٩٣٣ - ١٩٣٤)

* نشر الشاعر بمجلة « المقتطف » - مجلد ٧ سنة ١٩٤٧ - مقالات بامضاء ع . ش . وهى : « الحضارة واختلاف الطبائع » و « السلم الدائم والحلف العام » و « الحرب تؤدى إلى الحرب » وقصة مترجمة يتصرف عن جوزيف كونراد بعنوان « جريمة أم قصاص » (مايو ١٩٤٧) . وهذا غير فصول كتابه : « نظرات فى النفس والحياة » بقلم ع . ش . الذى نشره مسلسلاً فيما بين أغسطس ١٩٤٧ وسبتمبر ١٩٥١ وكلمة عن « انتحال المعانى الشعرية » وغير القصائد الست التى نشرت بالمقتطف عام ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الرسالة نحو ٤٠ مقالة نثرية فى النقد والأدب والدراسات النفسية ، وذلك فيما بين ١٩٣٦ و ١٩٣٩ .

* نشر الشاعر بمجلة الهلال - إلى جانب قصائده الثلاث - ثلاث مقالات : هل تنجح

١٩٥٦/٩/١٥	مجلة « العالم العربي »	عبد المنعم عواد يوسف :
١٩٥٩/٢/١	« المجلة » ص ١٣	عيسى أدهم :
٢٢ - ٢٣ (١٩٥٤)	كتاب « دراسات في الأدب الحديث » ص	عمر السوقي :
١٩٥٩	كتاب « الشعر بعد شوقي »	محمد مندور :
ديسمبر ١٩٥٨	جريدة « الجمهورية »	محمد مندور :
١٩٥٩/٦/١	« المجلة » ص ٤١	محمد مندور :
يونيه ١٩٣٤	مجلة « أبولو »	محمد مسعود الخسولي :
١٩٣٤	كتاب « الشعراء المجددون »	مختار الوكيل :
١٩٥٨/٣/١	مجلة « العالم العربي »	محمد رجب البيومي :
يولية ١٩٥٨	مجلة « الأدب »	محمد رجب البيومي :
	كتاب « الشعر والتجديد »	محمد عبد المنعم خفاجي :
	كتاب « رائد الشعر الحديث »	محمد عبد المنعم خفاجي :
١٩٥٦/٩/١٥	مجلة « العالم العربي »	نقولا يوسف :

* * *

فهرس

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
أ	تقديم تعلم فاروق شوشه	٧١	المشقوق
١	مقدمات	٧١	حسناء تغنى
٤١	الجزء الأول : ضوء الفجر	٧١	نصيبى من الحياة
٤٥	كسرى والأسيرة	٧٢	الصغير والكبير
٤٧	خطرات فى المساء	٧٢	الطمرح
٤٨	عاشق المال	٧٣	رثاء مصطفى كامل
٥١	حنين الغريب	٧٣	موقف
٥٣	حمام الكازينو	٧٤	التأليف
٥٥	الحب نائم ويقظان	٧٤	الشاعر وحييته
٥٧	مناجاة الحبيب	٧٥	ليلة من ليالى الحب
٥٨	شكوى الزمان	٧٥	عين البقطة وعين الحلم
٥٩	شكوى الصديق	٧٦	النصيحة
٥٩	تحية للشمس عند شروقها	٧٦	الحزم والحدثان
٦١	الحب والليل	٧٦	عتاب ومحبة
٦٢	النغمات	٧٧	آمال النفس
٦٣	الفونوغراف	٧٧	ذكرى ليلة
٦٣	حديثه	٧٨	أمانى الحب
٦٤	مغالبه الهوى	٧٩	دليل الشوق
٦٤	مطال الهوى	٧٩	مرثية قاسم أمين
٦٥	نظرة	٨٠	رثاء قاسم أمين
٦٥	فى سبيل الجامعة	٨١	زورة حبيب
٦٦	مصرى عربى يخاطب أخاه القبطى	٨١	الحب والرقه
٦٦	ضرر اليأس	٨١	فى الفخر والحكم
٦٧	ذكرى	٨٢	إلى صديق
٦٧	أعمى يرثى بصره	٨٣	ضيقة حال
٦٨	البخيل	٨٤	رثاء الشيخ محمد عبده
٦٨	ألومه فى التجنى	٨٥	عقيدة الحب
٦٩	الحصول	٨٥	وصف راقصة
٦٩	اليسر بعد العسر	٨٦	حالات الحب
٦٩	حسناء ماتت فى صباها	٨٦	طلعة وشجون
٧٠	عتاب وأعتاب		

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٨٦	الحظ القليل الكثير	٩٨	الروض بالليل
٨٧	حساد على الصبر	٩٨	البوق
٨٧	الحزن والسرور	٩٨	أمنية
٨٧	مواطن الأشياء	٩٩	جسم وقبر - النجوم - الخمول -
٨٧	إلى صديق بعد إبلاؤه من مرض		نصيب قليل - الروض والحب
٨٨	شاهد الدمع	١٠٠	صديق عدو
٨٨	رثاء الحب	١٠٠	كلمة في الشاعر ببيرون
٨٩	استهداء رسم جميل	١٠٠	إلى صديق
٨٩	عبادة الحسن	١٠١	موعد - عذير الحب - عذاب ونعمة
٩٠	الود الرخيص	١٠٢	في التبسط
٩٠	إلى صديق	١٠٢	إلى عالم جليل
٩٠	لجاجة الحب	١٠٢	إلى صديق
٩١	غلالة الصهبا	١٠٣	لقاء على صد
٩١	مخادعة الهم	١٠٣	حب من لوازم الحياة
٩١	العذر في الكأس	١٠٤	الهوى
٩١	خطرات في الحياة	١٠٤	في التبسط
٩٢	مجلس	١٠٤	مغرم أم مغرم
٩٢	سبيل الحب	١٠٤	الحياة
٩٢	عناء الليل والحب	١٠٥	العزير تعله
٩٣	خطرات الحب	١٠٥	كان الخداع وكنت الخذار
٩٤	زهرة ووعد	١٠٥	رثاء عزيز
٩٤	اليأس من الحب	١٠٥	ليلة نحس وليلة سعد
٩٤	طول الليل	١٠٦	استعطاف
٩٥	عفة الطرف	١٠٦	إلى صديق
٩٥	لحن يتمشى بالألم	١٠٧	في معلم جاهل
٩٥	الأمانى حلق	١٠٧	ذكرى زورة
٩٥	الخمود والجمود	١٠٨	رثاء عزيز
٩٦	الروض والهجير	١٠٨	المحب الهالك
٩٦	معاني النظر	١٠٨	في شاب يدعى سعة الاطلاع كذبا
٩٦	شفق الغروب	١٠٩	الحب يدعم بالحب
٩٦	الحياة قمار	١٠٩	المجادلة
٩٦	الخاطر والزمن الخالي	١٠٩	حنين واشتياق
٩٧	الثبات	١٠٩	داء أم دواء
٩٧	الحب أعمى	١١٠	إسعاد الهوى
٩٧	لفز الحياة	١١٠	إلى أديب
٩٨	دواء الملل	١١١	كلمات العراطف

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
	الجزء الثاني		
١١٣	الإهداء	١٧٣	الحسناء الغادرة
١٢٣	لآلى، الأفكار	١٧٣	النعمان ويوم يؤسه
١٢٧	مقدمة للأستاذ عباس العقاد	١٧٥	اليأس داء، والأمل داء
١٢٨	حياة الأمم أو التجدد والتغير	١٧٦	ضوء القمر على القبور
١٣٩	الإيمان والقضاء	١٧٧	الندامة
١٤٠	الحياة والعبادة	١٧٨	ثغر
١٤١	القلق والغفلة	١٧٩	ابتسامات
١٤٢	اليتيم	١٧٩	عتاب أم دلال
١٤٣	الجمال والعبادة عند قدماء اليونان	١٨٠	الحسن والآمال النبيلة
١٤٤	الحياة والعمل	١٨١	شرب الخمر والحبيب
١٤٥	ضحكات الأطفال	١٨١	أمل فريضة
١٤٦	الجمال والموت	١٨٢	صوت الموتى
١٤٨	عابدة الشمس (اسم زهرة)	١٨٣	الحجاب
١٤٩	صوت الليل	١٨٤	الموت والتخيل
١٤٩	وصف البحر	١٨٥	شاعر في الغربة
١٥٢	معان لا يدركها التعبير	١٨٦	حنين غريب
١٥٣	غلام مريض بكلم أمه	١٨٦	كأس خمر
١٥٤	التنويم المغنطيسي أو عزيمة المجرم	١٨٧	الزوجة المهجورة تعالج السحر
١٥٥	ليتني كنت إلها	١٨٨	الشاعر والزمن الحروب
١٥٩	لسان الغيب	١٨٩	الحب والحجاب
١٦٠	نعمى الزواج	١٩٠	قبلة الزوجة الخائنة
١٦١	الشاعر وصورة الكمال	١٩١	خطأ الحر وإصابة العبد
١٦٢	ربما أو المزهر بحميد خلقه	١٩١	الحب والكبر
١٦٣	النساء في الحياة والموت	١٩٢	ملل من الحياة
١٦٤	الحلال والحرام	١٩٣	ذكر
١٦٥	العقاب بالقتل	١٩٣	رثاء عصفور
١٦٥	عيون الندى	١٩٤	في دفقة قديمة
١٦٦	الحاجة المكتومة	١٩٤	ذكرى على جفاء
١٦٧	الإنسان والزمن	١٩٥	إلى صديق
١٦٩	مراجعة الحب	١٩٥	شكوى شاعر
١٧٠	الحاجات المستترجة	١٩٦	عاطفة شوق
١٧١	أنفاس السحر	١٩٧	الحرية
١٧٢	امرأة تكلم بعلها	١٩٨	نبوة شاعر
		١٩٩	أنا والغيب
		٢٠٠	ثورة النفس
		٢٠٢	فجر الشباب

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٢٠٢	الإيمان بالحياة	٢٣٢	عتاب الملك حجر
٢٠٣	محب يرد لحاظه	٢٣٤	واقعة أبو قير
٢٠٣	العظيم في قومه	٢٣٦	نابليون والساحر المصرى
٢٠٤	نحن إخوة		الجزء الثالث
٢٠٤	لذة المحبوب والمحب		
٢٠٥	الشاعر وجمال الحياة		
٢٠٥	فى قبيح اسمه حسن	٢٣٩	أناشيد الصبا
٢٠٥	الكاذب	٢٤١	إهداء الديوان
٢٠٦	كلمة مدح	٢٤٣	كلمة : العاطفة فى الشعر
٢٠٦	العهد والحذر	٢٤٥	الحب والموت
٢٠٧	العادات	٢٤٧	بين الحياة والموت
٢٠٧	أم إسبرطية قتلت ابنها	٢٤٨	حكمة التجارب
٢٠٨	مناجاة المحب	٢٤٩	الدفين الحى
٢١٠	الكبر والمجد	٢٥٠	الحسن مرآة الطبيعة
٢١٠	إلى صديق	٢٥١	سحر الربيع
٢١١	الزوجة الفادرة	٢٥٢	جنة الحب وجحيمه
٢١٥	كلمات النفس	٢٥٣	حسرة العيد
٢١٦	عتاب	٢٥٥	الخوف والفرح
٢١٧	المقاطيع	٢٥٥	نشوة الحب
٢٢٦	ثلاث رباعيات للخيام	٢٥٧	غاية الحب
٢٢٦	شكوى	٢٦٠	الشعر والطبيعة
٢٢٧	الحب والجمال - الأديب المتكلف -	٢٦١	الأزاهير السود
	التأثر	٢٦٢	طبع الإنسان
٢٢٨	شكوى الزمن - خلوة - العذر فى	٢٦٤	الحب والبأس
	الهجر - نظرات مسالك - كاذب أبدا -	٢٦٥	الحبيبان
	الحب والهجر .	٢٦٦	صداقة الأموات والأحياء
٢٢٩	ذم الشتاء - عتاب - لكل دهر إمام -	٢٦٨	شاعر يحتضر
	صبر فى الأمل وصبر فى اليأس - إذا	٢٦٩	أمل قديم
	أكرمت اللثيم أهنته - صاحب الغيبة	٢٦٩	مرآة الضمائر
٢٣٠	الوليد - الدهر بحر - الحسنة ومرأتها	٢٧١	عناء الطيف
	- حلم	٢٧٢	سلوان الجنون
٢٣١	الجنة الخراب أو الشام فى عهد	٢٧٤	ليس لى شغل سواك
	الاستبداد	٢٧٥	حلم بالبعث
٢٣١	اللثيم المستنيت - اليوم وغد	٢٧٧	صنم الملاحه
٢٣٢	منظر - كاذب لثيم	٢٧٨	بين الحقيقة والخيال
		٢٧٩	الحسود

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٢٨٠	بالله ما تفعل لو بلفوك	٣٣٥	المجاهد الجريح
٢٨١	الحب والحياة	٣٣٦	عبث الشكوى
٢٨٤	سراب الود	٣٣٧	الطائر الحبيس
٢٨٤	عبث الحياة	٣٣٩	الإنسان والكون
٢٨٦	الحياة والفنون	٣٤٠	وعظ الموت
٢٨٨	مناجاة الأرواح	٣٤١	أبناء الشمال (الآريون)
٢٨٩	أنا مجنون بحبك	٣٤٣	توأم النفس
٢٩٠	ظالمى ما أعدلك	٣٤٥	حلم النفس
٢٩١	ليتنى وليتك	٣٤٦	زهر الهوى ونبت الفياق
٢٩١	لولاك	٣٤٧	جنون الأمانى
٢٩٢	الربيع والصبا	٣٤٩	هذا الحبيب
٢٩٣	ليلة القدر	٣٤٩	أحلام الصيف
٢٩٣	الرحمة (عن شكبير)	٣٥٢	فتنة الظهر
٢٩٤	غروب الشباب	٣٥٣	فى الفردوس
٢٩٥	الحب القديم والجديد	٣٥٤	حلم الفردوس
٢٩٧	مواطن الحب	٣٥٧	الجمال المنشود
٢٩٨	جنون الحياة	٣٦٠	منى النفس
٢٩٩	فراشة الحب	٣٦٢	قريب بعيد
٣٠٠	عصفور الجنة	٣٦٥	عشيق القمر
٣٠١	إلى الروح التى أهوى	٣٦٦	الحب والرحمة
٣٠٢	بعد الحسن	٣٦٧	أملح الناس
٣٠٣	الحب والخلود	٣٦٨	ذكرى الحبيب الأول
٣٠٥	الحب والود	٣٧٠	الشعر
٣٠٧	وعظ القدر	٣٧٢	بين العذر واللوم
٣٠٩	مشتري الأحلام	٣٧٤	نجوى
٣١٠	جنة الحسن	٣٧٦	عقوق القدر
٣١١	صوت النذير	٣٧٧	بعد الود
٣١٦	بين الحب والبغض	٣٧٨	الحب والطبيعة
	الجزء الرابع	٣٧٩	ترجم
	زهر الربيع	٣٨٠	الخطاب والحشرة
٣٢٣	مقدمة فى الشعر	٣٨٢	الوتر المفقود
٣٢٨	الباحث الأزل	٣٨٣	أنغريد شاعر
٣٣٢	سمو النفس	٣٨٥	صوت الله
٣٣٢	حديقة الصيف	٣٨٦	وارحة للناس
٣٣٤	مصارع النجباء	٣٨٧	جهاد المصلحين
		٣٨٨	الروح السوداء

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٣٨٩	سنة العيش	٤٥٩	الحسن الكاذب
٣٩٠	الكونان : قلب اليائس وقلب الأمل	٤٦٠	تمثال سوء
٣٩٣	نظرتان في النفس	٤٦١	بقطة في الفجر
		١٦٢	قبر في القلب
	الجزء الخامس	٤٦٣	صرصور الشعر
٣٩٥	الخطرات	٤٦٤	لوازم الحب
٣٩٩	مقدمة في الشعر ومذاهبه	٤٦٤	النقد القذر
٤١٢	الصنع والكسب	٤٦٤	إيكاروس : العبد الروماني
٤١٣	نجى النجوم	٤٦٦	دعابة
٤١٦	سحر اللحاظ	٤٦٧	العيش والرجاء - بعد زينة
٤١٧	قوة الفكر	٤٦٨	الروضة المنتهية
٤٢٠	الذكر	٤٦٩	حلم وردة
٤٢١	المجرم	٤٧٠	الهوى حلم العصى
٤٢٣	ليلة الحسن		الجزء السادس
٤٢٥	البطل المنتظر		
٤٢٦	خميلة الحب	٤٧١	الأفتان
٤٢٨	علالة العيش	٤٧٥	فصل في أن الشعراء كماليون
٤٣٠	لص أم أديب	٤٧٨	الحياة والحق
٤٣٠	تزاوج النفوس	٤٨٠	أبو الهول
٤٣٢	عيش الأدباء	٤٨٤	هرم خوفو
٤٣٥	إلى المجهول	٤٨٨	الليل
٤٣٩	إلى ماض من العمر	٤٩٠	سور العيش
٤٤٠	إلى الريح	٤٩١	ذكرى أمس
٤٤١	طيف الجنون	٤٩٢	نعسة الطرف
٤٤٢	الممره	٤٩٣	قيس الحسن
٤٤٤	شقة العيش	٤٩٤	درع الحياة
٤٤٦	أمل ميت	٤٩٥	طائر السعادة
٤٤٧	التفاهم في الحب	٤٩٧	لا مرحباً بالأقدار
٤٤٨	ملك القلوب	٤٩٧	مرحباً بالأقدار
٤٤٩	الحق المكتوم	٤٩٨	خلود التجارب
٤٥٠	بلاغ الحب	٥٠٠	المثل الأعلى
٤٥٢	الآمال الذاتية	٥٠٢	الفصول
٤٥٤	شكوى - العلم وعزة النفس	٥٠٩	خواطر الأرق
٤٥٦	نجم الحياة	٥١٠	غل السرائر
٤٥٧	ذل المشيب	٥١١	آلة الضمير
٤٥٨	خطوة عن عالم الحسن	٥١٢	دعوة المصلح
		٥١٣	الشهرة بعد الموت

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٥١٤	دلال الربيع	٥٦٢	وسائل الحب
٥١٥	ربيع القلوب	٥٦٣	حجة الثاني
٥١٦	حقيقة أم وهم	٥٦٤	فطنة الحسن
٥١٧	عالم الحسن	٥٦٥	الأمانى والذكر
٥١٩	اختفاء الحق	٥٦٧	الحب والشفاعة
٥٢٠	زورة الملائكة	٥٦٨	نجوى المحتجب
٥٢١	الأم المسكينة	٥٦٩	الحب والحذر
٥٢١	جد أم لعب	٥٧١	موارد الحب
٥٢٢	اصبر	٥٧٢	الصبر والجزع
٥٢٣	صلع الدهر	٥٧٤	زورة المباعد
٥٢٤	قرد النهى	٥٧٧	ياضوء
٥٢٤	قبلة الوداع	٥٨٠	الصدق المنشود
٥٢٥	تبر النفوس	٥٨١	الملك الثائر
٥٢٦	ليت شعري	٥٨٦	الموت
٥٢٧	أأنت والربيع	٥٩٠	ذعر المحب
٥٢٨	حلم بالأرواح الطليق	٥٩٢	طيرة الفرخ
٥٢٩	الوحدة	٥٩٣	حب العزوف
٥٣٠	من الحى إلى الميت	٥٩٤	العدل والكسب
٥٣١	سجن الفضيلة	٥٩٥	سفر اللوم
٥٣٢	بيت اليأس	٥٩٦	ويل للشجى من الخلى
٥٣٣	لغز الحياة	٥٩٨	صحو ولا صحو
٥٣٤	خواطر فى الحياة	٦٠٠	العظيم
٥٣٥	الشجرة والغراب	٦٠١	الشمطاء الفتية
٥٣٦	ياشاعر الكون	٦٠٣	بعد عشرة أعوام
٥٣٧	كعبة النفس	٦٠٤	سم الخسة وسعار الفرور
٥٣٨	الصنم المكسور	٦٠٦	قربان القلب - أذئاب الخسة
٥٣٨	غلة النفس	٦٠٦	حقوق الفرائض - درس من الطبيعة
	الجزء السابع	٦٠٧	نوع الخفيف - محارب الحرافات -
			يهودا - البطل
٥٤١	أزهار الخريف	٦٠٩	فى فكه
٥٤٥	الإهداء	٦٠٩	فى شباب يدعى الفكاهة والنظرف
٥٤٧	مقدمة	٦٠٩	مر العمر
٥٥١	آية الحسن	٦١١	قصة هز الأنوف
٥٥٦	الشلل		***
٥٥٩	يا وضىء السمات		

الصفحة	عنوان القصيدة	الصفحة	عنوان القصيدة
٦١٣	الجزء الثامن	٦٧١	نذالة التعاسة
٦١٧	الطفل	٦٧٣	بين الشرى والشرى
٦١٨	شهداء الإنسانية	٦٧٥	بين ماضٍ وحاضر
٦٢٠	العصر الذهبي	٦٧٦	صور الصداقة والعداوة
٦٢٤	الشباب	٦٧٩	الهاربون من القضاء
٦٢٧	نحو الفجر	٦٨١	صديق البلاء
٦٣٠	مناجاة الأول	٦٨٢	عجايب مألوفة
٦٣٢	فن الحياة	٦٨٤	عند بحر موسى شتاء
٦٣٤	سر الحياة	٦٨٥	قرب الموتى
٦٣٥	بعد الإخاء والعداء	٦٨٦	نحن والزمن
٦٣٨	فى وصف الطباع	٦٨٩	أقوام بادوا
٦٤٣	الصحراء	٦٩٣	العداء والفناء
٦٤٦	الشاعر اليبلى المجهول	٦٩٥	مرأى الجمال وذكرى الجلال
٦٤٧	النشوء والزرقاء	٦٩٧	حواء الخالدة
٦٤٨	النجاح	٦٩٩	جنون الأقوياء
٦٥٣	الجيل	٧٠٠	خطرات فى الحياة والموت
٦٥٤	المستقبل	٧٠٤	يوم مطير
٦٥٦	حالتان للنفس	٧٠٥	السكون بعد التغم
٦٥٧	عجز التجارب	٧٠٧	قيد الماضى
٦٥٨	ليلة حوراء	٧٠٩	صوتك
٦٦٠	الشتاء فى إنجلترا	٧١٠	شفق الغروب
٦٦٢	بحر الحسد	٧١٢	مفتاح القلوب
٦٦٣	الصدى	٧١٣	الأندلس العربية
٦٦٥	صمت الشك	٧١٤	بهاء الحياة
٦٦٦	سحر الطبيعة	٧١٦	مقطوعات شعرية
٦٦٧	الغابة	٧١٩	باقة من شعر الصبا
٦٦٩	الحق والحسن	٧٢١	ملاحظات
٦٧٠	ما وراء الأمن	٧٢٧	فهرس

المشروع القومى للترجمة

اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد برويش
الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
التراث المسروق	جودج جيمس	ت : شوقي جلال
كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كارييتكوفنا	ت : أحمد الحضري
ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصطوح / وفاء كامل فايد
العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكى
مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
التغيرات البيئية	أندرو س. جوى	ت : محمود محمد عاشور
خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتصم وعبد الجليل الأرنؤى وعمر حلى
مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرائك	ت : أحمد محمود
ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المولى
الحركات الفنية	إوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيق عفيقى
أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : لطفى عبد الوهاب / غاروق القاضى / حسين الشيخ / منيرة كروان / عبد الوهاب علوب
مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
الشعر النفسى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
الأعمال الشعرية الكاملة	جودج سفيريس	ت : نعيم عطية
قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
خوخة وألف خوخة	صعد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنة
الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
الرواية العربية	روجر آلن	ت : د. حصة إبراهيم المنيف

الأسطورة والحدائق	بول . ب . نيكسون	ت : خليل كلفت
نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
نقد الحدائق	آلن تورين	ت : أنور مغيث
الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عطف أحمد / إبراهيم فتحى / محمود ملجد
عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
اللهب المزوج	أوكتايفيو بات	ت : المهدي أخريف
بعد عدة أصياف	ألوس هكسلى	ت : مارلين تانرس
التراث المغفور	روبرت ج نيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
الإسلام فى البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الللود ويوسف الأنطكى
مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوييا وغ . م بينياليستى	ت : محمد أبو العطا
العلاج النفسى التدعيمى	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفى قطيم وعادل دمرdash
الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحى
ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
المحيرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
التصميم والشكل	جوهانز ايتين	ت : صبرى محمد عبد الفتى
موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
تقاسم العجوز وقصص أخرى	فالتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
العالم الإسلامى فى أول القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد

السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود
السياسى العجوز	ت . س . إليوت	ت : فؤاد مجلى
نقد استجابة القارئ	جين . ب . توميكنز	ت : حسن ناظم وعلى حاكم
صلاح الدين والمالِك في مصر	ل . ا . سيمينوفا	ت : حسن بيومى
فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	ت : أحمد درويش
چاك لاكان واغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	ت : عبد المقصود عبد الكريم
تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	ت : أحمد محمود ونورا أمين
شعرية التأليف	بوريس أوسبينسكى	ت : سعيد الغانمى وناصر خلاوى
بوشكين عند «ناقورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	ت : مكارم الغمرى
الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	ت : محمد طارق الشرقاوى
مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	ت : محمود السيد على
مختارات	غوتفريد بن	ت : خالد المعالى
موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	ت : عبد الحميد شيحة
منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	ت : عبد الرازق بركات
طول الليل	جمال مير صادقى	ت : أحمد فتحى يوسف شتا
نون والقلم	جلال آل أحمد	ت : ماجدة العنانى
الابتلاء بالغرب	جلال آل أحمد	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
وسم السيف	ميجل دى تريباس	ت : محمد إبراهيم مبروك
المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	ت : محمد هناء عبد الفتاح
أساليب ومضامين المسرح	كارلوس ميجل	ت : نادية جمال الدين
الإسبانيونأمريكى المعاصر	مايك فيذرستون وسكوت لاش	ت : عبد الوهاب عطوب
محدثات العولة	صمويل بيكيت	ت : فوزية العشماوى
الحب الأول والصحة	أنطونيو بويزو بايخو	ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
مختارات من المسرح الإشباني	قصص مختارة	ت : إنوار الخراط
ثلاث زنبقات ووردة	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
هوية فرنسا	نماذج ومقالات	ت : أشرف الصباغ
الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	بيفيد روينسون	ت : إبراهيم قنديل
تاريخ السينما العالمية	بول ميرست وجراهام توميسون	ت : إبراهيم فتحى
مساعدة العولة	بيرنار فاليط	ت : رشيد بنحدو
النص الروائى (تقنيات ومناهج)	عبد الكريم الخطيبى	ت : عز الدين الكتانى الإنريسى
السياسة والتسامح	عبد الوهاب المؤدب	ت : محمد بنيس
قبر ابن عربى يليه آباء	برتولت بريشت	ت : عبد الفقار مكاوى
أوبرا ماهوجنى	چيرارچينيت	ت : عبد العزيز شميل
مدخل إلى النص الجامع	د . مازيا خيسوس روبييرامتى	ت : د . أشرف على دعبور
الأدب الأندلسى		

صورة الفدائي في الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة	ت : محمد عبد الله الجعفيدي
ثلاث دراسات عن الشعر الأنثوسي	مجموعة من النقاد	ت : محمود علي مكي
حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	ت : هاشم أحمد محمد
النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	ت : منى قطان
المرأة والجريمة	فرانسيس هيندسون	ت : ريهام حسين إبراهيم
الاحتجاج الهائى	أرلين علوى ماكليود	ت : إكرام يوسف
راية التمرد	سادى پلانت	ت : أحمد حسان
مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	ول شوينكا	ت : نسيم مجلى
غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	ت : سمية رمضان
امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	ت : نهاد أحمد سالم
المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	ت : ليس النقاش
النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنيل	ت : بإشراف/ رؤوف عباس
الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	ت : نخبة من المترجمين
الدليل الصغير فى كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	ت : محمد الجندي ، وايزابيل كمال
نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	ت : د/ منيرة كروان
الإمبراطورية العشائرية وعلاقاتها الدولية	نيتل الكسنتر وفنابولينا	ت : أنور محمد إبراهيم
الفجر الكاتب	جون جراى	ت : أحمد فؤاد بليغ
التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديفى	ت : سمحه الخولى
فعل القراءة	ثولفانج إيسر	ت : عبد الوهاب علوب
إرهاب	صفاء فتحي	ت : بشير السباعي
الأدب المقارن	سوزان باسنيت	ت : أميرة حسن نويرة
الرواية الاسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	ت : محمد أبو العطا وآخرين
الشرق يصعد ثانية	أنثريه جوندر فرانك	ت : شوقي جلال
مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	ت : لويس بقطر
ثقافة العولة	مايك فينرستون	ت : عبد الوهاب علوب
عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيقلينا تارونى	ت : وجيه سمعان عبد المسيح

(نحت الطبع)

التليفزيون في الحياة اليومية	المختار من نقد ت . س . إليوت
أنطوان تشيخوف	الشعر الأمريكي المعاصر
من المسرح الإسباني المعاصر	الجانب الديني للفلسفة
فلاحو الباشا	الولاية
خطبة الإدانة الطويلة	حيث تلتقى الأنهار
تاريخ النقد الأدبي الحديث (الجزء الرابع)	النظرية الشعرية عند إليوت وأبونيس
تشريح حضارة	المدارس الجمالية الكبرى
حكايات ثعلب	الإسكندرية : تاريخ ودليل
شامبوليون (حياة من نور)	مختارات من الشعر اليوناني الحديث
الحورية الهاربة	بارسيفال
الإسلام في السودان	اثنتا عشرة مسرحية يونانية
العربي في الأدب الإسرائيلي	الخوف من المرايا
آلة الطبيعة	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل
ضحايا التنمية	عدالة الهنود
المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	جان كوكتو على شاشة السينما
أيدولوجي	الأرضة
تاريخ الكنيسة	مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية
فن الرواية	غرام الفراغة
ما بعد المعلومات	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية والقوانين المعالجة
الورقة الحمراء	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)
موت أرتميد كروث	صاحبة اللوكاندة
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	التجربة الإغريقية : حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي
المهلة الأخيرة	الغنف والنبوة
الهيولية تصنع علماً جديداً	خسرو وشيرين
قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	العمى والبصيرة (مقالات في بلاغة النقد المعاصر)
مدرسة فرانكفورت نشأتها ومعزاها	وضع حد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٠٤٥٦ / ١٩٩٨

الترقيم الدولي (7 - 046 - 305 - 977 - I. S. B. N.)



عبد الرحمن شكري

ان عبد الرحمن شكري، شاعر رومانسي حزين
التخاطب فهو من الاناء بينا والى الاناء يهود وعنده
انما الشاعر شاعر القلب فهو الذي يصف عواطف النفس
واحواسها فيصف عواطف الحب والجمال والجمال والجمال
والسرور والامل والياس والرحمة والكثرة والحنين والسرور
والجود والشجاعة والحنين وغيرها من عواطف النفس واحواسها
وهو الذي يصف اساليب الحياة التي تحول فيها هذه العواطف كل
محال ومظاهر الوجود التي تتعلق بها العواطف فهو الشاعر
الذي عواطفه مثل عواطف الوجود مثل الامواج او الرياح او
الضياء او النار او الكهرباء فان هذه عواطف الكون وهو الذي
يخلق هذه الامور كلها الكبير الاكبر الكبير الاكبر

والله اعلم بالصواب

وتمت الطبعة في شهر ربيع الثاني سنة 1340

في دار النشر في طهران

الطبعة الاولى سنة 1340

في دار النشر في طهران

الطبعة الثانية سنة 1340